

فرق معاصرة

تلتصّب إلى الإسلام
وبيان موقف الإسلام منها

رعداد
غالب بن علي عواجي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

١٤١٤ هـ



دسمبر - ٢٠١٩ / ٤٥

فَرْقٌ مُعَاَصِرَةٌ

تَنْسِيبٌ إِلَى الْإِسْلَامِ
وَبَيَانٌ مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين...

وبعد

فأحمد الله تعالى على ما هيا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من طلاب
علم جاؤوا من بلدان بعيدة وأماكن مختلفة للتزود بالعلم النافع في دينهم
ودنياهم ألف الله بين قلوبهم، في هذه الجامعة الإسلامية المباركة وصاروا كالبنيان
المرصوص وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى ...

ولاشك أن هذا المجتمع الطيب مما تزداد القلوب به إنشراحاً ، فهي فرصة
ثمينة للطلاب والمدرسين أتاحت لهم بفضل الله ثم بجهود القائمين على خدمة
الإسلام والمسلمين بكل سخاء وحين أسند إلى تدرّيس مادة الفرق منذ العام
الدارسى ١٤٠٥ هـ ، كنت مستشعراً أهمية هذه المادة المفيدة لتفهيم أبناء
المسلمين ما يبيته لهم أعداؤهم من الإصرار على تفتيت وحدتهم ، والتشويش
على أفكارهم - إن لم يتمكنوا من إخراجهم عن دينهم نهائياً . - وهم يعملون
هذا تحت ستار إظهار الإسلام والانتساب إليه مما جعل الكثير من أبناء المسلمين -
يقعون ضحية تلك المؤامرات الخفية منها والظاهرة ومما يدعو إلى الأسف . زهد
كثير من المسلمين عن البحث في حقيقة تلك الفرق فجهلوا الأخطار التي تبّيت
لهم ، فلم يعد البحث عن تلك الطوائف والتصدي لها مثار أخذ ورد بين الكثير

من طلاب العلم - فضلا عن العامة وفي مقابل هذا أقول بكل تفاؤل أنه - مما يسرنى جدا في أثناء تدريسي لهذه المادة شدة رغبة وإقبال الشباب على تفهم ودراسة أفكار تلك الطوائف، ومعرفة جذورها التاريخية.

... وعقائدها المختلفة وأفكارها المتباينة بحماس واضح ورغبة صادقة..... بعد ما اتضح لهم مقدار الحاجة إلى مثل هذه الدراسة .

ولقد كانت هذه الفرق التي يموج بها العالم الإسلامي ودراستها، ومعرفة مخاطرها الظاهرة والخفية على الإسلام والمسلمين محل اهتمامي ... فكنت أقرأ كل ما تيسر لي الإطلاع عليه من كتب علماء السنة، وما كتبه غيرهم . ثم أثبت كل ما استحسنته وكان صواباً - من تلك الكتب أثناء دراستي لها من فوائد علمية، وآراء مهمة، ومناقشات هادفة ... فجمعت شتات كثير من الفوائد التي تهتم الراغب في دراسة الفرق مع بيان الحق منها ورد كل ما يعارض الاعتقاد السليم ولم أهتم بذكر الفرق الفرعية بكل طائفة إلا ما دعت إليه الحاجة وهو قليل وقد كتبت كل ذلك لنفسي، فلما اجتمع لي ما استحسنته من إثبات شتات كثير من المعلومات عن الفرق في مكان واحد رجوت الله تعالى أن ينفعني وإخواني طلاب العلم به وأن يكون منجداً أولاً لدارسي الفرق .

ولرغبة الأحبة من طلاب العلم قدمته لهم سائلاً المولى جلّت قدرته أن يجدوا فيه ما ينفعهم ويعينهم على فهم حقيقة تلك الفرق التي يدرسونها .

مع اعتذاري عما يوجد فيه من سهو أو تقصير فالخير أردت والكمال لله وحده

ولكل امرئ مانوى

وقد قسمت هذه الدراسة إلى

أبواب . وفصول لكل باب

الباب الأول: مقدمة في الفرق وتشمل الفصول الآتية :

١ - الفصل الأول : الهدف من دراسة الفرق .

٢ - الفصل الثاني : أهمية دراسة الفرق .

٣ - الفصل الثالث : النهى عن التفرق وفيه مبحثان .

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .

٤ - الفصل الرابع : حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق ويشتمل على مبحثين .

المبحث الأول : من هي الفرقة الناجية ؟

المبحث الثاني : معنى قوله ﷺ : كلها في النار إلا واحدة .

٥ - الفصل الخامس : كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين .

٦ - الفصل السادس : مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وموقفهم منه . وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية .

٧ - الفصل السابع : مظاهر الخلاف بين المسلمين .

٨ - الفصل الثامن : كيف تبدأ الفرق في الظهور .

٩ - الفصل التاسع : منهج العلماء في عد الفرق .

١٠ - الفصل العاشر : ما المراد بأمة الإسلام .

١١ - الفصل الحادي عشر : أهم أسباب نشأة الفرق .

الباب الثاني : دراسة عن الخوارج وفيه الفصول الآتية :

١ - الفصل الأول : تمهيد - وجود الخوارج في الماضي والحاضر .

- ٢ - الفصل الثاني : التعريف بالخوارج لغة واصطلاحاً .
 - ٣ - الفصل الثالث : أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات .
 - ٤ - الفصل الرابع : متى خرج الخوارج .
 - ٥ - الفصل الخامس : محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان .
 - ٦ - الفصل السادس : أسباب خروج الخوارج .
 - ٧ - الفصل السابع : حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم .
 - ٨ - الفصل الثامن : دراسة أهم فرق الخوارج وهم الإباضية .
- وتشمل دراسة هذه الطائفة ما يلي :

- ١ - تمهيد .
- ٢ - زعيم الإباضية .
- ٣ - هل الإباضية خوارج .
- ٤ - فرق الإباضية .
- ٥ - دولة الإباضية .
- ٦ - موقف الإباضية من المخالفين لهم .
- أ - موقفهم من سائر المخالفين :
- ب - موقفهم من الصحابة .
- ٧ - عقائد الإباضية .
- ٩ - الفصل التاسع : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج ويشمل المسائل الآتية :
 - المسألة الأولى - هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط .
 - المسألة الثانية - موقف الخوارج من صفات الله تعالى .
 - المسألة الثالثة - حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج .

المسألة الرابعة - الإمامة العظمى .

المسألة الخامسة - موقفهم من عامة المسلمين المخالفين لهم .

المسألة السادسة - حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم .

١٠ - الفصل العاشر : الحكم على الخوارج .

أما الباب الثالث : فقد خصص لدراسة الشيعة من خلال الفصول الآتية :

١ - الفصل الأول : التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً وبيان التعريف الصحيح .

٢ - الفصل الثاني : بيان متى ظهر التشيع .

٣ - الفصل الثالث : مراحل دعوى التشيع .

٤ - الفصل الرابع : أسماء الشيعة .

٥ - الفصل الخامس : فرق الشيعة ويشمل :

١ - تمهيد .

٢ - السبب في تفرقهم .

٣ - عدد فرقهم .

٤ - السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرقهم .

٦ - الفصل السادس : دراسة أهم فرق الشيعة .

١ - السبئية .

٢ - الكيسانية .

٣ - المختارية .

٤ - الزيدية .

٥ - الرافضة : وتشمل دراستها ما يلي :

١ - تعريفهم لغة واصطلاحاً .

٢ - سبب تسميتهم بالرافضة .

٣ - وجودهم قبل اتصالهم بزید .

٤ - أسماءهم قبل اتصالهم بزید .

٥ - فرقهم وهم :

١ - المحمدية .

٢ - الإثنا عشرية : وتشمل دراستها :

١ - أسماءهم وسبب تلك التسميات .

٢ - سبب انتشار مذهبهم وأماكن انتشارهم .

٣ - فرقهم وأهمها :

١ - الشيخية .

٢ - الرشتية .

٧ - الفصل السابع : ايضاحات لبعض الآراء الإعتقادية للشيعة ويشمل المسائل الآتية :

١ - قصر استحقاق الخلافة في آل البيت على علي وذريته رضي الله عنهم وأنها

كانت بنص من النبي (ﷺ) فيهم .

٢ - دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣ - تدينهم بالتقية .

٤ - دعواهم المهديّة والرجعة .

٥ - موقفهم من القرآن الكريم .

٦ - موقفهم من الصحابة .

٧ - القول بالبداء على الله تعالى .

وتحت كل عنصر من العناصر السابقة إيضاح تام له وبيان الحق في كل تلك المسائل

- وبيان أدلة الشيعة ومناقشتها وإبراز العقيدة السلفية في كل مسألة ...
- الفصل الثامن : الشيعة في العصر الحاضر ، وهل تغير خلفهم عن سلفهم ؟
- الفصل التاسع : الحكم على الشيعة .
- أما الباب الرابع : فقد كان لدراسة الباطنية وقد اشتمل على الفصول الآتية :
- ١ - الفصل الأول : تمهيد - في بيان خطر هذه الطائفة .
 - ٢ - الفصل الثاني : متى ظهر المذهب الباطني .
 - ٣ - الفصل الثالث : الغرض من إقامة هذا المذهب ، وكيف تأسس .
 - ٤ - الفصل الرابع : أسماء الباطنية ، وسبب تسميتهم بتلك الأسماء .
 - ٥ - الفصل الخامس : الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون لإغواء الناس .
 - ٦ - الفصل السادس : عقائد الباطنية ويشمل :
 - ١ - عقائدهم في الألوهية .
 - ٢ - عقائدهم في النبوات .
 - ٣ - عقائدهم في الآخرة .
 - ٤ - عقائدهم في التكاليف الشرعية .
- أما الباب الخامس : فهو دراسة عن النصيرية وقد اشتمل على الفصول الآتية :
- ١ - الفصل الأول : تمهيد في بيان خطر النصيرية .
 - ٢ - الفصل الثاني : زعيم النصيرية وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه .
 - ٣ - الفصل الثالث : أسماء هذه الطائفة وسبب إطلاقها عليهم .
 - ٤ - الفصل الرابع : نشأة النصيرية .
 - ٥ - الفصل الخامس : تكتم النصيرية على عقائدهم .
 - ٦ - الفصل السادس : طريقتهم في تعليم مذهبهم .

٧- الفصل السابع : أهم عقائد النصيرية وفيه :

١ - تأليه علي رضي الله عنه وبرأه الله منهم .

٢ - القول بالتناسخ .

٣ - تقديس الخمر - عبد النور .

٨ - الفصل الثامن : في بيان عبادات النصيرية .

٩ - الفصل التاسع : أعياد النصيرية .

١٠ - الفصل العاشر : موقف النصيرية من الصحابة .

١١ - الفصل الحادي عشر : فرق النصيرية .

١٢ - الفصل الثاني عشر : أماكن النصيرية .

١٣ - الفصل الثالث عشر : محاولات لم تثمر .

أما الباب السادس : فكان لدراسة الدروز وفيه الفصول الآتية :

١ - الفصل الأول : في بيان خطر هذه الطائفة .

٢ - الفصل الثاني : التعريف بالدروز لغة واصطلاحاً وبيان أصل الدروز .

٣ - الفصل الثالث : زعيم الدروز .

٤ - الفصل الرابع : أسماء الدروز .

٥ - الفصل الخامس : كيف انتشرت العقيدة الدرزية .

٦ - الفصل السادس : معاملة الدروز لمن يكشف شيئاً من أسرارهم وعقائدهم .

٧ - الفصل السابع : أماكن الدروز .

٨ - الفصل الثامن : طريقة الدروز في تعليم ديانتهم .

٩ - الفصل التاسع : من هو الحاكم بأمر الله الذي ألهمه الدروز وبيان هلاكه .

١٠ - الفصل العاشر : أهم عقائد الدرّوز :

١ - ألوهية الحاكم .

٢ - القول بالتناسخ .

٣ - إنكار القيامة .

٤ - عدواتهم للأنبياء .

٥ - إنكارهم التكليف .

الفصل الحادى عشر : الدرّوز في العصر الحاضر .

- كمال جنبلاط ودوره في تثبيت العقيدة الدرّزية .

الفصل الثاني عشر : الفرق بين النصيرية والدرّوز .

الباب السابع : دراسة عن البهائية وفيه الفصول الآتية :

١ - الفصل الأول : نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالبايية ، ثم بيان

المطالب الآتية :

١ - زعيم البايية .

٢ - لة البايية بالمستعمرين في ذلك الوقت .

٣ - نهاية الشيرازي .

٤ - مؤتمر بدشت وماتم فيه من خطط .

٣ - الكتاب المقدس للبايية .

٥ - هزيمة البايية .

٢ - الفصل الثاني : خطر البهائية .

٣ - الفصل الثالث : زعيم البهائية .

اسمه مولده - دوره في مؤتمر بدشت - ثقافته - عمالته هو وأسرتة لأعداء الإسلام

من الإنجليز والروس واليهود - وفاته .

٤ - الفصل الرابع : المبادئ التي نادى بها البهائيون . ويشمل :

١ - زعمهم وحدة جميع الأديان .

٢ - وحدة الأوطان .

٣ - وحدة اللغة .

٤ - السلام العالمي .

٥ - المساواة بين الرجل والمرأة .

٦ - عقائد أخرى للبهائيين .

٩ - الفصل التاسع : أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم .

١٠ - الفصل العاشر : موقف البهائية من السنة النبوية .

١١ - الفصل الحادي عشر : السبب في انتشار تعاليم البهائية .

١٢ - الفصل الثاني عشر : كتاب البهائية الذي يقدسونه .

١٣ - الفصل الثالث عشر : أماكن البهائية .

الباب الثامن : وفيه دراسة عن القاديانية وقد انتظم الفصول الآتية :

تمهيد وفيه : س التحذير من ظهور دجالين يدعون النبوه بعد محمد ﷺ .

الفصل الأول : كيف نشأت القاديانية .

الفصل الثاني : زعيم القاديانية - اسمه - أسرته - ولادته - ثقافته - نشأته - صفاته

وأخلاقه - عماله وأسرتة للإنجليز .

الفصل الثالث : ختم النبوة وموقف القادياني منه .

الفصل الرابع : كيف وصل القادياني إلى دعوى النبوة .

١ - إتجاهه إلى التأليف والمناظرات .

٢- إلهاماته .

٣- دعواه أنه المسيح الموعود وأمثلة من تأويلاته الباطلة للنصوص بمساعدة صديقه الحكيم البهيروى .

٤- إدعاؤه النبوة .

الفصل الخامس : نبؤات الغلام المتنبئ.

الفصل السادس : غلوه وتفضيله نفسه على الأنبياء وغيرهم .

الفصل السابع : أهم عقائد القاديانية ويشمل :

١- التناسخ .

٢- التشبيه .

الفصل الثامن : علاقة القاديانية بالإسلام وبالمسلمين وبغير المسلمين وموقف علماء

الهند وباكستان من القاديانيين .

الفصل التاسع : أسباب انتشار القاديانية .

الفصل العاشر : وفاة القاديانى :

الفصل الحادى عشر : بعض زعماء القاديانية :

١- الحكيم نور الدين البهيروي .

٢- محمود أحمد .

٣- الخواجة كمال الدين .

٤- شخصيات أخرى .

الفصل الثانى عشر : الفرع اللاهوري .

١- زعيمه .

٢- مبادئه .

الباب التاسع : دراسة الصوفية وفيه الفصول الآتية :

- ١- الفصل الأول : تمهيد : في بيان إنحراف الصوفية بصفه عامة .
 - ٢ - الفصل الثاني : التعريف بالصوفية لغة واصطلاحا .
 - ٣ - الفصل الثالث : هل توجد علاقة بين المتصوفة وأهل الصفة .
 - ٤ - الفصل الرابع : أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها ...
 - ٥ - الفصل الخامس : متى ظهر المذهب الصوفي .
 - ٦ - الفصل السادس : حقيقة التصوف .
 - ٧ - الفصل السابع : أقسام المتصوفة . وذكر طرقهم واختيار الطريقة التجانية نموذجاً ودرستها بايجاز .
 - ٨ - الفصل الثامن : الخلوات الصوفية - ومنها الخلوات التجانية .
 - ٩ - الفصل التاسع : مغالطات لجنة جماعة الصوفية في مدينة «الورن» في نيجيريا .
 - ١٠ - الفصل العاشر : كيفية الدخول في المذهب الصوفي .
 - ١١ - الفصل الحادي عشر : أصول الصوفية .
 - ١٢ - الفصل الثاني عشر : ايضاحات الآراء الاعتقادية للصوفية ويشمل :
 - ١ - عقيدة المتصوفة في الإله عز وجل .
 - ٢ - عقيدة المتصوفه في الحلول .
 - ٣ - وحدة الوجود .
 - ٤ - وحدة الشهود . وبيان العلاقة بين وحدة الشهود ووحدة الوجود .
 - ٥ - الولاية وبيان بعض المصطلحات الصوفية .
- الفصل الثالث عشر : الكشف الصوفي .

الفصل الرابع عشر : الشطحات الصوفية .

الفصل الخامس عشر : التكليف في نظر الصوفية .

الفصل السادس عشر : الأذكار الصوفية . وبيان الوجد والرقص عند الصوفية .

الفصل السابع عشر : الوجد والرقص عند الصوفية .

الفصل الثامن عشر : الكرمات وخوارق العادات عند الصوفية .

الفصل التاسع عشر : زعماء الصوفية .

الباب العاشر : دراسة المرجئة وفيه الفصول الآتية :

تمهيد:

١ - الفصل الأول : التعريف بالمرجئة لغة واصطلاحاً وبيان أقوال العلماء في ذلك .

٢ - الفصل الثاني : الأساس الذي قام عليه مذهب المرجئة .

٣ - الفصل الثالث : كيف نشأ الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب .

٤ - الفصل الرابع : بيان أول من قال بالإرجاء .

٥ - الفصل الخامس : أصول المرجئة .

٦ - الفصل السادس : أقسام المرجئة .

٧ - الفصل السابع : أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها .

٨ - الفصل الثامن : مذهب أهل السنة في تعريف الإيمان .

٩ - الفصل التاسع : منزلة مذهب المرجئة عند السلف .

الباب الحادي عشر : الجهمية .

تمهيد : هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر .

- الفصل الأول : التعريف بالجهمية ومؤسسها .

- الفصل الثاني : نشأة الجهمية .

- الفصل الثالث : بيان مصدر مقالة الجهمية .

- الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالاً .

ثم دراسة المسائل الآتية :

١ - إنكار الجهمية جميع الأسماء والصفات .

شبهاتهم والرد عليهم .

٢ - قولهم بالإرجاء والجبر .

٣ - إنكارهم الصراط .

٤ - إنكارهم الميزان .

٥ - قولهم بقاء الجنة والنار .

الفصل الخامس : الحكم على الجهمية .

الباب الثاني عشر : المعتزلة وتشمل دراستهم الفصول الآتية :-

الفصل الأول : ١ - نشأتهم .

الفصل الثاني : ٢ - أسماءهم وسبب تلك التسميات .

الفصل الثالث : مشاهير المعتزلة .

الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالاً .

الفصل الخامس : الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها والرد عليها ويشمل :

١ - التوحيد .

٢ - العدل .

٣ - الوعد والوعيد .

٤ - القول بالمنزلة بين المنزلتين .

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الباب الثالث عشر : الأشاعرة أو السبعية وتشمل دراستهم المطالب الآتيه :

- ١ - ظهور الأشاعرة .
- ٢ - أبو الحسن الأشعري .
- ٣ - عقيدته .
- ٤ - عقيدته كما بينها في كتابه الابانة .
- ٥ - أشهر زعماء الأشعرية .
- موقف الأشاعرة من صفات الله تعالى .

الباب الرابع عشر : الماتريدية .

- ١ - التعريف بمؤسس الماتريديه .
- ٢ - أهم آراء الماتريدي إجمالاً .

الباب الخامس عشر : دراسة أهم المسائل التي اتفق عليها أهل الكلام من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية وتشمل :

- ١ - تقديم العقل على النقل .
 - ٢ - جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .
 - ٣ - معنى التأويل عندهم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح .
 - ٤ - تعطيل النصوص عن مدلولاتها .
 - بيان شبههم والرد عليها في كل تلك المسائل .
 - ٥ - جدول مختصر لبيان ثبوت صفات الله تعالى وتأويل الخلف لها .
- هذا وأسأل الله عز وجل باسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجد فيه قارئه ما يؤمله من الإستفادة وأن ينفع به .
- وأرجو من كل محب اطلع عليه أن يرشدني إلى ما يجد فيه من أخطاء فإن المؤمن

للمؤمن كالمراة . وهو من التعاون الذى حث الله عز وجل عليه فى كتابه الكريم .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،،،

١٤٠٥/٣/٢٠ هـ

المدينة المنورة

الباب الأول مقدمة في دراسة الفرق

ويشمل الفصول الآتية

الفصل الأول

الهدف من دراسة الفرق

دراستنا للفرق ليس إقراراً أو فرحاً بها ، أو شماتة على الآخرين ، وإنما ندرسها مع أسفنا الشديد للتفرق الحاصل بين المسلمين والذي نرجو من وراء هذه الدراسة أن نحقق أهدافاً طيبة في خدمة الإسلام ، وكسر حدة الخلافات التي مزقتهم إلى فرق وأحزاب والتي تهدف كذلك إلى جمع كلمتهم ، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم ليعتدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة ، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التماهى في الباطل ، فهي نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحادثة بالمسلمين ، وسبب من الأسباب التي تبذل لينفع الله بها إن شاء ، لأن معرفة الدواء النافع يتوقف على معرفة الداء .

ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم ، وإعادة مجدهم وعزهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة والنية الخالصة ، فإن الأسس التي قام عليها عز الإسلام فيما سبق لاتزال كما هي قائمة قوية جديدة على مر الأيام والليالي كتاب الله وسنة رسوله .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وتلك الأهداف التي نتطلع إلى تحقيقها كثيرة نذكر أهمها فيما يأتي :-

١ - تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمنعة حينما كانوا يداً واحدة ، وقلوباً واحداً .

٢ - لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه ، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم .

٣ - توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم ، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه ، وبيان محاسن اتحاد المسلمين ، وجمعهم على طريق واحد .

٤ - تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم فيما سبق من الزمان ليجتنبوها بعد أن يتدارسوها فيما بينهم بعزم قوى وصدق نية .

٥ - معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة .

٦ - رصد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوى والصراط المستقيم ، لتعريف دورهم الخطر في تفریق وحدة الأمة الإسلامية بتعريف الناس بأمرهم وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها .

ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام فلكل قوم وارث^(١) .

٧ - حتى تبقى الفرقة الناجية علما يهتدى به بعيدة عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة .

٨ - وصل حاضر هذه الأمة بماضيها ، وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها ، ولرد على أولئك

(١) قال ولي الله الدهلوى « إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأتمودج بحكم الحديث « لتبعن سنن من كان قبلكم » الحديث أخرجه الترمذي (ج ص ٤٧٥) .
انظر « مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٩ نقلا عن الفوز الكبير ص ٢٦ » .

الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم ، والبناء من جديد كما يزعمون .

٩ - ثم إن دراستنا للفرق وإن كان يبد عليها أنها بمثابة جمع لتراث الماضين فإنه يراد من وراء ذلك دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدراسته وفحصه واستخراج الحق من ذلك، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة أو يفرق كلمتهم .

وهذا فيما أرى هو أنجح الطرق وأقربها إلى إشعار المخالفين بالإنصاف وطلب الحق للاستدلال على خلافهم وخروجهم عن الصواب من كتبهم ومن كلام علمائهم لقطع كل حجة مخالفة بعد ذلك .

الفصل الثاني أهمية دراسة الفرق

ورد شبهة من يريد عدم دراستها

بيننا فيما مضى بعض الأهداف التي ندرس الفرق من أجلها ، ونجيب هنا عن شبهة لكثير من الناس ربما يرددها بعضهم منخدعا بحسن نية ، والبعض الآخر يرددها بنية سيئة .

وهي : لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت ، وربما لم يعد لها ذكر على الألسنة .. وقد رد العلماء عليها قديما وحديثا وانتهى الأمر ؟

والجواب : إن هذا التساؤل قد انطوى على مغالطات خفية ونية سيئة، أو جهل شنيع وذلك:

أولا : إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزممنهم ، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر . فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداد يسري في الأمة سريان الوباء .

وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة ، أليس أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدد بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية ، فراحوا يمجدون العقل ويحكمونه في كل الأمور ، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء .

إنهم يريدون الخروج عن النهج الإسلامي ولكنهم لم يجرؤا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى تمجيد تلك الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة.

ثانيا : مما هو معلوم أن كل الأفكار والآراء التي سبقت لها أتباع ينادون بتطبيقها ، فالنزعة الخارجية وتنطع أهلها في الدين ، واستحلال دماء المسلمين لأقل شبهة ، وتكفيرهم الشخص بأدنى ذنب قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها ، موهمين الشباب ومن قلت معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط .

كذلك نرى الصوفية وقد اقتطعت من المسلمين أعدادا كثيرة ، مثقفين وغير مثقفين ، جرفهم تيار التصوف الخرافي فراحوا ينادون بالجهل والخرافات ، واتباع المناومات ، وتحضير الأرواح ، ومعرفة المغيبات ، وتعظيم الأشخاص والغلو فيهم . وغير ذلك من مسالك الصوفية التي سندرسها بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

وعلى هذا ، فدراستنا هذه وإن كانت في ظاهرها دراسة للماضي ، ومراجعة للتاريخ لفرق المبتدعة الذين جنوا على ماضي المسلمين إلا أنها دراسة حاضرة كذلك من حيث أنها تكشف جذور البلاء الذي شتت قوي المسلمين وفرقهم شيعا ، وجعل بأسهم بينهم شديدا ، بل هي نور يضيء لشبابنا طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام وثائمييه بتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها ، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام .

ثالثا : إن دراسة الفرق والدعوة إلى الاجتماع واتحاد كلمة المسلمين فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية بانضمام أولئك الخارجين عن الحق ووقوفهم إلى جانب إخوانهم أهل الفرقة الناجية فيكثر عددهم فيصح فيهم ما أخبر به الرسول ﷺ من قيام فرقة من المسلمين. «ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك» (١) وتركنا لدراسة الفرق يفوت علينا هذا الخير العظيم .

(١) أخرجه الترمذي (ج ٤ ص ٤٨٥ و ص ٥٠٤) .

رابعاً: أضف إلى ذلك أن ترك الناس دون دعوة إلى التمسك بالدين الصحيح ، ودون بيان أضرار الفرق المخالفة ، فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، مامن فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقعة لترويج بدعهم، والدعوة لها.

خامساً : إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق ، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد ، وأن تدعو إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع فإن كثير من طلاب العلم - فضلاً عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم ، وهي تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم ، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلو لهم حجب الأنظار عنهم وعن مخططاتهم الإجرامية ، ولا أدل على ذلك من أنك تجد بعض الأفكار وبعض العبارات يرددها كثير من المسلمين دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من المعتزلة^(١)، أو من الصوفية^(٢)، أو البهائية^(٣)، أو القاديانية^(٤)، أو الخوارج^(٥)، أو الشيعة^(٦)، إلى غير ذلك .

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار هذه الطوائف^(٧).

(١) أي تمجيد المعتزلة ، وجعله هو الحكم الفاصل في كل قضية ، وتقديمه علي النصوص .

(٢) مثل إطلاق لفظ العشق علي الله أو الرسول ﷺ ، كقولهم « عاشق النبي ... يصلي عليه » .

(٣) مثل تقديس العدد ١٩ . (٤) مثل تأويل آيات القرآن بالهوى .

(٥) مثل تكفير المجتمعات الإسلامية .

(٦) مثل بعض بعض الصحابة ، ومثل انتظار محمد بن الحسن العسكري ، ومثل المبالغة في حب الحسين ، الخ...

(٧) انظر كتاب « مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم » تأليف محمد العبدية ، وطارق عبد الحكيم (ص ٢٧ - ٢٨ وكذا ص ٣٦ - ٣٨) .

الفصل الثالث

النهي عن التفرق

لقد كان هذا الأمر مما عني به القرآن الكريم أيما عناية وكذلك رسول الله ﷺ ، ومن اهتدى بهديه من أصحابه البررة والتابعين لهم بإحسان ، وبشتمل هذا الفصل على مبحثين وهما : -

١ - المبحث الأول :

الأدلة من القرآن الكريم :

ومما جاء في القرآن الكريم ، وهي آيات كثيرة ثبت منها قوله تعالى :

١ - ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (١).

٢ - ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا ﴾ (٢).

٣ - ﴿ إِنْ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (٣).

والآيات واضحة في معناها ودلالاتها لا تحتاج إلا إلى التطبيق بجد وإخلاص فهي تحذر من التفرق وتدعو إلى الوحدة وجمع كلمة المسلمين ، والسير في طريق واحد . فإذا تفرق المسلمون بعد ذلك فهم خارجون عن السير فيه ، وحينما تفرق المسلمون أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون ، زعمت كل فرقة أنها هي الناجية ، وما عداها هالك ، حتى التبس الأمر على كثير من المسلمين فلم يهتد إلى الفرقة الناجية بسبب تلك المزايم ، ولا ينبغي أن نأبه لتلك المزايم ، بل نعرض كل ما نسمع على كتاب الله وسنة نبيه ، فما وافقهما فهو الحق ، وما خالفهما عرفنا أنه باطل وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به كل قول ومعتقد

(٢) سورة آل عمران . آية ١٠٣ .

(١) سورة الأنعام . آية ١٥٣ .

(٣) سورة الأنعام . آية ١٥٩ .

مهما كان مصدره كما هو حال أهل السنة في عرضهم للأقوال والمعتقدات على كتاب الله وسنة رسوله ، وهو توفيق من الله لهم ، وهم الفرقة الناجية ، وهم أهل الحق إلى أن تقوم القيامة .

٢- المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية :

ومن عناية الرسول ﷺ بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم عن التفرق أحاديث كثيرة ، منها على سبيل المثال :

١ - مارواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال : « هذه سبيل الله » ، ثم خط خطوطاً عن يمينه ، وخطوطاً عن يساره ثم قال : « هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (١) .

٢ - وفي حديث العرياض بن سارية قوله ﷺ « فإنه من يعيش منكم فسيرى إختلافاً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٢) .

٣ - وقد أوصى الرسول ﷺ حذيفة عند ظهور الخلاف والتفرق في الدين بقوله : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قال حذيفة : قلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض علي أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » (٣) .

(١) أخرجه الدارمي في مسنده ولاشك أن الحديث ينطبق تماماً على الفرق الخارجة عن الحق ، فإن

علي رأس كل طائفة شياطين يدعون الناس إلى مسالكهم ، والسير في سبيلهم .

(٢) أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٢٠٩ وأبوداود ج ٢ ص ٥٠٦ واللفظ له .

(٣) متفق عليه البخاري ج ١٣ ص ٣٥ ومسلم ج ٤ ص ٥١٤ .

٤ - وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، واثنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة .. وهي الجماعة » (١).

وفي رواية عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « إن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة » (٢).

ولابد لنا من وقفة عند هذا الحديث الذي أضاف إلى التحذير من الافتراق الإخبار بهلاك تلك الفرق الضالة إلا واحدة منها ، ثم حصر الفرق في العدد المذكور ، ورغم كثرة الروايات المختلفة للحديث المذكور إلا أنه لم يخل من كلام العلماء في صحته ، وسنقف هنا عند دراسته على الأمور التالية :

سند الحديث :

روي هذا الحديث بعدة أسانيد إلا أن العلماء وقفوا بالنسبة لقبوله الموافق التالية :

١ - منهم من لم يصححه ، ولم يجوز الاستدلال به . وهم بعض علماء الفرق كابن حزم وغيره .

٢ - ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه . وتعدد الصحابة الذين رَووا هذا المعنى عن رسول الله ﷺ .

٣ - ومنهم من أخذ به وحاول أن يحصر الفرق في العدد المذكور كالبغدادي رحمه الله وغيره (٣).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة (ج ٢ ص ٥٠٣) .

(٢) أخرجه نحوه أبو داود عن أبي هريرة (ج ٢ ص ٥٠٣) .

(٣) انظر « الفرق بين الفرق » تعليق محمد محي الدين ص ٦ .

و حينما تعرض شيخ الإسلام - رحمه الله - للكلام عن الفرق ، قال عن الحديث « مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين ، وقد ضعفه ابن حزم وغيره ، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره ، وقد رواه أهل السنن وروى من طرق »^(١). وفي مجموع الفتاوى ورد قوله « الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي »^(٢).

(١) منهاج السنة ج ٥ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٥ .

الفصل الرابع

حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق

ويشمل مبحثين :

والواقع أن حصر الفرق في العدد المذكور تفصيلا ليشمل كل فرقة فيه إشكال، وذلك أن أصول الفرق لاتصل إلي هذا العدد، وفروعها تختلف وجهات نظر العلماء في عدّها أصلية أو فرعية، ثم إن فروع الفرق تصل إلى أكثر من هذا العدد، فهل نعد الأصول مع الفروع؟ أو الأصول فقط؟ أو الفروع فقط؟.

كذلك فإن الفرق ليس لظهورها زمن محدد، أي لم يرد عن النبي ﷺ تحديد لنهاية تفرق أمته . وعلى هذا فإن الصواب أن يقال أن الحديث فيه إخبار عن افتراق أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون تحديدهم بزمن بعينه بحيث لا يصدق إلا على أهله فقط ، وإنما أخبر عن افتراق أمته، وأمته - ﷺ - مستمرة إلى يوم القيامة .. إذا فلا نحددها بزمن .

وينبغي أيضا أن نعد الفرق في أي عصر ظهرت فيه، بغض النظر عن وصولها إلى العدد المذكور في الحديث أو عدم وصولها فلا بد أن يوجد هذا العدد على الوجه الذي أراده الرسول ﷺ، وأخبر به، وفي عصرنا أو في غير عصرنا(١).

المبحث الأول : من هي الفرقة الناجية ؟

أما من هي الفرقة الناجية ، فقد اختلف العلماء في المراد بهم على أقوال ، هي إجمالا :

١ - قيل إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام .

٢ - وقيل هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم الرسول ﷺ: « لن تجتمع أمتي

(١) انظر الاعتصام ج ٢ ص ٢٢٢ .

وانظر تعليق محمد محي الدين عبد الحميد في أول كتاب « الفرق بين الفرق » ، ص ٧ .

على ضلالة»، أى لن يجتمع علماء أمتى على ضلالة وخصهم شيخ الإسلام
بعلماء الحديث والسنة .

٣ - أنهم خصوص أصحاب النبي ﷺ الذين قال فيهم الرسول ﷺ في رواية:
« ما أنا عليه اليوم وأصحابي ».

٤ - أنهم جماعة غير معروف عددهم ولا تحديد بلدانهم ، أخبر عنهم النبي ﷺ
ياخبر الله له أنهم على الحق حتى يأتى أمر الله ، ولعل هذا هو الراجح من
تلك الأقوال ونحن نطمح إن شاء الله أن نكون منهم مادامنا على التمسك
بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وعلى منهج سلفنا الكرام .

٥ - وفيه قول خامس، أن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير^(١).

المبحث الثاني

وأما معنى قوله ﷺ « كلها في النار » ، فقد ذكر الشاطبي ما حاصله :

١ - أن هذه الفرق لا بد أن ينفذ فيها الوعيد لا محالة .

٢ - أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة^(٢).

٣ - أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار، لأن
النبي عليه السلام نبه عليها تنبيها إجماليا لا تفصيلا إلا القليل منهم
كالخوارج^(٣). والذي يظهر لي أن الفرق تختلف في بعدها أو قربها من الحق،
فبعضها يصح أن يطلق على أصحابها أنهم أهل بدعة ومعصية وحكمهم
حكم أصحاب الكبائر ، وبعضها لا يصح وصف أصحابها إلا بالكفر
لخروجهم عن الإسلام مثل فرق الباطنية والسبئية والميمونية من الخوارج النخ،
ويكون حكمهم حكم الكفار الخارجين عن الملة ، ولو تظاهروا بالإسلام .

(١) الاعتصام - بتصرف - ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦٤ ، وقد فصل القول فيها .

وانظر مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٥ .

(٢) الاعتصام ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ . (٣) ذكره الشاطبي في الموافقات. انظر أهم الفرق ص ١٢ .

الفصل الخامس

كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين ؟

كان الخلاف في زمن الرسول ﷺ ينتهي فور وصوله إلى الرسول ﷺ حين يحكم فيه ، وبعد وفاته وحتى آخر عصر الخلفاء الراشدين كان المسلمون على منهج واحد في أصول الدين وفي فروعه إلا أنه قد وجدت بعض الأمور التي كانت محل خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم ، بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة ، ولكنهم قضوا عليها بثباتهم ونياتهم الصادقة - بعد توفيق الله لهم - نذكر منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

١ - ما أصاب بعض الصحابة من الدهشة من موت الرسول ﷺ هل مات الرسول كما مات غيره من الأنبياء ؟ لأن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، أم أن الرسول ﷺ لم يموت وإنما هو في غيبوبة وسيفيق منها ، حتى قال عمر رضي الله عنه : من قال إن رسول الله مات ضربته بالسيف ؟
وحينما جاء أبو بكر رضي الله عنه قضى على هذا الخلاف ، وأقر الجميع بموت الرسول ﷺ .

هكذا يذكر أصحاب المقالات، ومن وجهة نظري لا أرى أن هذا يشكل خلافا حقيقيا وإنما هي حالة طارئة مرت بالمسلمين دون أن تشكل ظاهرة خلافية.

٢ - اختلفوا كذلك في موضع دفنه :

١ - فأراد أهل مكة رده إلى مكة .

٢ - وأراد أهل المدينة دفنه بها .

٣ - وقال آخرون بنقله إلى بيت المقدس، ولكل فريق من هؤلاء حججه على ما يراه. لكن الخليفة الراشد الصديق رضي الله عنه قضى على هذا الخلاف حينما روى لهم قول الرسول ﷺ: « إن الأنبياء يدفنون

حيث يقبضون».. والخلاف في هذه المسألة يعتبر خلافا خطيرا، إذ لو وقف كل فريق عند رأيه وعاند لأدى ذلك إلى فتنة عظيمة .

٣- اختلفوا في تسيير جيش أسامة، هل يبقى بالمدينة كما يرى عمر وغيره، لضرورة الحاجة إليه؟ أم يذهب لما وجهه الرسول عليه السلام كما يرى أبو بكر؟ وقد شرح الله صدورهم لتوجيهه، وكان في ذلك خيرا عظيما .

٤- ثم اختلفوا في قتال مانعي الزكاة، هل يقاتلون كما يقاتل الكفار لأنهم فرقوا بين ركنين من أركان الإسلام؟ أم لا يقاتلون ما داموا يشهدون الشهادتين، ويؤدون الصلاة؟.

ثم انتهى الخلاف بقبول رأي أبي بكر في قتال هؤلاء . وحتى الذين خالفوا في قتال مانعي الزكاة ما كانوا يريدون تركهم مطلقا، وإنما كانوا يرون تأخير حسابهم معهم إلى حين القضاء على من هو أخطر منهم وأشد شوكة .

٥- وكالاختلاف في الإمامة لمن تكون لقريش أم للأَنْصار؟ واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة، ورجوعهم أخيرا إلى مبايعة أبي بكر الصديق حينما تبين لهم الحق في قوله .

ثم تفاقم التصدع والانشقاق الخطير شيئا فشيئا إلى أن انتهى بمقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، حينما سعى في ذلك عدو الله ابن سبأ، ثم أصبح المسلمون فرقا وأحزابا وفشت بينهم العداوة والبغضاء إلا من رحم الله (١).

مصدقا لقول عثمان رضي الله عنه « فوالله لئن قتلتهموني لا تحابون بعدي ولا تصلون بعدي جميعا ولا تقاتلون بعدي جميعا عدو أبداً » (٢).

(١) ذكر البغدادي جملة من تلك الاختلافات ابتداء من ص ١٤ في كتابه « الفرق بين الفرق » .

(٢) انظر البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٤ .

الفصل السادس

مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وموقفهم منه .

وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية

رأينا فيما سبق أن الصحابة اختلفوا في مسائل لو أنها عند غيرهم لأريقت في بعضها الدماء ، ولكن الصحابة ما كانوا يريدون الخلاف لذاته أو لأهوائهم كما حصل فيما بعد عند غيرهم .

إلا أن جل خلافهم إنما كان حول فهم نص من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ وهي أمور أكثرها اجتهادية شبيهة بما كان يحصل أحيانا في حياة الرسول ﷺ، كما حصل في أمر صلاة العصر حينما توجهوا إلى بنى قريظة ، وكان أحدهم إذا تبين له صحة وجهة نظر أخيه ترك خلافه ، ورجع إلى الحق ، بل وربما يرجع عن خلافه في مثل المسائل الاجتهادية ، حرصا على جمع الكلمة ، وسدا لمنافذ الخلافات أوفتح الثغرات التي يأوي إليها المتربصون بهم ...

ومما ورد في كره الصحابة للخلاف ورجوع بعضهم عنه في مسائل الاجتهاد خوفا من تفرق الكلمة ما جاء في صحيح البخارى عن على رضي الله عنه قال « اقضوا كما كنتم تقضون فياني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي » (١).

قال ابن حجر في معناه نقلا عن أيوب « إن ذلك بسبب قول على في بيع أم الولد وأنه كان يرى هو وعمر أنهم لا يعين وأنه رجع عن ذلك فرأى بيعهن » قال عبيدة (٢) فقلت له رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلي من رأيك وحدك في الفرقة فقال علي ما قال ، قلت وقد وقعت في رواية حماد بن زيد أخرجها ابن المنذر عن على بن عبد العزيز عن أبي نعيم عنه ، وعنده قال لى عبيدة بعث

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧١ .

(٢) راوي الحديث عن علي .

إلى على وإلى شريح فقال إني بغض الاختلاف فاقضوا كما كنتم تقضون » ثم قال ابن حجر في شرح قول على رضي الله عنه « فإني أكره الاختلاف » أي الذي يؤدي إلى النزاع قال ابن التين يعني مخالفة أبي بكر وعمر . وقال غيره المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة^(١) وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه ما يفيد رجوعه عن خلافه خوفا من قيام فتنة^(٢).

وظل الخلاف في حياتهم لا يراد به إلا الوصول إلى الحق والتمسك به .

ثم جاء من بعدهم أشكال من الناس بعضهم كان منافقا فأظهر الإسلام والموافقة ، ثم عمل في الداخل على تضخيم الخلاف ، وفتح ثغرة في مفاهيم المسلمين ، وجادل بالتأويل والشبهات ، وبعضهم استغل اختلاف الصحابة في بعض المسائل ، واتخذ منه سبيلا لتمزيق وحدة الأمة الإسلامية بتقليب الأدلة ومعارضة بعضها ببعض ، وإذكاء التعصب ، وزيادة حدة الخلاف ليحقق هدفه في الحقد على المسلمين^(٣) .

ثم تطور الخلاف بين المسلمين من سيء إلى أسوأ ، إلى أن وصل الحال إلى الواقع المؤسف الذي نعيشه اليوم من التباكي على الوحدة الإسلامية التي صارت صعبة المنال بما اقترفوه من أفكار نفرت بعضهم عن بعض ، وأذكى علماءؤهم الأحقاد ، وضخموا حجم الخلافات حتى صاروا فرقا متناحرة ، وتكثروا من ألقاب المدح بما لم يفعلوا ، وصدق عليهم قول الشاعر الأندلسي :

ألقاب مملكة في غير موضعها كالحهر يحكي انتفاخا صوله الأسد

وتوالت على المسلمين الضربات والإهانات ، وتآمر عليهم أهل الشرق والغرب ، ونسوا أن الله طلب منهم أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فذل المسلمون ذلا شنيعا وخصوصا في عصرنا الحاضر ، ولكنهم لم يستيقظوا

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٧٣ .

(٢) انظر البداية والنهاية ح ٧ ص ٢١٨ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٤ (تعليق محمد محي الدين) .

من الضربات ، ولا تدري هل ذلك من هول ما أصابهم ، أم يطلبون المزيد من الإهانات .

والعرب بخصوصهم الذين كانوا قبل الإسلام أذل الناس ، يريد الكثير منهم الآن العودة إلى تلك الجاهلية التي أخرجهم الله منها ، وأبدلهم بالهدى والنور بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار ، وسيعلمون لو تم لهم ما يريدون - لا سمح الله - كم جنوا على أنفسهم وعلى أمتهم ، وهؤلاء أحد عوامل الهدم وإضعاف المسلمين . فقد توالى على المسلمين عوامل كثيرة أضعفتهم ، عوامل خارجية أتقن تخطيطها أعداؤهم ، فضربوهم في عقور دارهم ، وحاربوا الدعوات الإسلامية بثتى الأساليب ، وتأثر كثير ممن ينتسب إلى الإسلام بالدعايات المضللة ، وبقي قلة من المخلصين قد خذلهم القريب والبعيد وهم نواة الخير في الأرض ، ولن يخذلهم الله تعالى .

وعوامل داخلية من العصبية البغيضة ، وإثارة النعرات الجاهلية ، وأتباع الهوى ، واتخاذ رؤساء جهال معجبين بآرائهم ، وصاروا كما وصفهم الرسول ﷺ « غشاء كغشاء السيل »^(١)، ولهذا فإن هذه الكثرة التي ترى في المسلمين لا تفرح كثيرا ، فقد رأينا كيف وقفوا عاجزين أمام أعدائهم في كل مكان ، اللهم لإفئاد قليلة صدقوا عا هدوا الله عليه .

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٧٨ .

الفصل السابع

مظاهر الخلاف بين المسلمين

مر المسلمون بخلافات عديدة ، والمتبع لكل تلك الاختلافات يجد أنها :

١- إما أن تكون خلافات عملية جردت فيها السيوف والمدافع والبنادق ولاشك أنها نتيجة لخلافات عقديّة في أكثرها ، وإن كانت تبدو أنها سياسية ، وبعضها خلافات سياسية خصوصاً في القرون الأولى .

وهذه الخلافات يهتم بها كتاب التاريخ ، يسجلونها ، ويوضحون أسبابها ، ويذكرون نتائجها ، وهي كثيرة على مدى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً .

قديماً ما وقع بين علي رضي الله عنه والخوارج ، وما وقع بين الخوارج والدولة الأموية ، وما وقع بين الدولة الأموية وابن الزبير .

وحديثاً ما نراه واضحاً في لبنان وغيره من فلك الشيعة الذين يتظاهرون بالإسلام بأهل السنة ، وتنكيلهم بهم إلى حد الاستهتار بدمائهم ، أو بين أهل السنة وبين من يتظاهر بالإسلام على ديانة القاديانية أو البهائية أو غيرهم ، ممن يتظاهر بالإسلام ويصوب السلاح إلى صدور المسلمين .

٢- وإما أن تكون خلافات علمية ، وهذه خاض غمارها العلماء ، كل فريق يؤيد ما يذهب إليه ، وينقض ماذهب إليه المخالف دون أن يصغى لأدلة من يخالفه بعين الإنصاف - في أكثر الأحوال - ، حتى أن كل فريق من المختلفين يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب .

وهذه الخلافات وإن لم تكن عملية ، إلا أنها في كثير من القضايا أسهمت في إذكاء نار العداوة والبغضاء بين المسلمين ، وساعدت في نفرة المسلمين بعضهم عن بعض ، خصوصاً بعد أن تولاهم قوم معجبون بآرائهم ، جهال بمعرفة

النصوص وما تهدف إليه .. فتعصبوا لمشائخهم وأفكارهم ، ثم انظروا على ذلك^(١) .

وذارس الفرق يهمله ، الإمام بالأمرين جميعاً حتى يتسنى له الحكم على الأمور بوضوح ، فإن معرفة الحوادث التاريخية ، ومعرفة الأفكار والمعتقدات ثم عرضها على كتاب الله وسنة نبيه ، ثم الاسترشاد بما فهمه السلف من تلك النصوص هو بالإضافة إلى أنه من الإحسان إلى النفس وإلى الآخرين، طريق الإنصاف، ومعرفة الداء ودوائه .

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١٦ .

الفصل الثامن

كيف تبدأ الفرق في الظهور؟

يذكر علماء الفرق أنه عندما يريد شخص معرفة ظهور فرقة من الفرق على وجه التحديد ، فإن ذلك من غير اليسير الوصول إليه ، والجزم به دون تخمين أو شك ، وذلك :

لأن الفرقة لا تستحق هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة ، تبدأ فكرة صغيرة ، فردية أو جماعية ، ثم تتكون شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح فرقة ذات منهج مميز لها سياسياً أو اجتماعياً .

وهذا ما عناه الأستاذ أبو زهرة حين قال :

« إن رأينا أن الأفكار التي تشيع وتنتشر ، من الصعب الوصول إلى مبدئها على وجه الجزم واليقين من غير حدس أو تخمين »^(١).

والتخطيط لقيام الفرقة قد تطول مدته وقد تقصر ، حسبما يتهيأ لها من الظروف والعوامل المساعدة لقيامها ، وعلى هذا فإنه ينبغي حسبما يبدو لي أن نفرق بين ظهور الفرقة كفرقة ذات أفكار وآراء اعتقادية وبين ظهورها كفكرة .

والصعوبة إنما تكمن في ظهورها فكرة ، وأما تحديد ظهورها فرقة فهو ما سجله العلماء عن ظهور كل الفرق والطوائف .

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١٢٥ ج ١ .

الفصل التاسع

منهج العلماء في عد الفرق

لم يوجد لعلماء الفرق قانون يسيرون عليه في عدّهم للفرق الإسلامية، بل سلكوا طرقاً عديدة، كل واحد منهم يعدها حسب اجتهاده، وما وصل إليه علمه.

وفي هذا يقول الشهرستاني - رحمه الله -: «اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعدد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونص».

ثم قال: «فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعدد الفرق، ومن المعلوم الذي لا مرأى فيه أنه ليس كل من تميز عن غيره - بمقالة ما في مسألة ما - عدّ صاحب مقالة، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد».

قال: «وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إبراء مذاهب الأمة كيف ما اتفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر وأصل مستمر»^(١).

والواقع أننا نجد مصداق كلام الشهرستاني عند تتبع عد العلماء للفرق، وأقرب مثال لذلك أنك تجد أمهات الفرق عند الأشعرى عشرة أصناف، وعند الشهرستاني نفسه أربع فرق، وعند غيرهما ثمان فرق، وعند آخرين ثلاثاً، وبعضهم يجعلها خمسا، إلى غير ذلك مما يوحى بعدم وجود قانون لعد الفرق مستقلة أو تابعة لغيرها إذ كان هم الأولين فيما يبدو تسجيل ما يجدون من آراء فردية كانت أو جماعية.

ولعل بعض هؤلاء العلماء اختلط عليه الأمر فيمن يستحق أن يطلق عليه أنه من أهل ملة الإسلام فيعتبر خلافه، أو لا يعتبره من المسلمين فلا يذكر خلافه، وهذه المسألة تحتاج إلى إيضاح نوجز ما ذكره البغدادي منها فيما يلي:

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٤ .

الفصل العاشر

ما المراد بأمة الإسلام؟

اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام، وحاصل الأقوال في هذه المسألة كما يلي :

١ - أن هذه التسمية تشمل كل مقرر بنبوته محمد ﷺ وأن كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان .

وهذا قول زعيم طائفة الكعبية من المعتزلة أبو القاسم الكعبي ...

٢ - أنها تشمل كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة .

٣ - أنها تشمل كل من أقر بالشهادتين ظاهرا ولو كان مضمرا للنفاق والكفر .

والواقع : أن تلك الأقوال لا تخلو من إيراد عليها وانتقاد لها فقول الكعبي الأول، وقول مجسمة خراسان الأخير ينقضه ما وقع من يهود أصبهان من إقرارهم بنبوته محمد ﷺ إلى العرب خاصة لا إلى بني إسرائيل ، وكذا قال قوم من موثكانية اليهود - نسبة إلى زعيمهم موثكان - فإنهم أقروا بجميع شرائع الإسلام، ونفوا أن الرسول محمد ﷺ نبي إلى كافة البشر ، بما فيهم اليهود . ومع ذلك فإنهم ليسوا بمسلمين، ولا تعتبر أقوالهم ضمن أقوال الفرق الإسلامية^(١).

والصحيح في هذا كله أنه لا يدخل في الإسلام إلا من أقر به ظاهرا وباطنا، والتزم بالإيمان بالشريعة الإسلامية، ثم إذا كان له بعض البدع فإنه ينزل من الإسلام حسب قربه أو بعده عنه، ويعامل على هذا الأساس، ويحترز من تكفير شخص بعينه إلا إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه.

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٢ - ١٤ .

الفصل الحادي عشر

أهم أسباب نشأة الفرق

أ- تمهيد: التفرق في عصرنا الحاضر .

ب- الأسباب العامة للتفرق .

أ- التفرق في عصرنا الحاضر .

سبق أن عرفنا نهى الدين عن التفرق ، وذكرنا الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية على ذلك ، كما تبين لنا كذلك الخطر الذي يكمن في طريق الأمة الإسلامية والذي يعوقها عن الوصول إلى الغاية التي أمرهم الله بها . وكيف أنهم حينما يتفارقون ويصبحون أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون يصبحون أمة ضعيفة لا قيمة لهم كما هي سنة الله في الذين خلوا من قبل ويجري عليهم نفس المصير الذي جرى على الأمم قبلهم لأنه لا نجاة ولا عزة إلا بالتمسك بالإسلام الذي رفع الله به أقواما تقبلوه وأذل به آخرين استكبروا عنه وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة ومن الجهل إلى العلم . وعاش الناس في ظلاله عيشة في منتهى السعادة .

وقد مضت تلك الأيام غرة في جبين الدهر، ولسان حال المسلمين اليوم يقول:

وودَّ بجدع الأنف لو عاد عهدا وعاد له فيها مصيف ومربع

تنكر للإسلام كثير ممن يتظاهر به ، ويزعم أنه يسير على نهجه فألحق بالمسلمين الذل بعد ذلك العز الذي غمر شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، وكان هؤلاء أشد على الإسلام والمسلمين من أعدائه الظاهرين حين أعرضوا عن تعاليم الإسلام المشرقة، وصاروا صعاليك يستجدون موائد الشرق والغرب القنطرة، وعملوا ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا على إضعاف المسلمين وتشكيكهم في دينهم، وتشتيت أمرهم ، وقد ساعدتهم على ذلك أعداء الإسلام

الذين يتربصون به الدوائر ﴿ عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ﴾ والذين يمدونهم بكل مaldiهم من التشجيع المادي والمعنوي ، فإذا بهم يتحولون إلى وحوش وسباع ضارية ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة .

لقد تربى هؤلاء على موائد الكفرة ودرسوا في مدارسهم ، وأتقنوا مناهجهم ثم أظهروا أنفسهم أبطالاً فاتحين ، واتخذوا لأنفسهم شعارات براءة خادعة وهم ما بين ثوري اشتراكي شيوعي ، أو بعثي زنديق حاقد ، أو رأسمالي جشع حقوق حسود ، أو ماسوني وإنما يوجه لا يأتي بخير ، فابتلي المسلمون بهم أشد البلاء ، وتوالت عليهم المحن ، وظهر الإلحاد ، وتفرقت بسببهم الكلمة ، وظهر قرن الشر ، وفشت الدعارة علانية ، وصار المتمسكون بدينهم غرباء .

وبعد تلك المحن كلها مما لا يمكن وصفه امتن الله على المؤمنين ، وظهرت بوادر صحوة يتمنى كل مسلم أن تتم بخير ، مع الخوف الشديد أن توجه تلك الصحوات وجهة في غير مسارها الصحيح فتنكس الأمة انتكاسة ربما لا تقوم لهم قائمة - لا سمح الله - إذا نجح هؤلاء الانقلابيون على كل شيء حتى على دينهم ورسالة نبيهم ، لأنهم يريدون قلب كل شيء ، وتحويل كل معتقد إلى معتقداتهم الفاسدة ، ثم السير بهم في تلك السبل التي تربوا عليها ، وهي السبل التي حذرنا الله من سلوكها ، إن المتتبع لنشاط هؤلاء ودوافعهم تنكشف له اللعب السياسية والاجتماعية الخطيرة التي تدفع بأتباعها من ظهورهم إلى حيث لا يدرون ، ومن حيث لا تمكنهم من معرفة ما هم واردون عليه .

قد أحاطوهم بصراخ وعويل أفقدوهم حتى مجرد اللحظة التي يفكرون فيها ، وبخبت ودهاء تظافرت جهودهم يصدق بعضها بعضاً ، الجريدة ، والمجلة ، والكتاب ، والتلفزيون ، والإذاعة ، وإعلانات الشوارع ، وندوات المجالس ، ونثر ونظم ، وتمثيلات وفكاهات . فأحاطوهم من كل جهة ، ودخلوا معهم في كل مجال من مجالات الحياة ، وجعلوهم لا يفكرون إلا فيهم ، وفي تنفيذ دعاياتهم

في كل وقت - وهم يمشون ، أو على مكاتبهم ، أو في بيوتهم ، أو في اجتماعاتهم، أو في انفرادهم حتى أخذوا منهم كل أوقاتهم ، وخذعوهم عن كل ما يمت إلى تدبر أمرهم فأصبحوا فريسة سهلة ، لا حراك بها أمام هؤلاء سراق عقول البشر الذين يصطادون في الماء العكر قد دخلوا في المجتمعات المحافظة على سلامة عقيدتها كما تدخل الجراثيم ، فأصبح الكثير من شباب الأمة الإسلامية إلا من رحم الله عقولهم معهم وأيديهم تكتب عنهم وتمجدهم وأرجلهم تمشي إلى مجالسهم . وألسنتهم تنطق بدعائياتهم وأكاذيبهم وحيلهم ، ولا شك أن ثمن ذلك كله تفرق الكلمة وتشلت الآراء تحت غطاء إصلاح وتقديم الأمة ، والوصول إلى التطور والتجديد ، أو غير ذلك من الأكاذيب .

جندوا كل أولئك لهدف واحد هو محاربة الدين والعادات الإسلامية ، وتفكيك الروابط المتينة التي بناها الإسلام والتي تقف دون رغباتهم الجنسية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

وجندوهم كذلك لقطع أوصال الأمة وإلقاء بذور الشقاق بينهم - على طريقة - فرق تسد - ودربوهم على طريقة إصااق التهم بالآخرين من أهل الحق وتشويه سمعتهم ، ثم ألقوا بينهم مختلف الآراء الفكرية شغلوا الأمة بها .

ولم يفلحوا في شيء مثلما أفلحوا في تفريق كلمة المسلمين ، وإشاعة الفرقة والعداوة بينهم ، وبغي بعضهم على بعض ، والتفنن في اللمز ورفع الشعارات ، وهذا ما يفسره لنا ولعهم بقيام الأحزاب المتناقضة في الآراء لإلهاء الناس عن مراقبة ما يقومون به ، ونتج عن ذلك استحكام الفرقة ، ونشوء الأحزاب والجماعات المتصارعة ، وإفساح المجال واسعا لكل طامع في تفتيت الأمة الذين هم كالجسد الواحد. إنهم يلهثون لاستعباد عقول الناس بأي ثمن كان، حتى ولو كان تفرقة أهل البيت الواحد مادام ذلك يحقق لهم مصالحهم، ويجعلهم قادة للقطعان الذين يتبعونهم بغير تدبر ولا روية منخدعين بزخارف

أقوال أولئك الذين فسدت فطرتهم ، وانتكست مفاهيمهم ، حتى أصبحوا يرون المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والباطل حقا ، والحق باطلا .

عقاب من الله لهم لانحرافهم عن النهج الرباني ، وعن الصراط المستقيم ، والسبيل المبين إلى سبل وشبهات على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه كما تقدم بيان المصطفى ﷺ لهذا المسك في الحديث الثابت عنه^(١) وبالبحث عن أسباب تفرق الأمة الإسلامية قديما وحديثا يتضح أن أسبابا عديدة عملت مجتمعة على ذلك التفرق بعضها معلن وبعضها خفي وهذا لا يمنع أنه قد يوجد لكل طائفة من العوامل ما لا توجد عند الطوائف الأخرى ولهذا فإنه من الإطالة البحث عن الأسباب التي أدت إلى خروج كل طائفة من الطوائف التي يموج بها العالم الإسلامي ، وتفصيل ذلك والتوسع فيه كل طائفة على حدة ودراسة تلك الأسباب والمقارنة بينها وبين الأسباب للطوائف الأخرى فهذا يحتاج إلى دراسة خاصة. تبدأ بذكر ماجرى بين المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ من أحداث مرورا ببيان الخلاف الحاد الذي أنتجه أمر الخلافة لمن تكون وكيف تمت في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، ومواقف الناس منها ثم بيان ما حصل من ابن سبأ من مؤامرات ومواقف خبيثة أدت إلى ارتكاب جريمة مروعه في عصر الصحابة وهي قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه علانية وما أعقب ذلك من مواجهة حربية بين علي رضي الله عنه وطلحه ، والزبير ومن معها في معركة الجمل بتأثير أعداء الله السيئة .

ثم امتداد الفتنة بصورة شاملة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في معركة صفين وما نتج عنها بعد ذلك من أمر التحكيم الذي شطر جيش علي رضي الله عنه إلى حزبين متضادين هما الخوارج والشيعة وما أحدثه هؤلاء من أفكار نسبوها إلى الدين الإسلامي بعد ذلك .

(١) تقدم تخريجه .

وتلك الأحداث كانت بمثابة مرض ألم بجسم الأمة أفقده الكثير من المناعة فظهرت بوادر أمراض كثيرة فيه فبزغ قرن الشيطان عند ذلك وتوالى المصائب وأسباب التفرق المتعدد الأشكال فظهرت العصبية البغيضة. والقوميات المتصارعة - والرغبة في السيطرة والزعامة، وتفاوتت المفاهيم فظهرت المذاهب الفكرية للفرق المختلفة من حوارج ومعتزلة وقدرية ومرجئة وشيعة.. الخ، فأسسوا الآراء التي فرقت المسلمين وغذوها بالتأويلات الفاسدة إتباعاً لأهوائهم. وظهر الغلو الممقوت نتيجة لتمجيد كل طائفة لآرائها ولرجالها وقويت الرغبة لدى كل طائفة للاستقلال بأتباعها.

ثم جاء دور التلاعب بالنصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وجرت كل طائفة مفاهيم تلك النصوص إلى ما يوافق ما أسسته من مفاهيم سقيمة وعقائد خاطئة فاختلّفوا من بعد ما جاءهم البيّنات.

ولكن كانت دراسة كل تلك الأمور بالتفصيل والتوسع غير واردة هنا لما قدمناه سابقاً فإنه يمكن الاقتصار والإشارة إلى أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك التفرق الحاصل في العالم الإسلامي بصورة إجمالية عامة سواء كان ذلك في الزمن القديم أو في الأزمان التي جاءت بعده.

ب- الأسباب العامة

- ١ - وجود علماء انحرفت عقائدهم . على رأس كل طائفة منهم مرده أسهموا في تثبيت الفرقة بين المسلمين .
- ٢ - غلبة الجهل وفسوه بين أوساط المسلمين في مختلف العصور بصفة عامة .
- ٣ - عدم فهم النصوص فهما سليما : حتى وإن كانت النية ربما تكون حسنة عند البعض منهم .
- ٤ - موافقة الخلاف والفرقة لهوى في النفوس فأصروا عليه .

- ٥ - تدخل سلطان العصبية البغيضة .
- ٦ - استحكام قوة الحسد في النفوس .
- ٧ - الرغبة في إحياء البدع والخرافات وميل كثير من النفوس إليها .
- ٨ - تقديس العقل وتقديمه على النقل .
- ٩ - بث الدعايات المنفرة عن الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب والسنة الذي يُمثله السلف الصالح .
- ١٠ - وجود تأثيرات خارجية .

أما بالنسبة للسبب الأول وهو وجود العلماء الذين انحرفت عقائدهم فمما لا يكاد يجهره طالب العلم أن أكثر العقبات التي تواجه الداعية إلى الله هم هؤلاء الأصناف الذين تمكنوا من استجلاب العامة ، وجذبهم إليهم ، حتى أصبحوا يقصدونهم ، ويرون أن لا علم إلا ما كان لديهم ، ولا حق إلا ما سلكوه ، ثم بغضوا إليهم كل من لا يسير في طريقهم ووصفوه بكل صفة سوء وحذروا من الالتقاء معه في أي شيء ولنا في ضحايا علماء البريلوية ، وعلماء الصوفية ، وعلماء الباطنية وغيرهم .. أمثلة قريبة على تثبيت وإحكام الفرقة بين المسلمين .

ومن الغريب في الأمر أن البيئات التي هي أقوى شيء لقطع النزاع ، وانتهاء الاختلاف صارت البيئات هي التي قام عليها محور الاختلاف كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم . قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾^(٢) .

ومن المعلوم أن أصحاب هذا الاختلاف بعد وجود البيئات .. إنما هم علماء السوء الذين يظهرون منها ما يوافقهم ويخفون منها ما لم يتفق وهوهم .

وفتنة هؤلاء من أعظم الفتن حيث أضلوا الناس بغير علم ولا هدى ومن

(٢) سورة البينة : ٤ .

(١) سورة آل عمران : ١٠٥ .

حيث كان أتباعهم يتوقعون منهم معرفة الحق والوصول إليه فصار هؤلاء العلماء يحرمون ما يشاؤون ويحلون ما يشاؤون ويفتون بما يريدون ثم جعلوا إتباعهم وراء ستار كثيف من الجهل والنفور عن الآخرين لئلا يكتشف جهلهم ، وجرت الرياح بما تشتهي سفنهم ووجدت لهم عوامل كثيرة ساعدتهم وقوت من عزائمهم فأبعدوا الهوة بينهم وبين الوصول إلى الحق واجتماع الكلمة عليه وقد حذرنا من لا ينطق عن الهوي سوء فعل هؤلاء حيث قال ﷺ « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » (١).

وفي رواية أخرى قال ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن » (٢).

٢- أما بالنسبة للسبب الثاني وهو غلبة الجهل ونشوه بين أوساط عوام المسلمين. فقد مرت بالمسلمين في عصورهم المختلفة فترات حل فيها الجهل واستحكمت الخرافات في النفوس محل العلم والاعتقاد الصحيح فضعف نور الإيمان في نفوس هؤلاء وقل وجود علماء متكاتفين متعاونين على إظهار وقمع الباطل فانتشرت الخرافات وقوى أمر التحزب الباطل والفرقة الممقوتة . وقد عاب الله تعالى في كتابه الكريم الجهل وأخبر أن سبب ترك الناس لدين الله وتفرقهم فيه إنما هو الجهل .

قال تعالى في شأن موسى وقومه حين وصل بهم الجهل إلى أن طلبوا من موسى أن ينصب لهم إلهاً ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ (٣) .

وآيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم فيها ذم الجهل والدعوة إلى العلم والمعرفة.

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤ نقلا عن البرقاني في صحيحه .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٣ وعزاه إلى ابن عدي في الكامل عن عمر رضي الله عنه .

(٣) الاعراف : ١٣٨ .

وكذا في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم الجهل والتحذير منه قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١).

وقد نشأ عن الجهل الغلو في تعظيم بعض المخلوقين تعظيماً خارجاً عن هدي الإسلام، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن نوع من أنواع أسباب الاختلاف بين المسلمين وتفرقهم وهو الغلو.. قال: «ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة.. حتى خالط كثيراً منهم من مذاهب الحلول والإتحاد ما هو أقبح من قول النصاري، أو مثله، أو دونه».

وقال تعالى ٩: ٣١: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم..﴾ الآية. وفسرة النبي ﷺ لعدي ابن حاتم رضي الله عنه بأنهم «أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم» وكثير من أتباع المستعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال»^(٢).

وقد دخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكيء فقال له ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم.. ثم قال ربيعة في شأن الجهال حين يتزعمون الناس، ويخرجونهم بفتاواهم عن الحق.. قال: «ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق»^(٣).

(١) أخرجه البخاري ج ١ ص ١٩٤ ومسلم ج ١٦ ص ٢٢٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٩.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١.

٣- وأما عدم فهم النصوص فهما سليماً فقد أدى ذلك إلى نتائج سيئة، حيث أخذت كل فرقة تؤول النصوص لصالحها، وتقوية ما تذهب إليه من أفكار وآراء، ومصداق ذلك أنك ترى النص الواحد من الكتاب أو من السنة يفسر بعدة أفكار، متعارضة في بعض الأحيان حسب ما تذهب إليه كل طائفة. وصار بعضهم يعيب البعض الآخر، وذموا أهل السنة، وسخروا من مفاهيمهم، وفرحوا بما عندهم من تلك التأويلات الملفقة، وصار حال أهل السنة معهم كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وكان لهذه المواقف نتائج ظاهرة في تفرق الأمة الإسلامية وظهورهم طوائف كل طائفة لا تلوي على الأخرى بعد أن تحجرت العقول وجمد كل ذي رأي على رأيه وقدم فهمه على مفاهيم من هو أفقه منه واستكف أن يرجع عما تقرّر في ذهنه وهي قضية طالما وقفت حجرة عثرة في طريق الدعوة إلى الإصلاح واجتماع الكلمة قديما وحديثا ..

٤- وأما موافقة الخلاف لهوى في النفوس فإنه أمر خطير بل هو من أشد الأمور التي تفرق بسببها المسلمون قديما وحديثا وبالاسترسال مع الهوى أقصى العقل وأهملت الشرائع وأخرجت النصوص عن مدلولاتها وقامت البدع وانتشرت الخرافات بل وسفكت الدماء أحيانا كثيرة وهو الذي حال بين كثير من البشر وأنبيائهم .

والنصوص من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ في ذم الهوى لا تخفى على أي مسلم من عوام المسلمين فضلا عن طلاب العلم لقد أخبر الله تعالى أن الهوى أحيانا يحل في بعض النفوس محل الإله فقال تعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾^(١). وأخبر تعالى أن الهوى هو الذي حال بين الأنبياء وأممهم إذ لم يستفيدوا من أنبيائهم لاستكبارهم الذي أملاه عليهم هواهم

(١) الجاثية : ٢٣ .

قال تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ (١).

وآيات أخرى كثيرة في ذم إتياع الهوى وعواقبه الوخيمة .

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه . « وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه » (٢).

وعن معاوية عن النبي ﷺ أنه قال بعد ذكره حديث افتراق الأمة .

« وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه » وقال عمرو « الكلب بصاحبه لا يلقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » (٣).

٥- وأما تدخل سلطان العصبية البغيضة فكان إحدى المعاول الهدامة لوحدة الأمة الإسلامية حيث غطت على أبصار وقلوب أتباعها فحجبتهم عن النظر إلى الآخرين بعيني الأخوة والترابط العام ومحاولة تألف القلوب وجمع الكلمة .

فأخذت كل طائفة تمجد أفكارها وتحزب حولها وتشنع على الآخرين فكم سفكت بسببها من الدماء وكم خربت من مدن عامرة وكم خرج بسببها عن الدين من بشر، وقد بما قالت ربيعة عن الكذاب مسيلمة « كذاب ربيعة خير من صادق مضر » (٤) لأن سلطان العصبية لا عقل عنده والتعصب كما يقول بعض العلماء .

« ظاهرة ذميمة لا يؤدي إلا إلى التفرقة والتعادي .. وثمرة التعصب الاختلاف والفرقة والتباغض » (٥).

وليس هذا فحسب بل إنه المستنقع الخصب لانتشار أوبئة البدع على اختلاف أنواعها وما تؤدي إليه من تعظيم الآباء والمشائخ وتقديم أفكارهم على النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . معرضين عن قول الله عز

(١) البقرة : ٨٧ . (٢) الترغيب والترهيب ج١ ص ١٦٢ .

(٣) سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٠٤ . (٤) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٥) مقدمة في أسباب إختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٨٤ - ٨٥ .

وجل ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾ (١).

وقال تعالي حاكيا عن حالهم وهم في النار ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ (٢).

وهذه الطاعة الناشئة عن التعصب هي التي أخبر عنها الرسول ﷺ في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه . قال « أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة (٣).

قال : « أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه . وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه » (٤).

وإذا وصل الحال إلى هذا الحد فكيف تنفق الكلمة وكيف يحصل الاتحاد بين المسلمين وتنتهي الفرقة البغيضة .

٦- وأما استحكام قوة الحسد في النفوس . فهذا هو الداء العضال الذي يأكل الأخضر واليابس ويفرق الكلمة ويجعل المسلمين شيعا وأحزابا متباغضة وهذا العامل متمم لعامل العصبية البغيضة وقد ابتلى به كثير من أصحاب النفوس المريضة والقلوب الغافلة حيث أوجد لدى هؤلاء النفوس التام والاستكبار الممقوت عن قبول الحق وتجاوز الخلافات التي تحصل بين الناس .

وهؤلاء ماضون على طريقة أول الحاسدين لبنى آدم وهو إبليس حيث قال ﴿ قال أسجد لمن خلقت طينا ﴾ (٥).

وقوله : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٦).

(٢) الأحزاب : ٦٧ .

(١) المائدة : ١٠٤ .

(٣) سمعه يقرأ قول الله تعالي : ﴿ اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح وابن

(٤) سنن الترمذي كتاب التفسير جده ص ٢٧٨ .

مريم ﴾ . التوبة : ٣١ .

(٦) سورة الأعراف : ١٢ .

(٥) سورة الإسراء : ٦١ .

إن أول نتائج الحسد استحكام الفرقة بين المسلمين وبغي بعضهم على بعض وظهور العداوة والبغضاء وغير ذلك من المفاسد التي لا يعلمها إلا الله :

وقد قال نبي الهدى ﷺ عن هذا النوع من الأدواء المهلكة « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب»^(١) وفي رواية أخرى: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار»^(٢) الحديث .

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة على مدى الضرر الذي لحق بوحدة الأمة الإسلامية من جراء الحسد قديماً وحديثاً فقد ورد عن بعض العلماء أن ما حصل بين ربيعة ومضر في الزمن القديم من العداوة والحروب إنما كان ناشئاً عن الحسد لمضر لمكان النبوة فيهم ومن هنا قال المأمون فيما يذكر عنه « لو خرج اثنان ثائران لكان أحدهما من ربيعة»^(٣) وتقدم قول أهل العصبية السخيفة « كذاب ربيعة خير من صادق مضر»

٧- وأما عامل حب البدع والخرفات وميل أكثر النفوس إليها ، فمما هو واضح أن الابتداع في الدين وإحياء الأمور البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ثم التصميم على تنفيذ تلك البدع كان من أعظم الأسباب في تفرق كلمة المسلمين ونفور بعضهم عن بعض كما أنه كان من أعظم العوامل التي أبعدت الكثير من الناس عن تفهم العقيدة الحنيفية وأخرجتهم إلى حماة الجهل والتعلق بالخرفات واعتبارها من الدين .

فكان لحب البدع وإحيائها أكبر الأثر في قيام كثير من الحركات والفرق على امتداد تاريخ الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ إلى زمننا الحاضر .

وكان لسان حال هؤلاء يقول لاحاجة بنا إلى الشرع الذي لا يوافق ما نريد

(١) رواه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٤ .

(٢) رواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٠٨ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٣٠١ وضحي الإسلام ج ١ ص ٤٣ .

فشرعوا لأنفسهم ماشاؤا من الزيادة والنقص في دينهم فأختلط الأمر على كثير من الناس التفريق بين الشرع الذي جاء به المرسلون وبين التشريع الذي أحدثه أصحاب البدع ورؤوس الفرق فأصبح تفرق المسلمون بعد ذلك نتيجة حتمية فإن النفوس إذا لم تشتغل بالحق اشتغلت بالباطل .

ولم يهتم أصحاب تلك البدع بتفهم ماورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى التزام الشرع الحنيف والابتعاد عن كل ما يصاد منهج الله وصراطه المستقيم والتمسك به وحده كما قال تعالى : ﴿ وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوا ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ . (١)

وقوله تعالى : ﴿ إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾ (٢) كما لم يهتم أولئك بنصح نبيهم لهم وتحذيره إياهم من الوقوع في البدع التي تحبط الأعمال وتسبب لأصحابها الوبال في الدنيا والآخرة .

قال ﷺ « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » (٣) .

وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٤) وهذا تحذير شديد ترهيب خطير ، وأخطر منه أن ضرر صاحب البدعة قد لا يقتصر عليه وحده فهو يضر نفسه ويضر غيره ويتحمل إثم نفسه وإثم غيره ممن تسبب في إغوائهم وهو ما يفسره قوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (٥) .

٨ - وأما عامل تقديس العقل وتقديمه على النقل فإنه سيأتي الكلام عنه إن شاء الله في آخر هذه الدراسة بمزيد من الإيضاح .

(١) الأنعام : ١٥٣ .
(٢) الأنعام : ١٥٩ .
(٣) رواه البخاري في كتاب الصلح ج ٥ ص ٣٠١ ومسلم في الأفضية ج ١ ص ٣١٣ .
(٤) رواه مسلم ج ٤ ص ٣١٢ .
(٥) رواه مسلم ج ٥ ص ٥٣٢ .

واعتبار هذا العامل من الأسباب المفرقة لصفوف المسلمين من الوضوح
بمكان فإن المعتزلة ومن تبعهم حينما قدسوا العقل وقدموه على النقل واعتبروه
المرجع الأول والأخير والحكم الفصل في كل قضايا الدين فتحوا بها الموقف باب
فتنة وتفريق بين المسلمين لم يستطع أحد إغلاقه إلى يومنا الحاضر . إن العقل له
حدود إذا تجاوزها الشخص خرج عن الحق من حيث يطلبه سنة الله في خلقه
وصارت نعمة العقل العظيمة آفة في حق صاحبها حين يتجاوز حدوده . ويعود
تمجيد العقل وتقديسه إلى ما أحدثته ترجمة الكتب اليونانية وظهور علم الكلام
المدوم والفلسفة والمنطق واحتدام الخصام بين الطوائف الإسلامية في تطبيق هذه
الأفكار المخالفة للشريعة الإسلامية وانقسام المسلمين بعد ذلك بين مؤيد ومخالف
ومحتال للتوفيق بين هذه الأفكار والشريعة الإسلامية فازداد الخرق على الراجع
وظهر شر كثير فقيظ الله من عباده من وقف في طريق هؤلاء وأزال الشبهة^(١).

٩- وأما بالنسبة لموقف المخالفين للسلف من التهجم عليهم وبث الدعايات
الكاذبة عنهم وإغراء بعض المسلمين بالنفرة عن البعض الآخر فإن موقف السلف
كما هو معروف من سلوكهم لا يحبون الغمز واللمز واللغو الباطل وإصاق
التهم بالآخرين ظلما وعدوانا لأنهم على خلق وأدب إسلامي يمنعهم من ذلك
يتمثلون قول الله تعالى : ﴿ ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو
أقرب للتقوى ﴾^(٢).

بخلاف المواقف الشائنة للمخالفين لهم من أهل الضلال والتفرق الممقوت
فإنهم لا يبالون مآقالوه من السباب وكييل التهم وقذف الألقاب الظالمة عليهم
جزافا والغرض من كل ذلك هو التنفير عنهم وعن عقيدتهم السلفية والنتيجة من
كل ذلك زيادة إحكام التفرق وتعميقه بين المسلمين .

(١) وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه البدیع « درء تعارض العقل والنقل » وما
كتبه تلميذه شمس الدين ابن القيم .

(٢) سورة المائدة : ٨ .

فمن الأوصاف الظالمة التي أطلقها هؤلاء على أصحاب العقيدة السلفية وصفهم بالمشبهة والحشوية والمجسمة والناطقة والنواحب وغير ذلك من الألقاب التي أطلقها هؤلاء على أهل السنة ليتم لهم تنفير الناس عنهم كما كان الكفار في زمن النبي ﷺ يطلقون عليه ألقابا كاذبة بقصد التنفير عنه فوصفوه بأنه شاعر وكاهن ومجنون وصابىء وساحر وسموه مذمماً وهو أفضل الخلق وسيد الأولين والآخرين .

وكبار الفرق الذين بثوا الدعاية السيئة والألقاب الشنيعة على السلف هم الخوارج والمعتزلة والروافض والجهمية والقدرية والأشاعرة والماثرية والصوفية وكل طائفة من هذه الطوائف أطلقت ماحلا لها من الألقاب الظالمة على أهل السنة فسموهم مجسمة وحشوية وناطقة الخ .

وفي كل طائفة - من هذه الطوائف علماء ومجادلون هم وراء كل تلك التشنيعات .

وما أبعد هؤلاء عن امتثال قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرٌ مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نَسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُن خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

« إن كل فرقة من تلك الفرق قد ألبست الحق بالباطل فأخرجت للناس بدعها وضلالها تحت لافتات إسلامية ، وفي قوالب إسلامية، ليغتر بها العامة فيتبعوهم معتقدين أنهم على الكتاب والسنة مقيمون ولمذهب السلف الصالح متبعون » (٢) .

وأما ما قيل عن وجود تأثيرات خارجية أسهمت هي الأخرى في تفرق

(١) الحجرات : ١١ .

(٢) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٢ .

كلمة المسلمين فقد وقع ذلك بالفعل. وهذه التأثيرات تكمن في الأمور التالية:

(١) في اختلاط المسلمين بغيرهم ، ودخول غير المسلمين في الإسلام، وإصرارهم متعمدين وغير متعمدين على التمسك ببعض الأفكار التي كانوا عليها قبل دخولهم في الإسلام، ومحاولتهم تغطية تلك الأفكار بغطاء إسلامي، على طريقتهم الخاصة... فنتج عن ذلك نشوء جماعات تتمسك به وتعادي من يخالفها، وبالتالي تكونت هذه الجماعات في شكل فرق إسلامية فيما بعد .

(٢) وجود حركة ثقافية وترجمات لكاتب عديدة تحتوي على أمور جديدة غريبة أخذت حيزاً من تفكير المسلمين، وتنمية الخلاف بينهم قديماً كما فعله المأمون، وحديثاً هذه الحركة القوية لترجمة كتب الملاحدة والماديين .

(٣) تأثر بعض المسلمين بغيرهم من أهل الديانات السابقة بعد أن عايشوهم.. كما ظهر ذلك في بعض المعتقدات التي تبنتها جماعات تدعي الإسلام، وكان أساس تلك المعتقدات إما فارسي، وإما هندي، وإما نصراني، وإما يهودي تأثر بهم المسلمون بحكم الاختلاط والتقارب .

(٤) وأيضا ما قد يواجهه المسلمون من ضغوط ينتج عنها - على الزمن البعيد - جيل من المسلمين ينظر إلى تلك الأمور على أنها حقائق وعقيدة صحيحة للآباء والأجداد.. ومن هنا ينشأ المزيد من التفرق بين المسلمين .

(٥) دخول كثير من الناس في الإسلام ظاهراً وهم يبيتون النية لهدمه! وزعرته في صدور أهله وأكثر هذا الصنف هم اليهود والنصارى . وقد ظهر تأثير هؤلاء على المسلمين بوضوح في آراء كثير من الفرق التي تنتمي إلى الإسلام مثل آراء الروافض الغلاة والجهمية والمعتزلة والنيصيرية وغير هؤلاء ممن ظهرت الأفكار الأجنبية واضحة في معتقداتهم وقد نبه علماء الإسلام على هذه القضية وأولوها عنايتهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن تأثر المسلمين بغيرهم من الأمم خصوصاً فارس والروم .

« وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً والآثار الفارسية قولاً وعملاً ما لا يخفاء فيه على مؤمن عليهم بدين الإسلام وبما حدث فيه»^(١) .

ويقول ابن حزم رحمه الله :

« والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء^(٢) وكانوا يعدون سائر الناس عبداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام»^(٣) إلى آخر ما ذكر من مشاهير أولئك القوم وحيلهم في إخراج المسلمين عن دينهم .

ويقول طارق عبد الحكيم :

« وبعد أن تم الفتح الإسلامي لبلاد فارس ، ودخل الفرس في دين الله أفواجاً ، ولكن - بطبيعة الحال - لم يكن من السهل أن يعرف كل الفرس المسلمون الإسلام كما أراد الله عز وجل ، فالأعداد المسلمة صغيرة ، والعادات والأديان والأفكار القديمة متأصلة في النفوس فكان أن ترعرعت نبتة الرفض البغيضة في تلك البلاد^(٤) ، واستمدت أفكارها الرئيسية بشأن الإمام المعصوم ،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١ .

(٢) لعلها الأسياد كما نقلها الملك محمد صديق خان في خبئية الأكوان ص ٥٧ .

(٣) الفصل ج ٢ ص ١١٥ .

(٤) الواقع أن نبتة الرفض والغلو فيه إنما أسسه ابن سبأ . وقد انتشر بسرعة بين الفرس لملامة تلك الأفكار لما رسخ في أذهان الفرس من تعظيم ملوكهم .

وآل بيته المقدسين مما رسخ في الأذهان من قديم .

وهو يشير هنا إلى مقاله ضياء الدين الريسي عن الفرس الذين دخلوا في الإسلام وأذهانهم مملوءة بمذاهبهم القديمة وحضارتهم البائدة ... فقال: «والفارسي لم يكن يستطيع أن يتصور أن يوجد خليفة بالانتخاب ، وإنما المبدأ الوحيد الذي يمكن أن يفهمه هو مبدأ الوراثة .. وليس منه المبالغة إذا في شيء أن يقال إن البيت النبوي وقد مثله «آل علي» قد حل في قلوب هؤلاء الفرس واعتبارهم محل بيت «آل ساسان»^(١).

وعن تأثر المسلمين بالفكر اليوناني قال طارق عبد الحكيم : « رغم أن الأثر اليوناني قد ظهر كأشد ما يكون في فكر من يسمون بفلاسفة الإسلام^(٢) كالقارابي وابن سينا ، وفي فكر المعتزلة إلا أنه قد أثر في مناهج الفكر بشكل عام عند بقية الفرق ، بل وعند بعض علماء أهل السنة الذين دافعوا عن علم الكلام الذي استقوه من المنهج المنطقي اليوناني ، وقد تجلّى ذلك في كتابات أئمة الأشاعرة »^(٣).

وعن تأثيرهم بالأفكار الهندية قال: « وقد كان من أهم ما أثر به فكر الهنود في الفرق المبتدعة في الإسلام هي فكرة «التناسخ» فقد نشأت عدة فرق تقول بهذه الفكرة منها السبئية من الروافض، كذلك تأثرت الصوفية بالهند وكية .. إلى أن قال: «ومن الفرق السبئية من الروافض، كذلك تأثرت الصوفية بالهند وكية .. إلى أن قال: «ومن الفرق التي تأثرت بالتناسخ النصيرية والدروز الذين يعتقدون أن مرتكبي الآثام يعودون إلى الدنيا يهودا أو نصارى أو مسلمين سنين»^(٤).

(١) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢١ .

(٢) الإسلام ليس فلسفة فكرية وإنما هو دين رب العالمين .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢٥ .

وسيتضح كل ذلك إن شاء الله عند دراستنا لهذه الفرق .

أما أثر اليهودية في المسلمين فإنه يظهر من خلال شخصية عبد الله بن سبأ، والأحداث التي افتعلها، والأفكار التي روجها من القول بالرجعة والوصية وغيرها من الأفكار التي اخترعها ..

ومن خلال شخصية لبيد بن الأعصم الذي كان يقول بخلق التوراة، فأخذ ذلك عنه ختنه طالوت، وأخذ عن طالوت أبان بن سمعان، وعنه الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، ثم بشر المريسي الذي كان أصله يهودياً . وكذا تأثير اليهود فيمن أخذ عنهم فكرة القول بالبداء على الله تعالى، وهي فكرة يهودية كفكرة الرجعة .

وعن تأثير المسلمين بالنصرانية يقول « فمن المفاهيم النصرانية التي تسربت إلى عقول طوائف من المسلمين، وأدى بهم إلى الصوفية هي نظرة النصارى إلى الدنيا، واحتقارهم الكامل لها في ظاهر الأمر » .

كذلك كان للمفاهيم النصرانية عن اللاهوت والناسوت والاتحاد بينهما أثر في تنمية وتشكيل مبدأ الحلول والاتحاد الذي قال به متأخروا الصوفية كالحلاج وابن سبعين وابن عربي .

كذلك مفهوم الولاية بالمعنى الصوفى فإنها مذهب نصراني^(١).

وأخيراً أقول بأن كلام العلماء حول قضية تأثير بعض المسلمين بالمفاهيم والحضارات الأخرى كثير وإنما الغرض التنبيه على وجود هذا الداء بين صفوف المسلمين بعد أن تراخت قبضتهم على دينهم بفعل تلك العوامل الكثيرة .

وسبب هذا التأثير هو أن الأفكار تتغلغل في النفوس وتنتشر، ثم تستحكم في أصحابها حين تجد عقولا مفلسة وقلوباً غافلة، فتتمكن حينئذ على حد ما قاله

(١) المصدر السابق ١٢٩ .

أحد الشعراء عن الهوى :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكن

وهذا البعض من المسلمين إنما أوقعه في مثل هذه المزالق بعده عن العلم وعن أهل العلم ، ومثل هؤلاء إنما هو سهم الصائد الأول . ومن هنا نجد أن تلك الأفكار الخاطئة إنما تنشأ في المجتمعات الجاهلة لعدم وجود حصانة ضدها لديهم ولجهل تلك المجتمعات أيضاً أسباب لا تخفى على طالب العلم .

الباب الثاني دراسة عن الخوارج

ونبدأ الآن بعون الله وتوفيقه في بيان الفرق التي تنتسب إلى الإسلام وأول ما نبدأ به منها حسب ترتيبها في الظهور واعتبارها فرقة من الفرق « هي فرقة الخوارج » .

وسنخص بالتفصيل أهم آرائهم الاعتقادية مع إبطالها بالرد عليها وتفنيدها شبهها تاركين في هذه الفرقة وفي غيرها من الفرق التي سيأتي الكلام عنها ما يمكن الاستغناء عنه أو لا تدعو الحاجة إلى ذكره في هذه العجالة ...
وقد قسمت الدراسة عن هذه الفرقة إلى الفصول الآتية:

الفصل الأول

تمهيد

وجود الخوارج في الماضي والحاضر

الخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي . شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن ، وقد بسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي ، وفي عمان وحضرموت وزنجبار^(١) وما جاورها من المناطق الإفريقية وفي المغرب العربي ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي المنتشر في تلك المناطق ، ولا يخفى كذلك أن بعض أفكار الخوارج - ولا سيما الأزارقة - المتعلقة بتكفير العصاة لا يزال لها أتباع يمثلون تنوع الخوارج وتشدهم في وقتنا الحاضر مما يستدعي عرض ودراسة هذه الفرقة وما أنتجت من آراء وأفكار وبيان ما جناه أتباعها على الإسلام والمسلمين ومما يجدر ذكره بالنسبة لكتب الخوارج: أنها تكاد أن تكون مفقودة تماماً إذا ما استثنينا الإباضية منهم فلم تعرف لهم مؤلفات موفورة كبقية الفرق ، وأكثر ما نرجع في ذلك إلى ما كتبه العلماء من أهل السنة مع ثقتنا بصحة ما نقلوه عنهم لمعايشتهم لهم وكذلك لاحتمال أنهم عثروا على كتب للخوارج لم تصل إلينا على أن ما وصل من كتب الإباضية تدل على مصداق أولئك في نقلهم لمذهب الخوارج^(٢) .

(١) وتسمى الآن « تنزانيا » .

(٢) انظر : الخوارج تاريخهم وأراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ص : ب .

الفصل الثاني

التعريف بالخوارج

١ - في اللغة : الخوارج في اللغة جمع خارج وخارجى اسم مشتق من الخروج وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة « خرج » على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي أو لخروجهم على الناس» (١) .

٢ - في الاصطلاح : اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج وحاصل ذلك :

١ - منهم من عرفهم تعريفا سياسيا عاما ، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أى زمن كان .

قال الشهرستاني: «كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان» (٢) .

٢ - ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضى الله عنه قال الأشعري «والسبب الذى سعوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب» (٣) .

زاد ابن حزم بأن اسم الخارجى يلحق كل من أشعة الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أى زمن وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني» (٤) .

(١) انظر كتب اللغة مادة «خرج» انظر تهذيب اللغة: ج٧/ص٥٠، تاج العروس: ج٢/ص٣٠ .

(٢) الملل والنحل: ج١/ص١١٤ .

(٣) المقالات: ١/٢٠٧ .

(٤) الفصل : ١١٣/٢ .

٣- وعرفهم بعض علماء الإباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين أولهم نافع بن الأزرق (١) ولم أرى هذا التعريف عند أحد غير الإباضية .

وهذا التعريف لأبي اسحاق أطفيش يريد منه أن لا علاقة بين المحكمة الأولى - الذين لا يعتبرهم خوارج لشرعية خروجهم كما يزعم - وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة ٦٤ هـ. وهذا التعريف غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية ويبقى الراجح هو التعريف الثاني لكثرة من مشى عليه من علماء الفرق في تعريفهم بفرقة الخوارج وقيام حركتهم ابتداء من خروجهم في النهروان وهو ما يتفق أيضاً مع مفهوم الخوارج كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية أحدثت في التاريخ الإسلامي دويماً هائلاً .

(١) عمان تاريخ يتكلم ص : ١٠٣ .

الفصل الثالث

أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات

للخوارج أسماء كثيرة بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ومن تلك الأسماء:

- ١ - الخوارج . ٢ - الحرورية . ٣ - الشراه .
٤ - المارقة . ٥ - المحكمة . ٦ - النواصب .

أما بالنسبة للاسم الأول : فهو أشهر أسمائهم وهم يقبلونه باعتبار وينفونه باعتبار آخر، يقبلونه على أساس أنه مأخوذ من قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١) وهذه تسمية مدح .

وينفونه إذا أريد به أنهم خارجون عن الدين أو عن الجماعة أو عن عليّ رضي الله عنه لأنهم يزعمون أن خروجهم على عليّ رضي الله عنه كان أمراً مشروعاً بل هو الخارج عليهم في نظرهم .

والإباضيون بخصوصهم يسمونها فتناً داخلية بين الصحابة .

قال نور الدين السالمي الأباضي عن تسميتهم خوارج على سبيل المدح « ثم لما كثرت بذل نفوسهم في رضي ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سموها خوارج وهو جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله » . (٢) .

وقال أحد شعراء الخوارج : (٣) .

كفى حزناً أن الخوارج أصبحوا وقد شتت نياتهم فتصدعوا

وأما بالنسبة للتسمية الثانية : فهي نسبة إلى المكان الذي خرج فيه أسلافهم عن عليّ وهو قرب الكوفة .. قال شاعرهم مقارناً بين جحف الثريد أي أكله وبين جحف الحروري بالسيف أي ضربه به :

(١) سورة النساء : آية (١٠٠) .

(٢) نقله عنه علي يحيى معمر في كتابه « الأباضية بين الفرق الإسلامية ص : ٣٨٤ .

(٣) شعراء الخوارج تحقيق د / إحسان عباس ص : ١٣٤ .

ولا يستوى الجحفان جحف ثريدة وجحف حرورى بأبيض صارم^(١).
وردت هذه التسمية في قول عائشة رضى الله عنها «أحرورية أنت»^(٢).
قالتة للمرأة التي استشكت قضاء الحائض الصوم دون الصلاة .
وأما بالنسبة للتسمية الثالثة : فهي نسبة إلى الشرى الذي ذكره الله بقوله
تعالى ﴿أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله﴾ الآية^(٣).
وهم يفتخرون بهذه التسمية ويسمون من عداهم بذوى الجعائل : أى
يقاتلون من أجل الجعل الذى بذل لهم قال شاعرهم عيسى بن فائق :
فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذرى الجعائل يقتلونا^(٤) .
وأما التسمية الرابعة : فهي من خصوم الخوارج لتنطبق عليهم أحاديث
المروق الواردة في الصحيحين في مروقهم الدين كمروق من الرمية قال ابن قيس
الرقيات من أبيات له :
إذا نحن شتى صادفتنا عصابة حرورية أضحت من الدين ما رقه^(٥).
وأما التسمية الخامسة : فهي من أول اسمائهم التي أطلقت عليهم وقيل أن
السبب في اطلاقه عليهم إما لرفضهم تحكيم الحكمين وإما لتردادهم كلمة لا
حكم إلا لله وهو الراجح ، وهي كلمة حق أريد بها باطل ولا مانع أن يطلق
عليهم لكل ذلك غير أن السبب الأول ينبغي فيه معرفة أن الخوارج هم الذين
فرضوه أولاً وهم يفخرون بهذه التسمية كما قال شاعرهم شبيل بن عزرة:
حمدنا الله ذا النعماء أنا نحكم ظاهرين ولا نبالي^(٦) .
وأما تسميتهم بالنواصب فلمبالغتهم في نصب العدا لعل بن أبى طالب -
رضى الله عنه - .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٦ ص ٩٧ .

(٤) شعراء الخوارج: ص: ٥٤.

(٦) شعراء الخوارج: ٢٠٩ .

(١) شعراء الخوارج ص: ٢٣٢ .

(٣) سورة التوبة: آيه (١١).

(٥) الكامل لابن الأثير: ٤ / ١٩٨

الفصل الرابع

متى خرج الخوارج

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخلاصة ذلك مايلي:-

- ١ - أنهم في عهد النبي ﷺ .
- ٢ - أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه .
- ٣ - أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير كما يزعم بعض علماء الإباضية .
- ٤ - أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح .
- ٥ - أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤ هـ كما تقدم في التعريف بهم وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها :

أما بالنسبة لقول الأول فإن المقصود به ما وقع للرسول ﷺ من قيام ذي الخويصرة - عبد الله ذي الخويصرة التميمي - في إحدى الغزوات في وجه الرسول معترضا على قسمة الرسول ﷺ للفيء وأنه لم يعدل - حاشاه - في قسمتها وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم :

الشهرستاني، وابن حزم، وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما وظهر الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوى. فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيما للخوارج لأن فعلته حادثة فردية - تقع للحكام كثيرا - ولم يكن له حزب يتزعمه ولا كان مدفوعاً من أحد - إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول ﷺ ومع هذا فيمكن القول بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله ﷺ (١).

٢ - وأما بالنسبة للقول الثاني فهو رأى لبعض العلماء أيضاً كابن كثير

(١) انظر الحديث الوارد في صحيح البخارى ٨ / ٥٢ - ٥٣ ، ومسلم : ٣ / ١١٠ - ١١٦ .

وابن أبي العز (١) ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة - وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

٣ - وأما بالنسبة للقول الثالث: وهو للورجلاني الأباضي فإنه قول مردود فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد شهد الله لها بالإيمان وطلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة. (٢)

وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية (٣) لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة وإلى ظهور نافع بن الأزرق .

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة والتي خرجت عن جيش الإمام على رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة (٤) .

ومما نذكره هنا محاورات بين علي رضي الله عنه والخوارج تصور لنا مدى التعنت الذي اتصف به الخوارج .

(١) انظر البداية والنهاية : ٧ / ١٨٩ وشرح الطحاوية ص ٤٧٢ .

(٢) انظر الدليل لأهل العقول ص : ١٥ .

(٣) أبو إسحاق طفيش وتبعه علي يحيى معمر أحد علماء الإباضية المتأخرين وقد اعتبروا أحداث المحكمة الأولى فتنة داخلية بين الصحابة وليس لهم أساس الخوارج في نظرهم .

انظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ وانظر الإباضية في موكب التاريخ ص ٣٣ .

(٤) انظر لتلك الأقوال : « تلبس إبليس » ص : ٩٠ الفصل لابن حزم ٤ / ١٥٧ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ٢١ شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٧٢ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٧ / ١٨٩ ، الدليل لأهل العقول للورجلاني ص ١٥ ، عمان تاريخ يتكلم للسالمي ص ١٠٣ .

الفصل الخامس

محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان^(١)

وقعت بين الإمام علي والخوارج قبل نشوب المعركة عدة محاورات وحينما طلب منهم علي رضي الله عنه بيان أسباب خروجهم عنه أجابوه بعدة أشياء منها:

- ١ - لماذا لم يبيح لهم في معركة الجمل أخذ النساء والذرية كما أباح لهم أخذ المال.
- ٢ - لماذا محى لفظ أمير المؤمنين وأطاع معاوية في ذلك عند ما كتب كتاب الهدنة في صفين وأصر معه على عدم كتابة «علي أمير المؤمنين» .
- ٣ - قوله للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فأثبتاني بأن هذا شك في أحقيته للخلافة.

٤ - لماذا رضي بالتحكيم في حق كان له .

هذه أهم الأمور التي نقموا عليه من أجلها كما يزعمون وقد أجابهم عن كل تلك الشبه ودحضها جميعاً حيث أجابهم عن الشبهة الأولى والتي تدل على جهلهم بما يلي:-

١ - أباح لهم المال بدل المال الذي أخذه طلحة والزبير من بيت مال البصرة ، ثم هو مال قليل .

٢ - النساء والذرية لم يشتركوا في قتال وهم أيضا مسلمون بحكم دار الإسلام ولم تكن منهم ردة تبيح استرقاقهم .

٣ - قال لهم : لو أبحت لكم استرقاق النساء والذرية فأياكم يأخذ عائشة في سهمه فخرج القوم من هذا ورجع معه كثير منهم كما قيل .
وأجابهم عن الشبهة الثانية :

١ - بأنه فعل كما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية وذكر - إن صححت الرواية-

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ٧٩ ، وشرح نهج البلاغة ٢/٢٧٥ ، الكامل الميرد: ١١٧/٢ .

أنه قال : أخبرني رسول الله ﷺ أن لي منهم يوماً مثل ذلك .

والله أعلم بصحة هذه الرواية التي يتناقلها المؤرخون ، ذلك أن معاوية رضى الله عنه ما كان يطالب بالخلافة حتى يحق له أن يطلب محو كلمة « أمير المؤمنين » . ومعاوية كذلك كان يعرف أسبقية عليّ وفضله وإنما النزاع حول أمر آخر غير الخلافة ، اللهم إلا أن يكون هذا الفعل من صنيع للمفاوضين دون علم معاوية بذلك .

وأجابهم عن الشبهة الثالثة على افتراض صحة الرواية عنه : بأنه أراد النصفة لمعاوية ولوقال : احكما لي لم يكن تحكما ، ثم استدل بقصة وفد نصارى نجران ودعوة الرسول ﷺ لهم إلى المباهلة لإنصافهم .

وأجابهم عن الشبهة الرابعة: بأن رسول الله ﷺ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة في حق كان له ثم نشبت المعركة مع من بقى منهم على عناده وهزم الخوارج شر هزيمة وتذكر بعض كتّاب الفرق أنه لم ينج من الخوارج إلا تسعة ولم يقتل من جيش عليّ إلا تسعة (١) ، « وصار هؤلاء التسعة من الخوارج هم نواة الخوارج في البلدان التي ذهبوا إليها وفي هذا نظر (٢) ، وقتل زعيم الخوارج في هذه المعركة وهو عبد الله بن وهب الراسبي سنة ٣٧ أو ٣٨ هـ .

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٥ / ٨٩ والبداية والنهاية لابن كثير : ٦ / ٢١٨ والكامل لابن الأثير : ٣ / ٣٤٥ ، مروج الذهب : ٢ / ٤١٧ وانظر اعتراض علي يحي معمر على نتيجة المعركة في كتابه الأباضية بين الفرق ص ٦٨ .

(٢) من جهة تلك النتيجة حيث التقى أولئك في معركة مصيرية ثم يقتل فيها كل الجيش ويبقى تسعة ويسلم الجيش الآخر ولا يقتل منه إلا تسعة فقط . فإن التكلف في هذه النتيجة ظاهر كما أنه ترده تلك الأحداث المتلاحقة التي أعقبت معركة النهروان من تتابع حركة الخوارج الثورية على عليّ - رضى الله عنه - إلى أن استشهد لتبدأ أقوى مما كانت على الدولة الأموية . كما أنه من التكلف أن يقال أن كل واحد من التسعة الناجين من الخوارج كون مذهب الخوارج في المنطقة التي ذهب إليها .

الفصل السادس

أسباب خروج الخوارج

في البحث عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى خروج الخوارج يختلف المفكرون في هذا السبب أو ذاك وفي تحديد مدى فاعلية بعض الأسباب والراجع أن أسبابا مجتمعة هي التي أدت بهم إلى الخروج ، ونوجز أهم الأسباب فيما يلي:-

١ - النزاع حول الخلافة : وربما يكون هذا هو أقوى الأسباب في خروجهم فالخوارج لهم نظرة خاصة في الإمام معقدة وشديدة والحكام القائمون في نظرهم لا يستحقون الخلافة لعدم توفر شروط الخوارج القاسية فيهم أضف إلى هذا عدم الاستقرار السياسي الذي شجعهم على الخروج وإلى الحسد الذي كان كامنا في نفوسهم ضد قريش . إضافة إلى أنهم فسروا الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما بأنه نزاع حول الخلافة . ومن هنا استسهلوا الخروج على علي ومعاوية من بعده

٢ - قضية التحكيم : فقد أجبروا الإمام عليا على قبول التحكيم وحينما تم طلبوا منه أن يرجع عنه بل ويعلن إسلامه فرد عليهم ردا عنيفا . وهناك من يقلل من شأن هذه القضية كعامل في ظهور الخوارج ولا شك أن هذا خطأ ، فقد كان التحكيم من الأسباب القوية في ظهورهم .

وقد رد بعض العلماء وشنع على من يقول من المؤرخين وكتاب الفرق بأنه كان في قضية التحكيم خداع ، ومكر كالقاضي ابن عربي في كتابه العواصم من القواصم حيث فصل القول في هذا الأمر .

٣ - جور الحكام وظهور المنكرات : هكذا كان الخوارج يرددون في خطبهم ومقالاتهم . أن الحكام ظلمة والمنكرات فاشية والواقع أنهم حينما

خرجوا ففعلوا أضعاف ما كان موجودا من المظالم والمنكرات ، حينما رأوا أن قتال المخالفين لهم قربة إلى الله تعالى وأن الأئمة ابتداء بالإمام عليّ - مع عدله وفضله - ثم بحكام الأمويين والعباسيين كلهم ظلمة في نظرهم دون تحر أو تحقيق مع أن إقامة العدل والنهي عن المنكرات يتم بغير تلك الطريقة التي ساروا عليها في استحلال دماء مخالفين حكاما ومحكومين .

٤ - العصبية القبلية : التي ماتت في زمن الرسول ﷺ وزمن أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما . ثم قامت في عهد عثمان وما بعده قوية شرسة وكانت قبل الإسلام بين ربيعة - وأكثر الخوارج منهم - وبين مضر قوية ، وقد قال المأمون في إجابته لرجل من أهل الشام طلب منه الرفق بالخوارج : « وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريا » . وهناك أسباب أخرى عوامل اقتصادية كقصة ذو الخويصرة مع الرسول ﷺ وثورتهم المفقوتة على عثمان رضي الله عنه حيث نهبوا بيت المال بعد قتله مباشرة ونقمتهم على عليّ في معركة الجمل ومنها كذلك الحماس الديني الذي مدحهم به بعض المستشرقين كجولد زيهر حينما ذكر أن تمسك الخوارج الشديد بالقرآن أدى بهم إلى الخروج على المجتمع والمغالطة في قوله هذا واضحة فإن التمسك بالقرآن لا يؤدي إلى سفك الدماء بغير حق (١) .

(١) انظر تاريخ الطبري : ٥ / ٨٤ والكامل لابن الأثير : ٣ / ٤٤٤ .
وانظر العقيدة الشريعة في الإسلام لجولد زهير ص : ١٩٢ ، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١٠ / ٦٩ ، الخوارج والشيعة لفلهوزن ، فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٦٢ ، وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٥٧٣ .

الفصل السابع

حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم

١- أشرنا فيما مضى إلى أن الخوارج قد كونوا لهم دولة وصار لهم نفوذ وإذا تتبعنا حركاتهم الثورية فإننا نجد لها متصلة عنيفة ابتداء من خروج المحكمة على الإمام عليٍّ ومن خرج بعدهم على الإمام عليٍّ في شكل جماعات حربية تثور هنا وهناك عليه وعلى الحكام الأمويين من بعده حرب عصابات إلى أن جاء نافع بن الأزرق سنة ٦٤ هـ، وبدأ الخوارج يظهرون كفرق كبيرة امتدت إلى عصر الدولة العباسية لا يقر للخوارج قراراً أو يستكينون إلا ريثما يتم عددهم وعدتهم يمثلون المعارضة بالتعبير الحديث، وتلك الحركات مدونة في كتب التاريخ والفرق مما لا نرى التطويل بذكره لأنها أحداث تاريخية.

ب. فرق الخوارج

أما فرقهم فإن من رحمة الله بالناس أن الخوارج تفرقوا فيما بينهم، ولو اتحدوا لكانوا كارثة على المسلمين المخالفين لهم ويذكر العلماء أن الخوارج كانوا يختلفون ويفترقون لأنفسه الأسباب وحينما جاء نافع بن الأزرق ببعض التفاصيل في المذهب كحكم التقية والقعدة^(١) وأطفال المخالفين لهم فزاد الطين بلة والنار اشتعالاً فتفرقوا فرقا كثيرة قد لا يكون ضرورياً عدداً هنا فإن بعض تلك الفرق انتهى في وقته وبعضها اندمج مع فرق أخرى وبعضها رجع عن مقالاته كما فصلته كتب الفرق.^(٢)

(١) أى هل يحل لهم المقام بين المخالفين أم لا يحل ويكون المقيم بينهم كافر حلال الدم والمال كما يرى نافع ذلك حتى وإن كان منهم - وحينما وصل نافع إلى أحداث تلك الأمور بينهم انفصلت عنه النجدات بقيادة نجدة بن عامر قائلين لنافع: أحدث ما لم يكن عمله السلف من أهل النهروان وأهل القبلة، فأجابهم: بأن هذه حجة عرفها وقامت عليه وينبغي الأخذ بهذا ففارقوه.

(٢) انظر مقالات الأشعري: ١/١٩٨٣، الفرق بين الفرق للبعداويص: ٢٤، ٧٢، أبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥، التنبيه والرد للملطي ص ١٦٧، تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١ =

ج . عدد فرق الخوارج

وأما عددهم فإنه يجد الباحث عن عدد فرق الخوارج الأصلية والفرعية أنه أمام أعداد مختلفة وذلك لأن كتب الفرق الإسلامية لم تتفق على تقسيم فرقهم الرئيسية أو الفرعية على عدد معين ، فنجد الأشعري مثلا يعد فرق الخوارج أربع فرق وغيره يعدها خمسا وبعضهم يعدها ثمان وبعضهم سبعا ، وآخرون خمسا وعشرين وقد تصل إلى أكثر من « ٣٠ » فرقة ، والواقع أنه يصعب معرفة عدد فرق الخوارج (١) والسبب في ذلك يعود إلى :

١ - أن الخوارج فرق حربية متقلبة فلم يتمكن العلماء من حصرهم حصرا دقيقا .
٢ - أن الخوارج كانوا يتفرقون باستمرار لأقل الأسباب كما أنهم يختلفون أيضا لأقلها .

٣ - أن الخوارج أخفوا كتبهم إما خوفا عليها من الناس أو ظنا بها عنهم مما يجعل دراستهم من خلال كتبهم في غاية الصعوبة .

وندره كتبهم في عصرنا الحاضر دليل على ذلك - إلا ما وجد للأباضية - على قلته إلى غير ذلك من الأسباب إلا أنه من المعلوم تماما أن أشهر فرق الخوارج فرقة الإباضية كما يذكر كتاب الفرق المتقدمون منهم والمتأخرون رغم أن علماء الإباضية - خصوصا على يحيى معمر - ينفي نفيًا قاطعا أن تكون الإباضية فرقة من فرق الخوارج وقد ذكرنا فيما سبق السر في ذلك .
وفيما يلي نذكر نبذة موجزة عن هذه الطائفة :-

=الاعتصام: (٢/٢١٩).

(١) انظر مقالات الأشعري : ١ / ١٩٨٣ ، الفرق بين الفرق للبعداى ص ٢٤ ، ٧٢ ، أبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ ، التنبيه والرد للملطي ص ١٦٧ ، تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ الاعتصام : (٢/٢١٩) .

الفصل الثامن

دراسة أهم فرق الخوارج : وهم الإباضية

وتشمل دراسة هذه الطائفة ما يلي :

١- تمهيد

ولا بد من وقفة يسيره عند هذه الفرقة من الخوارج ، نذكر عنهم على سبيل الإيجاز بعض ما قيل عنهم سواء ما جاء عن المخالفين أو الموافقين لهم أو ما ذكره في كتبهم ، ولكون هذه الطائفة لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثيرة من العالم ولكونهم كانت لهم صولة وقوة، ولكثرة ما جاء من أخبارهم السياسية والعقدية والاجتماعية فإنها نحتاج إلى دراسة خاصة قد تأخذ حجما كبيرا لمن أراد أن يتتبع أخبارهم ويقف على مبادئهم (١).

ولذا فإننا نحيل القارئ إذا أراد تفاصيل أخبار هذه الطائفة بأن يرجع إلى الكتب التي اهتمت بذكر تواريخهم وبيان عقائدهم سواء ما كان منها قديما أو جديداً حيث ظهرت بعض كتب الإباضية على ندرتها وشدتها تحفظهم عليها منذ القدم ، إضافة إلى توجه بعض العلماء للكتابة عنهم في عصرنا الحاضر (٢) .
وأما أماكنهم فقد ذكر بكير بن سعيد اعوشة - أحد علمائهم - أنهم يوجدون حالياً في الجزائر وتونس وليبيا وعمان وزنجبار (٣).

(١) وقد وجدت أحد المشايخ في الأزهر ١٣٩٧ تقريبا يكتب رسالة للدكتوراه عن الإباضية .
(٢) مثل ما كتبه علي يحيى معمر في كتبه الكثيرة عنهم ، الإباضية بين الفرق الإسلامية، والأباضية في موكب التاريخ.
الأباضية مذهب إسلامي معتدل . وكذا كتاب السالمي « عمان تاريخ يتكلم » .
وما كتبه د / صابر طعيمة « الإباضية عقيدة ومذهباً » . إلى غير ذلك من الكتب المتيسر وجودها عن هذه الفرقة .

(٣) انظر كتابه دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ص ١٣٦ .

٢. زعيم الإباضية

أما بالنسبة لزعيم الإباضية فإنهم يتتسبون في مذهبهم حسبما تذكر مصادرهم إلى جابر بن زيد الأزدي الذي يقدمونه على كل أحد ويروون عنه مذهبهم وهو من تلاميذ ابن عباس رضى الله عنه^(١).

وقد نسبوا إلى عبد الله بن أباض لشهرة مواقفه مع الحكام^(٢) واسمه عبد الله ابن يحيى بن أباض المرى من بنى مرة بن عبيد وينسب إلى بنى تميم ، وهو تابعي عاصر معاوية وابن الزبير وكانت له آراء واجه بها الحكام .

وهذا هو اسمه المشهور عند الجمهور ، إلا أن بعض العلماء التبت عليه شخصية ابن أباض بشخصية أخرى يسمى « طالب الحق » .

فالملطي سماه في بعض المواضع من كتابه - التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع - أباض بن عمرو ، وهذا خطأ منه مع أنه ذكره في مواضع أخرى بتسميته الصحيحة - عبد الله بن أباض - وصاحب إبانة المناهج سماه : يحيى بن عبد الله الأباضي ، وهذا خطأ منه ، حيث التبس عليه تسميته « ابن أباض » برجل آخر من زعماء الإباضية اسمه « يحيى بن عبد الله طالب الحق المتقدم » ثار باليمن وجمع حوله من الأتباع والأنصار ما شجعه على الخروج في وجه حكام بنى أمية سنة ١٢٨ هـ ، أصله من حضرموت ، تأثر بدعوة أبي حمزة الشاري فخرج على مروان بن محمد وأخذ حضرموت وصنعاء فسير إليه مروان بن محمد قائده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فدارت معركة أسفرت عن

(١) انظر أجوبة ابن خلقون ص ٩ .

وانظر ترجمة جابر بن زيد ، أبو الشعثاء في البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٩٣ ، وانظر ما كتبه أحد علمائهم المعاصرين بكير بن سعيد اعوشت في كتابه « دراسات إسلامية في الأصول الإباضية » ص ٢٠ .

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٥٣ .

قتل طالب الحق سنة ١٣٠ هـ (١) .

وقد ذهب بعض العلماء من الإباضية إلى تحديد الوقت الذي استعملت فيه تسمية الإباضية وأن ذلك كان في القرن الثالث الهجري وقبلها كانوا يسمون أنفسهم « جماعة المسلمين » ، أو « أهل الدعوة » « أهل الاستقامة » كما يذكر ابن خلفون من علمائهم (٢) ، وهذا القول لا يتفق مع نشأة الإباضية بزعامه جابر بن زيد أو عبد الله بن أباض .

وقد ذهب ابن حزم إلى القول بأن الإباضية لا يعرفون ابن أباض وأنه شخص مجهول (٣) ، وهذا خطأ منه ، فإن ابن أباض شخص يعرفه الإباضيون ولهذا رد عليه « على يحيى معمر الأباضي » وذكر أن الإباضية يعرفون ابن أباض معرفة تامة ولا يتبرؤون منه ، وأن ابن حزم تناقض حين ذكر أن الإباضية يتبرؤون منه إذ كيف يتبرؤون من شخص مجهول لا يعرفونه (٤) .

ثم نتساءل كذلك من أين لهم تسميتهم « أباضية » إذا لم يكن ابن أباض من أوائلهم .

وقد ذهبت الشهرستاني إلى أن ابن أباض خرج في أيام مروان بن محمد وقتل في ذلك الوقت (٥) وهذا غير صحيح ، لأن ابن أباض توفي في خلافة عبد الملك بن مروان .

٣ . هل الإباضية من الخوارج ؟

اتفقت كلمة علماء الفرق - الأشعرى فمن بعده - على عد الإباضية فرقة من فرق الخوارج وليس المخالفون للأباضية فقط هم الذين اعتبروهم في عداد

(١) انظر : الكامل للمبرد : (١٧٩/٢) . التنبيه والرد للملطي ص : ٥٥ .

إبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ .

(٢) انظر أجوبة ابن خلفون ص ٩ .

(٣) انظر الفصل : ٤ / ١٩١ .

(٤) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٨ . ٥٠ .

(٥) الملل والنحل : ١ / ١٣٤ .

الخوارج . وإنما بعض علماء الإباضية المتقدمون أيضا إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج .

ولكن بالرجوع إلى ما كتبه بعض علماء الإباضية مثل أبي إسحاق أطفيش وعلي يحيى معمر نجد أنهم يتبرؤن من تسمية الإباضية بالخوارج براءة الذئب من دم يوسف .

ولقد خاض علي يحيى معمر في كتبه « الإباضية بين الفرق الإسلامية » و « الإباضية في موكب التاريخ » وغيرها خاص غمار هذه القضية وتفاني في رد كل قول يجعل الإباضية من الخوارج . وهاجم جميع علماء الفرق المتقدمين منهم والمتأخرين على حد سواء واعتبر عداهم للإباضية من الخوارج ظلما وخطأ تاريخيا كبيرا ، لأن تاريخ الخوارج عنده يبدأ من سنة ٦٤ هـ بقيام نافع بن الأزرق فمن بعده وسمى ما قام به المحكمة الأولى فتنا داخلية ، ونفى وجود أى صلة ما بين المحكمة الأولى والخوارج بقيادة نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وغيرهما من الخوارج كما تقدم. (١) .

ولا شك أن هذا القول فيه مغالطة خاطئة ذلك أن الأحداث متسلسلة ومرتبطة من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق بحيث يظهر أن الأولين هم سلف الخوارج .

والحقيقة أن ظهور نافع بن الأزرق كان على طريقة من سبقه في الخروج إلا أنه ساعدته الظروف بحيث تغير وضع الخوارج من جماعات صغيرة تنور هنا وهناك إلى جماعات كبيرة هزت الدولة الأموية هزاً عنيفا في فترات متقطعة .

وزعم علي بن يحيى معمر أن لفظة الخوارج كاصطلاح على جماعة ، لم يكن معروفا بين الصحابة وهذا غير صحيح ، لأن لفظة الخوارج وردت في

(١) انظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ ر ٣٨٣ « الإباضية في موكب التاريخ » ص

٦٢ كلاهما لعلي يحيى معمر .

الأحاديث وفي كلام الصحابة كثيرا كعلي وعائشة وابن عباس وغيرهما من الصحابة . .

وتعجب جدا حينما ترى تعليلا أطفيش وتبعه علي يحيى معمر لمعركة النهروان بين علي والمحكمة الأولى .

فهو لا يرى أن السبب فيها خروج أولئك عن الطاعة وسفكهم الدماء وإرهاب المسلمين ، بل إن السبب في حرب عليّ لهم كما يري هو أن القيادة أو الخلافة أسندت إلى أزدي - ابن وهب - لا إلى قرشي ، فحاربهم علي عصبية لقريش. (١).

فهل عليّ كان واثقا من بقاء الخلافة لنفسه - وهو في حالة حرب مع معاوية حتى يحارب لبقاء الخلافة في قريش .

ثم لو كان الأمر عصبية لقريش فلماذا لم يترك حرب معاوية ويسلمه الخلافة وهو قرشي . هذا أمر واضح لولا أن التعصب الذي يحمله بعض علماء الإباضية على علي رضي الله عنه هو الذي أدى بهم إلى هذا الخلط في الفهم وتغيير وقلب الحقائق .

ونذكر فيما يلي بعض النصوص من كلام علماء الإباضية حول الخوارج :

قال مؤلف كتاب الأديان وهو أباضى : « الباب الخامس والأربعين في ذكر فرق الخوارج ، وهم الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب لما حكم ثم أخذ يذكر الخوارج بهذا الاسم في أكثر من موضع من هذا الكتاب على سبيل المدح قائلا : هو أول من أنكر المنكر على عمل به وأول من أبصر الفتنة وعابها على أهلها . لا يخافون في الله لومة لائم قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى » إلى أن يقول : -

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٧٠ وانظر « عمان تاريخ يتكلم » ص ١٠٥ - ١٠٦ .

« وتابعت الخوارج وافترقت إلى ستة عشر فرقة بفرقه أهل الاستقامة يعنى الإباضية» (١) .

ويقول نور الدين السالمي عن الخوارج : « لما كثر بذل نفوسهم في رضئ ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سموها خوارج وهو جمع خارجة وهى الطائفة التى تخرج في سبيل الله . وكان اسم الخوارج في الزمان الأول مدحا لأنه جمع خارجة وهى الطائفة التى تخرج للغزو فى سبيل الله » (٢) .

ويقول صاحب كتاب : « وفاء الضمانة » الأباضى « وكان الصفرية - احدى فرق الخوارج - مع أهل الحق منا فى النهروان » . (٣) .

ولا أدرى معنى لهذا الحرص من بعض الإباضية على عدم دخولهم فى دائرة الخوارج . فإذا كانت الإباضية - كما هو معروف - تتولى المحكمة ويعتبرونهم سلفا صالحا لهم وينفون عنهم اسم الخارجية فلماذا حين تذكر بعض كتبهم لفظة المحكمة وتفسرها بين قوسين « بالخوارج » كما فعل السالمى فى كتابه « عمان تاريخ يتكلم » والأغرب من هذا أنه يسمى الخوارج فى العصر العباسى بالمحكمة كما نرى فى نص كلامه حين يقول موازنا بين قوة الخوارج فى الدولتين الأموية والعباسية يقول :

« ولم تكن قوة المحكمة » أو « الخوارج » فى العصر العباسى كما كانت فى العهد الأموى » .

ثم يمضى المؤلف المذكور ذاكرا شواهد من مناوئة المحكمة أو الخوارج للعباسيين ويمثل للخوارج بأئمة الإباضية المعتبرين عندهم مما يدل على أن لا فرق

(١) قطعة من كتاب فى الأديان المؤلف أباضى مجهول الاسم ص : ٩٦ .

(٢) نقله عنه على يحيى معمر الأباضى كما تقدمت الإشارة إليه .

انظر : ص ٣٨٤ من كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية .

(٣) وفاء الضمانة بأداء الأمانة للعيزابى : ٣ / ٢٢ .

بين الخوارج والإباضية فى التسمية والمبايدىء . (١) .

ومن هنا يتبين لنا أن تسميتهم باسم الخوارج قديمة وجدت قبل ظهور الأزارقة سواء كان ذلك من التنبأ بظهورهم على لسان النبى ﷺ أو فى ترديد هذا الاسم على لسان عليّ رضى الله عنه أو على ألسنة غيره من الناس وعلى ألسنة بعض علماء الإباضية أيضا وعلى هذا فلا يخطيء من الحق تسمية الإباضية بالخوارج - ويقى ما امتاز به الإباضية من تسامح - أو تسامح أغليبتهم - تجاه مخالفهم قائما وثابتا لهم رغم ما يظهر أحيانا فى بعض كتب الإباضية من الشدة والقسوة تجاه المخالفين لهم والحكم عليهم بالهلاك والخسران كما يقرره الوارجلاني منهم فى كتابه الدليل لأهل العقول .

٤ - فرق الإباضية

انقسمت الإباضية إلى فرق منها ما يعترف به سائر الإباضية ومنها ما ينكرونها ويشنعون على من ينسبها إليهم ومن تلك الفرق :

١ - الحفصية : أتباع حفص بن أبى المقدم .

٢ - اليزيدية : أتباع يزيد بن أنيسة .

٣ - الحارثية : أتباع حارث بن يزيد الأباضي .

٤ - أصحاب طاعة لا يراد بها الله . (٢) .

ولهذه الفرق من الأقوال والاعتقادات ما لا يشك مسلم فى كفرهم وخروجهم عن الشريعة الإسلامية .

ورغم أن علماء الفرق قد أثبتوا نسبتها إلى الإباضية إلا أن عليّ معمر - فى

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١١٧ ، ١٢٠ .

(٢) انظر مقالات الأشعري : ١ / ١٨٣ ، الفرق بين الفرق للبغدادى : ص ١٠٥ ، ٢٧٩ .

كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية - أخذ يصول ويجول وينفى وجود هذه الطوائف عند الإباضية أشد النفي ويزعم أن علماء الفرق نسبوها إلى الإباضية ظلما وخطأ (١) وهذا الرد منه لا يسلم له على إطلاقه لأن إنحراف هذه الفرق في آرائهم لا يقوم دليلا قاطعا على عدم انتسابهم إلى الإباضية إذ يجوز أن يكون هؤلاء الزعماء كانوا في صفوف الإباضية ثم انفصلوا عنهم بآرائهم الشاذة وتظل نسبتهم إلى الإباضية ثابتة في الأصل ، كما أنه لا يمنع أن يخرج بعض أفراد المذهب عن عامة أهل المذهب وتبقى نسبتهم إليهم ولو مجرد التسمية - ثابتة - وإضافة إلى تلك الفرق السابقة فإنه يوجد ست فرق أخرى للأباضية في المغرب هي :

١ - فرقة النكار : زعيمهم رجل يسمى أبو قدامة يزيد بن فندين الذي ثار في وجه إمام الإباضية بالمغرب عبد الوهاب بن رستم .

وسميت هذه الفرقة بالنكارية لإنكارهم إمامة ابن رستم .

وقد سميت الفرقة الموافقة لعبد الوهاب بن رستم « بالوهابية أو الوهبية » .

٢ - النفاثية : نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي المعروف بالنفاث ونفوسة قرية تقع في ليبيا .

٣ - الخلفية : نسبة إلى خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي كانت له مناوشات مع الدولة الرستمية .

٤ - الحسينية : وزعيمهم رجل يسمى أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي .

٥ - السكاكية : نسبة إلى زعيمهم عبد الله السكاك اللواتي من سكان قنطرار تميز بأقوال تخرجه عن الإسلام وقد تبرأت منه الإباضية .

٦ - الفرثية : زعيمهم أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح .

ونفس الموقف السابق لعليّ يحيى بن معمر من الفرق السابقة وقفه أيضا ضد

(١) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٣ .

هذه الفرق وأنكر أن تكون من الإباضية وشكك في وجود بعض هذه الفرق فضلا عن نسبتها إلى الإباضية (١). إلا أن كثيرا من العلماء يذكرون أن هذه الفرق هي ضمن الإباضية بالمغرب ...

٥. دولة الإباضية

قامت للإباضية دولتان أحدهما في المغرب والأخرى في المشرق - عمان - تتمتع المذهب الإباضي فيهما بالنفوذ والقوة .

وساعد انتشار المذهب الإباضي في عمان بعدها عن مقر الخلافة ثم مسالكها الوعرة .

ويرجع دخول المذهب الإباضي عمان إلى فرار بعض الخوارج بعد معركة النهروان إلى هذا البلد كما يرى بعض العلماء .

ولكن السالمي من علماء الإباضية يرى أن دخول المذهب إلى عمان يرجع إلى قدوم عبد الله بن أباض .

وعلى أي حال فقد قوى المذهب وأراد أهل عمان الاستقلال عن الخلافة العباسية في عهد السفاح والمنصور وانتخبوا لهم خليفة هو الجلندي بن مسعود بن جيفر الأزدي إلا أن جيوش الخلافة العباسية قضت على حلم أهل عمان وظلت جزءا من الدولة العباسية إلى سنة ١٧٧ هـ حيث بدأت نزعة الاستقلال وولوا عليهم سنة ١٧٩ هـ إماما منهم واستمرت ولاتهم في الحكم في عمان ابتداء بأول خليفة وهو محمد بن أبي عفان الأزدي ثم الوارث بن كعب الخروصي ثم غسان بن عبد الله ثم عبد الملك بن حميد ثم المهنا بن جيفر اليحمدي ثم الصلت بن مالك الخروصي ثم راشد بن النظر اليحمدي الخروصي ، ثم عزام بن تميم الخروصي ثم سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ثم راشد

(١) انظر كتاب الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٥٨ ، ٢٧٨ .

ابن الوليد ثم الخليل بن شاذان ثم محمد بن علي ثم راشد بن سعيد ثم عامر بن راشد بن الوليد^(١) .

وبعده محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي . والخليل بن عبد الله ومحمد بن أبي غسان وموسى بن أبي المعالي وخنش بن محمد والحواري بن مالك وأبو الحسن بن خميس وعمر بن الخطاب بن محمد ومحمد بن إسماعيل الماضري وبركات بن محمد بن إسماعيل . ثم جاءت أئمة اليعاربة الذين قوى نفوذهم جدا واستمروا إلى أن حدثت الانشقاقات والتفرق بينهم فتدخلت الدول الاستعمارية وقضت على الإمامة^(٢) .

أما بالنسبة لدولة الإباضية في المغرب فإن قيام هذه الدولة كان نتيجة لانتشار المذهب الإباضي هناك بين قبائل البربر .

ولقد كانت البصرة هي احدي القواعد الأساسية لدعاة المذهب الإباضي حيث يتخرج منها دعاة هذا المذهب وينتشرون في أماكن كثيرة وتعتبر المرجع لجميع الإباضية في كل مكان إذ يأتون إليها ويتزودون منها علما وخططا لنشر مذهبهم وإقامة حكمهم في ذلك الوقت وفد إليها رجال هذا المذهب ثم خرجوا إلى المغرب وأسسوا دولتهم إلى جانب دولة الصفرية الخارجية .

وطريقة قيام المذهب الإباضي تمت بوضع خطة للقبض على زمام السلطة شيئا فشيئا وكان أول زعيم لهم هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري . فاستولوا على طرابلس ثم عين عبد الرحمن الرستمى قاضيا عليها وواصل أبو الخطاب إنتصاراته ولكن جيش الخلافة العباسية دحرهم في معركة قتل فيها أبو

(١) مخطوطة المازغينني في افتراق فرق الإباضية الست بالمغرب ص ١ - ٧ وانظر تعليق أبي إسحاق على كتاب الوضع للجنائوني وانظر كذلك كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية: ١٤٨/٢ ر ١٥٢، ١٦٧، ١٧٤، ١٠٢، ١١٢، ٢٠٦ .

(١) انظر كتاب « عمان تاريخ يتكلم » ص ١٣١ للسالمي ، وكتاب « الأزهار الرياضية للباروني»: ٢ / ٢ والكامل لابن الأثير: ١٩٢/٥ - ١٩٤ .

الخطاب وتفرقت الإباضية ، ثم قام عبد الرحمن الرستمي الذي يعتبر مؤسس الدولة الرستمية الإباضية في المغرب بمحاولات الاستقلال وتمت له السيطرة على أماكن كثيرة وسلموا عليه بالخلافة سنة ١٦٠ هـ وهو فارسي الأصل . وقد توفي سنة ١٧١ هـ فاختروا ابنه عبد الوهاب الذي واصل تنمية المذهب واجتمعت عليه الكلمة إلى أن مات فخلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب وسار على طريقة والده وأحبه الناس وبعد وفاته تولى ابنه أبو اليقظان محمد بن أفلح فأحب الناس سيرته إلى أن توفي فخلفه ابنه أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح إلا أن العلاقة ساءت بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح ودارت بينهم معارك هائلة ومن هنا بدأت الدولة الرستمية في الأفول وداهمت الشيعة بقيادة أبي عبيد الله الشيعي وانتهت أسرته في سنة ٢٩٦ هـ فرثاهم علماء الإباضية كثيرا . (١) .

٦- موقف الإباضية من المخالفين لهم

أ- موقفهم من سائر المخالفين لهم

تتسم معاملة الإباضيين لمخالفينهم باللين والمسامحة وجوزوا تزويج المسلمات من مخالفينهم .

وهذا ما يذكره علماء الفرق عنهم إضافة إلى أن العلماء يذكرون عنهم كذلك أن الأباضة تعتبر المخالفين لهم من أهل القبلة كفار نعمه غير كاملين الإيمان ولا يحكمون بخروجهم من الملة إلا أن هذا المدح ليس بالاتفاق بين العلماء فهناك من يذكر عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفينهم محاربون لله ولرسوله وأنهم يعاملون المخالفين لهم أسوأ المعاملة والحقيقة أن القاريء لكتب علماء الفرق يجد أنهم متعارضون في النقل عنهم إلا أن يقال أن طائفة من الإباضية معتدلون وآخرون متشددون . ولهذا وجد على يحيى معمر ثغرة في كلام علماء الفرق

(١) انظر الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية . الجزء الثاني في عدة صفحات منه .

ليصفهم بالتناقض والاضطراب في النقل إلى آخر ما أورد من انتقادات لا تسلم له على إطلاقها وذلك أنك تجد في بعض كلام علماء الإباضية أنفسهم الشدة في الحكم على المخالفين لهم ووصفهم بأنهم كفار وأنهم من أهل النار ما لم يدينوا بالمذهب الإباضي وتجد آخرين يتسامحون في معاملة المخالفين لهم ويبدو عليهم اللين تجاههم .

وتجد التعصب في حكمهم على مخالفيهم ظاهراً قويا من قراءتك لكتاب مقدمة التوحيد لابن جميع وكتاب الحجّة في بيان الحجّة في التوحيد بلا تقليد للعيزابي ورسالة في فرق الإباضية بالمغرب للمارغيني وكتاب الدليل لأهل العقول للورجلاني وكذا العقود الفضية وكشف الغمة للجامع لأخبار الأمة فإن القاريء لهذه الكتب يجد التشدد تجاه المخالفين قائما على أشده كما تشهد بذلك مصادرهم المذكورة . ومع هذا فإن العلماء المتقدمون وكثير من المتأخرين يذكرون عبارات كثيرة تصف الإباضية بالتسامح واللين تجاه المخالفين ممن يدعون الإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى وحرابه ومع ذلك نفى عليّ يحيى معمر أن يكون من مذهب الإباضية أنهم يرون أن معسكر السلطان معسكر بغى وحرابه ولكنه وهو يقسم حكام المسلمين في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية جعل هذا الوصف ينطبق على الحاكم الذي يخرج عن العدل ولا يطبق أحكام الإسلام كاملة (١).

ومن خلال الأمثلة الآتية من كلام العلماء حول موقف الإباضية من المخالفين لهم تجد مصداق ما قدمنا إجماله فيما يلي :

١ - اللين والتسامح مع المخالفين

أ - ما قاله عنهم كتاب الفرق .

ب - ما قالوه هم في كتبهم .

(١) انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧ - ٢٨ .

أما ما قاله علماء الفرق عنهم: فمثلا نجد أن الأشعري يقول :
« وأما السيف فإن الخوارج جميعا تقول به وتراه إلا أن الإباضية لا ترى
اعتراض الناس بالسيف » (١) .

وقال أيضا « وجمهور الإباضية يتولى المحكمة كلها إلا من خرج ويزعمون
أن مخالفهم من أهل الصلاة كفار ليسوا بمشركين » (٢) .

ثم قال عنهم كذلك « وزعموا أن الدار - أى دار مخالفهم - دار توحيد إلا
معسكر السلطان فإنه دار كفر يعنى عندهم » (٣) .

إلى أن قال : « وفى المعركة لا يقتلون النساء ولا الأطفال على عكس ما
يفعله الأزارقة » (٤) .

أما البغدادى والشهرستانى فيذكران عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفهم
براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار » (٥) .

وأما ما قالوه هم عن أنفسهم فنجد صاحب كتاب الأديان الأباضية وهو
يعدد آراء الأحنس - زعيم فرقة الأحنسية -

« وجوز تزويج نساء أهل الكبائر من قومهم على أصول أهل الإستقامة » (٦) .

ونجده كذلك يؤكد على أنه لا يجوز من أهل القبلة إلا دماءهم فى حالة
قيام الحرب بينهم وبين الإباضية (٧) .

ويأتى أبو زكريا الجناوى فيؤكد أنه يجوز معاملة المخالفين معاملة حسنة غير
أنه ينبغي أن يدعوا إلى ترك ما به ضلوا فإن أصروا ناصبهم إمام المسلمين الحرب

(١) المقالات ج ١ ص - ٢٠٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٥ .

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٠٣ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤ .

(٦) كتاب الأديان ص - ١٠٥ .

(٧) المصدر السابق ص - ٩٩ .

حتى يدعوا للطاعة ولا يحل منهم غير دمائهم» (١) .

وهناك نصوص فى مسامحة الإباضية للمخالفين لهم من حسن المعاملة وعدم اغتيالهم أو استعراضهم وتحريم أموالهم .

يذكرها عنهم علي يحيى معمر مع عزوها إلى قائلها فى كتابه « الإباضية بين الفرق الإسلامية » فى معرض نقده كلام علماء الفرق عن الإباضية (٢) لا نرى ضرورة للتطويل بنقلها هنا .

٢ - الشدة على المخالفين :

١ - ما يقوله عنهم علماء الفرق :

يقول البغدادي عنهم أنهم يرون أن المخالفين لهم « كفار وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم فى السر واستحلوها فى العلانية ... وزعموا أنهم فى ذلك محاربون لله ولرسوله لا يدينون دين الحق وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض والذى استحلوه الخيل والسلاح فأما الذهب والفضة فإنهم يردونها على أصحابها عند الغنيمة » (٣) .

وكان الأشعري قد سبق إلى قوله عنهم

« وقالوا جميعاً أن الواجب أن يستتيبوا من خالفهم فى تنزيل أو تأويل فإن تاب وإلا قتل كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله وفيما لا يسع (٤) » .

٢ - ما قالوه هم فى كتبهم :

روى الجيظالي الأباضى عن الإمام عبد الوهاب .

« أنه قال سبعون وجهاً تحل بها الدماء فأخبرت منها لأبى مرداس بوجهين

(١) انظر كتاب الوضع للجنائوي . (٢) انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٣٥ - ٣٨٥ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٣ . (٤) المقالات ج ١ ص ١٨٦ .

فقال من أين هذا من أين هذا ؟

وفى كتاب سير المشائخ أن الإمام كان يقول : عندى أربعة وعشرون وجها
تحل بها دماء أهل القبلة ولم تكن منهم عند أبى مرداس رحمه الله إلا أربعة أوجه
وقد شدد على فيهم» (١).

ويقول المارغيني منهم « وقالت المشائخ أن هذا الدين الذي دنا به الوهبية من
الإباضية من الحكمة دين المصطفى ﷺ هو الحق عند الله وهو دين الإسلام من
مات مستقيماً عليه فهو مسلم عند الله ، ومن شك فيه فليس على شيء منه ،
ومن مات على خلافه أو مات على كبيرة موبقة فهو عند الله من الهالكين
أصحاب النار». (٢)

وقال العيزابي منهم « الحمد لله الذى جعل الحق مع واحد في الريانات
فنقول معشر الإباضية الوهابية الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا لأن
الحق عند الله واحد ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا
خطأ يحتمل الصدق» (٣).

ولا يقل الوارجلاني تشددا عن من سبق فهو يقول :

فإن قال قائل هذه أمة أحمد ﷺ قد قضيتم عليها بالهلاك وبالبدعة والضلال
وحكمتم عليها بدخول النار ما خلا أهل مذهبكم قلنا إنما قضاه رسول الله ﷺ
لا نحن بقوله حيث يقول ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار
ما خلا واحدة ناجية كلهم يدعى تلك الواحدة» (٤).

وهناك نصوص كثيرة أخرى في تزكية مذهبهم وبطلان ما عداه من
المذاهب وأن الله لا يقبل أى دين غير دين الإباضية الذهبية عن صاحب العقود

(١) قواعد الإسلام ص ١٠٥ . (٢) رسالة في فرق الإباضية للمغرب ص ١٣ .

(٢) الحجّة في بيان الحجّة في التوحيد بلا تقليد ص ٣٧ .

(٤) تقدم تخريج الحديث وذكر ألفاظه وهو في كتاب الدليل لأهل العقول ص ٣٥ - ٣٦ .

الفضية^(١) والسالمى^(٢) وجاعدين خميس الخروصي^(٣). وصاحب كشف الغمة^(٤)
وصاحب النيل وشفاء العليل^(٥) وابن جميع^(٦) وغيرهم من علماء الإباضية .

ب - موقف الإباضية من الصحابة

موقف الإباضية من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم :

من الأمور المتفق عليها عند سائر الخوارج الترضى التام والولاء والاحترام
للخليفين الراشدين أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما لم تخرج فرقة منهم عن
ذلك .

أما بالنسبة للخلفين الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب
رضى الله عنهما فقد هلك الخوارج فيهما وذهوما مما برأهما الله عنه .

والذى يهمنا أن نشير هنا إلى رأى الإباضية فى الصحابة رضوان الله عليهم
بايجاز تاركين تفصيل الحجج والردود عليها لمقام آخر :

١ - موقف الإباضية من عثمان رضى الله عنه

من الأمور الغريبة جدا أن تجد ممن يدعى الإسلام ويؤمن بالله ورسوله من
يقع فى بغض الصحابة خصوصا من شهد له الرسول ﷺ بالجنة وثبتت بذلك
النصوص فى حقه .

فعثمان رضى الله عنه صحابى جليل شهد له الرسول ﷺ - بالجنة - . أما
بالنسبة للخوارج فقد تبرأوا منه ومن خلفته بل وحكموا عليه بالارتداد والعياذ
بالله وحشاه من ذلك .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٤) كشف الغمة ص ٣٠٦ .

(٥) انظر النيل وشفاء العليل ص ١٠٦١ ١٠٦٢ ج ٣ .

(٦) مقدمة التوحيد ص ١٩ .

وفي كتاب كشف الغمة لمؤلف أباضي من السب والشتيم لعثمان مالا يوصف ولم يكتف بالسب والشتيم وإنما اختلق روايات عن بعض الصحابة يسبون فيها عثمان بزعمه ويحكمون عليه بالكفر^(١)، ولا شك أن هذا بهتان عظيم منه .

ويوجد كذلك كتاب في الأديان^(٢) وكتاب آخر اسمه « الدليل لأهل العقول»^(٣) للورجلاني ، فيهما أنواع من السباب والشتيم لعثمان ومدح لمن قتلوه حيث سماهم « فرقة أهل الاستقامة » وهم في الحقيقة بغاة مارقون لاستقامة لهم إلا على ذلك وأما بالنسبة لموقفهم من علي رضي الله عنه :

فإنه يتضح موقفهم منه بما جاء في كتاب كشف الغمة تحت عنوان فصل من كتاب الكفاية قوله : فإن قال ما تقولون في علي بن أبي طالب ، قلنا له أن عليا مع المسلمين في منزلة البراءة وذكر أسبابا - كلها كذب - توجب البراءة منه في زعم مؤلف هذا الكتاب منها حربه لأهل النهروان وهو تحامل يشهد بخارجيته المذمومة .

وقد ذكر لرويمر عن موقف المطاوعة جماعة متشددة في الدين - كما يذكر قوله « ويعتقد المطوعون أن الخليفة عليا لم يكن مسلما على الإطلاق بل كان كافرا»^(٤).

كما تأول حفص بن أبي المقدم بعض آيات القرآن على أنها واردة في علي وقد كذب حفص^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن علي يحيي معمر - المدافع القوي عن الإباضية يزعم أن الإباضية لا يكفرون أحدا من الصحابة وأنهم يترضون عن علي رضي الله

(٢) كتاب الأديان ص ٢٦ - ٢٧ .

(٤) دليل الخليج : ٦ / ٣٤٠٦ .

(١) كشف الغمة ص ٢٦٨ .

(٣) الدليل لأهل العقول ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥) انظر المقالات : ١ / ١٨٣

عنه فهو ينقل عن كتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة مدحاً وثناءً لعلی (١) وأورد علی یحیی معمر فصلاً طويلاً بين فيه اعتقاد الإباضية فى الصحابة بأنهم يقدر ونهم حق قدرهم ویترضون عنهم ويسكتون عما جرى بينهم ونقل عن أبى إسحاق أظفیش فى رده علی الأستاذ محمد بن عقيل العلوى أنه قال له : أما ما زعمت من شتم أهل الاستقامة لأبى الحسن علی وأبنائه فمحض اختلاق .

ونقل عن التعاريتى أيضاً مدحه للصحابة خصوصاً علياً وأبنائه وكذلك التندميرى الأباضى .

وأخيراً قال علی یحیی معمر « ولم يكن يوماً من الأصحاب شتم له أو طعن اللهم إلا من بعض الغلاة وهم أفذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب » (٢). وهذه الحقيقة التى اعترف بها أخيراً تجعل ما ملأ به كتابه « الأباضية بين الفرق من الشتائم علی كل كتاب الفرق غير صحيح فما الذى يمنع أن يكون نقل هؤلاء العلماء يصدق علی أقل تقدير علی هؤلاء الأفذاذ الذين أشار إليهم مع أن ما يذكره علی یحیی معمر لا يتفق مع النصوص المستفيضة عن علماء الإباضية فى ذمهم لبعض الصحابة فهل الورد جلانى يعتبر علی حد التعبير السابق ليحیی معمر من الغلاة المتشددین وهو من هو فى صفوف الإباضية فهذا الرجل يواصل فى كتابه الدليل لأهل العقول تكفيره وشمته لمعاوية رضى الله عنه ولعمرو بن العاص بل قد قال زعيم الإباضية عبد الله ابن أباض نفسه فى كتابه لعبد الملك عن معاوية ويزيد وعثمان كما يرويه صاحب كشف الغمة . « فإننا نشهد الله وملائكته أنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا نعيش علی ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله وكفى بهذا خروجاً .

وصاحب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة يشتم الحسن والحسين رضى الله

(١) وفاء الضمانة : ٢٢/٣ . (٢) الأباضية بين الفرق ص ٢٨٧ .

عنهما وأوجب البراءة منهما بسبب ولايتهما لأبيهما على ظلمه وغشمه - كما يزعم - كذلك بسبب قتلها عبد الرحمن بن ملجم وتسليمهما الإمامة لمعاوية وهي أسباب لا يعتقد هل لا من عرف الصحابة الذين شهد الله ورسوله لهم بالسابقة والفضل ولكن انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.. وصدق الشاعر حين قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

ونفس الموقف الذي وقفه الخوارج عموماً والإباضية أيضاً من الصحابة السابقين وقفوه أيضاً من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأوجب لهما الورجلاني النار^(١) ، وقد بشرهما الرسول ﷺ بالجنة وهؤلاء يوجبون عليهما النار فسبحان الله ما أجرأ أهل البدع والزيف على شتم خيار الناس بعد نبيهم الذين نصرُوا الإسلام بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ومات الرسول ﷺ وهو راض عنهم قال النبي ﷺ :

« لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »^(٢) وأنه لما يحار فيه الشخص هذا الموقف من صحابة رسول الله ﷺ ، فإذا كان أحص أصحاب محمد ﷺ غير مرضين عند هذه الطوائف من خوارج وشيعة فمن المرضي بعد ذلك ؟

٧ - عقائد الإباضية

من الأمور الطبيعية أن تخرج هذه الفرقة وغيرها من الفرق عن المعتقد السليم في بعض القضايا ما دامت قد خرجت عن أهل السنة والجماعة وارتكبت التأويل ولا بد كذلك أن توجد لها أقوال فقهية تخالف فيها الحق إلى جانب أقوالهم في العقيدة ، ولا يسعنا هنا ذكر جميع مبادئ فرقة الإباضية العقديّة

(١) انظر: كشف الغمة ص ٤٠٤ . الدليل لأهل العقول ص ٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم ٧ / ١٨٨ .

و الفقهية فهذا له بحث مستقل خصوصاً ما يتعلق بالمسائل الفقهية فإن دارس الفرق قلما يوجه همه إلى إيضاحها وتفصيلاتها إلا عند الضرورة .
والذى نود الإشارة إليه هنا أن للأباضية أفكار عقديّة وافقوا فيها أهل الحق، وعقائد أخرى جانبوا فيها الصواب .

١- أما ما يتعلق بصفات الله تعالى : فإن مذهب الإباضية فيها أنهم انقسموا إلى فريقين : فريق نفى الصفات نفياً تاماً خوفاً من التشبيه بزعمهم ، وفريق منهم يرجعون الصفات إلى الذات فقالوا أن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلخ الصفات فالصفات عندهم عين الذات ، قال أحمد بن النضر :

وهو السميع بلا أداة تسمع	إلا بقدره قادر وحداني
وهو البصير بغير عين ركبت	في الرأس بالأجفان واللحظان
جل المهمين عن مقال مكيف	أو أن ينال دراكه بمكان
أو أن يحيط به صفات معبرس	أو تعتربه هماهم الوسنان(١).

ويقول السالمى :

أسماءه وصفات الذات	ليس بغير الذات بل عينها فافهم ولا تحلا
وهو على العرش والأشياء استوى	وإذا عدلت فهو استواء غير ما عقلا
وإنما استوى ملك ومقدرة	له على كلها استيلاء وقد عدلا
كما يقال استوى سلطانهم فعلى	على البلاد فحاز السهل والجبل(٢).

وقال العيزابى منهم « الحمد لله الذى استوى على العرش أى ملك الخلق واستولى عليه وإلا لزم التحيز وصفات الخلق » (٣) .

وهذا في حقيقته نفى للصفات ولكنه نفى مغطي بحيله إرجاعها إلى الذات وعدم مشابقتها لصفات الخلق وقد شنع الوردجلانى منهم على الذين يثبتون

(٢) غاية المراد ص : ٧ .

(١) كتاب الدعائم ص : ٣٤ .

(٣) الحجّة فى بيان المحجّة ص ٦ ، ١٨ .

الصفات بأنهم مشبهة كعباد الأوثان وأن مذهب أهل السنة هو - حسب زعمه - تأويل الصفات فاليد النعمة والقدرة والوجه الذات ومجىء الله مجىء أمره لفصل القضاء لأن إثبات هذه الصفات لله هو عين التشبيه كما يزعم (١).

ومعلوم لطلاب العلم أن هذا ليس هو مذهب السلف الذين يثبتون الصفات لله كما وصف نفسه في كتابه الكريم ووصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل . قال ابن تيمية في بيان مذهب السلف: «أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» .

ويقول ابن القيم :

« لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء ، وأخبر عن نفسه بأفعال وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط ويجيء ويأتي وينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه استوى على عرشه ، وأن له علما وحياة وقدرة وإرادة وسمعا وبصرا ووجها ، وأن له يدين وأنه فوق عباده وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتقين ، وأن السموات مطويات بيمينه ، ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك» . (٢)

فهل يعتبر هذا الوصف تشبيه لله بخلقه ؟

﴿ قل أنتم أعلم أم الله ﴾ (٣) .

وطريقة السلف في إثبات كل صفة لله أنهم يقولون فيها أنها معلومة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . وأن الله ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾ .

(١) الدليل لأهل العقول ص : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ١٤٠ .

(٣) مختصر الصواعق المرسله من ص ٦ إلى ص ٢٩ .

وهذه الآية أساس واضح في إثبات الصفات لله ولم ير أهل السنة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التشبيه لمعرفةهم أن الإتفاق في التسمية لا يستلزم الاتفاق في الذات فالله سميع وبصير والإنسان سميع بصير وبين الذاتين ما يعرفه كل عاقل من الفرق ومن تصور التشبيه فقد جمع بين التشبيه والتعطيل .

والحاصل أن الإباضية هنا وافقوا المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أهل الفرق في باب الصفات معتمدين على عقولهم وعلى شبهات وتأويلات باطلة على أن الإباضية أنفسهم مختلفون في إثبات صفات الله تعالى فأباضية المشرق يختلفون عن أباضية المغرب ذلك أن أباضية المشرق تعتقد أن صفات الله تعالى حادثة وأباضية المغرب تعتقد أنها قديمة وبين الفريقين من التباعد في هذا ما لا يخفى (١).

٢- وأما عقيدة الإباضية في استواء الله وعلوه ، فإنهم يزعمون أن الله يستحيل أن يكون مختصا بجهة ما بل هو في كل مكان وهذا قول بالحلول وقول الغلاة الجهمية ولهذا فقد فسر الإباضية معنى استواء الله على عرشه باستواء أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه أو استواء ملك ومقدرة وغلبة وإذا قيل لهم لما خص العرش بالاستيلاء والغلبة أجابوا بجواب واه قالوا لعظمته ، وقد خرجوا بهذه التأويلات عن المنهج الشرعي إلى أعمال العقل واللغة بتكلف ظاهر مخالف للاعتقاد السليم والمنطق والفطرة .

٣- وذهبت الإباضية في باب رؤية الله تعالى إلى إنكار وقوعها لأن العقل - كما يزعمون - يحيل ذلك ويستبعده واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ وأولوا معنى الآية تأويلا خاطئا على طريقة المعتزلة .

ومن أدلتهم قوله تعالى ﴿ قال رب أرني أنظر إليك * قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾ (٢).

(١) انظر الأباضية عقيدة ومذهبا للدكتور صابر طعيمة ص ٣٥ .

(٢) سورة الأعراف : آية (١٤٣) .

واستدلوا من السنة بحديث عائشة حين سئلت عن الرسول ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسراء فأجابت بالنفى كما رواه صاحب وفاء الضمانة^(١) وقد أورد الربيع بن حبيب صاحب كتاب الجامع الصحيح أو مسند الربيع الذى هو عندهم بمنزلة صحيح البخارى ومسلم عند أهل السنة ويعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن الكريم- كما يزعمون . أورد عدة روايات عن بعض الصحابة - تدل على إنكارهم رؤية الله تعالى بزعمه^(٢) ..

والواقع أن كل استدلالاتهم التى شابها فيها المعتزلة ، إما استدلالات غير صحيحة الثبوت أو صحيحه ولكن أولوها على حسب هواهم في نفي الرؤية . فإن الآية الأولى ليس فيها نفي الرؤية وإنما نفي الإحاطة والشمول فالله يرى ولكن من غير إحاطة به عز وجل .

وقوله لموسى « لن تراني » أى فى الدنيا وقد علق الله إمكان رؤيته تعالى بممكن وهو استقرار الجبل .

وحديث عائشة إنما أرادت نفي أن يكون الرسول ﷺ رأى ربه فى ليلة الإسراء وليس المقصود نفي الرؤية مطلقا فهذا لم ترده أم المؤمنين ومن فهم النفي مطلقا فهو سىء الفهم جاهل بالنصوص .

وخلاصة القول في هذه المسألة أن رؤية الله تعالى تعتبر عند السلف أمرا معلوما من الدين بالضرورة لا يمارى فيها أحد منهم بعد ثبوتها في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ وفي أقوال الصحابة رضى الله عنهم وفي أقوال علماء السلف قاطبة رحمهم الله تعالى .

٤- ومن عقائد بعض الأباضية في كلام الله تعالى القول بخلق القرآن - بل حكم بعض علمائهم كابن جميع والورجلاني أن من لم يقل بخلق القرآن

(١) وفاء الضمانة ص ٣٧٦، ٣٧٧ . (٢) انظر: مسند الربيع بن حبيب: ٣/٣٥ .

فليس منهم. (١)

وقد عرف المسلمون أن القول بخلقه من أبطل الباطل إلا من بقى على القول بخلقه منهم وهم قلة شاذة بالنسبة لعامة المسلمين وموقف السلف واضح فيها وهو موقف إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وهو القول بأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ واليه يعود ولا يتسع المقام هنا لبسط شبه القائلين بخلقه وأدلة من يقول بعدم خلقه وردهم على أولئك المخطئين ومن قذف الله الإيمان والنور في قلبه يعلم أن الله تعالى تكلم بالقرآن وبلغه جبريل إلى النبي ﷺ والكلام صفة لله تعالى ، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن بعض الإباضية قد خرج عن القول بخلق القرآن كصاحب كتاب الأديان (٢) وكذا أبو النضر العماني (٣) وردا على من يقول بخلقه وبسطا الأدلة في ذلك وبهذا يتضح أن الإباضية قد انقسموا في هذه القضية إلى فريقين .

٥- وقد اعتدل الإباضية في مسألة القدر ووافقوا أهل السنة فأثبتوا القدر خيره وشره من الله تعالى وأن الله خالق كل شيء وأن الإنسان فاعل لأفعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها وبهذا المعتقد صرح زعمائهم كالنفوسي (٤) والعيزابي (٥) والسالمي (٦) وعلى يحيى معمر (٧) .

٦- وقد اختلف الإباضيون في إثبات عذاب القبر . فذهب قسم منهم إلى إنكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج . وذهب قسم آخر إلى اثباته قال النفوسي في متن التونية :

وأما عذاب القبر ثبت جابر وضعفه بعض الأئمة بالوهن (٨).

(١) مقدمة التوحيد ص ١٩ الدليل لأهل العقول ص : ٥٠ .

(٢) كتاب الأديان ص ١٠٤ .

(٣) كتاب الدعائم ص : ٣١ - ٣٥ .

(٤) متن التونية ص : ١٢ .

(٥) الحججة في بيان المحجة ص ٢٣ .

(٦) غاية المراد ص ٩ .

(٧) الإباضية بين الفرق ص ٢٤٨ .

(٨) متن التونية ص ٢٧ .

ومعتقد السلف جميعاً هو القول بثبوت عذاب القبر ونعيمه كما صحت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ومجرد الاستبعاد ليس بدليل .

٧- ويثبت الأباضيون وجود الجنة والنار الآن ويثبتون الحوض ويؤمنون بالملائكة والكتب المنزلة .

٨- وأما بالنسبة للشفاعة : فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة بل للمتقين وكان المتقى في نظرهم أحوج إلى الشفاعة من المؤمن العاصي . قال صاحب كتاب الأديان - والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين (١) .

وقال السالمي :

وما الشفاعة إلا للتعلى كما قد قال رب العلا فيها وقد فصلا (٢) .

وذكر الربيع بن حبيب روايات عن الرسول ﷺ تدل في زعمه على هذا المعتقد وقرر الحارثي في كتابه العقود الفضية تلك القضية. (٣) .

ومذهب أهل السنة أن الرسول ﷺ يشفع في عصاة المؤمنين أن لا يدخلوا النار ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه وثبت أن الله يقبل شفاعته في ذلك وشفاعة الصالحين من عباده بعضهم في بعض .

٩- وأما الميزان :الذى جاءت به النصوص وثبت أن له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيء وإن الله يفصل بين الناس في أمورهم ويقفون عند هذا الحد غير مثبتين ما جاءت به النصوص من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة. (٤) وعلى الصفات التي

(١) انظر : كتاب الأديان ص ٥٣ .

(٢) مسند الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح: ٣١/٤، ٣٤ .

(٤) متن التونية ص ٢٥ .

جاءت في السنة النبوية.

١٠- وكما أنكر الإباضية الميزان أنكروا كذلك الصراط وقالوا إنه ليس بجسر على ظهر جهنم (١) ، وذهب بعضهم - وهم قلة - إلى إثبات الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم حسبما نقله د / صابر طعيمه عن الجيطالي من علماء الإباضية (٢) والسلف على اعتقاد أن الصراط جسر جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطءا حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوى فيها .

١١- ووافق - معظم الإباضية - السلف في حقيقة الإيمان من أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٣) وقد خالف بعضهم فذهب إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص وقد نقل الدكتور صابر طعيمة بعض الأدلة من كتبهم على هذا الرأي (٤).

١٢- وزيادة الإيمان ونقصه مسألة خالف فيها الإباضية سائر الخوارج الذين يرون أن الإيمان جملة واحدة لا يتبعض وأن العبد يكفر ويذهب إيمانه بمجرد مواقفته للذنوب ويسمونه كافرا ومخلدا في النار في الآخرة إلا أن الإباضية مع موافقتهم للسلف في الحكم لكنهم يسمون المذنب كافرا كفر نعمة ومنافقا ، يقول إعوشت « فالكفر اذن عند الإباضية ينقسم إلى ما يلي :

١ - كفر نعمة ونفاق وبتمثل في المسلم الذي ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر أو جمع بينهما . » (٥) .

وفي الآخرة مخلد في النار إذا مات من غير توبة (٦) ، وكان الحال يقتضى أنهم لا يطلقون عليه كلمة الكفر ولا النفاق ولا يحكمون عليه بالخلود في النار

(١) انظر غاية المراد ص ٩ .

(٢) قناطر الخيرات : ٣١٨/١ - ٣١٩ نقلا عن الإباضية عقيدة ومذهبا ص ١٢٦ .

(٣) كتاب الأديان ص ٥٣ غاية المراد ص ٧ . (٤) الإباضية عقيدة ومذهبا ص ١١٦ - ١١٧ .

(٥) الإباضية بين الفرق - علي معمر ص ٢٨٩ ، غاية المراد ص ١٨ للسالمي .

(٦) متن التونية ص ١٨ .

بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ونجد هنا أن الإباضية وافقوا أيضا سائر الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار إذا مات قبل التوبة بناء على اعتقاد إنفاذ الوعيد لا محالة واستدلوا بسائر أدلة الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار وأهل السنة لا يرون ذلك بل يقولون إذا مات المذنب قبل التوبة فأمره إلى الله وهو تحت المشيئة ، ويقولون أيضا أن اخلاف الوعد مذموم وإخلاف الوعيد كرم وتجاوز .

١٣- وأما مسألة الإمامة والخلافة فقد ذكر بعض العلماء عن الإباضية في مسألة الإمامة والخلافة أن الإباضية يزعمون أنه قد يستغنى عن نصب الخليفة ولا تعود إليه حاجة إذا عرف كل واحد الحق الذي عليه للآخر، وهذا القول أكثر ما شهير عن المحكمة والنجدات ، وأما الإباضية فقد ذكر هذا القول عنهم. ج لوريمر في كتابه دليل الخليج^(١) ولكن بالرجوع إلى كتب الإباضية نجد أنهم ينفون هذا القول عنهم ويعتبرونه من مزاعم خصومهم عنهم وإن مذهبهم هو القول بوجوب نصب حاكم للناس ومن قال غير هذا عنهم فهو جاهل بمذهبهم على حد ما يقوله علماءهم كالسالمى وعلي يحيي معمر وغيرهما .

قال السالمى : « والإمامة فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال »^(٢) وموقفهم هذا يتفق مع مذهب أهل السنة فإنهم يرون وجوب نصب الحاكم حتى وإن كانوا جماعة قليلة ، فلو كانوا ثلاثة في سفر لوجب تأمير أحدهم كما دلت على ذلك النصوص الثابتة وأن من قال بالاستغناء عن نصب الحاكم فقد كابر عقله وكذب نفسه ورد عليه الواقع من حال البشر وصار ما يقوله من نسج الخيال وأدلته على الاستغناء مردودة واهية .

والخوارج كافة ينظرون إلى الإمام نظرة حازمة هي إلى الريية منه أقرب

(١) دليل الخليج لوريمر ٦ / ٣٣٠٣ وانظر الفصل لابن حزم : ٨٧/٤ .
(٢) الإباضية بين الفرق - على معمر ص ٢٨٩ ، غاية المراد ص ١٨ للسالمس .

ولهم شروط قاسية جدا قد لا تتوفر إلا في القليل النادر من الرجال وإذا صدر منه أقل ذنب فإما أن يعتدل ويعلن توبته وإلا فالسيف جزاؤه العاجل .
وقد جوز الإباضية كأهل السنة صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إذا تمت للمفضول ؛خلافًا لسائر الخوارج .(١) .

١٤- وجوز الإباضية التقية خلافاً لأكثر الخوارج(٢) . وقد أورد الربيع بن حبيب في مسنده روايات في الحث عليها تحت قوله «باب ما جاء في التقية» ومنه قال جابر سئل ابن عباس عن التقية فقال : قال النبي ﷺ : «رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما لم يستطيعوا وما أكرهوا عليه» قال : «وقال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عني ضرب سوطين إلا تكلمت بها وليس الرجل على نفسه بأمين إذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد»(٣) أى وهو يجد خلاصاً فى الأخذ بالتقية وبهذا نكتفى بما تقدم ذكره عن فرقة الإباضية .

(١) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٦٢ .
(٢) انظر مسند الربيع بن حبيب : ١٢ / ٣ .
(٣) مسند الربيع بن حبيب ج ٣ ص ١٢

الفصل التاسع

إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج

وتشمل المسائل الآتية :

خاض الخوارج - كغيرهم من الفرق - في مسائل اعتقادية إلا أن الخوارج بصفة خاصة لم تصل إلينا أكثر آراءهم من كتبهم وإنما وصلت إلينا من كتب أهل السنة وقد صح نقل أهل السنة وغيرهم من علماء الفرق الآخرين وقد ذكرنا فيما مضى السبب في قبولنا لتلك النقول عن الخوارج وفيما يلي نذكر أهم المسائل التي كان للخوارج فيها دور بارز :

١ - هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط

تعريف التأويل في اللغة :

يطلق التأويل في اللغة على عدة معاني منها التفسير والمرجع والمصير والعاقبة وتلك المعاني موجودة في القرآن والسنة قال الله تعالى ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ وقال الرسول ﷺ في دعائه لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ».

تعريفه في الاصطلاح : عند السلف له معنيين :

١ - يطلق بمعنى التفسير والبيان وإيضاح المعاني المقصودة من الكلام فيقال تأويل الآية كذا ؛ أى معناها .

٢ - ويطلق بمعنى المآل والمرجع والعاقبة فيقال هذه الآية مضى تأويلها وهذه لم يأت تأويلها .

والفرق بينهما : أنه لا يلزم من معرفة التأويل بمعنى التفسير معرفة التأويل الذى هو بمعنى المصير والعاقبة فقد يعرف معنى النص ولكن لا تعرف حقيقته كأسماء الله وصفاته فحقيقتها وكيفيتها كما هي غير معلومة لأحد بخلاف معانيها .

٣- وعند الخلف من علماء الكلام والأصول والفقه هو صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح .

وهذا التأويل مرفوض عند السلف واعتبروه تحريفا باطلا في باب الصفات الإلهية^(١) وقد ظهر هذا المعنى للتأويل متأخرا عن عصر الرسول ﷺ وعصر الصحابة بل ظهر مع ظهور الفرق ودخلوا منه إلى تحريف النصوص وكانت له نتائج خطيرة إذ كلما توغلوا في تأويل المعاني وتحريفها كلما بعدوا عن المعنى الحق الذي تهدف إليه النصوص وبالنسبة لموقف الخوارج فإن العلماء اختلفوا في الحكم على الخوارج بأنهم نصيون أو مؤولون .

١- فذهب بعضهم إلى أن الخوارج نصيون يجمدون على المعنى الظاهر من النص دون بحث عن معناه الذي يهدف إليه وهذا رأى أحمد أمين^(٢) وأبو زهرة^(٣) وذهب آخرون إلى أن الخوارج يؤولون النصوص تأويلا يوافق أهوائهم وقد غلطوا حين ظنوا أن تأويلهم هو ما تهدف إليه النصوص وعلى هذا رأى ابن عباس وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) وابن القيم^(٥) .

٢- ومن العلماء من ذهب إلى القول بأن الخوارج ليسوا على رأى واحد في هذه القضية بل منهم نصيون ومنهم مؤولون كما ذهب إلى هذا الأشعري في مقالاته^(٦)، وهذا هو الراجح فيما يبدو من آراء الخوارج ولا يقتصر الأمر على ما ذكره من اعتبار بعض الفرق نصيين وبعضهم مؤولين مجتهدين وإنما يتردد أمر الخوارج بين هذين الموقفين داخل الفرقة الواحدة. والواقع أن لكل من المواقف الثلاثة ما يبرر حكمهم على الخوارج كما يتضح ذلك جليا في مواقف الخوارج المختلفة .

ويبدو لي أن التأويل الذي نفاه الأستاذ أحمد أمين والشيخ أبو زهرة

(٢) ضحى الإسلام : ٣ / ٣٣٤ .

(٤) النبوات ص ٨٩ .

(٦) مقالات الأشعري : ١٨٣/١ .

(١) كتحرifات الجهمية .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية : ١ / ٦٦ .

(٥) التونية ص ٨٥ .

رحمهما الله إنما هو التأويل الصحيح الذي يفهم صاحبه النص على ضوء مقاصد الشريعة .

وأما التأويل الذي يثبت للخوارج أصحاب الاتجاه الثاني ويذمونهم به فهو حمل الكلام على غير محامله الصحيحة وتفسيره تفسيراً غير دقيق .

٢ - موقف الخوارج من صفات الله عز وجل

هذه المسألة لم أجد فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتب علماء الفرق بياناً لرأى الخوارج فيها بصفة عامة .

وقد ذكر الشهرستاني عن فرقة الشيبانية قولاً لأبي خالد زياد بن عبدالرحمن الشيباني في صفة العلم لله أنه قال : « إن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علماً، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها » . (١) .

وأما بالنسبة لفرقة الإباضية بخصوصهم - فقد تبين من أقوال علمائهم أنهم يقفون منها موقف النفي أو التأويل بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبهة فيها كما تقدم .

وموضوع الصفات والبحث فيها يحتاج إلى دراسة مستقلة وبالرجوع إلى أى كتاب من كتب السلف يتضح الحق فيها بكل يسر وسهولة .

وأما بالنسبة لما ذكر عن رأى زياد بن عبد الرحمن أو الإباضية فلا شك أنه لا يتفق مع المذهب الحق - مذهب السلف - ولو كان الأمر يخص زياد بن عبدالرحمن وحده لما كان له أدنى أهمية ، ولكن الأمر أخطر من ذلك ، فقد اعتقدت الجهمية ذلك أيضاً . وبطلان هذا القول ظاهر والتناقض فيه واضح .

فإن صفات الله عز وجل قديمة بقدمه غير مخلوقة وما يخلق الله من الموجودات وإنما يخلقه عن علم وإرادة ، إذ يستحيل التوجه إلى الإيجاد مع

(١) الملل والنحل / ١ / ١٣٣ .

الجهل ، ثم كيف علم الله أنه بغير علم حتى يخلق لنفسه علما؟ هذا تناقض ظاهر.

٣ - حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج

اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب بعد اتفاهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة . وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي :-

١- الحكم بتكفير العصاة كفر ملة ، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون فى النار مع سائر الكفار . وهذا رأى أكثرية الخوارج .

وعلى هذا الرأى من فرق الخوارج : المحكمة والأزارقة والمكرمية والشيبية من البيهسية واليزيدية والنجداث . إلا أنهم مختلفون فى سبب كفره :

فعند المكرمية أن سبب كفره ليس لتركه الواجبات أو انتهاك المحرمات وإنما لأجل جهله بحق الله إذ لم يقدره حق قدره .

وأما النجداث فقد فصلوا القول بحسب حال المذنب، فإن كان مصرا فهو كافر ولو كان إصراره على صبغائر الذنوب، وإن كان غير مصرا فهو مسلم حتى وإن كانت تلك الذنوب من الكبائر وهو تفصيل بمحض الهوى والأمانى الباطلة.

٢- أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة :-

وعلى هذا المعتقد فرقة الإباضية كما تقدم . ومع هذا فإنهم يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها ، ويحكمون عليه فى الدنيا بأنه منافق ، ويجعلون النفاق مرادفا لكفر النعمة ويسمونه منزلة بين المنزلتين أى بين الشرك والإيمان ، وأن النفاق لا يكون إلا فى الأفعال لا فى الاعتقاد (١) .

وهذا قلب لحقيقة النفاق إذ المعروف أن المنافقين الذين كانوا على عهد

(١) نقلنا عن الإباضية بين الفرق الإسلامية عن كتاب المقالات فى القديم والحديث ص ٣١٥ . وانظر دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية . الأصل التاسع ص ٦٠

رسول الله ﷺ كان نفاقهم في الاعتقاد لا في الأفعال ، فإن أفعالهم كانت في الظاهر كأفعال المؤمنين.

أدلتهم :

تلمس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث وتكلفوا في رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين : مؤن وكافر ، قالوا : وليس وراء ذلك الحصر من شيء . ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى :

- ١ - ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ . (١)
- ٢ - ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ . (٢)
- ٣ - ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ . (٣)

إلى غير ذلك من الآيات .

ووجه استدلالهم بالآية الأولى :

أن الله تعالى حصر الناس في قسمين : قسم ممدوح وهم المؤمنون وقسم مذموم وهم الكفار ، والفساق ليسوا من المؤمنين ، فإذا هم كفار لكونهم مع القسم المذموم واستدلالهم هذا لا يسلم لهم .

أن الناس ينحصبون فقط في الإيمان أو الكفر فهناك قسم ثالث وهم العصاة لم يذكروا هنا ، وذكر فريقين لا يدل على نفى ما عداهما والآية كذلك واردة على سبيل التبعية بمن ، أي بعضكم كافر وبعضكم مؤمن . وهذا لا شك في وقوعه ولم تدل الآية على مدعى الخوارج أن أهل الذنوب داخلون في الكفر .

وأما وجه استدلالهم بالآية الثانية :-

فقد زعموا أنها شاملة لكل أهل الذنوب ، لأن كل مرتكب للذنوب لا بد وأنه

(١) سورة التغابن: آية (٢) . (٢) سورة المائدة: آية (٤٤) . (٣) سورة سبأ: آية (١٧) .

قد حكم بغير ما أنزل الله . وقد شملت الفساق لأن الذى لم يحكم بما أنزل الله فيجب أن يكون كافرا والفساق لم يحكم بما أنزل الله حين فعل الذنب .

وهذا الاستدلال مردود كذلك لأن الآية واردة على من استحله الحكم بغير ما أنزل الله . أما أن يدعى الشخص إيمانه بالله ويعترف بأن الحق هو حكم الله فليس بكافر وإنما هو من أصحاب المعاصي حتى تقام عليه الحجة .

وأما وجه استدلالهم بالآية الثالثة .

فهو أن صاحب الكبيرة لا بد وأن يجازى - على مذهبهم - وقد أخبر القرآن أنه لا يجازى إلا الكفور . والفساق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافرا .

وهذا الدليل مردود عليهم ، وينقضه أن الله يجازى الأنبياء والمؤمنين وهم ليسوا كفارا ، وبأن الآية كانت تعقيبا لبيان ذلك العقاب الذى حل بأهل سبأ ، وهو عقاب الاستئصال ، وهذا ثابت للكفار لأصحاب المعاصي (١) .

وأما ما استدلوا به من السنة على بدعتهم فى تكفير العصاة من المسلمين فقد أساءوا فهم الأحاديث وحملوها المعاني التى يريدونها ، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن» (٢) .

ولهم أدلة أخرى نكتفى منها بهذا الحديث .

فقد فهموا من هذا الحديث نفى الإيمان بالكلية عن من فعل شيئا مما ذكر فى الحديث، وهذا لا حجة لهم فيه ، فإن الحديث - كما يذكر العلماء - إما أن يكون

(١) انظر تفسير الفخر الرازى لهذه الآيات من سورة سبأ . وانظر جامع البيان: ١٩/٤ ، ٢٢٦/٣٠ ،

وانظر تفسير الطبرى : ٢٥٢/٦ ، فتح القدير : ٤٥٣/٥ ، ٤٥/٢ .

(٢) أخرجه البخارى : ١٣/٨ ، ومسلم ١/٥٤ .

واردا فيمن فعل شيئا مما ذكر مستحلا لتلك الذنوب أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم ، أو أن نفي الإيمان عنهم مقيد بحال مواععتهم لتلك الذنوب .

ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها. ولهذا فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاء ، ولا يخاض في معناها .

وقال الزهري في مثل هذه الأحاديث «أمروها كما أمرها من قبلكم»^(١). وقد جاء في حديث أبي ذر رضى الله عنه أنه قال: « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت وإن زنى وإن سرق ثلاثا ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر.» قال: «فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر»^(٢).

والكلام في أهل الكبائر مبسوط في موضعه من كتب التوحيد وكتب الفرق والمقصود هنا هو التنبيه على خطأ الخوارج فيما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب من المسلمين مخالفين ما تضافرت النصوص عليه من عدم كفر مرتكبي الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررة في مذهب السلف .

٤ - الإمامة العظمى

هذه هي مشكلة الخوارج الكبرى منذ نشأوا وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية ، شغلتهم قضية الإمامة عمليا ، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم ناقمين عليهم سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار أمامهم بأنفسهم ثم سياستهم الداخلية في الناس وشغلتهم فكريا بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع ، وكانوا يظهرهم بمظهر الزاهد عن تولى الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم وحربا لا هوادة فيها

(٢) أخرجه مسلم : ٦٦/١ .

(١) انظر شرح النووى لصحيح مسلم ٤١/٢ - ٤٢ .

ضد المخالفين لهم .

حكم الإمامة عند الخوارج

الإمامة منصب خطير وضرورة اجتماعية إذ لا يمكن أن ينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة إلا بحاكم يكون هو المرجع الأخير لحل الخلافات وحماية الأمة وقد أطبق على هذا جميع العقلاء .

أما بالنسبة للخوارج فقد انقسموا فيها إلى فريقين :-

١ - الفريق الأول : وهم عامة الخوارج . وهؤلاء يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت رايته والقتال نعه ما دام على الطريق الأمثل الذى ارتأوه له .

٢ - الفريق الثانى : وهم المحكمة والنجيدات والإباضية فيما قيل عنهم . وهؤلاء يرون أنه قد يستغنى عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم وإذا احتيج إليه فمن أى جنس كان ما دام كفئاً لتولى الإمامة (١) .

ومن مبرراتهم :

١ - استنادهم إلى المبدأ القائل لا حكم إلا لله ، والمعنى الحرفى لهذا المبدأ يشير صراحة إلى أنه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقاً .

٢ - أن الحكم ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية .

٣ - إن الضرورى هو تطبيق أحكام الشريعة ، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب خليفة .

٤ - ربما ينحصر وجود الإمام فى بطانة قليلة وينعزل عن الأعلبية فيكون بعيداً عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجوده فائدة .

٥ - أن النبى ﷺ لم يشر صراحة ولا وضع شروطاً لوجود الخلفاء من بعده .

(١) مقالات الأشعري : ٢٠٥/١ ، مروج الذهب : ٢٣٦/٣ .

٦- أن كتاب الله لم يبين حتمية وجود إمام وإنما أبان وأمرهم شورى بينهم^(١) .

هذه مبرراتهم بالنفي ، فهل بقى القائلون بالاستغناء عن نصب الإمام على مبدأهم ؟ والجواب بالنفي فإن المحكمة حينما انفصلوا ولو عليهم عبد الله بن وهب الراسبي والنجيدات حينما انفصلوا . تزعمهم نجدة بن عامر وأما ما قيل عن الإباضية من أنهم يقولون بالاستغناء عن نصب الإمام^(٢) فإن مصادرهم التي تيسرت لي قراءتها تذكر أن هذا القول إنما نسبه إليهم خصومهم بقصد الأشاعة الباطلة عنهم^(٣) .

وأما تلك المبررات التي نسبت إلى من ذكرناهم فلا شك أنها مبررات واهية ولا تكفى للقول بالاستغناء عن نصب الخليفة . أما القول بعدم وجود الإنسان الكامل ، فإنه لا يمنع من نصب الإمام حيث يختار أفضل الموجودين .

ومن التصور الساذج القول بتناصف الناس فيما بينهم . وأما انعزال الإمام فإن مدار الأمر على إلتزامه بواجباته الشرعية وعدم إيجاد الحجب بينه وبين رعيته ، وذلك مناط الحكم بضرورة وجود الإمام شرعاً وعقلاً .

وقد ذهب الخلفية من الخوارج الإباضية إلى أن كل إقليم أو حوزة يستقل بها أمامها فلا يجوز لإمام أن يجمع بين حوزتين^(٤) ويكون لهذه المناطق أئمة بعدد تلك المناطق وهذا باطل ولا يتفق مع روح الإسلام وأهدافه لأن ذلك يؤدي إلى المشاحنات والعداوة وتفريق كلمة المسلمين وحينما قرروا أن كل إقليم ينبغى أن يكون مستقلاً عن الآخر لا يخضع إقليم ولا منطقة لمنطقة أخرى تجاهلوا دعوة المسلمين إلى الاتحاد الذي يكمن فيه عزهم وقوتهم .

(١) آراء الخوارج للطالبي ص ١٢٥ ، عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٣ .

(٢) كما يذكر لوريمر في كتابه دليل الخليج : ٣٣٠٣/٦ .

(٣) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٩٠ .

(٤) نقلاً عن آراء الخوارج ص ١٢٨ . لكن عموم الإباضية لا تميز هذا حسب ما جاء في مدارج

الكامل ص ١٧٢ .

شروط الإمام

وضع الخوارج شروطا قاسية لمن يتولى الإمام ومنها :-

١ - أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الإسلامية مخلصا في عبادته وتقواه حسب مفهومهم .

٢ - أن يكون قويا في نفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم .

٣ - أن لا يكون فيه ما يخل بإيمانه من حب المعاصي واللغو ، ألا يكون قد حد في كبيرة حتى ولو تاب .

أن يتم انتخابه برضى الجميع ، لا يغنى بعضهم عن بعض ، ولا عبرة بالنسب أو الجنس ، كما يقولونه ظاهرا دعاية لمذهبهم وفي باطنهم يملأهم التعصب وكون الإمام ينتخب برضى أهل الحل والعقد ، هذا مبدأ إسلامي لم يأت به الخوارج كما يقول بعض المستشرقين دعاية للخوارج .

ولم يلتفت الخوارج إلى ما صحح من الأحاديث في اشتراك القرشية لتولى الخلافة وتقديم قريش فيها عند صلاحية أحدهم لها .

ولم يشترط الشرع في الإمام أن يكون ليله قائما ونهاره صائما ، أو أنه لا يلم بأى معصية ، أو أن يكون انتخابه برضى كل المسلمين من أقصاهم إلى أدناهم ، لا يغنى بعضهم عن بعض في مبايعتهم له كما يزعمه الخوارج (١) .

محاسبة الإمام والخروج عليه

يعيش الإمام عند الخوارج بين فكي الأسد - عكس الشيعة - فالخوارج ينظرون إلى الإمام على أنه المثل وجهه الأعلى وينبغي أن يتصف بذلك قولاً وفعلاً وبمجرد أقل خطأ ينبغي عليهم القيام في وجهه ومحاسبته ، فإما أن يعتدل

(١) مدارج الكمال للسالمى ص ١٧١ ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٧١/١ التفكير الفلسفي ١٩١/١ للدكتور عبد الحليم محمود ، آراء الخوارج ص ١٢١ ، عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٦ .

وإما أن يعتزل .

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة البيهسية منهم والعوفية ، فقد اعتبر هؤلاء كفر الإمام سببا في كفر رعيته ، فإذا تركه رعيته دون إنكار فإنهم يكفرون أيضا^(١)، ولا شك أن هذا جهل بالشريعة الإسلامية ، وعلى هذا فما تراه من كثرة حروبهم وخروجهم على أئمتهم أو أئمة مخالفيهم يعتبر أمرا طبيعيا إزاء هذه الأحكام الخاطئة . وقد حث الإسلام على طاعة أولى الأمر والاجتماع تحت رايتهم إلا أن يظهروا كفر بواحا . فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وينبغي معالجة ذلك بأخف الضرر ، ولا يجوز الخروج عليهم ما داموا ملتزمين بالشريعة بأى حال .

إمامة المفضول

اختلف الخوارج في صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إلى فريقين :

١ - ذهب فريق منهم إلى عدم الجواز وأن إمامة المفضول تكون غير صحيحة مع وجود الأفضل .

٢ - وذهب الفريق الآخر منهم إلى صحة ذلك وأنه تنعقد الإمامة للمفضول مع وجود الأفضل ، كما هو الصحيح^(٢) .

إمامة المرأة

الإمامة مسئولية عظمى وعبء ثقيل يتطلب سعة الفكر وقوة البصيرة ويتطلب مزايا عديدة جعل الله معظمها في الرجال دون النساء ، ولا أدل على هذا من اختيار الله عز وجل لتبليغ رسالته من جنس الرجال ، وقد أطبق جميع

(١) مقالات الأشعري : ١/١٩٤ ، الطرماح بن حكيم ص ٥٥ المل والنحل : ١/١٢٦ الفرق بين الفرق ص ١٠٩ التنبيه والرد للملطي ص ١٦٩ .

(٢) الفصل لابن حزم ٤/١٦٣ ، الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٦٢٤ آراء الخوارج لعمار الطالبي : ١٢٨ .

العقلاء على أن الخلافة لا يصلح لها النساء .

ولكننا نجد فرقة من فرق الخوارج وهى الشيبية تذهب إلى جواز تولى المرأة الإمامة العظمى مستدلين بفعل شبيب حينما تولت غزاة - زرجته وقيل أمه - بعده (١).

موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم

انقسم الخوارج في نظرتهم إلى المخالفين لهم إلى فريقين

١ - فريق منهم غلاة .

٢ - وفريق آخر أبدى نوعا من الاعتدال .

ويذكر الأشعري رحمه الله فى مقالاته أن الخوارج مجمعون على أن مخالفهم يستحقون السيف ودماءهم حلال إلا فرقة الإباضية فإنها لا ترى ذلك إلا مع السلطان (٢) .

واختلف علماء الفرق فى أول من حكم بكفر المخالفين هل هم المحكمة الأولى أم هم الأزارقة ومن سار على طريقتهم من فرق الخوارج فيما بعد .

وبتتبع حركة المحكمة الأولى نجد أنهم سبقوا إلى تكفير المخالفين لهم واستحلال دمائهم والشواهد فى كتب الفرق كثيرة كقتلهم عبد الله بن خباب بن صاحب رسول الله ﷺ وغيره فى حوادث كثيرة إلا أن أشد من بالغ فى تكفير المخالفين لهم وأعمل فيهم السيف هم الأزارقة وفرقة منهم تسمى البيهسية وكذلك أتباع حمزة بن أكر .

- أما المعتدلون منهم - وهو اعتدال لا يكاد يذكر - فنجد مثلا الأحنسية منهم يحرمون الغدر بالمخالفين أو قتلهم قبل الدعوة وجوزوا تزويج المسلمات - منهم للمخالفين - الذين يعتبرونهم مشركين .

(٢) المقالات: ٢٠٤/١ .

(١) الفرق بين الفرق ص ١١٠ .

وكذلك بعض البيهسية ومن أكثر المعتدلين والمتسامحين مع المخالفين هو تلك الشخصية المرموقة عند كافة الخوارج أبو بلال مرداس بن أدية فقد خرج وهو يقول لمن يلقاه أنا لا نخيف أمنا ولا نجرد سيفنا وكان مما آثاره للخروج على الدولة أن زيادا ذات يوم خطب على المنبر وكان مرداس يسمعه فكان من قوله « والله لأخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم ».

وهذا بالطبع لا يحتمله الخوارج فقام إليه مرداس فقال قد سمعنا ماقلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول: ﴿وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاص ثم خرج عقب هذا اليوم.

وينبغي أن يعلم أن كل فرقة لا بد فيها من غلاة يخرجون على جمهورهم إلا أن السمة الغالبة على الخوارج الشدة على المخالفين لهم وقد تعود هذه الشدة إلى ما يراه الخوارج من وجهة نظرهم من خروج مخالفين عن النهج الإسلامي وبعدهم عنه وبالتالي الرغبة في إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه في أيام الرسول ﷺ وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يدعى الخوارج ...

حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم

لا بد وأن يكون في حكم العقل تمييز بين معاملة الصغير الذي لم يبلغ سن التكليف وبين الكبير المكلف . والخوارج لم يتفقوا على حكم واحد في الأطفال سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة ونوجز أهم آرائهم في هذه القضية فيما يلي :-

- ١- منهم من اعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم باعتبار أنهم مشركون لا عصمة لدمائهم ولا لدماء آبائهم
- ٢- ومنهم من جعلهم من أهل الجنة ولم يجوز قتلهم .

٣ - واعتبرهم بعضهم خدما لأهل الجنة .

٤ - ومنهم من توقف فيهم إلى أن يبلغوا سن التكليف ويتبين حالهم .

٥ - والإباضية تولوا أطفال المسلمين وتوقفوا في أطفال المشركين ، ومنهم من يلحق أطفال المشركين بأطفال المؤمنين .

أما القول الأول: فهو للأزارقة واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١). وتبعهم في هذا بعض فرق الخوارج كالعجاردة والحمزية والخلفية .

وأما القول الثاني: فهو للنجدات والصفيرية والميمونية واستدلوا بقول الرسول ﷺ كل مولود يولد يولد على الفطرة وإنما أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه^(٢) والذين توقفوا في الحكم عليهم قالوا لم نجد في الأطفال ما يوجب ولا يتهم ولا عداوتهم إلى أن يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقرؤا به أو ينكروا .
هذه خلاصة أهم آراء الخوارج في هذه القضية والواقع أن هذه المسألة من المسائل الخلافية بين العلماء .

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا على الإيمان فإن الله تعالى يدخلهم الجنة مع آباءهم وإن نقصت أعمالهم عنهم لتقر أعين آبائهم بهم فيكونون مع آبائهم في الجنة تفضلا من الله تعالى على ضوء قوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣) .

ونقل ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال بأنهم في الجنة دون خلاف .

وبعضهم ذهب إلى أنهم تحت المشيئة .

وجدير بالذكر أن أطفال المؤمنين الذين نتحدث عنهم هنا هم الذين يعتبرهم

(١) سورة نوح : آية ٢٧ .

(٢) انظر كتاب الأديان ١٠٤ .

(٣) الطور : ٢١ وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٤١ .

الخوارج أطفال مشركين .

وأما أطفال المشركين الذين هم عبدة الأوثان ومن فى حكمهم فإن العلماء اختلفوا فيهم اختلفا كثيرا .

١- فذهب بعضهم إلى التوقف فى أمرهم فلا يحكم لهم بجنة ولا نار وأمرهم إلى الله .

٢- أنهم فى النار .

٣- أنهم فى الجنة .

٤- أنهم فى منزلة بين المنزلتين أى الجنة والنار .

٥- أن حكمهم حكم آبائهم فى الدنيا والآخرة تبعا لأبائهم حتى ولو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهما لم يحكم لافراطهما بالنار .

٦- أنهم يمتحنون فى عرصات القيامة بطاعة رسول الله ﷺ إليهم فمن أطاعه منهم دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وقد استعرض ابن القيم أدلة القائلين بهذه الآراء وانتهى إلى نصرة الرأى الأخير ثم قال « وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذى أحال عليه النبي ﷺ حيث قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

وأيد ابن حزم القول بأن أطفال المشركين فى الجنة وكذا النووى وقد توقف شيخ الإسلام فى الحكم عليهم .

وأما استباحة قتل النساء والذرية كما - يرى الخوارج - فقد أخطأوا حين جوزوا ذلك سواء كانوا من المسلمين أو من المشركين فقد صححت الأحاديث بالمنع من قتلهم إلا أن يكون ذلك فى بيئات لا يتميز فيه الأطفال والنساء فلا بأس من قتلهم إذا وقع دون عمد. (١) .

(١) انظر : التفسير القيم ص ٤٥١ ، فتح القدير ٥ / ٩٨ جامع البيان : ٢٧ / ٢٥ طريق الهجرتين : ٣٨٧ ، الفصل لابن حزم : ٧٤ / ٤ .

الفصل العاشر

الحكم على الخوارج

اختلف العلماء في الحكم على الخوارج على قولين :

١ - أحدهما الحكم بتكفيرهم .

٢- الحكم عليهم بالفسق والابتداع والبغي .

وقد استند الذين كفروهم على ما ورد من أحاديث المروق المشهورة عند علماء الفرق ؛ رادين الخوارج إلى سلفهم القديم ذى الخويصرة وموقفه الخاطيء من رسول الله ﷺ ثم موقف الخوارج أيضا من الصحابة خصوصا الإمام على وغيره ممن شارك في قضية التحكيم . والأحاديث الواردة فيهم كثيرة غير أن على يحي معمر يرى أن هذه الأحاديث إنما تصدق - على فرض صحتها - كما يذكر على المرتدين في زمن أبى بكر رضى الله عنه(١). ومارأيت أحدا من العلماء سبقه إلى هذا القول . ثم إن ما فى الأحاديث من أوصاف الخوارج من كثرة قراءتهم للقرآن وتعمقهم في العبادة لا ينطبق على هؤلاء المرتدين في زمن أبى بكر بعد وفاة الرسول ﷺ .

وقد كفرهم كثير من العلماء لا نرى التطويل بذكر أسمائهم هنا .

وإذا كان بعض العلماء يتحرج من تكفيرهم عموما فإنه لا يتحرج عن تكفير بعض الفرق منهم كالبدعية من الخوارج الذين قصرُوا الصلاة على ركعة فى الصباح وركعة فى المساء. والميمونية- حيث أجازوا نكاح بعض المحارم كبنات البنين وبنات البنات وبنات بنى الأخوة ثم زادوا فأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن لا شتمالهما فيما يزعمون على ذكر العشق(٢) والحب والقرآن فيه الجدل.

(١) الإباضية فى موكب التاريخ : ٢٩/١ .

(١) انظر الملل والنحل : ١ / ١٢٩ . والقرآن لم يدعوا الناس إلى العشق وضرب المواعيد الفاجرة وإنما دعى إلى ما تضمنته هذه السورة الكريمة من العفة وتقديم خوف الله على خوف غيره وكبح =

وكذا اليزيدية منهم حيث زعموا أن الله سيرسل رسولا من العجم فينسخ بشريعتة شريعة محمد ﷺ^(١).

أما الرأي الثانى : وهو القول بعدم تكفير الخوارج فأهل هذا رأى يقولون أن الاجترأ على إخراج أحد من الإسلام أمر غير هين نظرا لكثرة النصوص التى تحذر من ذلك إلا من ظهر الكفر من قوله أو فعله فلا مانع حينئذ من تكفيره بعد إقامة الحجة عليه ..

ولهذا أحجم كثير من العلماء أيضا عن إطلاق هذا الحكم عليهم وهؤلاء اکتفوا بتفسيقهم. وإن حكم الإسلام يجري عليهم لقيامهم بأمر الدين ، وإن لهم أخطاء وحسنات كغيرهم من الناس . ثم إن كثيرا من السلف لم يعاملوهم معاملة الكفار كما جرى لهم مع على رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز فلم تسبى ذريتهم وتغنم أموالهم ولعل الصحيح أن الذين حكموا على الخوارج بالكفر الصريح قد غلوا في تعميم الحكم عليهم والذين حكموا عليهم بأنهم كغيرهم من فرق المسلمين أهل السنة قد تساهلوا. بل الأولى أن يقال في حق كل فرقة ما تستحقه من الحكم حسب قربها أو بعدها عن الدين . وإطلاق ما أطلقته النصوص فى الحكم العام ، ويتوقف عن إطلاق التكفير المخرج من الملة على المعنى إلا بعد إقامة الحجة عليه أو أظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده . - وإلى هنا ينتهى المطلوب بالنسبة لفرقة الخوارج - وقد تركنا مسائل كثيرة للخوارج^(٢)

= جماح النفس الأمانة بالسوء والشهوات الطائشة ولو صار العشاق على حسب ماتضمنته سورة يوسف لصاروا أولياء.

(١) الفصل لابن حزم : ١٨٨/٤ .

(٢) كبحث موقف الخوارج من رؤية الله عز وجل وإنكارهم لها فى الدنيا والآخرة . وموقفهم من القول بخلق القرآن واعتقادهم أن ذلك حق يجب الإيمان به واختلافهم فى مسائل القدر إلى ثلاث طوائف مؤيدة للقدرية ومؤيدة للجبرية وموافقة لمذهب السلف - وكذا إنكار الخوارج لوجود الجنة والنار الآن - أى قبل يوم القيامة . وإنكار أكثرهم لعذاب القبر غير طائفة الإباضية . وموقف الخوارج من الشفاعة وإنكارهم لها غير الإباضية الذين يثبتونها فقط للمتقين وإنكارهم =

يجدها الباحث حين يرجع إلى ما كتبه علماء الفرق عنهم وربما يجمع تلك المسائل كلها وجميع فرقهم وما يتعلق بهم رسالة ماجستير تسمى « الخوارج تاريخهم وأراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها » لكاتب هذه الأسطر وقد ذكرتها من باب تسهيل الرجوع إلى ما يتعلق بالخوارج لمن يهيمه دراسة هذه الفرقة بالتفصيل .

= الميزان والصفات الثابتة له . وإنكارهم الصراط والصفات الثابتة له ، واختلافهم في حقيقة الإيمان هل هو الإقرار والمعرفة فقط أو هو قول وعمل واعتقاد . واعتقاد أكثرهم عدم زيادة الإيمان ونقصه . وموقفهم من قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن ذلك يتم عندهم بالعنف والقوة وليس له مراتب وغير ذلك من المسائل التي تهتم دارس هذه الفرقة بالتفصيل والتدقيق وما ذكرته عنهم فإنما هو من باب الإيجاز والتنبيه .

المراجع

١- مراجع فرقة الخوارج ومنها

- ١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري .
- ٢- الملل والنحل : للشهرستاني .
- ٣- الفرق بين الفرق : للبغدادى
- ٤ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل : لابن حزم .
- ٥ - التبييه والرد على أهل الأهواء والبدع : للملطي .
- ٦ - التبصير فى أمور الدين : للاسفراييني .
- ٧ - الخوارج تاريخهم وآرؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها؛ رسالة ماجستير لكاتب هذا البحث .
- ٨ - آراء الخوارج : للدكتور عمار الطالبي .
- ٩ - فرق المسلمين والمشركين : للرازى .
- ١٠ - الموقف : للأيجي .

٢- مراجع فرقة الإباضية بخصوصهم

- ١ - الإباضية بين الفرق الإسلامية : لعلى يحيى معمر .
- ٢ - الإباضية فى موكب التاريخ : لعلى يحيى معمر .
- ٣ - العقود الفضية: للحارثي .

- ٤ - الدليل لأهل العقول: للورجلاني .
- ٥ - متن النونية : للنفوسي .
- ٦ - كتاب الأديان : لمؤلف أباضي مجهول الاسم .
- ٧ - أجوبة بن خلفون .
- ٨ - تلقين الصبيان ما يجب على الإنسان: للسالمي .
- ٩ - كتاب الدعائم : لأحمد بن النضر .
- ١٠ - مسند الربيع بن حبيب أو « الجامع الصحيح » .
- ١١ - مدارج الكمال نظم مختصر الخصال : للسالمي .
- ١٢ - الإباضية عقيدة ومذهبا : د . صابر طعيمة .

الباب الثاني الشيعة^(١)

تمهيد :

تتركز هذه الدراسة لهذه الفرقة في الرد على أولئك العلماء الذين أسسوا كثيرا من الأفكار الشيعة على محاربة الإسلام وأهله ببيان ضلالهم وبيان موقفهم من النصوص وموقفهم من الشعائر الإسلامية وموقفهم من أهل البيت ومن القرآن الكريم ومن الصحابة الكرام وغير ذلك من تعاليمهم وأيضاً لنضم أصواتنا إلى أصوات كثير من مفكري الشيعة كالدكتور موسى الموسوي وغيره من الذين تبين لهم حجم الخرافات الهائلة في المذهب الشيعي وبعدهم عن تعاليم الإسلام المشرقة في كثير من المعتقدات فجاءت نفوسهم بالرغبة في بذل النصح لهم وبيان الأخطاء الشيعة التي دونها علماءهم في كتبهم من المتقدمين أو من المتأخرين . إننا نحرص كل الحرص ونرغب أشد رغبة في عودة هؤلاء إلى الحق وسنلتزم إن شاء الله ببيان الحق بدليله مع الاستناد في تخطئتهم إلى كتبهم لعله يتبين لهم أن ما هم عليه أكثره سراب ماخوذ عن أحد شخصين إما رجل حاقد على الإسلام وأهله وإما رجل قد اتخذ الخرافات ديناً متعصب لما ألقى عليه آباءه

(١) قد يعترض البعض علي تسمية هؤلاء الروافض بالشيعة بحجة عدم صدقهم في تشيعهم لأهل البيت ، لأنهم هم أعداء أهل البيت وليسوا شيعتهم ، وهذا المعترض محق في ذلك ولكن أثبت تسميتهم شيعة كاسم علم يعم جميع الفرق التي تظاهرت بزعم التشيع لئلا يعترض أحد بإخراج بعض الطوائف التي تظاهرت بنصرة أهل البيت حينما نطلق علي الجميع تسميتهم الروافض كالذين يرون رأي زيد مثلاً ، ولأن إطلاق هذه التسمية « روافض » إنما عرفت حينما أطلقها عليهم زيد .

ومشائخه وقد أوجب الإسلام بذل النصح وبيان الحق وإقامة الحججة والحق هو ما أثبتته كتاب الله وأثبتته السنة النبوية وماعداه باطل .

والشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء غلب عليهم هذا الإسم وهم من أكذب الفرق على أئمتهم ، ومن أخطرها على المسلمين ، وذلك بسبب :

١ - استعمالهم التقية المرادفة للكذب .

٢ - تظاهرهم بنصرة آل البيت ، حيث انخدع بهم كثير من عوام المسلمين .

٣ - بغضهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبرائهم نتج عنها نفور الشيعة وعدم الوصول بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السنة إلى التقارب .

وقد قام التشيع في ظاهر الأمر علي أساس الاعتقاد بأن عليا رضي الله عنه وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ، وأن عليا أحق بها من سائر الصحابة بعهد من النبي ﷺ كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم .

ومن الملاحظ علي هذه الفرقة أنها كانت بابا واسعا لكل طامع في تحقيق أغراضه من أهل الأهواء :

١ - إذ تشيع قوم إيمانا بأحقية أولاد علي بالخلافة حسبما سمعوا من النصوص التي لفقها علماء التشيع .

وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموي ثم العباسي فقاموا بتلك الثورات العديدة التي سجلها علماء الفرق والتاريخ تحت غطاء دعوى التشيع لأهل بيت النبي ﷺ .

وتشيع آخرون للانتقام من الإسلام كالباطنية .

وتشيع قوم لتحقيق مطامع سياسية كالمختار مثلا .

- ٢ - ولأن الشيعة أيضا لا يتحرون النصوص الصحيحة ، ولا يهتمون بإيصال السند إلى النبي ﷺ .. لهذا فإن أكثر أحاديثهم رُويت عن الأئمة .
- ٣ - ولأنهم كذلك أهل عاطفة نحو أهل البيت - فيما يظهرون للناس - ، فلذا يكفي لتوثيق الشخص عندهم أن يكون ظاهره الغلو في أهل البيت ، ويكون بذلك من الثقات الأثبات .

الفصل الأول

التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً وبيان التعريف الصحيح

أولاً في اللغة :

أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة .
قال الأزهري : « والشيعة أنصار الرجل وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة » (١).

وقال الزبيدي : « كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له ، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة » (٢).

استعمال مادة « شيعة » في القرآن الكريم

وردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مراداً بها معانيها اللغوية الموضوعية لها على المعاني التالية :

١- بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس .

قال الله تعالى : ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علي الرحمن عتياً ﴾ [مريم ٦٩] . أي من كل فرقة وجماعة وأمة (٣).

٢- بمعنى الفرقة .

قال تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام ١٥٩] أي فرقاً (٤).

(٢) انظر تاج العروس ج ٥ ص ٤٠٥ .

(١) تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦١ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٣١ .

(٤) تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنارج ٨ ص ٢١٤ .

٣ - وجاءت لفظة أشيا ع بمعنى أمثال ونظائر .

قال تعالى : ﴿ ولقد أهلكنا أشيا عكم فهل من مدكر ﴾ [القمر ٥١] ؛ أى أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية (١) .

٤ - بمعنى المتابع والموالي والمناصر (٢) .

قال تعالى : ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ [القصص ١٥] (٣) .

ثانيا في الاصطلاح :

اختلفت وجهات نظر العلماء في التعريف بحقيقة الشيعة نوجز أقوالهم فيما يلي :

١ - أنه علم بالغلبة علي كل من يتولي عليا وأهل بيته . كقول الفيروز آبادي : «وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا» (٤) .

٢ - هم الذين نصرروا علياً واتخذوا إمامته نصا ، وأن خلافة من سبقه كانت ظلما له .

٣ - هم الذين فضلوا عليا علي عثمان رضي الله عنهما .

٤ - الشيعة اسم لكل من فضل عليا علي الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعا ، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة .

(١) جامع البيان ج ٢٧ ص ١١٢ .

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ١٦٣ .

(٣) انظر تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦٣ .

(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٩ ، ونحوه عند الأزهرى في تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦١

وكلها تعريفات غير جامعة ولا مانعة إلا واحدا منها .

مناقشة تلك الأقوال :

أما التعريف الأول: فهو غير سديد لأن أهل السنة يتولون عليا وأهل بيته وهم ضد الشيعة .

وأما التعريف الثاني: فينقضه ما ذهب إليه بعض الشيعة من تصحيحهم خلافة الشيخين ، وتوقف بعضهم في عثمان وتولي بعضهم له كبعض الزيدية فيما يذكر ابن حزم^(١).

ثم أيضا ما يبدو عليه من قصر الخلافة في علي فقط دون ذكر أهل بيته .

والتعريف الثالث غير صحيح كذلك لانتقاضه بما ذهب إليه بعض الشيعة من البراءة من عثمان ، كقول كثير عزة :

برأت إلى الإله من ابن أروي ومن دين الخوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعي أمير المؤمنين

ويبقى الراجح من تلك التعريفات الرابع منها لضبطه تعريف الشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية^(٢).

(١) انظر الفصل ج ٤ ص ٩٢ .

(٢) انظر الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٥ .

الفصل الثاني

متى ظهر التشيع؟

اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع تبعا لاجتهاداتهم . وقد قدمنا بيان السبب في مثل هذا الخلاف، وحاصل الأقوال هنا:
١ - أنه ظهر مبكرا في زمن النبي ﷺ وعلي يديه حيث كان يدعو إلي التوحيد ومشايعة علي جنبا إلي جنب .

وقد تزعم هذا القول محمد حسين الزين من علماء الشيعة وغيره^(١). وهو ما ذكره النوبختي أيضا في فرقه^(٢)، وهو ما أكده أيضا الخميني^(٣) في عصرنا الحاضر، بل ذهب حسن الشيرازي إلي القول: « بأن الإسلام ليس سوى التشيع» والتشيع ليس سوى الإسلام، والإسلام والتشيع أسمان مترادفان لحقيقة واحدة أنزلها الله، وبشر بها الرسول ﷺ^(٤).

٢ - أنه ظهر في معركة الجمل حين تواجه علي وطلحة والزبير وقد تزعم هذا القول ابن النديم حيث ادعى أن الذين ساروا مع علي واتبعوه سموا شيعة من ذلك الوقت^(٥).

٣ - أنه ظهر يوم معركة صفين .

وهو قول لبعض علماء الشيعة كالخونساري، وأبو حمزة، وأبو حاتم. كما قال به أيضا غيرهم من العلماء، مثل ابن حزم، وأحمد أمين^(٦).

٤ - أنه كان بعد مقتل الحسين رضي الله عنه .

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٣٩ .

(٤) الشعائر الحسينية ص ١١ .

(٦) الشيعة والتشيع ص ٢٥ .

(١) الشيعة والتشيع ص ١٩ .

(٣) الحكومة الإسلامية ص ١٣٦ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٩ .

وهو قول كامل مصطفى الشيبيني وهو شيعي حيث زعم أن التشيع بعد مقتل الحسين أصبح له طابع خاص^(١).

٥ - أنه ظهر في آخر أيام عثمان وقوي في عهد علي^(٢).

والواقع أن القول الأول الذي قالت به الشيعة مجازفة وكذب صريح لا يقبله عقل ولا منطق ، فإن الرسول ﷺ إنما بعث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الوثنية إلى التوحيد ، وإلى جمع الكلمة وإلى عدم التحزب . والقرآن والسنة مملوءان بالدعوة إلى الله وعدم الفرقة .

وقد قال محمد مهدي الحسيني الشيرازي : « وقد سماهم بهذا الاسم رسول الله ﷺ حيث قال مشيرا إلى علي عليه السلام : « هذا وشيعته هم الفائزون »^(٣). وهذا باطل .

والراجع من تلك الأقوال هو القول الثالث - أي بعد معركة صفين - حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان ، ثم ظهر في مقابلهم أتباع وأنصار علي حيث بدأت فكرة التشيع تشتد شيئا فشيئا .. علي أنه - فيما أرى - لا مانع أن يوجد التشيع بمعنى الميل والمناصرة والمحبة للإمام علي وأهل بيته قبل ذلك - إذا جازت تسمية ذلك تشيعا - لا التشيع بمعناه السياسي عند الشيعة .. فإن هؤلاء ليسوا شيعة أهل البيت وإنما هم أعداؤهم ، والناكثون لعهودهم لهم في أكثر من موقف .

(١) انظر الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٣ .

(٢) انظر رسالة في الرد علي الرافضة ص ٤٢ .

(٣) قضية الشيعة ص ٣ .

الفصل الثالث

المراحل التي مر بها مفهوم التشيع

كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان وأن من نازعه فيها مخطيء يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة. وكان علي هذا الرأي كثير من الصحابة والتابعين ، حيث رأوا أن عليا هو أحق بالخلافة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته ولا يصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعنى من أنصاره وأعوانه .

ومما يذكر لهم هنا أنهم لم يكن منهم بغي علي المخالفين لهم ، فلم يكفروهم ، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام ، وأن الخلاف بينهم لم يعد وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة وقد قيل أن عليا كان يدفن من يجده من الفريقين دون تمييز بينهم .

وقد أثمر موقف الإمام علي هذا فيما بعد إذا كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقا من هذه المواقف الطيبة التي أبدأها والده رضي الله عنهما . ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي رضي الله عنه ومناصرتة إذا انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه علي سائر الصحابة ، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله علي الشيخين بالتعزير ، وإقامة حد القرية عليه (١).

وقد كان المتشيعون لعلي في هذا المرحلة معتدلون ، فلم يكفروا أحدا من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة ، ولم يسبوا أحدا ، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء .

(١) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٥ - ٦ .

وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي قيل منهم أبو الأسود الدؤالي ، وأبو سعيد يحيى بن يعمر ، وسالم بن أبي حفصة وعبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث ، وابن السكيت^(١) .

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ تؤتي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر ، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرأون منهم ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، والمقداد ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة .

وحكموا على كل من حضر «غدير خم» بالكفر والردة لعدم وفائهم - فيما يزعم هؤلاء - ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول ﷺ بعلي في غدير خم المذكور . وكان عبد الله بن سبأ هو الذي تولى كبر هذه الدعوة الممقوتة الكافرة ، وقد علم علي بذلك فنفاه إلى المدائن وقال : « لا تساكني ببلدة أبدا » .

وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام حيث نادى هؤلاء بالوهية علي . وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ ، ووجد له آذانا صاغية عند كثير من الجهال ، ومن الحاقدين على الإسلام . وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر^(٢) . وكان له مع ابن سبأ موقف نذكره بالتفصيل عند ذكر فرقة السبئية^(٣) .

(١) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٥ وهم ثقة كما في تقريب التهذيب إلا سالم بن أبي حفصة فقد قال عنه صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال انظر ص ٢٧٩ ج ١ وقال عن عبد الرزاق بن همام ثقة حافظ ... وكان يتشيع ج ١ ص ٥٠٥ .

(٢) على القول بأنه أحرقهم فإنه لم يحرقهم بالنار مباشرة ، وإنما حفر ثلاث حفر كبار ، ثم أضرم النار في حفرتين وجعلهم في الثالثة ، وجعل الدخان يتسرب إليها من الحفرتين فاختنقوا بالدخان وماتوا به ، وحينما رأوا بأنه يريد أن يحرقهم ازدادوا عنادا واستكبارا متخذين من عزمه على حرقهم دليلا على ألوهيته ، لأنه - كما عللوا بذلك - لا يحرق بالنار ألا رب النار .

(٣) انظر مختصر التحفة ص ٣-٩ ، الشيعة والتشيع ص ٤٠ - ٤١ .

الفصل الرابع

أسماء الشيعة

١ - الشيعة : وهو أشهر اسم من أسمائهم ، ويشمل جميع فرقهم ولا خلاف بين العلماء في إطلاقه عليهم كاسم علم .

٢ - الرافضة : وقد أطلقه عليهم بعض العلماء فجعله اسما لجميع الشيعة .

٣ - الزيدية : وهي تسمية لبعض العلماء حيث أطلقها على جميع الشيعة .

وكل هذه الأسماء الثلاثة وردت من خلال كتابات بعض العلماء عن طائفة الشيعة ، واختيار كل منهم للاسم الذي يطلقه عليهم لا أن هذه التسميات بالاتفاق .

والواقع أن إطلاق اسم الرافضة على عموم الشيعة بمن فيهم بعض فرقهم كالزيدية التي نشأت في نهاية القرن الأول للهجرة غير سديد لأن التسمية - رافضة - إنما أخذت من قول زيد بن علي لبعض الشيعة « رفضتموني »^(١) فسموا رافضة ، وليس معنى هذا أنهم لم يكونوا على عقيدة الرفض بل هم رافضة ، ولهذا طلبوا من زيد أن يكون رافضيا مثلهم فامتنع . لكن لم تجر هذه التسمية عليهم قبل ذلك ومعنى هذا أن الشيعة كان لهم وجود قبل زيد تحت أسماء أخرى كما سيأتي بيانه .

وكذا إطلاق اسم الزيدية على جميع فرق الشيعة^(٢) يرد عليه اعتراض ، فقد كانت الشيعة لهم وجود قبل زيد الذي تنسب إليه الزيدية متمثلا في فرق السبئية والكيسانية .

ثم إن الزيدية لا تقول بكل مقالات الشيعة الغلاة ، بل بينهما خلافات حادة

(١) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق .

في كثير من الآراء وسباب كما ذكره البغدادي ، وهو واضح من موقف زيد نفسه فلم يرفض زيد خلافة الشيخين ولم يسبهما .

ويتضح من هذا أن إطلاق اسم الشيعة على كل طوائف التشيع لا يرد عليه اعتراض إذا أريد به اسم علم بغض النظر عن صدق هذا الاسم عليهم أو عدم صدقه ، فقد يكون الاسم من المسلمين وصاحبه من الملحدين ، وقد يكون العكس ، فلا تأثير للأسماء في الحقيقة والواقع .

الفصل الخامس

فرق الشيعة

١- تمهيد :

١- انقسمت الشيعة إلى فرق عديدة أوصلها بعض العلماء إلى ما يقارب سبعين فرقة^(١).

وبدراسة تلك الفرق يتضح أن منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعونهم ويدعون التشيع ، ومنهم دون ذلك ، ويمكن أن نقتصر على دراسة أربع فرق كان لها دور بارز في العالم الإسلامي وهي :

– السبئية .

– الكيسانية .

– الزيدية .

– الرافضة .

والرافضة الإثني عشرية – هي الواجهة البارزة في عصرنا الحاضر للتشيع . وقبل الخوض في تفاصيل تلك الفرق نذكر السبب في تفرق الشيعة ذلك التفرق، ونذكر أيضا السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة .

٢- السبب في تفرق الشيعة

من الطبيعي جدا أن يحصل الخلاف بين الشيعة ، شأنهم شأن بقية الفرق أهل الأهواء ، فما داموا وقد خرجوا عن النهج الذي ارتضاه الله لعباده، واستندوا إلى عقولهم وأهوائهم فلا بد أن تتوقع الخلافات خصوصا حينما يكون الخلاف مرادا لذاته .

(١) مختصر التحفة الإثني عشرية ، القسم الأول من الكتاب .

ونضيف إلى هذا أنه ربما يعود تفرق الشيعة إلى عدة أسباب بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر ، ومن ذلك .

١ - اختلافهم في نظرهم إلى التشيع .

إذ منهم الغالي المتطرف الذي يسبغ على الأئمة هالة من التقديس والإطراء، وعلى خالفهم أحط الأوصاف وأشنع السباب بل وإطلاق الكفر عليهم مما يكون بعد ذلك هوة عميقة لاختلاف وجهات النظر ومنهم من اتصف بنوع من الاعتدال، فلا يرى أن المخالفين لهم كفار وإن كانوا على خطأ كما يرى هؤلاء.

٢ - اختلافهم في تعيين أئمتهم من ذرية علي .

فمنهم من يقول هذا ، ومنهم من يقول ذلك كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة حينما ندرس مواقف الإثنى عشرية والزيدية والنصيرية والباطنية في تعيين الأئمة ، وكيفية تسلسلهم فيها .

٣ - وحينما كان التشيع مدخلا لكل طامع في مأرب فقد أحدث هؤلاء الطامعون في السلطة أو في الانتقام من الآخرين أو في حب الظهور ... أحدث هؤلاء انشقاقا كثيرا بين صفوف الشيعة حينما طلبوا تحقيق أغراضهم بالتظاهر بالتشيع لآل البيت ثم البدء بما يهدفون إليه .

فمثلا دخلت الباطنية عن طريقهم ، وتزعم المختار عن طريقهم ، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

٣ - عدد فرقهم

وكشأن العلماء في اختلافهم في عدد الفرق نجدهم قد اختلفوا في عدد فرق الشيعة .

فالأشعري^(١) مثلا يذكر أنهم ثلاث فرق رئيسية وما عداها فروع .
بينما نرى البغدادي^(٢) وهو يسمي الشيعة الروافض – أي بما فيهم السبئية
والزيدية – ، يعدهم أربعة أصناف والباقي فروعاً لهم .
ويعدّهم الشهرستاني^(٣) خمس فرق والباقي فروعاً لهم .
وبعضهم يعدّهم أكثر بكثير من هذه الأعداد كما قدمنا والأقرب إلى
الصواب أن يقال أن من أكبر فرقهم وأكثرها نفوذاً ووجوداً في العالم الإسلامي
إلى اليوم فرقة الإمامية الرافضة وفرقة الزيدية .
ومما لاشك فيه أن هذا الاختلاف تكمن وراءه أسباب . فما هي تلك
الأسباب أو الظاهر منها ؟

٤ = السبب في عدم اتفاق العلماء على

عدد فرق الشيعة

ذكرنا قبل قليل أن فكرة التشيع قد جذبت إليها كثيراً من أهل الأهواء
والأغراض ، وهؤلاء بدأوا يدخلون في الإسلام ما لا يتفق مع الإسلام بل يتفق مع
هواهم ، فأضافوا إلى الفكر الشيعي أفكاراً جديدة أسهمت في كثرة تفرق من
ينتسب إلى التشيع .

وهذه الكثرة والظهور المتتابع جعلت العلماء لا يتفقون في عددهم لهم ، ومن
هنا بدأ علماء الفرق يسجلون ما يصل إليهم عن عدد فرق الشيعة ، فجاء عددهم
غير منضبط لتجدد الأفكار الشيعية وتقلبها .

وربما أيضاً لتباعد هؤلاء العلماء فيما بينهم ، ولكثرة ظهور الفرق الشيعية

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١ .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧ .

أيضاً في تتابع لم يمكن العلماء من ملاحظته ورصده بل وربما يوجد لكثير من هذه الفرق رغبة ملحّة في صرف الأنظار عنهم فيحاولون زيادة التشويش لصرف التوجه إليهم ودراساتهم ومتابعة حركاتهم المرئية ليتم لهم تنفيذ مآربهم بهدوء دون أن يفطن الناس لهم .

إضافة إلى ذلك التشويش الحاصل فعلا في طريقتهم عند طباعة كتبهم بحيث لا يهتدي الشخص إلى المكان الذي يريد تسجيله عليهم للاختلاف البعيد بين طبعات الكتاب الواحد ، واختلاف الصفحات .

الفصل السادس دراسة أهم فرق الشيعة

١- السبئية

السبئية : هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي .

قيل إنه من الخيرة^(١) بالعراق ، وقيل - وهو الراجح - إنه من أهل اليمن من صنعاء^(٢) ، وقيل أصله رومي^(٣) . أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكرا ، وكان من أشد المحرضين علي الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة .

وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت ، ونشط في التنقل من بلد إلى بلد الحجاز والبصرة والكوفة ، ثم إلى الشام ، ثم إلى مصر وبها استقر ، ووجد آذانا صاغية لبث سمومه ضد الخليفة عثمان والغلو في علي ، وهذا الحركة منه في نشر أفكاره مما يدعو إلى الجزم بأن اليهود يمولونه ، إذا كلما طرد من بلد انتقل إلى آخر بكل نشاط ، ولا شك أنه يحتاج في تنقله هو وأتباعه إلى من يمولهم وينشر آراءهم ... ومن يتولى ذلك غير اليهود الذين آزره في إتمام خطته ليجنوا ثمارها بعد ذلك الفرقة وتجهيل المسلمين والتلاعب بأفكارهم . وقد بدأ ينشر آراءه متظاهراً بالخيرة على الإسلام ، ومطالباً بإسقاط الخليفة إثر إسلامه المزعوم . ثم دعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ إنه - كما زعم - ما من نبي إلا وله وصي ، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي الأنبياء .

ثم دعا إلى القول بالرجعة^(٤) ثم إلى القول بالوهية علي وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي ، وأن الرعد

(٢) انظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٠ .

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

(٤) انظر المقالات للأشعري ج ١ ص ٨٦ .

(٣) انظر البداية والنهاية ج ٧ ص ١٧٣ .

صوت عليّ ، والبرق سبوطه أو تبسمه إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة .
وفيما أرى أنه قد بيّت النية لمثل هذه الدعاوي ولهذا لم يفاجئه موت علي بل
قال وبكل اطمئنان وثبات لمن نعاه إليه : « والله لو جئتمونا بدماعه في صرة لم
نصدق بموته ، ولا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها» .^(١)

وهذه الرجعة التي زعمها لعلي كان قد زعمها لمحمد ﷺ ، وكان يقول :
«إنه لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع» . واستدل
بقوله تعالى : ﴿إِن الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٢) .

وقد كذب عدو الله وأخطأ فهم الآية أو تعمد ذلك في أن المعاد هنا هو
رجوع النبي ﷺ إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فلم يقل بهذا أحد من المفسرين ،
وإنما فسروا المعاد بأنه :

– الموت .

– أو الجنة .

– أو أنه رجوع النبي ﷺ إلى ربه يوم القيامة .

– أو رجوعه إلى مكة^(٣) .

وهي أقوال لكل واحد منها حظ من النظر بخلاف قول ابن سبأ ، فإنه قول
يهودي حاقد كاذب على الله دون مبالاة .

وقد تبرأ جميع أهل البيت من هذا اليهودي . ويذكر أن بعض الشيعة قد
تبرأ منه أيضا^(٤) .

(٢) القصص آية : ٨٥ .

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٠٢ – ٤٠٣ .

(٤) انظر مقالات القمي ص ٢٠ .

موقف علي رضي الله عنه من ابن سبأ

اختلفت الروايات من موقف علي رضي الله عنه من ابن سبأ حينما ادعى ألوهيته :

١ - بعض الروايات تذكر أن عليا استتابه ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه في جملة سبعين رجلا^(١) .

٢- وبعض الروايات تذكر أن ابن سبأ لم يظهر القول بألوهية علي إلا بعد وفاته ، وهذا يؤيد الرواية التي تذكر أنه نفاه إلى المدائن حينما علم ببعض أقواله ، وغلوه فيه^(٢) .

٣ - وبعض الروايات تذكر أن عليا علم بمقالة ابن سبأ في دعوى ألوهيته ، ولكنه اكتفى بنفيه خوف الفتنة ، واختلاف أصحابه عليه ، وخوفا كذلك من شماتة أهل الشام .

وكان هذا بمشورة ابن عباس رضي الله عنهما ، أو الرافضة كما قيل في هذه الرواية^(٣) .

والواقع أن الروايات التي تذكر أن عليا ترك ابن سبأ فلم يحرقه ، واكتفى بنفيه مع عظم دعواه ، وشناعة رأيه فيه ... أمر فيه نظر ، بل غير وارد كما أتصور إذ يستبعد - حسبما يظهر لي - أن يتركه علي يعيث في الأرض فسادا ، ويدعو إلى ألوهيته أو نبوته أو وصايته أو التبوأ من أصحاب الرسول ﷺ ثم يكتفي بنفيه فقط إلى المدائن ، وهو يعلم أنه باق على غلوه ، وأنه سيفسد كل مكان يصل إليه .

(١) منهج المقال ص ٢٠٣ للاسترابادي . وكذا قال الشيعة الحسن بن علي في كتابه « الرجالي »

ص ٤٦٩ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠٩ ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني . ج ص ١٥٧ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

ويمكن أن يقال - وهو أقل اعتذار - أنه تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عنده، لأن ابن سبأ كان يرمي بها من خلف ستار .

أو لأن دعوى الألوهية لم توجد إلا بعد وفاة علي رضي الله عنه كما يرى بعضهم ، وأنه حينما نفاه إلى المدائن كانت دعواه لم تصل إلى حد تأليهه لعلي رضي الله عنه .

وقد جرأت هذه الدعوى الكثير بعد ذلك على دعوى الألوهية لأشخاص من آل البيت بل ومن غيرهم .

ومما يجدر التنبيه إليه وقوع أخطاء حول هذه الشخصية تناقلها بعض العلماء نيينها فيما يلي :

١ - أن بعض علماء الشيعة ، ومن المستشرقين أيضاً من يحاول إنكار وجود ابن سبأ ويزعم أن شخصيته أسطورية منتحلة^(١) .

وهؤلاء لا يوجد لهم مستند إلا شبهات واهية ، وأصبح إنكارهم له أشبه ما يكون بإنكار ضوء الشمس في وسط النهار ، إضافة إلى أن هذا الإنكار دعوى خطيرة ، إذ لو صح التشكيك في وجوده لسهل التشكيك أيضاً في وجود غيره ممن امتلكت بهم مصادر المسلمين ولعلها خطة يبيتها هؤلاء للوصول إلى هذا الهدف البعيد ليفقد المسلم بعد ذلك ثقته بتاريخه وفيما كتبه علماءؤه ، فيكذبهم أو يبقى في حيرة وشك .

٢ - وقع لبعض العلماء التباس بين عبد الله بن سبأ ، وعبد الله بن وهب الراسبي^(٢) ، ورأى أنهما شخصية واحدة ، وهذا خطأ ظاهر .

فإن الراسبي هو زعيم المحكمة الأولى - كما سبق - ، وابن سبأ هو زعيم

(١) انظر ابن سبأ حقيقة لاخيال ص ٧ - ٢٤ .

(٢) انظر عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٣٩ - ٤٢ .

الحركة السيئية .

٣ - وجد من كلام بعض العلماء ما يشير إلى التفرقة بين ابن السوداء ، وبين ابن سبأ^(١) . والواقع الصحيح غير ذلك فإن ابن سبأ هو نفسه ابن السوداء كما يسميه بعضهم . ومن فرق بينهما فلاشتباه الأمر عليه .

وأما بالنسبة للرد على المسألة الأخيرة « دعوى ألوهية علي » فهي واضحة البطلان ، فإن ادعاء الألوهية لأي شخص كلام ساقط يدل على نية خبيثة ومعتقد رديء أو جنون صاحبه .

ومثله الزعم بأن علياً لم يقتل ، وأنه يجوز عليه الموت . وقد رد البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق »^(٢) ، وكذا ابن حزم أيضاً^(٣) وغيرهما على مزاعم ابن سبأ بعدم موت علي بأدلة عقلية منها :

١ - إن كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطاناً وليس بعلمه ، فلم لعنتم ابن ملجم وقد قتل شيطاناً ؟

٢ - قولكم إن الرعد صوت علي ، والبرق تبسمه أو سوطه يطله أن البرق والرعد كانا موجودين ومعروفين منذ القدم .. واختلفت الفلاسفة قبل الإسلام في علتها لافي وجودهما .

٣ - موسى وهارون ويوشع أعظم رتبة في نفس ابن سبأ واليهود من علي ... فلم صدقوا بموتهم ونفوا حلول الموت بعلي ؟

٤ - دعواهم أن الأئمة ينبع لهم العسل والسمن من الأرض^(٤) .. يكذبه أن الحسين

(١) المصدر السابق ص ٤٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .

(٣) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠ .

(٤) يشير هنا إلى قول ابن سبأ حينما بلغه قتل علي « والله لينبع لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً ويغترف منهما شيعته » .

وأصحابه بكر بلاء قتلوا عطاشاً، ولم ينبع لهم الماء فضلاً عن السمن
والعسل^(١).

٥ - زعمهم أن علياً في السحاب على حد ما قال إسحاق بن سويد^(٢).

برئت من الخوارج لست منهم من الغزّال منهم وابن باب

ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب

هذا الزعم يبطله أن السحاب متفرق فوق الأرض ، يبدأ وينتهي في
حركات متواصلة ومتقطعة .. ففي أي سحاب يكون؟ وعلى أي أرض يستقر؟

ورغم تفاهة هذه الدعوى في علي رضي الله عنه إلا أنها وجدت مؤيدين
ومناصرين وقد صدق الله تعالى حين قال في وصف البشر حين يضلون الصراط
المستقيم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتْكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

ورغم تفاهة دعوى ابن سبأ في علي رضي الله عنه فقد ذكر علماء الفرق
من الردود عليها والالتزامات الواردة عليها مالا تستحق من الاهتمام .

٢- الكيسانية

بدأ ظهور هذه الفرقة بعد قتل الخليفة الراشد علي رضي الله عنه وعرفوا
بهذه التسمية واشتهروا بمولاتهم لمحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن
الحنفية وظهر تكونهم بعد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما^(٣).

فحينما تم الصلح مالوا عن الحسن والحسين وقالوا بإمامة محمد بن الحنفية .
وقالوا إنه أولى بالخلافة بعد علي ، وهو وصي علي بن أبي طالب ، وليس لأحد
من أهل بيته أن يخالفه أو يخرج بغير إذنه .

(٢) المصدر السابق .

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .

(٣) مقالات القمي ص ٢٦ .

وقالوا إن الحسن خرج لقتال معاوية بأمر محمد بن الحنفية ، وإن الحسين خرج لقتال يزيد بإذن ابن الحنفية ، بل وقالوا بأن من خالف ابن الحنفية فهو مشرك كافر .

وفرقه من هؤلاء الكيسانية قالوا إن الإمامة لعلي ثم الحسن ثم الحسين ثم لابن الحنفية لأنه أولى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن^(١) .

وقد اختلف في كيسان زعيم الكيسانية :

١ - فقيل أن كيسان رجل كان مولى لعلي بن أبي طالب .

٢ - وقيل بل كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية^(٢) .

٣ - وقيل بل هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب ، وقد كان يلقب بكيسان^(٣) . وهذا غير صحيح لأن قيام الكيسانية كان قبل ظهور أمر المختار كما تقدم .

٣ . المختارية

كيف صارت الكيسانية مختارية ؟

حينما تقرأ بعض كلام علماء الفرق تجد أن فيه مشكلة خفية وخط في التسمية ، إذ يجعل بعضهم الكيسانية هي نفسها فرقة المختارية التي تزعمها المختار ابن أبي عبيد كما فعل القمي وغيره^(٤) .

وبعضهم يجعل الكيسانية فرقة مستقلة ، تزعمها رجل يقال له كيسان كما فعل الشهرستاني وغيره .

(١) المصدر السابق ص ٢٣ . وانظر لمزيد الأخبار فرق الشيعة للنوبختي .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٧ . (٣) انظر مقالات القمي ص ٢١ .

(٤) مقالات القمي ص ٢١ .

والذي يتضح لي أن الكيسانية عندما نشأت كانت فرقة مستقلة ، تزعمهم رجل يسمى كيسان الذي هو تلميذ لمحمد بن الحنفية أو مولى لعلي . وحينما جاء المختار بن أبي عبيد انضم إليه هؤلاء وكونوا بعد ذلك فرقة المختارية

ولقد كان لفرقة المختارية أحداث هامة في التاريخ بقيادة المختار . فمن هو المختار بن أبي عبيد الذي تلقفته الكيسانية للانقضاض به على قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه ؟

المختار بن عبيد الثقفي

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، ولد في الطائف في السنة الأولى للهجرة ، والده صحابي استشهد في معركة الجسر حينما كان قائدا لجيش المسلمين في فتح العراق ، وقام بكفالة المختار عمه سعيد بن مسعود الثقفي الذي كان واليا على الكوفة لعلي رضي الله عنه .

وقد نشأ المختار على جانب من الذكاء والفطنة مراوغا ماكرا غير صادق في تشييعه ، وإنما كان يريد من ورائه تحقيق طموحه السياسي بأي وجه ، وله مواقف تشهد بصحة هذا القول عنه ذكرها أهل التاريخ والفرق (١) .

وقد لقب بكيسان لأسباب هي :

١ - منهم من يقول إنه نسبة إلى الغدر (٢) . لأن كيسان في اللغة العربية اسم للغدر ، وكان المختار كذلك .

٢ - أنه أطلق عليه هذا اللقب باسم مدير شرطته المسمى بكيسان (٣) والملقب بأبي عمرة الذي أفرط في قتل كل من شارك ولو بالإشارة في قتل الحسين ،

(١) انظر ترجمته البداية ج ٨ ص ٢٨٩ ، وانظر والنحل ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) مقالات القمي ص ٢١ ، فرق النوبختي ص ٤٥ .

فكان يهدم البيت على من فيه ، حتى قيل في المثل « دخل أبو عمرة بيته »
كناية عن الفقر والخراب .

٣ - أنه أطلق علي المختار هذا اللقب باسم كيسان الذي هو مولى علي بن أبي طالب (١).

٤ - وذهب بعض الشيعة ومنهم النوبختي (٢) إلى أن هذا اللقب أطلقه عليه محمد بن الحنفية علي سبيل المدح ، أي لكيسه ، ولما عرف عنه من مذهبه في آل البيت . لأن الكيسانية زعموا أن محمدا بن الحنفية هو الذي كلف المختار بالثورة في العراق لأخذ الثأر للحسين ، وهذا ليس بصحيح كما سيأتي .

وقد كان للمختار أدوار بارزة مع ابن الزبير ، وخاض معارك في العراق خرج منها ظافراً فأعجبته نفسه ، وأخذ يسجع كسجع الكهان ، ويلمح لأناس ويصرح لآخرين أنه يوحى إليه ، فانفض عنه كثير من أصحابه ، وقتل في خربه مع مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ ، وتفرق أتباعه (٣) ، وصدق عليه الحديث الذي رواه أسماء بنت أبي بكر وغيرها أنه كذاب ثقيف (٤).

محمد بن الحنفية

أما ابن الحنفية الذي جعله المختار واجهة له ... فهو محمد بن علي بن طالب ، وأمه خولة قيل بنت جعفر ، وقيل بنت أياس الحنفية ، وهي من سبي اليمامة في حروب الردة ، صارت إلى علي . وقيل إنها سنديّة وكانت أمة لبني حنيفة فنسبت إليهم .

ولد ابن الحنفية سنة ١٦ هـ في عهد عمر بن الخطاب ، ونشأ شجاعاً فاضلاً

(١) مقالات القمي ص ٢٢ - فرق النوبختي ص ٤٥ .

(٢) فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦٥ .

(٤) سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٩٩ .

الطائف، ثم قصد عبد الملك بن مروان بالشام وتوفى سنة ٨١ هـ قيل بالطائف، وقيل بأيلة من فلسطين ، وقيل لم يمت بل حبسه الله في جبل رضوى القريب من ينبع . وهذا من تحريف الشيعة .

وبعد وفاته اختلف الشيعة فيما بينهم :

فذهب بعضهم إلى أنه مات وسيرجع . وذهب آخرون إلى أنه لازال حيًا بجبل رضوي قرب المدينة عنده نضاختان ، إحداهما تفيض عسلا ، والأخرى ماء عن يمينه أسد يحرسه ، وعن يساره نمر يحرسه ، والملائكة تراجع الكلام ، وأنه المهدي المنتظر ، وأن الله حبسه هناك إلى أن يؤذن له في الخروج ، فيخرج ويملا الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وفي هذه الخرافات يقول السيد الحميري أو كثير عزة علي رواية في قصيدة له :

ألا حي المقيم بشعب رضوى	واهده له بمنزلة السلام
وقل يا ابن الوصي فدتك نفسي	أطلت بذلك الجبل المقاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بجانب شعب رضوى	تراجع الملائكة الكلاما
وأن له لرزقا كل يوم	وأشربة يعل بها الطعاما
أضر بمعشر وألوك منا	وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا	مقامك عنهم سبعين عاما ^(١) .

وقد اختلفت الكيسانية في سبب حبس ابن الخنفة بجبل رضوى :

١ - ذهب بعضهم وأراد أن يقطع التساؤل إلى القول بأن سبب حبسه سر الله، لا يعلمه أحد غيره ، وهو تخلص من هذه الكذبة التي زعموها في حبسه.

(١) أوردها القمي في مقالاته ص ٢١ - ٢٢ ، والنوبختي في فرقه ص ٥١ باختصار

٢ - وبعضهم قال إنه عقاب من الله له بسبب خروجه بعد قتل الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وطلبه الأمان منه ، وأخذه عطاءه .

٣ - وبعضهم قال أنه بسبب خروجه من مكة قاصدا عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير ولم يقاتله (١).

والحقيقة أنك لا تدري كيف تبلدت عقول هؤلاء إلى حد أن يعتقدوا هذا الاعتقاد الغريب في أن الله غضب على ابن الحنفية من مجرد زيارته لهؤلاء الحكام من المسلمين ، والذين لهم يد مشكورة في انتشار رقعة الإسلام ، فأوصل الله - بزعمهم - عقابه إلى هذا الحد من السنين الطويلة التي شكى منها الحميري - سبعين عاما - وقد بقى الكثير جداً والتي ربما تمتد إلى أن يغير هؤلاء الحمقى عقيدتهم هذه .

٤ - الزيدية

بعد قتل الحسين بن علي (٢) ظهرت معظم الفرق التي تزعم التشيع ، بل وأخذت دعوى التشيع تتصاعد في الغلو .

وفي أيام علي بن الحسين الملقب بزین العابدين طمع الشيعة في استجلابه إليهم غير أنه كان على ولاء تام ووفاء كامل لحكام بني أمية متجنباً لمن نازعهم (٣) ، بل إن يزيد بن معاوية وهو خليفة كان يكرمه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا معه (٤) .

وقد أنجب أولاداً منهم :

- زيد بن علي بن الحسين .

(١) وانظر أخباره في مروج الذهب ج ٣ ص ٨٥ - ١٢٣ . وفي الفرق بين الفرق ص ٣٩ - ٥٣ وفي مقالات القمي ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) إذا أردت أن تعرف موقف يزيد من قتل الحسن فانظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩١ - ١٩٤

(٣) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٥٤ ، الشيعة والتشيع ص ٢٠٤ .

(٤) الإمام زيد ص ٢٣ .

- محمد بن علي بن الحسين المكنى بأبي جعفر الباقر .

- عمر بن علي بن الحسين (١).

وقد اختلف الشيعة في أمر زيد بن علي ، ومحمد بن علي أيهما أولى بالإمامة بعد أبيهما؟

فذهبت طائفة إلى أن الإمامة لزيد فسموا زيدية ، وهؤلاء يرتبون الأئمة ابتداءً بعلي رضي الله عنه ، ثم ابنه الحسن ، ثم الحسين ثم هي شوري بعد ذلك بين أولادهما - كما ترى الجارودية منهم (٢). ثم ابنه علي بن الحسين زين العابدين ، ثم ابنه زيد وهو صاحب هذا المذهب ، ثم ابنه يحيى بن زيد ثم ابنه عيسى بن زيد كما ترى الحصنية منهم فيما يذكره القمي (٣) وبعد ذلك يشترطون في الإمام أن يخرج بسيفه سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين وذهبت طائفة أخرى إلى أن الإمامة لمحمد بن علي بن الحسين المكنى بأبي جعفر الباقر (٤). ونحن هنا بصدد دراسة الزيدية كيف قامت؟ وما هي مواقف الناس منهم؟.

وقد وصف أبو زهرة الزيدية بأنهم « أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية ، وأكثر اعتدالا ، وتشيعهم نحو الأئمة لم يتسم بالغلوبل اعتبروهم أفضل الناس بعد الرسول ﷺ ، واعتدلوا في مواقفهم تجاه الصحابة فلم يكفروهم وخصوصاً من بايعهم علي رضي الله عنه واعترف بإمامتهم» (٥).

(١) وتسميه علي ابن الحسين ابنه باسم عمر إفحام لكذب الشيعة فيما يدعون من كراهة علي لأبي بكر ولعمر ، حيث إنهم يجنبون أولادهم التسمية باسم خيار الصحابة مثل أبو بكر وعمر وعائشة.

(٢) المقالات والفرق ص ١٨ . (٣) انظر المقالات والفرق ص ٧٤ .

(٤) انظر الشيعة والتشيع ص ٢٠٤ .

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤٧ ، وانظر تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٩٦ ،

وأهم الفرق الإسلامية للنيفر ص ٨٠ .

هكذا قال عنهم، والذي يظهر لي أن هذا الحكم غير صحيح علي جميع الزيدية، فإن بعض طوائفهم رافضة، وهم الذين خرجوا عن مبادئ زيد وآرائه، سواء كانوا متقدمين أو متأخرين .

فقد قسم أبو زهرة الزيدية من حيث الاعتقاد إلى قسمين^(١) :

١ - المتقدمون منهم ، المتبعون لأقوال زيد ، وهؤلاء لا يعدون من الرافضة ، ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٢ - وقسم من المتأخرين منهم ، وهؤلاء لا يعدون من الرافضة وهم يرفضون إمامة الشيخين ويسبونهما ويكفرون من يرى خلافتهما .

وهذا يحتاج من الزيدية إلى إعادة نظر ليتقاربوا من إخوانهم أهل السنة وإلا أصبحوا في صف الإمامية الرافضة ، وعموما فإن مذهبهم في الإمامة يحصرونه في أولاد فاطمة فقط من غير تحديد بأحد منهم ، وإنما يشترطون أن يكون كل فاطمي اجتمعت فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد ، وخرج ينادي بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين^(٢)، عكس الاثني عشرية الذين حصروا الأئمة في أولاد الحسين فقط .

زيد بن علي

وهو الذي تنسب إليه الطائفة الزيدية

وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي ، ولد سنة ٨٠ هـ تقريبا ، وتوفي سنة ١٢٢ هـ ، وأمه أمة أهداها المختار إلى علي زين العابدين فأنجبت زيدا^(٣) .
وقد كان زيدا كما تذكر الكتب التي تترجم له شخصية فذة ، صاحب

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٢ ج ١ .

(٢) الملل والنحل ج١ ص ١٥٤ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٣ .

(٣) انظر ترجمته في كتاب « الإمام زيد » ص ٢٢ .

علم وفقه وتقوى ، اتصل به واصل بن عطاء وأخذ عنه ، واتصل به أبو حنيفة وأخذ عنه (١) ، وكان أبو حنيفة يميل إلى زيد ويتعصب له ، وقد قال في خروجه لحرب الأمويين : «ضاهما خروجه خروج رسول الله ﷺ يوم بدر» كما يذكر ذلك أبو زهرة (٢) .

موقفه من حكام بني أمية :

خرج زيد على الحكام الأمويين ، وأشهر السلاح في وجوههم فما هو الدافع لزيد على هذا الخروج ؟

تذكر بعض المصادر أن زيدا خرج على بنى أمية منكرًا للظلم والجور ، وبعضها يذكر أنه لم يكن يريد الخروج ، ولا طلب الخلافة ، ولكن حدث في تصرف هشام بن عبد الملك وعماله إهانات وإساءة لزيد لم يطق أن يعيش معها مسالمًا لهشام بن عبد الملك ، وذلك أن زيدا أحس أن والى المدينة من قبل هشام ويسمى خالد بن عبد الملك بن الحارث ووالى هشام على العراق يوسف بن عمرو الثقفي يتعمدان الإساءة له ، وربما تصور أن ذلك بإيعاز من الخليفة هشام ، فقرر أن يذهب للشام ويشرح أمره لهشام ليزيل ما في نفسه من خوف أن يثور عليه زيد ولكن حدث ما لم يكن في حسبانته ، فقد قابله الخليفة مقابلة غير لائقة به حاصلها :

أن زيدا وقف بباب هشام فلم يؤذن له بالدخول مدة ، فكتب له كتابا يشرح

(١) وبعض العلماء كالشهرستاني يصرح بتلمذة زيد لواصل ولأبي حنيفة ، ولكن الأستاذ أبو زهرة يرى أنها ليست تلمذة بمعنى الكلمة ، وإنما كان اتصاله بزيد علي سبيل المذاكرة لتسويةما في العمر إذا واصل بن عطاء وزيد بن علي ولدا في سنة ٨٠ هـ ، ولكن هذا لا يمنع أن يتلمذا ويتأثر زيد بواصل وأن يتلمذ كذلك على أبي حنيفة ، فإن تأثر زيد بهما ، وتأثر الزيدية بعد ذلك بالمعتزلة والحنفية ظاهر على سبيل التلمذة لا المذاكرة التي يذهب إليها أبو زهرة ، ولهذا قيل « الزيدية معتزلة في الأصول ، حنفية في الفروع » .

(٢) الإمام زيد ص ٧٢ .

أمره ويطلب الإذن له ، فكتب هشام في أسفل الكتاب ارجع إلى أميرك بالمدينة . فعزم زيد على مقابله وقال : والله لا أرجع إلى خالد أبدا . وأخيرا أذن له وقد رتب هشام الأمر ، فوكل به من يحص عليه جميع مايقول ، وحينما صعد زيد إلى هشام قال زيد : والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل . فلما مثل بين يدي هشام لم يرموضعا للجلوس فجلس حيث انتهى به المجلس ، وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله .

فقال هشام : اسكت لا أم لك . أنت الذي تنازعتك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة .

فقال له : يا أمير المؤمنين إن لك جوابا إن أحببت أحببتك به وإن أحببت أمسكت . ولو أن هشاما يريد العافية لقال له أمسك . فقال بل أجب .

فقال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا ، وجعله للعرب أبا ، وأخرج من صلبه خير البشر محمدا ﷺ ثم تقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ؟ فقال هشام : اخرج .

فقال زيد : أخرج ، ولا أكون إلا حيث تكره .

ومن هنا قرر أنه بين أمرين أحدهما مر ، فاختر الخروج

وكم أسديت له من النصائح للرجوع عن رأيه ولكنه وبدفع من الشيعة واصل سيره إلى أهل الكوفة الذين عاهدوه على نصرته ثم نكسوا على أعقابهم حين تراءى الجمعان ، جيش الخلافة وهؤلاء وفي هذا الموقف الحرج قام هؤلاء وسألوه - ليأخذوا حجة في الهرب ولرداءة معتقدهم - قالوا له : إنا لننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر الذين ظلما جدك علي بن أبي طالب .

فقال زيد - دون نفاق - : إني لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وقد كانا وزيري جدي ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بالمنجنيق والنار .

فلما سمعوا هذا الجواب تفرقوا عنه ورفضوه . فقال لهم : رفضتموني ؟
- فسموا رافضة - وبقي في شردمة قليلة سرعان ما قضى عليهم يوسف بن عمر ، وقد قتل زيد ودفن في ساقية . فاستخرجه يوسف وكتب إلى الخليفة ، فأمره هشام أن يصلبه مدة وأن يحرقه ، وتم ذلك فيما يذكره علماء الفرق والمؤرخون^(١) .

آراء زيد والزيدية

للشيعنة عموما آراء متضاربة متناقضة . وأفكار تأثرت بجهات شتى من وثنية ومجوسية ويهودية ونصرانية إلا القليل منهم .
وأما بالنسبة لزيد فإن آراءه كما ذكر علماء الفرق والمؤرخون نوجزها فيما يلي :

١ - في السياسة يرى زيد جواز ولاية المفضول ، أي أن الإمامة عنده ليست وراثية ، فإذا اقتضت المصلحة تقديم المفضول فلا بأس بذلك ، وكان مع تفضيله لعلي على أبي بكر يرى أن خلافة الشيخين خلافة صحيحة ، ولما قيل له في

(١) انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٢٩ - ص ٢٣٥ ، ومن ٢٤٢ - ص ٢٤٧ .

وانظر مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢٠ .

وانظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وانظر مقاتل الطالبين ص ٨٦ - ١٠٢ .

ويجب أن تدرك المبالغات التي ذكرها المسعودي والأصفهاني صاحب مروج الذهب بناء على تشييعهما .

ذلك قال: « كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطبيب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبا وسيف أمير المؤمنين من دماء المشركين من قريش لم يجف بعد ، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي ، فما كانت القلوب تميل إليه بكل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد ، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرفوا باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام ، والقزب من رسول الله ﷺ...»^(١) إلى آخر كلامه .

وفي هذا الجواب بغض الأمور التي فيها نظر ، فإن الصحابة ما كانوا ليحقدوا عليه قتل أقربياتهم من المشركين ، وأما الشدة فإن عمر كان أشهر منه فيها وقد ولاه الصحابة أمرهم .

٢ - القول بعدم عصمة الأئمة أو وصايتهم من النبي ﷺ . كما تقول الإمامية وبعض فرق الزيدية ، فإن زعمهم عصمة الأئمة أو وصايتهم كان أساسه الاعتقاد الخاطيء أن تولى الأئمة كان من النبي ﷺ ، والنبي ما كان يتصرف إلا بوحي ، ومن غير المعقول أن يختار الله ورسوله الأئمة ثم يجرى عليهم الخطأ في أحكامهم وهم المرجع للدين بعد النبي ﷺ ، ولكن زيدا لم يلتفت إلى هذا القول الخاطيء والاعتقاد الباطل فيما قيل عنه^(٢) .

إذ لم تثبت العصمة لأحد غير الأنبياء فيما كلفوا بتبليغه .

٣ - لم يقل بالمهدي المنتظر ولا بالغائب المكتوم^(٣) .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ الإمام زيد ١٨٨ .

(٢) انظر الإمام زيد ص ١٩١ ولكن الزيدية في عصرنا الحاضر يقولون بعصمتهم . انظر نصيحة الإخوان ص ٤ .

(٣) وقد زعمت الجارودية من الزيدية إن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يموت وأنه يخرج ويغلب =

وهي من عقائد الشيعة الأساسية ، فكل طائفة منهم لها مهدي وغائب مكتوم، وتفرقوا في هذه الخرافة طوائف متعارضة : فالمدني عند الكيسانية هو محمد بن الحنفية ، وعند الاثنا عشرية محمد بن الحسن العسكري ، وعند بقية طوائفهم أئمة مهديون ينتظرون خروجهم بغتة يملأون الأرض عدلا بزعمهم .

وسبب هذه الخرافة أنهم يعتقدون أن لآل البيت مزية عن غيرهم فهم يحيون قرونا ، وأن الخلافة لا تخرج من أيديهم سواء كانوا ظاهرين أو مستترين ، ولم يلتفت زيد إلى وجود مهدي سيخرج كما يذكر عنه أبو زهرة (١).

والواقع أن أهل السنة يؤمنون بوجود مهدي في آخر الزمان على ما بينته الأحاديث، لكن هؤلاء الشيعة استغلوا هذه القضية استغلالا خاطئاً ، وقررها علماءهم وزعمائهم لأغراض سياسية أكثر منها دينية .

٤ - حكم في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين تبعاً لرأي المعتزلة وقيل إنه خالفهم في تخليده في النار وقال لا يخلد في النار إلا غير المسلم (٢). هكذا ذكر عنه أبو زهرة ، ولكن الأشعري ينقل عن فرق الزيدية القول بتخليد مرتكب الكبيرة في النار كما تقول الخوارج (٣) والمعتزلة وإنهم مجمعون على ذلك وأهل الحق يقولون هم تحت المشيئة ، ولا يقولون بحتمية دخولهم النار ولا بتخليدهم فيها .

٥ - قال بالإيمان بالقضاء والقدر من الله تعالى وأن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وله قدره واختيار بتمكين الله له وبها يحاسب فيثاب أو يعاقب كما يذكره عنه

= وفرقة أخرى زعمت . أن محمد بن القاسم صاحب الطالقان حبي لم يمت وأنه يخرج ويقلب وفرقة قالت مثل ذلك في يحيى بن محمد صاحب الكوفة [انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٤١] .

(١) انظر الإمام زيد ص ١٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٣) انظر المقالات ج ١ ص ١٤٩ ، تاريخ الفرق الإسلامية ٢٩٤ .

أبو زهرة^(١) رغم أن الزيدية معتزلة في الأصول بسبب تلمذة زيد لواصل بن عطاء الغزال زعيم المعتزلة .

٦ - لم يقل بالبداة على الله ، وهو القول بحدوث حوادث جديدة متغيرة في علم الله على حسب ما يحدث - ، وهذا القول تزعمته الكيسانية وكثير من الروافض واعتقاده كفر ، ومذهب زيد أن علم الله تعالى أزلي قديم ، وأن كل شيء بتقديره سبحانه وأن من النقص في علم الله أن يغير إرادته لتغير علمه^(٢) ولم يتأثر بعقائد الإمامية في هذا .

٧ - لم يقل بالرجعة المزعومة عند الشيعة . وهي بدعة غريبة ، وهي أن كثيرا من العصاة سيرجعون إلى الدنيا ويجازون فيها قبل يوم القيامة ، ويتنصف أهل البيت ممن ظلموهم ، كما أنه يرجع أقوام آخرون لاعتقاب عليهم لينظروا ما يحل بمن ظلم أهل البيت^(٣) ، إلى غير ذلك من الآراء التي تهم أهل الاختصاص والتفرغ لدراستها .

ولكن : هل استمر الزيدية على هذه المبادئ التي قيلت عن زيد .

والجواب : لا ، فقد جاءت طوائف حرفت مذهب زيد ، ورفضوا خلافة الشيخين^(٤) ، وقالوا بالرجعة^(٥) وعصمة الأئمة وغير ذلك من أقوال فرقتهم الأربع

(١) انظر « الإمام زيد » ص ٢٠٨ .

(٢) الإمام زيد ص ٢١١ وانظر مواقف الراضة منه « مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١٣ » .

(٣) انظر مقالات الأشعري ج ١ ص ١٤٤ عن فرقة البترية منهم ، وص ١٤٥ عن فرقة اليعقوبية حيث ظلوا على رأى زيد في إنكار الرجعة .

(٤) كما هو مذهب الجارودية فيهما ومذهب السليمانية في تكفيرهم عثمان رضي الله عنه عند الأحداث التي نتمت عليه أو البراءة منه كما هو مذهب البترية أصحاب الحسن بن صالح بن حي والنعمية أصحاب نعيم بن اليمان حيث تبرأوا من عثمان ومن محارب علي وشهدوا عليه بالكفر وذكر الأشعري بعد ذكره ماتقدم أن الفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر .

(٥) كالفرة الخامسة منهم فإنهم لا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم . « المقالات ج ١ ص ١٤٥ » .

التي هي : الجارودية ، والسليمانية أو الجريرية والبترية أو الصالحية ، واليعقوبية .
وأشهرها الجارودية .

٥ - الرفضة

١ - معنى الرفضة لغة واصطلاحاً

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك . يقال رفض يرفض رفضاً أى ترك .
وعرفهم أهل اللغة بقولهم : « والروافض كل جند تركوا قائدهم »^(١) : هذا
هو معنى الرفض في اللغة .

وأما في الاصطلاح : فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء
الاعتقادية . الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة ، وزعموا أن الخلافة
في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ .

٢ - سبب تسميتهم بالرفضة :

أطلقت هذه التسمية على الرفضة لأسباب كثيرة .

١ - قيل إنهم سموا رفضة لرفضهم إمامة زيد بن علي ، وتفرقهم عنه كما
تقدم^(٢) .

٢ - وقيل سموا رفضة لرفضهم أكثر الصحابة ، ورفضهم لإمامة الشيخين^(٣) .

٣ - وقيل لرفضهم الدين^(٤) .

والراجع هو الثاني ، ولانفاة بينه وبين الأول ، لأنهم كانوا رفضة يرفضون
الشيخين وقد رفضوا زيدا كذلك إذ لم يرض مذهبهم .

(١) انظر الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٠٧٨ ، وانظر القاموس المحيط ص ٣٤٤ .

(٢) انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٠ . (٣) مقالات الأشعري ج ١ ص ٨٩ .

(٤) المصدر السابق ، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٣- وجود الرافضة قبل اتصالهم بزيد.

وجدت هذه الطائفة قبل انضمامهم لزيد بن علي ، وكانت عقيدتهم هي الرفض ، ولهذا طلبوا من زيد أن يوافقهم على أهوائهم ، ويتبرأ من الشيخين فخيبت آمالهم وانفصلوا عنه .

وسبب ذلك يعود إلى تشبعهم بأفكار اليهودي ابن سبأ ، وانحرافهم التام عن التشيع لأهل البيت الذي كان عبارة عن الحب والمناصرة .

٤ - أسماءهم قبل إتصالهم بزيد

ومن أسمائهم في تلك الفترة :

١ - الخشبية .

٢ - الإمامية (١) .

وسبب تسميتهم بالخشبية : أنهم كما قيل كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت وسبب تسميتهم بالإمامية : لزعمهم أن النبي - ﷺ - نص علي إمامة علي - رضي الله عنه - نصاً ظاهراً وبقيناً صادقاً ، ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده كما يدعي هؤلاء .

٥ - فرق الروافض

لقد تفرقت الشيعة الروافض إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها ، ولا على اعتبار من هم الأصول ومن هم الفروع منهم . ولا حاجة إلى التطويل بذكر جميع تلك الفرق الأصول والفروع ، إذ الكل يجمعهم معتقد واحد حول الإمامة وأحقية علي بها وأولاده من بعده ورفض من عداهم .

(١) انظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٥ ، وانظر الأيان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٧٦ .

وأشهر فرق الروافض : - الشيعة الإثنا عشرية كما سندر سهم بالتفصيل وفرقة أجرى منهم تسمى - المحمدية وسنقتصر على دراسة هاتين الطائفتين ليتضح من خلالهما مدى تناقض الشيعة في عقائدهم الهامة مثل الإيمان بالمهدي^(١) والرجعه^(٢) وغير ذلك من عقائدهم ، إضافة إلى أن هذه الفرقة لاتزال الطائفة الذين صدقوا بقتل زعيمهم الذي ينتسبون إليه - النفس الزكية - يأتون إلى قبره - الذي ظنوا بأنه دفن في مكانه ذلك - يأتون إليه ويتمسحون به ويدعون عنده إلى اليوم .

١ - وخلاصة أمر هذه المحمدية أنهم طائفة يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، ويعرف بالنفس الزكية .
ولد محمد سنة ٩٣ هـ^(٣) ، ويوصف بأنه كان فاضلا صاحب عبادة وورع ، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية .

خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥ هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي ، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى الهاشمي ، فدارت المعركة على محمد فسقط قتيلًا بعد مدة قليلة من إعلان خروجه ، وقد احتز عيسى رأس محمد وأرسله إلى أبي جعفر المنصور^(٤) جريا على العادة التي سنها الأمويون من قبل لإرهاب المخالفين .

ومما يجدر ذكره أن شخصا ما كرا اسمه المغيرة بن سعيد العجلي كانت له آراء ضالة استغل توجه الناس إلى محمد بن علي بن الحسن فأخذ يدعو الناس

(١) لأن مهدي الاثني عشرية غير مهدي المحمدية .

(٢) لأن المحمدية تؤمن برجعة كل الأموات قبل يوم القيامة قال شاعرهم :

إلى يوم يؤب الناس فيه إلى دنياهم قبل الحساب

« الفرق بين الفرق » ص ٥٩ .

(٣) حركة النفس الزكية ص ٥٥ .
(٤) انظر مقاتل الطالبين ص ١٨٥ .

إلى البيعة لمحمد ، وجد في ذلك ، وزعم للناس أن المهدي المنتظر قد خرج وأنه محمد بن الحسن ، وبشر الناس بأن ملكه سيمتد طويلا ويعيد الأمور إلى نصابها ويملا الأرض عدلا ، وأن على الجميع أن يبادروا بالطاعة والانطواء تحت لوائه للقيام بواجبهم نحو المهدي .

وحيثما قتل محمد في أول لقاء مع عيسى بن موسى أسقط في يد أتباعه من هؤلاء الحمقي الذين صدقوا أقواله وأنقسموا فيما بينهم - فطائفة تبرأت من المغيرة وقالوا لا يجوز لنا متابعتة بعد أن ظهر كذبه ، فإن محمد بن عبد الله بن الحسن مات مقتولا ولم يملك ولم يملأ الأرض عدلا ، ولو كان هو المهدي لتكفل الله بظهوره .

- وطائفة أخرى - لأغراض في أنفسهم ولبقاء شوكتهم - استمروا على الولاء للمغيرة ولمحمد بن عبد الله بن الحسن ، ولجؤوا إلى أقوال السبئية فقالوا إن محمدا لم يقتل ، وإنما المقتول كان شيطانا تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن ، وأن محمدا لا يزال حيا في جبل حاجر بنجد ولا بد أن يظهر مرة أخرى ، ويملا الأرض عدلا ، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة^(١) .

وقد ذكر بعض أهل المعرفة أن جماعة من الشيعة يأتون إلى مكان في المدينة المنورة خلف مسجد ثنية الوداع لزيارته لاعتقادهم أنه قبر محمد بن عبد الله ابن الحسن ، وقد أزيل هذا المكان في مشروع . ويظهر أن هؤلاء الشيعة هم من قسم الذين صدقوا بموته وفارقوا المغيرة .

وقد استمر المغيرة على ضلالاته حتى قتله خالد بن عبد الله القسري .

(١) انظر لأخبار هذه الفرقة : الفرق بين الفرق ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .
ومقالات الأشعري ج ١ ص ٩٨ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٧ .

٢ - الإثنا عشرية

هذه هي الواجهة الرئيسية والوجه البارز للتشيع في عصرنا الحاضر وهم القائمون على نشر هذا المذهب الرافضي والممول له بثستي الطرق والأساليب، وقد تحقق لهم الكثير مما أرادوه في العالم الإسلامي وذلك لما يبذلونه من مساعدات مادية ومعنوية .

فتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة ، وأكثرها انتشارا في العالم ، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية، ولهم نشاط ملموس في كثير من البلدان في الآونة الأخيرة حيث توغلوا إلى أماكن من بلدان المسلمين ما كان لهم فيها ذكر .

وهم مجموعة من الطوائف المختلفة الآراء بعضها معلن وبعضها مستتر ويجمعهم هدف عام واحد وهو علو المذهب الاثنا عشرى الجعفرى الذي زعم الخميني أن أتباعه يبلغون ٢٠٠ مليون شيعي ، كان النواة الأولى فيها لمذهب التشيع هو الرسول وعلي بن أبي طالب وخديجة ، حيث بدأ الرسول - حسب زعمه - يدعو للتشيع من نقطة الصفر^(١).

١ - أسماءهم ، وسبب تلك التسميات

للإثنا عشرية أسماء تطلق عليهم بعضها من قبل مخالفيهم وبعضها من قبلهم هم ، وهذه الأسماء هي :

١ - الإثنا عشرية^(٢).

وسبب تسميتهم بها لاعتقادهم وقولهم بامامة اثنا عشر رجلا من آل البيت، ثبتت إمامتهم - حسب زعمهم - بنص من النبي ﷺ ، وكل واحد منهم يوصي

(١) انظر كتابه « ولاية الفقيه » ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(١) انظر الفرق الإسلامية ص ٨٠ ، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٨١ .

بها لمن يليه .

وأولهم : علي - رضي الله عنه - ، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفي في حدود سنة (٢٦٠) هـ وسيعود بزعمهم ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويسير الخير بين الناس وافراً إلى آخر مزاعمهم الكثيرة ، وفيه قال الشيرازي : (كما تسمى الشيعة بالاثنا عشرية لأنهم يعتقدون بامامة الأئمة الإثني عشرية)^(١).

وهؤلاء الأئمة الإثنا عشر هم :-

- ١ - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه .
- ٢ - الحسن بن علي - رضي الله عنه .
- ٣ - الحسين بن علي - رضي الله عنه .
- ٤ - علي بن الحسين .
- ٥ - محمد بن علي بن الحسين الباقر .
- ٦ - جعفر بن محمد بن الحسين - أبو عبد الله - الصادق .
- ٧ - موسى بن جعفر الكاظم .
- ٨ - علي بن موسى - الرضي .
- ٩ - محمد بن علي - الجواد .
- ١٠ - علي بن محمد الهادي .
- ١١ - الحسن بن علي العسكري .

١٢ - محمد بن الحسن العسكري الغائب الموهوم ، كما يسميه الشيخ إحسان الهي - رحمه الله تعالى - ، ومن الملاحظ أن الشيعة الإثنا عشرية حصروا الإمامة في أولاد الحسين بن علي دون أولاد الحسن - رضي الله عنهما - ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تزوج الحسين بن علي بنت ملك فارس يزدجرد

(١) قضية الشيعة ص ٤ .

ومجيء علي بن الحسين منها .

٢ - من أسمائهم الجعفرية :-

نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه - كما يزعمون - وهو برئ من أكاذيب الشيعة هذه ، فإنهم يسندون أقوالا واعتقادات لا يقول بها من له أدني بصيرة في الإسلام فكيف به ؟

وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم بالرافضة فإنهم يتأذون منه وهم أحق بتسميتهم بالرافضة لالجعفرية لأنهم لا يعرفون مذهب جعفر الصادق ، وإنما هي تخرصات جمعوها وتلفيقات استحسنتوها ثم نسبوها إليه^(١) وأكثرها مما لا يرضي الله ورسوله بل ولا يقوله عاقل ولا طالب علم يعرف الشريعة الإسلامية ومع ذلك يتبجح الشيعة بانتسابهم إليه ظلما وزورا .

يقول الخميني مفتخرا : نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري ، ففقهنا هذا البحر المعطاء بلاحد ، وهو من آثار جعفر الصادق^(٢) .

ويقول الشيرازي : كما تسمي الشيعة بالجعفرية لأن الإمام جعفر بن محمد الصادق - ع - تمكن أن يوسع نشر الإسلام أصولا وفروعا وآدابا وأخلاقا ، وأما سائر الأئمة فلم يتمكنوا من ذلك لما كانوا يلاقونه من الاضطراب كما في زمان علي والحسن والحسين . - ع - ، والكبت والإرهاب من أيدي الخلفاء الأمويين والعباسيين ، لكن الإمام الصادق - ع - حيث كان في زمن التصادم بين بني أمية وبني العباس اغتنم الموقف فرصة لنشر حقائق الإسلام بصورة واسعة ، والشيعة أخذوا منه أكثر معالم الدين ، ولذا نسبوا إليه^(٣) .

(١) انظر مؤتمر النجف ص ١٠١ من الخطوط العريضة .

(٢) الوصية الإلهية ص ٥ .

(٣) قضية الشيعة ص ٣ .

٣ - الرفضية :-

الرفضية أو الروافض وهو اسم غير محبوب لديهم وقد سموا به إما :

- ١ - لأنهم رفضوا مناصرة زيد بن علي - كما تقدم - .
- ٢ - أو لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم .
- ٣ - أو لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين .
- ٤ - أو لرفضهم الدين (١) .
- ٥ - وهناك تعليل لبعض الشيعة وهو أنهم سموا بهذه التسمية من قبل خصومهم للتشفي منهم .

ولكن توجد رواية في الكافي عن جعفر بن محمد أن الله هو الذي سماهم رافضة ، وهذا ينقض ما زعموه أنهم لا يستحقون هذه التسمية . وكل تلك التعليقات غير الخامس تصدق عليهم .

جاء في الكافي عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال : قلت لأبي - عبدالله - جعفر - : جعلت فداك إننا قد نبزنا نبزا أثقل ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت به الولاة دماءنا قال : فقال أبو عبد الله - ع - الرفضية ؟ قلت نعم . قال لا والله ما هم سموكم به ولكن الله سماكم به (٢) .

٤ - الإمامية :-

- ١ - أما نسبة إلى الإمام (الخليفة) لأنهم أكثروا من الاهتمام بالإمامة في تعاليمهم كما هو واقع بحوثهم .
- ٢ - أو لزعمهم أن الرسول - ﷺ - نص علي إمامة علي وأولاده .

(١) قد سبق عزو هذه الأقوال .

(٢) أنظر الشيعة والتشيع نقلا عن الكافي - كتاب الروضة ص ٣٤ .

واختار هذا التعريف الشهرستاني^(١). وهو التعريف الذي ذكره الشيرازي منهم حيث قال : وتسمي الشيعة بالإمامية لأنهم يعتقدون بإمامة - علي - أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر^(٢).

٣ - أو لا تتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر^(٣).

٥ - الخاصة :-

وهذه التسمية هم أطلقوها على أنفسهم وأهل مذهبهم وقد ذكر العلماء كثيرا من الأمور التي شابه الشيعة اليهود فيها^(٤). ومن ذلك تسميتهم لأنفسهم الخاصة ، ومن عداهم العامة كما فعلت اليهود حينما سموا أنفسهم - شعب الله المختار - ، وسموا من عداهم - الجوييم أو الأميمين - .

وتوجد بينهم وبين اليهود مشابهاة في أشياء كثيرة سنذكر بعضها بعد قليل.

٦ - (سبب انتشار مذهب الرافضة وأماكن انتشارهم) .

لقد انتشر المذهب الرديئ انتشاراً واسعاً ، وسبب ذلك يعود - فيما يظهر لي - إلى أمور من أهمها :

١ - جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم الإسلامي .

٢ - وإلى جهلهم بحقيقة مذهب الرافضة .

٣ - وإلى نشاط هؤلاء الروافض في نشره بثتى الوسائل .

وقد تعاطف معهم كثير من المسلمين متناسين أو جاهلين أنه لا فائدة للإسلام أو للمسلمين من شخص يدعي الإسلام ثم يلعن الصحابة ويكفرهم ويحكم

(١) انظر (أوجه الشبه بين اليهود والرافضة في العقيدة) رسالة ما جستير للرحيلي ، وانظر كتاب (رسالة في الرد علي الرافضة) .

عليهم بالردة ويرى بأن القرآن فيه تحريف وزيادة ونقص ، ثم ينتظر المهدي الذي يأتي ويسفك دماء أهل السنة بدون رحمة ، كما قرروه في كتبهم تنفيذا عن أحقادهم عليهم .

(أهم الأماكن التي انتشر فيها هذا المذهب)

- ١ - إيران : وهو المذهب الرسمي للدولة ، وقد أعلن الخميني في دستورهم أن دين الدولة يقوم علي المذهب الجعفري .
- ٢ - العراق .
- ٣ - الهند .
- ٤ - باكستان .

وفي هذه البلدان أعداد منهم ، وقد انبثوا في بقاع من سوريا ولبنان ودول الخليج ، وكثير من البلدان الإسلامية مستغلين غفلة أهل السنة . ولم أثبت هنا نسبة أعدادهم في تلك البلدان لعدم اقتناعي بصحة تلك الأعداد التي تذكر عنهم لما يحصل في الغالب من مغالطات في ذكر عدد نسبة السنة أو الشيعة في أي بلد لأغراض سياسية ودعائية .

٧ - فرق الإثنا عشرية :-

انقسمت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة^(١).

من أهمها وأشدّها خطرا وأكثرها نفوذا وشوكة وتأثيرا في المجتمع الشيعي ، وأشدّهم نشاطا في دعوي ظهور المهدي :-

١ - الشيخية :

قال الألو سي وقد يقال لهم الأحمديّة^(٢)، وهي طائفة تنتسب إلى رجل يقال له الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي البحراني ، المولود سنة ١١٦٦ هـ ،

(١) عند الأضرى - ٣٠ - فرقة بالزيدية . وفي مختصر التحفة الاثنا عشرية أنهم - ٣٩ - فرقة ص ٢١

(٢) مختصر التحفة الاثنا عشرية ص ٢٢ .

والمتوفى سنة ١٢٤٣ هـ ، وهو شيخ ضبال ملحد ، له آراء كفرية وزندقة ظاهرة ،
ومهد السبيل بآرائه لظهور ملاحدة جاءوا بعده .

وأما بالنسبة للشيعة فقد مجدوه وذكروا له ألقابا هائلة من التبجيل والتعظيم ،
فأطلقوا عليه - كذبا وزورا - ترجمان الحكماء ، لسان العرفاء ، غرة الدهر ،
فيلسوف العصر ... إلخ .

وقد عاش الإحسائي كاتبا ومدرسا في مدن الشيعة الهامة ، مثل كربلاء
وطوس وغيرهما من البلدان ، ونشر أفكاره ومعتقداته الضالة ، وكون له أتباعا
كان لهم أثر في قيام حركات أخرى كالبايية والبهائية .

أهم معتقداته:

١ - زعم أن الله - تعالى عن قوله - تجلي في علي وفي أولاده الأحد عشر ، وأنهم
مظاهر الله ، وأصحاب الصفات الإلهية ، وهي عقيدة حلولية مستمدة من
عقائد البراهمة وغلالة الصوفية .

٢ - أرجع وجود هذا الكون وما فيه إلى وجود الأئمة ، وأنهم هم العلة المؤثرة
في وجوده إذ لولاهم ما خلق الله شيئا ، وبمثل هذا قال الغلاة عبارتهم
المشهورة في مدح النبي ﷺ - بما لا يرضاه - : « لولاك لولاك ... لما
خلقت الأفلاك » وهو غلو فاحش يجب التوبة منه .

٣ - وزعم في محمد بن الحسن العسكري المهدي المزعوم عند الشيعة مزاعم
غريبة منها أن المهدي المذكور يتجلي ويظهر في كل مكان في صورة رجل
يكون هو المؤمن الكامل ، أو الباب إلي المهدي وتحل فيه روح المهدي ، ثم
ادعي لنفسه وجود هذه الصفة فيه ، وضلل كثيرا ممن سار علي شاكلته إلى
أن هلك .

٢- الرشتية

وبعد هلاك الشيخ أحمد الإحسائي قام بأمر الشيخية أحد تلامذته وخريجيه، ويسمى كاظم الحسن الرشتي^(١) سنة ١٢٤٢ هـ... ونهج نفس المنهج والطريق التي عليها سلفه في كثير من المسائل، وخالفه في أخرى، إلا أنه زاد الطين بلة حين قال إنه حل فيه روح الأبواب كما حل في الإحسائي، ولكن آن الأوان لانقطاع الأبواب ومجيء المهدي نفسه، ومن هنا بدأ يلتمس ظهور المهدي، وهو في الحقيقة إنما بحث عن صيد فوجده، حيث وقع اختياره علي شخصية من تلاميذه ليجعل منه المهدي المنتظر بعد أن لمس أن هذه الدعوى يمكن أن تجد لها أتباعا.

وقد نشر الرشتي مذهبه الفاسد حتى صارت له أماكن كثيرة وأتباع كثيرون من شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت، وانتشرت أفكاره أيضا في الهند وباكستان، وافتتحت فيهما مراكز كثيرة، وتأثيرهم المساعدات من تلك الأماكن التي وصل انتشار الشيخية إليها.

وهناك فرقة أخرى هي محل نظر في إلحاقها بالشيعة الإثنا عشرية أو الصوفية، وتسمى النور بخشية نسبة إلى رجل يسمى محمد نور بخش القوهستاني المولود سنة ٧٩٥ هـ^(٢).

(١) مختصر التحفة الإثنا عشرية ص ٢٢ .

(٢) انظر الشيعة والتشيع ص ٣٠٧ - ٣١٤ .

الفصل السابع

إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للشيعة

للشيعة آراء اعتقادية كثيرة لا يتسع المقام هنا لبسطها،،، إلا أننا سنقتصر في دراستنا لآراء الشيعة على أهم المسائل الاعتقادية عندهم والتي كان لها أثر هام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة وطريقة أهل الحق ... وسنقتصر على المسائل الآتية علي سبيل الإيجاز :

- ١ - قصر استحقاق الخلافة في آل البيت ، علي وذريته رضي الله عنهم وأنها كانت بنص من النبي ﷺ فيهم .
- ٢ - دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .
- ٣ - تدينهم بالتقية .
- ٤ - دعواهم المهديّة .
- ٥ - ودعواهم الرجعة .
- ٦ - موقفهم من القرآن الكريم .
- ٧ - موقفهم من الصحابة .
- ٨ - القول بالبداة على الله تعالى .

وتوجد لهم آراء أخرى - كما ذكرنا - مثل دعوى النبوة في بعض من يتشيعون لهم ... ومثل القول بالتناسخ والحلول ، وغير ذلك . وهذه الآراء الظاهر سقوطها وبطلانها توجد في فرقهم القديمة والحديثة ، وقد تخرج بعض فرقهم عن رأي وتلتزم بآخر لا يقل عنه سوءاً وضلالاً إلا من اعتدل منهم كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق وهم قليل .

أولاً : موقفهم من الخلافة والإمامة

هذه القضية هي الشغل الشاغل لهم ، وهي مركز بحوثهم ، ومن أهم الأسس لعقيدتهم ، وأكثر المسائل الفرعية ترجع إليها ، وأهم ما يدور من الخلاف بينهم وبين أهل السنة ، أو فيما بينهم إنما يدور حولها .

ويعتبر الشيعة الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركن من أركان الإسلام ويعتقدون أنها منصب ثبتت من عند الله تعالى ... يختار الله الإمام كما يختار الأنبياء والمرسلين .

والإثنا عشرية يحصرونها في علي وفي أولاده، ولا يصححونها في غيرهم .
وفيما يلي نستعرض أهم آراءهم فيها :

١ - الإمام له صلة بالله تعالى من جنس الصلة التي للأنبياء والرسل (١).

روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال : « أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة » (٢).

وفي هذا يروي الكليني في كتابه الكافي : « أن الحسن بن العباس المعروفي كتب إلي الرضا يقول له : « جعلت فداك ، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام ؟ » .

قال : فكتب أو قال : « الفرق بين الرسول والنبى والإمام ... أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل ، فيراه ويسمع كلامه ، وينزل عليه الوحي ، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم .

والنبى ربما سمع الكلام ، وربما رأى الشخص ولم يسمع .

(١) انظر باب الاضطرار إلى الحجّة ص ١٢٨ . وباب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة ص ١٣٣ .

وباب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث ص ١٣٤ في الكافي ج ١ للكليني .

(٢) الكافي ج ١ ص ١٤٣ .

والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص (١). أي أن الإمام حسب هذا الكلام يوحى إليه .

وهذا خلاف ما يعتقده المسلمون من انقطاع الوحي بمحمد ﷺ ، ولكن الشيعة وهم يقررون أن رتبة الإمام لا يصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل - كما ادعي الخميني في هذا العصر (٢) - لا يمنعهم مانع من هذا الادعاء .

٢ - الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله .

روى أبو حمزة قال ، قال لي جعفر ع : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا .

قلت : جعلت الله فداك . فما معرفة الله ؟

قال : تصديق الله عز وجل ، وتصديق رسوله ع وموالاته علي ع والائتمام به وبأئمة الهدى ع والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم .. هكذا يعرف الله عز وجل (٣) .

ومن الذي أخبرهم أن معرفة الله لا تكفي بدون معرفة الإمام ؟

ومتي كانت معرفة أهل البيت من أركان الإيمان بالله تعالى ؟

٣ - حرفوا معاني القرآن الكريم إلى هواهم في الأئمة ، ومن ذلك :

أ - تفسيرهم لقول الله عز وجل ﴿ وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ﴾
النور : الإمام علي والأئمة من بعده ، كما فسره أبو عبد الله حسب زعم الكليني (٤) .

ب - تفسيرهم لقول الله عز وجل ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن

(١) الكافي ، كتاب الحجّة ج ١ ص ١٣٤ ، وذكر روايات غيرها .

(٢) ولاية الفقيه ص ٦١ . (٣) الكافي ج ١ ص ١٣٨ .

(٤) الكافي ج ١ ص ١٥٠ .

جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ﴿ الحسنة : معرفة الولاية وحب آل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغض آل البيت . كما فسرها علي بن أبي طالب لعبد الله الجدلي ، كما يزعم الكليني (١).

ج - تفسيرهم لقول الله عزوجل ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ أي إمام يهديهم ابتداءً بعلي وانتهاءً بالمهدي (٢).

إلى غير ذلك من الآيات التي فسروها بمثل هذه المعاني الباطلة في كتبهم المعتبرة ، وأهمها الكافي .

٤ - زعموا في الأئمة أنهم هم الذين جمعوا القرآن كله كما أنزل (٣) ولا يعترفون بغير ذلك ، وجحدوا جهود الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه ، وأبي بن كعب ، وغيرهما من خيار الصحابة رضي الله عنهم .

٥ - الأئمة عندهم اسم الله الأعظم (٤) ، وعندهم الجفر - وهو دعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل .

وعندهم مصحف فاطمة ، وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات ، ليس فيه من قرآننا حرف واحد (٥) ، وأن الأئمة لا يموتون إلا بمشيئتهم واختيارهم (٦).

٦ - وأن الإمام إذا مات لا يغسله إلا الإمام الذي يليه ، وهو أكبر أولاده (٧).

ومن خرافاتهم في خلق الإمام من الإمام ما يرويه يونس بن ظبيان ، عن أبي

(١) الكافي ج ١ ص ١٤٢ . (٢) الكافي ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) انظر باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله « الكافي

ج ١ ص ١٧٨ ، أورد روايات وأحاديث كثيرة نسبها إلى أبي عبد الله وأبي جعفر .

(٤) الكافي ج ١ ص ١٧٨ باب ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم .

(٥) انظر كتاب الحجّة من الكافي ج ١ ص ١٨٥ باب فيه ذكر الصحيحه والجفر والجامعه

ومصحف فاطمة ع والأحاديث كما يسمونها التي أوردتها في هذا الغلو الفاحش .

(٦) ج ١ ص ٣١٥ .

(٧) ج ١ ص ٢٠١ .

عبد الله أنه قال : « إن الله عز وجل ، إذا أراد أن يخلق الإمام من الإمام بعث ملكا وأخذ شربة من ماء تحت العرش ثم أوقعها أو دفعها إلى الإمام فشربها ، فيمكث في الرحم أربعين يوما لا يسمع الكلام ، ثم يسمع الكلام بعد ذلك .

فإذا وضعت أمه بعث الله إليه ذلك الملك الذي أخذ الشربة فكتب علي عضده الأيمن « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » . فإذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كل بلدة منارا ينظر به إلى أعمال العباد (١) . وهذا منتهي الكذب فلا يعلم بأعمال العباد إلا الذي خلقهم ، وهذا المنار المزعوم لا وجود له إلا في أذهانهم .

وإذا كانت هذه الرواية في الكافي ، فإن رواية أخرى هي أيضا في نفس هذا الكتاب تناقض هذه الرواية حيث تقول :

« روي غير واحد من أصحابنا أنه قال - أي جميل بن دراج - لا تتكلموا في الإمام فإن الإمام يسمع الكلام وهو في بطن أمه (٢) . إلى آخر ترهاتهم ومبالغاتهم الباطلة في الأئمة .

وجميع العقلاء وعلي رأسهم أهل السنة - يعرفون أن الخليفة إنسان ككل الناس ، يولد كما يولدون ، ويعلم أو يجهل كما يعلمون ويجهلون ، ليس له مزية إلا أن كفايته وأخلاقه جعلت الناس يختارونه لتنفيذ الأحكام فيما بينهم ، فإذا جار وخرج عن حكم الله متعمدا فلا طاعة له .

أما عند الشيعة فالخير ما فعله الإمام ، والشر ما تركه أيا كان ذلك .

ومعلوم أن عقيدتهم في الإمام تشل الفكر وتميته وتعطي للحاكم سلطة لاحد لها ولا حصر ،، فالعدل ما حكم به مطلقا ، والجور ما لم يحكم به بغض النظر عن صواب الحكم أو خطئه ، فهم المشرعون وهم الحاكمون ، والله عز

(١) ج ١ ص ٣١٨ .

(٢) ج ١ ص ٣١٩ .

وجل حين قال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ... ﴾ لم يشمل تشريعات الأئمة حسب معتقد هؤلاء ، حيث جاء هؤلاء الأئمة بتشريعات - حسب ما يروونه عنهم - لم يأت بها الشرع من قبل .

والشيعة حينما قصرُوا استحقاق الخلافة في علي رضي الله عنه وفي الأئمة من بعده تلمسوا لهم شبهة كثيرة ودعاوي مردودة علي أن ما ذهبوا إليه هو الصواب كما يرون^(١) . نذكر منها ما يلي :

١ - قالوا إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان ، والرسول ﷺ بعث لرفع الخلاف ، فلا يجوز أن يترك بيان الإمام الذي يليه إلي اختلافات الناس واجتهاداتهم^(٢) .

٢ - يستدلون ببعض الروايات الواردة في فضائل علي رضي الله عنه ومن ذلك :
أ - من كنت مولاه .. فعلي مولاه^(٣) .

ب - أقضاكم علي^(٤) .

ج - أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٥) . زاد العاملي في الحديث « إنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفتي »^(٦) .

٣ - استدلوا ببعض الاستنباطات من وقائع يزعمون أنها كانت من النبي ﷺ تشير إلى خلافة علي منها :

(١) أدلتهم علي ذلك كثيرة جدا ، حيث لفقوا عشرات الأحاديث في إثبات الوصية والخلافة في علي وأولاده كما فعل العاملي في كتابه المراجعات انظر من ص ٢٣٩ إلي ص ٢٤٦ ، وانظر بابا خاصا في الوصية هو المراجعة رقم ٦٨ .

(٢) انظر فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ص ١٣ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٣٣ . (٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣ .

(٥) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧١ .

(٦) المراجعات ص ١٦٢ وانظر أضواء علي خطوط محب الدين العريضة لعبد الواحد الأنصاري ص ٩٨ .

أ - أن النبي ﷺ لم يؤمر علي عليّ أحدًا من الصحابة ، فحيثما انفرد عن النبي ﷺ في غزوة أو سفر كان هو الأمير (١).

ب - أن الرسول ﷺ أرسل عليا بسورة براءة ليقرأها علي الناس في الحج مع أن أمير الحج هو أبو بكر رضي الله عنه حينئذ فأرجعه كما يزعم عبد الواحد الأنصاري (٢).

والواقع أن فضائل الإمام علي مما يتباهي به أهل السنة . ويحرصون علي ذكرها ، إلا أنه ليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة علي ما زعموه .

فأما قولهم إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان ، وأن الرسول بيّنه .. فصحيح أن الرسول ﷺ بيّنه بمقدمات كثيرة تدل علي استخلافه لأبي بكر ، وإن كان هناك خلاف بين أهل السنة هل بين الرسول ﷺ وخلافه أبي بكر بالنص الصريح أو الإشارة إلا أن أسعدهم بالدليل من قال إنها ثبتت بالنص والإشارة معا .

ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه .

قالت : رأيت إن جئت فلم أجذك ؟ كأنها تقول الموت .

قال ﷺ : إن لم تجديني فأت أبا بكر (٣).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر (٤) » .

(١) الملل والنحل ج١ ص ١٦٣ . (٢) أضواء علي خطوط محب الدين ص ٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٧ ، ومسلم ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٤) أخرجه الترمذي ج ٥ ص ٦٠٩ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت لي رسول الله ﷺ في مرضه : ادعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر (١).

وأحاديث أخرى كثيرة عرف منها الصحابة أحقية الصديق بالخلافة من بعد رسول الله ﷺ ، وليس للشيعة في دفعها إلا الكذب والبهتان ، وليس معهم أي دليل عن علي رضي الله عنه ثابت يدعي فيه أن الرسول ﷺ نص علي استخلافه كما شهد بذلك المنصفون من الشيعة أنفسهم في كتبهم (٢). ولو قال علي ذلك لما كذبه أحد من الناس ، وكان علي يعلم أن الخلافة ليست بالوراثة ، وإنما تكون إذا اجتمع رأى أهل الحل والعقد من المسلمين على اختيار من يتولي الخلافة ، ثم تعقب ذلك المبايعة العامة في المسجد كما جرى عليه الأمر من قبل.

وقد رد علي من قالوا له استخلف علينا - كما يرويه ابن كثير - فقال لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم علي خيركم كما جمعكم علي خيركم بعد رسول الله ﷺ (٣).

والشاهد في هذا النص أن عليا لم يذكر نصا من الرسول ﷺ علي ولايته .. وفيه شاهد أيضا على اعترافه بفضل أبي بكر رضي الله عنه .

ويزيد هذه الحقيقة وضوحاً ما روي أن العباس عم الرسول ﷺ طلب إلى علي أن يتحدث ويطلب إلى رسول الله ﷺ في مرضه ليوصي لبني هاشم بالخلافة ، أو يوصي بهم الناس فأبى علي ذلك وقال : لو منعناها رسول الله ﷺ لم يعطها لنا أحد بعده .

(١) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٢٤٨ .

(٢) انظر الشيعة والتصحيح للموسوي ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٢٥ .

وهذا يدل على بعد نظره وقوة فهمه رضي الله عنه ، فلو كان يعلم نصا في ذلك لما تردد في إعلانه وقد دعت الضرورة إليه بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد ثبت عنه ، بل أعلن على منبر الكوفة أمام جمهور أتباعه أن الخلفاء الثلاثة من قبله هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ : « أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميته » .

وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر « ثم عثمان ثم عثمان » (١) .

وحيثما تمت مبايعة الحسن بعد استشهاد الإمام علي لم يذكر فيها تصريحاً ولا تلميحاً أن هناك نص من أبيه على مبايعته ، وإنما كان أول من تقدم لمبايعته قيس بن سعد بن عبادة قائلاً له : « ابسط يدك أبايعك علي كتاب الله وسنة نبيه » فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده (٢) ، ولو أن الحسن يعرف نصا على استخلافه لما جاز له ترك الخلافة ولا السكوت عن إخبار الصحابة به وإعلامهم بحقيقة الأمر ليخرج أقل ما يقال من اثم الكتمان ، إذا أغفلنا النظر عن حقيقة هامة وهي أنه كان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم .

وإذا كان الحسن قد تنازل عن الخلافة لمصلحة المسلمين وحقن دمايتهم ، فإنه من الكذب أن يقال أنه أوصي للحسين من بعده ، فكيف يوصي بها للحسين وقد تنازل عنها ، وصارت حقاً لغيره ، وإذا كان هو زهد عنها وكرهها ، فكيف يرضاها لأحد من أهل بيته؟

وإذا كان تنازله عنها لحقن الدماء ... أفىوصي بسفكها بعد موته؟

إضافة إلى أنه لا يوجد لأحد من أهل البيت نص ثابت يدل على دعوى ثبوت الخلافة فيهم ، لا عن الحسن ، ولا عن الحسين ، ولا عن غيرهما من أهل البيت لا فيهم ، ولا في غيرهم ، وقد وجد من المسلمين من كانت له ميول قوية

(١) انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٣ ، ١٤ . (٢) انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤ .

في إسناد الخلافة إلى من يصلح لها من آل البيت خصوصا حينما أسندت إلى بعض بني أمية الذين ما كانوا في المنزلة المرضية بمقارنة بعضهم بآل البيت ، وتجلي ذلك كثيرا حينما تولي الخلافة يزيد مع وجود الحسين وغيره من كبار آل البيت .

ثم ما كان لبعض الولاة من الأمويين من معاملة سيئة لبعض أهل البيت . إضافة إلى تلك الطريقة التي كان يتم بها نقل الخلافة دون اختيار ولا مشورة ، ومع ذلك كله فإنه لم يزعم أحد من بني هاشم أن لدية أي نص من الرسول ﷺ لعلي يعطي له ولبنيه الحق في تولي هذا الأمر من بعده أو توارثه في أعقابهم ولا أعقاب أعقابهم كما قرره علماء الشيعة .

ومما لا شك فيه أن الأحداث السيئة التي تلاحقت بآل البيت خصوصا استشهاد الحسين مما أثار في النفوس تعاطفا قويا نحو آل البيت ، وقد ظهر هذا التعاطف في كثير من الأمور أنه كان لمصلحة بعض المغامرين الذين يتطلعون إلى تحقيق أهداف لهم كما فعل المختار وغيره ممن تظاهر بالتشيع وحب أهل البيت ليصل إلى غرضه من أقرب الطرق .

وأما استدلالهم بقوله ﷺ : « من كنت مولاه .. فعلي مولاه » ... فجوابه أن هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة بمعنى الإمارة . فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات موالاة المؤمنين بعضهم لبعض في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ، وأن المؤمنين أولياء لله ، وأن الله وملائكته والمؤمنين موالى رسوله .

كما أن الله ورسوله والذين آمنوا أولياء المؤمنين ، وليس معناها أن من كان وليا لآخر كان أميرا عليه دون غيره ، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس ، قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ ^(٣) .

(٣) التحريم : ٤ .

(٢) محمد : ١١ .

(١) التوبة ٧١ .

وولاية علي رضي الله عنه واجبة علي كل أحد من جنس موالة المؤمنين بعضهم بعضا ، فكل من كان الرسول ﷺ مولاه فعلي مولاه ، ولاشك فالذي لا يتولي الرسول ﷺ لا يكون وليا لعلي رضي الله عنه ، ولم يكن المراد من الحديث من كنت مولاه ، أي أميرا عليه فعلي مولاه أي أميرا عليه ، لأن معناه لا يوحى بهذا .

وأما استدلالهم بحديث « أقضاكم علي » فالجواب أنه علي فرض صحته ليس فيه نص علي الخلافة لعلي ، فإن معرفة الإنسان بشيء لا يلزم أن يكون هو المتولي له ، فلا يلزم من معرفة الشخص للقضاء أن يكون هو الحاكم أو الخليفة للمسلمين .

وصحيح أن معرفة القضاء أمر مهم في الحكم إلا أنه ليس من شرط الإمامة أن يكون أعلم الناس بالقضاء ، وقد جاء في القرآن الكريم أن داود عليه السلام كان هو الخليفة ، ومع ذلك خفي عليه إصابة الحكم في بعض القضايا ، وفهمها سليمان كما أخبر الله بذلك .

في قصة التحاكم في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ ولم يوجب هذا الموقف أن يكون سليمان هو الخليفة في عهد أبيه . ولو كان الحديث يؤدي إلى مافهم الشيعة لوجب على الناس تغيير الحكام باستمرار كلما وجد شخص أعرف من غيره .

وأما استدلالهم بحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » .

فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه نص على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ ، كما أن هارون لم يكن هو خليفة موسى فقد مات قبله .

وسبب الحديث يوضح مراد النبي ﷺ وذلك أن الرسول ﷺ حينما أراد أن يتوجه إلى تبوك ترك عليا في المدينة للنظر في أمور المسلمين فقال بعض

المنافقين في المدينة إنما خلف علياً لأنه يستثقله ولا يحبه .

فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وهو نازل بالجرف^(١) وأخبره بقول المنافقين . فقال له رسول الله ﷺ « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ، فبين له أن استخلافه علي المدينة لم يكن لاستثقاله كما زعم أولئك ، وإنما كان استخلافه كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه ، ولم يستخلف موسى هارون بغضاً له أو استثقالاً ، كما أن الحنان الذي كان بين موسى وهارون يوجد مثله بين الرسول ﷺ وعلي رضي الله عنه ، وهذا بعيد عن الخلافة والولاية ، وإنما هو من الرسول ﷺ كهارون من موسى في الوصية له ، ووجوب احترامه ومعرفة فضله .

وأما استدلالهم بأن الرسول ﷺ كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة ، ولم يؤمر على عليّ أحداً .

فجوابه

١ - أن الرسول ﷺ قد وليّ أبا بكر أموراً كثيرة لم يشركه فيها أحد مثل ولاية الحج والصلاة بالناس ، وغير ذلك .

٢ - أن النبي ﷺ قد وليّ من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وخالد بن الوليد ، وهذا يدل على أن الرسول ﷺ لم يترك ولاية أبي بكر في بعض الأمور لكونه ناقصاً عن هؤلاء .

وقد وليّ الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة كما وليّ غيره في بعض أمره ، فلم ينفرد علي رضي الله عنه بالولاية .

٣ - ربما ترك الرسول ﷺ ولايته في بعض الأمور لأن بقاءه عنده أنفع له منه في

(١) الجرف مكان معروف كان خارج المدينة علي طريق تبوك ، والآن قربت المساكن في المدينة أن تتصل به ، ولا يزال بهذه التسمية إلى الآن .

تلك الولاية ، وحاجته إليه في المقام عنده وغناؤه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في الولاية.

وأما إرساله - ﷺ - لعلي بسورة براءة فلم يكن ذلك لرد أبي بكر عن ولاية الحج، ولكن أردفه لينبذ إلى المشركين عهدهم ، وقد كانت عاداتهم أن لا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع المسؤول العام أو رجل من أهل بيته فقط، وعلي له هذه القرابة .

وأيضاً كان علي يصلي خلف أبي بكر كسائر أهل الحج . ومن قال أن الرسول ﷺ أرسل علياً لرد أبي بكر عن إمارة الحج فقد كذب بإتفاق أهل العلم. فإن المهمة التي كلف بها علي إنما هي تنفيذ أمر الرسول ﷺ في إخبار المشركين بنبذ العهد الذي بينهم وبين المسلمين كما أمر الله تعالى^(١).

ثانياً : دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء

هذه إحدى خرافات الشيعة في أئمتهم فقد ادعوا عصمتهم من كل الذنوب والخطايا، الصغائر والكبائر ، لا خطأ ولا نسياناً منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم وجوباً لا شك فيه .

سبب ذلك :

وعند البحث عن سبب هذا الاعتقاد الذي جعلهم ينزلون أئمتهم هذه المنزلة المستحيلة ، نجد أن الذي حملهم علي ذلك هو أن العصمة عندهم شرط من شروط الإمامة^(٢)، ثم رفعوا أئمتهم وغلوا فيهم غلوا فاحشاً إلى أن اعتبروهم أفضل من الأنبياء لأنهم نواب أفضل الأنبياء^(٣).

(١) انظر كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

الصفحات : ص ٨٧ ، ومن ص ٩٢ إلى ص ٩٤ ، وص ٢٢١ ، ومن ص ٨٤ إلى ص ٨٧ .

(٢) كما نص على ذلك الطوسي في كتاب الغيبة ص ٤/٣ .

(٣) مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٨٤

ثم زادوا فأدعوا لهم أنهم يعلمون الغيب^(١)، إلهيا يحل فيهم، وإذا كان الأمر كذلك فالعصمة أمر طبيعي أن توجد فيهم .

إضافة إلى ذلك قالوا إن تنصيب الإمام إنما شرع من أجل جواز الخطأ على غير الأئمة ، فلو جاز الخطأ على الإمام وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هاد آخر، وهذا الهادي يمكن أن يلحقه الخطأ فيحتاج إلى هاد آخر ، وهكذا فيلزم التسلسل ، فقطعا للتسلسل ينبغي أن يكون كل إمام من أولئك معصوم في وقته حسب زعمهم حتى يؤمن على حفظ الشريعة ، وإلا احتجنا إلى حافظ آخر، إذ كيف يؤمن على الشريعة شخص معرض للخطأ^(٢).

كذلك من الأسباب أيضا في استنادهم في القول بعصمتهم إلى ما يزعمونه من النصوص عن أئمتهم ، فقد نقل الكليني فيما يكذب الشيعة على آل البيت أن جعفر الصادق قال : « نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة أمر الله ، نحن قوم معصومون ، أمر الله بطاعتنا ، ونهى عن معصيتنا ... نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض ».

وفي رواية أنه قال لرجل اسمه سددير حين سأله بقوله : جعلت فداك ، ما أنتم ؟ قال: نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض^(٣).

وادعاء الشيعة لأئمتهم علم الجفر هو غلو آخر منهم ، وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والمحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً، وأنه علم يتوارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم ، ويأخذ منهم المشائخ الكاملون ،

(١) انظر كتاب الحجة من الكافي ونصه : « باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لا يخفي عليهم شيء صلوات الله عليهم جـ ١ ص ٢٠٣ لترى الغلو في الأحاديث التي أوردها وسماها أحاديث أيضا ، وانظر أيضا باب نادر فيه ذكر الغيب ص ٢٠٠ ج ١ لترى النصوص علي أن الأئمة يعلمون الغيب .

(٢) انظر كتاب الغيبة ص ١٥ .

(٣) الكافي، كتاب الحجة ج ١ ص ١٤٩ .

وكانوا يكتُمونه كل الكتمان .

ويذكر الجرجاني أن الجفر والجامعة كتابان ذكر فيهما على طريقة الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم كما يدعي هؤلاء الغلاة .

وقيل إن الجفر كتاب وضعه جعفر الصادق ، وهو مكتوب على جلد الجفر لأخبار أهل البيت .

وقال ابن خلدون إن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه ، لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وهذا لاشك من الكذب الذي اختلقه غلاة الشيعة في أئمتهم ، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ، ولم يكتب الله لأحد علم المغيبات .

ولقد جاء الكليني بالغرائب عن أبي عبد الله تحت باب سماه هكذا: «باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام^(١)» حيث عُرِف بالصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة في حديثه الآتي « عدة من أصحابنا... عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله فقلت له: جعلت فداك، إنني أسالك عن مسألة ، ههنا أحد حتى يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله «ع» سترًا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ، ثم قال يا أبا محمد: سل عما بدا لك؟ قال قلت : جعلت فداك ، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم عليا بابا يفتح له منه ألف باب؟

قال : فقال يا أبا محمد علم رسول الله ﷺ عليا «ع» ألف باب ، يفتح من كل باب ألف باب .

قال : قلت ، هذا والله العلم .

(١) المصدر السابق ص ١٨٤ .

قال : فنكت ساعة في الأرض ، ثم قال إنه لعلم ، وما هو بذلك .

قال ثم قال : يا أبا محمد ، وإن عندنا الجامعة ، وما يدريهم ما الجامعة؟ قال
قلت: جعلت فداك ، وما الجامعة ؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله ، وإملائه من فلق فمه ،
وخط علي يمينه ،، فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى
الأرش في الخدش . وضرب بيده إلي وقال أتأذن لي يا أبا محمد؟ قال: جعلت
فداك، إنما أنا لك فاصنع ما شئت .

قال فغمزني بيده وقال حتى أرش هذا كأنه مغضب .

قال: قلت : هذا والله العلم .

قال : إنه لعلم وليس بذاك ، ثم سكت ساعة . ثم قال ، وإن عندنا الجفر ،
وما يدريهم ما الجفر ؟

قال : وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من
بني إسرائيل .

قال قلت ، إن هذا هو العلم .

قال : إنه لعلم ، وليس بذاك ثم سكت ساعة ، ثم قال : وإن عندنا لمصحف
فاطمة (ع) ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟

قال قلت ، وما مصحف فاطمة (ع) ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم
حرف واحد .

قال قلت ، هذا والله العلم .

قال : إنه لعلم ، وما هو بذاك ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : إن عندنا علم ما

كان ، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

قال قلت : جعلت فداك . هذا والله هو العلم .

قال : إنه لعلم ، وليس بذاك .

قال قلت ، جعلت فداك ، فأبي شيء العلم ؟

قال : ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم

القيامة»^(١) .

ثم أورد روايات أخرى كثيرة ، ولا نملك إزاء هذه الخرافات إلا أن نقول

«سبحانك هذا بهتان عظيم» .

ولا تستغرب أيها القاريء الكريم حين يتحدثون ويكذبون على أبي عبد الله ، فقد كذبوا حتى على حمار رسول الله ﷺ عفير ، حيث أورد الكليني في ذلك رواية طويلة قال في آخرها :

إن حمار رسول الله ﷺ عفير كلم رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي ، إن أبي حدثني عن أبيه ، عن جده ، عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة ، فقام إليه نوح فمسح علي كفله ، ثم قال : يخرج من صلب هذا الحمار ، حمار يركبه سيدا النبيين وخاتمهم ... فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار^(٢) .

وكانت نهاية هذا الحمار فيما يذكر الكليني أنه حين مات الرسول ﷺ قطع الحمار خطامه ، ثم فرّ ركض حتى أتى بئر بني خطمة بقاء فرمي بنفسه فيها ، فكانت قبره .

إنهم لا يتورعون عن الحديث حتى على الحيوانات فما بالك بأئمتهم؟

ومن كلام الخميني وهو أحد أئمتهم في هذا العصر قوله عن هذه الخرافة:

(٢) المصدر السابق ص ١٨٤ .

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٥ .

«نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون ، بدءاً من علي بن أبي طالب،
وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان ، عليه وعلى آباءه آلاف
التحية والسلام» وهو بمشيئة الله القدير حي يراقب الأمور^(١).

وقد أعان الله علي الكاذب بالنسيان - كما يقال - إذ توجد لهم روايات في
كتبهم يخبرون فيها عن بعض أهل البيت من الأئمة وفيها اتهامات لهم وذم في
مقابل ذلك الغلو فيهم فيصفونهم أحياناً بقلّة العلم ، وأحياناً أخرى بالغفلة
والتناقض في أفكارهم أيضاً . بل ويصفونهم بصفات شنيعة مما يكذب هذه
العلامات والشروط التي تصوروا وقوعها في كل إمام من أئمتهم .

قال الطوسي في ذم جعفر بن علي بعد سبب كثير له قال فيه : « وما روى
فيه وله من الأقوال والأفعال الشنيعة أكثر من أن تحصى نزه كتابنا عن ذلك»^(٢).

ثم انظر تفضيل الخميني لإيران في عصره على الحجاز في عصر الرسول
الله ﷺ ، وعلى الكوفة والعراق في عهد علي رضي الله عنه ، حيث قال:
«إنني أقولها بجرأة أن شعب إيران بجماهيره المليونية في العصر الحاضر هو
أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله ﷺ ، وشعب الكوفة، والعراق
على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي»^(٣).

إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم

أما اعتقادهم خوف وقوع الخطأ من الإمام لو لم يكن معصوماً ، فإنه من
المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفسد،
وحفظ الأمن والرجوع إليه عند الاختلاف ، وغير ذلك ، وليس من شرط بقائه
في الحكم يكون معصوماً . ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتماً في كل

(٢) كتاب الغيبة ص ١٣٧ .

(١) الوصية الإلهية للخميني ص ٥ .

(٣) الوصية الإلهية ص ١٦ .

قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان، ولا مانع بعد ذلك أن يخطيء ويصيب كبقية الناس .

وادعائهم أنه لا يجوز عليه الخطأ يكذبه العقل والواقع .

وكذلك زعمهم أنه لا بد من إمام معصوم للناس ، فإنه لا يكفي إمام واحد فإن البلدان متباعدة ، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذا أن يكون في كل بلد إمام معصوم يباشر الحكم بنفسه وإلا هلك الناس، ولا يجوز له أن ينيب أحدا مكانه لجواز الخطأ عليه ، وفي هذا من العنت ما لا خفاء فيه .

ولو طلب من هؤلاء الشيعة الذين يدعون عصمة أئمتهم أن يأتوا بدليل واحد من القرآن أو من السنة النبوية أو عن الصحابة ، أو عن إجماع الأمة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، إذا القرآن الكريم لم يصرح بعصمة أحد ، بل أثبت أن المعصية من شأن الإنسان ، فإنها قد صدرت من آدم الذي هو أبو البشر، وأخبر عن موسى بأنه قتل ، وعن يونس أنه ذهب مغاضبا .

وفيه عتاب من الله تعالى لبعض أنبيائه ورسله بسبب تصرفات صدرت منهم .

وورد في السنة النبوية ما يشير إلى ذلك في وقائع صدرت من الرسول الكريم ﷺ كما قال تعالى : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ ، وما ورد في عتابه عن أخذهم الفداء من أسارى معركة بدر ، وغير ذلك مما هو معروف في الكتاب والسنة وأقوال علماء الإسلام .

ومن العجيب أنه قد صرح كل الأئمة بعدم عصمتهم في كثير من المناسبات، ثم يروي الشيعة بعض ذلك في كتبهم ، ثم لا يأخذون بها .

روى الكليني في باب التسليم على النساء ، عن علي رضي الله عنه أنه كان

يكره التسليم على الشابة منهن ويقول « أتخوف أن يعجبني صوتها، فيدخل علي أكثر مما أطلب من الأجر » (١) .

وكان يقول لأصحابه : « لا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل فإنني لست آمن أن أخطيء » (٢) .

وروا كذلك أن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يبدى الكراهة من صلح أخيه الحسن مع معاوية ، ويقول . لو جز أنفي كان أحب إلي مما فعله أخي (٣) .

ومن المعلوم أنه إذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة، فأين العصمة بعد ذلك ؟

ثم إن دعوى عصمة أحد من الناس - إلا ما ورد فيه الخلاف في عصمة الأنبياء - دعوى تعارض الطبيعة البشرية المركبة من الشهوات ، كما أنه لا يمدح الإنسان لأنه معصوم ، بل يمدح لأنه يجاهد نفسه على فعل الخير كما أخبر الله بذلك في أكثر من موضع من كتابه الكريم ، ولهذا رتب الله الجزاء على حسب قيام الشخص بما كلفه الله به وأعطاه القدرة والإرادة ليكون بعد ذلك طائعا أو عاصيا ، فاعلا أو تاركا ، ولو عصم الله من المعاصي أحدا - غير الأنبياء - لما كان للتكليف معنى ، بل حتى الأنبياء كلفهم الله تعالى ولم يرفع الله عن أحد التكليف وامتثال أمره ونهيه ما دام الشخص في كامل عقله وصحته ، ولو لم يكن الإنسان محلا للطاعة والعصيان لما كان للتكليف معنى .

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٣ ، ولو كان علي يدعي العصمة لنفسه كما يزعم جهال الشيعة لما خاف الإنتم .

(٢) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ١٢١ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة

ثالثا : تدينهم بالتقية

التقية في اللغة يراد بها الحذر . يقال توقيت الشيء أي حذرته .
والتقية في مفهوم الشيعة معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن .
أى أن معناها النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس ، لا التقية
التي أباحها الله للمضطرب المكره (١) .
وقد ذمهم في هذا الموقف بعض علماءهم الذين بحبون الإنصاف ، فهذا
الدكتور موسى الموسوي يقول :

« لقد أراد بعض علمائنا - رحمهم الله - أن يدافعوا عن التقية ، ولكن التقية
التي يتحدث عنها علماء الشيعة وأملت عليها بعض زعماتها هي ليست بهذا
المعنى إطلاقا ، إنها تعني أن تقول شيئا وتضمّر شيئا آخر ، أو تقوم بعمل عبادى
أمام سائر الفرق وأنت لا تعتقد به ، ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك» (٢) .
ونجد مصداق هذا في أصبح الكتب عندهم حيث يروى الكليني عن أبي
عبد الله أنه قال : « خالطوهم بالبرانية ، وخالطوهم بالجوانية » (٣) .

وللتقية عند الشيعة مكانة مرموقة ، ومنزلة عظيمة فقد اعتبروها - على
حسب المفهوم السابق عندهم - أصلا من أصول دينهم لا يسع أحدا الخروج
عنها ، وقد بحثوها في كتبهم كثيرا ، وبينوا أحكامها وما ينال الشخص من
الثواب الذي لا يعد ولا يحصى - ولا يصدق - لمن عمل بها ، وعامل الناس
بموجبها فخدعهم وموّه عليهم ، وكم تأثر الناس وانخدعوا بحيل هؤلاء الذين
جعلوا التقية مطية لهم .

(١) انظر الخطوط العريضة ص ٧ ، الشيعة في الميزان ص ٨٦ ، الشيعة وتحريف القرآن ص ٣٦ .

(٢) انظر الشيعة والتصحيح ص ٥٢ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٧٥ .

ولبيان منزلة التقية عند الشيعة نورد الأمثلة التالية :

١ - التقية أساس الدين ، من لا يقول بها فلا دين له .

روى الكليني عن محمد بن خلاد قال سألت أبا الحسن (ع) عن القيام للولاء فقال : قال أبو جعفر (ع) : « التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له » (١) .

وفيما يرويه عن أبي عبد الله أنه قال لأبي عمر الأعجمي : « يا أبا عمر ، إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له » (٢) .

بل وصل اعتناؤهم بالتقية إلى حد تأويل الآيات عليها ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ قال أبو عبد الله - كما زعم الكليني - : « الحسنه التقية، والسيئة الإذاعة » (٣) .

٢ - اعتقدوا أن التقية عز للدين ، ونشره ذل له . كما روى الكليني عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله : « يا سليمان ، إنكم على دين من كتمه أعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله » (٤) .

ولا شك أن هذا قلب للحقائق ، فإن الله عز وجل طلب من الناس جميعاً نشر العلم وبيانه.. وقد قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (٥) ، وقال الله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) .

وقد امتثل الرسول ﷺ أمر ربه فلم يكتف من العلم شيئاً ، بل وطلب إلى أمته أن ينشروا العلم بكل وسيلة ، فقال ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » (٧) ، وقال :

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٦ .

(٦) الحجر ٩٤ .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٣ .

(٥) المائدة ٦٦ .

(٧) صحيح البخارى ج ٦ ص ٤٩٦ .

«نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»^(١).

وقد أثنى الله في كتابه الكريم علي الصادقين الشجعان الذين لا يخافون في الله لومة لائم، فقال عز وجل ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفوراً رحيماً﴾^(٣).

كما ذم الله تعالى المنافقين المخادعين للناس فقال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله. والله يعلم إنك لرسوله. والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون﴾^(٥).

وليس من هدي الإسلام استحلال الكذب على طريقة الشيعة، فالرسول ﷺ يقول: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٦).

(١) لهذا الحديث طرق كثيرة استوعبها الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه «دراسة حديث «نضر الله امرءاً سمع مقالتي»».

(٢) الأحزاب ٢٣.

(٣) الأحزاب ٣٩.

(٤) البقرة ١٤.

(٥) المنافقون ١.

(٦) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠١٣.

٣ - جعل الشيعة ترك التقية مثل ترك الصلاة تماما . قال القمي : « التقية واجبة ، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة »^(١) . وهذا من أغرب الأقوال فإن التقية رخصة جعلها الله في حالة الضرورة القصوي ، بشرط أن لا يشرح صدور الكفار بها فكيف يعاقب من تركها ، بل قال البغوي : « والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية ، قال تعالى : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾^(٢) .

ثم هذا رخصة ! ، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم »^(٣) .

٤ - حدد الشيعة لجواز ترك التقية بخروج القائم من آل محمد (المهدي المنتظر) .

قال القمي : « التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى ، وعن دين الإمامية ، وخالف الله ورسوله والأئمة »^(٤) .

والحقيقة أن من تركها لا يخرج إلا عن دين الإمامية فقط وعن خرافاتها .

٥ - حرفوا معاني الآيات إلى ما يوافق هواهم ، وكذبوا على آل البيت .

قال القمي : « وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ قال : أعلمكم بالتقية^(٥) ، أي على هذا التفسير أكرمكم هو أكذبكم على الناس .

٦ - زعم الشيعة أن المعيار الصحيح لمعرفة الشيعي من غيره هو الاعتقاد بالتقية .

(١) نقلا عن الشيعة والسنة ص ١٥٧ ، عن الاعتقادات ، فصل التقية للقمي .

(٢) النحل ١٠٦ . (٣) تفسير البغوي ج ١ ص ٢٩٢ .

(٤) الشيعة والسنة ص ١٥٧ .

(٥) الشيعة والسنة ص ١٥٧ . نقلا عن كتاب الاعتقادات للقمي .

وينسبون إلى الأئمة المعصومين - فى زعمهم - أنهم هم الذين قالوا هذا الكلام .

فقد رووا عن الحسين بن على بن أبى طالب الإمام الثالث أنه قال : « لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا » (١) .

ومعنى هذا أن معرفة خداع الناس ، والمبالغة فيه هو الذى يميز الشيعة عن غيرهم .

٧ - ساوى الشيعة بين التقية وبين الذنوب التى لا يغفرها الله كالشرك .

فرووا عن عليّ بن الحسين الإمام الرابع أنه قال : « يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه فى الدنيا والآخرة ما خلا ذنبتين ، ترك التقية ، وترك حقوق الإخوان » (٢) :

ولكن الله تعالى قد قال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٣) .

وهذه المواقف للشيعة تجعل من الصعوبة بمكان التفاهم المخلص بينهم وبين المخالفين لهم - خصوصا أهل السنة - وذلك أن الشيعي إذا رأى أنه فى موقف الضعف لجأ إلى التقية، وفى هذه الحال له من الأجر الذى قدره الشيعة ما يعادل مصافحته لعليّ رضي الله عنه أو الصلاة خلف نبي من الأنبياء (٤) كما افتروا على الله وعلى رسوله .

وأقرب مثال على عدم حصول التفاهم تلك المحاولات التى قامت للتقريب بين الشيعة وأهل السنة ثم خابت الآمال وتيقن أهل السنة أنه لا وفاء ولا إخلاص ولا صدق عند أولئك الذين يتعبدون الله بالتقية .

(١) الشيعة والسنة ص ١٥٧. نقلا عن كتاب الاعتقادات للقمي . (٢) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٣) النساء ١١٦ . (٤) انظر مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٩٠ .

أسباب قول الشيعة بالتقية

اختلفت كلمة الشيعة في الأسباب الحاملة لهم على التمسك بالتقية ،
واعتبارها أساسا في الدين .

وفيما يلي نوجز أهم ما قيل فيها :

١ - قالت طائفة أن التقية تجب للحفاظ على النفس أو العرض أو المال أو
الإخوان .

٢- وقالت طائفة إن التقية تجب لأنها فضيلة ، والفضائل يجب التحلى بها،
وسواء كانت التقية للحفاظ على النفس أو لغير ذلك فهي واجبة في نفسها،
وصاحبها أعرف بحاله كما روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال : « التقية
في كل شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحله الله له » (١)

٣- والحق أنهم أوجبوا التقية لظروف أحاطت بهم ، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا
بالاتكاء على دعوى التقية .

ومن ذلك :

أ- أنهم وقفوا على أقوال متضاربة عن الأئمة المعصومين عندهم يختلفون
في الشيء الواحد ، وتتناقض فيه أقوالهم دون أن يجدوا مبررا لذلك التناقض
فخرجوا من ذلك بدعوى أن ذلك الكلام صدر من الأئمة على سبيل التقية .

وهذه الأقوال أكثرها من أكاذيب رواتهم . ليست من الأئمة الذين عرفوا
بالشجاعة والصراحة ، كما صرح بذلك أحد علماء الشيعة المنصفون (٢) .

ب- ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة الذين تبرأ منهم
الشيعة ويعتبرونهم كفارا ، فزعموا أن ذلك المدح إنما كان تقية .

(٢) الشيعة والتصحيح ص ٥٨ .

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٥ .

ومهما كان ، فإن التقية التي يراها الشيعة لا يجوز اعتقادها في الإسلام لأنها قائمة على الكذب والخداع .

وما روه عن الأئمة وأنهم كانوا يلجؤون إليها كذب ، بل كذبوا أنفسهم بأنفسهم حيث يذكرون روايات كثيرة لأناس سألوا بعض الأئمة المعصومين - حسب زعمهم - عن مسائل فأجابوا فيها بجواب ، ثم سألوهم بعد مدة فأجابوا فيها بجواب آخر دون أن يوجد أى داع للتقية لصدور تلك الإجابات المختلفة من إمام واحد ، عن مسألة واحدة بين خاصة الإمام وشيعته وأنصاره كما صرحت بهذا مصادرهم ... وهذا اعتراف منهم بأن الأئمة لا يلجؤون إلى التقية بسبب الخوف وإنما هو بسبب الجهل ، ولا شك أن هذا طعن شنيع في أولئك الذين يدعون عصمتهم .

فانظر إلى ما أورده النوبختي عن عمر بن رباح ، وما أورده عنه أيضا الكشي في رجاله أنه سأل أبا جعفر (ع) عن مسألة فأجاب فيها بجواب ، ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجاب فيها بخلاف الجواب الأول . فقال لأبي جعفر هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي ؟ فقال له إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشكك في أمره وإمامته .

فلقى رجلا من أصحاب أبي جعفر يقال له محمد بن قيس فقال له إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول « فقلت له لم فعلت ذلك ؟ فقال فعلته للتقية ، وقد علم الله أنى ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به ، فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي .

فقال محمد بن قيس : فلعله حضرك من اتقاه ؟

فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيرى ، لا ولكن جوابيه جميعا خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي

فيعجيب بمثله ، فرجع عن إمامته وقال : « لا يكون إماما من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ، ولا يكون إماما من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله » (١).

وما أحسن ما أجاب به سليمان بن جرير الشيعي عن تخليط الشيعة في تمسكهم بالتقية ليجعلوها مخرجا لأكاذيبهم على أئمتهم حيث قال كما يرويه عنه النوبختي ، وهو من كبار علماء الشيعة :

« إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالاتين لا يظهرون معها من من أئمتهم على كذب أبدا ، وهما القول بالبذاء وإجازة التقية فأما البذاء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيها في العلم فيما كان ويكون ، والإخبار بما يكون في غد ، وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا ، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم ألم نعلمكم أن هذا يكون . فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء ، وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت ، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوا لشيعتهم بدا لله في ذلك بكونه .

وأما التقية ، فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها ، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ماسألهم وكتبوه ودونوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة بتقادم العهد وتفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ، ولا في شهر واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباعدة وأوقات متفرقة فوق في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة ، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة . فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألهم عنه ، وأنكروا عليهم ، فقالوا من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟

(١) فرق الشيعة ص ٨٠ ، ٨١ .

قالت لهم أئمتهم إنما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك إلينا ، ونحن أعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم ، فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ؟ ومتى يعرف لهم حق من باطل»(١).

ولا شك أن هذه صراحة تامة وشهادة على الشيعة منهم، وهذا التخليط إنما هو إفك علمائهم لا من الأئمة الذين ينتسبون إليهم مثل جعفر الصادق وغيره، وقد حاول محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على كتاب النوبختي إيجاد مبررات ورد لهذا القول ، لكنها مبررات واعتذارات مثل بيت العنكبوت.

أدلة الشيعة على جواز التقية

تلمس الشيعة لمبدأ التقية بمفهومهم لها نصوصا حملوها ما لم تحتمله من المعانى التى يعتقدون أنها تؤيد ما يذهبون إليه .

ومن تلك الأدلة التى تمسكوا بها ما ذكره بحر العلوم فى تعليقه على فرق الشيعة للنوبختي بقوله : « التقية مما دل على وجوبه العقل إذا كانت لدفع الضرر الواجب ، وقد دل عليه أيضا القرآن العظيم ، ثم نقل عن الطبرسي بعض الآيات يحتج بها(٢) .

١ - قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (٣) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ فنظر نظرة فى النجوم فقال إني سقيم ﴾ (٤) .

٣ - قوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ (٥) .

(١) انظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٥ - ٨٧ .

وانظر تعليق بحر العلوم فى الصفحة ٨٧ .

(٢) انظر فرق الشيعة تعليق ص ٨٥ / ٨٦ ، وانظر الكافي ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣) البقرة ١٩٥ . (٤) الصافات ٨٨ . (٥) آل عمران ١٦ .

٤ - قوله تعالى : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ (١) .

وفى هذا يقول محمد مهدي الحسيني الشيرازي عن الشيعة : وهم يرون التقية لقوله سبحانه ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ (٢) .

والواقع أن استدلالهم بهذه الآيات على التقية التي يرونها استدلال خاطيء، وهذه الآيات وآيات أخرى كثيرة ليس فيها دلالة للشيعة على التقية التي هي بمعنى الكذب واستحلاله ، بل تشير إلى جواز التورية في ظاهر الكلام إذا لزمتم الضرورة كقول إبراهيم عليه السلام ﴿إني سقيم﴾ (٣) أى من عملكم وعبادتكم للأوثان وليس هو من الكذب بل فيه تعريض لمقصد شرعي كما يذكر العلماء(٤) وهو تكسير آلهتهم بعد ذهابهم عنها .

وأما الاستدلال بالآية ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ فإن معناها الأمر بالاتقاء من الكفار .

قال البغوي : « ومعنى الآية أن الله نهى المؤمنين عن موالاته الكفار ومداهنتهم ومبايعتهم إلا أن يكون الكفار غاليين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما ، أو يظهر الكفار على عورات المسلمين» (٥) .

وأما الآية ﴿إلا من أكره﴾ أى إلا من كان حاله مشرفا على الخطر، واضطر إلى القول بالكفر فله أن يتقول به من غير أن يعتقد ويعمل به بل يقول ما فيه تورية ومعارض مع طمأنينة قلبه بالإيمان ، وبحيث لا يشرح صدور الكفار بالمدح الظاهر لهم ولديانتهم ، وإنما يلجأ إلى المعارض التي يكون فيها صادقا ولا تؤثر في دينه ، كأن يقول لهم إنكم على معرفة ، وعندكم تقدم ظاهر، قصوركم

(١) النحل ١٠٦ .

(٢) قضية الشيعة ص ٦ ..

(٣) الصافات ٨٩ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٣ .

(٥) انظر تفسير البغوي ج ١ ص ٢٩٢ .

عالية ، وبساتينكم مشمرة ، ويريد به أنهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم
عن الآخرة هم غافلون »

قال ابن جرير فى معنى الآية ، بعد أن ذكر أنها نزلت فى عمار بن ياسر
رضى الله عنه : « فتأويل الكلام إذن ، من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره على
الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، موثق بحقيقته ،
صحيح على عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا
فاختاره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم»(١). ومن الجدير بالذكر أن هذه التقية الشيعية الباطلة لم يقصروها على
الناس فقط بل جوزوها حتى على الأنبياء ، وهذا خطأ وخلاف الحق ، فإن
الأنبياء لا يسلكون التقية التى يريدونها الشيعة ، ولا تجوز أبدا ، فالكذب لا يجوز
عليهم ، وكتمان الحق وإظهار الموافقة للكفار ، كذلك لا يجوز لهم وإلا لما
انتشرت دعوتهم ، ولما ظهر الخلاف بينهم وبين أقوامهم ، ولما حصل عليهم من
المتاعب والأخطار ما حصل مما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم مما لم يكن ليقع
أبدا لو استعمل الأنبياء التقية الشيعية المملوءة جبنا ونفاقا ، وحاشا أن يسلكوا
ذلك .

وقد يقول بعض الشيعة فى احتجاجهم بالسنة أننا نجد أن محمدا ﷺ كان
يلين القول ويتسم فى وجوه بعض الفسقة والظلمة وهذا كما يرى هؤلاء تقية .

والواقع أن هذه الأفعال التى صدرت عن النبي ﷺ إنما كانت من باب
المداراة، ومن باب حسن الخلق وتأليف القلوب مع أنه حصل مثل هذه المواقف
لأناس ما كان الرسول ﷺ يخاف من جانبهم شيئا حتى يقال إنها تقية منه لهم ثم
لم تكن هذه المداراة فى أمور الدين إذ لم يعرف عن أحد من الأنبياء أنه دارا
أحد فى دينه ، وإنما هو حسن الخلق ومقابلة الناس بالبشر مع تألفهم لأقوامهم،

(١) انظر جامع البيان ج ١٤ ص ١٨٢

ولا ينافى هذا أن يقع في القلب كراهية ما هم عليه من فجور مع محبة الخير لهم وإرشادهم إليه وبذل النصح لهم بصدق وإخلاص .

وفي مختصر التحفة الإثنى عشرية فوائد في هذا المعنى ارجع إليها أن أحببت الزيادة(١) .

وفي الختام نود التنبيه إلى أن ما ينسبه الشيعة إلى علي رضي الله عنه من قوله بالثقية غير صحيح بروايات الشيعة أنفسهم وتناقضهم من حيث لا يعلمون شأن كل باطل :

فقد رووا في كتبهم أن عليا كان يهدد عمر في مواقف كثيرة بل ويصل أحيانا إلى الضرب والإهانة ورفع الصوت فيما يزعمون .

وأن عليا لو شاء لخسف بعمر وبغيره ، وهذا يدل على أن عليا ما كان بحاجة إلى الثقية .

ثم رووا عن علي أيضا أنه توقف عن بيعة أبي بكر زمنا (ستة أشهر) فلو كان يرى وجوب الثقية لبايعه وأبطن الخلاف .

وعلى هذا فإنهم حين ينسبون إلى الأئمة القول بالثقية ، ثم يثبتون لهم صفات لا تليق إلا بالله يعتبر كلامهم متناقضا .

فقد روى الكليني أن الأئمة لا يموتون إلا برغبتهم واختيارهم ، وقد أجمع الشيعة على صحة هذا .

كما روى أيضا أن الأئمة يعلمون علم كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء ، ومن كانت هذه صفاته فإن الثقية في حقه تعتبر جبنا وخوفا لا داعي له ، وكيف يلجؤون إلى الثقية وهم يعلمون كل ما سيجرى عليهم .

(١) مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٨٨ - ٢٩٦ .

ثم يتناقض كلامهم فى القضية الواحدة تبعا لحال الإمام وظروفه ولنفرض أنهم يصادفون متاعب من مخاليفهم فهل يجمل بهم الهرب منها بالتقية وخداع الناس؟؟ فأين فضيلة الصبر وامتنثال أمر الله ، وتحمل المشاق فى سبيل الله ؟ لأن هذه هي وظيفة الأنبياء والمصلحين من الناس ، وهي فضيلة لا يليق بهم تجنبها باستحلال الكذب .

وأخيرا فإنه يلزم الشيعة أن يصفوا الحسن بن علي رضي الله عنه بأنه ليس له كرامة وفضل لأنه لم يلتزم بالتقية مع معاوية ، وأن المنافقين فى عهد النبي ﷺ كانوا أفضل الناس لأنهم أتقاهم أى أكثرهم عملا بالتقية حسب تفسير الشيعة الخاطيء^(١). ولولا شدة التعصب وتزيين الشيطان لهم أعمالهم لرأوا أن هذه الخرافات التى جعلت أعداء الإسلام يسخرون منهم من أهم ما ينبغى عليهم محاربهه ، وتحرير أفكارهم من هذه الشنائع التى هي إلى الوثنية أقرب .. من أهم ما ينبغى عليهم القضاء عليه إذا أرادوا تصحيح دينهم وتحرير عقولهم من هذه المبادئ البدائية .

يقول الدكتور الموسوي فى رده على علماء الشيعة :

« إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التى فرضها الإسلام على المسلمين وهي أن المسلم لا يخادع ، ولا يداهن ، ولا يعمل إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه ، وأن العمل الحسن حسن فى كل مكان ، والعمل القبيح قبيح فى كل مكان .

وليعلموا أيضا أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال التقية ديني ودين آباءي « إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام العظيم »^(٢).

(١) انظر لمزيد التفاصيل مختصر التحفة الاثنى عشرية الصفحات المشار إليها سابقا ، حيث ذكر

أشياء كثيرة يضيق المجال عن ذكرها .

(٢) الشيعة والتصحيح ص ٥٩ .

٤ - المهديّة والرّجعة عند الشيعة

من هو المهدي

يؤمن أهل السنة بالمهدي الذي صحت به الأحاديث ولكن غير مهدي الشيعة الخرافي الذي وصلوا في إيمانهم به وانتظاره وترقبه إلى حد جعلهم محل سخريّة العالم منهم .. وأخباره عندهم أكثر من أن تذكر ، وقد أفردّه الطوسي بكتابه المسمى « كتاب الغيبة » .

إن القول بالمهدي وانتظاره من عقائد الشيعة البارزة والأساسية ذلك المهدي الذي يزعمون أنه غاب عنهم لأسباب مؤقته

وسيرجع وسيملاً الأرض عدلاً ورخاءاً كما ملكت ظلماً وجوراً. (١).

ولهذا فهم يقيمون على سردا به بسامراً الذي زعموا أنه مقيم فيه دابة ترابط دائماً ليركبها إذا خرج من سردا به ، ويقف جماعة ينادون عليه بالخروج يامولانا اخرج يامولانا أخرج ، ويشهرون السلاح ، وفي أثناء مرابطتهم لا يصلون خشية أن يخرج وهم في الصلاة فينشغلون بها عن خروجه وخدمته بل ويجمعون الخمسة الفروض ، وليس هذا فقط عند السرداب ، بل أحياناً يكونون في أماكن بعيدة عن مشهدة ويفعلون هذا إما في العشر الأواخر من شهر رمضان وأما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية ، يطلبونه خروجه مع أنه لا مهدي هناك ، وإنما هي خرافة نفذ منها ومن غيرها أعداء الإسلام إلى الطعن في الإسلام وتجهيل حامليه وإلا فما الداعي لمثل رفع هذه الأصوات وهذه المرابطة المضنية ؟ فإنه على فرض أن هذا المهدي موجود هناك ، فإنه لا يستطيع أن يخرج إلا بإذن الله ، ثم إذا أذن الله له فإنه يحميه وينصره ويسر له كل ما يحتاجه ، وليس هو في حاجة إلى أولئك الغلاة الذين ضل سعيهم في الحياة

(١) مما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنه ليس للشيعة مهدي واحد ينتظرون عودته بل لهم مهديون كثيرون حسب معتقداتهم وأما مهدي الإثني عشرية فهو ابن الحسن العسكري كما سيأتي.

الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

فعملهم على كل الاحتمالات باطل لا يؤيده عقل ولا نقل وكيف سيملاً
الله به الأرض عدلاً ورنحاء بعد خروجه ولا يحميه حتى تلك اللحظات عند
خروجه؟ أليس هذا تناقض؟ (١).

لأنه قد تقرر في عقيدتهم حسبما يؤكده الكليني في « الكافي » : أن
الأرض لا تخلو من إمام حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً فحينئذ لا
يوجد حجة ، ولا تقبل توبة من أحد. ومن الغريب أن يؤكد الكليني أيضاً أنه لا
يجوز السؤال عن اسمه بأي حال ، وإنه لا يسميه باسمه إلا كافر. ويكتفى عن
ذكر اسمه بذكر لقبه القائم حيث لقب بذلك لأنه يقوم بعد ما يموت حسب
الرواية التي أوردها الطوسي عن أبي سعيد الخراساني عن أبي عبد الله (٢).

وأنه يحج في سنة ماشياً على رجليه ، ثم لا يرى عليه أثر السفر (٣) .

وأن أقرب ما يكون الناس إلى الله حين ينتظرون الغائب ، وأشد ما يكونون

(١) انظر للمزيد من أخباره كتاب الغيبة للطوسي ، وانظر كتاب الحجة من الكافي من ص ٢٦٤ -

ص ٢٧٧ الأبواب التالية :

باب في تسمية من رآه (ع) .

باب في النهي عن الاسم (ع) وانظر كتاب الغيبة للطوسي

باب نادر في حال الغيبة .

وانظر باب في الغيبة .

وانظر ص ٣٠٠ باب كراهية التوقيت إلى ص ٣٠٣ باب التمحيص والامتحان .

وانظر باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر .

ثم انظر باب مولد الصاحب (ع) وانظر جزء ٢ الصفحات ٢٦٤ / ٢٦٥ / ٢٦٦ / ٢٦٨

وانظر من كتب السلف : منهاج السنة ج ١ ص ١٢ . ٢٩ - ومختصر التحفة الإثني عشرية

ص ٢٠٠ ، ٢٩٤ - والشيعه والتشيع ص ٣٥١ - ٣٨٨ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) انظر كتاب الغيبة ص ٢٦٠

بغضا عند الله حينما يفتقدونه ولم يظهر لهم (١) .

بل وسمى الكليني أمة محمد ﷺ أشباه الخنازير والأمة الملعونة لعدم إيمانهم بغيبة المهدي (٢) والتي سوف لا تتأخر كثيرا فقد سأل الأصبغ بن نباته أمير المؤمنين عن مدة الغيبة فقال ستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ست سنين (٣) فهو لا يتأخر بعد أن امتن الله به على خلقه فإن الكليني يذكر أن موسى بن جعفر فسّر قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (٤).

قال : إذا غاب عنكم إمامكم ، فمن يأتيكم بإمام جديد (٥) .

وقد وقعت علامات كثيرة تبشر بقرب ظهوره فإنه قبل ظهوره تقع الفتن بين الشيعة ويسمى بعضهم بعضا كذابين ، ويتفل بعضهم في وجوه بعض (٦) ثم أورد الكليني روايات وقصصا كثيرة حول علم المهدي بالمغيبات وأساطير وخرافات كثيرة ذكرها عنه وأما الطوسي في كتابه المسمى كتاب الغيبة « فقد حطب في أخبار المهدي بليل وكذا فلا أدري ما الذي اذكره عنه في أخبار هذا المهدي غير أنني سأشير إلى بعض ذلك فيما يلي :-

أكد الطوسي أن المهدي الغائب شوهد مرات عديدة حول الكعبة وهو يدعو بهذا الدعاء « اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم انتقم لي من أعدائك » (٧).

وأنه يظهر في كل سنة لخواصه يوما واحدا ، فيحدثهم ويحدثونه ، ويقلب لهم الحصى ذهباً (٨) ؟ .

وهو لا يحب أن يساكن أحدا من أمة محمد ﷺ فقد ذكر الطوسي عنه أنه

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٧٤ . وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ ﴾ أى ظهر الإمام ج ٢ ص ٤٣١ .

(٥) الكافي ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٦) الكافي ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٧) انظر ص ٤٣١ - ٤٤١ .

(٨) ص ١٥٢ .

قال كما أوصاه أبوه: « لا أجاور قوما غضب الله عليهم ولعنهم ، ولهم الخزي في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم »(١) .

وقد أورد الطوسي روايات كثيرة تفيد علم المهدي بالمغيبات (٢) .

واقراً هذا العنوان « فصل ، وأما ظهور المعجزات الدالة على صحة إمامته في زمان الغيبة فهي أكثر من أن تحصى ، غير أنا نذكر طرفاً منها »(٣) فإذا استطعت أن تقرأه فإنك ستجد ما يدهش العقل ويضيق الصدر من الأخبار التي لا يحتمل سماعها من له عقل وذوق .

واقراً توقيعات المهدي لنوابه حال غيبته عنهم(٤) .

وما أورده من الفتاوى والأقوال الجاهلة في تلك التوقيعات المزورة على أيدي أولئك النواب والذين كثر عددهم إلى حد أنهم أصبحوا فريقين متضادين وكلاء وسماسرة ممدوحين وعددهم عند الطوسي ١٣ رجلاً وكلاء وسماسرة مذمومين وعددهم (٦) له ولسائر الأئمة

ولهم سفراء ممدوحين وعددهم (٣) ، وآخرين مذمومين وتراجمهم طويلة(٥) .

وهناك الكثير من المزاعم والتهويلات حول شخصية هذا المهدي في كتب الشيعة ، لعل فيما أشرنا إليه من ذلك يكفي لمعرفة مدى ضحالة هذه الأفكار ، ونسيان أهلها لعقولهم ، وتلاعب الشيطان بهم واستخفافهم بعقول الناس عند شغفهم بتثبيت آرائهم ، وإظهار مذاهبهم ، وركوبهم لذلك كل صعب وذلول غير مبالين بنتائج تهورهم وشناعة معتقداتهم .

(٢) ص ١٦٢ .

(٤) ص ١٧٢ .

(١) كتاب الغيبة ص ١٦١ .

(٣) ص ١٧٠ .

(٥) انظر من ص ١٩٩ إلى ص ٢٤١ .

أما هذا المهدي عندهم فهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم حسب ترتيبهم لهم
واسمه محمد بن الحسن العسكري

ومع كل اهتمام الشيعة بأخباره والتلهف على لقائه فلقد اضطرب كلامهم
حوّله وتناقضت فيه أقوالهم ، مع أنه كما هو الصحيح عند أكثر العلماء - أنه
شخصية خيالية لا وجود له إلا في أذهان الشيعة الذين يزعمون إمامته وينتظرون
خروجه بعد غيبته الكبرى^(١) ومن تلك التناقضات الشيعة ما تجده من .

١ - اختلاف الشيعة في وجود محمد بن الحسن وولادته :

فقد اختلفت كلمتهم في وجود هذا الشخص ، فبعضهم ذهب إلى أن
الحسن العسكري مات ولم يعرف له ولد أصلا ، وقال هؤلاء : بأن الحسن
العسكري حين توفي ظن بعضهم أن بجاريته حمل فوكلوا بها من يراقبها حتى
تبين أن لا حمل بها .

واستدلوا أيضا : بأن الحسن العسكري حينما مات أخذ أخوه جعفر تركته ،
ولو كان للحسن ولد لما حصل ذلك .

٢ - وذهب آخرون إلى إثبات ولادة محمد بن الحسن ، بل وحددها محمد
صادق آل بحر العلوم المعلق على فرق الشيعة للنوبختي . بأنها كانت يوم الجمعة
منتصف شعبان على أشهر الأقوال كما زعم سنة ٢٥٥ هـ بينما الكليني في
الكافي يذكر أنه ولد سنة ٢٥٦ هـ^(٢) بينما هو يقرر أنه خفي الولادة والمنشأ^(٣)
وهؤلاء الذين أثبتوا ولادته تناقضت أقوالهم واضطربت أفكارهم فيه أيضا .
فبعضهم قال بأنه ولد بعد وفاة والده الحسن بثمانية أشهر ، وكذبوا من زعم غير

(١) لأنهم يزعمون أن له غيبتين : إحداهما يوم وفاة أبيه وهي الصغرى ومدتها ٨ أو ٩ وستين سنة
وثانيتها : الكبرى وتبدأ من وفاة أبي الحسين على بن محمد السمرى آخر السفراء الأربعة
المزعومين

(٢) الكافي « باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار » . (٣) الكافي ج ٢ ص - ٢٧٧ .

هذا كما نص عليه النوبختي .

وقال آخرون أنه ولد قبل وفاة والده بسنين .

وقال بعضهم بخمس سنوات .

كما اختلفوا كذلك في تحديد السنة التي اختفى فيها ، فبعضهم يجعلها سنة

٢٥٦ هـ وآخرون ٢٥٨ هـ ، وغيوهم ٢٥٥ هـ .

كما اختلفوا في اسم أمه على أقوال :

- ف قيل اسمها نرجس .

- وقيل صقيل أو صيقل .

- وقيل اسمها حكيمة .

- وقيل اسمها سوسن (١) .

وأقوال أخرى كثيرة مضطربة يطول نقلها وهذا الاختلاف كله دليل على أن هذا الإمام لم يولد وإنما هو استحساناتهم وتخميناتهم ، وهذه الاختلافات تدل أيضاً على مدى تخطبهم الجهل الذي يخيم عليهم إذ كيف تخفى ولادة محمد بن الحسن العسكري وهم متأكدون - حسب شروطهم في الخلافة والإمامة ورواياتهم العديدة - أن الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر ولا بد أن يخلفه عقب منه هو أكبر أولاده ، وهو الذي يتولى الأمر بعده ، ويغسله ويصلى عليه كما يقرن ذلك .

ثم أن شخصية كهذه تملأ الأرض عدلاً ونوراً لا ينبغي بل ولا يصدق أن

(١) انظر لأخبار هذا المهدي للشيعة « كتاب الغيبة » لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي حيث جاء بكل ما عندهم من الخرافات والأقوال في إثباته ، وانظر أيضاً كتاب فرق الشيعة للنوبختي وتعليق بحر العلوم عليها من ص ١١٥ إلى ص ١٣٢ ، وانظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩٣ و ص ١٨١ والشيعة والتشيع ص ٢٧٣ إلى ص ٢٨٢ .

تكون ولادته محل خلاف أو خفاء .

ولك أن تستنتج من موافقهم المتناقضة ما يزيدك يقينا برداءة مذهبهم فيه ، هذا مع ما لهم من حكايات وخرافات هي من نسيج الخيال الغير معقول رواها الطوسي في كتابه «الغيبة» عن حكيمة والخادم نسيم كلها تدور حول ما حدث عند ولادة المهدي مباشرة .

فإنه حين سقط من بطن أمه كان يقرأ القرآن بصوت مسموع ، وأنه كان متلقيا الأرض بمساجدة ، وأن والده أمره أن يتكلم فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم استفتح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ثم صلى على أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - ، وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم تلى قول الله تعالى ﴿ وفريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ القصص ٥ - ٦ . كما زعم الطوسي أن خادم الحسن العسكري حينما عطس بحضرة المهدي وكان عمر المهدي عشر ليال قال له المهدي :

يرحمك الله ، قال الخادم ففرحت بذلك فقال له : ألا أبشرك في العطاس ؟ هو أمان من الموت ثلاثة أيام (١) .

وجاء الطوسي بأخبار كثيرة وكلمات نسبها إلى المهدي وهو طفل رضيع لا يعرفها إلا فيلسوف ، وأنه حينما ولد كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتبرك به ، وأن روح القدس طار به ليعلمه العلم مدة أربعين يوما ، وأنه حينما ولد كان مكتوبا على ذراعه الأيمن «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» .

وزعموا كذلك في رواياتهم على لسان الحسن العسكري أن ابنه المهدي

(١) كتاب الغيبة ص ١٣٩ . ١٤٢ . ١٤٧٠ .

كان ينمو في السنة الواحدة مثل نمو سنتين من غيره^(١).

كشأن سائر الأئمة ، ومزاعم كثيرة ظاهرها يشهد عليها بالكذب والتهويل الأجوف لولا خوف الإطالة لكان في ذكرها ما يتعجب منه العاقل على جرأة هؤلاء على التلفيق الذي لا يقبله عقل سليم ولا فطرة نقية كما فعل الطوسي في كتاب « الغيبة » (٢٥٨) صفحة ، كلها مثل هذه المبالغات والتلفيقات دون أن يجد الشخص جوابا شافيا لما يدور في ذهنه من أسئلة مهمة .

لماذا احتفى المهدي في السرداب مع أنه لا داعي لهذا الخوف ما دامت الملائكة تحميه وتبرك به وتنصره ، فإن ملكا واجدا يكيّفه كل أهل الأرض ؟
ثم لماذا يختفى الآن وقد ذهب كل من كان يخاف منهم ، وجاء قوم يتلهفون على خروجه ونصرته ، فلماذا إذا تخلف عنهم بدون عذر مقبول ، وهم يصيحون ليل نهار عجل الله خروجه ؟؟

ثم لماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين - سبطا رسول الله ﷺ - مع عظم مكانتهما مثلما شب ابن الحسن العسكري بتلك العجلة ؟ وما الداعي أيضا لتلك العجلة في نموه ومصيره أن يختفى في السرداب ثم لا يراه أحد بعد ذلك ولا ينتفع به أحد ؟

قد تجد عند الطوسي ^(٢) وغيره من علمائهم بعض الإجابات التي لفقوها في أسباب غيبته ولكنها إجابات غير كافية ولا مقنع فيها لأحد ، من أعجب الأمور أن ينكر الهاشميون وجود ولد للحسن العسكري على مرأى من الناس ومسمع

(١) انظر لهذه المبالغات والتوقيعات التي كان يرسلها المهدي وهو في عييته حسب زعمهم كتاب الغيبة عدة صفحات منه ، وانظر العنوان « أخبار بعض من رأى صاحب الزمان وهو لا يعرفه أو عرفه فيما بعد ص ١٥٨ - ١٧٠

وانظر معجزات الحجة ص ١٧٠ . في ذكر التوقيعات ص ١٧٢ ، ص ١٩٩ التي كان يرسلها لهم من سردابه بواسطة السفراء الأربعة) - انظر ص ١٤٢ ، ١٥٠ .

(٢) انظر كتاب الغيبة ص ٦٦ . ٧٣ ، ١٩٩ .

وذلك حينما ادعى شخص زمن المقتدر الخليفة العباسي أنه هو ابن الحسن العسكري فجمع الخليفة جميع بنى هاشم وعلى رأسهم نقيب الطالبين أحمد ابن عبد الصمد المعروف في كتب التاريخ « بابن الطومار » للبت في أمر هذا الرجل ، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكري لم يعقب فحبس المدعى وشهر وضرب .

ورغم أن أهل البيت أدري بما فيه ، لكن هؤلاء الشيعة أبوا إلا المكابرة مهما كانت النتائج وادعوا وجود هذا المهدي ولا بد أن دافعا قويا دفعهم إلى هذه المجازفة .. فما هو السبب في هذا الإصرار على وجود هذه الشخصية سنذكر الجواب عن ذلك إن شاء الله في آخر الكلام عن هذه الشخصية .

مكان وجود المهدي

اختلف الشيعة في المكان الذي اختفى فيه المهدي محمد بن الحسن العسكري على أقوال متضاربة ، توحى لأهل كل مكان ذكره بقرب المهدي منهم .

ومن تلك الأقوال ، وهي كثيرة :

١ - أنه مختف في سامراء ، في سرداب دار أبيه ، وهذا من أشهر أقوال الشيعة والمتداول بينهم ، وفي كتبهم (١) .

٢ - أنه مختف في المدينة المنورة .

قال أبو هاشم الجعفرى للحسن العسكري : « يا سيدى هل لك ولد ؟ قال نعم . قلت فإن حدث حادث فأين أسأل عنه ؟ فقال بالمدينة (٢) .

(١) انظر رواية محمد بن يعقوب بإسناده عن ضوء بن علي العجلي عن رجل من أهل فارس ، كتاب الغيبة ص ١٤٠ / ١٤٦ .

(٢) كتاب الغيبة ص ١٣٩ .

٣ - أنه مختف بمكة المكرمة (١) .

وقد أورد الطوسي روايات كثيرة في هذا ، وأورد الكليني حديثاً في هذا.

٤ - وبعضهم قال هو بذات طوى (٢) .

٥ - وبعضهم قال إنه في اليمن بواد يسمى شمروخ (٣) .

٦ - وبعضهم قال أنه بالطائف حسب رواية الطوسي الطويلة عن علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي (٤) .

وكل هذه الخلافات دليل على بطلان تلك الدعوى ، والباطل أهله يختلفون فيه حتماً ، ولا يخفى التباعد بين هذه الأماكن ، وهذا التباعد بينهما دليل على أنها افتراضات مبنية على هوى وأغراض سياسية ، إذ لا يمكن لأي شخص أن يجمع بينها ويصل إلى نتيجة مرضية مهما أوتى من المعرفة والذكاء ، ولكن هكذا شريعة الهوى والسياسة حيث لا تستند على أى أساس ثابت .

وإذا كان المهدي قد اختار أن يختفى ويتوارى عن الأنظار فهل يجعل لذلك الاختفاء والهرب عن الناس حداً ومدة يعود بعدها إلى قيادة الشيعة ومتى يتم ذلك الجواب نذكره فيما يلي .

رجعة المهدي ومتى تتم؟

يؤمن سائر العقلاء أنه لا رجعة لأحد بعد موته . ويؤمن المسلمون برجعة واحدة تكون في يوم القيامة حين يجمع الله الخلائق لفصل القضاء كما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة بخلاف ما عليه كثير من الشيعة من إمكان ذلك

(١) المصدر السابق ٢ ص ١٥١ / ١٥٢ ، وانظر الكافي ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) كشف الأستار للطبرسي ص ٢١٤٥ ، نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

(٣) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٦٥ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

(٤) كتاب الغيبة ص ١٥٩ - ١٦١ .

فى الدنيا قبل يوم القيامة فقد قرروا فى عقائدهم أن النبى ﷺ وأهل بيته عليّ والحسن والحسين وبقية الأئمة سيرجعون وفى المقابل يرجع أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ويزيد وابن ذى الجوشن وكل من آذى أهل البيت بزعمهم كل هؤلاء سيرجعون إلى الدنيا مرة أخرى قبل يوم القيامة عند رجوع المهدي إلى الظهور كما قرره لهم عدو الله ابن سبأ .

يرجعون ليتم عقابهم كما أذوا أهل البيت واعتدوا عليهم ، ومنعواهم حقوقهم ، فينالهم العقاب الشديد ثم يموتون جميعاً ، ثم يحيون يوم القيامة للجزاء الأخير مرة أخرى .

وقد بلغ بهم كرههم للصحابة أن زعم أحد غلاتهم ومتعصبيهم وهو الشريف المرتضى أن أبا بكر وعمر يصلبان على شجرة فى زمن المهدي وهى خضراء فتيس فيضل بسبب ذلك جمع كثير من الناس وهم يقولون إن هذين البريعين قد ظلما ولذا صارت الشجرة الخضراء يابسة ، وقيل تكون تلك الشجرة يابسة قبل الصلب ثم تصير رطبة خضراء بعد الصلب فيهدى كثير من الناس» قال الألوسى « والعجيب أن هؤلاء الكذابين مختلفون بينهم فى هذا الكذب أيضا» (١) .

ولهم فى هذه الرجعة أخبار غريبة وخرافات يمجها العقل السليم . وقد أحاطوها بتهويلات عظيمة ليخيل للقارئ أن رجوع المهدي هو يوم القيامة الذى أخبر الله عنه ، وهى خيالات وخرافات لا يصدقها إلا من لم يمن الله عليه بمعرفة دين الإسلام .

وقد ذكر الطوسي أن المهدي يخرج يوم عاشوراء يوم السبت بين الركن والمقام . وهذه الرواية عن أبى جعفر ، وذكر رواية عن . أبى عبد الله أنه ينادى باسم المهدي ليلة ثلاث وعشرين ، ويقوم يوم عاشوراء ، يوم قتل الحسين (٢) وفى

(٢) كتاب الغيبة ص ٢٧٤ .

(١) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠١ .

بعضها أن جبريل ينادى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان باسم القائم ، ويقوم في يوم عاشوراء اليوم الذى قتل فيه الحسين بين الركن والمقام ، فتسير إليه شيعته... منهم من يطير طيرانا ، ومنهم من يمشي في السحاب وهم أفضل أصحابه ، وتكون الملائكة حوله صافين ومعه جميع الكتب المقدسة التى أنزلها الله على الأنبياء من أولهم إلى آخرهم .

ثم يأمر بحصر المخالفين للشيعة فينكل بهم ، ثم تعلق كلمة الشيعة ويمتد حكمهم إلى جميع الأرض وتكون الغلبة لهم ... إلخ .

ويذكر الطوسي عن أبي الحسن الرضا أنه قال : « ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء ... صوتا منها « ألا لعنة الله على الظالمين » والصوت الثانى « أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين » ، والصوت الثالث يرون بدنا بارزا نحو عين الشمس ، هذا أمير المؤمنين ، قد كرت في هلاك الظالمين (١) ، وأن أول من تنشق عنه الأرض فى الرجعة هو الحسين بن علي رضي الله عنه .

وأما عن الغلظة التي سيسير عليها فقد زعموا تنفيسا عن أحقادهم ضد العرب كما دلت عليه رواياتهم - أنه بعد رجعة المهدي أول ما يبدأ به أنه يقتل قریشا ويصلبهم أحياء وأمواتا ، أى بعد أن يحيي الله من مات منهم فيجازيهم أشد الجزاء بسبب ما فعلوا نحو أهل البيت فيضع السيف فيهم لا يستتیب أحدا منهم ويستمر في هذا القتل مدة ثمانية أشهر لا يضع السيف عن عاتقه .

وزعم الطوسي في روايته عن أبي عبد الله أن المهدي يقطع أيدي بني شيبه ويعلقها في الكعبة (٢) ، مع أن الرسول ﷺ هو الذي سلمهم مفتاحها . كما زعموا أنه يقتل سبعين قبيلة من قبائل العرب (٣) .

(٢) كتاب الغيبة ص ٢٨٢ .

(١) كتاب الغيبة ص ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

كما افترى علماء الشيعة على الله تعالى وردوا شهادته في كتابه الكريم في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي برأها الله من كل سوء ... فزعموا أن المهدي يقيم عليها الحد ، فيجلدها الحد^(١) ، لعن الله من اعتقد هذا الاعتقاد وأخزاه الله في الدنيا والآخرة ، وهذه الزندقة ذكرها الصافي في تفسيره^(٢).

وبعد ذلك قالوا أنه سيستأنف طريقة جديدة كما استأنف رسول الله ﷺ الإسلام ، قال الطوسي^(٣) عن أبي عبد الله (ع) قال : « إذ قام القائم جاء بأمر غير الذي كان »^(٤).

وقد فسروا هذا الاستئناف بأنه يسير على حكم سليمان بن داود كما يذكر الطوسي^(٥) ، بل ويهدم ما كان قبله ويستأنف الإسلام من جديد^(٥).

ومعنى هذا أنه يكفر بالإسلام ويبدأ من جديد على حسب هذه النصوص هذا هو الظاهر ووصل سوء الأدب بأولئك أن اعتقدوا أن الرسول ﷺ في الرجعة الثانية لعلّى رضي الله عنه يكون جنديا يقاتل بين يدي علي بن أبي طالب ، ويباع كذلك المهدي هو وسائر الأنبياء كما يروي العياش عن جعفر أنه قال لم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا ردهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب^(٦).

وأن دابة الأرض المذكورة في القرآن هي علي بن أبي طالب^(٧).

ونترك خرافات كثيرة يمجها العقل ، وتستثقل ذكرها النفس إن دلت على شيء فإيما تدل على مدى الحقد والكراهية التي كان عليها كتاب مثل هذه

(١) ، (٢) تفسير الصافي ص ٣٥٩ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٨ .

(٣) كتاب الغيبة ص ٢٨٣ . (٤) المصدر السابق ص ٢٨٣ .

(٥) بجملة الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٨٢ .

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨١ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٨٦ .

(٧) مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٠١ .

الأفكار وشدة كيدهم للإسلام .

ولزعماء المسلمين من الصحابة الكرام فمن بعدهم الذين قضوا على اليهودية والرثية المجوسية ، وأنزلوهم من عرشوهم وساووهم بعامة المسلمين مما أغضب هؤلاء الذين لفقوا مثل هذه الأخبار والترهات في ذم قريش وحكام المسلمين أجمعين ، وذم كثير من أهل البيت وزوجات الرسول ﷺ ، وهذا كله بخلاف ما هو معلوم من دين الإسلام ، بل وجميع الأديان السماوية مجمعة على أن الإنسان إذا انتهى عمره في الدنيا ومات فإنه لا رجعة له إلا للقاء ربه يوم القيامة للحساب والجزاء .

وهذا هو ما صرح به الله عز وجل في القرآن الكريم حيث قال رداً على من تمنى الرجعة إلى الدنيا ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (١) وهذا هو اعتقاد جميع المسلمين ، ولم يقل بخلاف هذا أحد لاسلف الأمة ولا أحد من آل البيت الذين تزعم الشيعة أنهم تبع لهم ، والقرآن صريح وواضح في إبطال هذه البدعة ، والخرافة الفكرية التافهة .

وقولهم إن المهدي هو الذي يحاسب الناس وينزل بهم العقاب بسبب ما قدموه في حق آل البيت فإن الإسلام يصرح بأن الله عز وجل يتولى حساب جميع خلقه ، ويثيب أو يعاقب .

أما البشر ، فليس لهم ذلك لقوله تعالى : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ (٢) .

وقول هؤلاء الشيعة إنما اقتبسوه من قول النصارى بأن المسيح هو الذي يتولى حساب الخلق - تشابهت قلوبهم - .

(٢) مريم ٩٣ .

(١) المؤمنون ٩٩ - ١٠٠ .

وقول هؤلاء أن الرسول يقاتل بين يديّ عليّ بن أبي طالب ، وييايعان المهدي الذي هو من ولدهما إهانة واستخفاف بحق الرسول ﷺ ، وإهانة أيضا لعليّ رضي الله عنه ، إضافة إلى تفسيرهم دابة الأرض بأنها عليّ رضي الله عنه، ولقد صدق عليهم الحديث « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وأما ما زعموه من عقوبة خيار أصحاب النبي ﷺ من صلبهما عليّ شجرة وهي رطبة فتصبح يابسة فهو افتراء ومخالفة للعقل والواقع ، إذ كيف يعقل أن يجازيا بقتل الحسين وليس لهم بذلك صلة ، ثم إن ذنبهما إن كان أخذ الخلافة ذنب لا يعقل أن يصل إلى هذا الحد من العقوبة ، ثم كيف يجازيها الله أمام أقوام لم يشهدوا ذنبهما ولم يعرفوا له سببا ... إذ الأولى أن يتم جزاءهما أمام من شهد أمرهما في الوقت الذي آذوا فيه أهل البيت حتى تُقرّ أعينهم بجزائهما . ، مع أن إثبات هذا العقاب يؤديّ في النهاية إلى عكس ما يريد الشيعة ، ويناقض أقوالهم وذلك :

١- أن أولئك الناس لو أرجعهم الله إلى الدنيا للجزاء قبيل يوم القيامة لكان أمرهم في الآخرة إلى الجنة إذ من الظلم أن يعذبوا مرة أخرى ، فحصل لهم بتعذيبهم في رجعتهم إلى الدنيا تخفيف وراحة .

وهذا ينقص ما ذهب إليه الإمامية ، فإنه على أصولهم أن عذاب جهنم لا بد وأن يكون مستمرا على من آذى آل البيت ثم ما هو الداعي إلى هذه العجلة يخرجهم فيعذبهم ثم يموتون ويعذبون مرة أخرى ، وأيضا لما ذل لم تكن هذه العجلة في وقت وقوع الجريمة لتكون أنكي ، أما تركهم هذه المدة كلها ثم يعذبهم في زمن المهدي فهو برود مثل برود الشيعة في أكاذيبهم .

٢- أن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم الذين حكم الشيعة عليهم بالرجوع لعظم ما ارتكبه في حق آل البيت وجزاؤهم الشديد في الدنيا ثم يموتون ويعتثون يوم القيامة .

ذنبهم بإقرار الشيعة غصب الخلافة وبعض حقوق ال البيت علي زعم الشيعة ، وهذا الذنب إذا جاز تسميته ذنبا لا يصل إلى درجة الكفر بالله والشرك به بل هو فسق . والفسق لا يصل إلى هذا الحد من العقاب ولا يوجب الرجعة في الدنيا ، ولو كان الأمر يقتضي الرجعة لكان ارجاع الكفرة والمشركين والذين ادعوا الألوهية مع الله كفرعون ونمرود وغيرهما أولى بالرجوع والشيعة لم يقولوا بذلك فوجب أن يكون حسب مقياسهم أن غصب الخلافة أو التعدي على آل البيت أعظم جرما من الشرك ومن ادعاء الألوهية وقتل الأنبياء بغير حق، وهم لا يقولون بهذا فظهر بطلان قولهم بوجوب إعادة ورجعة أولئك الخلفاء لعقابهم في الدنيا بسبب عصبيتهم الخلافة . أو أخذ أبو بكر لفدك بغير حق كما يدعون لجهلهم بنص النبي ﷺ فيها .

٣- ثم إن قولهم برجوع النبي ﷺ وعلي وسائر الأئمة وإخراجهم من قبورهم لحضور هذا العقاب في الرجعة فيه تعذيب لهم بالموت مرة أخرى ، والموت أشد آلام الدنيا ... فلم يجوز الله سبحانه وتعالى إبلام أحبائه عبثا ؟

إذ الموت لا بد أن يشمل كل كائن حي ، وإذا أحيا الله هؤلاء فلا بد من تجرعهم الموت مرة أخرى على حسب هذا المعتقد الخرافي ، فكيف يعذب أولياءه بالموت مرتين في الدنيا وغيرهم مرة واحدة ؟؟

٤ - إنه على زعم الشيعة بإعادة هؤلاء وإيقاع العذاب عليهم في الدنيا فيه نفع لهؤلاء المبعوثين إلى الدنيا إذ حين يعلمون حينئذ أنهم أخطأوا فيتوبون حتما توبة نصوحا ، والتوبة مقبولة في الدنيا ولو بعد الرجعة ، فكيف بعد ذلك يمكن تعذيبهم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . فوجب على معتقد الشيعة برجعتهم أن يقولوا بأنهم في الآخرة في الجنة لصدق توبتهم في الدنيا في الحياة الثانية .

إلى غير ذلك من الردود التي تدحض مذهب الشيعة في القول بالرجعة ،

وأنة خلاف العقل والنقل والواقع ، والله الهادى إلى سواء السبيل (١) .

ومما ينبغى الإشارة له هنا أنه قد خرج عن القول بالمهدى على تلك الصورة المزعومة عند الشيعة بعض فرقههم كالزيدية وقد أنكروا عودة المهدي وردوها بروايات عن الأئمة أيضا ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وقد سبقت الإشارة إلى هذه القضية في درس الزيدية ، كما سبقت الإشارة إلى أن الشيعة ليسوا كلهم على مذهب واحد في المهدي المنتظر ، وإنما اشتهر اسم محمد بن الحسن العسكري بالمهدي المنتظر لأنها عقيدة الرافضة الإمامية في عصرنا الحاضر .

أما متى يخرج ؟

فقد وقت بعض الشيعة لخروج المهدي زما معيننا وذلك بعد وفاة الحسن العسكري بزمن ، إلا أن الذين وقتوا خروجه بزمن حينما انتهى التقدير ، ورأوا أن المسألة ستتضح ويظهر فيها الكذب مددوا هذه الغيبة إلى وقت غير مسمى واختلقوا لذلك أعذار كاذبة فرواية وردت عن الأصبغ بن نباته كما ينقلها الكليني تذكر أنه سيخرج بعد ستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ست سنوات وهذه الروايات هي المتقدمة والقريبة من وفاة الحسن العسكري (١) .

ورواية أخرى يذكرها الكليني عن أبي جعفر تذكر أنه سيخرج بعد سبعين سنة، ثم مدت هذه المدة أيضا حتى أفشى السر إلى أجل غير مسمى ، وذلك حسب ما روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر أن الله تبارك وتعالى قد

(١) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠١ - ٢٠٣ ، ص ٢٩٤ .

وانظر أيضا بحار الأنوار للمجلسي فيما ينقله عنه إحسان إلهي رحمه الله في كتابه الشيعة

والتشيع من ص ٣٧٦ إلى ص ٣٩٠ .

وانظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٤٨ - ١٥٢ .

وانظر الشيعة في الميزان ص ٧٧ - ٨٤ .

(٢) الكافي كتاب الحجج ج ١ ص ٢٧٢ .

كان وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتهم قناع الستر ، ولم يجعل له بعد ذلك وقتا ... إلخ (١) .

والواقع أنه لن يخرج حتى تخرج هذه العقيدة من أذهانهم ومعتقداتهم التي صنعها علماءهم لأغراض ومقاصد كثيرة في أولها حرب الدولة الإسلامية، وإعادة السيطرة الفارسية .

وقد أبان سر هذه المهزلة المهديّة أحد الشيعة وهو عليّ بن يقطين حين سئل عن المهدي فأجاب : « إن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأمانى ، فلو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ، ولرجع عامة الناس عن الإسلام ، ولكن قالوا ما أسرعه وما أقربه تألفا لقلوب الناس ، وتقريبا للفرج » (٢) .

فانظر إلى هذه الشهادة عليهم ، وقارن بينهم وبين السلف الذين ينتظرون المهدي الذي أخبر عنه الرسول ﷺ لترى ثبات السلف وعدم وجود تلك العجلة واللهثة التي توجد في الشيعة ، لأن السلف مطمئنون وأثقون بدينهم ونبیهم ، ويعلمون أن العجلة لا تقدمه ولا تأخره ، ولأنهم كذلك ليست لهم أحقاد يريدون أن يشتفوا من المخالفين لهم عند ظهور المهدي .

سبب إصرار الشيعة على القول بوجود

محمد بن الحسن العسكري

عرفنا فيما تقدم عمق هذه الفكرة في أذهان الشيعة وتشبثهم بوجود ابن للحسن العسكري الذي جعلوا منهم مهديهم المنتظر ومكابرتهم وإصرارهم على القول بولادته فما هو السر في هذا ؟ والجواب حاصله أن الشيعة قد وضعوا

(٢) المصدر السابق ص ٣٠١ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

شروطا وقواعد وأوصافا للإمام ألزموا أنفسهم بتصديقها وهى من صنع الخيال وبالتالي فهى صعبة المنال ثم جعلوها جزءا من العقيدة الشيعية ، بحيث لو لم تتحقق لانتقض جزء كبير من تعاليمهم ، ولأصبحوا في حرج .

وأكثر تلك الشروط تقوّل على الله ، ومجازفة وحكم على الغيب ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

١- أن الإمام لا يموت حتى يكون له خلف من ذريته هو الذى يتولى الإمامة من بعده حتما لازما .

وقد روى الطوسي عن عقبة بن جعفر قال قلت لأبى الحسن : قد بلغت ما بلغت وليس لك ولد؟

فقال : يا عقبة بن جعفر ، إن صاحب هذا الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده^(١) .

٢- أن الإمامة لا تعود في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا بل فى العقاب وأو عقاب الأعقاب .

ومعنى هذا أن الحسن العسكرى وهو الإمام الحادى عشر لو مات دون عقب لانتفضت هذه القاعدة . وقد روى الطوسي عن أبى عيسى الجهنى قال أبو عبد الله ع : لا تجتمع الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين رضى الله عنهما ، إنما هى فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب . (٢) .

٣- الإمام لا يغسله إلا إمام هو أكبر أولاده .

ولقد ذكر ابن بويه القمي عن على بن موسى بن جعفر كثيرا من الشروط

(١) كتاب الغيبة ص ١٣٣ . وذكر الكليني على هذا الزعم أحداث كثيرة فى كتاب الحجة فى الجزء الأول الذى يبدأ هذا الكتاب من ١٢٨ إلى ص ٤٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ .

التي اشتملت على خرافات وآراء ضالة كيسة من الإسلام في شيء كقولهم :

« للإمام علامات : يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس ، وأتقى الناس ، وأحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأسخرى الناس ، وأعبد الناس ، ويولد مختونا ، ويكون مطهرا ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، ولا يكون له ظل ، وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحته رافعا صوته بالشهادة ، ولا يحتلم وتنام عينيه ولا ينام قلبه ، ويكون محدثا ، ويستوى عليه درع رسول الله ﷺ لأنها محفوظة بزعمهم عند الأئمة يتوارثونها ، ولا يرى له بول ولا غائط لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك ، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، ويكون أشد الناس تواضعا لله عز وجل ، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به ، وأكف الناس عما ينهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجابا حتى إنه لو دعى على صخرة لانشقت نصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله ﷺ ، لأنه محفوظ عند الأئمة والسيف ذو الفقار .

ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة وتكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعا ، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكون عنده الجفر الأكبر والجفر الأصغر ، إهاب ماعز ، وإهاب كبش فيها جميع العلوم حتى أرش الخلدش ، وحتى الجلد ونصف الجلد وثلاث الجلد ويكون عنده مصحف فاطمة (١) .

ويروى الكليني عن أبي جعفر قال : « للإمام عشر علامات : يولد مطهرا مختونا ، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين ، ولا يجنب ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، ولا يتشاءب ولا يتمطى ، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ونحوه كرائحة المسك ، والأرض موكلة بستره وابتلاعه ، فإذا لبس

(١) ذكرها عنه احسان الهي في كتابه « الشيعة والتشيع » ص ٢٨٦ . نقلا عن كتاب القمي ص ٥٢٧ .

درع رسول الله ﷺ كانت عليه وفقا، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبرا ، وهو محدث إلى أن تنقضى أيامه»^(١) وبغض النظر عن دراسة هذه الخيالات والخرافات التي يمجها العقل ويرفضها الفكر ، ويكذبها الواقع أولا يوجد رجل تتوفر فيه هذه الشروط التي لم تتوفر حتى في الأنبياء ، والرسول عليهم الصلاة والسلام مجتمعة بغض النظر عن ذلك كله فإن الذى يهمنى هنا معرفة السر الذى أصر بموجبه الشيعة على القول بوجود ابن للحسن العسكرى يخلف والده فى إمامتهم .

وقد اتضح مما تقدم أن الذى حمل الشيعة على ذلك الإصرار هو تلك الشروط التى تنص على أن الإمام لا يموت حتى يوجد له عقب من أولاده هو الذى يتولى تجهيزه ودفنه ، والقيام بأمر الشيعة بعده حتما ... وكان موت الحسن من دون ولدأ يهدم تلك الشروط التى وضعوها ومن هنا قرروا أن يوجدوا

-
- (١) كتاب الكافي ج ٢ ص ٣١٩ . وقد ذكر الكليني فى هذا الكتاب فى الجزء الأول فى كتاب الحجّة كثيرا من تلك المبالغات فى الأئمة مثل قولهم :
- باب أن الحجّة لا تقوم على خلقه إلا بإمام ص ١٣٥ .
- باب أن الأئمة هم أركان الأرض ص ١٥٢ .
- باب عرض الأعمال على النّبى والأئمة ص ١٧٠ .
- باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النّبوة ومختلف الملائكة .
- باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه ص ١٨١ .
- باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ص ١٨٥ .
- باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم ص ٢٠٢ .
- باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشئ صلوات الله وسلامه عليهم ص ٢٠٣ .
- باب أن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة ص ٣١٥ .
- وأبواب أخرى كثيرة تركتها خوفا للإطالة ، وقد حشيت تلك الأبواب بمبالغات وأكاذيب على أئمتهم لا يقبلها عاقل له أدنى تمييز .

للحسن ولداً تخلصا من هذا المأزق الذى وضعوا أنفسهم فيه ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، وهم على ثقة بأن لكل صوت صدى ، بل هم واثقون من أن استجابة الناس للخرافات والخزعبلات أقوى من استجابتهم للحق ، وأقرب إلى نفوس الكثير من بني آدم .

وإضافة إلى ما تقدم فى سبب دعواهم وجود المهدي فإنه ينبغي ملاحظة أنه قد مرت بالشيعة ظروف سياسية واجتماعية ودينية ذاقوا فيها مرارة الحرمان من عدم إقامة دولة لهم ، تنظر إليهم بالعين التى يريدونها من تقديمهم واعتبار آرائهم ، وغير ذلك مما كانوا فيه من العزة والتطاول على الناس ، واعتبار عنصرهم أفضل العناصر .

وحينما غلبتهم الدولة الإسلامية وبلغ السيل الزبى بإخضاع الدولة الأموية لهم... فكر رؤسائهم فى ذلك الوقت فى أمر يجتمع عليه عامتهم لئلا يذبوا فى غيرهم ، ويئسوا من استعادة أمرهم فبدأوا فى حبك المخططات السرية والعلنية وتوجيه أنظار جميع الشيعة إلى الالتفاف حول أمل إذا تحقق عادت به سيادتهم كما يتصورون ، وهو انتظار المهدي الغائب^(١) الذى سيزيل عند رجوعه جميع من ناوهم ، ويقضى على قريش بخصوصهم بكل شراسة حتى يقول الناس لو كان هذا من قريش لما فعل بهم هكذا حسب ما يرويه النعماني^(٢)، وحسبما يروونه عنه فى كتبهم .

وهذه الشراسة والشدة على العرب بخصوصهم ومنهم قريش تدل دلالة واضحة على أن هذا المهدي ليس له صلة بالعرب فهو عدو شرس لهم ليس بينه وبينهم أية عاطفة أو صلة .

وفعلا هذا المهدي ليس من قريش ، بل هو مهدي فارسي متعصب ليزدجرد

(١) انظر فجر الإسلام ص ٢٧٤ / ٢٧٥ ، وانظر دراسة عن الفرق ص ١٦٠ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ، نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٦ .

وللأسرة الساسانية التي قضى عليها الإسلام يتضح ذلك في هذه الرواية التي يرويها الطوسي : عن أبي عبد الله أنه قال :

«اتقوا العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لا يخرج مع القائم منهم أحد». (١)

وبهذا يتضح أن هذا المهدي مصنوع بمعرفة الشيعة وعلى طريقتهم حقوق شديد يمثل الغلظة بأجلى صورها .

٥ - موقفهم من القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه وحمايته من أيدي العابثين وتأويلات المبطلين فقال عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ (٣).

نزل به جبريل الأمين على قلب محمد سيد المرسلين وبلغنا رسول الله كما تبليغه عن الله تعالى ، جمع الله به الكلمة ، ووحده به القلوب ، ولا تزال البشرية بخير ما تمسكوا به، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور كما أنزله الله، لم يزد فيه ولم ينقص منه بشهادة الله عز وجل

هكذا يعتقد المسلمون في القرآن الكريم، فما هو رأى غلاة الشيعة (الرافضة) في صون القرآن عن التبديل والتغيير ؟

لقد كان الأولى أن يكون القرآن الكريم بعيداً عن أى مساس بتقديسه، وأن يكون نواة تجتمع عليها كلمة كافة المسلمين ، وأن يجعل الحكم فى كل قضية، إلا أنه - ومع الأسف الشديد - لم يسلم القرآن الكريم من تدخل أهواء الشيعة - المتعمقين فى الغلو - فقالوا بأقوال لا تجتمع معها كلمتهم و كلمة أهل السنة

(١) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٨٤ .

(٢) الحجر ٩ .

(٣) الحاقة ٤٥ ٤٦ .

أبدأ حتى يرجعوا عنها لأنهما يسيران في طريقين متباعدين لا يلتقيان .

لقد أعلن غلاة الشيعة أن في القرآن تحريفاً ونقصاً كثيراً ، ولم يكن هؤلاء من عامة الشيعة أو علمائهم غير المشاهير ، بل هم من علمائهم الكبار عندهم كالقاسمي والكليني وأبو القاسم الكوفي والمفيد والأردبيلي والطبرسي والكاشي والمجلسي والجزائري - نعمة بن عبد الله - والكازراني وغيرهم ، وهؤلاء قد صرّحوا وبكل وضوح أن في القرآن نقصاً وتحريفاً في الآيات التي يذكر فيها علي بن أبي طالب ، أو الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش ، وأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي فقط .

كما يعتقدون أن مصحفاً مفقوداً سيصل إلى أيديهم يوماً ما يسمى «مصحف فاطمة» ، فيه أضعاف ما في المصحف العثماني الموجود بين أيدي المسلمين ، وأنه يختلف عن هذا المصحف اختلافاً كثيراً .

وتوجد نماذج كثيرة من تحريفات القرآن الكريم اهتم العلماء بذكرها قديماً وحديثاً لعل المقام لا يتسع لسرد أسماء من كتب في هذا أو سرد الآيات التي يدعى الشيعة أنها محرقة أو ناقصة عن مصحف آل البيت ... تجد ذلك في كتاب « فصل الخطاب في تحريف كتاب «رب الأرباب» للطبرسي » وفي الكافي وغيرهما من كتب الشيعة .

والحقيقة أن هذا الموقف لا يمت للإسلام بأدنى صلة ومعتقده لا شك في كفره وخروجه عن الملة مهما كان ادعائه للإسلام بعد ذلك .

وعلى سبيل المثال ما كتبه كبير علماء النجف الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي والذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف ، في إيوان حجرة بانوا العظمى بنت السلطان الناصر لدين الله ، وهو أقدس مكان عندهم ... هذا الرجل ألف سنة ١٢٩٢ هـ وهو في النجف عند القبر المنسوب للإمام علي كتابه المسمى « فصل

الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة قديما وحديثا أنهم يعتقدون بوجود النقص والتحريف في القرآن الكريم، وطبع الكتاب في إيران، وعند طبعه قامت ضجة كبيرة حوله خصوصا ما أبداه بعض عقلائهم لا لأجل ما في الكتاب، وإنما كانوا يرغبون أن يبقى التشكيك في القرآن سرا مبثوثا في كتبهم المعتمدة لا أن يذاع في كتاب واحد تقوم به الحجة عليهم، وبدلا من أن يستكين مؤلفه أو يعتذر ألف كتابا آخر سماه «رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» دافع فيه عن ما أودعه في كتابه السابق «فصل الخطاب»... وقد كتب هذا الدفاع قبل موته بسنتين.

ولبيان نظرهم إلى القرآن نورد بعض الشواهد والأمثلة فيما يلي :

١ - ادعى الشيعة أن سورة من القرآن تسمى سورة «الولاية» قد اسقطت من المصحف العثماني، ونصها :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبىِّ والولى اللذين بعثناهما يهديانكم الصراط المستقيم (*) نبىِّ وولىِّ بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير (*) إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم (*) والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين (*) إن لهم فى جهنم مقاما عظيما إذا نودى بهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين (*) ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب (*) فسبح بحمد ربك وعلني من الشاهدين » (١) .

فانظر إلى هذا الكلام الفارغ الذى لو قدمه تلميذ في مادة الإنشاء لاستحق عليه الرسوب ، كلام مفكك ركيك ، ثم يزعمون أنه كلام الله تعالى ، وأن هذه سورة من عند الله تعالى أنزلها ضمن القرآن .

(١) انظر التعليق الموجود في ص ٢٢ من مختصر التحفة الإثنى عشرية وصورة «سورة الولاية».

وفى كتاب الكافى وفصل الخطاب من الآيات التى زعم الشيعة أنها محرقة وناقصة ما جعلني احتار فى أيها أثبتته هنا وأيها أتركه فهى كثيرة جدا ، أخذت صفحات عديدة ، وكلها مما يقتل النفس أسى على ضلال هؤلاء وتناولهم على كتاب الله دون خوف من الله ولا مبالاة بمشاعر المسلمين .

وبعد البحث وبذل الجهد فى تصفح كتاب فصل الخطاب عشرت على الطامة الكبرى وهى « سورة الولاية » بكاملها ، وقد رغبت أن أنقلها ليعتبر المؤمن ويرجع المغالط ، ويعرف أهل الشر على حقيقتهم .. فقارن أيها القاريء الكريم بين كتاب الله وبين هذا القرآن الذى يزعمه علماء الشيعة ويتقولونه على الله تعالى ، ولا تنخدع بأكاذيبهم حين يجحدون مثل هذا الافتراء ، فإنهم يقدسون الكليني والطبرسي أشد تقديس ، ولم يظهر منهم أحد يشنع عليهما ويرد ضلالتهما ، وييرأ إلى الله من أباطيلهما وجرأتها على كتاب الله الذى تكفل الله بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

سورة الولاية

كما هى فى فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي

قال الطبرسي : صاحب كتاب « بستان المذاهب » بعد ذكر عقائد الشيعة ما معناه ، وبعضهم يقولون أن عثمان أحرق المصاحف ، وأتلف السور التى كانت فى فضل على وأهل بيته عليهم السلام ، ومنها هذه السورة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم(*)نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم(*) إن الذين يوفون ورسوله فى آيات لهم حنات نعيم(*) والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون فى الجحيم(*)ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من

حميم(*) إن الله الذى نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة
وجعل من المؤمنين أولئك فى خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم(*) قد مكر الذين من قبلهم برسولهم فأخذهم بمكرهم إن أخذني شديد
أليم(*) إن الله قد أهلك عادا و ثمودا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا
تتقون(*) وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه
أجمعين(*) ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون(*) إن الله يجمعهم فى يوم
الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم
حكيم(*)

يا أيها الرسول بلغ إنذراى فسوف يعلمون(*) قد خسر الذين كانوا عن
آياتي وحكمي معرضون(*) مثل الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات
النعيم(*) إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم(*) وإن عليا من المتقين(*) وإنا لنوفيه
حقه يوم الدين(*) ما نحن عن ظلمه بغافلين(*) وكرمناه على أهلك أجمعين(*)
فإنه وذريته لصابرون(*) وإن عدوهم إمام المجرمين(*) قل للذين كفروا بعدما
أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله
ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون(*)

يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات مبينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه
من بعدك يظهرن(*) فأعرض عنهم إنهم معرضون(*) إنا لهم محضرون فى
يوم لا يغنى عنهم شيء ولاهم يرحمون(*) وإن لهم فى جهنم مقاما لا
يعدلون(*) فسبح باسم ربك وكن من الشاهدين(*)

ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل(*)
فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنناهم إلى يوم يبعثون(*) فاصبر فسوف
يبصرون(*) ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين(*) وجعلنا لك
منهم وصيا لعلهم يرجعون(*) ومن يتول عن أمري فإنى مرجعه فليمتعتوا

بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين (*)

يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً فخذها وكن من الشاكرين (*) إن علياً قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعدابى يعلمون (*) سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون (*) .

إنا بشرناك بذريته الصالحين (*) وإنهم لأمرنا لا يخلفون (*) فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون (*) وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين (*) وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون (*) والحمد لله رب العالمين (*) .

وبعد أن أورد الطبرسي هذه الآيات قال :

« قلت ظاهر كلامه أنه أخذها من كتب الشيعة ، ولم أجد لها أثراً فيها ، غير أن الشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ذكر في كتاب «المثلب» على ما حكى عنه أنهم أسقطوا من القرآن تمام سورة الولاية ، ولعلها هذه السورة (١) .

فانظر أيها المسلم إلى مدى ما وصل إليه ضلال هؤلاء حيث جعلوا هذا الكلام الفارغ قرآناً أنزله الله . لعن الله من قال وغضب عليه .

وقد أوردت « السورة » - كما يسميها هؤلاء الفجار - بتمامها لكي يتضح المقارنة بينها وبين « سورة الولاية » التي هي سبع آيات كما يكذبون ... فكيف زادات بعد ذلك؟

هذا التساؤل يزول إذا عرفت أيها القارئ الكريم أن الشيعة يزيدون في كل نص لهم فيه غرض على منواله إن كان شعراً أو نثراً مع عزوه إلى أصل

(١) فصل الخطاب ص ١٥٦ - ١٥٧ .

الكلام... وما الذى يمنعهم من ذلك وقد كذبوا على الله تعالى .
واعلم أيها القارئ الكريم أنني تركت مئات الآيات من كتاب الله سطلي
عليها الطبرسيّ وأوردها على أنها زائدة أو ناقصة أو محرقة .
وأرى أنه يكفى مرارة أنني نقلت من كتابه الرديء « سورة الولاية » هذه،
بل وأرى أن مجرد قراءة هذه السورة يكفى لجلب الغثيان وإثارة الأسى والحزن
على ما وصل إليه هؤلاء وهم يتظاهرون بعد ذلك بالإسلام .
على أن هذه السورة تحتاج في نقدها وتعريتها خواتمها وضحاها ففكر من
اخترعها قبحة الله إلى دراسة مطولة ووقت كاف .
وأما الكليني فقد جاء من كتابه « الكافي » بمئات الآيات التي زعم أن الله
أنزلها هكذا ، ونأخذ كمثال الآيات الآتية التي أوردها في « باب فيه نكت من
التنزيل في الولاية » (١) :

١ - عن أبي بصير عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل : في قوله : « ومن يطع
الله ورسوله في ولاية عليّ وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً
« هكذا أنزلت » . (٢)

٢ - عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (ع) في قوله « ولقد عهدنا إلى آدم
من قبل كلمات في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم
السلام من ذريتهم فنسى » .

هكذا والله أنزلت على محمد ﷺ « (٣) . (لعن الله الكاذبين) .

٣ - عن جابر قال : نزل جبريل (ع) بهذه الآية على محمد هكذا « وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا في عليّ فأتوا بسورة من مثله » (٤) .

(٢) الكافي ص ٣٤٢ .

(٤) الكافي ص ٣٤٥ .

(١) الكافي ج ١ ص ٣٤١ .

(٣) الكافي ص ٣٤ .

٤ - عن الرضا (ع) في قول الله عزّ وجلّ « كبر على المشركين بولاية عليّ ما تدعوهم إليه يا محمد ولاية عليّ » هكذا في الكتاب مخطوطة (١) .

٥ - عن أبي عبد الله في قول الله تعالى « سألت سائل بعذاب واقع (*) للكافرين بولاية عليّ ليس له دافع » ثم قال هكذا والله نزل بها جبريل عليه السلام عليّ محمد ﷺ .

٦ - عن أبي جعفر (ع) قال نزل جبريل (ع) بهذه الآية عليّ محمد ﷺ هكذا « فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا عليّ الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » (٢) .

٧ - قرأ رجل عند أبي عبد الله (ع) « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

قال ليس هكذا هي ، إنما هي والمؤمنون ، فنحن المؤمنون » (٣) .

وهناك آيات أخرى كثيرة عليّ هذا الصنيع تلاعب بها أولئك الفجار تركتها اكتفاء بالأمثلة السابقة ولعلمهم حينما وضعوها كانوا يظنون ويتمنون أنها ستقرأ في المساجد والصلوات عليّ حسب تحريفاتهم ، لأنهم لا يعلمون أن الله تكفل بحفظ كتابه ، وأن المسلمين يكتشفون كل محاولة للتلاعب بالقرآن مهما كان خفاؤها بتوفيق الله لهم .

وقد نتج عن هذا التلاعب بالقرآن أن اختلط أمره عليّ عامة الشيعة فلم يوجد عندهم التمييز بين كلام الله في القرآن ، وما أدخله أولئك الفجار عليه وهذا ما يرويه الكليني بقوله :

« روى عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي الحسن - أي أبو الحسن الثاني عليّ بن موسى الرضا

(١) الكافي ج ١ ص ٣٥٦ . (٢) الكافي ص ٣٤١ . (٣) المصدر السابق .

المتوفى سنة ٢٠٦ قال : قلت له جعلت فداك ، أنا أسمع الآيات فى القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم ، فهل نأثم ؟ فقال لا ، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم .» (١)

ينبىء عن مدى التشويش الذي أصاب الشيعة من جراء أكاذيب علمائهم عليهم وعلى أئمتهم المعصومين بزعمهم ،.. وتوجيه لأنظار الشيعة عامة إلى ترقب مجيئهم من يعلمهم بمصحف آل البيت ، مصحف فاطمة الذى يختلف تمام الاختلاف مع المصاحف الموجودة بأيدي المسلمين ، وقرآنه يختلف مع القرآن الذى عرفه المسلمون من فم رسول الله ﷺ ..

روى الكلينى عن أبى بصير قال : دخلت على أبى عبد الله ... إلى أن قال أبو عبد الله - جعفر الصادق - كما يزعم الكلينى وأبو بصير - : وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام ، قال قلت ، وما مصحف فاطمة (ع) ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد» (٢) .

هذه الرواية أيضا من أكاذيب الشيعة ، وصدق من قال : «عدو عاقل خير من صديق جاهل» إذا قلنا بأن لهم صداقة مع أهل البيت كما يزعمون . وكان لابن حزم رحمه الله تعالى مواقف مشهورة وكثيرة مع النصارى ، كان يناظرهم ويقيم عليهم الحجج الدامغة أن كتبهم محرفة ، وفيها نقص وزيادات وضياع لأصولها الصحيحة ، ولم تعد تصلح للاحتجاج بها فضلا عن التدين بما فيها ، فكان القسس يردون عليه نفس الحجّة فائلين أن القرآن كذلك فيه تحريف ونقص وضياع كثير من أصوله باعتراف المسلمين من الشيعة ، فيجيبهم ابن حزم بقوله :

(٢) الكافي فى ج ١ ص ١٨٦ .

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٥٣ .

« إن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين لأن الشيعة غير مسلمين ». وقال رحمه الله :

« وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراءات ، فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد للإسلام، وهي طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر... إلخ كلامه»^(١).

ومهما حاول الحاقدون على الإسلام من أى ملة كانوا فإن الله عز وجل تكفل بحفظ كتابه وحمايته، وما كان في حماية الله عز وجل فإنه لا يضيع .

وكم حاول كثير من الفجار التطاول على القرآن فأخزاهم الله وسيبقى القرآن دستوراً خالداً للمسلمين محفوظاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولكم يتمنى كل مسلم غيور على دينه أن تمحى مثل هذه الأباطيل والشوائب، وأن تقترب قلوب المسلمين وتتوحد أهدافهم وتصدق نيّاتهم، ويأتوا إلى حكم القرآن خاضعين مسلمين إن أرادوا النجاة واجتماع كلمة المسلمين وقوة شوكتهم ، لولا أن العداوة قد استحكمت ، والآراء قد ثبتت في الأذهان بتحريض علماء السوء ، وإن التغيير الكامل لمثل هذه المواقف يتطلب نية صادقة وعزماً قوياً على الالتفاف حول الأساس الذي بنى عليه الإسلام وهو كتاب الله وسنة نبيه لرفع كلمة المسلمين مما هم فيه من التفرق والخذلان ، والعودة بهم إلى سابق مجدهم وعزهم إذا أراد الله بهم الخير والخروج من أيدي الطغاة الذين تكالبوا عليهم من الشرق والغرب... قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

والله المستعان .

(١) انظر الفصل ج ٢ ص ٧٨ .

٦ موقفهم من الصحابة

وأما بالنسبة لموقف الشيعة من الصحابة رضى الله عنهم :

فقد هلكوا فيهم « إذ بالغوا في العداة لهم وكفروهم ، وحكموا بردة أخيارهم - حشاهم ذلك - بل وجعلوا من لوازم عبادتهم لله التقرب إلى الله بلعنهم صباحا ومساء ، وأعطوا من الأجر - بافترائهم على الله - ما لا يعد ولا يحصى لمن سبهم صباحا ومساء واختلقوا عليهم أكاذيب وافتراءات لا يصدقها من له أدنى مسكة من عقل .

وبلغ من حقدهم على خيرة الصحابة أن كرهوا لفظة العشرة التي تذكرهم بالعشرة المبشرين بالجنة ، وهم فى موقفهم هذا قد خرجوا عن منهج الله ورسوله حيال المؤمنين عموما والصحابة خصوصا الذين أثنى الله عليهم وشهد لهم بكل خير فردوا شهادة الله فيهم ، وتعبدوه بسب أوليائه وتكفيرهم ، وحتى لم يشكروا لهم إحسانهم فى إيصال الدين إليهم وإخراجهم من الوثنية والمجوسية إلى نور الإسلام وتناسوا جهادهم فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

ولا يخلو كتاب من كتب الشيعة - على كثرتها وبطلانها - من سب وشتم للخلفاء الراشدين وسائر الصحابة إلا من استثنوهم .

وقد عبّروا عن أبى بكر وعمر وعائشة وحفصة بصنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيها وابتتيهما ... وأحيانا يعبرون عن أبى بكر وعمر بالجبت والطاغوت ، وأحيانا بكلمة الأول والثانى وقد يضيفون ، والثالث يقصدون عثمان رضى الله عنه ... وفيما يلى نذكر بعض النصوص من كتبهم تجاه الصحابة ليكون أوثق للحجة عليهم وأدعى إلى الإنصاف .

وأول ما نذكره هو تطاولهم على الصحابة وتفضيلهم لأنفسهم عليهم .

فقد أورد الطوسي عن أبي عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم ». قالوا يا رسول الله نحن كنا معك بيدر وأحد وحين .، ونزل فينا القرآن ؟ فقال : «إنكم لو تحملوا ما حملوا، لم تصبروا صبرهم»^(١).

أى أن حثالة الناس الذين يكون على المهدي، ويصيحون في كل يوم ليخرج أجر الواحد منهم مثل أجر خمسين ممن قال فيهم الرسول ﷺ : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »

وأما الكليني فإنه لم يتورع عن تفسير القرآن على حسب هواه في جرأته المعروفة فقال معرضاً بأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم عند شرحه لقول الله تعالى : ﴿ لتركبن طبقا عن طبق ﴾ .

عن زرارة، عن أبي جعفر في قوله تعالى ﴿ لتركبن طبقا عن طبق ﴾ قال يا زرارة أو لم تتركب هذه الأمة بعد نبينا طبقا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان»^(٢).

وعن أبي عبد الله في قول الله عز وجل ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ﴾ .

قال : نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ : « من كنت مولاه فعليّ مولاه»، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين (ع) ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقرؤا بالبيعة ، ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعه البيعة لهم لم يبق فيهم من الإيمان شيء»^(٣).

وعن أبي عبد الله في قوله تعالى : ﴿ وهدوا الى الطيب من القول وهدوا

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٤٣ .

(١) كتاب الغيبة ص ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٨ .

إلى صراط العزيز الحميد ﴿١﴾ . قال : ذلك حمزه وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر
و... (١) بن الأسود وعمار ، هدوا إلي أمير المؤمنين (ع) وقوله ﴿٢﴾ حب إليكم
الإيمان وزينه في قلوبكم ﴿٣﴾ يعني أمير المؤمنين . و ﴿٤﴾ كره إليكم الكفر
والفسوق والعصيان ﴿٥﴾ الأول والثاني والثالث (٢) .

ومن أحاديث الكليني وذمه للصحابة رضوان الله عليهم ما يرويه عن
جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه في قوله عزّ وجل : ﴿٦﴾ يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها ﴿٧﴾ . قال لما نزلت : ﴿٨﴾ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴿٩﴾ إجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ
في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض ما تقولون في هذه الآية ؟ فقال بعضهم :
« إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرنا » وإن آمنّا فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن
أبي طالب . فقالوا قد علمنا أن محمدا صادق فيما يقول ولكننا نتولاه ولا نطيع
عليا فيما أمرنا . فقال فنزلت هذه الآية ﴿١٠﴾ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴿١١﴾
يعرفون يعني ولاية علي بن أبي طالب وأكثرهم الكافرون بالولاية (٤) . وقال في
ذمه للخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم : « والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان
والعبادة طاعة الناس لهم (٤) . ويبلغ الحقد والكراهة لأمة المؤمنين عائشة رضي الله
عنها أن يتهمها الكليني في دينها وفي عرضها وعفتها حين يفتعل الرواية الآتية
على من اخترعها لعنة الله ، وهي طويلة تقتصر منها على هذه الكلمات :

(١) قال الحسن لأخيه الحسين : « واعلم أنه سيصيني من الحميراء ما يعلم الناس
من صنعها وعداوتها لله ولرسوله ﷺ وعداوتها لنا أهل البيت » .

(٢) قال لها الحسين بن علي : « قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله
ﷺ وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله ﷺ قربه » .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٥٣ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٥٦ .

(١) الاسم مسح في النسخة المصورة عندى .

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) قال لها الحسين: « وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه... إلي أن قال: ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند إذن رسول الله ﷺ المعاول »

(٤) « ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله ﷺ بقربهما منه الأذى، وما رعيًا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ﷺ » (١).

إلى آخر ما أورده من كلام السفهاء والسفلة حاشا الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية أن يتلفظوا به بل ولا يتلفظ به من هو أقل منهم إيمانا، فكيف بهم؟؟ ولكنها الغفلة والطيش الذي امتازت به هذه الطائفة حيثما قادهم علماء السوء منهم إلى بغض الصحابة والحكم عليهم بالردة بعد وفاة النبي ﷺ والذي استحلو الكذب على أئمتهم بما ملئوا به كتبهم من روايات هي من مخترعاتهم، والتي هي أيضا امتدادا لأفكار ابن سبأ الضال .

وأما شرف الدين العاملي في مراجعاته التي زعم فيها أنه منصف يقول الحق، فقد جاء في كتابه هذا بالطامات والدواهي الغليظة بما افتري من الكلام والوقية في الصحابة عموما، والخلفاء الثلاثة خصوصا بطرق غامضة وأساليب ملتوية.

فقد عرض بأبي بكر وعمر أنهما خطبا إلي الرسول ﷺ ابنته فاطمة فلم يزوجها من أحد منهما، وزوجها من علي فحسداه على ذلك وكاداه بكل وسيلة فلم ينجح. فقال العاملي في ذلك مع الشتم لأبي بكر وعمر رضوان الله عليهما: « وقد تظافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله ﷺ سيزوج عليا من بضعتة الزهراء وهي عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر لا سيما بعد أن خطبها من خطبها فلم يفلح. وقالوا إن هذه ميزة يظهر بها فضل علي، فلا يلحقه بعدها لاحق، ولا يطمع في إدراكه طامع فأجلبوا بما لديهم من إرجاف، وعملوا لذلك أعمالا،

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٤٠-٢٤١ .

فبعثوا نساءهم إلي سيّدة نساء العالمين ينفرنها ، فكان مما قلن لها إنه فقير ليس له شيء ، لكنها عليها السلام لم يخف عليها مكرهن وسوء مقاصد رجالهن ، ومع ذلك لم تبد لهن شيئا يكرهنه حتى تم ما أَراده الله عز وجل ورسوله لها»^(١) ولقد نسي أن الرسول ﷺ زوج عثمان بن عفان على ابنتيه ، وتمنى أن لو كانت له ثلاثة فيزوجه أيضا . وأن أبا بكر وعمر لم يصنعا هذا الصنيع ولا شيء منه تجاهها ولا تأمرا عليه . وقد تناقض العملي فإنه روى أيضا ما يدل على تبرم فاطمة بزواجها من علي ،،، حيث روى عن أبي هريرة قال قالت فاطمة : يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لا مال له ؟

قال ﷺ : يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك^(٢) . وعن معقل بن يسار أن النبي ﷺ عاد فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها : كيف تجدينك ؟ قالت : والله لقد اشتدّ حزني واشتدّت فاقتي وطال سقمي . قال ﷺ : أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي إسلاما ، وأكثرهم علما ، وأعظمهم حلما^(٣) ثم قال العملي : «والأخبار في ذلك متضاربة لا تحتملها مراجعاتنا»^(٤) . وقد طعن في إيمان أبي بكر وعمر وطاعتهما للرسول ﷺ وكذلك عثمان رضي الله عنه ، وكل من أطاعهم فزعم أنهم كانوا لا يمثلون لكلام الرسول ﷺ ويؤلون قوله لصالحهم دون أي اكتراث بمخالفته ... إلي أن قال : «أما الخلفاء الثلاثة وأولياؤهم فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها»^(٥) وزعم أن عليا كان دائم الشكوى من قريش ومن أبي بكر وعمر فقال : «وكم احتج أيام خلافته متظلما ، وبث شكواه على المنبر متألما»^(٦) وأنه دائم الدعاء عليهم بقوله : «اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم ، فيأنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ،

(٢) المراجعات ص ٢٥٦ .

(٥) المراجعات ص ٣٠٠ .

(١) المراجعات ص ٢٥٥

(٣) ، (٤) المراجعات ص ٢٥٧ .

(٦) المراجعات ص ٣٣٧ .

وأجمعوا على منازعتي أمرا هولي». ولقد نسي أن عليا بن أبي طالب كان لا يرى الدنيا تساوي شيئا عنده فكيف بالخلافة التي أخذها وهو كاره لها، لولا ما كان يؤمله من استقامة الناس على الدين، والقضاء على الفتن.

ومن الأمور التي لم يتورع عنها العامليّ زعمه أن الحسن بن عليّ جاء إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال له: انزل عن مجلس أبي. ووقع للحسين مثل ذلك مع عمر وهو علي المنبر أيضا (١).

وهناك إفتراءات كثيرة وتشويه للحقائق وسباب لخيرة الناس بعد محمد ﷺ لم يجد العامليّ أي حرج في هذه المواقف التي لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة. وله في أم المؤمنين عائشة من التعريض بها والسب والشتم الذي لا يليق إلا به وبمن يعتقد معتقده ما لا أستطيع ذكره هنا لطوله، ولعدم صبر المؤمن على النظر فيه وقراءته...

فقد ذكر في وسط السبّ والتعريف بها أن النبيّ ﷺ قام خطيبا على منبره فأشار نحو مسكنها قائلا ههنا الفتنة ههنا الفتنة «ههنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان» (٢).

ولقد أذهب الحقد والكراهية لأم المؤمنين عقوله فادّعى أن قرن الشيطان يطلع من بيت النبي ﷺ من حجرة عائشة التي دفن فيها، وأن الفتن والشرور كلها تنبعث منه، وحاشا ذلك أن يقع، فانظر إلى سفه هؤلاء الفجار... ثم أسند الحديث إلى البخاري ومسلم متجاهلا معنى الحديث والمقصود منه، مؤكدا أنه وارد في عائشة، وفي ذم حجرتها التي حوت قبر الرسول خير البشر ﷺ

واختلق العامليّ حديثا أورده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال

(٢) المراجعات ص ٢٨٤ .

(١) المراجعات ص ٣٤٥ .

في مرضه: ادعوا لي أخي. فجاء أبو بكر فأعرض عنه. ثم قال ادعوا لي أخي. فجاء عثمان فأعرض عنه. ثم دعى له عليّ فستره بثوبه وأكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له ما قال لك؟ قال: علمني ألف باب، كل باب يفتح له ألف باب^(١).

ويذكر أيضاً أنه بعد وفاة الرسول ﷺ كاد للإسلام كثير من العرب والمنافقين، والذين يريدون، للإسلام شراً إلى جانب وجانب آخر كان فيه كثير من العناصر الجياشة بكل حنق من محمد وآله وأصحابه، تريد انتهاز الفرصة وأخذ الحكم قيل أن يستتب الإسلام بقوته ونظامه، ويقصد بهذا أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

ثم قال: « فوقف أمير المؤمنين بين هذين الخطيرين، فكان من الطبيعي له أن يقدم حقه قربانا لحياة الإسلام، وإيثاراً للصالح العام... فانقطاع ذلك النزاع، وإرتفاع الخلاف بينه وبين أبي بكر لم يكن إلا فرقا على بيضة الدين^(٢).

وينقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس في كلام دار بينهما « إن قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتجحفون على الناس^(٣).

وهذه الكذبة مثل الكذبة التي تقول في كتبهم عن الباقر والصادق: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.. من ادعى إمامة ليست له، ومن جحد إماماً من عند الله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام^(٤).

أو الكذبة الأخرى في قولهم: « ولله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم في كل عالم سبعون ألف أمة، كل أمة أكثر من الجن والإنس، لا هم لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر وعثمان^(٥).

(٢) المراجعات: ص ٢٩٤.

(٤) انظر الوثيقة ص ٢١.

(١) المراجعات ص ٢٨٢.

(٣) المراجعات: ص ٢٩٩.

(٥) المصدر السابق ص ٢٢.

وللشيعة دعاء يسمونه « دعاء صنمي قريش » أي أبو بكر وعمر ، ونصّه: «اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاقوتيهما وابنتيهما..» وهذا الدعاء انتظم الخليفة الراشد أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة رضوان الله على جميعهم.. وقد أشرنا إلى عدائهم للخلفاء في درس الرجعة والمهدية.

وعلى العموم فإن كتبهم مملوءة بالسب والطعن في الصحابة، لا يستثنون إلا خمسة منهم، وقيل سبعة عشر من مجموع ذلك العدد الضخم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

وللطبرسي في كتابه « فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب » من الغمز واللمز والأكاذيب على آل البيت ما يدل دلالة واضحة على بعد هؤلاء العتاة عن الدين الإسلامي الحنيف ، وجهلهم بحق الصحابة وأنهم بعيدون عن هدي الإسلام كل البعد وهكذا فعل الطوسي في كتابه « الغيبة » ، والخميني في كتبه ردد تلك الأفكار وبالغ في زخرف القول مثل كتابه « ولاية الفقيه » وغيره من كتبه ووصاياها .

وإذا كنت قد وعيت أيها القارئ الكريم كل ماتقدم ، ورأيت مواقف الشيعة من أصحاب الرسول ﷺ وزوجاته وأهل بيته بل والقرآن الكريم، وعامة أهل السنة.

ورأيت تلك العداوة الشديدة ، وتلك المواقف التي يئن لها قلب كل مسلم... فإن مما ينبغي أن يطأطأ له الشيعة رؤوسهم خجلاً أن تكون تلك المواقف هي عقيدتهم نحو دين الإسلام وأتباعه وهم يدعون أنهم من أتباعه .

وأن يذكر المنصفون من كتاب الشرق والغرب ما يرفع رأس المسلم فخراً واعتزازاً بدينه وبأسلافه ، من بيانهم لحقائق الإسلام والخلفاء ودورهم المشرق، ودور الصحابة في إسعاد البشرية بوصول الخير إليهم ، ونقلهم بكل أمانة

ما سمعوه من الرسول ﷺ ، وكيف نشروا الإسلام لا لشيء إلا لإرضاء الله تعالى ، وقيامًا بواجب الدعوة نحو البشرية جمعاء، مع ما كانوا فيه من الفاقة والزهدي والترفع عما في أيدي أهل البلاد المفتوحة ، وقيامهم بذلك العدل الذي أدهش أهل كل مكان وطأته أقدامهم الكريمة فدخلوا في دين الله أفواجا راغبين مغتبطين لهذا الدين ، وصاروا فيما بعد ذلك من جنود الإسلام الميامين .

شهادة المنصفين

والآن اسمع ما يقوله المنصفون في أصحاب النبي ﷺ ، وهناك عشرات الأمثلة تركتها لئلا يطول البحث ، ويمكنك الرجوع إليها بسهولة ويسر^(١).

يقول الكاتب الإنجليزي المشهور كاريل في إعجابه بالقرآن الكريم :

« إن القرآن كتاب لا ريب فيه ، وإن الإحساسات الصادقة الشريفة والنيات الكريمة تظهر لي فضل القرآن ، الفضل الذي هو أول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها، بل هو الكتاب الذي يقال عنه في الختام» وفي ذلك فليتنافس المتنافسون «لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة»^(٢).

ويقول الفريد غليوم أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة لندن :

« علينا من المبدأ أن نقرر أن محمداً - ﷺ كان واحداً من أعلام التاريخ العظماء .. إلى أن يقول :

«إن إخلاص خلفائه لدعوته وإيمانهم بها وفهمهم لها قد جعلهم يعملون على تعميم الدعوة الرحيمة»^(٣).

وقالت الدكتورة لورافيتشا فاليري الكاتبة الإيطالية في كتابها « محاسن

(١) ارجع إلى كتاب « الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب القسم الثاني لترى

ما يزيدك إيمانا واعتزازا بدينك .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ نقلا عن كتاب « الأبطال » .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٣ .

الإسلام»:

« أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً ﷺ في حكم الدولة الإسلامية الذين كانوا تراجع ضميره فقد صاروا على سننه التي سننها لهم ، وحملوا راية الإسلام إلى قلب القارة الآسيوية من جهة، وإلى أمواج المحيط الأطلسي من جهة أخرى»^(١).

ويقول الدكتور م .. أهنو ، قنصل اليابان في مصر ، معجباً بالقرآن وما فيه من الهدى والخير :

« إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذا تمسكوا بما جاء في القرآن الكريم من تعاليم فإن هذا يكون سبباً في تقدمهم في نواحي الحياة الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية لأن القرآن قد جمع المدنيات قديمها وحديثها، وهو كتاب جامع شامل»^(٢).

وقال المسيو جوته :

« كلما قلبنا النظر في القرآن تملكنا الروعة والوجل ، لكننا سرعان ما نشعر نحوه بجاذبية تنتهي بنا حتماً إلى الإعجاب ، فهو بين الكتب المقدسة نموذج عال رفيع ، ولسوف يحيا تأثيره في النفوس في جميع الأجيال والعصور»^(٣).

ويقول الأستاذ شيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوق عام ١٩٣٧م:

« إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها ، إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيون أسعد مانكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»^(٤).

(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(١) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

وقال الأستاذ خليل إسكندر قبرصي في مدح النبي ﷺ، وخلفائه من بعده:
هذا الذي امتدت أيدي خلفائه إلى أقصى حدود أوروبا فأناروا بحسن
عدلهم وأمانتهم، وجميل تقواهم ظلماتها، ومزقوا بنور الفرقان دياجر
جهالتها»^(١).

وهناك نصوص كثيرة جدا عن هؤلاء الذين يحبون صفة الإنصاف فاقرواها
وقارن بين مواقف هؤلاء ومواقف الشيعة لترى الغبن الفاحش للمسلمين بانتساب
هؤلاء إليهم مع بقائهم على تلك الأقوال والمعتقدات التي قدمنا ذكرها عن خلفاء
النبي ﷺ وزوجاته وأهل بيته وعامة المسلمين وكتابهم المقدس الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٧ : قولهم بالبداء على الله

البداء : معناه الظهور بعد الخفاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله
مالم يكونوا يحتسبون ﴾ أي ظهر .

ومعناه أيضا حدوث رأي جديد لم يكن من قبل كما في قول الله تعالى :
﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ .

وله معان أخرى كلها لا تخرج عن مفهوم تجدد العلم بتجدد الأحداث .

وهذه المعاني تستلزم سبق الجهل وحدث العلم تبعاً لحدوث المستجدات
لقصور العقول عن إدراك المغيبات .

وإذا أطلقت هذه المعاني على الإنسان فلا محذور فيها لتحققها فيه ، وأما
إذا أطلقت على الله عز وجل فلا شك أنها كفر تخرج صاحبها من الملة ، ذلك
أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة ، يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما ظهر وما
سيظهر على حد سواء ، ومحال عليه عز وجل حدوث الجهل بالشيء فتبدو له

(١) المصدر السابق ص ١٨٠ .

البداءات فيه .

وهذه العقيدة معلومة من الدين بالضرورة أنها باطلة لدى كافة المسلمين، ولا يتصور اتصاف الله بها إلا من لا معرفة له بربه ، واستحوذ عليه الجهل والغباء.. فما هو موقف الشيعة من هذه القضية ؟ .

الواقع أن كل كتب الشيعة تؤكد وجوب اعتقاد هذه الفكرة عن الله، بل ووصل بهم الغلو إلى حد أنهم يعتبرونها من لوازم الإيمان كما سيأتي ذكر النصوص عنهم ، إلا أن الأشعري يذكر عنهم أنهم اختلفوا في القول بها إلى ثلاث مقالات :

(١) فرقة منها يقولون إن الله تبدو له البداوات ، وإنه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات ، ثم لا يحدثه بسبب ما يحدث له من البداء ، وفسروا النسخ الحاصل في بعض الأحكام على أنه نتيجة لما بدا لله فيها... تعالى الله عن قولهم .

(٢) وفرقة أخرى فرقوا بين أن يكون الأمر قد اطلع عليه العباد أم لا .. فما اطلعوا عليه لا يجوز فيه البداء ، وما لم يطلعوا عليه بل لا يزال في علم الله فجائز عليه البداء فيه .

(٣) وذهب قسم منهم إلى أنه لا يجوز على الله البداء بأي حال .

هذا ماقرره الأشعري^(١)، ولكن كما قدمنا فإنه بالرجوع إلى مصادر الشيعة الإمامية الرافضة تجد أنهم متمسكون بهذا المبدأ ويقولون أن الله تبدو عليه البداوات ، ويذكرون فيه فضائل من يعتقد على الله البداء أكاذيب كثيرة منكورة دون ذكر خلاف بينهم وقد يصدق كلام الأشعري على بعض المعتدلين ممن مال إلى التشيع ، ولم يغلو فيه غلو الإمامية .

(١) المقالات ج ١ ص ١١٣ .

أدلتهم على القول بالبداء

تمسك الرافضة بعقيدة البداء تمسكا شديداً ولهذا فإن أدلته في كتبهم لا تكاد تحصر. ومن ذلك ما ذكره الكليني في الكافي ، حيث عقد باباً كاملاً في البداء سماه «باب البداء» ، وأتى فيه بروايات كثيرة توّضح بجلاء مقدار تعلقهم بعقيدة البداء منها :

* عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: «ما عبد الله بشيء مثل البداء». والحقيقة ما عبد الله بشيء مثل التوحيد له عز وجلّ والانقياد التام ، وأما البداء فهو عقيدة يهودية ، من قال بها فقد وصف ربه بالنقص والجهل والتخبط في الاعتقاد .

* وفي رواية ابن عمير عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام «ما عظم الله بمثل البداء»^(١) .

* وعن أبي عبد الله أنه قال : « لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه »^(٢) .

* وعن مرزبان بن حكيم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « ماتت نبي قط حتى يقرّله بخمس ، بالبداء والمشيمة والسجود والعبودية والطاعة »^(٣) . وهذه لا يظهر أنها خمس فالسجود والعبودية والطاعة كلمات تغني كل واحد منها عن الأخرى .

وعن الريان بن الصلت قال سمعت الرضا عليه السلام يقول : « ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر ، وأن يقرّله بالبداء »^(٤) .

وهذا غير متيقن فإن شرائع الأنبياء تختلف في الفروع ، ولم تتفق دعوة الأنبياء على التأكيد إلا في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته .

(١) الكافي ج ١ ص ١١١ . (٢) ، (٣) ، (٤) الكافي ج ١ ص ١١٥ .

ومن تمجيدهم لمن يقول بالبداء مارواه الكليني عن جعفر أنه قال : « يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة ، عليه سيما الأنبياء ، وهيبة الملوك »^(١).

وعن أبي عبد الله قال : « إن عبد المطلب أول من قال بالبداء ، ويبعث يوم القيامة أمة واحدة ، عليه بهاء الملوك وسيما الأنبياء »^(٢).

والمعروف حسبما يذكر علماء الفرق أن أول من قال بالبداء في الإسلام وأظهره هو المختار بن أبي عبيد ، وأن عبد المطلب لم يدخل الإسلام .

ويبدو القول بالبداء واضحا فيما نقل الكليني عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ياثبت إن الله وقت هذا الأمر - أي خروج المهدي - في السبعين ، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة ، فحدثناكم ، فأذعتم الحديث ، فكشفتهم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا ، ﴿ يمحوا الله ما يشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ .

قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال قد كان ذلك^(٣).

ومفهوم هذا النص أن الله تعالى حينما وقت خروج المهدي في أربعين ما كان يعلم عن مصير الحسين ، فلما قتل الحسين غضب الله تعالى على الناس فأخر خروج المهدي جزاء لقتله وانتقاما من الناس .

ومعلوم أن نسبة الجهل إلى الله تعالى كفر وردة كما تقدم فإن الله تعالى قد كتب على الحسين كل ما هو لاقية قبل أن يخلق السموات والأرض، واشتداد غضب الله تعالى حين قتل الحسين وبتلك الصورة المفاجئة يدل على أنه لم يكن يعلم ذلك وإلا لاشتد الغضب قبل قتله، ولأخر ظهور المهدي قبل توقيته في السبعين.

(١) ، (٢) المصدر السابق ص ٣٧١ ، أبواب التاريخ ، مولد النبي ﷺ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٠٠ .

وبعد أن ذكر الطوسي جملة من أخبار البدء قال :

« فالوجه في هذا الإخبار أن نقول إن صحت أنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة، واقتضت تأخيرها إلى وقت آخر ، وكذلك فيما بعد ويكون الوقت الأول، وكل وقت لا يجوز أن يؤخر مشروطاً بأن لا يتجدد ما تقتضي المصلحة تأخيرها إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء فيكون محتوماً » (١) .

وهذا هو إثبات الجهل بعينه لتوقف الأمور على ظهور المستجدات والمصلحة فيها .

أول من قال بالبدء على الله تعالى

يبدو أن أول من ادعى البدء على الله تعالى هم اليهود، قالوا إن الله تعالى خلق الخلق، ولم يكن يعلم هل يكون فيهم خير أو شر، وهل تكون أفعالهم حسنة أم قبيحة فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس من التوراة مانصه :
« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه جداً فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة لأني حزنت أنني عملتهم » (٢) .

وهذا النص وأمثاله يفيد صراحة أن الله قد بدت له أمور لم يكن يعلمها فحزن حزناً شديداً حين رأى معاصي البشر .

فالبدء عقيدة يهودية مدونة في كتبهم المحرفة ، ونفس هذه الأفكار مدونة عند الشيعة فالكليني - كما رأينا فيما سبق - يروي عن الأئمة فضائل كثيرة (١) كتاب الغيبة ص ٢٦٣ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٥ في نقله كلام سليمان بن جرير الشيعي في ذمه القول بالبدء وأنه حيلة من حيل الروافض .
(٢) الكتاب المقدس ، الإصحاح السادس ، سفر التكوين .

لاعتقاد هذا الكفر ، حتى وإن ذكر بعض الروايات التي تفيد عدم حصول جهل الله بالأمور قبل ظهورها لكنها لم تكن صريحة مثل النصوص الأخرى التي سبق ذكرها عنهم .

ويذكر الكثير من العلماء « أن أشد من تزعم القول بالبداء في الإسلام هو المختار بن أبي عبيد الثقفي تغطية لكذبه قال البغدادي مبيناً سبب إدعاء المختار القول بالبداء على الله تعالى :

« وأما سبب قوله بجواز البداء على الله عز وجل فهو أن إبراهيم بن الأشتر لما بلغه أن المختار قد تكهن وأدعى نزول الوحي عليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الأشتر لا ينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار ، ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفي ومحمد بن الأشعث الكندي وأكثر سادات الكوفة غيظاً منهم على المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم وأطمعوا مصعباً في أخذ الكوفة قهراً ، فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم إليه من سادات الكوفة ، وجعل على مقدمته المهلب بن أبي صفرة مع أتباعه من الأزد وجعل أعنة الخيل إلى عبيد الله بن معمر التيمي ، وجعل الأحنف بن قيس على خيل تميم... فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميظ إلى قتل مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم ، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك ، فالتقى الجيشان بالمدائن ، وانهمز أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميظ وأكثر قواد المختار ، ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له ألم تعدنا بالنصر على عدونا وقد انهزمنا ؟

فقال : إن الله تعالى كان قد وعدني بذلك ، لكنه بدا له ، واستدل على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت ﴾ (١) ... فهذا كان سبب

(١) الرعد ٣٩ .

قول الكيسانية بالبداء^(١).

ويقول الشهرستاني في تقريره لهذه القضية : « وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء . قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار^(٢) .

ومعلوم عند كافة أهل العلم أن النسخ ليس معناه البداء على الله تعالى ، وإنما النسخ رحمة من الله تعالى وتدرج في الأحكام .

ولكن الشيعة أيضاً هم على هذا الرأي ، وهو عدم التفريق بين النسخ والبداء ، وفي هذا يذكر الطوسي هذا بقوله :

« وعلى هذا يتأول أيضاً ما روى من أخبارنا المتضمنة للبداء ويبين أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات^(٣) .

وعلى كل حال فإنه ما من مسلم سليم الفطرة ، لم تدنس فطرته بشبهات المبطلين وأقاويل الضالين إلا وهو يعتقد أن الله تعالى لا يلحقه نقص في علمه المحيط بكل شيء ، وأن ادعاء البداء على الله معناه نسبة الجهل إليه جل وعلا ، هذا كفر صريح .

ولقد أصبح الشيعة باعتقادهم هذا - كما يقول العلماء - « عار على بنى آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل بسبب ما اعتقدوه من مثل هذه الضلالات ».

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٩ .

(١) الفرق بين الفرق ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣) كتاب الغيبة ص ٢٦٤ .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وإلى أقوال أهل العلم، وإلى فطرة كل شخص نجد أن كل ذلك يدحض ماذهب الله علماء الشيعة ويبطل القول بالبداء وأن الذين يطلقون ذلك على الله ما عرفوه وما قدره حق قدره... ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تكذب كل زعم يقول بالبداء على الله عز وجل.. ومن ذلك :

(١) قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ ﴾^(١).

(٢) قوله تعالى : ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾^(٢).

(٣) قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾^(٣).

وفي السنة أحاديث كثيرة تدل على ما دلت عليه تلك الآيات ، ومعلوم أن هذه الفكرة لم ترد على أذهان السلف الأوائل ، بل إنهم كانوا يعتبرونها من وساوس الشيطان ويستعيذون بالله منها .

فإن الله قد أحاط بكل شيء علما ، والله لم يثبتها لنفسه ، والأنبياء لم يقرّوا لله بها كما زعم الشيعة ، وإنما أقر بها اليهود ، وروّجها عبد الله بن سبأ في الإسلام ، وجددّها المختار ، وتلقفها عنهم الحاقدون على الإسلام الذين يطمعون في التلاعب بمفاهيم المسلمين وتشويه معتقداتهم ، وليكون ذلك أيضاً غطاءً لما يريدونه من مخططات لهدم الإسلام . ومما لا يتطرق إليه الشك أن الشيعة وهم يتحلون الكذب على الله وعلى الناس أنهم هم الذين اخترعوا تلك النصوص ونسبوا إلى بعض العلماء الأجلاء من آل البيت لتكتسب بذلك وجها عند عوام المسلمين فيقبلوها ليتم لأولئك ما أرادوه من نيات سيئة يبتوها للإسلام والمسلمين .

(٣) الخشر ٢٢ ..

(٢) طه ٥٢ .

(١) الأنعام ٥٩ .

بينهم وبين أهل السنة وأقرب مثال علي ذلك ، دار التقريب التي فتحت مؤخرًا بين السنة والشيعة في القاهرة منذ زمن واستمرت المحاولات علي قدم وساق من جانب واحد وهو جانب أهل السنة ، وحينما تبين لأهل السنة أن هذه المحاولات لم تجد شيئًا أصيبوا بخيبة أمل ، وزاد الأمر وضوحًا لدي أهل السنة أن الشيعة لم يرضوا أن تفتح دور مماثلة للتقارب في النجف وقم وغيرهما من مراكز الشيعة لأنهم إنما يريدون من التقريب أن يتم بجذب أهل السنة إليهم وإلى غلوهم في التشيع فقط كما سبق ذكره .

ولقد حذر كبار علماء الإسلام منذ القدم من هؤلاء الشيعة، فقال الشافعي:
« ما رأيت في أهل الأهواء قوما أشهد بالزور من الرافضة»^(١) وقال شريك بن عبد الله القاضي :

« أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا»^(٢).

وبمثل هذا الكلام قال الإمام مالك وابن المبارك وأبو زرعة وغيرهم والرازي والطحاوي والإمام أبو حنيفة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

كما رد عليهم علماء معاصرون ، وبينوا كفر الشيعة وعنادهم وكرههم لمن عداهم من المسلمين . كما حذر هؤلاء من الانخداع بهم ، فارجع أيها المسلم إلى ما قاله عنهم هؤلاء الأفاضل وانظر ما قاله الألويسي ومحّب الدين الخطيب وبهجت البيطار ومحمد رشيد رضا والهاللي ومصطفى السباعي والمودودي وابن باز والشيخ الأمين وغيرهم من العلماء الذين عرفوا حقيقة الشيعة ويسوا من التقارب معهم .

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٠٩ نقلا عن الشيعة في الميزان ص ١١٦ .

(٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٣ نقلا عن الشيعة في الميزان ص ١١٦ .

وقد وجدت الآن كتب تبين حقيقة الشيعة في هذا العصر الذي يقودهم فيه الخميني، وتبين أهداف الخميني ونواياه بالمسلمين من أهل السنة، ولعله يريد أن يعيد مافعله ابن العلقمي سنة (٦٥٦) ببغداد بالخلافة الإسلامية من تشجيعه للنتار على التنكيل بالمسلمين، وغير ذلك من الأحداث التي تشهد بمواقف الشيعة وخيانتهم.

ومما هو جدير بالتنبيه إليه أنه حينما اشتد الخلاف بين السنة والشيعة وأقلت ذلك الملك نادر شاه سنة (١١٥٦هـ) أمر بعقد مؤتمر في النجف يوم ٢٦/١٠/١٥٦هـ حضره علماء السنة والشيعة من العراق وإيران وتركستان والأفغان لبحث هذه الأمور التي فرقت بين المسلمين حيث كفر بعضهم بعضا... الأفغان وتركستان يكفرون الإيرانيين لأنهم يسبون الشيخين، ويكفرون الصحابة ويقولون بحل المتعة، ويفضلون عليا على أبي بكر.. وبعد أن تم الاجتماع وحضرت جموع كثيرة من كلا الجانبين وبحثوا في تلك القضايا التي سجلها أهل السنة على الشيعة اتفق رأيهم على ما تنص عليه الوثيقة التالية:

« إن الله اقتضت حكمته إرسال الرسل، فلم يزل يرسل رسولا بعد رسول حتي جاءت نبوة نبينا محمد ﷺ، ولما توفي، وكان خاتم الأنبياء، والمرسلين اتفقت الأصحاب رضي الله عنهم علي أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه، فأجمعوا واتفقوا على بيعته كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب بطووعه وإختياره من غير جبر أو اكراه فتمت له البيعة والخلافة.

وإجماع الصحابة رضي الله عنهم حجة قطعية، وقد مدحهم الله في كتابه المجيد فقال: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ (٢)،

(٢) الفتح ١٨

(١) التوبة ١٠٠.

وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابي ، وكلهم حضروا بيعة الصديق ، ثم عهد أبو بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب فبايعه الصحابة كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب ، ثم اتفق رأيهم علي عثمان بن عفان ، ثم استشهد عثمان في الدار ولم يعهد فبقيت الخلافة شاغرة ، فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على علي بن أبي طالب ، وكان هؤلاء الأربعة في مكان واحد ، وفي عصر واحد ، ولم يقع بينهم تشاجر ولا تخصصم ، لا نزاع ، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويثني عليه ، حتى إن عليا رضي الله عنه سئل عن الشيخين فقال : هما إمامان عدلان قاسطان ، كانا على حق ، وماتا على حق ، فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب ، فمن سبهم وانتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاة ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقد سجلت وقائع هذا المؤتمر ومناقشاته والملابسات التي صحبتته في رسالة صغيرة بعنوان « مؤتمر النجف »^(١) وقد ضمت تلك الرسالة تفصيلات أخرى فيما دار من حوار بين الإيرانيين وعلماء الأفغان لا نرى ضرورة لتسجيلها هنا ، بل اقتصرنا على ذكر الخلاصة التي انتهى إليها المؤتمر ، والتي تعتبر بمثابة توصية عامة يلتزم بها الجميع من أهل السنة والشيعة ، وفيها - كما ترى - النص على ترك كل ما يثير الخلاف والفرقة بين المسلمين .

ولو التزم الشيعة بعد ذلك بهذه الوثيقة لاجتمع أمر المسلمين على كلمة سواء ، ولكن الشيعة لم يلتزموا بهذا الاتفاق بل كانوا يراوغون ويخادعون .

وشيعة اليوم لا يختلفون عن شيعة أمس في المراوغة والكيد وفي الغلو أيضا ، فهذا الخميني زعيم ثورتهم في إيران يصرح بتعصبه الشديد وخروجه عن الحق في الأئمة ، ورفعهم فوق مكانتهم البشرية ، فهو يقول :

« إنهم عليهم السلام يختلفون عن سائر الناس اختلافا في قدم الخلق وفي

(١) مؤتمر النجف مع الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ٩١ - ٩٢ .

الوجود ، ولهم مع الرب تعالى مرتبة لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل»^(١).
ولهم نشاط في استجلاب الناس إليهم حتى انخدع كثير من أهل السنة بهم
وصاروا شيعة، ووصل عددهم كما زعم الخميني (٢٠٠) مئتي مليون شيعي^(٢).
وارضاؤهم لعلماء السنة بالكلمات الجميلة إنما هو من باب التقية حتى
يتمكنوا من إتمام مخططاتهم في إقامة دولة شيعة عالمية .

وفي هذا يقول الخميني : « لا تبعدوا الناس عنكم الواحد تلو الآخر ، لا
تكيلوا التهم لهم بالوهابية تارة وبالكفر أخرى فمن يبقى حولكم إذا عمدتم إلى
ممارسة هذا الأسلوب»^(٣).

وهو بهذه النصيحة إنما يريد أن يحثهم على معرفة طريق الخداع والنفاق،
وإلا فإن قلبه - كما تشهد بذلك كتبه - يغلي حقدا على أهل الحق ابتداء بأبي بكر
وانتهاء بالموجودين في عصره .

ولهذا فقد أمر الخميني الحجاج الإيرانيين بأن يصلوا مع أهل السنة تقية منهم
وخداعا للناس، كما كان يفعل قادة الشيعة حينما كانوا يصلون خلف أهل السنة
أحيانا ثم يعيدون صلاتهم بعد ذلك، كما صرح بهذا أحد علماء الشيعة
المعاصرين حين قال الدكتور موسي الموسوي :

« وعندما أكتب هذه السطور هناك آلاف مؤلفة من الشيعة الإمامية يعملون
بالتقية في أعمالهم الشرعية ، فهم يحملون معهم التربة الحسينية التي يسجدون
عليها في مساجدهم، ولكنهم يخفونها في مساجد الفرق الإسلامية الأخرى،
وكثير منهم يقيمون الصلوات في مساجد السنة مقتديا بإمام المسجد وإذا عادوا
إلى بيوتهم أعادوا الصلاة عملا بالتقية معتمدين على روايات نسبت إلى أئمة

(١) ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية للخميني ص ٦١ .

(٢) انظر كتاب ولاية الفقيه ص ١٣٧ .

(٣) سراب في إيران ص ٣٩ نقلا عن الخميني في أقواله وأفعاله لأحمد مغنية ص ١٦٧ .

الشيعة في التقية» (١).

ولقد بلغ الحقد الشيعي على المسلمين وخصوصاً أهل السنة في عصرنا الحاضر إلى حد الاستهتار بدماء المسلمين وأعراضهم وتهديد أمنهم في بيوتهم، ولعل ما فعلوه في مكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧ هـ أقوى شاهد على مدى حقدهم ونظرتهم إلى المخالفين لهم حينما تظاهروا في الحج ما يقارب مائة وخمسين ألفاً، وهجموا يريدون الكعبة، وتجمعوا في مظاهرات غوغائية، وكانوا يهدفون إلى تحقيق مخطط رهيب رافعين شعاراتهم وصور زعيمهم الخميني، وتقدموا رجالاً ونساء يريدون الحرم لولأن الله تعالى وبفضله ثم يقظة الحكومة السعودية فشل مخطط أولئك، وحيل بينهم وبين دخول الحرم، واشتبكوا مع المسلمين من المواطنين والجنود وبقية الحجاج من المسلمين في قتال ضار، أريقت فيه دماء المسلمين الأبرياء، وراح زعمائهم يلقون التهديدات بثتي الأساليب للمرة أخرى، وسيرد الله كيدهم إلي نحورهم ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾ (٢).

وقد حدث بالفعل أيضاً أن أوعزوا إلى بعض عملائهم في حج عام ١٤٠٩ هـ متفجرات حول الحرم المكي الشريف في يوم ٧ ذي الحجة، وقام هؤلاء بهذه الجريمة النكراء وراح ضحيتها حجاج أبرياء جاؤوا لأداء فريضة الحج، ثم اندس أولئك العملاء في الناس، وظنوا أنهم نفذوا جريمتهم، وشفوا حقد صدورهم، ولكن الله أطلع الحكومة السعودية بتوقيفه فنالوا جزاءهم في الدنيا بتنفيذ حكم الله في المحاربين وقتلوا وسجن بعضهم... مع أن الحج نفسه لم يكن هدف الحجاج الإيرانيين، بل الهدف زيارة مرقد الرسول ﷺ ومرقد الأولياء كما صرحوا بهذا في منشور المظاهرة التي نظموها عام ١٤٠٦ هـ جاء فيه: «فإننا نحن حجاج بيت الله القادمون من كل فج عميق لزيارة مرقد خاتم الأنبياء

(١) الشيعة والتصحيح ص ٥٨ .

(٢) المائدة ٦٤ .

محمد بن عبد الله (ﷺ) وأولياء الله الصالحين والصلاة في مسجد الرسول،
خرجنا اليوم في مدينة رسول الله (ﷺ) في مسيرة... إلخ في ٢٥/١١/١٤٠٦ هـ.

ولا ينبغي كذلك أن ننسى ما يفعلونه اليوم والحرب تدور رحاها في لبنان
ليلا ونهارا كيف تعامل أحزابهم الكثيرة المسلمين من أهل السنة بخصوصهم
بكل قسوة وعنف، وكيف تفننوا في التنكيل بهم كما تفعل اليهود أو أشد - كما
يروى البعض - مع تظاهرهم بالإسلام وهم والنصيريون يدا واحدة ذئاب شرسة
على الإسلام والمسلمين .

وهم على وتيرة واحدة سلفهم وخلفهم من أشد أعداء أهل السنة ومن
أكثرهم تأمرا عليهم، ولقد كان المسلمون يُذبحون في بغداد ويحرقون بالألوف
أمام ابن العلقمي والنصير والطوسي وهما يدلان التتار على عورات المسلمين
وعلى كتبهم وعلى أماكن اختبائهم، وكانا يظهران الفرح والشماتة بالمسلمين،
ثم تلت ذلك أحداث لا حصر لها كان هؤلاء الشيعة أنكى الناس والممل كلها
بالمسلمين.

ولا غرابة في هذا منهم ما داموا قد بغضوا خيرة أصحاب نبينا ﷺ،
ولعنوهم في كل صباح ومساء، ورووا في مثالبهم مالا يفعله الوثنيون، ويتنزه
عنه الإباحيون، ويكفي أنهم حكموا عليهم بأنهم ارتدوا عن دين الإسلام،
وأخضعوا كثيرا من القرآن، وقذفوا أم المؤمنين .

وفي عصرنا الحاضر من الأمثلة ما لا يكاد يحصر، ويكفي أنهم يسمون
أهل السنة والجماعة « النواصب »، ثم يكيلون لهم اللعنات وأشد الافتراءات، بل
ويفضلون الكلاب عليهم ويعتبرونهم من المغضوب عليهم عند الله، ولم يعترفوا
لهم بأقل الصفات البشرية .

يقول الخميني في حكمه على أهل السنة الذين يسميهم نواصب «وأما

النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهما نجسان من غير توقف»^(١).
ويقول في مساواة المسلمين بغير المسلمين في التذكية بالكلب المعلم .
« الثاني : أن يكون المرسل مسلماً أو بحكمه، كالصبي الملحق به بشرط
كونه مميزاً، فلوا أرسله كافر بجميع أنواعه ، أو من كان بحكمه كالنواصب
لعنهم الله لم يحل أكل ما قتله»^(٢).
بل ويرى عدم جواز الصلاة على ميت أهل السنة الذين يسميهم زورا
بالنواصب فقال:

« يجب الصلاة على كل مسلم وإن كان مخالفاً للحق على الأصح ولا
يجوز على الكافر بأقسامه حتى المرتد ، ومن حكم بكفره ممن انتحل الإسلام
كالنواصب والخوارج»^(٣).

ثم ادركه عرق السوء الذي جعل أسلافه يعتقدون بأن في القرآن تحريفاً
وزيادة ونقصاً فهو يقرر ما يلي :

« مسألة : سورة الفيل والإيلاف سورة واحدة، وكذلك الضحى وألم
تشرح فلا تجزئ واحدة منهما ، بل لا بد من الجمع مرتباً مع البسمة الواقعة في
البيان»^(٤) أي أنه لم يكن على إقتناع من وضع القرآن وترتيبه .

(١) تحرير الوسيلة ج ١ ص ١١٨ القول في النجاسات المسألة العاشرة.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٧٩ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٦ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٥ .

الفصل التاسع

الحكم على الشيعة

يسأل كثير من الدارسين عن حكم الشيعة ... هل هم كفار خارجون عن الملة، أم هم في عداد الفرق الإسلامية؟.

وبغض النظر عن إختلاف وجهات نظر العلماء في الحكم عليهم ، وبغض النظر أيضا عما يورده كل فريق من أدلة على ما يذهب إليه فإن الواقع يدل على أن الحكم على الشيعة أو غيرهم من الفرق بحكم واحد يحتاج إلى تفصيل ...

فأما بالنسبة للشيعة بخصوصهم فالذي اتضح لي :

١ - أن الشيعة ليسوا جميعاً على مبدأ واحد في غير دعوى التشيع، فمنهم الغلاة الخارجون عن الملة بدون شك ، ومنهم من يصدق عليهم أنهم مبتدعون متفاوتون في ابتداعهم، فبعضهم أقرب من البعض الآخر .

٢ - أن الثبوت في تكفير المعين أمر لا بد منه ، إذ ليس كل من انتسب إلى طائفة خارجة عن مذهب السلف في بعض القضايا يحق تكفيره .

٣ - ليس معنى الثبوت في تكفير المعين أننا لا نطلق على الطائفة الخارجة عن الحق ألفاظ التبديع والتضليل والخروج عن الجماعة ، لأن ذلك الحكم خاص بتعيين الأفراد لا الجماعة عموماً ، خصوصاً من وجدنا نصاً فيهم .

وعلى هذا فالحكم العام على الشيعة أنهم ضلال فساق خارجون عن الحق، وهالكون مع الفرق التي أخبرت عنها الأحاديث .. حكم لا غبار عليه .

٤ - اتضح أن الشيعة عندهم مبادئ ثابتة في كتبهم المعتمدة، قررها رجالاتهم المعتبرون قدوة في مذاهبيهم .. من قال ولو ببعض من تلك المبادئ فلا شك في خروجه عن الملة الإسلامية ومنها :

أ - قولهم بتحريف القرآن وأنه وقع فيه الزيادة والنقص حين جمعه أفاضل

الصحابة رضوان الله عليهم كما صرح بذلك الطبرسني في كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» ، وغيره من كتب الشيعة ، وانتظارهم أيضا مصحف فاطمة كما يزعمون .

ب - غلّوهم في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء كما ملئت بذلك كتبهم القديمة والحديثة ، الكافي ، وما كتبه الخميني في العصر الحديث .

ج - غلّوهم في بُغض الصحابة ممن شهد الله لهم بالفوز والنجاة ، كأبي بكر وعمر وعثمان وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحفصة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وردّهم شهادة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وبقاؤهم على عداوتها وإفكهم عليها ، واعتبارها عدوة وليست بأم ، وهذا حق فإنها ليست لمثل هؤلاء بأم ، فهي أم للمؤمنين فقط .

د - قولهم بالبذاء على الله تعالى ، وقد تنزه الله عن ذلك .

ومواقف أخرى يصل خلافهم فيها إلى حيثيات العقيدة الإسلامية من جذورها في كل قلب تشبع بها .

وأما من لم يقل بتلك المبادئ ، وكان له اعتقادات أخرى لا تخرجه عن الدين ، فإنه تقام عليه الحجة ثم يحكم عليه بعد ذلك حسب قبوله الحق أو رده له .

من مراجع فرقة الشيعة

- ١ - كتاب الكافي: للكليني .
- ٢ - فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب: للطبرسي .
- ٣ - تحرير الوسيلة: للخميني .
- ٤ - كتاب الغيبة: للطوسي .
- ٥ - ولاية الفقيه: للخميني .
- ٦ - الشعائر الحسينية: للشيرازي .
- ٧ - فرق الشيعة: للنوبختي .
- ٨ - مختصر التحفة الاثني عشرية .
- ٩ - الفقه الجعفري وأصوله: للسالوس .
- ١٠ - الرد على الرافضة: للمقدسي .
- ١١ - المراجعات: للعالمي مع الرد عليها للزعبي .
- ١٢ - وجاء دور الخوس: للغريب .
- ١٣ - أمل واخيمات الفلسطينية: للغريب .
- ١٤ - الخميني بين التطرف والاعتدال: للغريب .
- ١٥ - أبرهة الجديد: لقنديل .
- ١٦ - سراب في إيران: للأفغاني .
- ١٧ - الثورة البائسة: للموسوي .
- ١٨ - الشيعة في الميزان: للنجرامي .
- ١٩ - الشيعة وتحريف القرآن: لمحمد مال الله .

- ٢٠ - الشيعة والتصحيح: للموسوي .
- ٢١ - عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام: لسليمان حمد العودة .
- ٢٢ عبد الله بن سبأ حقيقة لاخيال: لسعدي الهاشمي .
- ٢٣ - السبئيون منهجا وغاية: د . حمدي عبد العال .
- ٢٤ - إحسان إلهي ظهير في كتبه :
- ١ - الشيعة والسنة .
- ٢ - الشيعة وأهل البيت .
- ٣ - الشيعة والقرآن .
- ٤ - الشيعة والتشيع .
- والحمد لله رب العالمين .

الباب الرابع الباطنية

الفصل الأول

تمهيد ... في بيان خطر هذه الطائفة

مذهب الباطنية من أخبث وأردأ المذاهب ، وأهله من عتاة الشر وأفسد المخلوقات ، وهم أعدى أعداء المسلمين قديما وحديثا ، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى بعض عقائدهم نحو المسلمين ، فذكر أن لهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة ، فإذا كانت لهم مكنة يسفكون دماء المسلمين ، وإن عجزوا لجؤوا إلى الخطط والمؤامرات السرية ضدّهم ، وحينما استولوا على البحرين وصارت لهم فيه دولة عاثوا فسادا .

وكذلك حينما تمكنوا من الوصول إلى مكة والناس في الحج قتلوا الحجيج ، بل حصدوهم كما تحصد الحشائش ، وألقوا بجثثهم في بئر زمزم ، وبعضهم دفنوه في صحن المسجد ، وبعضهم تركوهم جثثا منثورة ، ثم أقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم ، وقتلوا من علماء المسلمين ومشائخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى .

وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ، فقد كانوا في أيام الحروب الصليبية أعظم أعوان النصارى ، فلم يستول الصليبيون على السواحل الشامية إلا من جهتهم ، وما دخل التتار بلاد المسلمين إلا بمعونتهم ، فلقد كان النصير الطوسي أبرز عيونهم ، ولقد كان الخليفة مغترا به .

وما أن دخل التتار بغداد حتى حرّضهم النصير الطوسي على قتل الخليفة

وعشرات الألوف من المسلمين ، وهدم عليهم دورهم ، وقتل النساء والأطفال ، وسبي من أراد سبيه من نسائهم وفضحهن وأغرق كثيرا من كتب المسلمين في نهر دجلة حتى تغير ماء النهر .

وأعظم أعيادهم هو اليوم الذي يصيب المسلمين فيه بلاء وكرب كيوم استيلاء الصليبيين على سواحل الشام ، وكيوم استيلاء التتار على بغداد .
كما كانت أعظم مصائبهم يوم أن نصر الله المسلمين على التتار والصليبيين والعبيدين .

وقد أوجز البغدادي عداوة الفرق الباطنية للإسلام والمسلمين في كلامه الآتي فقال :

« اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال من وقت ظهوره ، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر»^(١).

والسبب أن من ذكرهم البغدادي خطرهم ظاهر وعداوتهم معروفة والناس يحذرونهم بطبيعة الحال ، ولكن الضرر الشديد يأتي ممن يتظاهر بالإسلام فيغتر به المسلمون ، فيطعنهم من خلفهم كما هو حال الباطنية في مختلف عصورهم ، وقلما تجد كاتباً من علماء المسلمين من المؤرخين وعلماء الفرق إلا وهو يذكر من أفعال هؤلاء بالمسلمين ما تقشعر له الجلود .

وقد وصف ابن كثير رحمه الله عداوتهم ووقعتهم بالمسلمين حينما قادهم

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٨٢ .

أبو طاهر الجنابي ووصلوا إلى مكة ، والناس في الحج آمنون مطمئنون ... قال
عن ذلك :

« فانتهب أموالهم ، واستباح قتالهم ، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي
المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا ، وجلس أميرهم أبو
طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في
الناس في المسجد الحرام ، في الشهر الحرام ، في يوم التروية الذي هو من أشرف
الأيام وهو يقول : « أنا الله وبالله أنا ، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا » .

فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا
بل يقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلون وهم في الطواف ... إلى أن قال :

« فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره ، وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل
القبيحة أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيرا منهم في أماكنهم من الحرم
وفي المسجد الحرام » .

وهدم قبة زمزم ، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين
أصحابه...»^(١) إلخ ما ذكره عن جرم هؤلاء ، وقد حدد بعض العلماء عدد من
قتل بثلاثة عشر ألف نسمة^(٢) .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أشد المحذرين من الباطنية لمعرفة
الواسعة بمذاهبهم ، وقد أجاب من سأله عنهم بجواب طويل جاء فيه :

« هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية^(٣) هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية
أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على
أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربيين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم ،
فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالة أهل البيت ، وهم في

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٦٠ . (٢) كشف أسرار الباطنية ص ٣٩ .

(٣) ستأتي دراسة النصيرية .

الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهى ولا بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا بنار... إلى أن قال:

« فإن كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بحر زمزم .. إلى أن قال :

« ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصاري علي المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمون للسواحل وانقهار النصارى ..

ومن أعظم المصائب عندهم إنتصار المسلمين على التتار .

ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله - النصارى على تغور الإسلام.

ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعونتهم ومؤازرتهم فإن منجم هولاء الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي، كان وزيرا لهم بالموت، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء»^(١).

وفي كتب الباطنية من المدح والتمجيد لهذا المجرم فوق ما يستحقه . يقول

مصطفى غالب عنه :

« حتى أخضع هولاءكو خان قلعتي «آلوت» ، « ميمون دز » فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة ، فاقتاده الجند إلى هولاءكوخان، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له فرفض في بادئ الأمر إلا إذا أمن على أرواح وممتلكات الإسماعيلية ، فوعده خيرا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد، وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم إلى خدمة هولاءكوخان بعد أن أخذ منه العهد علي المحافظة على الإسماعيلية .

(١) مجموع الفتاوى ج ٣٥ ض ١٤٩ - ١٥٢ .

ثم قال عن إشارته على هولاء بقتل خليفة المسلمين :
« وبعد أن تم لهولاء احتلال بغداد أشار عليه بأن يقتل آخر خلفاء بني
العباس المستعصم بالله » .

ثم قال عن سرقة كتب المسلمين ، ونهب ما شاء منها :
« واغتنم فرصة وجوده في بغداد ، فجمع كل ما تمكن من جمعه من الكتب
النادرة، وقيل أن مكتبته أصبحت بعد فتح بغداد - انظر كيف يسمى تلك
الفاجعة فتحاً - تضم أكثر من أربعمئة ألف مجلد » (١).

ولقد ظل هؤلاء على عداوتهم للمسلمين ، ورغم تشتت النصيرية قديماً
لكنهم ظلوا يعملون في الخفاء بنشاط إلى أن استطاعوا الوصول إلى الحكم في
سوريا في هذا العصر على حين غفلة من المسلمين ، فما كان لهم هم مثل مهمم
القضاء على المسلمين أهل السنة في سوريا وفي غيرها ، وأفعالهم اليوم تعيد إلى
الأذهان فعل أسلافهم قديماً .

ولهم في الحروب التي جرت بين العرب واليهود في سنة ١٩٦٧ م تعاون
ظاهر وخفي إذ مكثوا - كما قال المطلعون على أخبارهم - اليهود من احتلال
أجزاء كبيرة من سوريا - هضبة الجولان والقنيطرة - ومن الأردن ، ومن لبنان لقاء
اتفاقيات سرية ومصالح مشتركة » (٢).

ومن المؤسف أن تجد الكثير من أهل السنة قد انخدع بنفاق هؤلاء الباطنية،
فصادقوهم وأمدوهم بالأموال متناسين ما تنطوي عليه نيات هؤلاء ، ظانين أن تغير
الأسماء قد أخرجهم عن دياتهم وحقدهم على المسلمين .

(١) انظر أعلام الإسماعيلية ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

(٢) اقرأ كتاب سقوط هضبة الجولان .

الفصل الثاني

متى ظهر مذهب الباطنية؟

اختلفت كلمة العلماء حول تحديد ظهور هذا المبدأ الهدام - على نحو ما قدمنا في بيان بدأ ظهور الفرق - وقد ذهب بعض العلماء إلى التحديد بالزمن، فذكر أن الباطنية ظهر مذهبهم في سنة ٢٠٥ هـ، وقال آخرون في سنة ٢٥٠ هـ، وبعض العلماء يقول مائتين وكسر .

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في زمن المأمون وانتشرت في عهد المعتصم ، ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين بحران ، ويذكر البغدادي أنهم دهرية زنادقة .

يقول الديلمي في بيانه لنشأتهم :

« اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية ، سلط الله عليهم طوفان نوح، وريح عاد وحجارة لوط، وصاعقة ثمود. كان في سنة خمسين ومائتين من الهجرة»^(١).

وقال عندما شرع في تفصيل مذهبهم :

« اعلم أن مذهب الفرقة الغوية الضالة الشقية المسماة بالباطنية ، قطع الله دابرها ، وبت أو اخرها ، وألحق أولها بآخرها على ما نقله العلماء حدث بعد مائتي سنة وكسر من الهجرة »^(٢).

ويقول البغدادي في بدأ ظهور الباطنية :

« ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران .. إلى أن يقول :

« قال عبد القاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم»^(٣).

(٢) المصدر السابق ص ١٨ .

(١) بيان مذهب الباطنية وطلانه ص ٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٩٤ .

بينما يذهب الشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي إلى أن نشأة الباطنية كان في سنة ٢٧٦ مائتين وست وسبعين حينما قام زعيمهم ميمون القداح بإنشاء هذا المذهب الخبيث هو وزملاؤه الذين كانوا على شاكلته^(١).

والذي يظهر لي أن سبب اختلاف العلماء في تحديد نشاط الباطنية يعود إلى عوامل عدة من أهمها :

١ - غموض أمر الباطنية في أدوار كثيرة مرت بها تاريخهم ، كل واحد من العلماء أرخ لهم حسب ما وصل إليه من أخبارهم .

٢ - أن مذهب الباطنية نفسه يقبل تلك الاختلافات ... فمن قال إنهم ظهوروا في الإسلام ، فلما يبدو أنه من تظاهروا به وتشيعهم أيضا لآل البيت .

ومن قال إنهم قبل الإسلام ، فلما وجد من آرائهم الكثيرة التي بدا عليها طابع الدهرية أو الفلاسفة القدماء أو البرهمية أو اليهودية أو النصرانية أو البوذية .. لأن مذهب الباطنية خليط من شتى الديانات .

والحقيقة التي يجب أن ندرکها أنه مهما كانت الأسباب فإن الدعوة الباطنية يحوطها كثير من الغموض خصوصا في بدأ أمرها ، أي في الدور الذي يسمونه «دور الستر» إذ لا يتمكن أحد من معرفتهم والكتابة عنهم الكتابة الدقيقة ومهما كان فإن جذور الباطنية علي العموم قديمة ، ولكن بدأ التخطيط لإقامة هذا المذهب في الإسلام كما يترجح من أقوال العلماء ما بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ هـ أي بعد انتشار الإسلام وعز أهله به ، وانطفاء نار المجوسية ، وكسر صليب النصارى ، وكسر طاغوت الوثنية ، ودحر اليهودية ، وضرب الذلة والمسكنة عليهم ، فأكل الحسد قلوبهم ، وبدأوا يخططون في الخفاء لطريق ينفسون فيها عن أحقادهم

(١) انظر كشف أسرار الباطنية ص ٣٢ .

للنيل من الإسلام وأهله ، فاهتدوا إلى هذه الطرق التي سيأتي الحديث عنها
ليستيقن طلاب العلم أن ما نعايشه في عصرنا هذا من مؤامرات ظاهرة وخفية
على الإسلام وأهله إنما هو امتداد لتلك الحركات الأصول في ذلك الزمن ، وإنما
تخدم حيناً وتنشط أحياناً أخرى والهدف واحد على امتداد الزمن .

الفصل الثالث

الغرض من إقامة هذا المذهب

وكيف تأسس

قام هذا المذهب الهدام من أول الأمر علي النيل من الإسلام وأهله ، إما بإخراج المسلم عن دينه بالكلية ، أو بإدخال الشكوك في قلبه .

ولقد استفاض العلماء في بيان ذلك كله ، واتضح أن قيام هذا المذهب كان لأسباب كثيرة ومقاصد خبيثة من أهمها :

إبطال الإسلام والقضاء عليه وعلي أهله ، أو زعزعة من نفوس المسلمين أو تشكيكهم فيه ، وإحلال المجوسية والإلحاد محله .

من أجل ذلك ، ومن أجل إقامة حكم عام في الأرض تسيطر عليه الآراء الباطنية، وينفذ فيه حكمها .. قام هذا المذهب .

واتخذ أهله عدة أفئدة تستروا بها لتحقيق ما يهدفون إليه منها :

١ - اعتمادهم علي تأويل النصوص تأويلات تنافي ما يقرره الإسلام ويأمر به.

٢ - إظهار التشيع لعلمهم بأن مذهب التشيع يحتمل كلامهم، إذ لم يجدوا مدخلا إلى الإسلام إلا من جهة إظهار التشيع والانتساب إلى المذهب الشيعي.

وقد تم تأسيس هذا المذهب فيما يذكر الغزالي^(١) كما يلي :

« تم في اجتماع لقوم من أولاد المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين ، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين ، - زاد البيلمي - وبقايا الخرمية واليهود ... جمعهم ناد واشتوروا^(٢) في حيلة يدفعون بها الإسلام ...

(١) انظر فضائح الباطنية ص ١٨-٢٠ . (٢) انظر بيان مذهب الباطنية وطلانه ص ١٩ .

« وقالوا إن محمداً غلب علينا وأبطل ديننا ، واتفق له من الأعوان ما لم نقدر علي مقابلتهم ، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيدي المسلمين من المملكة بالسيف والحرب ، لقوة شوكتهم وكثرة جنودهم ، وكذلك لا مطمع لنا فيهم من قبيل المناظرة لما فيهم من العلماء، والفضلاء والمتكلمين والمحققين ،، فلم يبق إلا اللجوء إلى الحيل والدسائس .

ثم اتفقوا على وضع حيل وخطط مدروسة يسيرون عليها لتحقيق أهدافهم من خلال الأمور التالية :

- ١ - التظاهر بالإسلام وحب آل البيت والانتصاف لهم .
- ٢ - دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن، والظاهر قشور والباطن لب، والعاقل يأخذ اللب ويترك القشور .
- وهذا الزعم الكاذب يريدون من ورائه سلب المعاني عن الألفاظ، والإتيان بمعاني باطنية تتفق مع ما يهدفون إليه من الكيد للإسلام .
- ٣ - اختاروا أن يدخلوا على المسلمين عن طريق التشيع ، وعلى مذهب الرفضية، وإن كان هؤلاء الباطنيون يعتبرون الروافض أيضا على ضلال ، إلا أنهم رأوهم - على حد ما ذكر الغزالي - أرك الناس عقولا ، وأسخفهم رأيا، وألينهم عريكة لقبول المحالات ، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات^(١)، وأكثر الناس قبولا لما يلقي عليهم من الروايات الواهية الكاذبة، فتستروا بالانتساب إليهم ظاهرا للوصول إلي أصناف الناس، فكان ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض « كما ذكر الغزالي^(٢) .
- أو كما قال بعض العلماء إن الإمامية دهليز الباطنية ... وهذا هو التفسير الواضح لما تلحظ من التقارب الشديد بين الباطنية والرفضية .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

(١) فضائح الباطنية ص ١٩ .

٤ - اتفقوا أن يثبوا دعواتهم وأن يلزموهم بخطّة ماكرة ، وهي أنه يجب على كل داعية أن يوافق هوى المدعو مهما كان مذهبه ودينه مستعملا معه الحيل التسع المعروفة عنهم والتي سنذكرها فيما بعد .

وكان من أبرز دعواتهم ميمون بن ديصان القدّاح ، وهو رئيسهم^(١)، وابنه عبيد الله ، وحمدان قرمط^(٢)، وزكرويه بن مهرويه - عبدان - ، وأبو سعيد الجنابي ، وولده أبو طاهر^(٣)...

وغيرهم ممن لا يمكن حصرهم هنا .

وقد تحمل دعاة الباطنية كثيرا من المشقة والآلام والأسفار الكثيرة في نشر باطلهم من بلد إلى بلد ، مما يتوجب على أهل الحق وهم يعرفون بأنهم سيحصلون من دعوتهم إلي الله علي خيري الدنيا والآخرة أن لا يكون هؤلاء الطغاة أكثر حماسا وصبرا منهم في نشر باطلهم .

(١) ويذكر أنه تظاهر بالإسلام علي يدي جعفر الصادق وترك الموسية فغيروا اسمه إلى القداح فيما بعد ، لأنه يقدح العلم عن خاطره علي حد زعمهم وهو فارسي من الأهواز .

(٢) هو حمدان بن الأشعث الأهوازي الملقب بقرمط ، أصله من خوزستان ، تزعم طائفة نسبت إليه ، ولقب بقرمط لقصر كان فيه ، فرجلاه قصيرتان بشكل ملفت للنظر الأمر الذي جعله ناقما علي المجتمع .

القرامطة ص ٥ ، وقد سماه ابن كثير قرط بن الأشعث البقار ، انظر البداية والنهاية ج ١١ ص ٦٢ ، وسماه النوبختي قرمطويه ، انظر فرق الشيعة ص ٩٣ وسماه ابن الجوزي كرمية نسبة إلى رجل يسمى بهذا الاسم تلبس إبليس ص ١١٠ .

الفصل الرابع

أسماء الباطنية

وسبب تسميتهم بتلك الأسماء

أطلقت على هذه الطائفة أسماء كثيرة للتمويه على الناس، بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه، ومن أشهرها:

١ - الباطنية:

وقد أطلق عليهم هذا الاسم لزعمتهم أن النصوص من الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن. وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب^(١).

٢ - الإسماعيلية:

نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمتهم الانتساب إليه^(٢) لأن والده جعفر الصادق نص على إمامته من بعده وأوصى له بها رغم أن علماء النسب مجمعون على أن إسماعيل مات في حياة والده سنة (١٤٥ هـ)، لكن الإسماعيليون يزعمون أن إسماعيل لم يموت في حياة والده وفي العام المذكور، بل أن أباه قد جعله وصيه، والخوفه عليه من الخليفة العباسي احتال لإخفائه عنه فكتب محظرا بوفاته وأشهد عليه عامل المنصور العباسي بالمدينة المنورة، وفي نفس الوقت توجه إسماعيل سرا إلى (السلمية) وهي من أعمال حماة، وإلى الجنوب الشرقي منها، بينهما ٣٥ كم، وهي مركز الإسماعيلية حيث كان يقيم فيها آنذاك رهط من بني هاشم، وانتسب إليهم فعرفوه وأقام بينهم.

يقول مصطفى غالب عن سلمية هذه:

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢١، وانظر فضائح الباطنية ص ١١.

(٢) انظر الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٢٣.

« ويكفي سلمية فخرا أنها أنجبت جماعة » إخوان الصفا .
ومنها انطلقت جحافل الإمام عبيد الله المهدي لتأسيس الدولة الفاطمية في
المغرب»^(١).

ثم يزعم الإسماعيليون أن الخليفة العباسي علم بمكان إسماعيل في السلمية،
وحيثُ خرج إسماعيل متخفياً إلى دمشق، وعلم به كذلك الخليفة، وكان العامل
على دمشق إسماعيلياً فأخبر إسماعيل بما كتب به الخليفة من إلقاء القبض على
إسماعيل وإرساله إلى الخليفة . فقرر إسماعيل التوجه إلى العراق ووصل البصرة
سنة ١٥١ هـ، ثم ظل يتنقل بين أتباعه سرا وتحت أزياء مختلفة وأسماء عديدة إلى
أن توفي سنة ١٥٨ هـ بعد أن رزق - حسب زعمهم - من الأولاد محمد وعلي
وفاطمة، وبعد أن أوصى بالإمامة من بعده إلى محمد^(٢).

وقد حصل شقاق وتفرق بين الإمامية والإسماعيلية في سوق الإمامة، فبينما
هي عند الشيعة الاثني عشرية في جعفر الصادق ثم في موسى الكاظم، إذا هي
عند الإسماعيلية في جعفر الصادق ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن
إسماعيل.... إلخ أئمتهم المستورين.

وقد تفرقت الإسماعيلية إلى ثلاث فرق معاصرة هي :

أ - الدرور .

ب - الإسماعيلية النزارية - البهرة - .

ج - الإسماعيلية الأغاخانية .

وأخبار الإسماعيلية طويلة، وقد كتب فيها الشيخ إحسان إلهي كتاباً مستقلاً^(٣).

(١) هو كتابه « الإسماعيلية تاريخ وعقائد » .

(٢) انظر هذه التفاصيل في كتاب «أعلام الإسماعيلية» لمؤلفه الباطني مصطفى غالب ص ١٦١-١٦٥ .

(٣) هو كتابه « الإسماعيلية تاريخ وعقائد » .

٣ - السبعية :

قيل في سبب إطلاق هذه التسمية عليهم ما يلي :

أ - لدعواهم أن أدوار الإمامة سبعة سبعة كلما انتهي حكم سبعة من الأئمة قامت القيامة وابتدأ الدور من جديد إلى ما لا نهاية .

ثم لشغفهم بالعدد سبعة حيث فسروا كثيرا من الأمور علي وفق هذا العدد، فقالوا إن السموات سبع ، والأرضون سبع ، والكواكب السيارة سبعة ، والأيام سبعة ، وأعضاء الإنسان سبعة ، والنقب في رأس سبعة ... إلى آخر أدلتهم على مزية العدد سبعة .

وقد رد بعض العلماء علي الإسماعيلية بتفضيل بعض الأعداد علي السبعة، إما الأربعة، أو الخمسة ، أو العشرة ، وكل ذلك مما لا طائل تحته ولا حاجة تدعو إليه ، والذين يتشاءمون بالأعداد أو يتفاءلون بها جهال .

ب - وقيل أنه أطلق عليهم بسبب اعتقادهم أن العالم السفلي تديره الكواكب السبعة وهي : زحل - المشتري - عطارد - المريخ - الزهرة - الشمس - القمر .

وهي عقيدة مأخوذة من ملاحظة المنجمين^(١) .

« وملتفت إلى مذاهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاءه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة »^(٢) .

٤ - التعليمية :

وقد أطلق عليهم بسبب أن مذهبهم قائم على الحجر على العقل ، وإبطال النظر والاستدلال ، والدعوة إلى الإمام المعصوم المستور ، وأن العلم لا يجوز أخذه إلا منه .

(٢) فضائح الباطنية ص ١٦ .

(١) انظر الأنعام ص ٢٣ .

واستدلوا لهذا بأن الحق أما أن يعرف بالرأى أو بالتعليم وباطل أن يعرف بالرأى لتعارض الآراء واختلاف العقلاء ، فلم يبق إلا أن يعرف بالتعليم ، والعلم لا يجوز أخذه عن أحد غير الإمام المعصوم لضمان صحته والوثوق به^(١).

وهذا الدليل من أردأ الأدلة ، بل هو يحكي رداءة مذهبهم وأفكارهم الشريرة .

ويرد عليهم بأن الإمام الذي يدعون إليه وإلى أخذ العلم عنه لا وجود له إلا في أذهانهم وفي خططهم لاحتواء كل الأديان والسيطرة على الناس ، فإن دعواهم أنه مستور لا يظهر هو أقوى الأدلة على كذبهم .

٥ - الإباحية :

وهذه التسمية التي أطلقت عليهم هي في الواقع مأخوذة من اعتقاداتهم وأفعالهم ، وهم لذلك أهل باحة لا يحرمون محرماً ولا يلتزمون بشرع ، بل الحلال ما حل في أيديهم ، والحرام ما منعوا منه .

ويستدلون على هذا المسلك بقول الله عز وجل : ﴿ خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾^(٢).

ومن أدلتهم على ما يذهبون إليه أيضا من استحلال المحرمات حسب بواطن النصوص التي اطلعوا عليها بفهمهم السقيم قول الله عز وجل ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾^(٣)، وقوله عز وجل ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾^(٤)، أي إن فيه حكماً ظاهراً وحكماً باطناً ، فقالوا إن الظواهر من النصوص قد تدل على التحريم ، بينما بواطنها تدل على الإباحة ، وهذه حيلة من حيلهم لاستدراج الناس إلى مذاهبهم الرديئة وحججهم الباطلة على أن الأحكام لها ظاهر ولها باطن ، فهم يريدون من التأكيد على هذا المفهوم هدم

(٢) البقرة ٢٩ .

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧ .

(٤) الأنعام : ١٢٠ .

(٣) الأعراف ٣٣ .

ظواهر النصوص بعد ذلك بتلاعبهم بمعانيها وفق أهدافهم وتحريفاتهم .

٦- القرامطة (١) :

أما سبب تسميتهم بهذا الاسم فلا نتسابهم إلي رجل يقال له حمدان قرمط، وهو رجل من أهل الكوفة، وقد كان راعيا مائلا إلى الزهد والديانة^(٢) فيما يذكر عنه - في بداية حياته، وقيل إنه كان يتظاهر بذلك وأنه على المجوسية^(٣) فصادفه أحد دعاة الباطنية ويسمى حسين الأهوازي وهو متوجه إلى قريته ، وبين يدي حمدان بقر يسوقها ، فدارت بينهما المحادثة التالية :

قال حمدان لذلك الداعي وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله: أراك سافرت من موضع بعيد فأين مقصدك؟ (انظر إلى تفاني أهل الباطل في تبليغ الناس باطلهم).
فذكر له الداعي موضعا هو قريبة حمدان .

فقال له حمدان : اركب بقرة من هذا البقر لتستريح من تعب المشي .. فلما رآه مائلا - إلى الزهد والديانة أتاه من حيث رآه مائلا إليه - وهذه إحدى خطط الباطنية - فقال له إنني لم أؤمر بذلك .

فقال حمدان : وكأنك لا تعمل إلا بأمر؟

قال : نعم .

قال حمدان : وبأمر من تعمل؟

فقال الداعي : بأمر مالكي ومالك ومن له الدنيا والآخرة .

فقال : ذلك هو رب العالمين .

فقال الداعي : صدقت ، ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء .

(١) أصل القرامطة قصر الخطو في المشي ، أو دقة الحروف وتقارب الأسطر في الكتابة .

(٢) القرامطة ص ٦ .

(٣) الإفحام ص ٢٢ .

قال حمدان : وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه إليها ؟

قال : أمرت أن أدعو أهلها ، وأخرجهم من الجهل إلى العلم ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة ، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر، وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب .

فقال حمدان : أنقذني أنقذك الله فما أشد احتياجي إلى مثل ما ذكرته .

فتخرج الداعي أن يخبره بشيء حتى يأخذ عليه العهد أن لا يفشي سرّ الإمام المعصوم المستور، ولا يفشي له خبر - وهذه إحدى حيل الباطنية - فعاهده حمدان علي ذلك ، فشرع الداعي في استدراجه إلى الباطنية حتى صار فيما بعد ركنا من أركانها ، وصار له أتباع وفرقة تنسب إليه تسمى (القرامطة) أو (القرمطية) كان لهم في تاريخ الأمة الإسلامية حوادث هائلة، وأخبار بتنكيلهم بالمسلمين مؤسفة^(١).

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ٢٧٨ هـ :

« وفيها تحركت القرامطة ، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك وكانا يبيحان المحرمات ، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل ، وأكثر ما يفسدون من جهة الرفضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لأنهم أقل الناس عقولا ، وتمال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق^(٢).

وفي سنة ٢٨٦ تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي واستولوا على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد .

وقد كان أبو سعيد هذا سمسارا في الطعام يبيعه للناس في القطيف فجاء بعض الدعاة الباطنيون إلى شيعة القطيف فاستجابوا له وتأمر عليهم أبو سعيد

(١) فضائح الباطنية ص ١٢ - ١٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٦١ .

الجنابي، وأصله من بلدة جنابة قريبة من القطيف، وعاثوا في الأرض فسادا وأخافوا أهل العراق والشام إلى أن هلك أبو سعيد هذا في عام ٣٠١ هـ فتولى بعده ولده أبو طاهر الجنابي وكثر دعاة القرامطة وصارت لهم دولة (١).

وفي سنة ٣١٧ هـ اشتدت شوكتهم جدا وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة، والناس يوم التروية، فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر الجنابي قد انتهبوا أموالهم وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر - بل أبو النجس - على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في المسجد الحرام، في الشهر الحرام، في يوم التروية، وكان يقول هذا الملعون: أنا الله وبالله، أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا - تعالى الله عما يقول علوا كبيرا -، ولم يدع أحدا طائفا أو متعلقا بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاء قرمطي فضرب الحجر بمثقل في يده وهو يقول: أين الطير الأبايل، أين الحجارة من سجل، ثم قلعه وأخذه معهم، فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة، وهو ابتلاء من الله للمسلمين في ذلك الوقت (٢).

وفي نفس هذه السنة نبغت لهم نابغة في بلاد المغرب عرفت باسم الفاطميين على يد زعيمهم أبي محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان يهوديا صبغا بسلمية فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد المغرب، وادعى أنه شريف فاطمي فصدقته طائفة كثيرة من البربر حتى صارت له دولة فملك مدينة سجلماسة (٣)، ثم ابنتي مدينة سماها المهديّة، وانتزع الملك من يد أبي نصر زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب على أفريقية وقد اختلف في نسبه:

(٢) المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١.

(١) المصدر السابق ص ٨١.

(٣) المصدر السابق ص ١٦١.

١ - فمرة قيل هو عبيد الله بن الحسن بن محمد ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب .

٢ - ومرة قيل إنه من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق .

قال ابن خلكان :

« والمحققون ينكرون دعواه في النسب وينصون على أن هؤلاء المتسمين بالفاطميين أديعاء ، وأنهم من أصل يهودي من سلمية بالشام ، وأن والده لقب بالقداح لأنه كان كحالا يقدهح العيون ، وقد هلك عبيد الله سنة ٣٢٢ هـ .

وتمكن حفيده المعز من الاستيلاء على مصر واستمر ملك العبيديين بها نحو قرنين من الزمان إلي أن قضى عليهم بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٦٤ هـ وأزال منها كل آثار العبيديين وقطع شرورهم عن الناس وأراح الله منهم .

أماكن وجود القرامطة

مما يجدر ذكره أن القرامطة توزعوا إلى أقسام ، وأخذوا أماكن كثيرة تجمعوا فيها ، ويمكن أن نوجز أماكن تجمعاتهم فيما يلي :

١ - في اليمن :

وقد تزعم القرامطة في أول الأمر رجلاً وهما المنصور بن الحسن بن زاذان ، وعلي بن الفضل الجدني ، أرسلهما ميمون بن ديصان القداح ، وقد تلقب المنصور بمنصور اليمن ، واجتمع حوله عدد من القبائل ، وأظهر الدعوة باسم الإمام الإسماعيلي المنتظر ، وقد تمكن عام ٢٦٦ هـ أن يؤسس أول دولة إسماعيلية ، وقام بنشاط كبير ، وأرسل الدعوة إلى عدة جهات بعيدة عن مركز الخلافة العباسية ، مثل الداعية عبيد الله المهدي الذي ذهب إلى المغرب ، وادعى كذباً أنه شريف فاطمي من آل البيت ، وكون هناك كما سبق دولة .

وكان علي بن الفضل الجدني أيضا من أصدقاء المنصور إلا أنه اختلف معه فيما بعد، وقامت بينهم حروب حين تمكن علي بن الفضل من جمع عدة قبائل حوله، ثم ادعى النبوة، وأباح المحرمات، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: «وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله»، وامتد به العتو والفجور فكان يكتب إلى عماله: «من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلي عبده فلان...»

إلى أن مات مسموما بواسطة طبيب أقسم ليقتلنه غيره لله، فتم له ذلك في سنة ٣٠٣ هـ^(١).

٢ - العراق :

والمعروف أن جنوب العراق القريب من فارس أرض الشيعة ومهداها الأول، ومركز الجهل والخرافات أيضا، كان القاعدة والمركز الأساسي لانتشار القرامطة، وقد نشط الدعاة من الإسماعيلية هنا أمثال مهرويه وهو مجوسي من أصل فارسي، وحسين الأهوازي وهو فارسي وانتسب إلى الأهواز لإخفاء شخصيته، لأن الأهواز كانت عربية وتسمى «الأحواز»، وعبيد الله بن ميمون القداح رأس الدعوة الإسماعيلية الذي فرق أولاده في أماكن كثيرة من تلك الجهات.

ونشط دعاة آخرون متسترون بالدين وبالانتساب إلى آل البيت وقلوبهم المجوسية تغلي علي الإسلام والمسلمين وبسطوا نفوذهم في أماكن كثيرة من الأهواز وخراسان والشام إلى أن قتل آخر زعمائهم وهوزكرويه عام ٣٠١ هـ، وتشنت أتباعه في تفاصيل كثيرة يذكرها علماء الفرق^(٢).

ولقد كان أساس نشأة القرامطة في العراق يتأثير من حمدان قرمط الذي تأثر

(١) انظر كشف أسرار الباطنية ص ٤٠ - ٦٣، وانظر الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ص ٢٠ - ٢٤، وانظر القرامطة لمحمود شاكر ص ٥٢ - ٥٤ .

(٢) القرامطة ص ٥٥ .

بدعوة حسين الأهوازي حين خرج من سلمية في الشام قاصدا العراق قصادف حمدان وجري بينهما ماقدما الإشارة إليه من تلك المحادثة التي أعقبها دخول حمدان في دعوة الباطنية ، ثم كان له بعد ذلك شأن كبير في إشاعة الفساد وتخويف الأمنين .

« وقد قدر عدد الضحايا الذين سقطوا في حروب القرامطة من أهل الشام ومن البوادي ومن الحجيج ومن أهل المدن ومن جند مصر ، ومن جند العراق بما يزيد على ٠٠٠ ر ٦٠٠ بين رجل وامرأة وطفل » (١).

٣ - البحرين :

أول ما عرف شأن القرامطة في البحرين كان علي يد شخص نزل البحرين وأعطى نفسه اسم يحيى بن المهدي (٢)، وبعضهم يقول الحسن بن بهرام الفارسي (٣).

وقد استمال إليه الناس بالتدريج فأظهر بالتاريخ أولاً أنه شيعي ، وحينما رأى إقبال الناس ادعى أنه المهدي المنتظر .

وكانت الدولة العباسية قد بدأت في مراحل الضعف واشتغلت بمشاكلها الداخلية الكثيرة ، وقد تبع هذا الداعية رجال كان لهم شهرة وقيادة مثل الحسن بن بهرام الذي عرف باسم أبي سعيد الجنابي الذي عاث في الأرض فسادا، وأذاق الناس القتل والجوع إلى أن قتل عام ٣٠١ هـ وتولي بعده أبو طاهر ، وفعل أفعالا تقشعر منها الجلود من القتل والنهب فقد دخل البصرة عام ٣١١ هـ في ٢٧٠٠ من رجاله فقتل خلقا عظيما وحمل الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ورجع بها .

(١) الباطنيون والحركات الهدامة ص ١٢ - ١٥ .

(٢) القرامطة ص ٦٦ . (٣) الباطنيون والحركات الهدامة ص ١٦ .

وفي عام ٣١٢ هـ قطع علي الحجاج الطريق، فأخذ منهم جميع ما يملكون، وترك من لم يقتله منهم بلا ماء ولا زاد، فمات أكثرهم في تلك القفار.

وفي عام ٣١٣ هـ دخل الكوفة وعاث فيها فسادا مدة ستة أيام نقل خلالها ما أراد من الأمتعة، وفعل ما فعله في العام السابق. وأغار علي مدينة الأنبار وعين التمر.

وفي عام ٣١٧ هـ فعل فعلته الكبرى فهجم علي الحجاج في يوم التروية كما تقدم، فنهب الأموال، وقتل الحجاج في المسجد الحرام، وفي البيت نفسه، ورمى القتلي في بئر زمزم حتى امتلأت بالجثث، وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه علي بابها، وخلع الحجر الأسود ورجع به إلي بلده وبقي معهم اثنتان وعشرين سنة، إلي أن رده هؤلاء القرامطة بتأثير من الفاطميين في المغرب، وهم الذين أمرهم برد الحجر الأسود إلي مكانه بعد أن ساءت سمعتهم كثيرا في العالم الإسلامي، ولحق الفاطميين بالمغرب شيء من سوء تصرفاتهم، فسعوا في إرجاع الحجر الأسود إلي البيت تغطيه لشنائعهم.

ووصل نفوذ هؤلاء القرامطة إلي نجد والحجاز والشام، وأرادوا القاهرة إلا أنهم صدّوا من قبل جوهر الصقلي.

ثم تناوب عدة زعماء إلي أن أراد الله إهلاكهم فقام أحد زعماء قبيلة بني عبد القيس المشهورة وهو عبيد الله بن علي العيوني فاستعان بالخليفة العباسي القائم بأمر الله، كما استعان بالسلطان السلجوقي « ملكشاة »، وجاءت القوات العباسية وساعدت عبيد الله بن علي العيوني، وقضت علي القرامطة نهائيا في عام ٤٦٧ هـ وأراح الله منهم العباد، وطهر منهم البلاد^(١).

ويذكر العلماء أحيانا كثيرة لتحركات قرامطة البحرين، وما فعلوه من

(١) انظر الباطنيون والحركات الهدامة في تاريخ الإسلام ص ١٦-١٩. والقرامطة ص ٦٦-٧٠.

قتلهم المسلمين وتخريب بلدانهم لا نري ضرورة للتطويل بذكرها ، إذ إن خلاصتها أن هؤلاء الذين يتظاهرون بالتشيع والإسلام فعلوا ما لم يفعله سائر الكفار غير التتار .

٧ - الملاحظة :

لأنهم ينفون وجود الله عز وجل ، ويقولون بتأثير الكواكب^(١) .
هكذا يذكر الديلمي ، والذي يظهر لي أن هذا الإنكار كان نتيجة لإعتقادهم في الصفات ، حيث وصفوا الله تعالى بصفات سلبية مؤداها إنكار وجود الله تعالى .

٨ - المزدكية :

نسبة إلى رجل يقال له « مزدك » ، قيل إنه رئيس الخرمية ، وقيل غير ذلك^(٢) ، ولعله غير مزدك صاحب الشيوعية الأولي ، ثم أطلق علي الباطنية لمشابهتهم مذهب مزدك .

٩ - البابكية :

لانتسابهم إلى بابك الخرمي ، خرج في أيام المعتصم بناحية أذربيجان ، فجهز لهم الجيوش حتى قتلهم .

وقد كان من إباحية هؤلاء البابكية أن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونسأؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهبون النساء ، فيبيت كل واحد مع امرأة ، ويزعمون أن من احتوى على امرأة استحلها بالاصطياد كائنة من كانت ، وأن هذا الصيد من أطيب المباحات بزعمهم ، وتسمى هذه الليلة « ليلة الإفاضة » ، وهو عمل لا تقبل به حتى البهائم ، وقبلته عقولهم التي هي أحط من عقول البهائم .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(١) بيان مذهب الباطنية وبتلاته ص ٢٤ .

إضافة إلى أنهم يدعون نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام يقال له «شروين» ، يزعمون أنه أفضل من نبينا محمد ﷺ ومن سائر الأنبياء (١).

١٠ - الخرمية أو الخرمدينية :

وكلمة « خرم » أعجمية ، ومعناها : الشيء المستلذ المستطاب الذي ترتاح له النفس ، وهو من باب الدعاية لمذهبهم الذي هو رفع التكاليف وتسليط الناس علي ارتكاب الشهوات ، وهو لقب كان يطلق على المزدكية قبل الإسلام ، وهم أصحاب الشيعوية الأولى الإباحية الذين ظهوروا في عهد قياد ، وقضى عليهم ولده أنوشروان (٢).

وهم الذين قال فيهم أبو الحسين الملقب عند ذكره لأصناف الفرق : « وإنما سموا مزدكية لأنه ظهر في زمن الأكاسرة رجل يقال له مزدك ، فقال هذه المقالة » (٣).

١١ - المحمرة :

قيل لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمر في أيام بابك ، ولبسوها شعارا لهم .
وقيل لأنهم يطلقون على مخالفيهم اسم الحمير (٤).
وقيل لأن أخلاقهم وطبائعهم صارت شبيهة بطبائع الحمير (٥).
ولامانع أن توجد هذه الأسباب كلها فيهم ، وإن كان أكثر العلماء يرجح القول الأول.

وقد أضاف أحد علمائهم وهو «مصطفى غالب» اسما جديدا للباطنية هو «الهادية» وهو اسم يشعر بالهداية التي يطلبها كل احد، ولكن ما أكثر الخداع

(١) فضائح الباطنية ص ١٥ . (٢) انظر الأفحام ص ٢٢ .

(٣) التنبيه والرد ص ٩٢ . (٤) انظر الافحام ص ٢٣ ، فضائح الباطنية ص ١٧ .

(٥) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٨٠ .

في التسميات ، فهم أليق أن يسموا بالهاوية لأنه لا هدى لديهم إلا تأليه غير الله عز وجل ، والسير خلف ميمون القداح اليهودي وأتباعه الذين دافع عنهم مصطفى غالب في كتابه «أعلام الإسماعيلية» دفاعاً طويلاً .

ولاشك أن قراءة عابرة لهذا الكتاب يجد المنصف صريح الكفر والغلو ظاهر عليه .

يقول ناصر خسرو ، من أعلام الإسماعيلية عن المسلمين : « فاعط التأويل للحكماء ، واعط التنزيل للغوغاء » « فاطلب المعنى الحقيقي لظاهر التنزيل ، وكن كالرجال الأصفياء ولا تكن كالحمير فتقنع بالنهيق والقول الهراء » (١) .

ويقول مصطفى غالب في ترجمته لمحمد الباقر :

« وقيل إن الإمام الباقر كان يعرف الغيب » (٢) . وقد تحاشى كلمة « يعلم » خداعاً منه .

ومن العجيب أن يذكر هذا المؤلف بعض عظماء الإسلام على أنهم من أعلام ورجال الإسماعيلية مثل علي بن أبي طالب ، (٣) ومحمد الباقر (٤) ، والحسين بن علي بن أبي طالب (٥) ، وغيرهم إلى جانب ميمون القداح ، وحمدان قرمط ، والحاكم بأمر الله وغيرهم من طغاة الإسماعيلية .

ويقول أيضاً في غلوهم في الأئمة .

« والإسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر وأنهم خلقوا من الطين، ويتعرضون للأمراض والآفات والموت مثل غيرهم من بنى آدم ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه وجه الله ويد الله وجنب الله ، وأنه هو الذي

(١) المصدر السابق ص ٥٦٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم إلى غير ذلك من الصفات^(١).

وحينما يسمي الباطنيون الله بالعقل الأول أو السابق نجدهم يقولون :
« يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم
الروحاني الباطن ، فالإمام هو مثل السابق ، وحجته مثل التالي ، وكل خصائص
العقل الأول السابق جعلت للإمام »^(٢).

أي أن الإمام عندهم مثل الله تماما ، وهل بعد هذا الكفر كفر ، وأقوال أخرى
كثيرة كلها تدل على مدى كفر هذه الطائفة ، ينقلها أحد علمائهم المعاصرين ،
وهو يفتخر بأعلامه الإسماعيليين وتمسكهم بالدين الإسلامي وتبجرهم في
العلوم.

(١) أعلام الإسماعيلية ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ .

الفصل الخامس

الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون لاغواء الناس

من المبادئ الأساسية عند الباطنية تقديس النفاق والكذب والخداع ، ومن الوصايا الهامة التي يجب أن يسير بموجبها كل داعية باطنية هي أن يجاري من يخاطبه ، ويوافقه في مذهبه تماماً ، بل ويحسن له الغلو فيه ، ويريه أنه أحرص منه على التزامه به .

فإذا كان المدعو شيعياً فإنه يجب أن يكون مذهب الداعية شيعياً أيضاً ...
وإذا كان المدعو فاجراً مستهتراً أو ناسكاً متعبداً أو يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً فإن مذهب الداعي كذلك .

فإذا كان المدعو فاجراً حسن له الداعي انتهاب اللذات ، وأن الحياة منتهية والدنيا فانية .

وإذا كان المدعو ناسكاً حسن له التعبد والزهد وعدم الالتفات إلى الدنيا .
وإذا كان المدعو يهودياً حسن له الداعي مذهبه ، وأظهر له تعظيم السبت ، وشتم النصارى والمسلمين جميعاً .

وإذا كان مجوسياً يظهرون عنده تعظيم النار والضوء والشمس وغير ذلك من مذهب المجوس .

ومن وجدوه نصرانياً يظهرون عنده الطعن في اليهود والمسلمين جميعاً ، وأن القول بالأب والابن وروح القدس حق ، ويعظمون الصليب عندهم .

ومن وجوده فيلسوفاً فهو منهم وقد وصل الحبيب إلى المحبوب لاتفاق هؤلاء مع الفلاسفة في دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن وإنكار الشرائع .

وقالوا بسائر أقوال الفلاسفة من قدم العالم ، وإبطال المعاد والمعجزات وغيرهما من أقوال الفلاسفة، ومن وجدوه تنوياً فقد ظفروا ببيغيتهم فيدخلون عليه بإبطال التوحيد والقول بالسابق والتالي وهكذا فإن مذهبهم هو مذهب المدعويين، مهما كان هذا المذهب ، يتلونون تلون الماء بالإناء الذي فيه ، والنتيجة من كل ذلك هو استجلاب المدعو ثم إخراجه من دينه إلى دين الباطنية .
ولهم حيل وطرق للوصول إلى قلوب الناس والتدرج بهم في الكفر شيئاً فشيئاً .

وقد ذكرها الغزالي قائلاً « ففي الاطلاع على هذه الحيل فوائد جملة لجماهير الأئمة»^(١).

وسبب لجوؤهم هذه الحيل هو الخوف من إظهار كفرهم بطريقة مكشوفة ، وترتيب حيلهم هذه كما يلي :

الزرق والتفرس ، ثم التأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس ، ثم التأسيس ، ثم الخلع ، ثم المسخ أو السلخ .

وفيما يلي تعريف موجز بهذه الحيل :

الحيلة الأولى :

وهي حيلة الزرق والتفرس: ومعناها أن يكون الداعي ذكياً فطناً صاحب فراسة ، يميز بين من يطمع في استدراجه لقبول دعوته ، ومن لا يطمع في ذلك، وله معرفة بتأويل النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة إلى المعاني الباطنة، وأن لا يبدأ بالمخالفة للمدعو بل يوافق ثم يستدرجه بعد ذلك على حسب الخطط الباطنية إذا تفرس فيه القبول .

(١) فضائح الباطنية ص ٢١ .

الحيلة الثانية :

وهي التأنيس : والمراد بها الوصول إلى قلب المدعو واستمالاته بلطف الحديث وذكر بعض الآيات والأحاديث والأشعار ، وبحث جوانب من الأمور اليومية ، وإلقاء خطب ومواعظ ، ويظهر له كل أمر يزيد في الأنس بينهما ويقرب بين الألفهام.

الحيلة الثالثة :

هي التشكيك : وهي أن يسأل الداعي المدعو عن مسائل في أمور الدين ، وهي مسائل يعجز المدعو عن الإجابة عنها لجهله ، وذلك أن الدعاة الباطنيون يركزون دعوتهم في العوام .

وأيضاً لأن بعض تلك المسائل تعبدية قد لا تعرف الحكمة فيها ، كأن يسأله عن متشابه القرآن ، ومسائل فقهية .. لم أمر بالغسل من المنى ، ومن الغائط والبول بالوضوء وهما أغلظ نجاسة ؟ ولم أمرت الحائض بقضاء الصوم دون الصلاة وهما واجبان على السواء ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وعن رمي الجمار ، والإحرام ، والطواف ، وعن الحروف التي في أوائل السور «المر» ، «كهيص» وغير ذلك ، ويعظمون أمرها ويدعون أن لكل ذلك جواباً لا يعرفه كل أحد .

الحيلة الرابعة :

وهي التعليق : فتم بعد طرح تلك المسائل ، فإذا طلب المدعو الاستفسار عنها ، وتعليق قلبه بها وبمعرفتها قالوا له إننا لانخبرك بشيء حتى تعطينا العهد والميثاق ، فإذا رضي بذلك نقلوه إلى الحيلة الخامسة وهي الربط .

الحيلة الخامسة :

وهي الربط : وهي إحكام قبضتهم عليه بما يؤخذ عليه من العهود والمواثيق

الغليظة في عدم إفشائه سراً من أسرارهم ، وأنه إذا فعل ذلك فقد استوجب لعنة الله وغضبه ، وأنه مخلد في النار أبد الآباد ... إلى آخر تلك الأيمان الطويلة التي لا يؤمنون بها هم ، فإذا كان المدعو ذكياً موفقاً عرف أن هذه الأيمان كلها لا تطلب منه إلا لأن ماسيخبرونه به غير مرضي وليس فيه حق ، لأن الحق لا يتكتم عليه أهله ، ويتذكر قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ لَاتُكْتُمُونَهُ ﴾^(١) ، وآيات كثيرة يحذر الله فيها من كتمان العلم ، وأن كتمانهم لعلمهم دليل على أنه مليء بالعورات والفضائح .

الحيلة السادسة :

وهي التأسيس : وهي إظهارهم تعظيم الشرع والرغبة في طلب العلم والحفاظ على أوامر الدين ، وأن تلك العهود التي أعطاهم المدعو يجب احترامها ، وهم في الواقع إنما يظهرون له هذه الأمور من أجل اصطياده ، وإلا فهم لا يؤمنون بعهد ولا بميثاق وأخذ العلم عن الإمام المعصوم المستور الذي هو الطريق إلى علم النبي الناطق والوصي ، وهو الأساس إلى علم الناطق ، وزعمهم أنه مستور لأنهم يعلمون أن لا وجود له ، فلعلا يطالبهم المدعو بلقاءه زعموا أنه مستور، وإنما هو دجل وتمويه وخداع للمدعو .

وقد ذكر الغزالي سبعة أمثلة لهذا المسلك وأطال في شرحها .

الحيلة السابعة :

التأسيس : وهي أنهم يضعون مقدمة لاتنكر في الظاهر ، ولاتبطل الباطن، يستدرج فيها المدعو بحيث لا يدري ويوهمونه أن الله تعالى جعل لكل شيء ظاهراً وباطناً ، ويستدلون عليه بقوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾^(٢) ، ونصوص أخرى ثم يقال له الظاهر قشور والباطن هو اللب ، والظاهر رمز

(١) آل عمران ١٨٧ .

(٢) الأنعام ١٢٠ .

والباطن المعنى المقصود ، ثم يؤسسون في نفسه الشغف لمعرفة البواطن والأعراض عن ظواهر النصوص .. لأنه وصل بزعمهم إلى مرتبة وهي طلب العلم الباطني .

الحيلة الثامنة :

وهي الخلع من الدين : فهي أن يقول الداعي للمدعو أن فائدة الظاهر أن يفهم ما أودع فيه من علم الباطن لا العمل به ، فمتى وقف المدعو على الباطن سقط عنه حكم الظاهر ، وهو المراد بزعمهم الكاذب لقوله تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾^(١) ، أي يضع عنهم هذه التكاليف الشاقة من صلاة وصيام وغيرها من شرائع الإسلام بعد أن يعرفوا بواطن النصوص التي تدعو إلى القيام بالتكاليف مثل خرافة غلاة الصوفية حين يصلون إلى اليقين بزعمهم .

الحيلة التاسعة :

الانسلاخ من الدين : أو حيلة السلخ فهي أنهم إذا أنسوا من المدعو الإجابة وصار منهم ، أعلموه أنه قد أطلق من وثاقه وحل له كل ما حرم على غيره من الناس الذين لم يدخلوا مذهبهم ﴿اليوم أحل لكم الطيبات . وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم﴾^(٢) ... وزالت عنه جميع التكاليف ، ولا يحرم عليه شيء^(٣) .

ولهم حيل في إسقاط التكاليف عن المدعو ، حيث يوهمونهم أن التكاليف تسقط عنه تلقائياً إذا تدرج في المعرفة ، ووصل إلى معرفة أن التكاليف إنما كانت موضوعة في الظاهر للناس الجهال حتى يطلبوا العلم ويخرجوا عن مشقة

(١) الأعراف ١٥٧ . (٢) المائدة ٥ .

(٣) انظر لتفصيل تلك الحيل : فضائح الباطنية ص ٢١ - ٢٢ ، بيان مذهب الباطنية وطلانه ص

التكاليف، لأن الإمام المعصوم المستور ونوابه يعلمون معنى القيام بتلك التكاليف ومعناها الحقيقي، فتسقط عنهم فريضة الصلاة إذا دفع للإمام مبلغ ١٢ دينار، ويقرأ له الإمام قول الله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (١)، ويفهمه أن الصلاة معناها الحقيقي بزعمهم معرفة أسرار الباطن أو معرفة خمسة أسماء وهي: عليّ والحسين والحسن ومحسن وفاطمة ثم يسقطون عنه فريضة الصوم بعد أن يدفع المبلغ المذكور للإمام، ثم يفهمونه أن الصوم إنما المقصود منه كتمان أسرار الباطنية، أو معرفة ثلاثين رجلاً أو ثلاثين امرأة يعدّونهم في كتبهم، وليس معنى الصوم لامتناع عن الأكل والشرب، ويقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًا ﴾ (٢). فلو كان معنى الصوم ترك الطعام لقال فلن أطعم،،، فدل على الصيام هو الصمت والسكوت عن إبداء أسرار الأئمة بزعمهم.

ثم يسقطون عنه الحج بتفهمه أن المقصود بالحج إنما هو زيارة مشائخهم لا الذهاب إلى مكة .

ثم يسقطون عنه حرمة الخمر والميسر بتفهمه أن المقصود بهما أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما ولعن الباطنية، فأما الخمر المصنوع من العنب وسائر ما يصنع منه فليس بحرام لأن كل ما تنبت الأرض حلال ﴿ قُلْ مِنْ حَرَمِ زِينَةِ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (٣).

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا ﴾ (٤).

ثم يسقطون عنه وجوب الاغتسال من الجنابة بدعوى أن الطهارة هي طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس بذاته ولا يطهره الماء ولا غيره، بل

(٢) مرع ٢٦ .

(١) الأعراف ١٥٧ .

(٤) المائدة ٩٣ .

(٣) الأعراف ٣٢ .

إن الجنابة المقصود بها موالاة أصدقاء الأنبياء والأئمة .

وأما المنى فهو طاهر إذ هو أصل الإنسان ، ولو كان الاغتسال منه لنجاسته
لكان الاغتسال من البول والغائط أولى بزعمهم .

وعلى هذا فإن معنى الآية ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾^(١) أي إن كنتم
لاتعرفون معنى الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الباطني .

ثم يسقطون عنه حرمة الزنا ويسمون المشهد الأعظم ونهاية الفوز ، وإن
إحلال الزنا هو دخول الجنة ، ويتلو عليه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾^(٢) . وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ
لِعِبَادِهِ ﴾^(٣) . ويفسر له الزينة هنا بأنها ماخفي من أسرار النساء التي لا يطلع عليها
إلا المخصوص بذلك ، ويسلك به مسالك ملتوية ، وفي نهايتها يبدأ بتطبيق ما تعلمه
المدعو من جواز الفحش والفجور ، وأن ذلك حلال ، فيبدأ يطبق ذلك على
زوجته فيبيحها للمدعو ، ثم يحضر المشهد الأعظم وهو اجتماع الرجال والنساء
في مكان واحد وإطفاء السرج بعد أن تدار الكؤوس ، وتحمى الرؤوس ، ثم
يتناهبون النساء ويسمون ذلك صيداً كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم^(٤) .

وهكذا ينقضون الإسلام درجة درجة إلى أن يوهما المدعو أنه أصبح فوق
مستوى التكليف لتعمقه في العلم ومعرفته لبواطن تلك الظواهر فيصل إلى تحقيق
قول الله تعالى ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(٥) وهو في الحقيقة يصل إلى
حماية الفساد والإفلاس من الدين ومشابهة البهائم ، والخروج عن الإنسانية
المكرمة....

(٢) السجدة ١٧ .

(١) المائدة ٦ .

(٣) الأعراف ٣٢ .

(٤) ذكرها الديلمي في بيان مذهب الباطنية وطلانه ص ١١ - ١٥ .

(٥) الحجر ٩٩ .

فلا يعرف بعد ذلك معروف ولا ينكر منكرا ، مات قلبه وضميره فهو أضل من البهائم لأنها لاتعرف تلك المسالك الشيطانية التي وصل إليها هؤلاء المفسدون .

وينبغي أن تعلم ماقدّمناه من تلك الحيل لاتتم على عجل ، بل إنهم يدرسون الشخص دراسة لانظير لها إذا وقع عليه اختيارهم ولا ينبغي أن تفهم أن تلك التعليمات تلقى عليه بهذه البساطة التي عرضناها بل إنه يمر بتعقيدات وتعليمات وصقل ، قد يأخذ فيها مددا طويلة أو قصيرة حسب ميوله وذكائه وتقبله ، ولهذا يحكمون عليه قبضتهم ، وهذا مايفسره وقوف التابعين لهم في صفّهم ودفاعهم عن هذه العقيدة ، لايهمهم حتى تقديم دمائهم في سبيل نشرها وعلوّ شأنها، وذلك لتشبعهم بتلك التعاليم الملتوية ومسخ فكر الداخل وتفريغه من كل علاقة إلا بهذا المذهب .

ولزيد من التفاصيل عن حيلهم وخططهم في استجلاب الناس إلى دعوتهم وترتيبهم العميق الذي لا يدرکه المدعو إلا بعد الإطاحة به ، ننقل هنا ماباح به أحد علمائهم المعاصرين حيث قال مانصه :

« ولقد وقّفت الحركة الإسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظّمته خير تنظيم ، وبين نظام الفلك ودورته ، فجعلوا العالم الذي كان معروفاً في عصرنا ، مثل السنة الزمنية ، والسنة مقسمة إلى اثني عشر شهراً ، وإذا فيجب أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً ، وسموا كل قسم جزيرة ، وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً هو المسئول الأول عن الدعاية فيها وأطلقوا عليه لقب « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » ... إلى أن يقول :

« والشهر ثلاثون يوماً ، ولذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوّته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ، وهم عيونهم التي يعرف بها أسرار الخاصة والعامة .

واليوم مقسم إلى أربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشر ساعة بالليل ، واثنتي عشر ساعة بالنهار ، فجعل الإسماعيلية لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعياً ، منهم اثني عشر داعياً ظاهرين كظهور الشمس بالنهار ، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل .

وبعملية حسائية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الإسماعيلية في العالم كان حوالي (٨٦٤٠) داعياً في وقت واحد ، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا ، وهم الدعاة الذين يكونون دائماً في مركز الدعوة الرئيسي مع الإمام .

علما بأن لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه ، حفظاً لنظام الدعوة وسريتها ، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في درجات الدعوة .

وعلى عاتق المكالب تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس وكأنهم تلاميذ يريدون الإفادة من أساتذتهم دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمعة للأخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء بأن من يجادله أو يناقشه مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة - انظر إلى هذا الدهاء والمكر - وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العالم عن الجواب الصحيح أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكاسر ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكاسر ، فيسرع إليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الأسئلة التي طرحها ، والموضوعات التي ناقش فيها العلماء .

ومن الظاهر أن الداعي المكاسر كان يختار اختياراً خاصاً ولا يسمح له المكاسرة إلا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ونجد في بعض الكتب الإسماعيلية الشروط الواجب توافرها عند اختيار الداعي المكاسر ، والخصال التي يجب أن يتحلّى بها من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها ، ولد ونشأ بها

حتى يكون معروفاً عند الجمهور ويجب أن يكون حسيباً ونسيباً بين قومه .. إلى أن يقول :

« فإذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الإسلامية حتى يتبحر فيها (1) فإذا تم له ذلك أخذ يلقنه مسائل الخلاف بين المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق إسلامية وغير إسلامية ، ويظهر له موطن الضعف في كل مذهب ، وفي كل رأي ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها فإذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس إليه ، فإذا أتقن كل هذه الأمور وتدرّب عليها ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الأخرى دون أن يشعر أحد بأنه إسماعيلي المذهب ، بل يجب أن يكتم ذلك كتماناً شديداً ولذلك يجب أن يكون المكاسر ذكياً ذا فراسة حتى لا يخطئ في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم .

فإذا فرض ووجد المكاسر أمامه خصماً عنيداً أكثر منه علماً وتبحراً في مختلف الفنون وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لاحد لها ، والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل معه في مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الإسماعيلية التي لا يعرفها غير الدعاة ، وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ولا يعرفون كنهها .

هكذا كان الداعي المكاسر أو الداعي المكالب الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الإسماعيلي للدعاة ، فإذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا أن ندرك ما كان عليه أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم .

وفي حالة توصل الداعي المكاسر إلى إقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون

الوصول إلى معرفة الحقيقة يأخذه إلى أحد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحه في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئاً من عقائده بل يكتفي بإطلاعه على بعض المسائل المذهبية ، ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية التي لاضير في كشفها ، فإذا أصرّ المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله إلى الداعي المأذون، وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهود والمواثيق، فإذا وثق بإخلاص المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية التي لاينفر منها، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون إلى إخلاصه ، ويطمئن المستجيب إلى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله إلى الداعي الذي هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له أخيراً بحضور مجالس داعي دعاة الجزيرة الذي له وحده الحق في أن يعلم الناس التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث، كما يعلمّ الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية أي علم الحقيقة .

صحيح كان داعي الدعاة يلقي المجالس والأحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والمواثيق دون أن يصلوا بعد إلى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الأسرار الإسماعيلية العليا» (١) .

ثم ذكر بعد ذلك مراتب كبار الدعاة الذين كانوا يلازمون مركز الإمامة وهم ١٦ مرتبة .

فانظر أخي الكريم إلى هذه الخطط الشيطانية ، وانظر كيف يدخلون إلى قلوب الناس ويسرون فيهم سرعان النوم .

ولك أن تعجب من حال المدعو وهم يقذفونه من شيخ إلى شيخ كأنه كرة في أيديهم دون أن يعلم الحال الذي سيوردونه عليه .

كما يحق لك أن تعجب من كثرتهم وتماسكهم حيث ينتشرون في البلد

(١) أعلام الإسماعيلية ص ١٨ - ٢٤ تحت عنوان « أسرار نظام الدعوة » .

الذي ينكب بهم مثل انتشار الجرائم في الجسم السليم ثم يحكمون الطوق عليه ليقع فريسة هامة أمامهم .

وكيف يدرسون نفسيات الناس وميولهم ، ويعرفون كل شيء عنهم قبل الإقدام عليهم .

فأين دعاة الحق من مثل هذه التنظيمات؟! إن كثيراً منهم قد يجهل حتى أدنى الآداب التي يقابل بها الناس .

ولو عرضت الدعوة الصحيحة إلى الإسلام ، ولو بقليل من هذه الخطط لكان للعالم الإسلامي شأن غير شأنه الموجود اليوم فإن جودة عرض البضاعة تغري بشرائها .

ومن هنا نجد هذا الباطني يتمدح بهذا الجانب فيقول : « وبفضل هذا التنظيم الدقيق انتشرت الدعوة الإسماعيلية بشكل لم تعهده أية دعوة إسلامية وغير إسلامية من قبل في جميع الأقاليم ، وبين كل طبقات المجتمع على السواء » (١) .

الذي يهمننا من كلامه هذا هو الإشارة إلى دقتهم في التخطيط وحبك المؤامرات بغض النظر عن مبالغاته في انتشار دعوتهم الخبيثة فلقد انتشرت الدعوات الإسلامية الصحيحة انتشاراً لم تصل إلى القرب منها أية دعوة في العالم بأسره ولم يثبت أصحاب أية دعوة في التمسك بمبادئهم ثبوت أصحاب العقيدة الصحيحة على مر التاريخ .

(١) المصدر السابق ص ٢٥ .

الفصل السادس

عقائد الباطنية

يجد المتتبع لأخبار الباطنية ومذاهبهم تناقضا ظاهرا ، والسرفي هذا التناقض يعود إلى أن أهل هذا المذهب هم الذين أرادوا ذلك لكي تتضارب أخبارهم عند الناس ، وبالتالي يستطيعون تكذيب ما يريدون مما ينقل عنهم بحجة أن الناس يكذبون عليهم .

ثم هم أيضا لا يقوم مذهبهم إلا على هذا التلون الكثير ، ومن هنا قال الغزالي: «والذي قدمناه في جملة مذهبهم يقتضي لا محالة أن يكون النقل عنهم مختلفا مضطربا، فإنهم لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد، بل غرضهم الاستتباع والاحتيال، فلذلك تختلف كلماتهم، ويتفاوت نقل المذهب عنهم»^(١).

ومهما كان الحال فإن عقائد الباطنية هي مجموعة أفكار ملفقة من مذاهب شتى، وكلها خبيط واضطراب ، ومن عجيب أمرهم أنهم يستدلون على كفرهم، ومحاربة الإسلام ببعض الآيات من القرآن الكريم ، وبأحاديث مختلفة مكذوبة على النبي ﷺ ، وأحاديث صحيحة يحرفون معانيها ويؤولونها على وفق اعتقاداتهم الإلحادية ، وكل عقائدهم ترجع إلى :

١ - إنكار وجود الله تعالى .

٢ - جحد أسمائه وصفاته .

٣ - تحريف شرائع النبيين والمرسلين^(٢) .

وفي كل ذلك يتسترون :

١ - إما بالتشيع لآل البيت .

(١) فضائح الباطنية ص ٣٨ .

(٢) انظر الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة ص ٢١٠ .

٢ - وإما بزعم التجديد والتقدم .

وغير ذلك مما يختلقون من الشعارات والأكاذيب المخترعة .

أولا : عقيدتهم في الالهية

فقد اختلفت مذاهبهم فيه على درجات من الكفر والإلحاد كما اتضح من خلاصة معتقداتهم^(١) .

فذهب قسم منهم إلى القول بوجود إلهين ، لا أول لوجودهما من حيث الزمن ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني واسم العلة السابق واسم المعلول التالي وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمون الأول عقلا والثاني نفسا تخرصا وكذبا .

بل قالوا إن السابق والتالي هما المراد باللوح والقلم ، واستدلوا من القرآن الكريم بما جاء فيه من صيغة الجمع مثل ﴿ إنا نحن نزلنا ﴾^(٢) ، ﴿ نحن قسمنا بينهم ﴾^(٣) .

قالوا : ولولا أن معه إلها آخر له العلو أيضا لما ورد قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾^(٤) ، قالوا وهما أيضا الرحمن الرحيم^(٥) .

ولاشك أن هذا يدل على مدي جهلهم بلغة العرب لأنهم من فارس ، وبعضهم لم يتقن العربية وإلا لعلموا أن هذا الخطاب « أنا » أو « نحن » إنما هو من باب التعظيم ، والله عز وجل له العظمة المطلقة .

وقد ذكر مصطفى غالب - باطني من أهل سلمية - خلاصة معتقدتهم في الخالق عز وجل فقال :

« ولما كان الله فوق العالم وهو غير محدود، فلا يمكن أن يخلق العالم

(١) انظر فضائح الباطنية ض ٣٩ - ٤٠ . (٢) الحجر ٩ .

(٣) الزخرف ٣٢ . (٤) الأعلى ١ . (٥) فضائح الباطنية ٤٠ .

مباشرة وإلا اضطر إلى الاتصال به مع أنه بعيد عنه ، لا ينزل إلى مستواه ، ولما كان واحدا فلا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد ، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم، لأن الخلق عمل وإنشاء شيء لم يكن ، وذلك يستدعي التغيير في ذات الله والإله لا يتغير»^(١) .

ومعنى هذا الكفر أن الله علة العالم وسبب وجوده فقط ، وأن الله فوق العالم، ولا يستطيع أن يتصل به ويخلقه بنفسه مباشرة لأنه واحد ويستكف أن يباشر خلق الأشياء بنفسه لترفعه وعلوه ، وهذا من أعظم الجهل والغفلة .

وذهب قسم آخر منهم إلى الاعتقاد أن عليا رضي الله عنه هو الذي خلق السموات والأرض خالق محيي مميت مدبر للعالم ، وأنه ظهر في صورة الناسوت - الناس - ليؤنس خلقه وعبيده ليعرفوه ويعبدوه ، وقد أشد بعضهم في سنة سبعمائة قوله :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الانزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه لا سلمان ذو القوة المتين^(٢) .

وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى لا يصح وصفه بأنه موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا موصوف ولا غير موصوف ، ولا قادر ولا غير قادر... وهذا ما يقصده مصطفى غالب حين قال : « وتحدث الفلاسفة الإسماعيليون عن وجود الله تعالى، فأثبتوا ضرورة وجوده عن طريق وجوده عن طريق ليسيته، وضرورة استناد الموجودات واحتياجها إلى موجد ، ونفوا عن الله الأيسية كما نفوا عنه الليسية ، وقالوا إن الله لا يمكن أن يكون ليسا ولا أيسا ، أى أنه لا يصح أن يكون الله غير موجود ولا أن يكون موجودا من نوع الموجودات التي

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣٥ ص ١٤٧ .

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٩٦ .

وجدت عنه ، ويطلق عليه اسم المبدع الأول، والعقل الأول، والمحرك الأول....
ويأتي بعده في ترتيب العقول العقل الثاني الذي وجد عن طريق الانبعاث»
إلخ تقسيمه الطويل الممل .

إلى آخر خرافاتهم وإلحادهم وغرضهم نفي وجود الله تعالى بوجه يدق على
عوام الناس ، يكون ظاهره التنزيه ، والغرض الحقيقي نفي وجود الله عز وجل ،
إذ لا يمكن أن تصدق تلك الأوصاف إلا على معدوم ، ومثل هذه المزاعم معلوم
بطلانها من دين الإسلام بالضرورة ، فلا خالق إلا الله عز وجل كما هو معلوم
عند أصحاب كل الأديان ، وعلى وغيره في هذا الكون مخلوق لله ، أوجده
بعد أن لم يكن، لا يملك أحد لنفسه ضرا ولا نفعا . ﴿وما قدروا الله حق قدره
والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى
عما يشركون﴾^(١) .

ثانيا : اعتقادهم في النبوات

يجحد الباطنيون النبوات ، وينكرون المعجزات ، ويزعمون أنها من قبيل
السحر والطلاسم ، ويفسرون النبوة بأنها عبارة عن شخص فاضت عليه من
السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهياة لأن تنتقش عند الاتصال بالنفس
الكلية بما فيها من الجزئيات ، كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام
حين تشاهد في مجاري الأحوال في المستقبل ، إما صريحا بعينه أو مدرجا تحت
مثال يناسبه مناسبة ما فيفتقر فيه إلى التعبير ، لأن النبي هو المستعد لذلك في
اليقظة^(٢) .

ويزعمون أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول
حلولها ، كما لا تستكمل النطفة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر ، فكذلك هذه
القوة كمالها أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت^(٣) .

(١) الزمر ٦٧ . (٢) ، (٣) فضائح الباطنية ص ٤١ .

ومن هذا التصور الرديء اعتقدوا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض على النبي لأنه شخص ينتقل من علو إلى سفلى .

وعلى هذا فهم يعتقدون أن القرآن الكريم تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو جبريل ، وسمى كلام الله مجازا .

ومن اعتقاداتهم التي بينها الغزالي أنهم قالوا كل نبي لشريعته مدة ، فإذا انصرفت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته . وحددوا الشريعة كل نبي سبعة أئمة^(١) ، أولهم النبي الناطق ، ثم الأساس الصامت ، ثم السوسي ، ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله ، ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره .

قالوا : ولكل نبي سوسي ، والسوس هو الباب إلى علم النبي في حياته والوصي بعد وفاته ، والإمام لمن هو في زمانه .. ومن هنا زعموا أن آدم سوسه شيئا ، وهو الثاني ، ويسمى من بعده متما ولاحقا وإماما ، إلى أن بعث الله محمدا ﷺ وسوسه على بن أبي طالب ، وقد استتم دوره بجعفر بن محمد ، فإن الثاني من الأئمة الحسن بن علي ، والثالث الحسين بن علي ، والرابع علي بن الحسين والخامس محمد بن علي ، والسادس جعفر بن محمد ، وقد استتموا سبعة معه ، وصارت شريعته ناسخة ، وهكذا يدور الأمر أبدا الدهر^(٢) .

وفي مثل هذه الضلالات يقول علماءهم :

« ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع ، لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، قام ينسخ الشريعة التي سبقته ، فجمع بين النطق والإمامة ، ورفع التكالييف الظاهرية

(١) حددها الغزالي بسبعة أعمار أي سبعة قرون ، ولعل التحديد بسبعة أئمة أوضح ، إذا إنهم بنوا نسخ الشرائع وقيام القيامة بعد الإمام السابع دائما .

(٢) فضائح الباطنية ص ٤٢ - ٤٤ ، وقد قال - بعد أن ذكر أشياء كثيرة تركتها اختصارا واكتفاء بما ذكرته - قال : « هذا ما نقل عنهم مع خرافات كثيرة أهملنا ذكرها ضنة بالبياض أن يسود بها » .

للشريعة، فنادى بالتأويل واهتم بالباطن» (١) .

إلى أن يقول حاكيا عن أحد دعائهم في ضمن فضائل محمد بن إسماعيل:

« وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ » (٢) .

ووصف مصطفى غالب محمد بن إسماعيل بأنه القيامة الكبرى (٣)، لا اكتمال الدور به ، والابتداء من جديد .

ويقول النوبختي وهو من أعرف الناس بهم :

« وزعموا أن النبي - ﷺ - انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام للناس بغدير خم ، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب ، واعتلوا في ذلك بقول النبي ﷺ : « من كنت مولاه، فعلي مولاه » ، وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة، وتسليم منه في ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله عز وجل ، وأن النبي - ﷺ - بعد ذلك كان مأمونا لعلي محجوجاً به» ... إلى أن يقول :

« وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي لم يميت ، وأنه في بلاد الروم ، وأنه القائم المهدي ، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث برسالة وشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد - ﷺ - إلى أن يقول :

« واعتلوا في نسخ شريعة محمد - ﷺ - وتبديلها بأخبار روهها عن أبي عبد الله جعفر بن محمد « ع » أنه قال : « لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدا » . وأنه قال :

« إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ فطويبي للغرباء » ونحو ذلك من أخبار القائم » (٤) .

(١) أعلام الإسماعيلية ص ٤٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٥٢ .

(٤) فرق الشيعة ص ٦٤ - ٩٥ .

وسبب نقل هذا الكلام إنما هو لإيضاح إصرار الباطنية على نسخ شريعة محمد ﷺ، وأن ما يظهره مصطفى غالب وغيره من عتاة الباطنية من التلاعب بمعاني الكلام، إنما هو خداع للناس وستر لهذه العقيدة الخبيثة التي ترد ما أخبر الله به من إتمام الدين إلى أن تقوم القيامة، وينتهي هذا الكون ومن فيه، ولا يبقى إلا وجه الله عز وجل .

ولا يخفي على القارئ اللبيب ما في آخر كلام النوبختي من عبارات تتفق مع هوي الشيعة الغلاة منهم حول القرآن الكريم .

وأما استدلالهم بأن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، بمعنى يظهر شخص ينسخه، فلا شك أنه كلام يدل على قصر عقولهم، فإن الإسلام والحال ما ذكروا لا يبقى غريبا فقط بل أنه لا يبقى له أي وجود . فكيف يسمونه غريبا وقد اتمحى ونسخ، وحاشا أن يتم ذلك .

وكلامهم إنما هو تأويل للحديث، وكذب على الله ورسوله أن يكون المراد من معنى الحديث ما ذكروا، بل إنه يدل على قلة المتمسكين به والعاملين بأحكامه وتعاليمه كما كان في بدء أمره كذلك .

وأما أن يكون الرسول ﷺ يبشر في هذا الحديث بنسخ شريعته، فإنه لا حقيقة لهذا المقصود إلا في أفهام سخفاء العقول .

وأولوا معجزات الأنبياء تأويلات باطنية، فثعبان موسى أي غلبته عليهم، وإظلال الغمام أي الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم، ومعنى عدم الأب لعيسى أنه لم يأخذ العلم عن إمام مستور معصوم، وإنما استفاد العلم من الله بغير واسطة. والجن الذين ملكهم سليمان باطنية ذلك الزمان، والصيام الإمساك عن كشف السر.

في تخرصات وتلفيقات يطول ذكرها، ولا خير من وراء بحثها وإنما هي

الإشارة إلى التحذير من مسالك هؤلاء ، ومن أفكارهم وعباراتهم الخادعة ، فلا ينبغي أن يهدر الوقت في التعمق في دراسة هذه الأفكار والردود عليها .
وقد أورد الغزالي في الباب الخامس من كتابه « فضائح الباطنية » أمثلة كثيرة لتلك التأويلات في فصلين :

* الفصل الأول : في تأويلاتهم للظواهر .

* الفصل الثاني : في استدلالهم بالأعداد والحروف ، وبين زيف أقوالهم في عدة صفحات (١) .

وكذا الديلمي في كتابه « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » ويحيى بن حمزة العلوي في كتابه « الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام » . كل هؤلاء وغيرهم من علماء الفرق قد ذكروا أمثلة ومناقشات لدحض أقوال الباطنية ، تحتاج إلى دراسة خاصة ووقت متسع لها .

ثالثا : اعتقادهم في الآخرة

اتفقت كلمة الباطنية على إنكار الآخرة التي جاء الإسلام بتفاصيل بيانها، وأولوا القيامة في القرآن والسنة ، وقالوا بأنها رموز تشير إلى خروج الإمام، وقيام قائم الزمان - إمام العصر -، السابع الناسخ للشرع المغير للأمر كما يصفونه . وقالوا أيضا أن معنى القيامة انقضاء الدور .

وأنكروا بعث الأجسام والجنة والنار ، وقالوا : « إن معنى المعاد هو عود كل شيء إلى أصله ، وأن الإنسان مركب من عالم روحاني وعالم جسماني ، فالجسماني منه جسده ، وهو مركب من الأخلاط الأربعة وهي : الصفراء ، والسوداء ، والبلغم ، والدم فيتحلل الجسد ويعود كل خلط إلى طبيعته... »

(١) انظر من ص ٥٥ - ٧٢ ، وانظر ما كتبه الديلمي عنهم في كتابه « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » ص ٣٥ - ٣٦ ، وما كتبه يحيى بن حمزة العلوي في كتابه « الإفحام » .

فالصفراء تصير نارا ، والسوداء تصير ترابا، والدم يصير هواء ، والبلغم يصير ماء. وهذا هو المعاد الجسدي عندهم ، فلا تعود الحياة إلى الاجساد بعد الموت .

أما الروحاني ، وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان فإنها إن صفيت بالمواظبة على العبادات ، وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات ، وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة عن الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي كان منه انفصالها ، فتسعد بذلك وهذا هو جنتها (١) .

بهذه الخرافات فسروا المعاد الأخروي ، ولا شك أنها مأخوذة عن مذاهب الهندوس والبوذيين ولذلك أجمع هؤلاء الباطنيون على القول بالتناسخ الموجود عند البراهمة والبوذيين ، وصبغوه في الظاهر بالإسلام فصار الكلام مسلما والفكر هندوسيا وبوذايا ووثنياً.

وقد أكثر الشيخ إحسان إلهي - رحمه الله - من النقول عن كتب الباطنية ، وتأويلاتهم لأخبار القيامة بما لا يتسع لاستقصائه المجال هنا (٢).

رابعا : اعتقادهم في التكاليف الشرعية

يتميز مذهب الباطنية بأنه من أشد المذاهب استحلالاتا للمحرمات ، وأوغل في الإباحية البهيمية ، وأكثر تفلتا عن القيام بالتكاليف الشرعية وتبرما منها ، مع أنهم لا يتظاهرون أمام العامة بترك التكاليف إلا فيما بينهم .

وأما ظاهر مذهبهم فهو لزوم القيام بالتكاليف، بل وأحيانا بعضهم يبالغ في إيجاب أشياء لم تجب ليظهروا بمظهر الزهاد والعباد ، وليستفيدوا من جهة أخرى، إرهاب الناس بكثرة التكاليف لتضييق صدورهم بها .

وفي مقابل ذلك يركز هؤلاء الفجار على مسامح الناس أن للخروج من تبعة

(١) انظر فضائح الباطنية ص ٤٥ . وانظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٣٧ .

(٢) في كتابه « الإسماعيلية تاريخ وعقائد » .

هذه التكاليف أمر ميسر لكل أحد أراده .

وحينما يشتاق الشخص إلى معرفة هذا الأمر لا يجودون به عليه إلا بعد مراحل واختبارات عديدة ليشعر المدعو فعلا أنه قد وصل إلى السر بعد تعب واجتهاد.

ومعرفة هذا السر يكون بطلب التابع لهم رتبة الكمال في العلوم التي تؤخذ - شرط - من نواب الإمام المعصوم المستور . وعلى الشخص أن يجتهد ويسعى في العبادة في أثناء تلقيه لذلك إلى أن يصل إلى رتبة الكمال - وهي في الحقيقة رتبة منتهى الجهل والغفلة -، محبا للشهوات والفواحش على حد ما أخبر به النوبختي، حيث قال وهو يعدد عقائد الباطنية :

« وإن الله تبارك وتعالى جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم عليه السلام ، ومعناها عندهم الإباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا ، وهو قول الله عز وجل ﴿فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾^(١)»^(٢).

هذا بالإضافة إلى أنهم يعمقون في ذهن الشخص أن القيام بهذه التكاليف والمنع والإباحة إنما تستهدف من ورائها فائدة واحدة وهي استنهاض همة القلب ليصل إلى معرفة بواطن هذه الأمور، فإذا لم يكن كذلك فإن عليه أن يبقى في عداد الجهال الذين هم مثل الحمير التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة^(٣).

في زخرف من القول أخذوه من شتى المذاهب، حيث أخذوا من كل مذهب شراً ما فيه .

ولقد كان للرافضة عليهم فضل كبير ، فقد أخذوا عنهم فكرة الإمام المعصوم المستور، وأنه لا حق إلا ما خرج عن الأئمة ، وكذا تحريف الآيات على حسب هواهم ، ودعوي وجود الإمام الصامت والناطق ، ونسخ الشريعة

(١) البقرة ٣٤ . (٢) فرق الشيعة ص ٩٥ .

(٣) انظر فضائح الباطنية ص ٤٧ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٦ .

الإسلامية بمجيء مهدي الشيعة ، ومجيء الإمام السابع من الأئمة المستورين عند الباطنية ، وأشياء كثيرة لا تخفي على القارئ الكريم ، وقد ذكر أكثرها في درس الشيعة .

فهذا الكليني يفسر قول الله تعالى ﴿ وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾^(١)، عن موسى بن جعفر أنه قال : « البئر المعطلة الإمام الصامت ، والقصر المشيد الإمام الناطق »^(٢).

والوالدين الذين ذكرهما الله في قوله ﴿ أن اشكر لي ولو الديك إلى المصير ﴾^(٣)، فسرها الكليني عن علي رضي الله عنه قال : « الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم ، وأمر الناس بطاعتهم »^(٤).

وعن الظاهر والباطن في النصوص يقول الكليني : « إن القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق »^(٥).

وللطوسي في كتابه « الغيبة » مثل هذا التأسيس الباطني^(٦)، بل وبالغ الطوسي ، وافترى - كما بيد علي - جعفر بن محمد « أنه قال حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة ، فقال زرارة : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : يموت الناطق ، ولا ينطق الصامت ، فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة »^(٧).

وإذا كان على حسب هذه الرواية كل من مات بين موت الناطق وسكوت

(١) الحج ٤٥ .
(٢) الكافي ج ١ ص ٣٥٣ .
(٣) لقمان ١٤ .
(٤) الكافي ج ١ ص ٣٥٤ .
(٥) الكافي ج ١ ص ٣٠٥ .
(٦) انظر كتاب الغيبة ص ٩٦ .
(٧) كتاب الغيبة ص ٢٧٧ .

الصامت (أي بين موت الرسول ﷺ وسكوت علي) فكان ينبغي على الشيعة أن يقولوا بدخول الصحابة جميعهم الجنة وهم لا يقولون بذلك ، وهذا جزء من تناقضهم ، وهو من الأدلة على رغبتهم في تأسيس المذاهب الهدامة التي تخرج المسلم عن دينه .

ولقد انتفع الباطنيون كثيرا بمثل هذه الاعتقادات التي كونوا منها ومن غيرها مذهبهم الردئ الذي خرج بسببه الآلاف المؤلفة من الناس عن دينهم

والله المستعان

الباب الرابع النصيرية الفصل الأول

تمهيد: في بيان خطر النصيرية

النصيرية هي إحدى فرق الباطنية الغلاة ظهرت في القرن الثالث للهجرة انشقت عن فرقة الإمامية الاثني عشرية والنصيريون كغيرهم من أعداء العقيدة الإسلامية الذين يترصبون بالمسلمين الدوائر إذ لم تمر بهم فرصة دون أن يهتبلوها في إيقاع أكبر الأذى بالمسلمين والنصيريون حينما يوقعون الأذى بالمسلمين دون هوادة أو رحمة يعتقدون في نفس الوقت أنهم يثابون على ذلك فكلما أوغل الشخص منهم في إلحاق الأذى بالمسلمين كلما زاد ثوابه حسب اعتقادهم وهذا ظاهر في غلظتهم ومعاملتهم للمسلمين وأقرب مثال على مواقف النصيريين في العصر الحاضر ما يجري في أماكن المسلمين في سوريا ولبنان من تقتيلهم الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ثم وقوفهم كذلك في صف المارونيين والحميين ولقد هيا هؤلاء للتتار قديما وللصليبيين الفرص لذبح المسلمين وإنزال أفدح المصائب بهم مما لم يسمع بمثله باعتراف كتاب النصيريه أنفسهم وما من فتنة تثور ضد المسلمين من أهل السنة إلا وهؤلاء النصيريون في خندق واحد مع عدو المسلمين ضد المسلمين وكم ذهبت من أنفس واستبيحت من أعراض بسبب دسائس النصيرية وتآمرهم في وقائع تقشعر منها الجلود وبينهم وبين اليهود والنصارى مودة وبينهم تشابه في كثير من المعتقدات تجد مصداق هذا وقائع حرب الأيام الستة كما يسمونها فما حصل منهم فيها إنما هو دليل من الأدلة

الكثيرة على مواقف النصيريه تجاه أهل السنة وعدائهم لهم ولأسلافهم الأختيار مثل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من فضلاء الناس بعد الرسول محمد ﷺ ولا يزال القارئ الكريم يذكر ما قدمنا نقله عن علماء السنة وشهاداتهم بما فعله النصيريون والباطنيون عموماً بالمسلمين على مختلف العصور حين تمكنوا من إلحاق الأذى بأهل السنة . وكيف كانوا يتحولون إلى وحوش ضارية لا تدخل الرحمة إلى قلوبهم لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً لقد انطوى هؤلاء على كفر والحاد وخرافات تجعل الإنسان يئس تمام اليأس أن يعود هؤلاء إلى رشدهم وإذا شئت الاطلاع على مصداق هذا فأقرأ كتابهم « الهفت الشريف » بتحقيق علمائهم في هذا العصر الذي يزعمون أنهم تحرروا من كل الخرافات وأنهم أصحاب إنصاف وتحقيق ونورد لك أخي القارئ دليلاً واحداً مما جاء في هذا الكتاب المفضل لديهم حيث قال :

« إن الحسين لما خرج إلى العراق وكان محتجب به وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبريل فيحدثه حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفت الخيول لديه وقام الحرب حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل وقال له يا أخي - انظر الله يقول لجبريل يا أخي - من أنا قال أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت والحي الذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبك والبحار فتسارع إلى طاعتك وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار » إلى أن قال عن جبريل وهو يخاطب عمر بن سعد القائد الأموي الموجه لحرب الحسين قائلاً له : « ويحك تقتل رب العالمين وإله الأولين والآخريين وخالق السموات والأرض وما بينهما فلما سمع عمر بن سعد ذلك أخذ الخوف »^(١) إلى آخر ترهاتهم التي تدل على عمق جهلهم وبدائيتهم ويسب صاحب الهفت عمر رضي الله عنه وينسبه إلى أنه كان في زمن الحسين

(١) الهفت الشريف أقرأ من ص ٩٦ إلى ص ١٠٢ ل ترى العجائب .

في صورة كبش عن طريق التناسخ فدى الله به الحسين من الذبح وذبح هو أي عمر الذي سماه « دلامة » فقال عن الصادق عن المفضل أنه قال له : « يا مفضل إن الكبش الذي فدى به الحسين كان الأدلم أدلم قريش وهو يومئذ شيخ في تركيب كبش ».

ثم زعم أن قرني هذا الكبش معلقين في الكعبة .

« أما رأيت يا مفضل قرنيه في البيت الحرام معلقين قلت نعم يا مولاي قال فذاك القرنان لذلك الكبش الذي فدى به الحسين ثم ضحك الصادق حتى بدت نواجذه قلت يا مولاي ما الذي أضحكك قال يا مفضل إن الناس إذا اجتمعوا بالموسم بمكة المكرمة رغبوا أن ينظروا إلي قرني الكبش تعجباً لأنه من الجنة ونحن نقوم بالنظر إليهما تعجباً أنهما قرنا دلامة فالناس يتعجبون من شيء ونحن نتعجب من شيء خلافة (١) .

وما أدري ما الذي يقصد هذا المجوسي بقرني الكبش المعلقين بالكعبة فما رأينا أي قرن ولا حكي أحد من العلماء أنه رأي هذين القرنين وفي هذا العصر خرجت مرة كتائب الباطنية النصيرية في حماه « وهي تملأ أجواز الفضاء بذلك الهتاف الذي لن تنساه حماه » « هات سلاح وخذ سلاح دين محمد ولي وراح » (٢) وهذه جريدة الثورة أحفاد الوثنية النصيرية تكتب « الله والأنبياء والكتب المقدسة كلها محنطات ينبغي تحويلها إلى متاحف التاريخ » (٣) وذاك النشيد وهذا التصريح وقع حينما اقتحم اليهود الصهاينة المسجد الأقصى وهم يرددون « محمد مات خلف بنات فليسقط الإسلام » (٤) .

(١) الهفت الشريف ص ٩٤ .

(٢) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١١٠ .

(٣) (٤ ، ٣) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١١٠ .

الفصل الثاني

(زعيمهم) وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه

تنسب هذه الطائفة إلى زعيمهم محمد بن نصير النميري وكنيته أبو شعيب، وكان من الشيعة الإثنا عشرية وأصله من فارس ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم علي ثبوت صفة الباب له حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر فلم تفر له الإمامية بذلك فأنفصل عنهم وكون له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة ٢٦٠ هـ وبعضهم يذكر أنه في سنة ٢٧٠ هـ وقد كان فيما يقول علماء الفرق مولى للحسن العسكري - الإمام الحادي عشر للشيعة الإثني عشرية ولقد كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية .

لقد صار ابن نصير داخلاً في قسم كل نصيري ، وهم قسم مملوء بالشرك والاحاد وهو يشير بكلمات موجزة إلى دياناتهم وما فيها من الاعتقادات لا يعرفها إلا من توسع في دراسة هذه الطائفة ووقف علي مخازيهم بمدخلته لهم وهذا القسم هو كما يأتي : « أني وحق العلي الأعلى وما أعتقده في المظهر الأسني وحق النور ما نشأ منه والسحاب وساكنه، وإلا برئت من مولاى علي العلي العظيم وولائى له ومظاهر الحق وكشفت حجاب سلمان بغير إذن وبرئت من دعوة الحجة ابن نصير وخضت مع الخائضين في لعن ابن ملجم وكفرت بالخطاب - أي بالديانة والدعوة - وأذعت السر المصون وأنكرت دعوي أهل الحق وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتي اجثت أصولها وأمنع سبيلها وكنت مع قبايل علي هاويل ومع النمرود علي إبراهيم وهكذا مع كل فرعون قام علي صاحبه إلى أن ألقى العلي العظيم وهو علي ساخط وأبرأ من قول قنبر وأقول أنه بالنار ماتطهر»^(١) وستتضح معاني هذا القسم من خلال دراستنا لهذه الطائفة وحين بنى ابن نصير ديانته على الالتصاق بالحسن العسكري

(١) العلويون أو النصيري ص ٣ . ولعله لإحراقه الذين ألهموا عليا .

وإنه الباب إلى ابنه المزعوم محمد بن الحسن العسكري كان الحسن العسكري شديد التحذير منه شديد السخط عليه حيث كتب إلى أحد أتباعه قائلاً له ومحذراً من أفكار ابن نصير وفجوره :

« إنني أبرء إلى الله من ابن نصير النميري وابن بابا القمي فأبرأ منهما وإنني محذرك وجميع موالي ومخبرك أنني ألعنهما عليهما لعنة الله فتانين مؤذنين أذاهما الله وأرسلهما في اللعنة وأر كسهما في الفتنة »^(١).

والسبب في لعنه إنما كان في دعوي ابن مصير النبوة ودعوي الألوهية لأهل البيت وغير ذلك من المبادئ والاعتقادات الوثنية المجوسية وقد نقل عبد الحسين عن القمي وصفه لابن نصير بأنه كان فاحشاً وشاذاً جنسياً بالتعبير الحديث حيث أجاز اللواط وسائر المحرمات مدعياً أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به إلخ ما وصف به من صفات شنيعة^(٢) لانحج ذكرها هاهنا ولكن في الهفت الشريف نفى هذا تماماً وأنه لا يقع من مؤمن منهم بل يقع على من أبغض علياً فقط كما يرويه المفضل^(٣) الجعفي وقد أجمعت كتب الشيعة على ذكر دعوي ابن نصير أنه الباب ثم النبوه ثم القول بألوهية علي وإباحة المحارم والقول بالتناسخ كما استوعب عبد الحسين الشيعي أخباره في كتابه « العلويون أو النصيرية » نقلاً عن أهم مصادرهم مثل سعد القمي^(٤) والنوبختي^(٥) وأبو عمر الكشي^(٦) وأبو جعفر الطوسي^(٧) والحلي^(٨) والطبرسي^(٩) والدكتور مصطفى الشيباني^(١٠) الشيعي الاثنى عشري .

وبعد ذلك حاول جاهداً البراءة من النصيريه ومن ابن نصير وجميع أفكاره

(١) المصدر السابق ص ٤ .

(٢) العلويون أو النصيرية ص ٢١ نقلاً عن مقالات القمي ص ١٠٠ .

(٣) الهفت الشريف ص ١٤٠ . (٤) المقالات والفرق . (٥) فرق الشيعة .

(٦) رجال الكشي . (٧) رجال الطوسي وكتاب الغيبة . (٨) الرجال .

(٩) الاحتجاج . (١٠) الصلة بين التصوف والتشيع .

ومعتقداته حتى وأن كان له صلة الصحبة بالحسن العسكري ثابتة في كتب الشيعة إلى أن مات الحسن العسكري ثم قيام ابن نصير بدعوى الباب إليه منكرا وكلاء الإمام محمد بن الحسن العسكري^(١).

ويؤكد أحد علماء الشيعة الإثني عشرية وهو محمد رضا شمس الدين الذي زار النصيرية سنة ١٣٧٦ هـ للتعرف علي أحوالهم موفدا من أحد المراجع الدينية في النجف عبد الهادي الشيرازي أن النصيرية لا يزالون إلى اليوم يتمسكون بأفكار زعيمهم محمد بن نصير وذكر أنه حينما زارهم رحبوا به أجمل ترحيب ولكنه لاحظ عدم اكتراثهم بفرائض الدين من صلاة وحج وعدم وجود مساجد في منطقتهم ، كما لاحظ أن فكرة تناسخ الأرواح لا تزال منتشرة بينهم وهم يسمونها تقمص الأرواح^(٢).

ولاشك في صحة شهادة محمد رضا فإنه أعلم بهم « وشهد شاهد من أهلها » فأى إسلام لهم بعد تركهم الصلاة والحج ومحاربة بناء المساجد ثم القول بالتناسخ الذي هو قول المجوس عباد الأوثان . ومع هذا فإن أهل السنة في غفلة تامة عنهم .

(١) يدعي الإثنا عشرية أن محمد بن الحسن العسكري بعد أن اختفى في السرداب كان له أربعة وكلاء بينه وبين الناس وهم عثمان بن سيد العمري ، محمد بن عثمان الخلاني ، الحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري .

(٢) ذكر هذا في كتابه العلويون في سوريا ص ٤٥ نقلا عن كتاب « العلويون أو النصيرية » ص ٤٦ .

الفصل الثالث

أسماء هذه الطائفة والسبب في إطلاقها عليهم

أطلقت على هذه الطائفة أسماء بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ومنها :

١ - النصيرية :

وهو الاسم الذي غلب على غيره من أسمائهم واشتهروا به ومع هذا فإن النصيريين لا يحبون أن يسموا به ويتضايقون منه ومن أسباب كراهيتهم له حسب تعليلاتهم :

١ - أنه أطلق عليهم بسبب العصبية المذهبية وبدافع من العداوة والمذهبية حيث أطلقت هذه التسمية عليهم ذريعة لاضطهادهم كما يزعمون .

٢ - زعموا أن الأتراك حينما كانوا مسيطرين على بلادهم أطلقوا عليهم اسم النصيرية نسبة إلى الجبال التي يسكنونها نكاية بهم واحتكارا لهم حتى جاءت فرنسا واستعمرت بلادهم فأطلقوا عليهم التسمية التي يحبونها والتي سندكرها فيما بعد ولهذا تجد أن النصيرية تدين لفرنسا بالولاء والتقدير حيث أصدر الفرنسيون قرارا يقضي بتسمية جبل النصيريين بأراضي العلويين المستقلة تعميقا لانفصالهم ويوجد تعليل آخر لسبب تسميتهم بالنصيريين : وهو لمستشرق يسمى - ريسو - فقد جعل تسميتهم النصيريين بهذا الاسم لوجود صلة بينه وبين تسمية نصارى أو نصراني ولعل الذي حمله على هذا القول هو ما رآه من المشابهة بين النصيريين والنصارى في كثير من التقاليد والطقوس الدينية ومشاركة النصيريون للنصارى في كثير من أعيادهم وتقديس كل منهم للخمر والوقوف إلى جانب بعضهم البعض في الأوقات الحرجة وما هو حاصل الآن في لبنان أقوى شاهد على هذا إلا أن هذا القول وإن صدق في وجود التشابه إلا أن الأقرب إلى الصواب ، أن هذه التسمية إنما أخذت من اسم مؤسس طائفتهم أبو

شعيب محمد بن نصير البصري النميري^(١)، ولقد ذكر عبد الحسين تعليلاً آخر إضافة إلى ما تقدم وهو أن تسميتهم بالنصيرية قد علق بها تاريخياً ذم وتشنيع وتكفير ولهذا فهم يريدون أن يسدل عليها الستار^(٢).

وما ذكره « ريسو » في سبب تسميتهم بالنصيرية يؤيده ما ذكره أيضاً عنهم الدكتور حسن إبراهيم حسن بقوله :

« وثمة تفسير آخر لا يزال مألوفاً عند السنيين الذين يجاورونهم وهو أن لاسمهم صلة بلفظ نصراني أو نصاري ومما يركي هذا التفسير أن النصيرية لا يزالون بما يمارسون بعض طقوس النصاري كالاحتفال ببعض الأعياد النصرانية مثل عيد الميلاد وعيد الفصح ويعتبرونها من الأعياد الكبرى كما أن بعضهم يحمل أسماء نصرانية مثل متى ويوحنا وهيلانه ، وبالإضافة إلى المبادئ التي اقتبسها النصيرية من النصرانية فإن ديانتهم تحتفظ بقسط وافر من الأسرار وما تزال تحتفظ بمعالم واضحة تنبئ عن معتقداتهم التي هي مزيج من عناصر غير متجانسة تماماً تقوم على أساس نظام ديني يتصل بعبادة النجوم والكواكب وقد اقتبست هذه التعاليم في القرون الأولى للعصر المسيحي بعض المبادئ الروحية عند المسيحيين ويقوم نظام النصيرية على التجسد ويدور حول هذه الأسماء الثلاثة التي تكون التثليث الشبيه بتثليث النصاري ويتمتع هؤلاء بالوحدانية والخلود وهذه الأسماء الثلاثة التي يرمزون إليها في قائمة مذهبهم هي التي تكون تثليثاً شبيهاً بالتثليث الكائن في النصرانية ويرمز إلى هذا التثليث عند النصيرية بحروف (ع.م.س) ويقولون أن الله حل في ثلاثة هم علي ويرمزون إليه بالمعنى ومحمد ويرمزون إليه بالاسم. وسلمان الفارسي ويرمزون إليه بالباب^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن النصيريين وهم يكرهون إطلاق هذه التسمية عليهم

(١) طائفة النصيرية ص ٢٣ - ٢٤ . (٢) العلويون ص ٨ .

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٢٦٥/٤، ٢٦٧ انظر «العلويون ص ٥٤، ٥٥.

إلا أنك تجد أن بعض علمائهم المتأخرين حينما رأى أن الناس لم يتركوا إطلاق هذه التسمية عليهم أحب فيما يبدو أن يجعل أصلاً مقبولاً لإطلاق تسمية النصيرين عليهم ومن ذلك ما ذكره النصيري محمد أمين غالب الطويل في تعليقه لسبب إطلاق كلمة النصيرية عليهم فهو يرى أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حينما كان يقاتل في الشام طلب المدد فأتاه من العراق خالد بن الوليد ومن مصر عمرو بن العاص وأتاه من المدينة جماعة من العلويين وهم ممن حضروا بيعة غدیر خم وهم من الأنصار وعددهم يزيد عن ٤٥٠ مجاهداً ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً فسميت هذه القوة نصيرة «ثم سلمت لهم - بحكم قواعد الجهاد في تمليك الأراضي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه - فسلمت لهم الأراضي التي امتلكوها وهو جبل النصيرة ، - وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية المعروفة الآن ثم أصبح هذا الاسم علماً خاصاً لكل جبل العلويين من جبال لبنان إلى الأنطاكية^(١) .

وهذا التعليل غير سديد لأمر من أهمها - كما يبدو - لي - أن إطلاق هذه التسمية لم تعرف في عصر عمر رضي الله عنه ثم ما كان المسلمون لينظروا إلى هذه الطائفة التي جاءت من المدينة وينسبوا النصر إليهم ثم كيف تناسوا جهود بقية الجيش ثم وكيف تطيب نفوس الصحابة بترك الجهاد وتسلق جبال النصيرية يمتلكوها . أضف إلى هذا أنه ما كان في عهد الخلفاء الراشدين من يسمون بالعلويين كحزب ، وإنما نشأ الخوارج ، والشيعنة في عهد علي رضي الله عنه وبدأ التحزب في أواخر عهد علي رضي الله عنه .

وما زعمه بأنهم كلهم حضروا غدیر خم يقال له أن الصحابة ما كانوا ينظرون إلى من حضر غدیر خم إلا كما ينظرون إلى سائر المسلمين فلم تعرف لهم مزية في زمن الخلفاء جميعهم ابتداءً بأبي بكر وانتهاءً بعلي رضي الله عنهم . ويقال لهم أيضاً إنكم تكذبون بهذا القول بقية أسلافكم الشيعة الذين يحكمون

(١) طائفة النصيرية ص ٣٥ .

على كل من حضر غد يرخم بالردة إلا عددا قليلا استثوهم حيث نشأ كفر أولئك من تركهم بيعة علي بالخلافة بعد ترشيح النبي ﷺ له حسب معتقدهم.

٢ - ومن أسمائهم المحبوبة عندهم « العلويون » .

وهم يحبون هذا الاسم ويتمنون أن يطلقه الناس عليهم وينسوا ما عداه من أسمائهم وقد ذكر بعض العلماء أن هذه التسمية أخذت من عبادة هؤلاء لعلي رضي الله عنه وتأليههم له وعلي برئ من إلحادهم مثل براءة جعفر بن محمد من مذهب الجعفرية .

ويقول عبد الحسين عن اريتاحهم لهذه التسمية وقد ارتاحوا لها لأنها في الأقل تخلصهم مما علق تاريخيا باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير كما أنها تفتح لهم آفاقا أرحب للتقارب مع الشيعة إلى أن يقول «ولا شك في أن الانتساب إلى الإمام علي أي نحو كان أفضل من الانتساب إلى ابن نصير»^(١).

٣ - وقد أطلق عليهم الأتراك اسم « سوره ك » .

وبمرور الزمن صار الناس يلفظونها «سوراك» ومعناها عند الأتراك المنفيين أو المساقين ويوجد إلى هذه الأيام - كما يذكر الحلبي - بعض النصيريين في حلب وفي أقضية صهيون وال - العمرانية وصافيتا يسمون بهذا الاسم^(٢)..

وقد سألت كثيرا من الأتراك عن هذا المفهوم « لسوراك » فلم يعرفوه ولعلها لغة قديمة للأتراك ثم تركت .

٤ - ويطلق عليهم اسم (النميرية) .

نسبة إلى محمد بن نصير النميري ولهم أسماء أخرى محلية مثل «التختجية» «الخطابون» في غربي الأناضول والعلي إلهيه في فارس وتركستان وكردستان^(٣).

(٢) تاريخ العلويين ص ٣٤٢ « طائفة النصيرية ص ٣٥ » .

(١) العلويون ص ٣٢ .

(٣) العلويون ص ٣١ .

الفصل الرابع

نشأة النصيرية

تركت وفاة الحسن العسكري - الإمام الحادي عشر للإثنى عشرية - دون عقب كما قدمنا أثرا ظاهرا وخلافا حادا بين الشيعة فقد اختلفوا إلى ١٤ فرقة تقريبا بين مؤيد للقول بوجود ابن للحسن العسكري يسمى محمدا. وناق لوجوده أصلا، ولما كان الزمان لا يخلو من وجود إمام معصوم يتولي تصريف شئون الناس، وإلا لتعطلت الحياة بزعمهم وكان هذا الإمام غير ظاهر فأوجدوا في أذهانهم فكرة « الباب » إليه والباب شخص مخلص لآل البيت يكون حلقة الاتصال بين الناس وبين الإمام المستور ويستدلون على هذه البايه الخرافيه بما يزعمون من روايات عن الرسول ﷺ: « من طلب العلم فعليه بالباب » أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن هنا وضعوا قائمة بالأبواب أولهم علي بن أبي طالب وهو باب للرسول ﷺ، وسلمان الفارسي وهو باب لعلي وهكذا إلى الإمام الحادي عشر - الحسن العسكري - ثم اختلفت كلمتهم فادعي النصيريون أن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري لم يكن له باب بل استمر الباب للإمام الحادي عشر - الحسن العسكري - أبو شعيب محمد بن نصير ومن هنا وقع الخلاف بين النصيريه والإماميه الإثنا عشرية مما أدى إلى انفصاله وفرقة عن الإثنى عشرية كما تقدم بيان ذلك .

ولقد أصبح مذهبه فيما بعد من أعمق المذاهب في الوثنية والغلو في البشر قال عنه عبد الحسين العسكري : « وقال ابن نصير بر بوبية أبي الحسن العسكري وزعم أنه نبي ورسول بعثه أبو الحسن » (١).

وبعد وفاة ابن نصير تناوب على زعامة النصيرية عدة أشخاص أثروا

(١) العلويون ص ١٥ وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨ .

المذهب النصيري بأفكارهم وتنوع المعتقدات وتعدد الطرق والآراء كان من أبرزهم أبو محمد الجنبلاني وتلميذه الحسين بن حمدان الخصبي ومحمد بن علي الحلبي وعلي الجسري والميمون ابن سرور بن قاسم الطبراني وحسن المكزون السنجاري وهو آخر مظهر لقوة النصيرية قال د . سليمان الحلبي عن الحال النصيرية بعد وفاته :

« وبعد وفاة حسن المكزون تفرق النصيريون إلى عدة مراكز دينية غير مرتبطة ببعضها البعض يتبوأ كل منها مرجع ديني يطلقون عليه لقب الشيخ، واستقل كل شيخ برئاسة مركز صغير إلى أن استطاعوا بالأمس القريب وفي غفلة المسلمين « غفاة البشر » في سوريا وغيرها من السيطرة علي نظام الحكم في سوريا فعادت لهم سطوتهم وقوتهم مرة أخرى يتحكمون بها في رقاب المسلمين»^(١).

ولكنهم في هذا الظهور الجديد اتخذوا لهم أسماء براقعة خادعة مثل حزب البعث الاثتراكي «ودعوى التقدمية والتحرر وما إلى ذلك وهم إنما غيروا الاسم لإبعاد الأنظار عن حقيقتهم قدر الإمكان ولجلب الساقطين إلى صفوفهم.

(١) طائفة النصيرية ص ٤٢ .

الفصل الخامس

تكتّم النصيرية على عقائدهم

يعتبر النصيريون ديانتهم ومذهبهم سرا من الأسرار العميقة التي لا يجوز إفشاؤها لسواهم وقرروا أن الذي يفشي شيئا منها يكون جزاؤه القتل في أسوأ صورة له لأنه أفشى سر العلي الأعلى ، ومن أمثلة ذلك أن سليمان الأضني وهو من أبناء مشايخ النصيرية من ولاية أضنه تنصر بتأثير بعض المنصرين الأمريكيين وجاء إلى اللاذقية ، وكتب كتابا سماه « الباكورة السليمانية وكشف فيه الكثير من أسرار العقيدة النصيرية ، وطبع المنصرون الأمريكيون الكتاب في بيروت سنة ١٨٦٣ وبعد أن قام باللاذقية مدة أخذ أقاربه يرأسونه ويحبون إليه العودة إليهم مستعملين في ذلك كل وسائل التودد والمجاملة حتى أمن جانبهم وعاد إلى وطنه الأصلي فكان جزاؤه أن أحرقوه حيا ثم حاول النصيريون بكل جهد وعزم على احتواء الكتاب حتى اختفى تدريجيا ولا توجد منه الآن نسخة واحدة^(١)، وهكذا فإنهم يترصدون لكل من يذكر عنهم شيئا أو يشير إلى عقائدهم الخبيثة التي تنضح شركا ووثنية ولا يملكون من وسائل الدفاع والرد غير التصفية الجسدية لعلمهم بأن مذهبهم عورات لا تحتمل النقاش وعرض الأدلة فهي أفتنة واهية سرعان ما يظهر وراءها وينكشف ومن هنا فإنهم ليسوا على استعداد لأي بحث ومناظرة.

وقد كتب محمد فريد وجدي خلاصة عن ماجاء في كتاب الباكورة السليمانية هي :

١ - أن النصيرية علويون يعتقدون بألوهية الإمام علي والشمالية منهم يقولون إنه حال في القمر . والكلازية يذهبون إلى أنه حال في الشمس ولهذا فهم يقدسون الشمس والقمر وسائر النجوم .

(١) دائرة معارف القرن العشرين : ١٠/٢٤٩ ، ٢٥٠ ، نقلا عن « العلويون ص ٦٣ » .

٢ - ويعتقدون بتناسخ الأرواح . فالأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم ولهذا يسمون عليا أمير النحل أي أمير النجوم والأرواح الشريرة تحل في أجسام الحيوانات التي هي في نظرهم نجسة كالخنازير والقروذ وبنات أوي .

٣ - أن كلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي : ع . م . س أي علي ، محمد سلمان .

٤ - أن للنصيرية كتابا مقدسا يعتمدونه ويرجعون إليه وهو غير القرآن ولا يحتل القرآن عندهم إلا مكانا ثانويا .

٥ - العقائد النصيرية غير متجانسة وثنية قديمة وإسلامية متطرفة ^(١) .

و حين تزعم النصيري علي عيد التنظيم النصيري في طرابلس فأشار إلى هذا صاحب مجلة الحوادث اللبنانية فقتل بمؤامرة هؤلاء ^(٢) وأمثلة أخرى كثيرة تدل علي أن هؤلاء ليسوا علي يقين من صلاحية ديانتهم وصفائها وأنهم يعلمون أنها قامت على شفا جرف هار مملوءة بالخداع والتضليل وتبيت النية السيئة لغيرهم من البشر فأن من كانت نيته طيبة ومبادئه سليمة لا يتخوف أحد أن يطلع عليها بل يفرح بكثرة المطلعين كما هو الحال عند أهل السنة والجماعة الذين يتمنون لو أن أهل الأرض كلهم يدرسون مبادئهم ويطلعون عليها بل إنهم بالعكس يشعرون دائما بالمرارة من محاربة علماء السوء والزعماء الضلال لأفكارهم التي هي تبع لأوامر الله ونواهيه في كتابه الكريم وسبب تلك العداوة من قبل أولئك الضلال المنتفعون أنهم يعلمون تماما أن العقيدة الصحيحة حينما تصل إلى قلوب أتباعهم تحول فورا بينهم وبين الخضوع والسجود لأولئك الطغاة . ومن هنا كانت السرية هي أهم ما يطلب به الداخِل في ملتهم -

وقد جاء في الهفت الشريف من الخت على لزوم الكتمان ما رواه اللقضل

(١) دائرة معارف القرن العشرين ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ج ١٠ نقلا عن العلويين ص : ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ١٠ / ٢٥٠ نقلا عن طائفة النصيرية ص ٤٣ .

الجعفي عن رجل انتهى من تكرار التناسخ أنه قال له «وأوصيك يا أخي، ونفسي بكتمان سر الله تعالى وباطني مكنونة إلا من إخوانك الموحدين المقربين بمعرفة العلي الأعلى ثم غاب عني فقال الصادق لقد أتاني في هذا الأسبوع ثلاث مرات فسلم علي وأنا فيكم ولا تعرفونهم»^(١).

وقال الصادق للمفضل كما يرويه صاحب الهفت «يامفضل لقد أعطيت فضلاً كثيراً وتعلمت علماً باطناً فعليك بكتمان سر الله ولا تطلع عليه إلا ولياً مخلصاً فإن فشيتته إلى أعدائنا فقد أعنت على قتل نفسك»^(٢).

ويسمى صاحب «الهفت» المسلمين كلهم بأنهم أنجاس ورعاع إلا من دخل في ضلالاته وذلك في قوله: «وأن هذا العلم يامفضل سر الله ومكنون خزائنه الذي لم يطلع عليه أحد من عباده إلا الأولياء المختصون وواجب سبحانه وتعالى أن لا يتطلع (هكذا) على هذا العلم الرعاع الأنجاس ثم قرأ (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يدي ومن خلفه صدا» إلخ^(٣).

(٢) ص ١٠٢

(١) الهفت الشريف ص ٥٤ .

(٣) ص ١٣٤ .

الفصل السادس طريقتهم في تعليم مذهبهم

تعليم المرأة :

المرأة النصيرية إلا من خرجت عن تعاليمهم تعتبر من أجهل نساء العالم إذ إن التعاليم النصيرية تقضي بعدم جواز اطلاع المرأة على أي سر من أسرار المذهب لأنها في نظرهم ضعيفة العقل والإرادة ولأنها أكثر شرا من الرجل وأكثر احتيالا ومكرا وهن سبب كل شر كما صرح بذلك الهفت الشريف المقدس عندهم .

فالمرأة النصيرية إذا لا دين لها^(١) وفي كتابهم المذكور وصايا عديدة حول الاحتراس من المرأة ، وذكر المساوي الكثيرة التي تصدر عنها وأن الرجل قد يجازي أيضا في التناسخ بأن يتحول إلى صورة امرأة عقابا له إذا كان في حياته السابقة غير مؤمن - أي غير نصيري - أو كانت عليه ذنوب كثيرة في حق إخوانه النصيريين أولم يحترم المشائخ ويقدم لهم الهدايا وأنواع المأكولات^(٢).

وقد ذكر المفضل الجعفي عن الصادق - وهو من جملة أكاذيبهم عليه أنه قال في وجوب الحفاظ على سرية المذهب. «كذلك الكافرين ينحطون من درجة الرجال حتى يصيرون عامة نساء كافات» قال المفضل يامولاي روي عن أبيك أنه قال النساء أشسر من الرجال وأكثر احتيالا ومكرا ، قال الصادق يامفضل إن أصل كل شر النساء وحين أخرج أبونا آدم من الجنة^(٣) كان بسبب حواء حين أغواه ضده على أكل الحبة وكذلك قتل قابيل أخاه هايبيل بسبب النساء ألم تسمع

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين مادة نصر وانظر العلويون ص ٥٧، وطائفة البصيرية ص ٤٣ .

(٢) انظر الجيل التالي ص ٩ .

(٣) يعتقد هؤلاء أن آدم قبله سبعة أوادم كل آدم مثل أمة وانتهى حتي جاء أبونا آدم الجديد وهو الثامن كما يذكر الهفت الشريف انظر الباب ٦٠ و ٦١ ص ١٥٠ / ١٥٣ .

كلام الله في كتابه الكريم عن امرأة نوح ولوط وكيف خانتاهما^(١) وكذلك قتل يحيى بن زكريا بسبب امرأة باغية وقد قال النبي وأبلغ في القول وازجر في المعنى حين نظر في النار فرأى أكثر أهلها نساء . ثم قال الصادق كيف لا يكون ذلك وهم^(٢) عايلة وأقوى كيدا من الرجال وقال تعالى وقال منه السلام^(٣) والشياطين من لإمرأة ، وأن الإنسان إذا ارتقى في كفره وعتوه وتمرده وتناهى في ذلك صار إبليساً ورد في صورة امرأة قلت سبحان الله يامولاي ما علمت ذلك ولا ظننت أنه يبكيني قال الصادق ألم تقرأ في القرآن قوله تعالى ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ وقال ﴿ إِنَّ كَيْدَ كُنْ عَظِيمًا ﴾ إذ هم صور النساء قلت صدق مولاي^(٣) .

ومن هذه النظرة المتشائمة للنساء فإنه لا أمل في صلاحها ويجب إبعادها عن كل أمر مهم ومنه سر الديانة . أما في الإسلام فلا أحد يجهل مكانة المرأة العالية حيث جعلها راعية ومسؤلة وأن الله لا يضيع عمل عامل سواء كان ذكراً أو أنثى وأن المرأة مكلفه بنفس التكليف التي أمر بها الرجل إلا ما استثني لضرورة المرأة وجعل لها حق التملك وطلب منها إخراج زكاة مالها ورغبتها في الصدقة وفعل الخير بل وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات وأوصى الله بطاعتها وقرنها بطاعته إلى غير ذلك مما هو معروف في الإسلام مما ينبغي أن يطأطئ له دعاة تحرير المرأة رؤسهم حياء وإكباراً له وإجلالاً لمبادئه التي يجهلون بها تمام الجهل ثم يتهمون عليه بأنه ظلم المرأة حقوقها وما لهؤلاء السفهاء وللخوض في مالم يحيطوا بعلمه فليقرأوه أولاً وليقرأوا كلام العقلاء من منصفين سائر الملل ليروا أنفسهم المتطاولة وصغرها أمامه .

(١) أي في الدين إذ كانتا كافرتين ولم تكن خيانية في العرض قال ابن عباس رضي الله عنهما

« ما بغت امرأة نبي قط » أيسر التفاسير : ٣٨٩/٥ ، ٣٩١ .

(٢) الهفت الشريف ص ١٤٤ .

(٣) هكذا بالأصل .

تعليم الرجل سر الديانة

وبعد أن أوجزنا موقف النصيرية من تدين المرأة نوجز فيما يلي كذلك موقفهم من تدين الرجل أو تعليمه للدين النصيري حين يظهر وانه عليه بعد ذلك التكتم الشديد. ولما كانت العقيدة النصيرية من أردء المذاهب وأشدّها توغلا في الباطل ولم يأنسوا من إظهار مذهبهم صراحة حتى من بعضهم لبعض إلا بعد تعقيدات واختبارات شديدة يذلل من خلالها ويتجرع أشد أنواع الإذلال والإهانة.

إذ يتم دخوله في المذهب بطريقة فاحشة يتم من خلالها القضاء علي كل عرق ينبض بالرجولة والشهامة فيه وتداس كرامته وينتهك عرضه .

فحينما يحضر التلميذ يختار الشيخ الذي سيلازمه من بين مجموعة المشايخ الموجودين ويسمونه الوالد الروحي أو الوالد الديني ثم يغرسون في نفس التلميذ تقديس شيخه والتواضع له تواضعا مطلقا أشبه ما يكون بالقاعدة الصوفية « كالميت بين يدي الغاسل » ومن الطرق التي يتوسلون بها إلى إذلال الشخص .

أنه حينما يدخل يقف في ناحية وهو ساكت لا يتكلم بشيء وأحذية المشايخ مرفوعة فوق رأسه . ثم يتكلم شيخه لبقية المشايخ ويتوسل إليهم أن يقبلوا هذا الشخص المائل أمامهم ويدخلون في زمرةهم فإذا قبله المشايخ أنزلت الأحذية من فوق رأسه ثم يأخذ في تقبيل أيدي وأرجل الحاضرين من المشايخ ثم يقف في مكانه ويوضع علي رأسه خرقة بيضاء ثم يأخذ الشيخ في قراءة العقد الذي سيتم بين التلميذ وبين المشايخ وهو أشبه ما يكون بعقد الزواج ويعتبرون هذا بمثابة الخطبة ويعتبرون الكلام الذي يسمعه بمثابة النكاح وما يتحملة من العلم عنهم بمثابة الحمل فإذا علم وأراد التعليم فإن ذلك يكون بمثابة الوضع وبعد أن تتم هذه المرحلة يقال للتلميذ يجب عليك أن تكرر في اليوم خمسمائة مرة بحق ع . م . س لمدة يحددونها ثم بعد ذلك يأتي إليهم ليتم تعليمه

المذهب بعد اختبارات قاسية يرضي فيها بكل شيء حتى ولو ياهدأ رجولته^(١).

وفيما يلي نشير إلى أهم الشروط في تعليم المذهب النصيري :

١ - يشترطون في من يلقي إليه تعليم المذهب أن يجتاز سن التاسعة عشر^(٢).

٢ - أن يمر بالمراحل الآتية على التدرج :

أ- المرحلة الأولى : وتسمى مرحلة الجهل . وفيها يهيئون من يقع عليه الاختيار من أبناء الطائفة لقبول وحمل أسرار المذهب .

ب - مرحلة التعليق : وفي هذه المرحلة يلقنونه شيئا من تعاليم المذهب ويقي مدة سنة إلى سنتين تحت إشراف شيخ من شيوخ الطائفة ليطلع عليه على شيء من أسرار المذهب بالتدرج فإذا توسموا فيه القبول والنجابة نقلوه إلى المرحلة الثالثة الآتية وإلا طردوه .

ج - مرحلة السماع : وهي الدرجة العليا ويطلعونه فيها على أكثر أصول المذهب النصيري ثم يعقد الرؤساء الروحيون للطائفة مجمعا خاصا لتلقيه بقية أسرار المذهب ثم ينقلونه إلى درجة أعلى يطلقون عليه درجة الشيخ أو صاحب العهد .

ويتم ذلك بحضور الكفلاء والشهود يشهدون باستعداد الرجل لقبول السر ومحافظته عليه ثم يحلف اليمين المقررة عندهم أن يحافظ على السر ولو أريق دمه . وبعد حصوله على هذه الدرجة يصبح شيخا من شيوخ الطائفة^(٣).

ومما يجدر التنبيه إليه أن التلميذ دائما وهو بين أيدي المشايخ لا يلقي إليه شيء من تعاليم المذهب الملتوية إلا في غياب عقله وتفكيره عنه ليقتبل تلك

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢) العلويون أو التصيريه ص ٥٧ نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين مادة « نصر » .

(٣) طائفة النصيرية ص ٤٥-٤٦ وانظر العلويون ص ٥٧ نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين « مادة

نصر » .

العقائد التي تشمئز منها النفس ويمجها العقل وتأنف منها الفطرة السليمة فعبد
النور تسمية الخمر عندهم في يد الساقبي وهالة من الموقف وتهديدات من هنا
ومن هناك وكل هذه الأهوال يعيشها الشخص حتى تستكمل إجراءات تفهيمه
المذهب في جو غير طبيعي :

وقد وصف أحد الداخلين في العقيدة النصيرية الموقف والحال المتبع عند
دخول الشخص الذي يرتضونه لتحمل سر الديانة واسمه مخلوف فقال مخبرا
عن ذلك كما يصوغه محمد حسين «وفي اليوم المحدد اجتمع من المشائخ وأهل
القرية والقرى المجاورة جمهور كثير واستدعوني إليهم وناولوني قدح خمر^(١) ثم
وقف أحد المشائخ وهو برتبة النقيب في الديانة النصيرية وقف بجانبي وقال لي:
قل بسر إحسانك ياعمي وسيدي وتاج رأسي أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسي
«ولم أجد بدا من شرب الخمر لأول مرة في حياتي فلما شربت الكأس التفت
إلى الإمام قائلا هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراما
لسيدك فقلت كلا بل حذاء سيدي فقط فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون
ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيد المذكور فكشفوا رأسي ووضعوه عليه وجعلوا
على الحذاء خرقة بيضاء ، ثم أخذ النقيب يصلي على رأسي وأوصوني بالكتمان
وانصرفوا» إلى أن يقول ثم بعد أربعين يوما اجتمع جمهور آخر واستدعوني
إليهم ووقف الشيخ الكبير بجانبي ويده كأس خمر فسقاني الكأس وأمرني بأن
أقول سر ع.م.س. ثم بعد ذلك قال لي الإمام إنه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة
وهي سر ع.م.س كل يوم خمسمائة مرة ثم أوصوني بالكتمان وانصرفوا.

ثم بعد سبعة أشهر « والمدة للعامة تسعة أشهر » اجتمع جمهور^(٢) آخر أيضا

(١) من ضروريات تعليم الدين النصيري أن يكون الداخل تحت تأثير الخمر في حالة تعلمه للدين
فاعجب من هذا الدين الذي يبدأ بالخمر وإهانة كرامة الإنسان .

(٢) من الضروري أن هذا الجمهور كلهم ممن مرت عليهم هذه الطقوس السخيفة ولا أظن أن تكون
الدعوة عامة لشدة تكتهم علي ديانتهم .

واستدعوني حسب عادتهم وأوقفوني بعيدا عنهم - ثم قام هؤلاء بمهازل أمامه وطقوس ثم قام وكييل وقال للإمام « نعم نعم نعم ياسيدي الإمام فقال له الإمام ما مرادك وماذا تريد؟ فأجابه أنه تراءي لي شخص بالطريق - إلى أن قال هذا الشخص اسمه مخلوف وقد أتى ليتأدب أمامكم فقال من دله علينا فأجاب: المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم وهي لفظة ع.م.س فقال الإمام أتت به لنراه فأخذ المرشد بيدي وذهب بي إلى الإمام فلما دنوت منه مد لي رجلية فقبلتهما ويديه أيضا وقال لي ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام ثم نهض النقيب ووقف بجانبني وعلمني أن أقول « بسر الذي أنتم فيه يامعاشر المؤمنين » ثم نظر إلى بعبوسة وقال ما الذي حملك أن تطلب منا السر المكمل بالؤلؤلؤ والدر ولم يحمله إلا كل ملاك مقرب أو نبي مرسل؟ اعلم يا ولدي أن الملائكة كثيرون ولا يحمل هذا السر إلا المقربون والأنبياء كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السر إلا الممتحنون أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم؟ فقلت له نعم فقال لي أريد منك مائة كفيل فقال الحاضرون القانون ياسيدنا الإمام فقال إكراما لكم ليكن اثنا عشر كفيلا ثم قام المرشد الثاني وقبل أيدي الاثني عشر كفيلا وأنا أيضا قبلت أيديهم ثم نهض الكفلاء وقالوا نعم نعم ياسيدي الإمام فقال الإمام ما حاجتكم أيها الشرفاء قالوا أتينا لنكفل مخلوقا فقال إذا باح بهذا السر أتأتوني به نقطعه تقطيعا ونشرب دمه؟ فقالوا نعم فأجاب وقال لست أكتفي بكفالتكم فقط بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم فجرى واحد من الكفلاء وأنا وراءه وقبل أيدي الكفيلين المطلوبين وقبلتهما أنا أيضا ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة على صدريهما، فالتفت إليهما الإمام وقال: الله ممسيكما بالخير أيها الكفيلان الاعتبار الطاهران أهل البرش والكرش فماذا تريدان فأجابا أننا قد أتينا لنكفل الاثني عشر كفيلا وهذا الشخص أيضا فقال إذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوات أو باح بهذا السر هل تأتياني به لتعدم حياته ، فقالا نعم قال الإمام أن الكفلاء يفنون و كفلاء الكفلاء يفنون وأنا أريد منه شيئا لا يفني. فقالا له افعل

ما شئت فالتفت إلى وقال : ادن يامخلوف فدنوت منه وحينئذ استحلقتني بجميع
الأجرام السماوية بأني لا أبوح بهذا السر ثم ناولني كتاب المجموع في يدي
اليمنى وعلمني التقيب الواقف بجانبني أن أقول تفضل حلفتني ياسيدي الإمام
على هذا السر العظيم وأنت برئ من خطيئتي فأخذ كتاب المجموع مني وهو
مكتوب بالخط اليدوي .. إلى أن يقول ثم قال الإمام اعلم يا ولدي أن الأرض لا
تقبلك فيها مدفونا أن أبحث بهذا السر ولا تعود تدخل القمصان البشرية بل حين
وفاتك تدخل قمصان المسوخية وليس لك منها نجاة أبدا .

ثم أجلسوني بينهم وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاء ثم إن الكفلاء
وضعوا أيديهم على رأسي وأخذوا يصلون فقرأوا أولا سورة الفتح والسجود
والعين ثم شربوا الخمر وقرأوا سورة السلام ورفعوا أيديهم عن رأسي (١).

وأخذني عم الدخول وسلمني إلى مرشدي الأول ثم أخذ بيده كأس خمر
وسقاني وعلمني أن أقول « بسر الله - يسمي الله على شرب الخمر - وبالله وسر
السيد أبي عبد الله العارف بمعرفة الله سر تذكار والصالح سره أسعده الله » .

ثم انصرفت الجماعة وأخذني الشيخ صالح الجبلي شيخ الخياطين إلى بيته
وابتدأ يعلمني أولا التبري وهو الشتائم وحينئذ أطلعني على صلاة النصيرية وفيها
عبادة على بن أبي طالب وهي ست عشرة سورة (٢).

وقد دعاني ترابط الكلام إلى سرد ماجري لمخلوف مع محاولتي الاختصار
وترك ذكر بعض الأمور خصوصا وأن الخبر كشاهد عيان كما يقال في المثل
ومن الواضح جدا أن القائمين على تعليم المذهب مجموعة أو شركة من

(١) انظر الجيل التالي من ص ٣٩ إلى ص ٤٧ .

(٢) هي مجموعة من الأدعية والكلام الركيك أكثره في مناجاة أمير النحل - يقصدون علي بن أبي
طالب رضي الله عنه - وبرأه الله منهم - مملوءة بالشرك واطهار ربوبية علي وأنه الله رب العالمين
خالق السموات والأرضين لا تريد التطويل بذكرها هنا اقرأها في كتاب الجيل التالي .

للصوص سراق عقول البشر همهم الزعامة وجمع الأموال بأي وجه كان
ووجدوا في أشباه البشر من يصدقهم في ترهاتهم وأباطيلهم التي تبدأ بترداد
ع.م.س وتنتهي بعبادة غير الله عز وجل إنها مهازل يندى لها الجبين قام بها عتاة
المجوسية عباد الأوثان واقتطعوا أمما بتلك المسالك الشيطانية وأخرجوهم عن
دينهم.

الفصل السابع

أهم عقائد النصيرية

للنصيرية عقائد كثيرة بعضها ظاهر وبعضها - وهو الأكثر - لا يزال في طي الكتمان وقد اتضح أن أهم عقائدهم وأبرزها :

١ - تأليه علي رضي الله عنه، ولا تستبعد وقوع هذا فإن هؤلاء من أساسهم كانوا عباد أوثان وعباد بقرة، وفروج، وبعد أن دخلوا في الإسلام أو على الأصح تظاهروا به كان من أبرز عقائدهم . تأليه الإمام علي رضي الله عنه زاعمين أنه أمام في الظاهر وإله في الباطن لم يلد ولم يولد ، ولم يمت ولم يقتل ولا يأكل ولا يشرب ، وبحسب اعتقادهم أن الله تجلى في علي فقد اتخذ علي محمدا وبالغوا في كفرهم فقالوا إن عليا خلق محمدا ومحمد خلق سلمان الفارسي وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم :

١ - المقباد : رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق ، والزلازل .

٢ - أبو الدر : (أبو ذر الغفاري) الموكل بدوران الكواكب ، والنجوم .

٣ - عبد الله بن رواح : الأنصاري الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

٤ - عثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان .

٥ - قنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام^(١) .

والجوسية ظاهرة في هذه الأفكار لم يتغير فيها إلا الأسماء فقط .

وهذه الأقوال يكفي واحد منها لدحض ما يزعمونه من إسلام فهي نهاية الكفر والخروج عن منهج الله عز وجل . ويحتج النصيريون لهذه العقيدة بقولهم أن الله معبود مقدس يحل في الأجسام متى يشاء وله التصرف وإليه ترجع الأمور .

(١) انظر طائفة النصيرية ص ٤٧ وانظر الجليل التالي ص ١١٣ .

وعلي رضي الله عنه وحاشاه عن كفرهم حين زعموا أنه إمام في الظاهر وإله في الباطن قسموا طبيعته إلى قسمين : الظاهر وهو القسم البشري منه « قسم الناسوت الذي يأكل ويشرب ويلد ويولد ويتقرب إلى عباده ليعرفون عن كسب .

وأما الباطن منه فهو قسم اللاهوت : الذي لا يأكل ولا يشرب ومن حماقتهم أنهم يستدلون على ألوهية علي بما حصل له من كرامات كقلع باب خيبر وشجاعته الحربية وزعموا أنه كان يكلم الجن وأن الرسول ﷺ أسند إليه قتال الكفار الظاهرين وعلي أسند إليه قتال المنافقين لأنه يعرف البواطن .

١ - وقد اختلفوا في مكان حلوله بعد أن ترك ثوبه الأدمي أي صورته البشرية فمنهم من يتجه إلى القمر في عبادته لاعتقاد أنه حل فيه بل القمر نفسه هو علي - وهؤلاء يسمون الشمالية .

٢ - ومنهم من يتجه إلى الشمس في عبادته لاعتقادهم أنه حل فيها ، بل الشمس نفسها هي علي وهؤلاء يسمون الكلازية^(١)، ومن هنا قال مدير مدرسة نصيري حينما سمع بوصول أميركا إلى سطح القمر ، بزعمهم أن كان ما ذكره حقا أن القمر مكون من جمادات فعلى الدين السلام وغضب لربه وقال في ذمه لهذه الكشوفات عن القمر «الآن ينتهي مفعول الدين إذا أثبتت هذه الكشوف كونه مجموعة من التلفيقات»^(٢).

بينما المسلم الحق لا يتأثر في دينه ولو دخل الناس النجوم الواحد تلو الآخر بل يقول هذا من تمكين الله لهم لا بقدرتهم ولا يغضب لأنه يعلم أن ربه هو خالق الكون وما فيه وأنه هو الذي يمكن عباده من كل ما يشاؤه تعالى . ويؤكد صاحب الهفت الشريف أنه « ما من مؤمن يموت إلا وتحمل روحه إلى الإمام علي فينظر فيها فإذا كان مؤمنا ممتحنا صافيا صعدت الملائكة بروحه إلى السماء

(١) العلويون ص ٥٧ .

(٢) اقرأ مقال الأستاذ أبو الهيثم «معركة في القمر» في كتابه الإسلام في مواجهة الباطنية ص ٣٩-٤٣ .

فتغمسها في عين علي باب الجنة اسمها عين الحياة « إلخ (١).

ويقول عن الأئمة :

« نحن الأئمة أولياء الله لا يفتر علينا من علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء نحن يد الله وجنبه ونحن وجه الله وعينه وأينما نظر المؤمن يرانا أن شئنا شاء الله - ولا تلقه إلا إلى أهله - والحمد لله الذي اصطفانا من طينة نور قدرته ووهبنا سر علم مشيئته ... إلخ » (٢).

ويتجلي تأليهم للإمام علي رضي الله عنه في تلك الأدعية الركيكة الخالية عن العقل وعن أدنى المعرفة والتي تسمى «سورا» عندهم. جاء في السورة الثالثة.

« اللهم إني أسألك يا مولاي يا أمير النحل يا عليا يا عظيم يأزل يا فرد يا قديم يا علي يا كبير يا أكبر من كل كبير يا خالق الشمس والقمر المنير يا علي يا قدوة الدين يا عالم يا خبير يا راحم الشيخ الكبير يا منشىء الطفل الصغير يا جابر العظم الكسير يا محل كل يسير من غير عسير الذي يعرف المعرفة وينكرها عليه وعلى أبو دهيّة (٣) ما يستحق من الله وعلى أبو سعيد السلام ورحمة الله (٤). وفي سورة السجود يا علي سجد لك وجهي الفاني البالي إلى نور وجهك العزيز الحي الدائم ... يا علي لك الإلهية يا علي لك الملكوتية ... إياك مولاي على نعبد (٥) إلخ ذلك الهراء الطويل .

وفي سورة الإشارة

« لله ارتفاع القصد والعزة والإشارة لك يا مولاي يا أمير المؤمنين يا علي يا انزع يا بطين (٦) يا محي العظام الدوارس وهي رميم . اللهم إني أسألك يا مولاي

(١) الهفت الشريف ص ٨٢ . (٢) ص ١٩٧ .

(٣) في كتاب الإسلام في مواجهة للباطنية ص ٢٥٠ اسمه « أبو دهيّة إسماعيل بن خلاد » كانت له آراء خالف فيها النصيرية . انظر الصفحة المذكورة .

(٤) الجيل التالي ص ٧٩ . (٥) المصدر السابق ص ٨٧ - ٨٨ . (٦) أي كبير البطن .

يا أمير المؤمنين ؟ ١ - أن تجعلنا في عبادتك كاسيين غائمين مؤيدين منصورين ولا تجعلنا في عبادتك لآخاسرين ولآنادمين»^(١) وما أحرأهم بنهاية الخسارة والندامة ولو كانت لهم عقول لما جمعوا العلى رضي الله عنه بين الألوهية والإمارة .
وجاء في السورة الكبيرة .

« أول معرفتي بالله أشهد شهادة تقية نقية مشعشعة نورانية بيضيه علوية حجابية محمدية أشهد شهادة الحق في منهج الصدق أشهد شهادة بأن لا إله إلا مولاي ومولاك أمير النحل على ولا حجاب إلا السيد محمد ولا باب إلا السيد سلمان ... وأشهد أن الله على ربي يحييني ويميتني وهو الحي الذي لا يموت^(٢) بيده الخير وهو على كل شيء قدير وإليه المصير^(٣) .

ويظهر الأثر اليهودي واضحا في السورة السادسة عشر المسماة سورة النقباء وفيها «سراثنى عشر نقيبا سر ثمانية وعشرين نجيبا سر أربعين قطبا أولهم عبد الله بن سبأ وآخرهم محمد بن سنان الزاهري .. سر عبد الله بن سبأ نقيب النقباء سر محمد بن سنان الزاهري نجيب النقباء سرهم أسعدهم الله أجمعين في أربع أقاليم الدنيا والدين بحق الحمد لله رب العالمين»^(٤) .

إلى آخر هذه الخزعبلات والصور التي تحوي مثل ذلك الكفر والإجرام والتعابير الركيكة التي لا تمت إلى العقل والمعرفة بأدنى صلة لقد فاق هؤلاء بلادة الحمير وكل المخلوقات وكانوا أضل من الأنعام وهناك نصوص أخرى تركتها خشية الإطالة تنضح مجوسية وإلحاد مما يدل دلالة قاطعة على أن الذين وضعوا الديانة النصيرية كانوا متشبعين بالمجوسية ولهم اطلاع على كل الديانات من يهودية ونصرانية وهندوسية وغير ذلك .

(١) المصدر السابق ص ٩٣ .

(٢) لانهم لا يقولون بموته ويفسرون موته بخلعه للتقمص البشري الذي خلصه منه عبد الرحمن بن ملجم وهذا هو السر في تقديسهم له وترضيهم عنه .

(٣) ص ٩٩ .

(٤) ص ١٠٩ .

وقد أضافوا إلى ألوهية علي وحلول الإله فيه أن الإله له حل أيضا في سائر الأئمة من بعد علي ومن ذلك ما قالوه في مقتل الحسين مما نقلناه سابقا عن الهفت الشريف وزعمهم فيه أن الحسين هو الله رب العالمين ، بل إنهم يعتقدون جازمين أن الأئمة أفضل من كل الأنبياء لأن الأئمة بزعمهم يكلمون الله بدون واسطة والأنبياء بواسطة وقد اقتبسوا هذه الأفكار الخاطئة عن الشيعة الإثني عشرية وهؤلاء أخذوها عن ابن سبأ اليهودي ومن العجيب أنهم مرة يجعلون الإمام عليا إلهها ومرة أخرى يجعلونه نبيا ومرة أخرى يستدلون على فضائله بكلام الله في القرآن بحرفونه بأقوال مكذوبة عن الرسول ﷺ ولهذا خرج كثير من شبابهم بسبب هذا الخلط والاضطراب الفكري إلى الإلحاد الماركسي^(١). وبعد أن استوثق هؤلاء الفجار من قبول الطغام الذين هم على شاكلتهم بكل ماجاؤهم به من الكفر والإلحاد دون اعتراض طمع هؤلاء في دعوى الألوهية بعد أن استهانوا بأمرها لكثرة المتألهين في مبادئهم بحجة أن الله - تعالى عن جهلهم - يحل في من يشاء من عباده وقد ادعى رجل منهم الألوهية في هذا الزمن^(٢) حين كانت فرنسا مستعمرة للشام وتخطط لإحياء الجهل وطمس الدين بأي وسيلة كانت لتبقى أطول مدة تحكم فيها بلاد المسلمين فوقع اختيارهم على دمية نصيري من سوريا يسمى سلمان المرشد فأوصل نفسه إلى رتبة الألوهية - لأن الله تقمص به - وآمن به واتبعه كثير من النصيريين وقد مثل المهزلة تمثيلا جيدا فكان كما يذكر في تاريخه يلبس ثيابا فيها أزرار كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار فإذا أوصل التيار شعت الأنوار من الأزرار فيخر له

(١) انظر لما سبق ذكره عن علي رضي الله عنه وموقف النصيرية منه كتاب طاقة النصيرية ص ٤٦ - ٥٠ نقلنا عنه بتصريف وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٦ والعلويون ص ١٥ ، ٤٤ ، ٥٢ ولقد توسع الدكتور محمد أحمد الخطيب في هذه المسألة وبين تفصيلاتها في الفصل الثاني من كتابه الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٣٤١ إلى ص ٣٥٤ .

(٢) وتسمي جماعته المرشديه وقد ظهرت قبل أربعين سنة حين تزعمها سلمان المرشد انظر : الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠١ .

أنصاره ساجدين حين يرون طلعتة الشقية .

ومن الطريف أن المستشار الفرنسي الذي كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين ويخاطب سلمان المرشد بقوله يا إلهي وبعد أن ادعى الألوهية كان عليه أن يرسل الرسل وهذا ما حصل بالفعل فقد اتخذ سلمان المرشد رسولا اسمه سلمان الميده وكان يشتغل جمالاً عند أحد المزارعين في حمص في حين كان سلمان المرشد مدعي الألوهية راعي أبقار وهكذا يكون الإله راعيا والرسول جمالا كما يذكر الحلبي .

قال أبو الهيثم: «لقد جاء يوم على المرشديه كانت فيه سيف الفرنسيين المصلت على رقبة كل وطني في هذه المحافظة - يقصد اللاذقية - وكان ذلك عام ١٩٣٨م إذ أقام ربها سلمان نفسه دولة ضمن دولة يفرض الإتاوات ويجبي الضرائب وينصب المحاكم وينفذ أحكام الإعدام ويقطع طرق المواصلات إلخ^(١) .

وحين رحل الفرنسيون عن سوريا في مواكب العار كما سماها أبو الهيثم وذلك سنة ١٩٣٨م ترك له هؤلاء من أسلحتهم ما أغراه بالعصيان فجردت الحكومة السورية آنذاك قوة بقيادة محمد علي عزيمة فتكت ببعض أتباعه واعتقلته مع آخرين ثم أعدم شنقا في دمشق عام ١٩٤٦م وقد سئل مرة قبل هلاكة فقيل له أنت إله وأغاخان إله فكيف تتسع الأرض للإلهين؟ فأجاب بقوله: «إن الخالق ييئ روحه فيمن يشاء وقد ييئها في مائة من مخلوقاته فيصبحون أربابا مثلي»^(٢) .

وقال عنه أبو الهيثم : « العجيب في أمر سلمان أنه لم يكن ليصرح بمزاعمه الإلهية خارج حدود نفوذه قط وقد مثل منطقتة في البرلمان السري كأبي نائب - من غير الناطقين فلم يسمع منه أي تصريح أو تلميح لما يقول فيه أتباعه ، وأذكر أنني اجتمعت به وسألته عن هذه الدعوي التي تشيع عنه فأنكرها أشد الإنكار

(٢) الأعلام : ٣ / ١٧٠ للزركلي .

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠٣ .

وشهد على نفسه بالإسلام وقد قال لي يومئذ أن كل مهمته في جماعته هي أن يحاول تنظيم أمورهم على أساس الإسلام وعدد بعض أعماله الإصلاحية هناك مما لاغبار عليه... غير أن الواقع أن الرجل كان أذكي من أن يصرح بغير هذا أمام أي عاقل خارج جماعته» (١).

وبعد هلاك هذا المتأله إله أتباعه ابنه مجيب الأكبر بن سلمان المرشد وقد قتل هذا أيضا ولكن استمر أتباعه على تأليهه، ومن حماقاتهم وخبثهم على المسلمين وزعمائهم أنهم يقولون عند ذبح أحدهم ذبيحته باسم مجيب الأكبر من يدي لرقبة أبي بكر وعمر» (٢) ومن هنا فإنه لايجوز لأي مسلم إذا مر بديارهم أن يأكل من ذبائحهم.

ومن العلماء من يذكر أنهم الآن يريدون تأليه أحد أخوة مجيب الذين لا يزال لهم نفوذ عند جهلاء النصيرية (٣). بل ويصرحون بتمسكهم بالمرشديه يقول أبو الهيثم فالمرشدي لا يكتف عقيده في تأليه سلمان وأبنائه الذين أعدهم ذلك الأب (البار) لمنصب الألوهية منذ أن اختار لهم بعض أسماء الله الحسني (فاتح، سميع، مجيب) (٤) وقد أصبح من المؤلف أن تسمع هذا المرشدي يدافع عن عقيدته باسم حرية الفكر ولهم صلاة يسمونها الصلاة المرشدية وينسبونها إلى مجيب الأكبر يقولون فيها: تسيح إلى مولانا مجيب بن سلمان المرشد الرب العظيم.

مولانا لك العزة، والمجد، والتهليل والتكبير سبحانك ربنا إنك كريم رحيم يامولانا يامجيب المرشد سبحانك أنت الرب العظيم إلخ الدعاء الذي اشتمل على صدق اللجوء إلى هذا الرب المخترع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وينص النصيريون في دعائهم ويلحون على أن الله تعالى يرزقهم بجنود

(٢) انظر طائفة النصيرية ص ٥٤.

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠٣، ١٠٤.

(٣) إسلام بلا مذاهب ص ٣٠٩ نقلا عن طائفة النصيرية.

(٤) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠٢.

غربا عنهم وعن وطنهم يأتون إليهم من جهة الغرب لينقذوهم من حكامهم المسلمين .

وقد وصف الأستاذ الشكعة هذه الإشارات في دعائهم إلى أنها دعوة لفرنسا المستعمرة لتثبت أقدامهم في بلادهم^(١). يقول أبو الهيثم « ثبت بصورة قاطعة أن المرشدية على صلة وثيقة بالإرسالية البروتستانية الأمريكية في اللاذقية وهي صلة مريبة لاشك أن وراءها أصابع السياسة الأمريكية وبكلمة أوضح أصابع الصهيونية العالمية^(٢) .

٢ - القول بالتناسخ : هذه أهم قضية في عقائد النصيرية ويعود سبب تعلقهم بالتناسخ إلى أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بالحساب والجزاء في الآخرة ، وقد بين النونجتي فكرة التناسخ عند القائلين بها فقال « هم أهل القول بالدور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب وزعموا أن لا دار إلا الدنيا وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره أن خيرا فخيروا وأن شرا فشرأ وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها والأبدان هي الجنان وهي النار وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة في حياتهم ومعذبون في الأجسام الرديئة المشوهة من كلاب وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا أبد الأبد فهي جنتهم ونارهم لاقيامة ولابعث ولاجنة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لائماتهم ومعصيتهم لهم^(٣) .

والتناسخ حسب معتقد النصيرية في أربع صور حسب قرب الشخص أو بعده عن الإيمان وطاعة الأئمة أو عصيانهم وهي كما يلي : نسخ - مسخ - فسخ - رسخ .

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٣٠٩ نقلا عن كتاب محمد المجدوب إخواننا في جبال اللاذقية .

(٢) انظر الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠٣ . (٣) فرق الشيعة ص ٥٧ ، ٥٨ .

- ١ - أما النسخ : فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر .
- ٢ - وأما المسخ : فهو إنتقال الروح من جسم آدمي إلى جسد حيوان .
- ٣ - وأما الفسخ : فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

٤ - وأما الرسخ : فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد^(١) ومن الجدير بالذكر أن بعض الروايات تذكر أن المسخ والفسخ والرسخ لا تصيب النصيري بل هي خاصة بمن عداهم من الناس الذين يطلقون عليهم الكفرة والذين يمرون في تكرار مولدهم بالوان العقاب والجزاء في هذه الدنيا .

وفي الهفت الشريف نصوص لا يتسع المقام لذكرها كلها هنا في بيان كيفيات التناسخ وكيفيات العذاب الذي يحل بالكفار عند انتقال أرواحهم من جسم إلى جسم .

يقول في الهفت الشريف : « وأنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي وإنما هو قردا أو خنزيرا أو كلبا أودبا»^(٢) أي في صورته المسوخية المستقبلية . قال المفضل : « سألت مولانا الصادق هل يذل الأعداء من دون الأولياء والأولياء من دون الأعداء في اصطناع الخير والشر فيما كان من أحدهما إلى الآخر فقال أما علمت أن المؤمن يكون في الناسوتية والكافر في المسوخية وفي تراكيب شتي حتي يصنع كل واحد منهما إلى الآخر من الخير والشر مثلما كان يصنع إليه إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشرا »^(٣) .

وقال عن سبب إيذاء الكلب للإنسان « وأن الرجل حينما يمر بالكلب لا

(١) تحقيق ماللهند من مقوله الباروني ص ٣٨ - ٤٤ ، نقلا عن طائفة النصيرية ص ٨٨ .

(٢) ص ٨٠ .

(٣) ص ٣٦ .

يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك اليوم أو ربما يكون الرجل متزوجا امرأة هذا الكلب لأنه كان مركبا في الإنسانية وكان مجراه في بادي الأمر مجري الإنسان.. فأهلكه الله بعذاب ذبح أو قتل بما وصل إليه من شقاوته في حالة الدنيا والرجل يكون قد تزوج امرأته وسكن داره ولبس ثيابه فيعرفه الكلب في مسوخته فإذا نظر إليه نبج ووثب عليه أو عضه في وجهه»^(١).

وقال عن انقضاء كل آدم وذريته في مراحل وجودهم أنه حينما ينتهي عمر أي آدم وذريته يصبحون طوائف طائفة هم أهل المسخ وهم أهل العقاب .

وطائفة هم أهل النسخ وهؤلاء أهل الثواب^(٢).

ثم يصير المسخ والنسخ في الجمع الأكبر والدور والآخر « أي آخر دور كل آدم وذريته ومنه أبونا آدم الثامن وذريته كما يعتقدون في سخافاتهم » وعن محمد بن سنان قال ما من طائر يطير إلا له أم وأب وعم وخال ثم التفت أبو الحسن إلى نجار ينجر بداره فقال هذا النجار كان في الدور الأول ديكا وهو اليوم نجاراً^(٣).

وهناك عشرات النصوص لا تخرج عن هذا الفكر الآسن والسخافات والحماقة التي انتجتها عقول المجوس وعباد الأوثان .

٣ - ومن أهم عقائدهم أيضا تقديس الخمر حيث زعموا أن الله تعالى يتجلى فيها وأنها تسمى عبد النور تشريفا لها وجعلوا من أكبر الإجرام قلع شجرة العنب.

(٣) ص ١٨١ .

(٢) ص ١٥١ .

(١) ١٢٠ / ١٢١ .

الفصل الثامن

عبادات النصيرية

يختلف النصيريون عن المسلمين في العبادات بل وفي كل شيء وهذا طبيعي إذ إن تعاليم الإسلام لا يمكن أن تتفق مع التعاليم الوثنية مهما أظهرها بالمظهر الإسلامي مثل استعمالهم الأسماء الإسلامية كما قد يتسمون بالأسماء المسيحية أيضا لكنهم لا يسمحون لأحد منهم أن يتسمى بأفضل أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر، ولأن مذهبهم خليط من شتي الأفكار والديانات كما تقدم فإن ماورد في عقيدتهم وكتبهم من كلمات الصلاة والحج والزكاة، والصيام لا يريدون بها المقصود منها في الشريعة الإسلامية بل أولوها إلى معان أخرى باطنية، ويذكر بعض العلماء أن النصيريين يفرقون في التزام التكليف بين المشايخ وبين الجهال فيرون أن جبرية التكليف تسري على المشايخ وتسقط عن الجهال.

ولعل في هذا الكلام نظراً فإن الشيوخ أو أصحاب العهد وهم يعرفون الباطن يكونون في حرية تسقط معها التكليف كما هو المعروف عن المذهب الباطني عموماً فهم يزعمون أن الشخص إذا عرف بواطن النصوص سقطت عنه ما تدل عليه ظواهرها من التكليف والحلال، والحرام . نعم قد يكلف الشخص الداخل في المذهب بالقيام بالتكاليف لحثه على طلب العلم الذي يسقط عنه في النهاية جميع ما حظر على غيره ممن لم يصل إلى درجته على حد ما صرح به الهفت الشريف حيث قال وهو يعدد الدرجات مقررًا أن الاصطفاء درجة فوق درجة النبيين وفوق هذه أيضا درجة أعلى منها وهي درجة الحجاب ثم قال المفضل الجعفي : « قلت يامولاي هل علينا نحن معرفة هذه الدرجات قال الصادق نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر وما دام لا يعرف هذه الدرجات ولا يبلغها بمعرفته، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة ودرجة درجة فهو حينئذ حرق سقطت عنه العبودية وخرج من حد المملوكية إلى حد الحرية

باشتهائه ومعرفته قلت يامولاي فهل ذلك في كتاب الله قال نعم أما ما سمعت قوله تعالى ﴿ وَإِن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ فإذا عرف الرجل ربه فقد انتهى للمطلوب ولا شيء أبلى إلى الله من الوجدانية والمعرفة وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها لك فقد اعتقه من الرق ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر ثم تلا قوله تعالى: ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ وقرأ مولاي ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ﴾ قلت ما تعني هذه يامولاي قال يعني رفعة في المعرفة وارتفاعا في الدرجات^(١).

وذكر الدكتور مصطفى الشكعة^(٢) أن النصريين يصلون في خمس أوقات إلا أنها تختلف في الأداء وفي عدد الركعات عن بقية المذاهب الإسلامية وصلاتهم لا سجود فيها وفيها بعض الركوع أحيانا .

ولا يصلون الجمعة ولا يعترفون بها كفرض ولا يتطهرون قبل أداء صلواتهم ولا يصلون في المساجد بل يحاربون بناء المساجد ولا يرضون بإقامتها بل يجتمعون في بيوت معلومة وأوقات معينة ويسمون هذا الاجتماع عيدا يقوم الشيوخ بتلاوة بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم ويختلط الحابل بالنابل في هذه الاجتماعات رجالا ونساء ثم يقومون بأداء بعض الطقوس والصلوات المشابهة لقدسات وطقوس المسيحيين ومن قداساتهم الكثيرة قداس الطيب لكل أخ وحبیب ، وقداس البخور في روح ما يدور في محل الفرحة والسرور ، وقداس الأذان وباللله المستعان وكل قداس له ذكر خاص به وأدعية يتوسلون فيها بالإله على والخمسة الأيتام وكبار مشائخهم الذين جعلوهم أربابا من دون الله كالخصيبي وغيره أن تحمل في ديارهم البركة وأن ينصروا على

(١) الهفت الشريف ص ٤٢ وانظر ص ١٢٥ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ٣١٢ نقلا عن طائفة النصيرية ص ٥٧ .

أعدائهم ومن أمثله هذه القداسات :

قداس الآذان وهو « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا الحمد لله كثيرا وجهت وجهي وجهي إلى محمد المحمود طالبا سره المقصود المتقرب بتجلي الصفات وعيني الذات وفاطر الفطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل هو الذي سماكم مسلمين حنيفا مسلما ولا أنا من المشركين (هكذا) ديني سلسل طاعة إلى القديم الأزل أقر كما أقر السيد سلمان حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول شهدت أن لا إله إلا هو العلى المعبود ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام ولارب ألا ربي شيخنا وهو شيخنا وسيدنا الحسين حمدان الخصيبي سفينة النجاة وعين الحياة حي على الصلاة حي على الفلاح تفلحوا يا مؤمنون حي على خير العمل بعينه الأجل الله أكبر الله أكبر قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها الله مولاي يا على أسألك أن تقيمها وتديمها مادامت السموات والأرض وتجعل السيد محمد خاتمها والسيد سلمان زكاتها والمقداد يمينها و ابا ذر شمالها نحمد الله بحمد الحامدين ونشكر الله بشكر الشاكرين وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الآذان وبحق متي وسمعان^(١) والتواريخ والأعوام بحق يوسف بن من كان بحق الأحد عشر كو كبا^(٢) الذين رأهم يوسف بالنام تحل في دياركم البركة بالتمام يا مولاي يا على يا عظيم^(٣) وهناك قداسات كثيرة كل قداس فيه مثل هذا الكلام السخيف .

ويقول في الهفت الشريف في بيان معنى الصلاة والزكاة أن جعفر الصادق قال للمفضل : « أتدري ما معني قوله تعالى ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ﴾ قلت يعني أهله المؤمنين من شيعته الذين يخفون إيمانهم وهي الدرجة العالية والمعرفة

(١) هذا تأكيد لتأثرهم بالنصرانية . (٢) هذه إشارة إلى معتقداتهم الوثنية في النجوم ..

(٣) العلويون ص ١٠٩ .

والإقرار بالتوحيد وأنه العلي الأعلى . فأما معنى قوله تعالى ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ فالصلاة أمير المؤمنين والزكاة معرفته وأما إقامة الصلاة فهي
معرفتنا وإقامتنا» (١).

والصيام عند النصيرية ليس هو عن الأكل ، والشرب وجميع المفطرات في
نهار رمضان بل هو الامتناع عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان والحج إلى
البيت الله الحرام يعتبرونه كفرا وعبادة للأصنام (٢).

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أنه توجد خلاصة وافية لتعاليم
النصيرية وعقائدها في كتيب صغير بعنوان « كتاب تعليم ديانة النصيرية وهو
مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٦١٨٢ وهو على طريقة السؤال
والجواب ويتألف من (١٠١) سؤال وجواب نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

س : من الذي خلقنا .

ج : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين .

س : من أين نعلم أن عليا إله .

ج : مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال : « أنا سر
الأسرار أنا شجرة الأنوار ... أنا الأول والآخر أنا الباطن والظاهر إلخ
كذبهم عليه .

س : ما أسماء مولانا أمير المؤمنين في مختلف اللغات .

ج : سماه العرب باسم علي وهو سمي نفسه ارسطوطاليس . وفي الانجيل اسمه
إيليا « إلياس » ومعناه علي . الهنود يسمونه ابن كنكرة إلخ .

س : لماذا نسمي مولانا باسم أمير النحل .

ج : لأن المومنين الصادقين هم مثل النحل الذين يشتارون من أحسن الأزهار
ولهذا سمي أمير النحل .

(٢) طائفة النصيرية ص ٦٦ .

(١) الهفت الشريف ص ٤٠ .

- س : ما أسماء النجباء في العالم الصغير الأرض .
- ج : يورد ٢٥ اسما أولها أبو أيوب وآخرها عبد الله بن سبأ .
- س : ما القرآن .
- ج : هو المبشر بظهور مولانا في صورة بشرية .
- س : ما علامة إخواننا المؤمنين الصادقين .
- ج : ع . م . س .
- س : ما دعاء النيروز .
- ج : تقديس الخمر في الكأس .
- س : ما اسم الخمر المقدس الذي يشربه المؤمنون .
- ج : عبد النور .
- س : لماذا .
- ج : لأن الله ظهر فيها .
- س : لماذا يولي المؤمن وجهه في الصلاة قبل الشمس ؟
- ج : اعلم أن الشمس نور الأنوار .

إلى آخر ١٠١ سؤال وجواب ذكرها كلها عبد الحسين العسكري في كتابه العلويون^(١) تشتمل في مجملها على تأليه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب واعتقاد التناسخ والحلول وتعظيم الخمر التي سموها عبد النور لأن الله حل فيها وتعظيم الأعياد النصرانية والمجوسية وتقديس النجوم والاعتماد عليها وعبادة الشمس وفيها كذلك الحث على الرام السرية والكتمان لتعاليمهم الوثنية المجوسية .

(١) العلويون ص ٨٢ ، ٩٦ نقلا عن مذاهب الإسلاميين : ٢/ ٤٧٤ - ٤٨٧ . د / بدوي .

الفصل التاسع

أعياد النصيرية

للنصيرية أعياد كثيرة في أوقات كثيرة مثل عيد الغدير ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعيد عاشوراء وعيد الغدير الثاني يوم المباهلة ، وعيد النوروز ، وعيد المهرجان وعيد الصليب ، وعيد الغطاس وعيد السعف ، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة ، وعيد الميلاد إلخ ، أعيادهم الكثيرة التي وافقوا فيها المسلمين والنصارى والوثنيين^(١) وعن احتفالهم بعيد النوروز يقول عبد الحسين العسكري: « احتفال النصيرية بعيد النوروز وهو العيد الديني والقومي للفرس يدل على الأثر الفارسي في النصيرية ويشير إلى تمجيدهم للفرس بدعوي حلول الإله وشخصه في ملوكهم حتى أنهم جعلوا منهم ثلوثا نظير ثلوثهم الإسلامي حيث زعموا أن ثلاثة منهم توارثوا الحكمة وتجلي الإله فيهم وهم شروين وكروين ، وكسري ، ويقابلهم في الإسلام النصيري المعني والاسم والباب على، محمد سلمان (ع.م - س) ^(٢).

(١) ذكرها د / الحلبي بتوسع في كتابه طائفة النصيرية ص ٧١ .

(٢) العلويون ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

الفصل العاشر

موقف النصيرية من الصحابة

النصيرية شأنهم شأن غيرهم من أعداء الإسلام في عدائهم للإسلام وزعمائه فلقد بالغ هؤلاء في بغض الصحابة رضوان الله عليهم بل واعتقدوا أن من الصحابة من لم يكن مؤمنا حقيقة بل كان يتظاهر بالإسلام ويطن النفاق خشية من سطوة على ، ومن هؤلاء يافترائهم أبو سفيان وابنه معاوية رضي الله عنهما وقد خصوا الصحابي الجليل وخليفة رسول الله ﷺ والذي يليه عمر الفاروق رضي الله عنهما بالبغض الشديد فلم يجيزوا حتى مجرد التسمية بأبي بكر وعمر بل بلغ بهم السفه والحقد عليهما أن عمدوا إلى الحيوانات البريئة وتفنتوا في تعذيبها لأن روح أبا بكر وعمر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم حلت فيهم عن طريق التناسخ ومن هنا فهم يأخذون بغلا أو حمارا ليذيقوه أسوء العذاب لأنه تقمص روح أبا بكر أو عمر كما أنهم يأخذون غنمه ويعذبونها كذلك تنكيلا بأم المؤمنين عائشة وتنفيسا عن أحقادهم الجوسية إلا أن المشكل هو كيف يقع اختيارهم على إحدى هذه البهائم بعينها للتنكيل بها ولهم عليهم غضب الله أفعال وأقوال في ذم الصحابة وخصوصا ما قالوه عن عمر رضي الله عنه الذي يرمزون إلى اسمه بـ « أد لم » .

يتنزه من له أدني مسكة من عقل أو حياء ، من ذكرها ، والسبب في بغضهم هؤلاء الأخيار من الصحابة واضح وهو أن هؤلاء هم الذين أطفئوا نار الجوسية ونشروا راية الإسلام خفاقة بين جحافل الجوسية والوثنية فكيف يرضى عنهم هؤلاء وهم قد تروهم في ديارهم وفي حكمهم واستعلائهم .

الفصل الحادي عشر

فرق النصيرية

تفرق النصيريون إلى فرق وطوائف كثيرة .. ومن أهم تلك الطوائف :

١ - الجرانة نسبة إلى قريتهم جرانة ثم سميت بعد ظهور محمد يونس كلازو من زعمائهم « الكلازية » ويقال لهم القمرية لأنهم يعتقدون أن عليا حل في القمر^(١) ويرون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر .

٢ - الغيبية: أي الذين رضوا بما قدر لهم في الغيب فتركوا التوسل - كما يذكر الحلبي - أوهم الذين قالوا إن الله تجلى في علي ثم غاب عن البشر واختفى والزمان الحالي هو زمان الغيبة ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي - كما يذكر صابر طعيمة ثم سميت بعد ظهور زعيم منهم سمي علي حيدر «الحيدرية» .

٣ - الماخوسية : نسبة إلى زعيمهم علي الماخوس المنشق عن الكلازية .

٤ - النياصفه : نسبة إلى زعيمهم ناصر الحاصوري من بلدة نصاب بلبنان^(٢) .

الفصل الثاني عشر

أماكن النصيرية

يذكر عبد الحسين العسكري أماكنهم بقوله « وأكثرهم يعيش اليوم في الجنوب والشمال من القطر العربي السوري ولهم وجود في جنوب تركيا وأطراف لبنان الشمالي وفارس وتركستان الروسية وكردستان »^(٣) .

(١) هذا ما يذكره د . الحلبي في كتابه طائفة النصيرية ص ٨٣ والذي يذكره أكثر العلماء أن الكلازية يعبدون الشمس على اعتقاد أن عليا حل فيها والنصيرية عموما يقدسون الشمس والقمر وتتداخل عبادتهم لهما حسب ميول رؤسائهم .

(٢) طائفة النصيرية انظر ص ٨٣ ودراسات في الفرق ، صابر طعيمة ص ٥٤ ، ٥٥ مذاهب الإسلاميين ص ٢٩٥ ج ٤ . (٣) العلويون / والنصيرية ص ٧ .

الفصل الثالث عشر

محاولات لم تثمر

حاول كثير من الزعماء المسلمين ارجاع النصيرية إلى الإسلام وقاموا بمجهودات كثيرة بالترهيب تارة وبالترغيب تارات متوالية وكما هو شأن هذه الطائفة إذا أحسوا بقوة تضغط عليهم وخافوا سطوتها أظهروا الموافقه والتمسك بشرائع الإسلام الظاهرة فإذا ضعفت هذه القوة ظهر النصيريون على حقيقتهم وأعلنوا الحرب على تلك الشعائر الإسلامية التي ألزموا بها كبناء المساجد والصلاة جماعة فيها والتمسك بصوم شهر رمضان وغير ذلك من الإصلاحات والتي كان ينجح فيها النصيريون بخداع الناس بأنهم متمسكون بسائر شعائر الإسلام وأنه لا فرق بينهم وبين بقية المسلمين ومن هؤلاء الزعماء الذين حاولوا إصلاح النصيرية.

١ - صلاح الدين الأيوبي فبعد دحره للصليبيين بني المساجد وأمر جميع النصيرين بالصلاة فيها وبالصوم وغيرهما من بقية شعائر الإسلام فأطاعوه إلى أن توفي فتركوا ذلك وجعلوا المساجد زرائب للحيوانات .

٢ - الظاهر بيبرس : بعد أن دحر التتار ألزمهم ببناء المساجد بقراهم وإقامة الصلاة فيها فبنوها بعيدة عن القرى وهجروها وربما كان يمر الغريب في المسجد فيؤذن فيه فيقولون له : لا تنهق بأتيك علفك بعد قليل كما حكى ذلك الرحالة ابن بطوطة .

٣ - السلطان العثماني « سليم » : بني المساجد وقام بكثير من الإصلاحات ولكنهم رجعوا بعده إلى ما كانوا عليه .

٤ - إبراهيم باشا بن محمد على باشا والي مصر كذلك قام بإصلاحات كثيرة من أجل تركهم عقائدهم الفاسدة إلا أنهم حينما أنسوا من أنفسهم قوة رجعوا عن ذلك كله.

٥ - السلطان العثماني عبد الحميد : كرر المحاولات بإرساله رجلا من خاصته اسمه ضياء باشا وجعله متصرفاً على لواء اللاذقية فأنشأ لهم المساجد والمدارس فأخذوا يتعلمون ويصلون ويصومون وأقنع الدولة بأنهم مسلمون إذ لم يعصوا له أمراً ولكنه بعد أن ترك هذا المتصرف منصبه خربت المدارس وحرقت الجوامع ودنست»^(١) .

وهكذا انتهت تلك المحاولات بلا جدوى وربما يعود السر في محاربتهم لبناء المساجد إلى عقيدة عندهم إذ يزعمون أن من عرف ربه وعرف معنى التكليف صار حراً غير مكلف ، وبقاء المساجد في نظرهم دليل على الجهل والتقصير وعدم معرفة الرب ومعرفة أوامره ظاهراً وباطناً وليس فيه أجهل منهم بربهم وهذا هو المفهوم عند غلاة الباطنية تجاه إسقاط دلالات النصوص .

وعند غلاة الصوفية الذين يزعمون أنه يصل أحدهم إلى درجة اليقين ثم ينفلت عن جميع التكاليف .

(١) انظر مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ص ٦٥ ، تحقيق أحمد العوامري ومحمد أحمد جاد المولى طبعة القاهرة وخطط الشام محمد كرد على : ١/٢٦٠ - ٢٦٣ ، ٣/١٠٥ نقلاً عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

وانظر طائفة النصيرية ص ٦٥ .

الباب السادس

الدروز

الفصل الأول

تمهيد : في بيان خطر هذه الفرقة :

هذه الطائفة هي إحدى فرق الباطنية الاسماعيلية العبيدية^(١) الغلاة الذين ألهموا الحاكم بأمر الله وجحدوا كل ما أخبر الله به من يوم القيامة والثواب والعقاب وقالوا بالتناسخ الذي يسمونه التقمص مخالفة للنصيرية ، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر^(٢) ولقد حذر علماء المسلمين من هذه الطائفة أشد تحذير يقول عنهم العلامة السفاريني وعن كتبهم ووجوب إتلافها هي وجميع كتب أهل الكفر « وكتب أهل الكفر لاسيما كتب الدروز عليهم لعنة الله فقد نظرت في بعضها فرأيت العجب العجاب فلا يهود ولا نصارى ولا مجوس مثلهم بل هم أشد من علمنا كفرا لإسقاطهم الأحكام وإنكارهم القيامة وزعمهم أن الحاكم العبيدي الخبيث رب الأنام»^(٣).

وهم يتكتمون على عقائدهم أشد التكتم ، ولهذا خفى أمرهم على كثير من علماء الفرق والتاريخ وهم لا يسمحون لأحد أن يدخل في مذهبهم ولا يعترفون بخروج أحد منه ولهم في هذا فلسفة يبررون بها موقفهم قائمة على

(١) نسبة عبيد الله بن ميمون القداح الذي أسس الدولة العبيدية في المغرب سنة ٢٩٦ هـ ثم امتد

نفوذهم إلى مصر وصارت القاهرة عاصمة لهم .

(٢) أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥ .

(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب : ٢٥٢/١ .

مفهوم التناسخ الذي يسمونه التقمص ومن الجدير بالذكر أن بينهم وبين النصيرية اتفاق في كثير من الآراء الاعتقادية واختلاف أيضاً في بعضها وبينهم عداوة شديدة بسبب تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعدم تأليههم للحاكم بأمره وكرهة النصيرية لهم لتأليههم الحاكم دون علي رضي الله عنه.

﴿ ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ .

والدروز في إسرائيل من أخلص الناس لليهود وتعاملهم إسرائيل أيضاً بالمثل لمعرفتهم بعمالتهم التامة لهم.^(١)

ولإسرائيل مشاريع كثيرة في قراهم وفي مدنهم - حسبما - سمعته من إذاعة إسرائيل باللغة العربية في هذه السنة ١٤٠٧ هـ وقد سلمتهم السلاح وألقت منهم دوريات على حدودها مع لبنان لثقتهم بهم .

غير أن محمد علي الزعبي بالغ كثيراً في الثناء على الدروز وعلى تمسكهم بالإسلام وتعاليمه كلها تمسكا صحيحا وذكر أن الدروز يتمنون أن لو أتيحت لهم الفرصة للإنقضاض على إسرائيل وسحقها وإعادة الوجه الإسلامي لفلسطين^(٢) إلى آخر مدحه لهم .

ومن هنا قال أحمد الفوزان في رده عليه : « وكأني به لم يسمع أبداً عن الدروز العاملين في الجيش الصهيوني وعن بلائهم الذي كان على العرب شر بلاء وكانوا للعرب شر أعداء » .^(٣)

(١) انظر عقيدة الدروز ص ٢٥١ .

(٢) انظر كتابه عقيدة الدروز ص ١٣٤ .

(٣) انظر كتابه أضواء على العقيدة الدرزية ص ٧٩ .

الفصل الثاني

التعريف بالدروز

قبل ذكر هذه الطائفة وبيان عقائدهم نذكر تعريفاً موجزاً بهم فيما يلي :

(١) التعريف بهم في اللغة :

تطلق كلمة الدروز على معان عديدة في اللغة منها : أنها تطلق على الأولاد غير الشرعيين الذين لا يعرف لهم آباء ، وتطلق كذلك على السفلة والسقاط من الناس فيقال لهم أولاد درزة .

قال الأزهرى نقلاً عن ابن الأعرابي :

« والعرب تقول للدعي هو ابن درزة وابن ترني وذلك إذا كان ابن أمة تساعي فجاءت به من المساعة ولا يعرف له أب »

قال : « ويقال هؤلاء أولاد درزة - وأولاد فرتني - للسفلة - والسقاط قاله المبرد »^(١).

وتطلق هذه اللفظة أيضاً على القمل والصبيان فيقال بنات الدروز كما يذكر الفيروز آبادي.^(٢)

وتدل هذه المعاني على الرداءة والانحطاط ومن هنا نجد أن الدروز لا يحبون أن تطلق عليهم هذه التسمية لأسباب سنذكرها وربما يكون منها سوء مفهوم هذه التسمية عند الناس مضافاً إليها وجود الأسباب الأخرى .

(٢) التعريف بهم في اصطلاح علماء الفرق :

يطلق علماء الفرق تسمية الدروز على طائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية هم

(١) انظر تهذيب اللغة : ١٨١/١٣ .

(٢) القاموس المحيط : ١٨٢/٢ وانظر كتب اللغة مادة « درز » .

من غلاة الباطنية يعتقدون ألوهية الحاكم بأمره انشقوا عن الإسماعيلية ، في الظاهر وإن كانوا متفقيين معهم في جوهر عقائدهم ونسبوا إلى أحد دعاة الضلال المجوس نشتكين الدرزي وإن كانوا لا يحبون هذه النسبة كما سيأتي بيانه^(١).

بيان أصل الدروز :

اختلف الناس في أصل الدروز على أقوال كثيرة نوجزها فيما يلي :

(١) أنهم سلالة قبائل عربية وهما يزعمونه لأنفسهم وقد أكده الأستاذ محمد حمزة وإنهم من لحم وتنوخ وأثنى عليهم ثناءً كثيراً^(٢) .

(٢) إنهم من سلالة السامريين القدماء .

(٣) إنهم من بقايا الحِيثيين القدماء .

(٤) إنهم مزيج من عناصر مختلفة من عرب و فرس و هنود .

(٥) إنهم سلالة الجنود الفرنسيين الصليبيين .

(٦) إنهم من أصل إنجليزي .

وتبدو تلك الأقوال كلها - غير القول الأول بعيدة وتهدف كذلك إلى أغراض سياسية فيما يرى محمد كامل حسين^(٣) .

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ١٩٩ .

(٢) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١١٨ .

(٣) طائفة الدروز ص ٦ ، ١٤ .

الفصل الثالث

زعيمهم

تنسب هذه الطائفة إلى أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بألوهية الحاكم العبيدي ويسمى هذا الداعي محمد بن إسماعيل ويقال له درزي وهو من أصل فارسي ويعرف بـ «نشتكين»^(١) قدم إلى مصر ودخل في خدمة الحاكم ثم كان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المفتون ، ولم يكن نشتكيني في هذا الميدان وحده بل كان معه ضال آخر فارسي أيضاً يسمى حمزة بن علي الروزني من أهالي زوزن بإيران وكان له الأثر البارز في تاريخ الدروز فيما بعد بل هو زعيم المذهب الدرزي ومؤسسه^(٢) .

وقد بدأ درزي في إعلان مذهبه الهدام بتأليف كتاب أعلن فيه إلوهية الحاكم ثم جاء به إلى أشهر مكان في القاهرة ، الجامع الأزهر وبدأ يقرأه على الناس فأحدث ضجة بين الناس . وثار غضبهم الإسلامية وأرادوا قتله فهرب - أو هربه الحاكم - من مصر إلى جبال لبنان حيث أخذ ينشر مذهبه إلى أن هلك سنة ٤١٠ هـ مقتولا^(٣) .

وقد أصبح درزي هو الزعيم الذي يعترف به الدروز ويقدمونه في ذلك الوقت وخصوصاً أهل بلاد تيم الذي انتشر مذهب درزي بينهم ، ولكن في الوقت الحاضر ، نجد الدروز يعلنون درزي مع أن نسبتهم إليه ويقدمون حمزة ويقدمونه ، وسبب خلافهم على درزي وسببهم له هو موقف حمزة منه فقد أراد درزي أن يستقل بالإمامة . ثم كذلك تسرعه في إظهار العقيدة الدرزية التي تنادي بألوهية الحاكم قبل أن يرضى حمزة عن ذلك التوقيت لإعلانها فقد أظهر درزي إلوهية الحاكم سنة ٤٠٧ هـ بينما أحب حمزة إظهارها سنة ٤٠٨ هـ وهي السنة التي يعتبرها الدروز أولى سنتي تقويمهم^(٤) .

(١) ويذكر بعضهم أن اسمه - منصور نشتكين الدرزي . (٢) طائفة الدروز ص ١٠٦ .
(٣) انظر طائفة الدروز ص ٧٧ . (٤) طائفة الدروز ص ٧٤-٧٥ .

إلا أن الأستاذ محمد حمزة يذكر أن الدرّوز يجلبون درزي إلى اليوم^(١) وينبغي ملاحظة أن الدعوة إلى تألية الحكم بدأت في حدود سنة ٤٠٠ هـ سرية فلما أنس أشرار الدعوة من قوتهم أظهرها وكان أول من أظهرها محمد بن إسماعيل الدرزي « نشتكين » ليحض بسبق التقدم بها إلى الحاكم وتجاهل زميله في الخيانة وهما حمزة بن علي الزوزني والحسن بن حيدرة الفرغاني كبار شياطين الدعوة الاسماعيلية الذين استولوا على عقل الحاكم وحولوه إلى عقائدهم المجوسية الوثنية التي تجعل من الحكام آلهة .

وقد صار حمزة فيما بعد هو صاحب الميدان وله الكلمة النافذة والطاعة التامة حيث صارت الدولة رهن إشارته بعد أن طابت أفكاره في نظر الحاكم الذي وقف من ورائه بكل ثقله لتتم دعوى الإلهية والتقمص الإلهي في شخصه .

ولم ينسى حمزة أن يخص نفسه بعدة ألقاب وصفات لم يسبغها حتى الأنبياء على أنفسهم فهو الآية الكبرى ، وآية التوحيد ، وآية الكشف ، والعقل الكلي ، والإرادة وعلّة العلل وذو^(٢) معه^(٣) .

كما أنه « هادي المستجيبين » وإمام الزمان وقائم الزمان « والمنتقم من المشركين لسيف مولانا »^(٤) ، ثم ادعى أنه هو نفسه سلمان الفارسي في عصر

(١) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١١٧ ، ولعل محمد حمزة وهم في التفريق بين شخصين كان لهما نفس اللقب أحدهما يلعنه الدرّوز ويترأون منه والثاني : يحترمونه الأول يقال له درّزي « بفتح الدال » والراء « وهو محمد بن إسماعيل نشتكين الذي أعلن إلهية الحاكم وغضب عليه حمزة . والثاني يقال له درّزي « بضم الدال وسكون الراء » وهو منصور انوشتكين الدرّزي وقد كان هذا الرجل أحد قواد الحاكم بأمر الله وهو الذي يجعله الدرّوز ويحترمونه وانتسابهم إنما هو إليه « وهو خلاف ما يذكره كثير من كتاب الفرق .

انظر : اسلام بلا مذاهب ص ٥٢ (أضواء على العقيدة الدرّزية ص ٦) .

(٢) أي دائما مع المعبود .

(٣) طائفة الدرّوز ص ١١٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٧ .

الحاكم عن طريق التناسخ»^(١) وأنه هو الذي أنزل القرآن على محمد ﷺ حينما كان في دور سلمان إلى آخر ماجاد به من أوصاف عالية لشخصه الذي سيلاقي من الله ما يستحقه من الجزاء العادل في يوم القيامة ، اليوم الذي لا يؤمن به حمزة ومن هم على شاكلته ممن طبع على قلوبهم ، وقد جاء في كتاب لحمزة بعث به إلى قاضي القضاة في زمنه ويسمى أحمد بن محمد بن العوام جاء في أول الكتاب « توكلت على أمير المؤمنين جل ذكره وبه أستعين في جميع الأمور معل علة العلل صفات بسم الله الرحمن الرحيم من عبد أمير المؤمنين ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف أمير المؤمنين وشدة سلطانه ولا معبود سواه إلى أحمد بن محمد بن العوام الملقب قاضي القضاة»^(٢) إلخ الكتاب الذي ملأه بالسب والشتم والاستهزاء بهذا القاضي بسبب امتناعه عن الدخول تحت عبادة الحاكم . ثم بين حمزة نتيجة امتناع هذا القاضي بقوله :

« وقد أرسلت إلى القاضي عشرين رجلا ومعهم رسالة رفعت نسختها إلى الحضرة اللاهوتية»^(٣) فأبى القاضي واستكبر وكان من الكافرين واجتمعت على غلماني ورسلي الموحدين لمولانا جل ذكره زهاء مئتين من العسكرية والرعية وما منهم رجل إلا ومعه شيء من السلاح فلم يقتل من أصحابي إلا ثلاثة نفر وسبعة رجال من الموحدين في وسط مائتين من الكافرين»^(٤) فلم يكن لهم إليهم سبيل حتى رجعوا إلى عندي»^(٥) سالمين»^(٦) .

ويبدو من رسالته هذه ضحالة فكره وجهله المشين بالدين الإسلامي وباللغة العربية وقد كانت آخر حياته أن اختفى بعد موت الحاكم وظل مختفيا إلى أن مات سنة ٤٣٠ هـ .

(٢) انظر طائفة الدروز ص ٧٨ .

(٤) الذين لم يؤمنوا بالحاكم ربا لهم .

(٦) انظر طائفة الدروز ص ٧٩ .

(١) الحركات الباطنية ص ٢١٧ .

(٣) يعني الحاكم .

(٥) ضعيف في اللغة العربية وفي العلم .

الفصل الرابع

أسماء الدروز

(١) الدروز : هذا هو الاسم المشهور عنهم والمتداول على ألسنة الناس وهو نسبة إلى نشتكين الدرزي ، وقد رأينا أنه مع شهرة هذا الاسم عنهم إلا أنهم لا يحبون أن يطلق عليهم لأنه ينسبهم إلى درزي المذكور وهم قد انحرفوا عن موالاته بعد أن اختلف هو وحمزة بن علي وصاروا بعد ذلك يلعنونه ويحكمون عليه بالضلال والكفر بمبادئهم لما سبق ذكره .

(٢) الموحدين : هذا هو الاسم الذي يحبونه ويطلقونه على أنفسهم في كتبهم التي يقدسونها^(١) .

ويجب ملاحظة أنهذه التسمية لاتعني توحيد الله عز وجل الذي يعبده المؤمنون ولكن معناها الإخلاص في توحيد الحاكم بأمره حيث يذكر حمزة بن علي الزوزني ذلك بقوله : « التوحيد لمولانا عوض الشهادتين »^(٢) .

(١) انظر طائفة الدروز ص ٦ .

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٧٨ .

الفصل الخامس

كيف انتشرت العقيدة الدرزية

حينما فر درزي من مصر توجه إلى بلاد تيم في لبنان وكانت تقيم فيه قبائل عربية في الجاهلية ثم اعتنقوا الإسلام .

وفي أيام الدولة العبيدية انتشر بينهم المذهب الاسماعيلي بتأثير هذا الداعي وفراغهم عن معرفة الدين الإسلامي .

وهذه العقيدة على تفاهتها وجدت من يستمع لها ويدين بها إلى وقتنا الحاضر مع شدة حرصهم على كتمانها الأمر الذي جعل المعلومات حولهم ناقصة جدا ومتضاربة في كثير منها حول ديانة هؤلاء الدرروز وهي في مجملها تتألف من أفكار شتى ونظريات مختلفة فلسفية وهندية ويونانية وفارسية وفرعونية ثم أحاطوها بالسرية الكاملة لا يبيحون لأحد أن يطلع عليها غيرهم كما لا يبيحون لأحد منهم أن يفشي سرا من أسرارها وقد جاء في كلام لحمزة ابن علي قوله في التهيب عن إفشاء أسرارهم « إن أكبر الآثام وأعظمها إظهار سر الديانة وإظهار كتب الحكمة - يعني كتبهم - والذي يظهر شيئا من ذلك يقتل حالا تجاه الموحدين ولا أحد يرحمه » ويقول عليكم أيها الإخوان الموحدون في دفن هذه الأسرار ولا يقرأها إلا الإمام على الموحدين في مكان خفي ولا يجوز أن تظهر كتب الحكمة الذي كلها رسم ناسوت مولانا سبحانه وإن وجد شيء من هذه الأسرار في يد كافر فيقطع إربا إربا » (١) .

على أنه لا مانع مع الحفاظ على هذا التكتم أن يتظاهر الدرزي - كما أوصاه علماءه - بإنكار هذه المبادئ أمام الآخرين إذا لم تكن له قوة أمامهم مستعملا في ذلك ما بوسعه من النفاق والكذب والخداع وأن يظهر لكل أهل مذهب الرضى عن مذهبهم والسلوك في سبيلهم على طريقة الباطنية وقد ذهب الغلو بمحمد

(١) عقيدة الدرروز ص ١٧٥ .

كامل حسين أن يقول : « وللدروز قضاة منهم يحكمون دائما حسب الشريعة والتقاليد الإسلامية إلا أنهم في بعض المسائل الخاصة يحكمون حسب التقاليد الدرزية » .^(١)

ثم مثل بعدة أمثلة هي ضد الإسلام ومما ينبغي التنبيه له أن الدروز لا يزالون على اعتقاد تأليه الحاكم إلى وقتنا الحاضر يقرونه في مجالسهم الخاصة وخلواتهم ولكنهم قد يتظاهرون أمام الناس بعدم تأليه الحاكم وهم يعلمون أنهم لو تركوا هذه الفكرة لأصبحوا بلادين وقد كشف هذا الستار أحد علماء الدروز وهو عبد الله النجار الذي قتلوه بعد ذلك في أحداث لبنان فهو يقول :

« وإني لأذكر عتاب كبير الأشياخ الثقات لأنني ذكرت في أحد الكتب المطبوعة أن أم الحاكم كانت صقلييه إذ قال لي : أن الحاكم لا أم له مرددا ما جاء في الرسالة ٢٦ : حاشا مولانا جل ذكره من الابن والعم والخال « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »^(٢) .

فهذه شهادة شاهد من أهلها والباطل لا بد وأن يكشفه الله مهما حاول أهله التستر عليه . وقد كان لهذه الفكرة الإجرامية نتائجها على الحاكم فيما بعد فإنه أنكر أباه ولم يوصي بالخلافة لولده « الظاهر بالله » وإنما أوصي بها إلى شخص آخر للايحاء بأن الأمر لا يزال بيده حتى وإن غاب عنهم يعطيه من يشاء ويمنعه عن من يشاء . ومن هنا فقد انتقم الظاهر من هؤلاء بعد توليه الخلافة أشد انتقام .

(١) طائفة الدروز ص ٢٩ .

(٢) مذهب الدروز والتوحيد ص ١٠٥ ، ١٠٦ عن الحركات الباطنية ص ٢٣٧ .

الفصل السادس

معاملة الدروز لمن يكشف شيئا من عقائدهم

ومن هذا الموقف فإن من أفشى شيئا من عقائد الدروز فإنهم لا يقابلونه بالمناقشة والحجة كما يفعل سائر الناس الذين يثقون بمبادئهم وإنما يقوم هؤلاء الدروز وهم يعرفون تفاهة مذهبهم بسبب الشخص وإصااق التهم به وإثارة الضجة حوله إذا لم يستطيعوا قتله.

ويذكر د/الخطيب أن الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض كتب في مجلتي المنهل وراية الإسلام اللتين كانتا تصدران في جدة والرياض عنهم بعض الحقائق ورد على من يسميهم مسلمين فقامت قيامة الدروز على الفياض وسبوه بأقذع السباب ، وأصدر شيخ العقل في لبنان فتوي ضده ونشروا ذلك في عدة صحف وقد قام أحد علماء الدروز ويسمي عبدالله النجار بإصدار كتابه مذهب الدروز والتوحيد وبين حقيقة هذا المذهب فقامت ضجة حوله وحول كتابه وحاكمه مشائخ الدروز لفضحه أسرار المذهب وجمعوا نسخ الكتاب من الأسواق وأحرقوها وقد استغلوا أحداث لبنان واغتالوا النجار»^(١).

ولاشك أن قيامهم بمثل هذا الإجرام يعتبر دليل واضح على معرفتهم برداءة مذهبهم وبطلانه إذ الحق لا يخاف صاحبه من اظهاره بل يحب ويتودد إلى الناس لنشره وانتفاع الناس به .

ويقول محمد أحمد الخطيب عن موقف الدروز منه حين طبع كتابه « عقيدة الدروز » وما لاقاه من مضايقات وتهديدات بسبب مادونه من حقائق لا يستطيعون دفعها بأي حال لاستناده فيما كتبه عنهم إلى مصادرهم يقول : « وللحقيقة أذكر أن هذه الأمور مجتمعة قد حدثت معي شخصا حينما تم طبع ونشر كتاب عقيدة الدروز عرض ونقض وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام

(١) عقيدة الدروز ١٧٩ .

محمد بن سعود عام ١٤٠٠ هـ حيث ظهر وبشكل واضح طريقة التعامل القذر الذي يتم مع كل من يحاول أن يبحث عن حقيقتهم فقد توالى على المكالمات الهاتفية التي تهدد بالقتل وجاء على أثرها الكثير من الرسائل والتي تتوعدني بالويل والثبور إن لم أعتذر عن كتابي وما ورد فيه ، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على جمع ما يستطيعون من نسخ الكتاب المذكور وإحراقه^(١) وكذلك عملوا على مطالبة المسئولين في كثير من البلاد العربية بمنع الكتاب فكان أن منع في عدد من البلاد العربية^(٢).

ومما لا يخفي أن هذه الدول التي منعت انتشار الكتاب والانتفاع بما فيه إنما تمثل الانهزام التام والتودد إلى هؤلاء الأشرار هذا إن أحسنا بهم الظن وإلا فإن هؤلاء مما يترجح لدي كل فاهم لأوضاع الدول العربية إنهم ممن يبيتون النية السيئة لشعوبهم ولدينهم وأنهم أقرب إلى أعداء الإسلام وأشد على المسلمين من كثير ممن يتظاهر بعدم الإسلام . والله المستعان .

(١) يقول الخطيب « وهذا ماتم أيضا مع كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي « مذاهب الإسلاميين » .

(٢) عقيدة الدروز ٢٩٩ .

الفصل السابع

أماكن الدروز

استوطن الدروز أماكن كثيرة متفرقة وأهم أماكن تجمعاتهم كما يذكر عنهم العلماء الذين اطلعوا على تلك الأماكن هي :

١ - في سوريا : ويسكنون في محافظة السويداء - جبل حوران أو جبل الدروز أو جبل العرب كما يقال له ويعيش منهم في هذه المنطقة أكثر من ثلاث وسبعين قرية .

٢ - في لبنان : ويسكنون في عدة مناطق منه في الغرب الأسفل وفي الغرب الأعلى وفي الشحار والمناصف وفي الجرد وفي العرقوب والباروك والجرد الشمالي وفي الشوف .

٣ - في فلسطين : عند جبل الكرمل وصفد .

٤ - في بلاد المغرب بالقرب من مدينة تلمسان قبيلة تعرف ببني عيس تدين بالعقيدة الدرزية دون أن يعرف جيرانهم حقيقة مذهبهم .

قال محمد كامل حسين بعد أن ذكر تلك الأماكن : « ومن يدري لعل الباحثين يكتشفون طوائف أخرى تعتنق مذهب الدروز في الأقاليم العربية^(١) » هكذا قال ونسأل الله أن لا يوجد ذلك وقد ذكر الأستاذ محمد حمزة كثيرا من أماكنهم وأثنى على شجاعتهم وبسالتهم ومقاومتهم - حسبما يذكر - لإسرائيل في الوقت الحاضر في هضبة الجولان وغيرها^(٢) رغم أن المعروف عنهم لدي كافة الناس هو تفانيهم في خدمة إسرائيل .

(١) طائفة الدروز ص ٦٠٥ .

(٢) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١١٨ .

الفصل الثامن

طريقة الدروز في تعليم دياتهم

علماء الدروز من أشد الناس تسترا على مبادئهم حتى من الموالين لهم فلا يطلعون أحد على أسرار المذهب إلا بعد أن يجتاز امتحانات كثيرة من قبل هؤلاء المشائخ الذين هم بمنزلة السلطه العليا .

وقد وصف محمد كامل حسين ذلك بقوله : « وهم من الناحية الدينية ينقسمون إلى عقال أو أجاويد أي الذين لهم الحق في معرفة شيء من العقيدة السرية وبين جهال أي الذين ليس لهم الحق في معرفة أسرار الدين .

والعقال ينقسمون بدورهم إلى درجات ثلاث ففي مساء كل يوم جمعة يجتمع العقال في أماكن العبادة التي تعرف بالخلوات (جمع خلوة) بسماع ما يتلني عليهم من الكتاب المقدس ، وبعد تلاوة المقدمات يخرج من الخلوة الطبقة الدنيا من العقال ، ثم بعد تلاوة بعض الرسائل البسيطة التي ليس بها تأويلات تخرج الطبقة الثانية بحيث لا يبقى إلا رجال الدرجة الأولى الذين لهم وحدهم الحق في سماع الأسرار العليا للعقيدة أما الجهال فلا يسمح لهم بحضور هذه الخلوات أو بسماع شيء من الكتب المقدسة إلا في يوم عيدهم وهو يوافق عيد الأضحى عند المسلمين على أن طبقة الجهال يسمح لهم بأن ينتقلوا إلى طبقة العقال بعد امتحان عسير شاق يقوم على ترويض النفس واخضاع شهواتها مدة طويلة إذا لا يقبل في طبقة العقال من يد من التدخين مثلا وقد يستمر الامتحان أكثر من سنة بأكملها حتى يثق الشيوخ بأحقية الطالب أن ينتقل من طبقة الجهال إلى طبقة العقال » .

وقال عن صفات العقال: «والعقال في المجتمع الدرزي يعرفون بعمائمهم ولبس القباء الأزرق الغامق ويطلقون لحاهم على أن الذين يسند إليهم وظائف حكومية يباح لهم ترك هذه الملابس وارتداء الزي الذي يتطلبه منصبه الرسمي» .

وقال عن مكانة المرأة في المذهب الدرزي: « والنساء في المجتمع الدرزي ينقسمن أيضا إلى عاقلات وجاهلات مثل الرجال تماما لا فرق بين المرأة والرجل والنساء العاقلات يلبسن النقاب وثوبا اسمه صباية » .

وعن التنظيم الاجتماعي السائد في المجتمع الدرزي يقول: « وللدروز رؤساء دينيون في كل مكان على رأسهم شيخ يلقب بشيخ العقل ويتولي منصبه بالانتخاب أو بالاتفاق بين الزعماء وكبار رجال الطائفة ، ولشيخ العصر أعوان في كل قرية أو بلدهم شيوخ عقل محليون وشيوخ العقل في لبنان ينقسمون إلى حزبين سياسيين هما الشيوخ الجانبلاطية^(١) والشيوخ اليزبكية^(٢) بينما ينقسم الدروز عامة في لبنان مدنيا إلى أمراء ومشائخ وعامة فالأمراء هم آل أرسلان^(٣) والمشائخ هم الجانبلاطية واليزبكية^(٤) .

ويذكر محمد حمزة أن أغلب الأحكام الفقهية التي ليس للدروز فيها تشريع خاص يتبعون فيها مذهب أبي حنيفة النعمان وأن ذلك كان بتأثير العثمانيين الذين فرضوا المذهب الحنفي في سوريا ولبنان^(٥) .

(١) الجانبلاطية نسبة إلى جانبلاط بن سعيد ابن مصطفى بن حسين جانبلاط .

(٢) اليزبكية عائلة من مشائخ الدروز في لبنان ينسبون إلى قبيلة من قبائل أزد عمان القيسية .

(٣) آل أرسلان هم المناذرة ملوك الحيرة الذين كان لهم في زمن الدولة العباسية قوة ونفوذ في لبنان وكذلك في زمن الدولة الفاطمية .

(٤) انظر طائفة الدروز ص ٢٨ ، ٢٩ فصل « طبقات المجتمع عند الدروز » .

(٥) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١٢٤ .

الفصل التاسع

من هو الحاكم بأمر الله الذي ألهمه الدرود

هذا الشخص هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي لقب بالحاكم بأمر الله - ولد سنة ٣٧٥ هـ وتولى الملك بعد موت أبيه في رمضان سنة ٣٨٦ هـ وكان سادس الملوك العبيديين تولى الملك وعمره إحدى عشرة سنة.

ادعى الألوهية على يد حمزة بن علي، وغيره من ملاحدة الإسماعيلية سنة ٤٠٨ هـ إلى أن قتل سنة ٤١١ هـ ويذكر المؤرخون لهذا الحاكم أنه كان أسطورة في سفك الدماء وإرهاب الناس وكانت له مواقف متناقضة عجيبة وله غرائب كثيرة.

ومن غرائبه أنه كان دائما يفتك بوزرائه ويقتلهم شر قتلة يعين أحدهم في منصبه ثم يقتله ويعين آخر فلا تمضي فترة بسيطة إلا وهو يتشحط في دمه وقد قتل من العلماء والكتاب ووجوه الناس ما لا يحصى .

لقد كان الحاكم نفسه مثال الشذوذ فقد كانت له تصرفات غريبة غير مفهومة فقد لبس الصوف سبع سنين وامتنع من دخول الحمام وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلا ونهارا. ثم عني له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة ومن تناقضاته أنه مرة يأمر بسب الصحابة وبكتابه ذلك في المساجد ثم يعود فيأمر به أن تمحى. وقد بنى المساجد الكثيرة ثم منع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها وأراق خمسة آلاف جرة من العسل في البحر خوفا أن تعمل نبيذا ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلا ونهارا. ثم أمر بقتل الكلاب كلها ثم عاد فمنع من ذلك وهكذا كانت حياته مليئة بالمتناقضات والشذوذ وقد أثبت حمزة كثيرا من تناقضات الحاكم وتصرفاته المجانبية للعقل ثم أجاب عن كل ذلك بتأويلات باطنية^(١).

(١) انظر طائفة الدرود ص ٤٢ - ٤٧ وفيها وصف كامل لكل حياة الحاكم وتصرفاته اليومية وأعماله وكل مايقوم به. وانظر لمزيد التفاصيل. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :

١٧٧٠، ١٧٦/٤ .

ويقول السيوطي : أن الحاكم أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفاً أعظماً لذكره واحتراماً لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتي في الحرمين الشريفين .

وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرواً سجداً جتي أنه يسجد بسجودهم في الأسواق وغيرها وكان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً كثير التلون في أقواله وأفعاله»^(١).

وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له وكان لا يركب إلا حماراً - فمن وجدته قد غش في معيشة أمر عبد له يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى^(٢) وهو منكر لم يسبقه إليه أحد وأما القتلى فقد قدر بعض العلماء ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات .

ومما يروى في إرهابه للناس . أنه أمر في سنة ٣٩٥هـ بعمل شونة كبيرة مما يلي الجبل وملئت بالسنت والبوص والحلفاء فارتاع الناس وظنه كل من له صلة بخدمة الحاكم من رجال القصر أو الدواوين أنها أعدت لإعدامه بها وسرت في ذلك إشاعات مخيفة .

فاجتمع سائر الكتاب وأصحاب الدواوين والمتصرفون من المسلمين والنصارى في أحد ميادين القاهرة ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر فوقفوا على بابه يضحجون ويتضرعون ويسألون العفو عنهم ثم دخلوا القصر ورفعوا إلى الحاكم بواسطة قائد القواد الحسين بن جوهر ورقة يلتمسون فيها العفو . فأجابهم الحاكم علي لسان الحسين إلى ما طلبوا وأمروا بالانصراف

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : ٦٠١ / ١ .

(٢) البداية والنهاية : ٩ / ١٢ ، وانظر طائفة الدروز ص ٣٨ وقف علي تشكيك د/محمد كامل حسين في صحة ذلك .

والبكور لتلقي سجل العفو .

ثم اشتد الذعر بالغلمان والخاصة على اختلاف طوائفهم فضجوا واستغاثوا وطلبوا العفو والأمان فأجيبوا إلى ما طلبوا وتبعهم في الاستغاثة التجار وأرباب المهن والحرف . وتوالي صدور الأمانات لمختلف الطبقات^(١).

وهذه حالة واحدة من أحوال الحاكم العديده وواضح من تلك السجلات العجيبة مدي بطشه بالناس واستهائته بسفك الدماء حتي صار الناس يطلبون العفو من غير جرم فعلوه . وكل ذلك كان تمهيدا للدعوي الألوهية . وصورة كتاب الأمان هي: « هذا كتاب عبد الله ووليه المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين وأمان جدنا محمد خاتم النبيين وأبينا علي خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله علي الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وأمان أمير المؤمنين علي النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمديد بسوء إليكم إلا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمستوجه فيوثق بذلك وليعول إن شاء الله »^(٢).

ولقد حيرت العلماء مواقف الحاكم واختلفت كلمتهم حول الحكم عليه «فقد رفعه قوم إلى درجة الألوهية وهم الدرور واعتقد فيه قوم أنه إمام المسلمين وخليفة رب العالمين وهم الاسماعيلية الفاطميون وذهب أكثر المؤرخين إلى أنه كان شاذ الطباع مريضا بالعقل يأتي بأعمال تضحك الشكلى تدل على الجنون وهؤلاء هم مؤرخوا العرب والمؤرخون المسيحيون»^(٣).

ولكن وبالنظر إلى أن مدة الحاكم كانت من سنة ٣٨٦ إلى سنة ٤١١ هـ يظهر أن الاعتذار عنه بأنه كان مجنونا ؛ كلام لا يلتفت إليه لأنه من المحال أن يبقى في الحكم شخص مجنون مدة تصل إلى خمس وعشرين سنة .

(١) انظر الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان ص ٥٩ عقيدة الدرور ص ٤٨ .

(٢) طائفة الدرور ص ٣٩ نقلا عن المقرئزي . (٣) طائفة الدرور ص ٣١ .

بل كان سلوك الحاكم على تلك الصور إنما نشأ عن تأثير فكرة الألوهية وأن كل ما صدر عنه من أعمال وأقوال إنما كان بدافع واحد وهو تأليهه - خصوصا وأنه تولي الحكم وهو صغير السن وقد أحيط بهاله من التعظيم مما أسبغته العقيدة لإسماعيلية على أئمتها فكان يطمح إلى أكثر من الملك، إضافة إلى ما زينه له بعض زعماء المجوسية من الجرأة على تلك الدعوى بعد أن قربهم إليه وصاروا خاصته حتى أنسوه الدين والعقل وبعد أن رأى كذلك دعوى الوهية بعض أهل البيت عند السبئية وألوهية جعفر عند الخطابى وغيرهم ممن ادعى الألوهية^(١) أو ادعيت له .

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد من بين الكتاب المعاصرين من يحاول الدفاع عن الحاكم وعن تصرفاته متهما المؤرخين بالتحاميل على تاريخ الحاكم وأنه ما كان إلا مفكرا مخلصا لوطنه وحاكما بارعا^(٢) إلخ .

وهذا الدفاع عن الحاكم يعتبر شذوذا وزورا ويكفي لرد سخافته ما أجمع عليه العلماء من تاريخ ذلك الحاكم الضال .

هلاك الحاكم

لقد شغف الحاكم بالطواف بالليل . خصوصا في جنبات جبل المقطم بالقاهرة ينظر في النجوم ويخلو بنفسه .

وفي ليلة الإثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ خرج كعادته للطواف في هذا الجبل وليس معه إلا رجل وصبي ، ولكنه لم يرجع إلى بيته ومن هنا وقع الخلاف بين الناس في شأنه .

فقيل إن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله لأمرين :

(١) انظر طائفة الدروز ص ٤٩ .

(٢) هذا ما يذكره الدكتور أحمد شلبي في كتابه « التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ص ١١٦ - ١١٢ » نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢١٢ .

- إنها خافت على نفسها من بطشه إذا اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال فأثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها ودفنته في مجلس دارها .

- والأمر الثاني : هو إنكارها لما أقدم عليه الحاكم وخوفها أن تزول الخلافة بسبب دعواه الألوهية^(١) . وبعض العلماء ينكرون أن تكون أخته قتلته .

وقد ذهب د / محمد كامل حسين إلى القول أن الحاكم قتل نتيجة مؤامرة يهودية لاضطهاد الحاكم لهم ويرى أن هذا هو القول الصواب وما عداه لأصح له^(٢) بينما يذهب الدكتور محمد أحمد الخطيب إلى أن الحاكم قتل بسبب مؤامرة باطنية بسبب ما أفشاه من مذهبهم السري^(٣) وقد رد على المقريري الذي ذكر هو الآخر أن الحاكم قتله شخص ثم اعترف بذلك^(٤) فهو يرى « أن قتل الحاكم كان مؤامرة معدة بأحكام من قبل سلطات الدولة الرسمية وبمباركة دعاة الاسماعيليين » .

ومهما قيل فقد كان لاختفاء الحاكم على هذا الوجه فرصة لإذكاء دعوة الدروز وأن الحاكم اختفي وسيعود قريبا مرة أخرى ويملك الأرض وينشر العدل إلى آخر خرافاتهم فيه وإذا كان ما ذكره الخطيب صوابا فلا استبعد أن يكون هناك تواطئ أيضا على إخفاء موته وجثته عن الناس ليتم تنفيذ بقية المخطط الذي يريدونه ومن الجدير بالذكر أن القول بانتظار الحاكم ليظهر مرة أخرى كان هو نفس معتقد الشيعة الاثني عشرية في المهدي المنتظر ولقد جرى على الدروز ماجرى على الشيعة من ظهور بعض الأشخاص المغامرين يدعون أنهم :

- المهدي عند الشيعة أو الحاكم عند الدروز .

- فقد ظهر رجل اسمه « سكين » كان رئيس الدعوة الدرزية في سوريا ادعى أنه الإله الحاكم بأمر الله قد رجع من غيبته في سنة ٤١٨ هـ خصوصا وأنه

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢١٣ .

(٢) طائفة الدروز ٤٨ .

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٤) انظر ص ٢١٤ .

كان يشبه ملامح الحاكم وقد وصل مصر ودعا الناس إلى هذه الفكرة بل ووصل إلى قصر الحكم ووقف على بابه ينادي أصحابه بأنه الحاكم فارتاع حرس القصر برهة ثم عادوا إلى رشدهم وهجموا على سكين وأصحابه وقتلوهم وأخذ سكين وصلب ثم ظهر رجل آخر في صعيد مصر قبطي اسمه شروط ادعى أنه الإله الحاكم بأمر الله وأعيان الدولة في القبض عليه وسمى نفسه أبا العرب .

ثم ظهر شخص آخر يعرف بابن الكردي وادعى نفس الدعوة السابقة إذ إنها صارت دعوى سهلة لا تتطلب أكثر من الجرأة والإقدام والاستهانة بعقول الناس واستحلال الكذب بكل أشكاله .. قال محمد كامل حسين : « وهكذا كانت عقيدة غيبة الحاكم وقرب عودته مثار الظهور عدة أشخاص يدعون بأنهم الحاكم بأمر الله مما يذكرنا بعقيدة المهدي المنتظر فكم من رجال ادعوا بأنهم المهدي هذا»^(١).

والواقع أن هذه المهازل هي الترجمة الصحيحة لتطبيق المذهب وإبراز مبادئه واضحة للعيان .

﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾^(٢).

(١) طائفة الدروز ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٩ .

الفصل العاشر

أهم عقائد الدروز

للدروز عقائد كثيرة وخرافات عديدة ملفقة من عدة ديانات وأساطير وقد ذكر الدكتور محمد أحمد الخطيب أنه عثر على مخطوطة للدروز بعنوان «رسالة في معرفة سر ديانة الدروز».

ويري من وجهة نظره أنها كتبت في فترة ليست بالطويلة مستنداً إلى ما يبدو عليها من اللهجة اللبنانية وهي ٤٣ سؤال وجواب نأخذ على سبيل المثال منها الأسئلة الآتية :

س : أدرزي أنت .

ج : نعم بنعمة مولانا الحاكم سبحانه .

س : لماذا إنكار كتب سوى القرآن .

ج : اعلم أنه من حيث لزمنا الاستتار بدين الإسلام^(١) ووجب علينا الإقرار بكتاب محمد .

س : ماهو دين التوحيد الذي عليه الدروز والعقال مستدلون .

ج : هو الكفر بكل الملل والطوائف .

س : فإذا عرف أحد دين مولانا وصدق به وإنقاد إلى دين التوحيد وعمل بحسبه فهل له خلاص ؟

ج : كلا لأنه غلق الباب وشم الكلام وإذا مات يرجع إلى ملته ودينه القديم وهذا هو السر في أن الدروز لا يريدون أحدا يدخل في دينهم ولا يعترفون بأحد يخرج منه .

(١) هكذا وبكل صراحة .

س : كيف نعرف أختانا الموحد إذا رأيناه في الطريق ومر بنا يقول أنه فينا ؟ .

ج : بعد اجتماعنا فيه والسلام نقول له في بلدكم فلاحون يزرعون الاهليلج فإن قال : نعم مزورع في قلوب المؤمنين فتسأله عن معرفة الحدود فإن أجاب وإلا فهو الغريب .

س : ماهي الحدود ؟ .

ج : هم أنبياء الحاكم الخمسة : حمزة ، وإسماعيل ، ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء الدين .

س : وكيف ترجع النفوس إلى أجسادها ؟

ج : كل ما مات إنسان ولد آخر والدنيا هكذا .

إلى آخر تلك الأسئلة التي تبين معتقداتهم والتي تمثل الأمور الآتية الهامة :

١ - ألوهية الحاكم :

حيث أسبغ الدرور كما قرره زعيمهم حمزة بن علي ومن اشترك معه في تثبيت هذه الجريمة على شخصية الحاكم أوصافا لا تكون إلا لله عز وجل مدعين أن الحاكم له حقيقة لاهوتيه وظهر بناسوته ليقيم الحجة على عباده... وأن أفعاله المتناقضة له فيها حكمة .

مع أن الدرور كغيرهم من فرق الضلال أحيانا يتظاهرون أمام خصومهم بالموافقة لهم ويتواصون بكتمان تأليه الحاكم عندما لا يقدرّون على إظهار ذلك - كما تقدم - وللداخل في هذا المذهب عهد لا بد أن يقوله ويردده .

وفيه التصريح ببيع الشخص الدّاخل نفسه للحاكم وأن يخلص في عبادته وأن يتبرأ من جميع الأديان غير هذا الدين - الدرزي - وأول العهد يقول : «آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى رب المشرقين ورب المغربين^(١) الخ » .

(١) انظر لذلك العهد بطوله ص ٢٢٨ - ٢٣٠ من كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي .

ولهم تأويلات للقرآن تدل على مدي حقدهم على الإسلام ونبيه وتدل كذلك على ضحالة وتفاهة عقولهم وأفهامهم مما لا نرى التطويل بذكره .
ورسائل حمزة كثيرة يثبت فيها ألوهية الحاكم أخذ جميع صفات الله عز وجل وأحكامه وما يليق به ومالا يليق به وجعلها للحاكم وادعي أن الشرك معناه عدم توحيد الحاكم .

جاء في « رسالة السيرة المستقيمة » وهي من الكتب المقدسة عند الدرور قوله : «والآن فقد دارت الأدوار وبطل ما كان في جميع الأمصار ولم يبق من نار الشريعة الشركية غير لهيبتها والشرار وسوف يخمد حرها ويضمحل العوار فقد بدأت ظهور نقطة البيكار ؛ (أي ظهور حمزة بن علي) بتوحيد مولانا البار الملك الجبار العزيز الغفار المعز القهار الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن صاحبه والولد فلمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الأنوار وخروج ما كان مدفونا تحت الجدار فقد أنعم علينا وعليكم بمباشرته في البشرية وظهوره لكم في الصورة المرئية كيما تدر كون بعض ناسوته الإنسية»^(١).

وقد علل حمزة لسبب تسمية الحاكم بالإمام أو الخليفة بقوله :

« ولو كان في العالمين شيء أفضل من الإمامة لكان المولى جل ذكره في ظاهر الأمر تسمى به . فلما لم يظهر في الناس إلا باسم الإمامة علمنا أنه أجل أسماء المولى جلت قدرته »^(٢).

ومن عقائد الدرور أن الحاكم يتشكل في كل عصر ودور بصور أناس من أجل مصلحة الناس ومراعاة لحالهم وليس المشاهير في تلك العصور أناس غير الحاكم بل هم الحاكم تصور بصور واتخذ له تلك الأسماء الإنسية ليتعرف خلقه إليه تفضلا ورحمة منه على عباده^(٣).

(١) طائفة الدرور ص ١٠٥ . (٢) رسالة الصبحة لحمزة - عن عقيدة الدرور ص ١٣٣ .

(٣) رسالة من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن لحمزة بن علي عقيدة الدرور ص ١٣٣ .

ولقد ذكر الدكتور محمد كامل حسين كثيرا من أقوالهم في إثباتهم ألوهية الحاكم من كتبهم - مطبوعة ومخطوطة - رغم تحرزهم على إخفائها عن أعين الناس ومن تلك النصوص :

١ - جاء في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « ومولانا سبحانه معل علة العلل جل ذكره وعز اسمه ولا معبود سواه ليس له شبه في الجسمانيين ولا ضد في الجرمانيين ولا كفاء في الروحانيين ولا نظير في النفسانيين ولا مقام له في النورانيين »^(١).

٢ - وفي رسالة سبب الأسباب لحمزه الزوزني : « فقولي توكلت على مولانا جل ذكره أردت به لاهوت مولانا الذي لا يدرك بوهم ولا يدخل في الخواطر والفهم ما من العالمين أحدا لا هو معهم وهم لا يبصرون يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو جل ذكره أعظم من أن يوصف أو يدرك ومن اتكل عليه فهو يكفيه جميع مهماته »^(٢).

ونصوص أخرى كثيرة كلها تدور حول وصف الحاكم بكل صفات الله تعالي لأنهم يعتبرونه « رب العالمين » تصور في صورة الحاكم في دوره الجديد تأنيسا لخلقته حيث ظهر في الصورة البشرية ليجدد الناس العهد به ولولا ذلك لكان الناس يعبدون العدم كما يري هؤلاء الكفرة .

وفي رسالة الغيبة : « أظهر لنا ناسوت صورته تأنيسا للصور فحار فيها الفكر حين فكر وعجزت العقول عن إدراك أفعالها واعترفت بالعجز والتقصير في معلومها فبتقدير أحكامه من عل خلقه بوجود صورته من جنس صورهم »^(٣).

ولا يقصر الدروز الألوهية على الحاكم فقط بل أطلقوها على كثير من آباءه ومن كبار رؤسائهم على مقتضى اعتقادهم أن الله يظهر للناس بين فترة وأخرى

(١) طائفة الدروز ص ١٠٢ . (٢) طائفة الدروز ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٣ .

في صور بشرية ولا ضرورة لذكر آلك الأشخاص الذين يعتبرونهم ظهوراً إليها في أوقات وجودهم وليس أمامنا تجاه هذه الآراء الإلحادية والتي تفتقر أيضاً إلى العقل إلا أن نقول ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾.

٢ - القول بالتناسخ

يعتقد الدرّوز بالتناسخ أو التقمص كما يسمونه ومعناه عندهم انتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر . والجسم قميص للروح التي لا تموت أبداً بل تتقمص أجساماً أخرى في كل نقله فنفس الموحد تنتقل إلى موحد ونفس المشرك إلى مشرك ومن هنا زعموا أن عدد سكان العالم غير قابل للزيادة ولا النقصان منذ بدء الخليقة ويبقى على هذه الحال إلى الأبد فهم لا يزيدون ولا ينقصون وكل من مات انتقلت روحه إلى جسد جديد دائماً^(١).

ومفهوم التناسخ عند الدرّوز يختلف عن مفهومه عند الآخرين من القائلين بالتناسخ كالنصيرية مثلاً .

فالدرّوز يقصرون التناسخ بين الأجسام البشرية فقط بينما هو عند النصيرية لا ينحصر فقط بين البشر بل وقد يكون أحياناً بينهم وبين البهائم حيث تنتقل الأرواح فتحل في أي جسم ، جسم بهيمة أو غيرها .

والدرّوز يكرهون لفظ التناسخ ويستبدلونه بلفظ التقمص .

ويعود السبب في قصر الدرّوز التناسخ في الأجسام البشرية لما يأتي :-

١ - قالوا أن انتقال النفس إلى جسم حيوان غير بشري ظلم لها لعدم تعلق الثواب والعقاب على غير النفس العاقلة .

٢ - أن وقوع العقاب على النفس لا يصح إلا بعد مرورها في أجسام بشرية على مدى دهر طويل بحيث يمنحها الدهر الطويل فرصة الاكتساب والتطور

(١) طائفة الدرّوز ١٠٧ .

والامتحان والتبدل لكي تحاسب حسابا عادلا على مجموع ما اكتسبت وحققة العذاب عند الدروز معناه أن الإنسان يعذب بنقله من درجة عالية إلى درجة دونها ثم يستمر في هذا الهبوط إلى أقل الدرجات ويعذب في كل دور بأنواع العذاب التي هي عذاب الضمير وعذاب الندم على ما فات لأنها لم تنتفع من أدوارها الماضية .

ومن خرافاتهم أنهم يشبهون الروح بسائل يحتاج إلى إناء يضبطه فإذا كسر فلا بد من تلقى السائل في إناء غيره لئلا يضيع ، وعلى هذا فإن روح أحدهم إذا فارقت الجسم انتقلت فورا إلى جسم آخر تحفظ فيه . وفي نقلتها الجديدة ترجع على نفس المذهب الذي كانت عليه أيا كان المذهب . ومن هنا تعرف السرفى عدم قبول الدروز لغيرهم أن يدخلوا في مذهبهم وعدم اعترافهم بأحد منهم يخرج عنه حتى ولو تركه وهو حى طائعا مختاراً .

لأن روحه فى نقلتها أو تقمصها الجديد ستعود على نفس المذهب الدرزى فلا فائدة إذا من دخول الآخرين فى مذهبهم لأن أرواحهم سترجع إلى مذاهبهم القديمة ثانية إذا ماتوا ومما لا يجهله أى مسلم أن عقيدة التناسخ عقيدة بدائية وثنية تتعارض مع كل الأديان التى أنزلها الله تعالى إذ كلها تقرر أن الإنسان إذا مات انتقلت روحه إلى خالقها سواء كانت منعمة أو معذبة ولها اتصال بالجسد فى صورة لا يعلمها إلا الله إلى أن يأتى يوم القيامة وتعود الأرواح إلى أجسادها للحساب ثم للمصير النهائى إما الجنة أو النار .

٣- إنكار القيامة :

لا يؤمن الدروز بيوم القيامة فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب فى الحياة الآخرة وإنما يتم ذلك كله فى الدنيا عن طريق التقمص وما تلاقيه الروح فى تقمصها من النعيم أو العقاب إلا أنهم ينتظرون يوماً يجيء الحاكم فى صورة ناسوته مرة أخرى ويدين له كل أهل الأديان بالتوحيد والطاعة كما يزعمون:

يخرج من بلاد مصر كما يرى حمزة أو من بلاد الصين من سد الصين العظيم
وحوله قوم يأجوج ومأجوج القوم الكرام أو المؤمنين بالحاكم كما يسمونهم.

ويتضح حقد هؤلاء على الإسلام والمسلمين في زعمهم أن الحاكم إذا جاء
يأتى إلى الكعبة ويهدمها ويفتك بالمسلمين والنصارى فى جميع الأرض حيث
يحاسبهم حمزة حساباً شديداً (١) .

وأما متى يكون هذا اليوم فيذكر محمد كامل حسين أنه لم تحدد كتب
الدروز ذلك ولكنها تذكر أنه سيكون في شهر جمادى أو رجب ويسبق مجيئه
علامات منها :

١ - عندما يرى الملوك يملكون حسب آرائهم وأهوائهم الشخصية ولا يعدلون
بين الرعية .

٢ - عندما يتسلط اليهود والنصارى على البلاد .

٣ - وعندما يستسلم الناس إلى الآثام والفساد يأخذون بالآراء الفاسدة .

٤ - وعندما يملك شخص من ذرية الإمامة ويعمل ضد شعبه وأمتة ويضع نفسه
تحت سلطان المخادعين .

٥ - ثم ظهور ملك آخر في مصر يحارب المصريين ويحاربونه .

٦ - ويأتى المسيح الدجال في صورة رومى يجتمع الروم حوله ويخرب حلب

٧ - ثم يظهر المسيح بن يوسف في أرض مصر .

ويملك اليهود بيت المقدس ثم ينتقمون من سكان القدس وعكا ثم يقوم المسيح
ابن يوسف ثم يطرد اليهود من بيت المقدس إلى غير ذلك من العلامات المزعومة (٢)،
ولهذا فهم يفرحون باستيلاء اليهود على بيت المقدس ويتسلط النصارى على
المسلمين بل وظهور الفواحش كلها ليظهر ربهم الحاكم ويكون المجازى للعباد

(١) الحركات الباطنية ص ٢٣٦ نقلا عن مخطوطه وجدها في جبل لبنان لمؤلف مجهول .

(٢) طائفة الدروز ص ١٢١، ١٢٢ .

في هذا اليوم هو حمزة يأخذ مال المخالفين ويعطيه لأتباعه الموحدين^(١).
ومن الطرائف المضحكة أن أحد مشائخ الدرود ويسمى داود أبو شقراء
أعلن أن يوم القيامة سيكون في ١٦ آب عام ١٩٥٢م معتمداً في ذلك على
حساب الحروف والجمل وبالفعل فقد اقتنع بذلك بعض شيوخ لبنان وحواران
وشاع الخبر وجاء الوقت وظهر افتراء الكذابين ولم يحصل ما توقعوه^(٢).
وحساب الجمل والحروف والمنامات وما يقع فيها من أخبار بيوم القيامة وما
يزعمه بعض الناس من مشاهدة الدابة ومخاطبتها له^(٣) وغير ذلك من أخبار
القيامة كلها تلفيقات وهي مطايا الكذابين.

٤ - عداوتهم للأنبياء :

يحقد الدرود على الأنبياء حقداً شديداً وينكرون فضائلهم بل ونسبوهم إلى
الجهل لأنهم يدعون الناس بزعمهم إلى توحيد المعدوم - تعالى الله عن قولهم -
وما عرفوا المولى الموجود - أى الحاكم بأمر الله - .
وقد أوجب داعيتهم الأول حمزة محاربة دعوة الأنبياء وأوجب البراءة من
جميع أديانهم ويحقدون على الرسول محمد ﷺ كثيراً لأنه أوجب الجهاد بينما
إلهم الحاكم قد أبطله وسبوا الصحابة وخصوصاً من اطفأ نار الجوسية منهم
كأبي بكر وعمر وغيرهما من خيار الصحابة .

والدرود لا يؤمنون بالكيفية التي أخبر الله بها عن بدء الخلق فأنكروا أن
يكون آدم هو أبو البشر وحواء أمهم مدعين أن آدم وحواء من نسل بشر أيضاً لا
أن آدم مخلوق من تراب ، إذ التراب لا يخلق منه إلا العقارب والحيات والخنافس

(١) الرسالة الموسومة بالأعداء والإنذار - عقيدة الدرود ص ١٦٧ .

(٢) أيها الدرزي عودة إلى عرينك ص ٩٠ - انظر عقيدة الدرود ص ١٦٩ .

(٣) يؤمن المسلمون بظهور الدابة التي أخبر الله عنها والتي هي من علامات القيامة إذا قرب وقتها .

ولم يستندوا في هذا الافتراء والهوس إلا إلى عقولهم وأفهامهم السقيمة.(١).

٥ - إنكارهم التكليف

لا يؤمن الدرور بوجود القيام بتلك التكليف التي جاء بها الشرع في القرآن الكريم وفي السنة النبوية .

وقد جعلوا المكلف طريقة يستطيع أن يتخلص بها من كل تكليف أو عمل وهي ما بينها عنهم د/محمد كامل حسين بقوله:

«واتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها الفرائض التوحيدية وهي معرفة البارى (٢) وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء».

ثم معرفة الإمام قائم الزمان وهو حمزة بن علي بن أحمد وتمييزه عن سائر الحدود ووجوب طاعته طاعة تامة ثم معرفة الحدود(٣) بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم . فإذا اعترف الإنسان بهذه الفرائض التوحيدية الثلاثة أصبح موحدًا وليس عليه أن يقوم بتكليف أى فريضة من الفرائض «(٤) إلى أن يقول بعد ذكره شريعتهم التي نقضوا بها التكليف(٥) ؛ « ومعنى هذا أن شريعة الدرور تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية » (٦) .

ويذكر أحمد الفوزان السبب في هذا المسلك للدرور فقال : « ويعتقدون أيضا أنهم موجودون منذ الأزل واعتنقوا كثيرا من الديانات على مر الدهور كان آخرها الإسلام ثم تحولوا عنه إلى دين مستقل هو الدين الدرزي الذي يجده الأقطاب من زمن إلى زمن » (٧) .

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢ . ٣ « عقيدتهم في الأنبياء » .

(٢) أى الحاكم .

(٣) كبار دعواتهم .

(٤) طائفة الدرور ص ١١٨ .

(٥) إقرأ ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٦) الصفحات السابقة .

(٧) أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥١ .

ومن هنا فإن الدروز أخذوا في الدعوة إلى إسقاط التكاليف بتأويلاتهم الباطنية التي يستندون فيها إلى القرآن الكريم أكثر من كل الفرق وهم لا يؤمنون به فالصلاة والصوم والحج والجهاد لها معان عندهم غير المعانى التي فهمها المسلمون وبينها الرسول ﷺ وغير التي فهمها الإسماعيليون أيضا؛ لأن حمزة الزوزنى أراد أن يأتي بشرعية جديدة تبطل كل ما قبلها من الشرائع سواء كانت عقيدة الباطنية أو غيرها من العقائد والتي في أولها الإسلام ولهذا فقد أول النصوص على هواه مجانبا المفاهيم الإسلامية والباطنية أيضا في كتابه «النقض الخفى» (١).

فالصلاة : معناها صلة قلوب الدروز بعبادة الحاكم على يد خمسة حدود هم أنبياء الحاكم الخمسة - حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء الدين على بن أحمد السموقى - وهؤلاء هم أشهر دعاة الدروز ومعرفة هؤلاء وحبهم هي الصلاة عند الدروز أما الصلاة المعروفة عند المسلمين فقد أبطلها حمزة ، ومن هنا فإنهم لا يؤدونها بل وتظاهروا في هذا الزمن - كما يذكر عنهم العارفون بهم - بحرب إقامة المساجد ومنعوا ومنعوا المسلمين الموجودين بينهم من بنائها وأقاموا عوضا عنها الخلوات التي يجتمعون فيها لأقامة طقوسهم . وهذا المفهوم للصلاة عند الدروز يخالف أيضا مفهومها عند الباطنية الذين يزعمون أن معناها الدعاء إلى الإمام ومعرفة الأئمة (٢).

والزكاة معناها عبادة الحاكم وتزكية قلوبهم وتطهيرها وترك ما كانوا عليه قبل معرفة الحاكم في ظهوره الجديد يقول عنهم محمد كامل حسين : « الزكاة الحقيقية هي توحيد المولى وترك ما كان عليه الناس قديما » (٣) ؛ أي من الأديان بما فيها الإسلام ، بينما الزكاة عند الباطنية معناها أخذ العلم عن الأئمة (٤) .
والصوم معناه صيانة قلوبهم - التي هي من أرداد القلوب - بتوحيد مولاهم

(١) انظر لهذه المعانى «النقض الخفى» - نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٨٠ .

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٨ .

(٣) طائفة الدروز ص ١١٨ .

(٤) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٨ .

الحاكم وقد ذكر محمد حسين أن الدورز يصومون في أيام خاصة وهي التسعة الأيام الأولى من شهر ذى الحجة (١) .

بينما الصوم عند الباطنية معناه كتمان أسرار الأئمة (٢) .

والحج معناه توحيد الحاكم لا المجيء إلى مكة والطواف والسعى والرمي والوقوف بعرفة إلى آخر مشاعر الحج بينما هو عند الباطنية طلب العلم والمجيء إلى مشائخهم . (٣)

ولهم كلام في غاية الفحش والاستهزاء بهذه المشاعر التي فرض الله تعظيمها .

والجهاد : معناه السعي والاجتهاد في توحيد الحاكم ومعرفة وعدم الاثراك به لا الجهاد الذي فرضه الله لأن الحاكم أبطله في الشرع الجديد .

بينما الجهاد عند النصيرية الباطنية كما يذكر سليمان الأضنى نوعان :

١ - أولهما الشتائم على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة وعلى جميع الطوائف المعتقدين بأن علي بن أبي طالب أو الأنبياء أكلوا وشربوا وتزوجوا وولدوا من نساء ؛ لأن النصيرية يعتقدون بأنهم نزلوا من السماء بدون أجسام وأن الأجسام التي كانوا فيها إنما هي أشباه وليست هي بالحقيقة أجسام .

والنوع الثاني : من الجهاد - إخفاء مذهبهم عن غيرهم ولا يظهره ولو أصبحوا في أعظم الخطر وهو خطر الموت « (٤) .

وهكذا فإنهم أرادوا بهذه الأفكار محاربة الإسلام والقضاء عليه بأى وسيلة يستطيعون من خلالها تحقيق أهدافهم الخبيثة وعودة الناس إلى الجوسية وهم ألد أعداء الإسلام والمسلمين قديما وحديثا .

(١) طائفة الدورز ص ١٢٠ . (٢) فضائح الباطنية ص ٥٦ . (٣) بيان مذهب الباطنية ص ٨ .

(٤) الباكورة السليمانية ص ١٦٤ نقلا عن الحركات الباطنية ص ٣٩٢ .

الفصل الحادي عشر الدروز في العصر الحاضر

كمال جنبلاط ودوره في تثبيت عقيدة الدروز .

هذا الشخص من كبار الدروز ومن أشد المتعصبين لمذهبه الدرزي وقد أقدم على جريمة كبيرة في هذا العصر حيث بدأ هو وشخص آخر اسمه عاطف العجمي بتأليف كلام يحاكيان به القرآن الكريم زاعمين أنه كلام مقدس تحت اسم المصحف المنفرد بذاته أو مصحف الدروز مملؤ من شتى الأفكار ومن شتى السور من القرآن الكريم .

ومن حكم الهند التي يميل إليها كمال جنبلاط كثيرا بل هي قبلة حجهم إلى وقتنا الحاضر ومن كلام زعمائهم فأصبح خليطا فاسدا يدور كله حول تأليه الحاكم والثبات على العقيدة الدرزية ومع أن هذا المصحف - كما يسمونه - قد نسب إلى حمزة بن علي إلا أن الدكتور الخطيب يرى أنه من صنع كمال جنبلاط بدليل ما جاء فيه من ألفاظ وأسلوب عصري وقد أنكر جنبلاط في مصحفه هذا القرآن الكريم واعتبره فرية وشنع على الذين يلتزمون به وقد نقل الدكتور الخطيب عن هذا المصحف - الذي لا يوجد إلا عند الدروز وقد تيسر له الاطلاع عليه فنقل عنه هذه النصوص : « لقد ضل الذين جحدوا الحكمة^(١) واتبعوا فرية صحف اكتبوها فهي قبلة آباؤهم يتلون بها بكرة وعشيا^(٢) وقالوا هذا من عند الله المعبود^(٣) .

وقال الذين كفروا منكم إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وعليه وجدنا آباءنا قل لو كنتم على الهدى لآمنتم به ولكنكم لا تعلمون غير ما تهواه أنفسكم وأنتم تجهلون نحن أعلم بما في أيديكم ونحن المنزلون لقد ضل هؤلاء الذين

(١) يقصد أهل مجالس الحكمة التي أنشأها الحاكم لتثبيت ألوهيته .

(٢) على رغم أنه . (٣) إذا ذكر المعبود عند الدروز فإنهم يريدون به الحاكم .

يريدون أن يحكموا بالقرآن ويتخذوه سبيلا ثم به يكفرون بعد أن تبين الحق قل
أليس الحق أن يتبع (١) « « ويقسم هذا المصحف إلى أربعة وأربعين عرفا ويقع في
٢٦٩ مائتين وتسع وستين صفحة ويقول كاتبه في مقدمته : جرى تقسيم هذا
المصحف المكرم وفق المواضيع لتسهيل الاطلاع عليه ووضع لكل فصل تسمية
تنطبق مع ما ورد فيه من معان ولقد اخترنا اسم العرف تناسبا مع ما يطلق على
أبناء التوحيد : كنيتم بالأعراف ووصفتم بالأشراف « (٢) .

جاء في عرف الأمر والتقديم من هذا المصحف قوله : « أنتم وماتعبدون
مكبكون على وجوهكم يوم ينادى منادى مولاكم الحاكم من مكان بعيد . هذا
يومكم الذى فيه توعدون تتلوها أيام العذاب أنكم لخالدون ولات محيص ...
إلى أن يقول : « وإلا فقولوا لي أيها الضالون المعاندون فهل جاء لكم رب غيره
مع جنوده أروني إن كنتم صادقين » . (٣)

وفي هذا المصحف ألفاظ كتبت بالعربية وهي غير معروفة يرونها من
الأسرار التي لا يبوحون بها لأحد ومن أمثلتها «يود يلووهكا طران كنان
وهقويكان سهى وهطمكل واطغظلوأو هكز كان بطكه وعد ودلولد
وسلر» (٤) .

وقد ذكر الدكتور الخطيب (٥) أمثلة كثيرة من ما جاء في هذا المصحف
الذى يدور حول تثبيت ألوهية الحاكم والابتعاد عن كل الشرائع وعلى رأسها
الإسلام الذى يتظاهرون به أمام الناس وهم ألد أعدائه .

(١) المصحف المنفرد بذاته ، عرف عاقبة المكذبين ص ٢٤١ ، ٢٤٢ وعرف المحرمات ص ١٥٤ ،
١٥٥ ، الحركات الباطنية ص ٢٨١ .

(٢) مصحف الدروز ص ١ عقيدة الدروز ص ٩٧ .

(٣) مصحف الدروز عرف الأمر والتقديم ص ١٠ - ١١ عقيدة الدروز ص ٩٧ .

(٤) عرف شمس المغيب ص ٢٣٠ .

(٥) انظر عقيدة الدروز ص ٩٥ ، ٩٩ وانظر الحركات الباطنية ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وقد ظن هذا الملحد أنه بمحاكاته للقرآن الكريم في أسلوبه جاء بشيء ينفع
إلهه الحاكم الذي تكلم هو على لسانه بهذا الغثاء الذي يتمنى أن يهدم به الإسلام
الذي اكل الحقد عليه قلوبهم ومالأوا بالتشنيع عليه كتبهم ومقالاتهم ولكنهم
كانوا كما قال أحد الشعراء :

كنا طح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

الفصل الثانى عشر

الفرق بين النصيرية والدروز

يتفق النصيريون والدروز في أمور ويختلفون في أمور أخرى وبين الطائفتين عداوة شديدة لتباين أفكارهم حول دعوى الألوهية لزعمائهم الذين ينتسبون إليهم وقد اتضح من خلال دراستنا للطائفتين فيما سبق الأمور الآتية :

- ١ - أن عقيدة الطائفتين باطنية - من الغلاة - .
- ٢ - أنهم لا يطلعون أحدا على أسرار مذهبهم وكتبهم السرية .
- ٣ - لا يعترف الدروز لأحد بالدخول في مذهبهم أو الخروج عنه .
- ٤ - لا يأخذون بظواهر الألفاظ وإنما يؤولونها .
- ٥ - كلهم يقولون بالتناسخ - ويختلفون في التسمية فالنصيريون يسمونه « تناسخ » والدروز يسمونه « تقمص » والنصيرية يعممونه في كل شيء بينما الدروز يحصرونه بين البشر فقط .
- ٦ - عند النصيرية التناسخ يشمل المسخ^(١) والنسخ^(٢) والفسخ^(٣) والرسخ^(٤) .
- ٧ - الجسد البشرى في عقيدة الدروز ثوب أو قميص للروح تتقمص به الروح و عند الولادة وتنتقل منه بالموت فورا إلى جسد مولود إنسانى آخر .
- ٨ - الجنة عند الدروز معرفة الدعوة الهادية - أى الدعوة الدرزية و الجحيم هو الكفر بها . والنصيريون يقولون بأن الجنة معرفة ألوهية على بن أبى طالب و الجحيم هو الكفر بها أو الجهل بها .

(١) هو انتقال الروح من جسم آدمى إلى جسد حيوان .

(٢) هو انتقال الروح من جسم آدمى إلى جسم آدمى آخر .

(٣) هو خروج الروح من جسم آدمى إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

(٤) هو انتقال الروح من جسم آدمى إلى الشجر والنبات والجماد . انظر طائفة النصيرية ص ٨٨ .

- ٩ - يتفقون جميعا في اعتبار الحج ظاهرة وثنية وأنه كفر وعبادة أصنام .
- ١٠ - كل هذه الطوائف تتفق في التشديد على التقية والسرية التامة .
- ١١ - الشرك عند الدرروز عدم الاعتراف بإفراد ألوهية الحاكم .
- وعند النصيرية عدم الاعتراف بإفراد ألوهية على رضى الله عنه .
- ١٢ - يزعم الدرروز أن الناس خلقوا دفعة واحدة فهم لا يزيدون ولا ينقصون كلما مات إنسان تحولت روحه إلى جسم جديد وهكذا .
- ومن الجدير بالذكر أن النصيرية انشقت عن الشيعة الاثنى عشرية والدرروز انشقوا عن الإسماعيلية .
- والنصيرية أقدم من الدرروز في الظهور .

وكل طائفة حاولت الابتعاد عن أصلها رغم وضوح تأثيرهم فى كثير من أفكارهم بأصولهم الشيعية أو الإسماعيلية إلى غير ذلك من وجوه الاتفاق والافتراق بينهم وكل أفكار الجميع تنضح مجوسية ووثنية تستر أصحابها بالتشيع لأهل البيت وبالاسلام لتحقيق ما يهدفون إليه من إعادة كلمة المجوسية وإظهار قوتها من جديد وهم ألد أعداء أهل البيت وألد أعداء الإسلام والمسلمين والله متم نوره ولو كره الكافرون .

مراجع فرقة الباطنية

أ - مراجع الباطنية عموماً :

- ١ - فضائح الباطنية - للغزالي
- ٢ - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور / الخطيب .
- ٣ - أسرار الباطنية والفرق الخفية . محمد عثمان الخشت
- ٤ - الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي للجبهان .
- ٥ - كشف أسرار الباطنية لأبي الفضائل الحمادي .
- ٦ - أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية / لبرنارد لويس .
- ٧ - الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام . يحيى بن حمزة العلوي .
- ٨ - الإسلام في مواجهة الباطنية / أبو الهيثم .
- ٩ - أعلام الاسماعيلية / مصطفى غالب .
- ١٠ - الاسماعيلية تاريخ وعقائد / إحسان إلهي .
- ١١ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه / الديلمي .
- ١٢ - القرامطة / محمود شاكر .
- ١٣ - الإمامة في الإسلام / عارف تامر .

ب - مراجع فرقة النصيرية :

- ١ - طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها / د . سليمان الحلبي
- ٢ - الهفت الشريف تحقيق د / مصطفى غالب .
- ٣ - سقوط الجولان / خليل مصطفى .

- ٤ - الجليل التالى / محمد حسين .
 - ٥ - العلويون أو النصيريون / عبد الحسين مهدي العسكري .
 - ج - مراجع فرقة الدرور :
 - ١ - المراجع السابقة .
 - ٢ - الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة / شيبه الحمد .
 - ٣ - عقيدة الدرور / محمد أحمد الخطيب .
 - ٤ - التآلف بين الفرق الإسلامية / محمد حمزة .
 - ٥ - أضواء على العقيدة الدرزية / أحمد الفوزان .
 - ٦ - الدرور محمد الزعبي .
 - ٧ - طائفة الدرور محمد كامل حسين
- ولا يكاد كتاب فيه بحث عن الفرق يخلو من ذكر هذه الفرق الباطنية .

الباب السابع دراسة عن البهائية الفصل الأول

نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالباية

البهائية إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديما وحديثا .

وقبل البدء بالكلام عن البهائية لابد من التطرق أولا وإيجاز إلى التعريف بالباية وبيان الصلة ما بين البايية والبهائية التي هي موضوع هذه الدراسة :

والواقع أن البايية والبهائية والشيخية والرشتية حلقات متصلة بعضها ببعض الآخر وتعتبر الشيخية والرشتية هي النواة الأولى للباية كما تعتبر البايية هي الدرجة الأولى للبهائية ونبدأ الآن بذكر الشيخية زعيمهم - تعاليمه - نهايته - زعامة الرشتي .

أما الشيخية : فهي الطائفة المنسوبة إلى زعيمها الضال أحد شيعة العراق (١)، ويسمى الشيخ أحمد الإحسائي وهو أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي الذي ولد بالمطير من قرى الإحساء في شهر رجب سنة ١١٦٦ هـ ، وتوفي سنة ١٢٤١ ، ودفن بالبقيع (٢)، وبعضهم يقول أنه ولد سنة ١١٥٧ (٣)، ويعتبر من كبار علماء الإمامية وهو باطني من الغلاة وله أفكار خارجة عن الإسلام يظهر فيها الاعتقاد بالحلول كما تقدم - وذلك في مثل قوله :

(١) البهائية لمحج الدين الخطيب ص ٥ .

(٢) حقيقة البايية والبهائية ص ٣٠ .

(٣) البهائية لعبد الرحمن الوكيل ص ٧٣ .

أن الله تجلى في علي وأولاده الأحد عشر ومثل قوله الآخر :

أن عليا وأولاده مظاهر الله ، وأنهم أصحاب الصفات الإلهية والنعوت الربانية تعالى الله عن قوله كما يظهر فيها غلو الفلاسفة في قوله أن الأئمة هم العلة المؤثرة في وجود المخلوقات ولولاهم ماخلق الله شيئا كما يظهر فيها الإلحاد وفي قوله أن اللوح المحفوظ هو قلب الإمام المحيط بكل السموات وكل الأرضين وكان ينكر المعاد والبعث كما يظهر فيها كذلك القول بالتناسخ حينما كان يزعم للناس أن المهدي يحل في أى رجل كان فيكون له صفة الباب، وأن روح المهدي حلت فيه هو فصار هو الباب إلى المهدي إلى آخر ما قاله من خرافات وإلحاد وهذه الأفكار دليل على تضلعه من مشارب الباطنية الغلاة والفلاسفة الغواة.

إلا أن محمد حسين آل كاشف الغطاء يقول في ترجمته :

« كان العارف الشهير الشيخ أحمد الإحسائي في أوائل القرن الثالث عشر وحضر على السيد بحر العلوم وكاشف الغطاء وله منهما أجازة تدل على مقامه عندهم وعند سائر علماء ذلك العصر والحق أنه رجل من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم . وكان على غاية الورع والزهد والاجتهاد في العبادة كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه ، نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة^(١) .

وقد حاول محمد حسين هنا أن يثنى على الإحسائي ويمجده ولكن وقفت أفكار الإحسائي دون استرسال محمد حسين ومن هنا أخذ يعتذر له بأن في مؤلفاته ألفاظ مجملة متشابهة وفاته أن هذا العذر غير مجد للإحسائي فإن الذى حمل الإحسائي على ذلك الألفاظ والإجمال إنما هو معتقده المغالى وإذا كان آل كاشف الغطاء يدافع عنه فإن كثيرا من علماء الشيعة غير راضين عنه .

فقد ذكر الدكتور محسن عبد الحميد أن جماعة من علماء الإمامية ذهبوا إلى أن الإحسائي كان فاسد العقيدة منحرفا أو وجد طريقة فى مذهب الشيعة

(١) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الإحسائي ص ٥٥ نقلًا عن حقيقة الباطية والبهائية ص ٣٠ .

الاثني عشر والتي سميت فيما بعد بالشيخية وقد ردوا عليه بكتب معروفة متداولة».

ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة كتب لمشاهير الشيعة وهي :

كتاب ظهور الحقيقة على فرقة الشيخية - لمحمد مهدي الكاظمي - ، وكتاب هدية النملة للميرزا محمد رضا الهمدان - وكتاب رسالة الشيخية والباوية لمحمد مهدي الخالصي وبعد دراسة قام بها الدكتور محسن عبد الحميد لأفكار الشيخية من كتبهم ظهر له أن الإحسائي يلجأ أحيانا إلى التفاسير الباطنية لتأييد وجهة نظره ، وأنه غالى في الأئمة الاثني عشر الذين يزعمهم الشيعة وغالى في الرسول ﷺ ، وزعم أن العلة في وجود جميع المخلوقات هم أولئك حيث خلقها الله من أجل الأئمة . كما زعم أيضا أن الرسول (ﷺ) مخلوق من نور الله وهذا النور عقل واحد يظهر في محمد ثم يظهر في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ، وأن الزمان لا يخلو من ناطق وأن كلامه في المعاد غامض مع إيمان بالرجعة وما يتبعها من الحوادث^(١) ولكن الشيخ عبد الرحمن الوكيل يبين أن هذه الرجعة التي يؤمن بها الإحسائي ، ليست هي الرجعة المفهومة عند الإثني عشرية فإنه حكم بموت الإمام الثاني عشر وبأن روحه طارت إلى الملأ الأعلى ولكنها ستعود لتحل مرة أخرى بجميع خصائصها في إنسان جديد تولد ولاده حقيقية من أب وأم جديدين غير والدي الإمام الثاني عشر الغائب المزعوم ولهذا ثار عليه شيعة إيران^(٢)، وتوضح شخصية الإحسائي وأوهامه من خلال دراسة الرشتية والباوية لأن هؤلاء صاروا على طريقتهم مع زيادة الغلو الذي استحسروه لتقوية المذهب وتكامله ولتتم كذلك المؤامرة الرهيبة التي خطط لها هؤلاء ومن وراءهم بهدف القضاء على الإسلام والأمة الإسلامية وتمزيق وحدتها وتشتيت كلمة أبناء الإسلام وضرب بعضهم ببعض حتى تم لهم فعلا الكثير من ما يريدونه ويعملون

(١) انظر حقيقة البايية ص ٣٠ - ٣٤

(٢) البهائية للوكيل ص ٧٤ .

من أجله خصوصا والمسلمون وزعمائهم في جرى حثيث وراء التيارات المنحرفة إلا القليل منهم فلم يتمكنوا من التقاط أنفُسهم ولم يتح أعداء الإسلام لهم الفرصة للنظر في الواقع الذي يعيشونه فضلا عن التفكير في رد المخططات الرهيبة التي تحاك ضدهم ، وهم في قلق وصراع مرير وخصام عنيف بينهم وصار القائل :

وأحيانا على بكر أحيانا إذا ما لم نجد إلا أخانا

صار هذا القائل خير منهم لأن الذين أخبر عنهم لم يجدوا عدوا يحاربونه فاشتغلوا بحرب بعضهم بعضا وهؤلاء تركوا العدو يتأهب ويعد العدة واشتغلوا عنه بالقتال والعداوة فيما بينهم .

وما أن انتهت أيام الإحسائي الذي ألهب مشاعر أتباعه من الشيعة بقرب مجيء المهدي وجعله في أذهانهم قاب قوسين أو أدنى ، ما إن انتهت أيامه حتى تولى بعده أعظم تلاميذه وهو الرشتي الذي أسس بعد ذلك جماعة ينتسبون إلى اسمه وهم الرشتية واسمه كاظم الرشتي ولد سنة ١٢٠٥ هـ في بلدة «رشت في إيران» (١) ، وقد سار على نفس طريقة أستاذه الإحسائي وزاد عليه أقوالا كفرية أخرى كانت هي النواة الأولى لظهور البابية بفعل تأثير الرشتي في تلميذه على محمد الشيرازي الذي تزعم الدعوة البابية الهدامة التي ظهرت في إيران البلد المضيق لكثير من الدعوات المناوئة للإسلام (٢) وقد قال بالتناسخ حيث ادعى أنه حل فيه روح الباب كما حل في الإحسائي ولكنه عاف فكرة الأبواب هذه وقفز إلى التبشير بظهور المهدي نفسه وقد روج الرشتي أفكار شيخه الإحسائي وأدخل الكثيرين في مذهبه ، ومذهب الإحسائي وصارت الشيخية فرقة مستقلة (٣) في كثير من الأفكار ويحترم البايون والبهاثيون الإحسائي والرشتي احتراماً عظيماً ويسمونهما كما يقول - محسن - بالنورين (٤) .

(١) حقيقة البهائية ص ٣٥ .

(٢) البابية عرض ونقد ص ٤٥ .

(٣) الشيعة والتشيع ٣١٣ .

(٤) حقيقة البابية والبهائية ص ٣٥ .

البابية

١- زعيم البابية :

زعيم البابية الأول هو علي بن محمد رضا الشيرازي ولد في سنة ١٢٣٥ هـ في بلدة شيراز جنوبي ايران مات أبوه وهو طفل فكفله خاله ويلقب بالميرزا وقد نسب بعضهم أسرته إلى آل البيت وهذا غير صحيح والذين أطلقوا عليه هذه النسبة إنما أطلقوها لشيء يريدونه في أنفسهم لكي يطبقوا الروايات التي تذكر أن المهدي يكون من آل البيت أي ومحمد علي الشيرازي من أهل البيت وهو المهدي المنتظر حسب خرافاتهم ولم يلتفتوا إلى أن اسم المهدي محمد بن عبدالله كما ثبت بالسنة المطهرة ووالده الشيرازي يسمى محمد رضا وأمه فاطمة بيكم وقد توفي والده وهو صغير فقام بكفالته خاله ويسمى المرزا «علي» .

وحين بلغ السادسة من عمره عهد به خاله إلى رجل يسمى الشيخ عابد وهو أحد تلامذة الرشتي لتعليمه في مدرسته التي سماها « قهوة الأنبياء والأولياء»، وبعد أن حصل على قسط قليل من التعلم عزف عن مواصلة التعليم فأشركه خاله في التجارة ببيع الأقمشة - وتفنن فيها مع خاله الآخر المرزا محمد وكان قد بلغ السابعة عشر من عمره فاتصل به أحد دعاة الرشتية ويسمى جواد الكربلائي الطباطبائي وبدأ يلقي في مسامعه أفكار الشيخية عن المهدي المنتظر ويوهمه بأنه ربما يكون هو نفسه - أي علي محمد الشيرازي المهدي المنتظر لظهور علامات تدل على ذلك - حسب زعمه فوقع الشيرازي في فخه وترك التجارة ومال إلى قراءة كتب الصوفية التي زادته هوسا ومارس شتى الرياضيات حتى أنه كان كما قيل عنه يقف في حر الظهيرة المحرقة تحت أشعة الشمس على سطح البيت مكشوف الرأس عارى البدن مستقبلا قرص الشمس حتى كان يعتريه الدهول والوجوم وتأثر عقله وكان الكربلائي ملازما له يحرضه على هذا المسلك .

فأشفق عليه خاله وأرسله إلى النجف وكرلاء للاستشفاء بزيارة المشاهد

التي يقصدونها هناك إلا أنه في كربلاء بدأ يتردد على مجلس كاظم الرشتي ويدرّس أفكاره وآراؤه الشيخية ، وكان الرشتي أيضا قد وقع اختياره على المرزا ليجعل منه المهدي المنتظر فكان يبشر أتباعه ومريديه وتلاميذه باقتراب الأوان لظهور المهدي ودنو قيام القائم المنتظر ويشير إلى المرزا علي محمد ويبالغ في إكرامه وكثيرا ما يردد شعرا :

يا صغير السن يا رطب البدن يا قريب العهد من شرب اللبن

وبعد أن أحكمت الخطة بينه وبين مشائخ الرشتية وسفير روسيا في ذلك الوقت والمترجم بها دالجوركي أعلن في سنة ١٢٦٠ هـ ، أنه هو الباب الموصل إلى الإمام الغائب المنتظر عند الشيعة وأن صديقه الملا حسين البشروي هو باب الباب وهو أول من آمن به وكان عمر الباب الشيرازي آنذاك خمسا وعشرين سنة واعتبر ذلك اليوم عيد المبعث لظهور الباب ودعوته جهرا وآمن بدعوته كثير من زعماء الشيخية وأهمهم ثمانية عشر شخصا جمعهم في حروف «حي» لأن الحاء والياء يعاد لها ثمانية عشر بحساب الحروف الأبجدية ثم وزع هؤلاء في أقاليم مختلفة من إيران وتركستان والعراق وكان لهؤلاء نشاط في الدعوة إلى البابية خصوصا زرین تاج بنت الملا صالح القزويني والملا حسين البشروي والملا محمد علي الزنجابي والملا حسين اليزدي والملا البارفروشي^(١).

٢ - صلتهم بالمستعمرين في ذلك الوقت

لقد واثت الفرصة الذهبية لجميع الحاقدين على الإسلام حينما اصطنعوا فكرة الباب لعلي محمد ، وقفوا بكل عزم في نشر دعوته الهدامة فقد سارع زعماء الإنجليز والروس إلى حماية هذه الطائفة بل وإلى مدها بالأسلحة الخفيفة والثقيلة والهجوم على حكومتهم في أماكن كثيرة ولإرهاب الناس وتوجيههم

(١) انظر البابية المقال الأول ص ٤٥ وانظر البهائية تاريخها وعقائدها ص ٧٥ وانظر حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبد الحميد الفصل الأول المرزا علي محمد الباب ص ٣٩ .

إلى قبول هذه الدعوة وفتحت الحكومة الروسية أبواب بلادها للباية ليعيشوا فيها بكل حرية وراحة ويدبروا المؤمرات من مكان مصون .

وكان للمترجم الروسي « كنياز الجوركي » بالسفارة الروسية نشاط قوى في دفع الميرزا على محمد إلى زعامة البايية وادعاء المهديّة ، ثم دفع البها أيضا إلى زعامة البهائية ومناصرته أمام الشاة كما صرح بذلك في مذكرته^(١) وقد قوى أمر الشيرازى وانتشرت دعوته وخافت الحكومة والعلماء من انتشارها حتى ألقى القبض على الشيرازى وحوكم وقتل .

٣ - نهاية الشيرازى

لقد كان للحاكم حسين خان حاكم شيراز مواقف حازمة ضد الباب الشيرازى ورفقته حيث استدرج الشيرازى والآن له القول واعتذر عما صدر منه من إهانة له ولأتباعه سابقا وأوهمه أنه قد تابعه أيضا على فكرة البايية وسائر الدعاوى التى جاء بها الباب ثم استدعى الحاكم العلماء ليقيم عليهم الحجة في صدق الباب كما أوهمه وكان قد عهد إليهم بأن يصبروا في مخالطة الرجل وأخذ الاعتراف منه بخط يده فى سائر عقائده الباطلة وأوهمه بأن كل من سيجرأ على إظهار الكفر به فسيكون القتل مصيره فاطمأن الباب وحضر مجلس العلماء ثابت الجنان طافى الجرأة ثم بدأ الجميع بقوله « إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن فهاكم كتابى البيان فاتلوه وافرؤه تجدوه أفصح عبادة من القرآن . وكظم العلماء ثورتهم ثم طلب الحاكم إلى الباب أن يسجل ما يدعو إليه كتابة ففعل ذلك ثم نظر العلماء فى ما كتبه الشيرازى فإذا به ينضح كفراً وخروجاً عن الإسلام فما كان من الحاكم إلا أن صب جام غضبه على الشيرازى قائلاً له : « فلأعذبك لعلك ترجع عن غيك » ثم ضربه ضرباً شديداً وأمر أن يطاف به فى الأسواق على دابة شوهاء وأن يعلن التوبة من كفره

(١) البهائية رأس الأفعى ، لمجموعة من الكتاب ص ١٠ - ١١ .

على منبر المسجد الكبير ثم ارتقى المنبر وأعلن رجوعه عن كل ما ادعاه وأنه على دين الاثنى عشرية لأنه الحق اليقين ثم ألقى به في غيابة السجن^(١) ولكن أتباعه ضلوا ينشرون فكرة المهدي والباية وسائر الأفكار الشريرة وعوام الناس يتناقلونها بكل لهفة لموافقتها هوى في نفوسهم .

ولما تجاوز الأمر الحد وأدرك عامة الشعب الإيراني واستيقظت الحكومة في إيران على مدافع هؤلاء وبنادقهم يقتلون المسلمين ويستبيحون منهم كل ما يشاؤون في معارك دامية واغتيالات متنوعة ويدعون إلى ظهور المهدي وإلى كتابه المقدس اجتمع عدد كبير من العلماء والفقهاء وكفروا الباب وأعلنوا مروقه عن الإسلام ووجوب قتله بالأدلة الدامغة إلا أن حاكم ولاية أصبهان الذي تظاهر بالإسلام ويسمى منو جهر خنحان الأمر مني وهو صليبي العقيدة والهوى استطاع إخفاؤه في قصره معزلاً مكرماً ليطعن به الإسلام والمسلمون من الخلف .

وكان الشيرازي يصدر توجيهاته إلى أتباعه من هذا الخبأ إلى أن توفي هذا الحاكم وخلفه جورجين خان فكتب هذا إلى الحكومة في طهران يخبرهم عن وجود الشيرازي فألقى عليه القبض وأمر الميرزا أقاس رئيس الوزراء أن يعتقل الشيرازي في قلعة ماه كوومكث معتقلاً حوالي ثلاث سنوات .

٤ - مؤتمر بدشت^(٢) وما تم فيه من خطط

وحيثما أحسن البايون من أنفسهم القوة وكان زعيمهم الباب معتقلاً قرروا عقد مؤتمر لهم لبيحثوا فيه .

١ - أمر الباب وكيفية خلاصه من السجن حتى ولو بالقوة .

٢ - نسخ شريعة الإسلام وإظهار شرائعهم وهذا أهم ما عقد له المؤتمر .

(٢) يتصرف عن البهائية لعبد الرحمن الوكيل انظر ص ٨٥ - ٨٧ .

(١) بدشت صحراء في إيران .

وقد تم بالفعل عقد هذا المؤتمر فى صحراء « بدشت » حضر فيه جميع زعماء البايية وكان من بينهم غانية البايين الخليعة أم سلمى زرين تاج التى كانت تلقب بقرة العين وبالطاهرة وهى ذات جمال فائق وأنوثة نائرة تستميل بجمالها اغمار الناس .

وكانت هى القوة الحقيقية فى الظاهر فى هذا المؤتمر ولها أخبار طويلة لا يتسع المقام لذكرها هنا .

وفى هذا المؤتمر الخليط من الرجال والنساء لا تسأل عما جرى فيه من الإباحية والخمر والفرح والمرح والأفعال القبيحة والتى أقلها إباحة الزنى وجميع ما يشتهيه الشخص ثم أضافوا إلى هذا أيضا إقرار نسخ الشريعة الإسلامية بمجىء الباب الشيرازى باعتبار أنه المهدي الذى ينسخ شريعة محمد ﷺ ودعوى البايية هذه إنما هى ستار لاستجلاب الناس إلى البايية ولأنهم يعتقدون أن الشيرازى ليس فقط أو مهديا بل هو رسول مثل سائر الرسل وله شريعة خاصة به وأقر فى المؤتمر أحكام الخطط لتنفيذ مآربهم بالنسبة لنسخ الشريعة الإسلامية بتحريض شديد من تلك الغانية الملقبة بقرة العين^(١) .

وانفتحت على حكومة طهران مصائب كثيرة من البايين وحروب مشتعلة فرأت الحكومة وعلى رأسها ناصر الدين شاه القاجارى قتل الشيرازى رأس الفتنة فجىء به وأظهر تراجعاه ولكن لم يكن لينفعه الاستمرار على خداعه ومرأوغته فتقرر قتله وقتل كبار أتباعه المسجونين معه فى صبحية يوم الإثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م ولما علم الشيرازى بهذا الحكم ضده انهارت قواه واسقط فى يده وصار يبكى وينوح وغمره الدهول العميق والشروء حتى فهم أصحابه فى السجن أن هناك أمر قد قرر ولكنهم ما أرادوا أن يسألوه فاستفاق بعد منتصف الليل وبدأ يردد أبياتا شعرية منها: ^(٢)

(١) البهائية لمح الدين الخطيب ص ٥ . (٢) حقيقة البايية والبهائية ص ٣٠ .

تروم الخلد فى دار المنايا فكم قد رام مثلك ما تروم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يانؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى فما شيء من الدنيا يدوم
ويروى عنه أنه طلب من يقتله فى السجن فى تلك الليلة حتى لا يرى المهانة
والذل ثم القتل فى صبيحة هذه الليلة وقال لأصحابه لو فعل أحد من الأحياء هذا
لكان ما فعله عين الصواب (١) .

ولما استعد لذلك الملا محمد على الزوزنى ارتعد الشيرازى وتراجع حينما
رأى سيفه مسلولا وبدأ هو وأصحابه فى النحيب والبكاء وفى الصباح اقتيد
هو والزوزنى وكان يوما مشهودا فقد احتشد الناس رجالا ونساء وأطفالا من كل
مكان ليروا تنفيذ حكم الإعدام .

ثم جيء بمجموعة من الجنود وصوبوا بنادقهم إليه فوق أشلاء ممزقة فيه أكثر
من بضعة وعشرين رصاصة لم تخطأ منها واحدة .

ولقد كان لهذه الحادثة ألم شديد فى نفس قنصل الروس الذى حاول بكل
جهده أن ينقذه ليتم به تنفيذ مآرب الحاقدين على الإسلام ولقد سر المسلمون
بقتله ونهايته فنتته ثم امتد القتل بعد ذلك إلى جميع زعماء البايية مثل قررة العين
والكاشاني وغيرهم (٢) .

وكان قد استمر فى ضلالاته مترقيا من كونه الباب للمهدى إلى أنه هو
المهدى إلى النبوة وأخيرا إلى الألوهية وكان أتباعه ينادونه بالرب وبالإله (٣) ، وقد

(١) البهائية لعبد الرحمن الوكيل ص ٧٣ .

(٢) انظر البهائية للوكيل ص ١٠٧ « نهاية الباب » ، وانظر البايية عرض ونقد ص ٩٢ « قتل
الشيرازى » وانظر دراسات عن البهائية والبايية ص ١٩ « الحكم على الباب بالإعدام » .

(٣) انظر البايية عرض ونقد ص ١٨٢ فقد نقل نصوصا كثيرة فى هذا تحت عنوان دعواه الألوهية
والربوبية .

أذله الله في أماكن كثيرة أمام الناس بعد مناظراته ويضرب ضرباً مهيناً ثم يبدى التوبة^(١)، إلا أن المتأمرين على إثارة التفرقة بين المسلمين والراغبين في الإباحية ونسخ الشريعة الإسلامية كانوا يدفعونه دفعا ويهيئون له الجو الملائم لمثل هذه الدعاوى الكاذبة وقد اسفرت الديانة البابية عن إنكار القيامة وما جاء في وصفها في القرآن الكريم وزعم أنها قيام الروح الإلهية في مظهر بشري جديد وأن البعث هو الإيمان بألوهية هذا المظهر وعن لقاء الله يوم القيامة بأنه لقاء الباب لأنه هو الله وعن الجنة بأنها الفرحة الذي يجده الشخص عندما يؤمن بالباب وعن النار بأنها الحرمان من معرفة الله في تجلياته في مظاهره البشرية وزعم أنه البرزخ المذكور في القرآن : لأنه كان بين موسى وعيسى .

كما أنه خرج عن تعاليم الإمامية الاثني عشرية - حول مفهوم الرجعة حيث بينها بأنها رجوع الصفات الإلهية وتجليها مع أثارها في مظهر جديد للحقيقة الإلهية ثم ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا في الجنائز وقرر أن الطهر من الجنابة غير واجب وأن القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيرازا ومكان سجنه والبيوت التي عاش فيها هو وأتباعه وهي نفس الأماكن التي فرض على أتباعه الحج إليها .

وأما الصوم فهو تسعة عشر يوماً يصوم الشخص فيه من شروق الشمس إلى غروبها والزكاة خمس العقار تأخذ في آخر العام من رأس المال ويدفع للمجلس البابي المكون من تسعة عشر عضواً ، وأما الزواج فهو إجباري بعد بلوغ الحادية عشر ويكفي رضا الطرفين ويجوز وقوع الطلاق تسعة عشر مرة وعدة المطلق تسعة عشر يوماً وعدة المطلقة خمسة وتسعون يوماً وإذا تزوجت الأرملة فيجب دفع الدية كاملة على من يتزوج بها وليس في دين البابية نجاسة لشيء لأن اعتناق البابية يطهر من كل شيء ، ويجب دفن الميت في قبر من البلور والمرمر المصقول

(١) المصدر السابق ص ١٧٠ / ١٨٠ .

ووضع خاتم في يمينه منقوش بقرة من كتاب البيان .
والميراث يكون لسبعة أشخاص من القرابة هم الولد والزوج والزوجة
والأب والأم والأخ والأخت والمعلم .
والعيد الرئيسى عند البابية هو عيد النيروز ومدته تسعة عشر يوماً كما أنه
يجب على البابي أن يستقبل الشمس بالسلام فى صباح كل يوم جمعة
وقد حرم الباب على أتباعه قراءة القرآن ووجوب إحراقه وسائر الكتب
المخالفة ومن هنا قاموا بإحراقها كما اعتبروا كل من لم يدخل فى دينهم كافراً
حلال الدم (١) .

٥ - الكتاب المقدس للبابية

كتب على محمد الشيرازى كتابه الذى سماه البيان وهو كتاب « البيان
العربى » الذى زعم فيه أنه منزل من عند الله وأنه ناسخ للقرآن وأنه أفضل
الكتب المنزلة على الإطلاق بل وتحدى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله وهذه
بعض الأمثلة لهذا الكتاب الذى لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله على حد
زعم الشيرازى (٢) .

قال الشيرازى فى بيانه المزعوم فى اللوح الأول من آيات الوحي « شعون
الحمراء » :

(١) توجد تعاليم البهائية مبينة فى كثير من الكتب انظر البهائية للوكيل ص - ١١٧/١٢١، ومنها
ذكرت تلك المسائل المختصرة وانظر البابية عرض وتقد المقال الثالث ص ١٨٧ «شريعة الباب
وتعليماتها» .

(٢) قال الدكتور محسن عبد الحميد فى كتابه حقيقة البهائية والبابية ص ٤٠ إذا أردت تفصيل
حياة الميرزا فراجع مطالع الأنوار ، ومقتاح باب الأبواب ، والبايون والبهائيون والكتاب
الأول مؤلفه يسمى محمد زرندى والثانى مؤلفه ميرزا محمد مهدى خان والثالث مؤلفه عبد
الرزاق الحسنى واسم الكتاب كاملا البايون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم .

١ - إنا قد جعلناك جليلا للجاللين وإنا قد جعلناك به عظيما عظيما لنا للعظيمين وإنا قد جعلناك نورا نورانا للنورين قد جعلناك رحمانا رحيمنا للرحمين وإنا قد جعلناك تميما للتامين إلى أن يقول : قل : إنا قد جعلناك مليكنا مليكاً للمالكين قل إنا قد جعلناك علينا عليا للعالين قل إنا قد جعلناك بشرا بشيرا للبائسين (١) .

٢ - ومن قوله : « تبارك الله من شمسك مشمسك شمسك تبارك الله من بذخ مبدخ بذبخ تبارك الله من بدء مبتدأ بدئي تبارك الله من فخر مفتخر فخير تبارك الله من قهر مقهر قهير تبارك الله من غلب مغتلب غليب إلى أن يقول وتبارك الله من وجود موجود جويد (٢) .

وقال متحديا الإنس والجن على أن يأتوا بحرف من مثل ما في بيانه المنزل من الله بدعمه « يوم نكشف الساق عن ساقهم ينظرون إلى الرحمن وذكره في الأرض المحشر قريبا : فيقولون يا ليتنا اتخذنا مع الباب سبيلا إمامكم هذا كتابي قد كان من عند الله في أم الكتاب بالحق على الحق مشهود لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب بالحق على أن يستطيعوا ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحق ظهيرا فورك الحق لن يقدروا بمثل بعض من حروفه ولا على تأويلاته من بعض السرقة (٣) ، إلى آخر هذا الهديان التافه الذي فضله على كتاب الله المنزل على محمد ﷺ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هذا فقط بل تحدى الجن والإنس ومثلهم معهم أن يأتوا ببعض الحروف التي وردت فيه وحينما يقارن الإنسان بين كلام الله عز وجل وكلام مثل هؤلاء السخفاء الدجاجلة يتبين له نور الحق وبضدها تتميز الأشياء وبعد أن انتهى أمر الباب الشيرازي قام صراع حاد جدا

(١) انظر مفتاح باب الأبواب ص ٢٨٢ نقلا عن حقيقة البابية والبهائية ص ٩٩

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) انظر تاريخ البابية للدكتور ميرزا محمد مهدي خان ص ٣٠٩ نقلا عن البهائية للوكيل ص

٨٠ وانظر كتاب البيان للشيرازي منقولا بكامله في كتاب خفايا البهائية .

على تولى الزعامة البابية وما بعدها بين حسين على المازندراني وزعماء البابية متمثلة في أخيه صبح الأزل وقد أخذ حسين على المازندراني منها نصيب الأسد وهزمت البابية على يديه شرهزيمة في أحداث طويلة قد لا تكون من الضروري سردها هنا كاملة بل نشير إلى أهم ما وقع فيها فيما يأتي .

٦ - هزيمة البابية

لقد خاض البهائيون بزعامة حسين المازندراني مواجهات عنيفة وجدال كبير وسفك دماء وتآمر وأحياناً خداع و مراوغة البابية .

وكان من حظ البهائية العميلة أن وقفت معها اليهودية العالمية بالتأييد وتهيئة الظروف لانتشارها وأماتة البابية الأزلية أتباع يحيى صبح الأزل الذي أخذ الزعامة بعد الباب الشيرازي بوصية من الشيرازي له فاخطفها منه أخوه حسين المازندراني ولقد هاجم المازندراني أخاه صبح الأزل وأتباعه بكلام طويل زاعماً أنه من وحي الله وكلامه ، وأنه هو المظفر الإلهي وصاحب نسخ الديانات كلها . وزعم أن البيان الذي ألفه الشيرازي وأكمّله صبح الأزل إنما كان من وحيه هو «فاعتبروا يا أولى الألباب» .

وفسر هو وأتباعه وصية الشيرازي بالبابية إلى يحيى صبح الأزل بأنها خطة لتحويل أنظار الناس عن المازندراني لخوفهم عليه في ذلك الوقت ونشطوا في بث الدعايات السيئة ضد البابية الأزلية .

وقد ظل صبح الأزل يواصل بث الدعاية ضد البهائية بكل وسيلة وهو في منفاه في جزيرة فاما جوستا بقبرص وألف المؤلفات الكثيرة في بيان كذب المازندراني ونشر الدعايات ضده إلا أن الأمور كانت تسير في غير صالحه إلى أن هلك في سنة ١٩١٢ م عن اثنتين وثمانين سنة .

بعد أن أوصى بالأمر من بعده لابنه الميرزا محمد هادي مع أنه ما كان له ما

يوصى به^(١) ، وقد تفرق بقية أتباعه بعد ذلك وانتهت البايية التي لا حقتها مطاردة البهائية في كل مكان وصلت إليه البهائية .

ولم يفد البايية شيئاً ذلك الوحي الذي لفته زعيمهم الشيرازي حين قال في كتابه البيان : « لا إله إلا أنت لك الأمر والحكم ، وأن البيان هدية مني إليك حيث فسر الباييون هذا الكلام على أنه موجه إلى يحيى صبح الأزل بينما العجل حسين كما سماه أخوه صبح الأزل جاء في حقه قول يحيى « خذوا ما أظهرنا بقوة وأعرضوا عن الإثم لعلكم ترحمون إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله أولئك هم المشركون » على أن الإثم والعجل المقصود بهما حسين المازندراني^(٢) .

لقد أفنى حسين المازندراني اتباع يحيى صبح الأزل بحد السلاح ولم يأخذه فيهم أى إحساس بالرحمة أو اللين لأنه فى عجل شديد للوصول إلى ما يهدف إليه من آماله العريضة ولما كان الغرض يتعلق بدراسة البهائية وآرائها وبيان ما وصلت إليه من نفوذ وانعكاسات فى العالم الإسلامى فإننا نكتفى بذكر الإشارات السابقة فى بيان نشأة البهائية التى قامت على انقراض البايية التى قامت هى الأخرى على اكتاف الرشتية بتأسيس من الشيخية الضالة .

فمن هى البهائية وكيف قامت ؟

(١) انظر قراءة فى وثائق البهائية ص ٦٩ / ٧٧ .

وانظر البايية عرض ونقد ص ٢٦٦ / ٢٦٨ .

(٢) انظر تاريخ البايية ص ٣٦٧ / ص ٤٣٤ للدكتور ميرزا محمد خان نقلا عن البهائية للوكيل ص ١٣٢ .

الفصل الثانى

خطر البهائية

قبل الدخول فى تفاصيل أمور البهائية ينبغى حسب ما أرى أن نذكر ما أجمع عليه العلماء العارفون حقيقة هذه الطائفة من شدة خطرهما على المسلمين وما تبيته لهم من نية السوء .

ذلك أن البهائية هى إحدى الحركات الهدامة التى احتضنتها الصهيونية العالمية لهدم الأديان وخصوصا الدين الإسلامى وقد عرفنا فيها سبق أنها وريثة البايبة بعد هلاك الشيرازى بعد أن احتدمت بين البايبة والبهائية تلك الخلافات على السلطة والزعامة الدينية حيث خرجت البهائية منها هى المنتصرة فى النهاية . وقد تسربت البهائية إلى أذهان كثير من الناس فى أثواب براءة وأساليب مختلفة ولقد كان لهم دور بارز فى مصر ونشاط أقلق الرأى العام فى سنة ١٩٧٢ م وكتب عنها حينذاك رجال الفكر فى الصحف والمجلات وتمت محاكمة البهائيين واتضح أنهم فئة خارجة على جميع الأديان السماوية وتحت زعامة نبيهم المزعوم أو ربهم بهاء الله الذى حول الحج إلى المزارات البهائية فى إسرائيل وابتدع له شريعة من أفكاره وحول الكعبة إلى المكان الذى هو فيه ولهم نشاط ظاهر فى محاربة جميع الأديان وأهمها الإسلام كما أن لهم نشاط خفى ومنشورات تدعو إلى نبذ الإسلام فى البلدان التى يخافون فيها من بطش المسلمين بهم .

ولهم شهور تخالف الشهور الإسلامية وعادات تخالف العقائد الإسلامية ومحافل وخلايا مندسة ومبثوثة بين صفوف المسلمين ولقد حوربت البهائية .

واعتبرت عدوة الأديان جميعا وحر نشاطها فى كل من مصر وتركيا وإيران بعد اطلاع علماء هذه البلدان على نوايا هذه الطائفة المجرمة عملية الصهيونية

العالمية منذ أن تزعمها المازندراني الذي زعم لنفسه ألقابا وصفات لا تليق إلا بالله عز وجل تبعا لشيخه الشيرازي الذي زعم قبل أن يقتل شر قتله بأنه المظهر الإلهي حيث حلت فيه الحقيقة الإلهية أتم حلول وأنه أيضا حقيقة كل نبي وقديس ورسول بل هو الله نفسه^(١)، ثم جاء البهاء وأغرق في الزيادة على تلك الأوصاف كلها وزعم تلك المزاعم كلها، وزاد عليها ما جاد به خياله الواسع في العالي حيث زعم أن الباب نفسه إنما جاء هو وسائر الرسل للتبشير بمجيء البهاء فهو الممثل الوحيد لبهاء الله عز وجل الذي هو متمثل به تعالى الله عن إلحادهم^(٢).

(١) انظر البهائية للوكيل ص ١١٩ نقلا عن الكواكب الدرية ج ١ / بهاء الله والعصر الجديد ص ٢٨ للدكتور جون اسلمنت .

(٢) انظر دراسات عن البهائية والباية ص ٢١ .

الفصل الثالث

زعيم البهائية

١ - مؤسس هذه الطائفة يسمى حسين على وأبوه يسمى عباس بزرك النورى المازندراني .

٢ - ولد حسين على النوري المازندراني في قرية من قري المازندران في إيران تسمى نوروقيل ولد في طهران في سنة ١٢٣٣ هـ .

و حين ظهرت البايية لم يكن هذا الرجل معتبرا من حروف « حى » التي نظمها الباب الشيرازى ولا كان له ذكر مشهور في أول قيام البايية وقد اعتنق البايية سنة ١٢٦٠ هـ وهو في السابعة والعشرين من عمره .

وقد وجد في نفسه على الباب الشيرازى إذ لم يجعله من حروف حى أى صفوة زعماء البايية بل جعل أخاه يحيى صبح الأزل منهم ولكن المازندراني استطاع كظم غيظه وأسر ذلك في نفسه على الباب إلا أنه ظل يتحين الفرص للظهور ووجد فرصته حينما عقد الباييون مؤتمرهم في صحراء بدشت حيث هيئ للمؤتمرين كل وسائل المتعة والترف واستحوذ على قرة العين غانية البايين واستحذوت هى الأخرى عليه وكانا أساس المؤتمرين وأهم البارزين فيه إلا أن المازندراني كان يخفي نفسه في أول المؤتمر ليتحاشى الخصومة مع المؤتمرين ولكنه ظهر في آخر المؤتمر ليقطف ثمرته حين كانت قرة العين كما سماها الشيرازى تصر على نسخ الشريعة الإسلامية بالشريعة البايية وحينما تأزمت الأمور بينهما وبين بقية المؤتمرين تدخل المازندراني لصالح قرة العين وأخذ يقرأ سورة الواقعة ويفسرها بتفسيرات باطنية ويزعم لهم أن القرآن نفسه فيه إشارة قوية لنسخ شريعة الإسلام بشريعة الباب فاجتمعت الكلمة على طاعة قرة العين التي جعلت نفسها بعد ذلك طائعة للمازندراني تمام الطاعة ولقبته على أحد الأقوال - بهاء الله أو لقب نفسه هو بهذا اللقب بعد أن تعاضم

نفسه^(١)، أو لقبه اليهود لتحقيق ما في كتبهم من ذكر بهاء الله ورب الجنود الذي يقيم دولتهم^(٢)، عند ما يأتي .

ثقافته :

تلقي المازندراني العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير، وتزعم كتب البهائية أنه كان يتكلم في أي موضوع ويحل أي معضلة تعرض له ويتباحث في المجمع مع العلماء، ويفسر المسائل العويصة الدينية وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.^(٣)

وكان شغوفاً بما يتعلق بالمهدى وأخبار المهدي وقراءة كتب الصوفية والفلاسفة والباطنية إلا أنه حينما أعظم في نفسه وجاء بتحريفاته الإلحادية زعم أنه أمي لا يعرف شيئاً ولكن الله ألهمه العلوم والمعرفة جميعاً^(٤)، وكتب ما كتب من أقوال تعد من أشنع الكذب - وكمان محباً مائلاً لأقوال الصوفية وشطحاتهم - إلى أفكار البراهمة والبوذيين والباطنية والمانوية وغير ذلك من المذاهب التي كان يغترف منها مدعياً أن كلامه وحي وظهور لكلام الله تعالى ولقد ذكر العلماء أقوالاً شنيعة في تناقض المازندراني حين إدعى أنه أمي مع ما لفق في كتبه من أقوال الناس^(٥).

عمالته هو وأسرتة لأعداء الإسلام والمسلمين :

كانت أسرته عميلة وفية للروس . فقد كان أخوه الأكبر كاتباً في السفارة الروسية وكان زوج أخته الميرزا مجيد سكرتيراً للوزير الروسي بطهران .

(١) انظر حقيقة الباطية والبهائية ص ١٠٥ « الفصل الأول » .

(٢) انظر البهائية تاريخها وعقيدتها ص ٣٢٤ .

(٣) البهائية نقد وتحليل ص ٨ نقلاً عن « بهاء الله والعصر الجديد ص ٣٢ .

(٤) انظر المصدر السابق وما نقله من كتب البهائية ص ٧ / ٩ .

(٥) انظر كلامه في المصادر التي جمعها إحسان الهي رحمه الله في كتابه البهائية ص ١٠ / ١٣ .

ولذلك كان الجاسوس الروسي كنييازد الجوركي من بناء البايبة الأوائل وليس الروس وحدهم في هذا الميدان بل إن اليهود أيضا دخلوا في خدمة هذه النحلة أفواجا مع شدة تعصب اليهود لدينهم ولجنسهم واحتقارهم الآخرين وهدفهم واضح من هذه المسارعة وهو دعم هذه النحلة ظاهرا ليوجهوها لخدمتهم كما تم ذلك بالفعل وبالتعاون أيضا مع سائر أجهزة التبشير العالمي .

وإلا فمتى كان اليهود يحبون خدمة الإسلام والمسلمين على حد من يزعم أن البهائيين مسلمين . لقد أدرك اليهود وهم يسعون حثيثا لامتلاك دولة باسمهم أن أى دعوة تقبل فكرة محو الجهاد في سبيل الله تعالى وتستهجنه ادركوا أن هذه الدعوة هي إحدى الروافد التي تمدهم بالقوة .

فكيف إذا كانت تلك الدعوة إنما تقوم من الأساس على أكتاف اليهود وعلى تجمعهم في فلسطين فإن المازندراني نفسه قال في الوحي الذي زعمه: «قل تالله الحق ان الطور يطوف حول مطلع الظهور والروح ينادى من فى الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور . هذا يوم فيه سر كرم الله شوقا للقائه وضاح الصهيون قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب فى الواح الله المتعالى» ، وهذا النداء إنما هو موجه الى اليهود ليعودوا من كل مكان الى إمتلاك فلسطين وغيرها وإقامة دولتهم وجاء ابنه او عبده - كما سمي نفسه - عباس عبد البهاء فأجلى الحقيقة بما لا وضوح بعده فقال :

« وفي زمان ذلك الغصن الممتاز . وفي تلك الدورة سيجتمع بنوا إسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة» .

إن هذا الكلام ليس أخبار بالمغيبات ولكنه إخبار عن مؤمرات محكمة لعودة اليهود وتجمعهم في الأرض المقدسة عاش عبد البهاء والده من قبله أول خيوط تنفيذها ولا يزالون إلى اليوم يعملون على إخراجها ليلا ونهارا وسرا وإعلانا

وتاريخنا في هذا العصر إنما هو شاهد على نجاح تلك المخططات بكل وضوح وشاهد على جرم البهائية ومسايرتها لليهودية وشاهد على حقدهم على الإسلام وأهله لقد إمتزجت أفكار البهائية بأفكار اليهود وأصبح لليهود فضل كبير على عميلهم البهاء فقد آزره وآووه وهيموا السبل لنشر أفكاره .

وكان على البهاء أن يرد جميلهم هذا بأن يضم فكره إلى أفكارهم ويجهد لهم عقول الناس لتقبلهم وأيضا باستعمارهم للناس ونجد ذلك متمثلا في الأمور الآتية:

١ - ادعى اليهود أن الموجود بأيديهم في الكتاب المقدس حسب زعمهم من البشارات بنبي يبعث بعد موسى وعيسى ليس هو محمد عليه السلام بل إن تلك البشارات إنما تشير إلى نبي يبعث في القرن التاسع عشر الذي ظهر فيه البهاء - وأن تلك البشارات انطبقت تماما على البهاء في زمنه وأن نصب خيام البهاء على جبل الكرمل قد أشارت إليه التوراه والإنجيل . وأن اليهود في زمن النبي عليه السلام إنما أقروا له^(١) بالنبوه واعترفوا بإثبات البشارات به تملقا واتقاء له كما يفترون وهذا هو السبب في زعمهم الذي قوي في الرسول عليه السلام الاعتقاد بأن أهل الكتاب أخفوا البشارات التي جاءت فيه . أي حينما لم يصارحوه بأن هذه البشارات إنما تنطبق فقط على رجل سيأتي فيما بعد ذلك وليس هو محمد ﷺ .

ومن هنا قام الميرزا حسين المازندراني مدافعا عن اليهود والنصارى ومبطلا ما وضحه القرآن من تغيير أهل الكتاب للنصوص المثبتة لنبوة محمد عليه السلام واخفائهم لها .

فزعم أن هذا الفهم لتحريف أهل الكتاب إنما هو فهم الهمج والرعاع يقصد علماء المسلمين ، وأن التصحيح كما يزعم هو أن التحريف الذي وقع فيه

(١) أي الذين آمنوا واعترفوا بنبوته وبثبوت البشارات والوصف الذي له عليه السلام في كتبهم .

اليهود إنما هو تفسيرهم للفظ الدال على نبوة محمد عليه السلام إلى تفسير آخر لا يدل عليه وإلا فهم حسب رأيه لم يغيروا ولم يبدلوا ثم شبه حال اليهود في امتناعهم عن التسليم بصفة الرسول محمد عليه السلام مجال المسلمين الذين لم يؤمنوا بدعوة البهاء وفسروا النصوص لغير صالحه وصالح دعوته الممقوته ، وهذه الفرية الكاذبه يعرف بطلانها كل من شرح الله صدره وآمن بما جاء في القرآن الكريم وتفهم معاني نصوصه فيعرف أن ما ذكره عن تحريف أهل الكتاب وتغييرهم له بحسب أهوائهم هو تفسير منه حسب هواه وفجوره .

٢ - هيا اليهود لعميلهم في عكا قصر البهجة الذي صار بعد ذلك مهوى أفئدة البهائيين وقبلتهم وكعبتهم الجديدة حسب أمر الله وإرادته كما يزعم البهاء.

٣ - اشتمل كتابه الأقدس على بشارات للصهانية وإستيطانهم في فلسطين وصاغ ذلك بعبارات توحى بأنه من علم الغيب وليس من معرفته بسر المؤامرات .

٤ - دعا في كتابه المذكور إلى تحريم الجهاد وذلك بتحريم حمل آلات الحرب مطلقا وأن الشخص خير له أن يكون مقتولا لا قاتلا فلا جهاد في عهده لليهود ولا لغيرهم . ولتميع شعلة الجهاد في نفوس الرجال أباح لهم لبس الحرير في نص واحد دل على تحريم الجهاد وإباحة لبس الحرير وهذا النص ظاهر الدلالة على الدعوة إلى الميوعة والخمول فإذا كان الرجل يلبس الحرير ويظهر النعومة ولا يحدث نفسه بالجهاد بل بالهرب منه فأى رجولة تبقى له . بعد هذا وبعد لبسه الحرير^(١)، فحال مثل هذا أخطر من اليهود .

ولم تقتصر عمالة المازندراني لليهود فقط فقد ظل على اتصال وثيق بالدول الأجنبية المعادية للإسلام وعلى رأس هؤلاء الانجليز كبار المجرمين العالميين الذين نكبوا المسلمين بما لم يصل إليه أحد غيرهم ، لقد عرف الانجليز كما عرف اليهود أن قيام حركة المازندراني وإنتصارها إضافة جديدة إلى رصيدهم من

(١) انظر كتاب قراءة في وثائق البهائية ص ٨٩ عنوان « حلف الشيطان » .

الأسلحة الفتاكة بالعالم الإسلامي .

وقد أتم عبد البهاء ما كان أسسه الطاغوت الكبير من خدمة الانجليز فلقد مسخ الانجليز عبد البهاء وسام الامبراطورية البريطانية في احتفال أقامه الحاكم البريطاني « للنبي » في بيته والقي كلمة شكر فيها عبد البهاء وأنعم عليه بلقب « سير » فكان يدعو لهم بالنصر والتأييد ظاهرا وباطنا ومن هنا فلا عجب حين تعلم أن الانجليز قد خططوا و نفذوا بكل ما في وسعهم لقيام الحركة البهائية بالأموال وبالتأييد المعنوي وبتسهيل تنقل البهائيين وتخدير كل من يفكر في صد طغيانهم على غرار ما فعلوه مع عميلهم في الهند غلام أحمد لأن الهدف واحد والغاية واحدة لكلا العميلين وفي دراسة القاديانيه نصوص كثيرة عن هذا العميل القادياني وتبجحه بخدمة الانكليز وإخلاصه لهم ظاهرا وباطنا وأن عقيدته ستوسع باتساع ملك بريطانيا وقد أكد هذا المفهوم هو وخلفاؤه كلهم ولا يزالون عليه إلى يومنا الحاضر .

ولم يكتف المازندراني بالعمالة للانجليز واليهود بل كان على اتصال وثيق بالروس وكانوا يقدمون له المساعدة والرعاية بسخاء ، ولا أدل على ذلك من وقفة السفارة الروسية حين تحمست لحمايته عند ما عزمت الحكومة الإيرانية على تقديمه للمحاكمة حينما قامت محاولة من جانب البايين لقتل الشاه انتقاما لقتل زعيمهم على محمد الشيرازي فاتهم النوري بالتآمر على ذلك فأوته السفارة وحذرت ملك إيران ناصر الدين شاه من المساس به بل وقدمت السفارة الحجج على براءة عميلهم من تلك المؤامرة الفاشلة التي دبرها زعماء البابية لاغتيال الملك .

ويتضح من اعتناء الروس به أنهم اختاروه لعمالتهم بعد قتل الشيرازي واشتروا ضميره وقرروا أن يجعلوه رئيسا للبايين بدل أخيه صباح الأزل الذي كان يقل عنه مكرًا ودهاءًا ، ولأجل ذلك كان تنحية صباح الأزل عن المسرح

وإقامة حسين المازندراني مقامه لما رأوا فيه من الدهاء والذكاء والمكر ومسايرة الأمور المماثلة مع الأحوال والظروف .

وحينما كان المازندراني في إيران كان وجوده هناك يشكل حركة خطيرة ولهذا أحست الحكومة أن خطره يتزايد فطلبت من الحكومة العثمانية نقله إلى داخل الأمبراطورية التركية فنقل إليها وبدأ يجهر بدعوته البهائية فعارضه أخوه صبح الأزل بعد أن أحس أنه يحتطب لنفسه ويريد إقصاء صبح الأزل ومن هنا بدأ الشقاق بين الأخوين وبدأ الميرزا حسين على يدبر المؤامرات ضد المخالفين له ، وبعد ظهور الخلاف بين الأخوين واتباع كل منهما رأت الحكومة أن تبعد كل واحد عن الآخر فنفت البهاء إلى فلسطين ويحي صبح الأزل إلى قبرص .

فلقي حسين على في فلسطين التأييد الكامل من اليهود الذين كانوا يحاولون في تلك الاثناء إقامة دولتهم وإسقاط الحكم العثماني .

وقد تدرج المازندراني في دعواه ، فبدأ يبشر بأنه هو خليفة الباب الشيرازي وحده ثم ادعى أنه هو الباب ثم انتقل إلى دعوي أن الباب لم يأت إلا ليبشر به كما كان يوحنا مبشرا بالمسيح ثم ادعى أنه هو نفسه المسيح الذي بشر عنه وأنه هو النبي والرسول إلى الناس .

ولما وجد آذانا صاغية لتلك الافتراءات لم يكتف بما ادعاه سابقا بل تاقت نفسه إلى دعوى الألوهية وأن الله ظهر في صورته تعالى الله عما يقول الظالمون .

وكان إذا مشى في الطريق أسدل على وجهه برقعاً لئلا يشاهد بهاء الله المتجلي في وجهه وقد نشرت صورته في بعض الكتب مبرقعا وكتابه الأقدس مملوء بالدعوة إلى ألوهيته وتصرفه في هذا الكون كما يريد ، وزعم أن الرسل من أولهم إلى آخرهم لم يبعثوا إلا مقدمة بين يدي ظهوره المتمثل في ظهور الله

تعالى قريبا من خلقه (١).

هذه بعض الأخبار التي ذكرها العلماء في كتبهم عن عمالة هذا الشخص والأدوار المرتبة التي عاشها هو وخلفاؤه في أحضان أعداء الإسلام في وقت توالى فيه الضربات من كل جانب على الدولة التي كانت تمثل العالم الإسلامي والتي كانت هي الأخرى تدنو إلى نهايتها رويدا رويدا في الوقت الذي نشط فيه حشالات الناس وكبراء اللصوص وأصحاب المطاعم والأخيلة المريضة وساسة الشر والحقد لاقتسام تركة الرجل المريض في هذا الجو الخانق والظلام الحالك استطاع هؤلاء أن يصطادوا في الماء العكر؛ أي في غفلة من الحراسة الإسلامية وانشغال الدولة الإسلامية بمشاكلها التي افتعلها أعداء الإسلام ليشغلوهم بها في عقر دارهم.

ولقد ظهر لي من خلال دراستي عن البهائية وأقوالهم ومواقفهم والتفاف اليهود حول البهاء المازندрани ومساعدته ونشر أفكاره وقيام بعض كبراء اليهود بتأليف الكتب في تثبيت عقائد البهائية والدعاية لها ظهر لي من هذا وغيره رأي لم أجد من أستند إليه في ذكره ولكن لا يمنع أن أذكره ليكون محل لفت نظر وهو أن أصل البهاء لا يستبعد أن يكون يهوديا من يهود إيران استنادا إلى ما سبق وإلى مسارعة اليهود للدخول في نحلته وسماحهم له أن يتلاعب بنصوص كتبهم المقدسة ويفسرها بأنها بشارة به ثم يؤيده علماءهم على هذا الفهم مع شدة تعصب اليهود ضد الجوييم أو الأميين كما يسمونهم ولهذا ساعده اليهود بكل قوة ونشروا أفكاره بكل وسيلة .

(١) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٩ / ٢٦ و ص ٣٠٩ / ٣٥٢ ، وانظر حقيقة البايبة والبهائية ص ١٧١ / ١٨٥ ، وانظر البهائية وتاريخها وعقيدتها ص ٣٢٣ / ٣٣٤ ، ولقد توسع غفر الله له في إبراز الصلة الخبيثة بين اليهود وبين هذه الطائفة بالأدلة الدامغة وابطل فيها مكر البهائية وتظاهروا بالإسلام ، وانظر « خفايا الطائفة البهائية ص ١١٠ و ص ١١٩ و ص ١١٧ .

وفاة المازندراني

وبعد أن بلغ الخامسة والسبعين من العمر أصابته الحمى وقيل أنه جن في آخر حياته وكان ابنه عباس عبد البهاء يعمل كحاجب له فاستأثر بالأمر وأغرق على الجماعة الأموال فأحبوه . وحين اشتدت الحمى بمدعي الألوهية جاءه القدر المحتوم فمات في سنة ١٣٠٩ هـ .

ودفن قرب منزله في عكا وقيل في حيفاء ، وكان قد زعم أن غروب شمسه أي موته لم يكن إلا للحكمة وأنه مع أتباعه يراهم ويؤيدهم وينصرهم بالملائكة المقربين ، وقد أوصى بالخلافة من بعده لابنه الأكبر عباس وبعده للأصغر منه الميرزا محمد علي وكتب بذلك كتابا وختمه بختمه إلا أن الأمور لم تسر على هذا الوجه فقد استولي عباس على الأمر كله ولم ينفذ وصية والده ونشبت بين الأخوين خلافات هائلة أعادت إلى الأذهان تلك المؤامرة التي قام بها والدهما مع أخيه صبح الأزل وما حصل بينهم من المهاترات والنزاعات الشديدة فكان هذا خير خلف تنفيذ خيانة سلفه بتمامها وهذا لا غرابة فيه ذلك لأن أساس هذه الملة إنما قام على الخيانة والغدر والكذب من أول يوم .

وعن موت هذا الإله المزعوم يقول الدكتور جون أسلمنت قضى بهاء الله أواخر أيامه على الدنيا بكل هدوء وسكون وصعد - لم يقل ومات - بعد إصابته بالحمى في ٢٨ مايو سنة ١٨٩٢ م في سن الخامسة والسبعين .

وقال الجلبائيجاني : « وصعد الرب إلى مقر عزه الأقدس الأعلى وغابت حقيقته المقدسة في هويته الخفية القصوى وكانت هذه الحادثة في ثاني شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ ، وسادس عشر من شهر مايو سنة ١٨٩٢ م »^(١) .

قال عبد الرحمن الوكيل في بيان معنى كلام الجلبائيجاني :

(١) الحجج البهية ص ١٣ نقلا عن المصدر السابق .

« يشير إلى أن روح الله التي زعم أنها كانت حالة في البهاء عادت إلى حالة التجرد من الجسمية »^(١).

وقال عن هلاكه بجرثومة الحمى :

« ولم يستطع رب البهائية الأكبر - وحوله كل تلك القوى - أن يصمد في حومت ذلك الصراع الرهيب الذي دار بينه وبين خلاق رقيق ضعيف كانت تزعم البهائية أنه من صنع ربها الملعون فانهار ربها فاغر الفم من الرعب » ... إلى أن يقول عن دفن جثته الخبيثة:

« ثم زجوا بها في ظلمات القبر لخلق آخر يفترسها السوس الشره والدود المنهوم ، حتى هذه العظة التي ترغم العقل والحس على السجود لم تجد طريقا إلى قلوب البهائية لأنها غلف فظلوا ينتظرون ربهم على باب قبره وظلوا ينتظرون أن يطعمهم والدود يطعمه »^(٢).

ومما أحب التنبيه عليه أن الدكتور أحمد محمد عوف قد أخطأ في بيان هلاك المازندراني حين علل ذلك بأنه مات مقتولا على يد أتباع أخيه صبح الأزل وذلك في قوله:

« وهناك قتل أتباع صبح الأزل البهاء حيث دفن في عكا عام ١٨٩٢م^(٣) وبعد وفاة المازندراني خلفه ابنه عباس أفندي وكان المازندراني قد أوصى كما تقدم أن يتولى الأمر بعده ابنه عباس ثم من بعده محمد علي ولكن عباسا استأثر بالأمر فحصل بينهما شقاق وخلاف شديد وانقسم البهائيون حينئذ إلى فرقتين :

١ - الفرقة الأولى وهي الموالية للعباس أفندي وتسمى العباسية .

٢ - الفرقة الثانية وهي الموالية لمحمد علي بن حسين المازندراني وتسمى

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(١) البهائية تاريخها وعقيدتها ص ١٤٤ .

(٣) خفايا الطائفة البهائية ص ١٠٩ .

«الموحدون» وصار بعد ذلك مجموع فرق البهائية بعد حدوث الانشقاقات بينهم أثر شدة المنازعات خمس فرق هي :

١ - البابية الخالص .

٢ - الأزلية أتباع صبح الأزل .

٣ - البهائية .

٤ - العباسية .

٥ - الموحدون .

وقد آلت زعامة البهائية بعد عباس أفندي عبد البهاء إلى ابن ابنته وهو شوقي أفندي لأن عبد البهاء مات ولم يخلف غير أربع بنات فخلفه شوقي بوصية منه ولقبه آية الله وولي أمر الله ثم أوصى عبد البهاء بإمامة البهائية إلى أولاد شوقي الذكور دون الإناث لكن شوقي مات بسكتة قلبية في لندن ولم يخلف لا ذكورا ولا إناثا .

وقد اشتهر من البهائيين رجال أمثال الملا محمد بن الملا محمد رضا الجليائيجان الملقب بأبي الفضائل الذي لقبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل بأبي الرذائل .

ومنهم إبراهيم جورج خير الله الذي أسس مركز البهائية في شيكاغو ومنهم جمشيد ماني صاحب طائفة السماوية ومنهم أحمد سهراب وغيرهم من كبار البهائية كما اشتهرت بعض النساء ومنهن امرأة إنجليزية تسمى « لورا كليفورد بارني » وأخرى أمريكية تسمى « مارثا روث » ، وكان لهما جهد كبير في نشر البهائية .

الفصل الرابع

المبادئ التي نادى بها البهائيون

البهائية كما هو واضح من تعاليمهم ومعتقداتهم مذهب خارج عن الإسلام لا يتفق مع الإسلام في شيء بل ولا مع تعاليم الديانات السماوية كلها بعد أن وصل أتباعه بالمشثوم حسين المازندراني إلى درجة الألوهية حيث دعاهم فاستجابوا له .

ويعود تأسيس هذا المذهب إلى الجهود التي بذلها أعداء الإسلام في سبيل نجاحه حين احتضنته اليهودية العالمية لتجعل منه معولا هداما وشوكة مشغلة للمسلمين والعرب بخصوصهم لئلا يلتفتوا إلى أطماعهم في استعمار فلسطين وما يتبعها حسب الخارطة المرسومة عندهم لابتلاع أراضي المسلمين وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

ومن هنا فإن تعاليم البهائية كلها قائمة على نسخ الشريعة الإسلامية حسب ما قرره أقطاب البابية في مؤتمر بدشت مستبدلين الشريعة الإسلامية بأفكارهم الخاقدة ومستبدلين نبي الهدى محمد (ﷺ) بالملحد المازندراني ومستبدلين بالقرآن الكريم كتاب « الأقدس » الذي زعم المازندراني وأتباعه أنه أفضل من القرآن الكريم بل ومن كل الكتب السماوية.

وتعاليمهم كثيرة بسبب إصرارهم على نسخ جميع الأديان وبقاء البهائية فقط ولهذا طرقتوا كل باب وظنوا أنهم قدموا للبشرية ما يصلحهم في دينهم وديناهم فكانوا كما قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ ، اللَّهُ

يستهنئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴿١﴾.

وهذه الآيات العظيمة تنطبق تماما على البهائية فهم مفسدون ويزعمون أنهم مصلحون وهم سفهاء ويظنون أنهم أوتوا علما لم يؤته أحد قبلهم وهم كذلك من أمهز الناس في النفاق والتملق والمراوغة يعطون كل شخص يجدونه ما يحبه من الأقوال والأفعال وقد أخبر الله عز وجل أن من كانت هذه صفته فإن الله يمد له في طغيانه إلى أن يصبح أضل من الأنعام ثم يجد بعد ذلك جزاء كل ما قدم .

وفيما يلي نذكر أهم مبادئهم وتعاليمهم التي ينادون بتحقيقها ليضمنوا للبشر السعادة فيما يزعمون وهي :

١ - وحدة جميع الأديان والالتقاء على دين واحد لتزول الخلافات بين الناس ومن المعروف بداهة أن ذلك الدين سيكون الدين البهائي بطبيعة الحال .

٢ - وحدة الأوطان : بحيث تمنح المفاهيم الوطنية ولا يبقى في الأذهان إلا الوطن الذي سيختاره المازندراني لهم .

٣ - وحدة اللغة : بحيث لا يتكلم الناس كلهم بأي لغة لا محليه ولا عالمية إلا اللغة التي سينتخبها لهم المازندراني .

٤ - السلام العام والتعايش الهاديء بين كل الشعوب كما تتعايش الخرفان وذلك إذا طبقوا السياسة البهائية .

٥ - المساواة بين الرجل والمرأة : بحيث يصبح المجتمع كله في رتبة واحدة لا قوامة لأحد على آخر فلا فرق بين الرجل والمرأة الكل عبيد البهاء . وهذه اللغة البارعة منه تدل على مدي إجادته للتملق والنفاق الذي لم يحققه هو نفسه في حياته ولا خلفاؤه من بعده كما سيأتي في مناقشة هذا الطلب المستحيل .

(١) البقرة ١٣- ١٥ .

و حينما قرر البهائيون هذه الأمور فرحوا فرحا شديدا و ظنوا لجهلهم أنهم اكتشفوا للعالم بابا إلى السعادة ما كانوا يعرفون الاتجاه إليه و ظنوا أن هذه الخيالات التي لا يمكن على الإطلاق أن تتم ظنوها شيئا فإذا بها سراب بقية أول ما فيها أنها تريد أن تحقق شيئا يريد الله خلافه لأنه جعل الخلق على حال لا تتحقق فيها تلك الأحلام البهائية كلها . وهم يعرفون هذا تماما ولهذا فقد كذبت أفعالهم أفعالهم و تناقضوا في هذا تناقضا فاحشا و ظهرت الحقيقة التي يهدفون من وراء مناداتهم بتلك الأسس فإذا بها فخر بهائي لاصطياد العوام من الناس و للتنفيس عن حقدهم الشديد للعالم و الرغبة في السيطرة عليه بتلك الوسائل كلها بما فيها تملق و نفاق المرأة و خداعها بوعود البهائية البراقة .

١ - أما الهدف الأول وهو زعمهم أن الأديان واحدة أو أن الناس يجب أن يبنوا كل الأديان ثم يجتمعون على دين واحد .

لعل مما يوضح ماهية هذا الدين هو ذلك الإصرار من البهاء و أتباعه على أن جميع الأنبياء إنما جاؤا للتبشير بظهور هذا البهاء و الاحتفاء به و بسخافته و أن الله تعالى قد تجلي في طلعتة و أنه هو مظهر الله الأكبر و الساعة العظمي و القيامة و البعث و أن الالتزام به و بدعوته هي الجنة و أن النار هو ترك أتباعه ، لقد كان المازندراني من أشد الناس تشبعا بمبادئ الصوفية الإلحادية فهو من كبار القائلين بوحدة الوجود و الحلول و الاتحاد التام .

و من هنا فإنه لم يرى أي مانع من دعوى الألوهية .

و من المعلوم أنه ما دام البهاء هو مظهر الله في زمنه حسب سخافته فإنه لا دين و لا معرفة و لاحق و لا باطل و لا حلال و لا حرام إلا ما جاء عن طريقه و النتيجة من كل ذلك أن الناس يجب أن يجتمعوا على الدين البهائي فقط ولهذا فهو يلح في تقرير وحدة الوجود بينه و بين الله و أن الأديان كلها دين واحد و أن الذي يمثل الله في تجليه في عصر البهاء إنما هو البهاء نفسه و ما دام الله هو البهاء

فيجب أن يبقى الدين هو ما يريده البهاء وأقوال البهاء في تقرير ألوهيته كثيرة جدا ملأ بها كتابه «الأقدس» نكتفي بذكر الأمثلة الآتية :

« قل لا يرى في هيكلتي إلا هيكل الله ولا في جمالي إلا جماله ولا في كينونتي إلا كينونته ولا في ذاتي إلا ذاته قل لم يكن في نفسي إلا الحق ولا يري في ذاتي إلا الله »^(١).

ويقول أيضا :

« يا قوم طهروا قلوبكم ثم أبصاركم لعلكم تعرفون بارتكم في هذا القميص المقدس واللميع »^(٢).

ويقول مخاطبا البابين وغازبا عليهم حين لم ينضموا تحت لوائه :

« يا أهل النفاق قد ظهر من لا يعزب عن علمه شيء »^(٣).

وقال في استفتاحه لكلماته التي سماها فردوسية :

« كلمة الله في الورق الأول »

وأما أقوال ابنه عبد البهاء عباس وأما أقوال كبار أصحاب البهاء فحدث عن كثرتها ولا حرج كلها تؤكد ألوهية المازندراني وأن له طبيعتين ناسوتيه ولاهوتيه ولا انفصال لأحدهما عن الأخرى وأنه المثل الحقيقي لبهاء الله تعالى فحينما وجد البهاء وجد بهاء الله متمثلا فيه أتم تمثيل وهذا ما جعله يضع برقا على وجهه لئلا يرى كل أحد بهاء الله ، وقد عازمت على كتابة تلك النصوص عن البهائية في تقريرهم ألوهية زعيمهم إلا أنني فترت عن إثباتها هنا أولا لاشمئزاز نفسي عنها وثانيا لأنها كلها تهدف إلى إثبات ألوهية ذلك المعتوه ، وإذا كان

(١) كتاب الأقدس نقلا عن خفايا الطائفة البهائية ص ١٢٦ .

(٢) مبين للمازندراني ص ٣٠ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ٧١ .

(٣) إشراقات للمازندراني ص ١٤٤ ، نقلا عن البهائية تاريخها وعقيدتها ص ٢٣٥ / ٢٣٦ .

كتابه «الأقدس» غير موجود هنا حالياً فقد كاد أن يكون بكل يسر وسهولة من خلال ما كتبه العلماء عن البهائية وعقائدهم وكتبهم بل توجد كتب صورة ذلك الكتاب كما هو مثل كتاب البهائية الفكر والعقيدة تأليف صالح كامل ومثل كتاب خفايا الطائفة البهائية للدكتور أحمد محمد عوف حيث نقل الأقدس كله وكذا ما نقله الشيخ إحسان إلهي رحمه الله في كتابه البهائية نقد وتحليل وما كتبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله غير ذلك من الكتب المتوفرة في المكتبات ولهذا فإنني لا أظن أن هناك حاجة إلى إثبات تلك النصوص الإلحادية التي تدمغ البهائيين في اعتقادهم أن زعيمهم المازندراني هو الله كيف وهم أنفسهم يصرحون بربوبيته بدون أن يجدوا حرجاً في ذلك.

أما زعمهم أنهم السابقون إلى تقرير وحدة الأديان والاجتماع على الدين الحق والأخوة الصادقة واحترام كل شخص للأخر في إطار الإيمان بالله تعالى وبرسله لا يجمله أحد من المسلمين أن هذه الفكرة ليست من بنات أفكار المازندراني ولا من وحيه وإنما هذا مبدأ إسلامي قرره الله في القرآن الكريم والنبى العظيم وليس للبهاء فيها إلا تلك العبارات التي أراد أن يخاكي بها ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية فإن الله تعالى قد أمر نبيه أن يخاطب أهل الكتاب بالرجوع إلى الحق والتعمق في استخراجهم فقال لنبيه: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾ (١).

وهذا الطلب قد جعله الله تعالى في إطار الإقتناع واللين فقال :

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (٢). بل وأكد عز وجل على البر والعدل تجاه المخالفين للدين الصحيح ماداموا لم يواجهوا المسلمين بأذى

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٦ .

فقال تعالى: ﴿لَا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾^(١).

فهل جاء المازندراني بمثل هذا العدل والتسامح مع المخالفين إلى حين إقناعهم بالحق أم أمر فوراً أن يقتل المخالف لمبادئه وأن تحرق الكتب الأخرى غير كتبه وأن لا ينظر الناس إلا في جماله وبهائه وكتبه وأن لا يفكروا إلا فيه وفي رضاه لا غير؟ نعم إنه لم يأت في الحث على وحدة الأديان إلا بمثل تلك السخافات التي أراق من أجلها كثيراً من الدماء هدراً وذبم لأجلها كل الأنبياء والرسل وكل المصلحين لقصورهم في زعمه عن بيان حقيقة ودعوته المشؤمة حيث كان أهم ما أرسلوا به إنما هو التبشير بظهور البهاء وبالرجوع إلى مناداة البهائية بوحدة الأديان نجد أن الإسلام قد حث وأبلغ في وجوب التمسك بالدين الخفيف المنزل من رب العاملين بحيث لو طبقه البشر لسعدوا في الدنيا والآخرة فإن كل ما فيه خير ويدعو إلى خير وليس فيه تناقض ولا عصبية بغیضة ولا أفكار رديئة مثل ما هو الحال في البهائية التي تدعو الناس كلهم إلى ترك دينهم والتمسك بعقيدة البهاء التي هي مملوءة بالأفكار القاصرة والأراء المتناقضة والعصبية الشنيعة لأنها ملفقة من شتى الأفكار من مسيحية ويهودية ومجوسية وإسلامية وصوفية إلحادية.

فكيف يتفق الناس على ديانته هذا أقل شأنها بل كيف يتفقون على دين لم يوحد بين أصحاب ذلك المذهب نفسه فإن العداوة الملتهبة بين البايين والبهائيين بل وبين الأخوين المازندراني وصبح الأزل لا ينساها أحد وهنا يصح قول الناس فاقد الشيء لا يعطيه ، وقد ظن حسين على المازندراني حين أمر أتباعه أن يتفننوا في النفاق ومجاملات الآخرين فيصلوا مع المسلمين ويدخلوا الكنسية مع النصراني ويدخلوا في محافل اليهودية وأن يتوددوا إلى الهندوس في معابدهم ظن أن هذا النفاق البغيض هو البداية إلى تحقيق وحدة الأديان فكانت النتيجة

(١) سورة الممتحنة آية ٨ .

عكس ما أراد فإن الناس حين كانوا يشاهدون عبد البهاء في كل مكان مع المسلمين ومع النصراري ومع اليهود ومع الهندوس ومع كل صاحب ملة عرفوا تماما أن المقصود من وراء ذلك إنما هو الزعامة العالمية وهدم كل الأديان وأن تلك التحولات إنما هي النفاق بعينه بل والتخبط والاضطراب الفكري لأن الجمع بين المتناقضات ليس من فعل الإنسان السوي الذي يجترم مبدأه ونفسه فضلا عن من يريد قلب الأمور وإصلاح المجتمع وتوحيد أفراده على حسب ما يري من ضرورة ذلك إذا كان فعلا مقتنعا بمبدئه وصلاحيته للأمة .

لقد اهتم البهائيون والبايون أيضا بمحاربة الإسلام والمسلمين اهتماما شديدا وسبوا تعاليم الإسلام بأشد السباب ومن ذلك ماجاء في الإيقان للمازندراني تسمية المسلمين بالهمج الرعاع حيث قال : انقضي ألف سنة ومئتان وثمان من السنين من ظهور نقطة الفرقان أي الرسول ﷺ ، وجميع هؤلاء الهمج الرعاع يتلون الفرقان في كل صباح وما فازوا للآن بحرف من المقصود»^(١).

ويقول أيضا في كتاب له يسمى مجموعة الألواح محذرا البهائيين عن الاجتماع بالمسلمين :

« إياك أن تجتمع مع أعداء الله في مقعد ولا تسمع منه شيئا ولو يتلي عليك من آيات الله العزيز الكريم ، لأن الشيطان قد ضل أكثر العباد بما واقفهم في ذكر بارئهم بأحلى ما عندهم كما تجدون ذلك في ملأ المسلمين بحيث يذكرون الله بقلوبهم وألسنتهم ولا يعملون كل ما أمروا به ، وبذلك ضلوا وأضلوا الناس إن أنتم من العالمين »^(٢).

(١) الإيقان ص ١١٢ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ٩٦ ويجب التنبيه على أن الإيقان فيه نزاع لمن هو هل هو للمازندراني حسين كما يدعي أم هو لاخيه صبح الأزل كما يدعي أيضا لأن كل واحد يدعيه لنفسه .

(٢) مجموعة الألواح ص ٣٦٠ / ٣٦١ البهائية ص ٩٧ .

كما أن دعوتهم إلى توحيد الأديان ثم قصر ذلك على ديانتهم فقط يعتبر من أقوى الأدلة على كذبهم في مناداتهم باتحاد الأديان والتسامح معها فالمازندراني يقول في كتابه «الأقدس» الذي يعده ناسخا للقرآن الكريم: «والذي يتكلم بغير ما نزل في الوحي - أي وحيه في كتابه المذكور - أنه ليس مني إياكم أن تتبعوا كل مدع أثيم^(١)، ويقول أيضا:

«طوبى لمن يشهد به الله وويل لكل منكر كفار»^(٢).

والذي أعرض عن هذا الأمر أنه من أصحاب السعير وصل الحال بالمازندراني أن أصدر أمرا إلى جميع يسمع ويرى أن لا يرى ولا يسمع إلا للمازندراني ويترك جميع ما في هذا الكون إذا أراد النجاة على حد زعمه فهو يقول:

«يا صاحب العينين أغمض عينيك عن العالم وأهل العالم كله وافتح عينيك على وعلى جمالي المقدس^(٣)، ولاجل تنفيذ هذا التعصب ضد المخالفين للبهائية كان البهائيون يحون كتب مخالفيهم خصوصا كتب المسلمين التي كانوا يتلفونها بكل حقد وغيظ ليتحقق لهم ما يؤملون من إخراج المسلمين عن دينهم والله متم نوره ولو كره الكافرون».

ولم ينخدع المسلمون ولله الحمد بهذه الدعوى التي يروجها البهائيون فإن الدين الإسلامي الحنيف قد حث على الاجتماع على العقيدة الصحيحة الربانية بطريقة تكفل الخير للجميع وتهديهم إلى سواء السبيل بأتم بيان وأحسن عدالة وأكملها إلى نهاية الكون.

٢ - وحدة الأوطان :

أما دعوتهم هذه إلى وحدة الأوطان فمعناها أن العالم يجب أن ينتمي كله

(١) الأقدس نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) كلمات مكنونة للمازندراني ص ٤ / ٥ (البهائية ص ١٠٠) .

إلى وطن واحد ، وأن الذي ينتمي إلى جزء من الأرض متعصب ردىء صاحب خرافة ووهم لأن الشريعة البهائية قد طلبت أن تكون الأرض وطناً واحداً لجميع العالم ويجب أن تنمحي الحدود بين البلدان ودون النظر إلى أي اعتبار وأن يتعايش الناس فيها دون النظر إلى أي اعتبار سياسي أو اجتماعي فيجب على كل شخص أن يحب الأرض كلها ولا يفضل وطناً على آخر فالعالم وطن واحد لكي يلتقي الناس على الحب والولاء المشترك ولكن لمن سيكون هذا الولاء المشترك ؟ إنه بدون أي تفكير سيكون للبهاء وأتباعه ومن هنا أخذوا ويقررون القول بوحدة الأوطان ويذمون كل من يحاول أن يذكر مفهوماً غير هذا .

١ - قال اسلمنت « ومن التعصبات الرديئة التي تلحق بالتعصب الجنسي التعصب السياسي ، أو الوطني فقد حان الوقت لأن تندمج الوطنية الضعيفة ضمن الوطنية العمومية الكبرى التي يكون فيها الوطن عبارته عن العالم بأجمعه فيقول بهاء الله قد قيل في السابق: « حب الوطن من الإيمان^(١) وأما في هذا اليوم فلسان العظمة ينطق ويقول : « ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم^(٢) ، ويقول عباس أفندي : « ومنذ الابتداء لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة فلا يوجد في الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم »^(٣) .

والواقع أن هذه الدعوى يدل ظاهرها على أنها من الأمور التي يتمناها كل إنسان في هذه الأرض المملوءة بالشور والظلم والدعوة إلى تحقيقها من الأمور التي تلفت النظر بشدة إذ أن لها لمعانا وبريقا يكاد يخطف الأبصار والمشكلة لا تكمن في مجرد الدعوى إلى استنباط هذه الفكرة فهي سهلة جدا ولا يجهلها أحد مهما كان مستواه الثقافي بعكس ما يظن البهائيون أنهم هم الذين اخترعوا

(١) هذا الحديث موضوع انظر « أسنى المطالب ص ١٢٦ وانظر تعليق رقم ٥٥١ ذكر المراجع التي حكمت عليه أيضاً بالوضع .

(٢) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٦١ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ١١٤ .

(٣) محادثات باريس « لعبد البهاء انظر البهائية ص ١١٤ .

الدعوة إليها نعم إن المشكلة لا تكمن في مجرد استنباطها ، وإنما تكمن المعضلة في كيفية تحقيقها والأسلوب الذي يبذل ليقنع الناس بها. فهل وفق البهائيون إلى ذلك؟

إن الجواب غير خاف على أحد فهو يحتل أكبر صيغ النفي لم يقدم البهائيون من الحلول إلا الدعوة إلى احترام أرض الطاء والقاء السلاح لئلا يخيفوا به الطامعين في الاستيلاء على ديار المسلمين في أرض الخاء التي يناديها المازندراني في كتابه الأقدس « يا أرض الخاء »^(١) ، أي أرض الخراب يقصد فلسطين التي عاش فيها عيشة الملوك .

لم يقدم المازندراني ولا أتباعه ما ينفع الناس بترك الانتساب إلى أو طانهم والالتفاف حول الوطن الذي يختاره لهم المازندراني لأن صاحب هذه الدعوة هو نفسه في أوائل من ينادي بالوطنية وذلك في إظهاره التلهف على أرض الطاء طهران إيران ونظرتة المتعالية المترفعة على الأرض التي آوته إليها يد الغدر والعدوان الأرض التي عاش فيها عيشة الملوك ومع ذلك فهو يسميها أرض الخاء وكان ينبغي أن يكون هو القدوة فلا يناقض نفسه بنفسه ومن هنا فإن المازندراني وأتباعه قد كفوا الناس مهمة الرد عليهم حيث كذبوا أنفسهم بأنفسهم لأن تناقض المازندراني صاحب الفكرة قبل غيره من أتباعه أكبر دليل على كذبهم في إخلاصهم لسعادة البشر ، فبينما هو ينهي عن الانتساب إلى وطن بعينه إذا به يبكي ويندب حظه على فراق وطنه - أرض الطاء كما يسميها ويتأسف لغربته في البلدان بعيدا عن إيران حيث تغرب في العراق وتركينا وفلسطين ، ويظهر هذا في كتابه إلى أحد أصدقائه قائلا له : « يا أحمد لاتنس فضلي في غيبتني ثم اذكر أيامي في أيامك ثم كربتي وغربتي في هذا السجن البعيد^(٢) » ، ويقصد بهذا السجن وطنه الجديد فلسطين - ثم ينادي أرض الطاء - طهران إيران

(١) الأقدس ص ١٦٣ ، ضمن « خفايا البهائية » .

(٢) لوح أحمد ص ١٥٥ نقلا عن البهائية ص ١١٧ .

فيقول « يا أرض الطاء لا تخزني من شيء قد جعلك مطلع فرح العالمين افرحي بما جعلك الله أفق النور ولد فيك مطلع الظهور^(١)، أي نفسه .

وهذا الكلام والأسى والحزن على وطنه طهران وذمه لفلسطين وتسميته لها أرض الخناء تناقض ظاهر إذ كيف يزعم أنه لا يجوز تفضيل وطن على وطن ثم بعد ذلك يمدح وطننا ويذم آخر بدون مبرر إلا مجرد الهوى ونسي فلسطين وادرنه التي آوته زمنا دبر فيه مع اليهود الخطط التي ينبغي عليه أن يسلكها لجعل فلسطين يهودية ولا تنتشر دعوته المشؤمة التي أراد منها أن تكون ديانة عالمية تنسخ جميع الأديان حسب زعمه ثم ذهب يتخبط في جهله فجاء في كتابه الأقدس بكلام يتنزه عنه العامي أن ينسب إليه لكثرة ما فيه من التناقض ومن الآراء الخيالية والتعاليم الباهتة ويلحق بمحو فكرة الأوطان المختلفة أن يمحي أمرا هاما جدا من أذهان الناس تبعا لمحو فكرة الأوطان إلا وهو محو فكرة الجهاد وحمل السلاح فقد قاد المازندراني وأتباعه حملة شرسة مضمية في إبطال قتال الكفار أي كانوا أو حتى مجرد النية في ذلك .

والنتيجة من وراء هذا الطلب وتقريره لا تحتاج إلى تفكير واجتهاد لاستخلاصها فالقصد منها هو رد الجميل للروس والانجليز واليهود الذين كانوا وراء نبوته ثم ألوهيته وزعامته لكي ييسطوا نفوذهم دون مقاومة أو احتجاج من الناس - وخصوصا المسلمين - لأن الشريعة الجديدة كما يزعم تأمر بهذه الطاعة وتنهى رفع السلاح في وجوه أي جنس من الناس مهما كان دينهم .

وهذا هو السر في وقوف أولئك الطامعون في استعمار البلدان الإسلامية والعربية جنبا إلى جنب في بناء البهائية وتأييدها والذب عنها .

يقول المازندراني في محو الجهاد :

« حرم عليكم حمل آلات الحرب إلا حين الضرورة وأحل لكم لبس الحرير

(١) الأقدس : ضمن خفايا الباطنية ص ١٦٢ .

وقال أيضا :

« البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب » .

وقد أكد أسلمنت هذا الجانب فقال :

« إن البهائيين تركوا بالكلية استعمال الأسلحة النارية حتى في أمور الدفاع المحضة وذلك بناء على أمر صريح من بهاء الله »^(١)

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبجح فيها البهائيون لمحو أصل الجهاد ومشروعيته للدفاع عن الدين والوطن والعرض لأن هذه كلها لا ينبغي أن تقف عائقا في سبيل تقدم جحافل الكفر والإلحاد إلى ديار المسلمين كما يريد البهائي ومن العجب ولسر غير خاف جمع المازندراني بين النهي عن حمل السلاح والجهاد وبين تحليل لبس الحرير للرجال .

٣ - وحدة اللغة :

وأما بالنسبة لوحدة اللغة ؛ أي اختيار لغة واحدة للعالم كله تكون مشتركة فيما بينهم للتفاهم فهي الفكرة التي يتظاهرون بالحرص عليها جدا ، ويزعمون أنها لا تتحقق إلا بمباركة المازندراني لها . وهي محاولة مكشوفة لإبعاد المسلمين عن لغة كتاب ربهم بطريقة ماكرة وهي إحدى أكاذيب البهائية التي يطالبون فيها العالم بترك تعدد اللغات واختيار لغة واحدة منها فما هي اللغة التي يجب أن يختارها الناس على حد رغبتهم هل هي لغة القرآن الكريم التي شرفها الله بإنزال كلامه بها أم هي لغة أخرى يستحسنها البهائيون عوضا عن اللغات كلها وخطا يستحسنونه على الخطوط كلها ثم يترك كل ماخالفه بعد ذلك يجيب عن هذا حسين على المازندراني في كتابه الأقدس في قوله : « يا أهل المجالس في البلاد

(١) انظر قراءة في وثائق البهائية ص ٩٥ .

اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض وكذلك من الخطوط أن الله يبين لكم ما ينفعكم ويغنيكم عن دونكم أنه لهو الفضال العليم الخبير»^(١)، وهو يقصد بمن دون البهائية العرب وغيرهم حسب ما عرف عن أهل فارس وتعاليمهم على البشر في الزمن القديم .

ويقول ابنه عباس أفندي أن تنوع اللغات من أهم أسباب الاختلاف بين الأمم في أوربا^(٢) .

وبعد هذه الدعوة العامة لتغيير اللغات والخطوط أيضا وبالخصوص العربية يفصح المازندراني بعد ذلك عن اللغة التي يقترحها فإذا بها لغته لا سواها اللغة الفارسية التي قال فيها : « يا قلمي الأعلى بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء^(٣) ؛ أي اللغة الفارسية التي قال عنها أبو الريحان البيروني لا تصلح إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية^(٤) .

على أن الفكرة من أساسها يصح وصفها بأنها مجرد خيال ساذج ويصح كذلك وصفها بأنها فكرة تنبئ عن خبث ونية شريرة وهي فكرة كذلك مخالفة للفترة والواقع ولم يسبق المازندراني أحد من الناس لا الأنبياء ولا غيرهم في مطالبة البشر بالرجوع إلى لغة واحدة هي الفارسية ولا غير الفارسية فإن الله أرسل أنبياءه كل نبي بلغة قومه يدعوهم إلى توحيد الله والخروج عن ما يغضبه عز وجل والرغبة في هدايتهم إلى الخير والصلاح لتجتمع قلوبهم وتتوحد أفكارهم حول هذا المبدأ لا مبدأ توحيد اللغات والخطوط ولو أن العالم كله

(١) الأقدس : ضمن خفايا البهائية ص ١٨٥ .

(١) خطابات عبد البهاء عباس عن بهاء الله والعصر الجديد ص ١٦٤ (نقلا عن البهائية نقد وتحليل)

ص ١٢٠ .

(٢) مجموعة الواح المازندراني ص ١١٣ البهائية نقد وتحليل ص ١٢٣ .

(٣) انظر البهائية لمحب الدين الخطيب ص ٢٩ وقد عزاه إلى مقاله « القرآن معجزة بين معجزتين »

بمجلة الفتح العدد ٨١١ ص ٨ .

يتكلم لغة واحدة لربما أدى ذلك إلى فساد كثير وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الناس على هذا الوصف من تعدد اللغات والله يعلم أنه لو اتحدت القلوب على العقيدة الصحيحة لزال بينهم فوارق اللغة ولما كان لاختلافهم فيها أي وزن ، وتاريخ الصحابة مليء بالأمثلة على ذلك فقد جمع الله بين سلمان الفارسي اللغة وبلال الحبشي اللغة وصهيب الرومي اللغة مع الرعيل الأول من فضلاء قريش كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فلم يشعروا بأي فارق فيما بينهم لأن دينهم واحد وعقيدتهم واحدة وهدفهم واحد فلم يبق لفارق اللغة أو الجنس مكانا وحينما تختلف العقيدة فإن الاتحاد في اللغة والجنس لا يغني ولا يؤلف القلوب بل كم قد قامت الحروب وسفكت الدماء بين أهل اللغة الواحدة وأقرب دليل على ذلك هو تلك الحروب التي خاضها العرب في الجاهلية فيما بينهم مع توحيد لغتهم ثم حروب البهائيين مع قومهم الذين يتكلمون بلغتهم من أهل إيران والحروب الأهلية في كل بلد تقوم فيه ولبنان في وقتنا الحاضر أقوى دليل على ذلك حيث يقتل بعضهم بعضا بأشد أنواع الوحشية فإن اللغة بحد ذاتها لا تعلم الأخلاق والرحمة والموالة وجمع الكلمة ومن هنا فإن اختلاف اللغة ليس بالأمر الهام واختلاف الألسنة ليس إلا دليلا على قدرة الباري عز وجل قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١). ثم إن الداعي إلى وحدة اللغة المازندراني لم يوحد اللغة حتى في وحيه وألواحه التي نسجها خياله فكتبه كما يذكر المطلعون عليها^(٢)، مليئة من المزيج الفارسي والعربي فمرة يدعي نزول الوحي باللغة الفارسية ومرة أخرى باللغة العربية مختلطا بالعربية والفارسية وكلامه على هذا الاتجاه مرة يتكلم بالفارسية أحيانا باللغة العربية ، ومعنى هذا أن دعواه توحيد اللغة كذب وتناقضه أكبر دليل على هذا ويظهر أنه أيقن بعدم نجاح

(١) سورة الروم ٢٢ .

(٢) وفي المقدمة الشيخ إحسان إلهي رحمه الله انظر كتابه البهائية ص ١٢٣ .

دعوته هذه وعلم أنه بحاجة إلى تبليغ دعوته البهائية فأذن في تعلم اللغات ليسهل تبليغ البهائية غيرهم فقال :

« قد أذن الله لمن أراد أن يتعلم الألسنة المختلفة ليبلغ أمر الله أي العقيدة البهائية - شرق الأرض وغربها ويذكره بين الدول والملل على شان تنجذب الأفتدة ويحي به كل عظم رميم^(١)، ومع هذا فلا تزال الرغبة في طمس اللغات الأخرى قائمة وشدة رغبته في طمس اللغة العربية بذاتها يعود إلى عدة عوامل إذ فيها قطع كل صلة للمسلم بدينه كما أن في إقصائها إمتداد للدين البهائي ، فإذا جهل المسلم لغة دينه جهل بعد ذلك كل أمور دينه ومن هنا اهتموا بالقضاء عليها بكل ما في عقولهم الخاقدة من حيل ولم يفلحوا في إنجاح مخططهم والله الحمد رغم ما بذلوه من محاولات ولا يزالون ولم يكونوا وحدهم في ميدان حرب اللغة فلقد تظافرت جهودهم وجهود كل أعداء الإسلام على حربها وإبعادها من قلوب المسلمين ومن هنا نجد أن الدعايات ضدها وتشويه سمعتها ووصفها بأنها لغة المستعمرين العرب وأنها لاتفي بحاجة العصر وما إلى ذلك من الدعايات نجد كل ذلك ظاهراً في كل بلد يوجد به مسلمون من غير العرب ومن الغرائب أن فرنسا وهي مستعمرة لكثير من البلدان الأفريقية سواء كان الاستعمار ظاهراً أو خفياً تنشر بين المسلمين هناك أن اللغة العربية هي لغة المستعمرين العرب ولكن نجد أن المسلمين هناك يضحكون من هذه الدعاية وهم يشعرون أن اللغة العربية أقرب إلى قلوبهم من لغاتهم المحلية ويحبونها ويحترمونها أشد احترام ويشعرون بكامل السخط والسخرية من انتشار اللغات الأخرى كما يذكر كثير من المسلمين هناك بمجرد أن تبدأ الحديث عن هذا .

٤ - السلام العالمي

يظن البهائيون أنهم هم الذين تزعموا الدعوة إلى السلام العالمي وترك

(١) الأقدس : ضمن خفايا الطائفة البهائية ص ١٦٨ .

الحروب والتعايش الهادئ بين الأمم حين منعوا حمل السلاح وأوجبوا تقديم
السمع والطاعة للحكام أيا كان مذهبهم ، وليس فقط تحريم الحروب بل كما
يزعمون كل مقدماته من النزاع الجدال والخصام وكل ما يمت إلى الحروب في
النهاية بل ولا يجوز حمل السلاح حتى ولو للدفاع عن النفس .

تلك هي مزاعمهم حول دعوى إحلال السلام في العالم كله فهل كان
ذلك حقيقة وهل قدموا الحلول الناجحة لمشكلات العالم التي تجرهم إلى
الحروب شاعوا أم أبوا وإلى أي مدى وصلت إليه دعوتهم من النجاح في العالم .
هذا على فرض التسليم بأنهم هم الذين دعوا إلى السلام العالمي وحدهم مع
أن أحداً لا يجرؤ مهما كانت صلافته على مثل دعواهم بأنه مخترع الدعوة إلى
السلام العالمي لأنها دعوة ربانية قررها الإسلام وضاعف الحلول الناجحة لها
بطرق ترضي كل شخص وتنتهي كل خلاف ولو رجعوا إليه لوجدوا مصداق
هذا واضحا .

وقبل الإجابة عن ذلك نورد هنا بعض كلام البهاء وأتباعه حول مناداتهم
بالسلام العالمي .

يقول حسين المازندراني : « قد نهيناكم عن النزاع والجدال نهيا عظيما في
كتاب هذا أمر الله في هذا الظهور الأعظم ^(١) .

وقال : « لأن تقتلوا خيرا من أن تقتلوا » ^(٢) .

وقال : « لا يجوز رفع السلاح ولو للدفاع عن النفس » ^(٣) .

ويقول أسلمنت :

ومن هنا قال أحد زعمائهم في مصر أن الدولة لو أجبرته على حمل السلاح

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٢٣ نقلا عن البهائية لإحسان ص ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٩ .

في مواجهة إسرائيل فإنه سيطلق في الهواء لأن ذلك هو شعار البهائيين^(١).
لقد ربط البهائية تحقيق ذلك السلام العالمي البهائي بطريقة ماكرة مفادها أن
تلك الدعوى لا يمكن أن تتحقق إلا بعد الارتواء من غسلين البهائية وآرثها
المتناقضة وحيث تمشي البشرية آمنة مطمئنة لا يخاف أحدهم إلا الله والذئب
على غنمه.

إنها دعوى عريضة فوق مستوى عقول البهائية وتصدر البهائي وأتباعه لهذا
الزعم يعتبر من مهازل البهائية البائسة ويعتبر من عجائب الزمن فمن يقبل من
الناس أن يركن إلى البهائي ومزاعمه هو اتباعه دون أن يرى الحلول الإيجابية
لتلك المشكلات التي يعجز بها العالم كله . لأن الحل عند البهائية هو أن تدخل
رأسك في الشبكة لتري الحل حيث في عالم الخيالات الوهمية نسي أو جهل
البهائيون أن حل مشكلات الحياة العالمية لا يمكن أن يأتي عن طريق الخرافات
والمؤامرات الظاهرة والخفية . وإنما يأتي عن طريق الاقتناع التام من داخل النفس
﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^(٢)، ﴿إن
أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٣)، ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاعبدون﴾^(٤)، وكذا قول نبي الإسلام « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن
أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا
لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى »^(٥).

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(٦)، « المسلم من سلم

المسلمون من لسانه ويده »^(٧).

-
- (١) قراءة في وثائق البهائية ص ٩٣ .
(٢) سورة المائدة ٢ .
(٣) سورة الحجرات ١٣ .
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ٤١١ .
(٥) أخرجه البخاري في الإيمان ج ١ ص ٥٧ ومسلم كذلك في الإيمان ج ١ ص ٦٧ ، ٦٨ .
وغيرهما من أصحاب السنن .
(٦) أخرجه البخاري ج ١ ص ٥٤ ومسلم ج ١ ص ٢١٤ وأصحاب السنن .

ومئات النصوص في كتاب الله وفي سنة نبيه (ﷺ) فيها الحلول المباشرة التي يلمسها الإنسان ويرى تأثيرها بمجرد أن يمتثل الأمر ولو طبق الناس الإسلام وانتظروا أسبوعا واحدا أو أقل لرؤا كيف يصبح السلام واقعا حقيقيا لا خداع فيه ولا تجبر ولا مكائد ولا دسائس ولرؤا أن جميع مشكلات العالم تذوب من تلقاء نفسها كما يذوب الملح في الماء . لأن الحلول الإسلاميه تناجي كل قلب على حدة وتقول له أبدأ بنفسك ليقتدي بك الآخرون فتصبح الدعوه جماعية في آن واحد دون يتدخل أي شخص في تفكير الآخر .

أما الدعوة البهائية للسلام فإنها تصبح هكذا الرب هو المازندراني والأرض التي يحكمها كل شخص هي له لا حق فيها للآخرين فالإنجليز ما يملكون وللروس ما يأخذون ولأمريكا ماتريد وعلى الجميع السمع والطاعة لمن قوي على شريعة الجاهلية الأولى من عزّ بزّ ومن غلب استلب ومن لم يحترف لم يعتلف فهل هذه الفكرة الهزيلة تقدم الحلول لمشكلات الناس أن من المعروف بداهة وواقعا أن كل تجمع على غير هدى الخالق العظيم رب العالمين لا يمكن أن يقدم الحلول المريضة لمشكلات الناس مهما كان نبوغ المجتمعون ومهما كان إخلاصهم ، ولا نذهب بعيدا فهذا مجلس الأمن أو مقام الأمم المتحدة أشبه ما يكون بجسم لا روح فيه بل هو مقر الخدع والمؤامرات لأصحاب النفوذ والقوة لايهمه إلا إرضاء الدول الدائمة العضوية كما يسمونها أصحاب السيف الفولاذي الذي يسمونه «القيتو» لقد صار هذا القيتوسيفا على رقاب الناس لا يجوز الخروج عن طاعته ظلمه عدل وقتله رحمة وكلمته هي الفصل فكيف بعد ذلك وأنى لهم أن يقدموا الحلول العادلة وهم لا يملكونها «وفاقد الشيء لا يعطيه» .

لقد نبهنا الإسلام إلى أن الله هو رب الكون وما فيه وهو المدير له الخير إليه والشر بتقديره عندما تتوفر أسبابه . وكل ما يقع في هذا الكون إنما هو بمشيئته وقدرته وقد أرشدنا الله عز وجل إلى الطرق الناجحة التي تقطع دابر الشرور

والظلم فإذا لم يرد الناس تطبيقيها وفضلوا تطبيق أهواءهم أو كلهم الله إلى أنفسهم - كما هو واقع البشر اليوم - ثم لا يبالي بهم في أي واد هلكوا وحينئذ يقوم كبار المجرمين ويتصفون بالنبوة والألوهية ثم يوجدون الحلول السامة والموت المباغت في أطباق من الذهب المزخرف ثم تسير الحياة بالناس من ضنك إلى ضنك أشد منه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (١).

إن الله عز وجل قد أخبرنا أنه منذ أن أوجد البشر أوجد فيهم قوتان متضادتان قوة الخير وقوة الشر وجعل الصراع بينهما متواصلا ثم سن الله لأهل الخير أن يقاتلوا أهل الشر والإلحاد وجعل ذلك القتال جهادا يتقرب به إليه عز وجل يثاب صاحبه ويعاقب تاركه ، وأباح الله قتال من يعتدي على الحرمات والمقدسات وذم الجبناء والذين لا غيرة فيهم على حرمهم ومقدساتهم ، وقد قاتل الرسول ﷺ بيده الشريفة وغزا غزواته الكثيرة الشهيرة فكان بطل الأبطال وقائد الشجعان وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والواقع أن هدف المازندراني حينما حرم الجهاد إنما هو خدمة أعداء الإسلام من الروس والإنجليز لا إحلال السلام كما يزعم بل لإرضاء أولئك المنعمون عليه ولقد ناقض نفسه بنفسه حينما شن الغارات على الإيرانيين أولا ومع البايين زملائه ثانيا ومع الأزليين أتباع أخيه ثالثا ومع المسلمين خاصة ومع كل من لا يؤمن بخرافاته عامة فكيف يدعو إلى شيء هو نفسه لا يؤمن به ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (٢).

٥ - المساواة بين الرجال والنساء

لقد كان البهائيين من أكثر الناس ميلا إلى استخدام النساء في الدعاية لمذهبهم لأنهن أكثر انخداعا وأكثر انجذابا إلى الهوى والخروج على كل عرف إذا تمكن من ذلك .

(٢) سورة الصف ٣ .

(١) سورة طه ١٢٤ .

وقد استفادت البهائية هذا الطريق مما سنته غانية البابين قررة العين تلك التي لم يكبح جماحها دين ولا خلق ولا شرف ولا احتشام ثم اتخذت منها البهائية الخلق المثالي للنساء البهائيات .

لقد أجاد البهائيون وعلى رأسهم البهاء وعبيده ومن صار على شاكلتهم بعدهم أجادوا ونفاق المرأة واستجلابها إلى الخروج على كل شيء وأظهروا لها من التحمس إلى صفها مالا تصل به الوالده لابنتها أحيانا لكن هذا التحمس إنما ينحصر في الكلام والوعود المعسولة والدعاية الخلابة وعند الفعل والتطبيق لما قالوه تجد أن أحكامهم على المرأة مما يستعدي الشفقة عليها بسبب ظلم البهائيين وشريعتهم الجائرة على المرأة وقد اتضح تماما أنهم لا يريدون وراء الدعاية بمساواة المرأة للرجل إلا مخالفة الشريعة الإسلامية وجلب عاطفة النساء للمذهب البهائي وجعلها مطية لا وعي لها وللمرأة أن تسأل هل صدق البهائيون في دعوتهم تلك وهل أنصفوا المرأة من الرجل وهل عاش المجتمع الذي خلطوا فيه الحابل بالنابل وتساوى فيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال هل عاش ذلك المجتمع في اللجنة البهائية أم كانت أقوالهم في واد وأفعالهم في آخر؟ هذا ما سيتضح عند الاطلاع على أحكام البهائية من خلال تشريعاتهم التي أعدوها لمحاربة المرأة ومحاربة الدين الإسلامي وللخروج عن طاعة الله تعالى وجعل كل شيء يسير حسب رغباتهم ووفق شهواتهم ولو علم هؤلاء الملاحدة مكانة المرأة في الإسلام لأطرقوا حياءا ولصغرت نفوسهم في نظرهم أن يتكلموا بأدنى كلمة انتقاد لحال المرأة في الإسلام وظله الظليل .

لقد رخصت المرأة في الشريعة البهائية إلى حد أنها أصبحت متعة لكل طامع فهي معلمة على أن لا ترد يد لامس بل هي التي عليها أن تطلب المتعة بأكثر من شخص تأسيا بما قرره زرين تاج من الفجور في مؤتمر بدشت حيث نسخت الشريعة الإسلامية واستبدلتها بشريعة الباب التي لا حد لإباحيتها واستهتارها بالقيم والأخلاق .

يقول أسلمنت :

«إن إحدى الأنظمة الاجتماعية التي جعل بهاء الله لها أهمية عظيمة هي مساواة النساء بالرجال» ولو عكس العبارة لكان أصوب ، وأما عبد البهاء فقد بلغ في نفاقه النساء مبلغا بعيدا وقد قال عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل :

« وكان من خلق عبد البهاء أنه يتجمع بكل مشاعره وعواطفه لكل فتاة و يتربص بها بكل مكره وغزله ليثير وهج أنوثتها الراغبة»^(١)، إلى أن قال عنه:

«وتمرق أمام عينيه أنثي جميلة تتموج شعورها وهي تلهب ظهر جوادها السابح بالسوط فيتأوه الشيخ المتصابي ويقول لمن معه « في هذا العصر ينبغي أن تأخذ المرأة حظا من العلم مساويا للرجل وتتمتع بنفس الامتيازات»^(٢) قال عبد الرحمن الوكيل في تعليقه على هذا الموقف الشائن المدعي النبوة عبد البهاء قال: «إن جلال النبوة لا تستهوية أبدا امرأة تحدى قداسة الفضيلة بفتنتها العارية ولا تستخفه عن وقاره شعور مواجه قد تلهب بالحب عواطف الشعراء ولكنها تثير غضب الأنبياء ، إن عبد البهاء عاش يسجد لفتنة المرأة . ولهذا قال : « إن تربية البنت الآن أهم من تربية الولد » قالها زلفى إلى النسوة المارقات وخدعة يستزل بها من يستهويها لمع هذا السراب وإلا فهل يستهوي خيال إنسان تصور عالم قد تربت نساؤه أكثر من رجاله»^(٣).

ولقد ذكر العلماء في سيرة عبد البهاء الذي يزعم أنه أكبر الأنبياء^(٤) ما تقشعر الجلود من مخازيه العقارية والجنسية والتلون في النفاق وعدم تورعه من أن يساير كل دين سواء كان الإسلام أو المسيحية أو البرهمية أو البوذية فلقد جامل كل هذه الطوائف بأن يؤدي لكل أصحاب ملة عبادة على طريقتهم وهذا هو النفاق بعينه حتي وإن سماه تطورا ومسائرة لروح العصر فإن التسمية لا تغير.

(٢) خطابات عبد البهاء ص ٨٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٤ .

(١) البهائية تاريخها وعقيدتها ص ١٦٥ .

(٣) البهائية تاريخها وعقيدتها ص ١٧٠ / ١٧١ .

الحقائق، إن الدعوة إلى مساواة النساء بالرجال هي دعوة حمقاء مخالفة للفطرة وللشرائع السماوية كلها وقد تناقض البهائيون فيها كثيرا حيث خالف فعلهم قولهم فحينما ادعوا ذلك تجدهم قد فرقوا بين الرجل والمرأة في كثير من الأحكام وإنما نادوا بهذا الشعار مخالفة لدين الإسلام الذي جاءت أحكامه بالنسبة للمرأة في تمام العدل والإنصاف وحفظ الأعراض وصيانة الأنساب فحرم على المرأة نبذ الحياء والتبرج والاختلاط ومنعها من أن تلي الخلافة العامة وأوجب عليها حقوقا كثيرة ونهاها عن أفعال قبيحة كثيرة كما أوجب لها حقوقا كثيرة تكون بها محترمة غير مبتذلة كما يريد دعاة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وحين انخدعت المرأة بهذه الدعايات الفاجرة وخرجت إلى الشارع كاشفة نابذة لبيت زوجها وتاركة لأولادها فكانت كمن يفقأ عينه بيده وكانت هي الخاسرة لعفتها ودينها وحياتها وزوجها وأولادها، والذين نادوها إلى الخروج إنما أرادوا منها الإباحية والانحلال اقتداءً بتلك البايبة «قرة العين» التي أفتت بجواز نكاح المرأة بسبعة من الرجال فيما يذكر عنها^(١)، ولو رجع القارئ إلى أقوال المازندراني وابنه عباس أفندي لرأي التمييز المجحف بين معاملة الرجال والنساء في تصرفات البهائية إذ كل الأعمال لم يكلف بها إلا الرجل فقط ولم يعهد إلى امرأة بأمر ذي بال ثم هضمها حقها في الإرث في كتابه «الأقدس» حيث يقول:

« وجعلنا الدار المسكونة والألبسة المخصوصة للذرية من الذكران دون الإناث والوارث أنه لهو المعطي الفياض »^(٢).

إن المعطي الفياض حرم الإناث من الدار والألبسة مع مساواتهن بالذكران فأين ذهبت المساواة التي ينادون بها بين الرجال والنساء، بل أين مجرد ظهور العدل في هذه الأحكام الخرقاء بعد أن اتضح تناقضهم فيها والباطل لا بد وأن يتناقض أهله فيه ثم أيضا أليس هذه التفرقة هي نفسها التفرقة التي كانت في

(١) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٣٩ وهو ينقله عن مفتاح باب الأبواب ص ١٧٦ .

(٢) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٤٦ .

الجاهلية من تحريم بعض الأشياء على النساء وإباحتها للرجال مثل ما أخبر الله في القرآن من تحريم بعض اللحوم على الإناث وإباحتها للذكور فقط تخرصا بغير هدي ولا دليل^(١) والواقع أن البهائية لم يتناقضوا في هذا الموضوع فقط بل في أحكام كثيرة تتعلق بالنساء ظهرت في أقوال المازندراني نفسه حين قال :

« قد حكم الله لمن استطاع عنكم حج البيت^(٢)، دون النساء عفي الله عنهن رحمة من عنده أنه لهو المعطي الوهاب^(٣)، مع أن المرأة بإمكانها أن تؤدي الحج كما يؤديه الرجل تماما عند وجود الاستطاعة وهذا في حكم الشريعة الإسلامية ، أما حج البهائية فهو مجرد نزوه وزياره للبيت الذي كان يسكنه الشيرازي أو البهاء فهو مجرد زيارة في اللهو المرح والله يعلم السبب الذي جعل البهاء يسقطه عن المرأة ومهما كان فهذا التفريق في الحكم في أداء فريضة الحج البهائي له مغزاه ودلالته في النظره إلى المرأة ومساواتها بالرجل ومن أكبر ما تناقض فيه البهائي وأتباعه من بعده أنه لا يوجد نص واحد في جواز تولي المرأة المناصب العليا في الدولة وإنما ينصون عليها في الأولاد الذكور واحدا بعد واحد وكان ينبغي حسب كلامهم أن يجوزوا تولي المرأة لأي منصب كان .

ومن الأمور التي فرقوا فيها بين المرأة والرجل قول المازندراني « قد عفي الله عن النساء حينما يجدن الدم الصوم والصلاة ولهن أن يتوضأن ويسبحن خمسا وتسعين مرة من زوال إلى زوال سبحان الله ذي الطلعة والجمال هذا ما قدر في الكتاب إن أنتم من العالمين^(٤) .

وعلى كل حال فإنه لا يمكن أن يأتي شخص بما يخالف الشرع القويم والفطرة السليمه والعقل المستنير إلا ويظهر عليه التناقض والارتباك مهما أوتي من

(١) انظر البهائية لإحسان إلهي ظهير ص ١٤٣ (بتصرف).

(٢) لا يقصد بالحج هنا الذهاب إلى بيت الله الحرام بمكة وإنما يريد الحج إلى معابدهم .

(٣) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٤٦ .

(٤) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٤٢ .

الحذق والذكاء وأكبر دليل على ذلك هذه السخافات البهائية إذ كيف يعفو الله عن النساء في حال الحيض الصوم والصلاة أنه لافرق بين المرأة والرجل ثم كيف أسقط عنها الصلاة والصوم وكلفها بالوضوء والتسييح خمسا وتسعين مرة مع أن الوضوء والتسييح لا يغنيان عن أداء الصلاة والصوم لقد نقض مذهبه بنفسه.

٦ . عقائد أخرى للبهائيين

سبق ذكر أهم الأسس التي يمتدح بها البهائيون ورأينا مبدى صدقهم في المناداة بها ومدى بعدها عن الإسلام .

وإتماما لذلك ولتلا يفوت القارئ الوقوف على الآراء العقيدية لهذه الطائفة الشريرة الي أضلت بها أمة وأقامت بها كيانا أرغب التنبيه إلى أن آراء البهائية ليست كلها ظاهرة فهناك آراء كثيرة لهم يخفونها لتلا يواجهوا نقمة العالم عليهم فهي لاتزال سرا متداول بينهم وبين زعماء الصهيونية الماكرة على حد ما أورده الدكتور محمد حسن الأعظمي في قوله : « إن عقيدتهم المعلنة في كتب مطبوعة ليست هي العقيدة التي يتبعونها ، إن أسرار عقيدتهم في كتب سرية لا يتداولونها حتى لا يثيروا نقمة كل الأديان عليهم^(١) .

وهذه العقائد أوجز ذكرها فيما يلي ولا أرى أنها تستحق الوقف عندها ومناقشتها والرد عليها فهي تنضح كفراً وإلحاداً صادرة عن أناس لا يؤمنون بالله ربا ولا بمحمد نبيا وليس عندهم أدنى وازع من حياء ومن ليس له حياء فإنه يعمل كيفما يشاء كما أخبر الصادق المصدوق عن هذا الصنف من الناس حين قال : « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » وبعض تلك الآراء يعود إلى هدم العقائد وأسس الديانات وبعضها يعود إلى تخبطات في مسائل فقهية الصواب فيها بعيد عن متناول عقولهم.

(١) حقيقة البهائية والقاديانية ص ٧٦ .

وكل ما ذكره هنا فإنه إما أن يكون مأخوذ من كتاب الأقدس للمازندراني دون ذكر النص لئلا يطول الكلام أو من كتب كبار البهائيين ويوجد كتاب الأقدس مصورا في الكتب التي أشرنا إليها من قبل لمن أراد الاطلاع عليه^(١).

أ - ما يتعلق بالعقائد والديانات

١ - من أهم أسس عقائدهم أن حسين على المازندراني هو ربهم وإلههم حيا وميتا قال المازندراني في وحيه: « من عرفني فقد عرف المقصود ومن توجه إلى فقد توجه إلى المعبود لذلك فصل في الكتاب وقضى الأمر من الله رب العالمين»^(٢)، وقال أيضاً: «لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله ولا في جمالي إلا جماله ولا في كينونتي إلا كينونته ولا في ذاتي إلا ذاته ولا يرى في ذاتي إلا الله»^(٣) ثم وصفوا الله عز وجل بصفات مفادها أنه لا وجود لله تعالى إلا في أشخاص أولئك الملاحدة من زعماء البهائيين ومن هنا فقد كان المازندراني إذا خرج على الناس أسدل برقعاً على وجهه لئلا يشاهد بهاء الله في وجهه الكالج.

٢ - هم من كبار القائلين بالحلل والالاتحاد وذلك أن المازندراني نفسه كان من المتعمقين في مسائل التصوف ووحدة الوجود والحلل والاتحاد .

٣ - لا يؤمنون بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية في حق عيسى عليه السلام ولأنهم يقررون تبعاً لاقوال أعداء الإسلام أن المسيح قتل وصلب .

٤ - أن الشريعة البابية البهائية ناسخة للشريعة الإسلامية جملة وتفصيلاً .

٥ - لا يؤمنون بما جاء في الإسلام من أخبار اليوم الآخر ولا بما جاء في كل الأديان من أخبارها - فالقيامة - تعني مجيء البهاء في مظهر الله تعالى وقيامه بأمر

(١) أي كتاب خفايا البهائية وكتاب البهائية الفكر والعقيدة والكتب الأخرى التي ذكرت .

(٢) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٧٣ .

(٣) سورة الهيكل للمازندراني نقلاً عن البهائيين نقد وتحليل ص ١٤٩ .

الناس وانتهاء الدور المحمدي ﷺ على طريقة غلاة الباطنية الملاحدة .

ويعتقدون أن ما ذكر من البعث والحساب والجزاء وسائر أخبار القيامة فإنها تدل على ما يقع في هذه الحياة الدنيا عند مجيء البهاء لا أنها أمور تقع في دار أخرى يجازي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حسب ما فصلته الأديان السماوية فيما أخبر الله عز وجل به في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه .

٦- يعتقدون أن محمد ﷺ ليس هو خاتم الأنبياء وأن الوحي الإلهي إلى البشر لا انقطاع له لهذا فهم يزعمون :

١ - أن البيان العربي للشيرازي .

٢ - والأقدس للمازندراني .

٣ - والايقان المختلف عليه بين حسين المازندراني وصبح الأزل يزعمون أن هذه الكتب كانت بوحي الله عز وجل وأنها أفصح الكتب المنزلة كلها وأنها أفضل من القرآن الكريم . وتحذوا البشر والجن ومثلهم معهم أن يأتوا بحرف واحد من ما فيها .

٧- تسلطوا على القرآن فأولوه بتأويلات باطنية إلحادية .

٨ - لا يؤمنون بمعجزات الأنبياء ولا يقرون منها إلا ما يستطيعون تأويله على حسب هواهم .

٩- لا يؤمنون بالملائكة ولا بالجن .

١٠ - لا يؤمنون بوجود الجنة والنار .

ب - ما يتعلق بالأحكام الفقهية

١ - القبلة هي المكان الذي يستقر فيه البهاء وقد استقرت في عكا وقد وصف من

لم يتوجه إليه بأنه من الغافلين وأتباعه يتوجهون إلى عكا ويزورون قبره ويطوفون به ويسجدون له ثم ينصرفون صرف الله قلوبهم وهي عوده إلى الوثنية والمجوسية بأكمل صورها القبيحة .

٢ - لايجوزون للمرأة الحجاب تأسيا بزرين تاج التي خرجت عن كل الأعراف في ذلك الزمن بعد أن خرجت عن الشريعة الإسلامية ونسختها .

٣ - يحللون المتعة وشيوعية النساء .

يقدمون العدد ١٩ وينون بموجبه كثيراً من الأحكام والمعاملات فيما بينهم وبين الناس فترى مثلاً أن :

- عدد الشهور ١٩ شهراً والصوم ١٩ يوماً .

- وعدد أيام الشهر ١٩ يوماً وكتابتهم البيان ١٩ باب .

وزكاة أموالهم ١٩ في المائة .

- وعدد شهور السنة ١٩ شهراً وفصول البيان ١٩ .

- وعدد الطلاق ١٩ مرة الخ ولعلمهم بهذا الرقم والواقع أن كثيراً من المسلمين يجهلون حقائق البهائية وتعاليمها لأن البهائية وإن كانت نحلة ظاهرة لكنها كما تقدم تخفي حقائق كثيرة لا تعرف إلا بالتعمق في دراستها . فلا غرابة بعد هذا أن ترى كثيراً من المسلمين يرددون شعارات وأفكاراً بهائية دون أن يعرفوا من أين جاءتهم بل اجتهدوا في ترددها ونشرها بشتى الوسائل وكمثال على ذلك هذا التقديس للرقم ١٩ الذي يعتبره البهائيون رقماً مقدساً بل هو من الأدلة القوية حسب زعمهم على نبوة زعمائهم كالشيرازي والبهائي ومن المؤسف حقاً أن ترى كثيراً من المسلمين انخدعوا بزخرف أقوال البهائية فتعلقوا بهذا الرقم ثم نظروا إلى بقية الأعداد بعين المتعمق المتفحص علمهم يصلون إلى اكتشاف آخر مثل اكتشاف البهائية للعدد ١٩ ولقد ألقى أحد دعاة البهائية

محاضرات في الكويت^(١) ، عن العدد تسعة عشرة وعناية القرآن الكريم به بل وقيام أجزاء القرآن وجملة من هذا العدد أو من مضاعفاته وذهب يدل على أن القرآن من الله وأنه معجزة بدليل عنايته وقيامه على هذا العدد ١٩ وهو العدد الذي اهتدى إليه الميرزا الشيرازي ثم البهاء ومن جاء بعدهما وأن فيه دلالة قوية على نبوة وألوهية البهاء في القرن التاسع عشر حسب زعم البهائية فحينما ألقى داعية البهائية في الكويت الدكتور محمد رشاد خليفة محاضراته عن العدد تسعة عشر بثت إذاعة الكويت تلك المحاضرة ونشرت في أماكن كثيرة في بلدان المسلمين كالقاهرة وغيرها في شكل كتيبات توزع وأشرطة تباع وتهدي ثم قام كثير من الكتاب بتأييد تلك الفكرة وترويجها ولعل بعض هؤلاء الذين فرحوا باكتشاف العدد ١٩ وأنه دليل على معجزة القرآن ما علموا بأنهم يخدمون بهذا العمل شياطين البهائية ولم يقف هوس البهائية في العدد ١٩ عند حد، فقد جرؤ على الكذب على الله في القرآن الكريم إذ فسروا فوائح السور المشتملة على الحروف المقطعة بحسب ما يمليه مخططهم للدعاية لهذا الرقم الذي أحبوه أكثر وذهبوا يدللون على صدق البهائية وزعموا أن آيات القرآن الكريم وكذلك التوراة دلت على ذلك ولقد كان للكمبيوتر مقام رفيع عندهم واهتمام بالغ فهو الذي أعانهم كما يدعون على تخريفاتهم في دلالات الأعداد ويستدلون بتناجح ما يخبرهم به على أنها حقائق لا تقبل الجدل مع أنها مملوءة بالتناقض والاضطراب والمغالطات المستورة حيناً والمكشوفة أحياناً وعلى كل حال فإن قضية هذا العدد والخوض فيه من المسائل الطويلة والغير نافعة ، وما أشرنا إليه هنا يغني في التنبيه على عمق خرافات البهائية وخداعهم للناس والخطر الذي يمكن أن يجره هؤلاء على العالم لو تحققت أهدافهم لاسمح الله^(٢) .

(٢) انظر قراءة في وثائق البهائية ص ١٩١ وانظر البهائية رأس الأفعى توسع في أخبارها الرجل البهائي الضال المضل ، انظر ص ١٣ إلى ص ٤٦ .

(١) من الكتب التي تحدثت عن فضائل العدد ١٩ - الأقدس ، ٢ - البيان ، ٣ - ما كتبه د / محمد =

يباح للبهائي أن يستعمل التقية بأوسع معانيها في سبيل خداع الآخرين .

الصلاة عند البهائية :

١ - عددها ثلاث مرات في اليوم وهي تسع ركعات في البكور والزوال والأصال كل صلاة ثلاث ركعات .

٢ - يؤدونها على انفراد لأنه لا يصح الاجتماع إلا في الصلاة على الميت فقط وإما للصلاة فهي حرام وليس للطريقة التي تؤدي بها الصلاة، أى بيان وقد قال المازندراني في الأقدس: «قد فصلنا الصلاة في ورقة أخرى طوبى لمن عمل بما أمر به من لدن مالك الرقاب^(١)، ولكن هذه الورقة التي أشار إليها الوحي البهائي لا وجود لها عند البهائية لأنها سرقت كما يذكر عبد البهاء^(٢)، فبقى أمر الصلاة عندهم مجهولاً إلى أن يجدوا تلك الورقة ولن يجدوها .

الصوم عند البهائية:

١ - ١٩ يوماً فقط في مارس يصومون من الصباح إلى الغروب ولا قضاء على من لم يؤد الصوم وقد عفى عن المسافرين والمريض والحامل والمرضع والهرم والكسول أيضاً وكذا الحائض وكذا من كانت له أعمال شديدة وكذا يوم عيد المولود وهو اليوم الذي ولد فيه الشيرازي والمازندراني وكذا يوم المبعث لا صوم فيه وهو اليوم الذي أعلن فيه الشيرازي دعوته وأظهر نبوته .

= رشاد خليفة في محاضراته بالكويت تحت عنوان تسعة عشر دلالات جديدة في اعجاز القرآن، ٤- ماكتبه مصطفى محمود من أسرار القرآن فهم عصرى للقرآن ، ٥ - ماكتبه العلماء رداً على البهائية مثل كتاب الشيخ إحسان إلهي ومثل كتاب قراءة في وثائق البهائية وكتاب البهائية رأس الأفعى .

(١) الأقدس . ضمن خفايا البهائية ص ١٤١ .

(٢) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٦٢ .

الحج عندهم :

يتوجهون فيه إلى عكا مدفن البهاء وإلى شيراز؛ الدار التي ولد فيها الشيرازي وإلى الدار التي أقام بها البهاء في العراق في بغداد ولم يبين البهاء متى يتم الحج إلى تلك الأماكن ولا الأعمال التي تجب في هذا الحج وحديث كعبتهم في بغداد حديث طويل خلاصته أن هذه الدار الآن لا وجود لها وقد انتزع أصحابها ملكيتهم لها رغم الجهود المضنية التي بذلها البهائيون لتبقى كعبته لهم^(١).

١ - لا يكون الزواج إلا بواحدة ، وإذا كان ولا بد من ذلك فلا يجوز أن يتعدى أكثر من اثنتين وفي بعض الروايات لا يجوز الزواج إلا بواحدة فقط وحد الزناة بغير تراضي تسعة مثاقيل من الذهب تسلم لبيت العدل البهائي، والمهر عندهم في المدن تسعة عشر مثقالا من الذهب الإبريز وفي القرى مثل ذلك من الفضة ومن أراد الزيادة فلا يجوز له أن يتجاوز خمسة وتسعين مثقالا وهذه المهور من باب العراقيل عن الزواج الشرعي بلجوء العهر والفجور ، أما الإسلام فقد قال ﷺ : « التمس ولو خائما من حديد » ؛ لأن العفاف والظهر أغلى من كل شيء فلا يتطلب صحة الزواج مثاقيل الذهب أو الفضة في الإسلام.

٢ - الطلاق مكروه .

٣ - في المواريث :

١ - زعموا أن الرجال والنساء على السواء .

٢ - ولكن تناقضوا بعد ذلك فإذا بهم يحرمون النساء من أشياء كثيرة في الإرث كما أن للشخص أن يوصى بكل ماله لأي شخص يريد سواء كان وارثا أو غير وارث كما قرروا أن غير البهائي لا يرث البهائي مخالفين زعمهم القول

(١) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٧٠ / ١٧٣ .

بوحدة الأديان واحترامها جميعاً . كما قرر المازندراني أن الدار المسكونة والألبسة المخصوصة تكون من نصيب الأولاد الذكور دون الإناث مخالفين زعمهم المساواة بين الرجال والنساء .

٣ - سن الرشد : ١٥ عاماً للذكور والأنثى على السواء .

٤ - ألغى البهائيون جميع العقوبات الواردة في الشرع الإسلامي إلا الدية .

الجهاد محرم في الشريعة البهائية وتحريمه من أهم المبادئ التي جاء لأجلها المازندراني والسر غير خاف على أحد فإن كل الدعوات الضالة من قاديانية وبهائية وسائر الدعوات اتحدت كلمتهم كلهم على محو فكرة الجهاد لأنه مصدر تلك الحركات كلها واحد وتصب في مكان واحد والممول واحد وهم أعداء الإسلام الذين يهتمهم جدا نسيان المسلمين لكلمة الجهاد في سبيل الله لرفع راية الإسلام ومن المؤسف أن تحقق للكفار ما أرادوا خصوصاً في عصرنا الحاضر حيث يستحي أو يخاف زعماءه المسلمين أن يدعوا الناس إلى الجهاد في سبيل الله صراحة حتى ولو لتحرير بلدانهم ونسائهم وذرياتهم الذين يسومهم اليهود أشد الذل والإهانة في فلسطين وفي غيرها من ديار المسلمين .

* الغسل من الجنابة ليس واجباً ولا يوجد في شريعتهم اسم النجاسة لأي شيء لأن من دخل في ديانتهم طهر له كل شيء من النجاسات والخبائث التي أجمعت عليها كل الأديان وسائر العقلاء غير الأوربيين ويكون الاغتسال عند البهائية في كل أسبوع مرة وغسل الأرض في الصيف مرة في اليوم وفي الشتاء مرة كل ثلاثة أيام .

- لا يباح زواج الأراامل إلا بعد دفع دية ، ولا يتزوج الأراامل إلا بعد تسعون يوماً والأرملة إلا بعد خمسة وتسعين يوماً ولم يبينوا الغرض من فرض هذه المدة .

* الزكاة : شأنها غامض جداً في شرع البهائية لجهل المازندراني بها فليس لها أي تفصيل بين الواجب وكيفية إخراجها ولمن تخرج ومتى ذلك الخ

التفاصيل التي جاء بها الشرع الشريف الإسلامي .

* لا يجوز الزواج بزوجة الأب وحكم الغلمان مسكوت عنه قال المازندراني في كتابه الأقدس الذي نسخ به القرآن الكريم لأنه كلام الله كما يفترى قال : « قد حرمت عليكم أزواج آبائكم إنا نستحي أن نذكر حكم الغلمان^(١) » ، ومادام الوحي يستحي أن يذكر حكم الغلمان فمن الذي يبين حكم جريمة اللواط بعده غريب جداً أن يستحي الرب من بيان الأحكام التي هي من ضروريات الحياة للبشر قبح الله المازندراني وما جاء به وكل من دخل في غيبه إلى يوم الدين .

* يجوز للرجال والنساء أن يلبسوا ماشاؤا دون أي اعتبار للملبوس سواء كان حريراً أم صوفياً أم أي نوع . وللرجل أن يلبس الحرير الخالص وأن يظهر كامل النعومة إذ لم يحرم عليه في شرع البهائية إلا حمل السلاح أو الخوض في المسائل السياسية التي هي من خصوصيات الحكام فقط .

* في الذكر والخطابة :

لا يجوز للشخص أن يخطب على المنبر بل يقعد على الكرسي الموضوع على السرير ويخطب وكذلك لا يجوز للشخص أن يذكر الله في المكان المعد للعبادة فلا يجوز له أن يلوك فمه بذكر الله في غير مكان العبادة .
* لا يجوز للشخص أن يحلق شعر رأسه لأن الله قد خلقه زينة له .

قال المازندراني في الأقدس : « لا تحلقوا رؤوسكم قد زينها الله بالشعر في ذلك آيات لمن ينظر إلى مقتضيات الطبيعة من لدن مالك البرية أنه لهو العزيز الحكيم ولا ينبغي أن يتجاوز حد الآذان هذا ما حكم به مولى العالمين^(٢) . مالك

(١) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٦٦ .

(٢) الأقدس : ضمن خفايا البهائية ص ١٥٠ .

البرية والعزیز الحکیم ، ومولی العالمین کل هذه الصفات الهائلة الرهیة جاءت من أجل حلق شعر الرأس في وحي المازندرانی السخيف .

ونكتفي بما تيسر ذكره من مبادئ البهائية وتعليماتهم وفي الوقت الحاضر يمكن اغفال النظر عن مناقشتها والرد عليها كلها لأن التعليق عليها لا يتطلب أكثر من أنها تعاليم وعقائد غير إسلامية وليس لهم عليها من دليل إلا مجرد التخرص وماتهواه أنفسهم زاعمين بعد ذلك أنها منزلة من عند الله عز وجل ناسخة لجميع الشرائع ، يقولون هذا في الوقت الذي يتظاهرون فيه بأنهم على الإسلام للتزلف إلى المسلمين ومخادعتهم عن دينهم فإن العلماء يذكرون أن عبد البهاء الذي ورث النبوة بعد أبيه صلى الجمعة مع المسلمين قبل وفاته بيومين ، مع أن الصلاة جماعة محرمة في شريعتهم إلا على الميت ، وهو يهدف بصلاته مع المسلمين ومع النصارى ومع اليهود ومع البراهمة التذليل على أن البهائية ذات ديانة شاملة تتسع لكل المذاهب والديانات المختلفة - وسموا هذا التخبط والاضطراب والتناقض ديناً مقدساً شاملاً^(١) .

(١) من أراد التوسع والاطلاع على نصوص ما قدمنا إيجازه عنهم فليتنظر في المراجع والمصادر التي سنذكرها في آخر دراسة هذه الطائفة إن شاء الله تعالى .

الفصل التاسع

أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم .

لقد لعب التأويل دورا خطرا في مفاهيم الناس وقد سبقت الاشارة إلى بعض أضراره العديدة على الإسلام والمسلمين والغرض هنا هو ذكر بعض الأمثلة التي تبين كيف جرأت البهائية على التلاعب بالنصوص داولتها على طريقته الباطنية الملحده ومن ذلك :

١ - ماورد من ذكر القيامة في القرآن قالوا أن المقصود بها قيام البهاء بدعوته وانهاء الرسالة المحمدية .

٢ - النفخ في الصور دعوة الناس إلى اتباع البهاء .

٣ - البرزخ هي المدة بين الرسولين إلى محمد ﷺ والباب الشيرازي .

٤ - وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ : أي ذهب ضوءها : أي انتهت الشريعة المحمدية وجاءت الشريعة البهائية .

٥ - وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ : أي تركت الإبل واستبدل عنها بالقاطرات والسيارات والطائرات .

٦ - ﴿ وَإِذَا الَّوْحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أي جمعت في حدائق الحيوانات في المدن الكبيرة - ﴿ وَإِذَا البَحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ : أي اشتغلت فيها نيران البواخر التجارية .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أي اجتمعت اليهود والنصارى والمجوس على دين واحد فامتزجوا في دين المرزا المازندراني .

- ﴿ وَإِذَا المَوَؤَدَةُ سُئِلَتْ ﴾ أي أسقطت الأجنة من بطون الأمهات فيسأل عن ذلك من قبل القوانين لأنها تمنع الإجهاض .

- ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ أي انتشرت الجرائد والمجلات وكثرت ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ : أي انقشعت أي أن الشريعة الإسلامية لم يعد يستضل

بها أحد.

- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فَجرت ﴾ : أي وصل بعضها ببعض عن طريق القنوات ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سعرت ﴾ ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أزيلت ﴾ : الأولى لمن عارض الميرزا حسين والثانية لاتباعه المؤمنين به .

- ﴿ إِذَا الْقُبُورُ بعثت ﴾ أي استخرجت الأشياء والتحف ذات القيمة .

- ﴿ إِذَا الْجِبَالُ سيرت ﴾ الجبال هنا هم الملوك والوزراء أي دونوا لهم دساتير يسرون بموجبها وهي الدساتير الحديثة .

وقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾ إلخ الآية الكریمه أي مجيء البهاء المازندراني .

وقوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قالوا - الحياة الدنيا هي الإيمان بمحمد ﷺ والآخرة هي الإيمان بميرزا حسين على البهاء .

وقوله تعالى : ﴿ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال ﴾ قالوا الفريق المهتدي هم الذين آمنوا بالبهاء والآخرون هم الذين أبوا من الإيمان به .

وقوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين أوتوا العلم ﴾ أي علم دين بهاء الله والإيمان به لقد لبثتم في كتاب الله - الخطاب لأمة محمد (ﷺ) أي لبثتم في إقامة كتاب الله وهو القرآن الكريم والعمل بشريعته المطهرة إلى يوم البعث أي إلى قيام بهاء الله وظهوره فهو المراد بالبعث أي خروج الناس من دين محمد (ﷺ) إلى دين البهاء .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفطرت ﴾ : أي سماء الأديان انشقت .

﴿ وإذا الكواكب انتشرت ﴾ : هم رجال الدين لم يبق لهم أثر على الناس .
وقوله تعالى : ﴿ وإذا القبور بعثت ﴾ أي فتحت قبور الأشوريين والفرعانية
والكلدانيين لأجل الدراسة .

وقوله تعالى : ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ قالوا القصد منها الأديان
السبعة البرهمية البوذية ، والكونفوشستية والزرادشتية واليهودية ، والنصرانية
والإسلام إنها مطويات جميعا بيمين الميرزا حسين المازندراني .

إلى غير ذلك من التأويلات الباطنية الشنيعة لآيات القرآن الكريم والكذب
على الله تعالى دون مبالاة أو خوف لا من الله ولا من انتقاد عقلاء بني آدم على
هذا الصنيع الفاحش من هؤلاء السفهاء^(١) .

وهناك تحريفات أخرى كثيرة كلها تهدف إلى شيء واحد هو محاولة
حرب الإسلام وانتزاعه من قلوب أتباعه بطريقة ماكرة . وهذه التحريفات لا
يحتاج المسلم إلى الاطلاع على الرد عليها فهي أقل من أن تعلق بذهن أحد إلا
إن المهم في هذه التأويلات هو معرفة الدافع لهؤلاء إلى اقتحام هذه التأويلات
السخيفة ؟ يجيب الدكتور محسن عبد الحميد عن ذلك بقوله :

« والجواب أنهم يحاولون ذلك لكي يتوصلوا عن طريق تلك الأباطيل إلى
أن القرآن قد بشر بمجيء البهاء فموجب هذه التأويلات وغيرها أن نبيا سيظهر
ولكن متى ؟ الجواب عند ظهور القاطرات وإنشاء حدائق الحيوانات وصنع
البواخر والسفن وامتزاج النصرى واليهود والمجوس وشق القنوات وفتح قبور
الآشوريين والفرعانية والكلدانيين وإجهاض الأطفال»^(٢)

(١) انظر لهذه التحريفات وغيرها حقيقة البابية والبهاية ص ١٢٦ / ١٢٨ قراءة في وثائق البهاية
ص ٢٧٧ عنوان «القيامة البهاية» إلى ص ٣٠٢ وكذا عنوان «قيام الساعة البهاية وانتهاء أجل
الأمه المحمدية ص ٣٠٣ / ٣٢٢ .

(٢) انظر حقيقة البابية والبهاية ص ١٢٦ / ١٢٨ .

الفصل العاشر

موقف البهائية من السنة النبوية

وكما أولوا آيات القرآن الكريم أولوا كذلك الأحاديث النبوية على طريقتهم الباطنية الملحدة التي زعموا أن الأحاديث كلها شأن القرآن تدل على نهاية الشريعة المحمدية - وظهور القيامة بمجيء البهاء على قلة ما التفتوا إلى السنة لأن البهاء في أنفسهم أعلى من الرسول ﷺ وأخزى الله البهائية (١).

ولأن السنة والحديث كما صرح البهائي الحاقد الدكتور محمد رشاد خليفة إنما هي بدع شيطانية والوقوف على ظاهرها دون تأويلها بظهور البهاء يعتبر كفرا بالرسول محمد ﷺ نفسه ويعتبر خروجاً بالأمة إلى الشرك والضلال كما زعم هذا الكذاب وهذه التصريحات أصدرها في سنة ١٩٨٢ م وهو أمام مسجد توسان بولاية أريزونا الأمريكية باسم رشاد خليفة بحذف اسم محمد لأشياء في نفسه.

وقد أضاف إلى افتراءاته وإلحاده فزعم أن القرآن حذر المسلمين عن أخذ الدين عن الرسول ﷺ بل يجب أن يأخذه عن القرآن فقط وهذا القول يكفيه رد قول الرسول ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ثم زعم أن المسلمين رجعوا إلى الوثنية حينما عظموا الرسول ﷺ ومجدوه وقد أمر الله أن يمجده ويعظموه هو وحده . ومما يجدر التنبيه إليه أن البهائيين المتأخرين قد اتخذوا مسلكاً أخيباً وأمكر من مسلك أسلافهم . وذلك بظهورهم أمام المسلمين بتعظيم الإسلام ونبي الإسلام وأن الإسلام حق والرسول

(١) لا يؤمن البهائية بالسنة النبوية . ولا يأخذون من معجزات الرسول ﷺ إلا ما يوافق هواهم مما يتعلق بمكامن الفضائل التي يعتبرونها من الأدلة الثابتة على نبوة محمد ﷺ وهي أحاديث موضوعة لا تثبت إلى النبي (ﷺ) ومع ذلك فإن البهائيين يتفننون في نشرها ، انظر البهائية للخطيب ص ٤١ / ٤٣ .

محمد ﷺ حق وأنه لا تنافي بين الإيمان بنبي الإسلام وبين الإيمان بنبي البهائية لأن الإسلام نفسه قد بشر بنبي البهائية كثيراً في القرآن وفي السنة فالذي لا يؤمن بالبهائية بعد أن قامت القيامة وانتهى الدور المحمدي بظهور البهاء لا يكون مؤمناً لا بالإسلام ولا بالبهائية ولا بالله أيضاً فإن الأساس للإيمان هو الإيمان بالبهاء المازندراني الملحد .

وينتهي الإيمان بالبهاء عند البهائية أن يتخذ الشخص إلهاً من دون الله وصدق الله العظيم .

﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (١).

﴿ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (٢).

﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ (٣) ﴿ (٤).

(١) الرعد : ٣٣ .

(٢) الحج : ٤٦ .

(٣) آل عمران : ٨ .

(٤) من كتب البهائية في هذا الموضوع - الحجج البهية - لفضل الله الجرفاذفاني ٢ - كتاب التبيان والبرهان - أحمد حمدي وفي كتاب « قراءة في وثائق البهائية » للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء « مناقشات وردود جيدة علي مزاعم البهائية » اقرأ العناوين الآتية .
ص ٣٢٤ « القرآن والحديث في وثائق البهائية » .
ص ٣٣٥ « القرآن والحديث في العلمانية العصرية » .
ص ٣٤١ « ذكرت دراسة عن أحد كتب البهائية وأباطيل محمد رشاد خليفه فيه .
انظر « القرآن والحديث والإسلام في كتاب « البهائية الجديدة » « الطلع الخبيث للشجرة الملعونة » .

الفصل الحادي عشر

السبب في إنتشار تعاليم البهائية

الواقع أنه ليس في تعاليم البهائية وديانتها ما يغري باعتناقها فهي أفكار ملفقة من شتى المذاهب والديانات . مملوءة بالخرافات التي يأبأها العقل السليم والفطرة المستقيمة كما أنها مملوءة كذلك بالمتناقضات شأن كل باطل .

ومع ذلك كله فقد انتشرت انتشارا رهيبا في الكثير من البلدان إلا أن بعض أهل تلك البلدان قد استفاقوا حين أمعنوا النظر في تعاليم البهائية وما تهدف إليه من الشر بالعالم كله وفي أولهم - العالم الإسلامي هالهم ما رأوه من تلك التعاليم الجهنمية وهالهم كذلك ما رأوه من الحقد الشديد للإسلام ونبيه العظيم فشنوا الغارة المتهبة على البهائيين وعلى تعاليمهم وعلى محافلهم المنتشرة وحاكموهم محاكمات ظهرت في كثير من تلك المحاكمات حقيقة البهائية الملحدة الإباحية فأفتى القضاة والعلماء والمثقفون وكل من في قلبه أدنى ذرة من إيمان بخطر البهائية ووجوب محاربتها والتقرب إلى الله يسحق كل بهائي احتسابا للأجر والثواب ولا تزال الحرب سجالا بين أهل الخير وأهل الشر .

إلا أن البهائيين وهم لادين لهم يحاربون غيرهم بمختلف فنون الحرب الظاهرة والخفية من مؤامرات ودعايات وإغراءات ونفاق ودعارة لأن كل هذا جائز في شريعة البهائية .

إضافة إلى ما تيسر لهم من أسباب أخرى كثيرة ساعدت في انتشار هذه النحلة يمكن الإشارة إلى أهمها فيما يلي :

١ - جهل كثير من المسلمين بحقيقة المذهب البهائي خصوصا وأن الدعوة البهائية أكثر ماتوجه إلى العوام والسطحيين من الناس .

٢ - تظاهر هؤلاء - تقية ونفاقا - بالإسلام وبالإيمان بالنبي (ﷺ) .

٣ - التفاف أعداء الدين الإسلامي نحو البهلاء وتعاليمه والذود عنه ونشر أباطيله

وزخرف الدعايات له والمساعدات السخية له ولأتباعه بكل شكل من أشكال المساعدات مادية ومعنوية .

٤ - انشغال كثير من المسلمين عند قيام البهائية بمشكلات داخلية وخارجية بعضها مشكلات حقيقية وأكثرها إنما هي مفتعلة من أعدائهم لإلهائهم عن مايراد بهم ليتم تنفيذ المخطط بهدوء .

٥ - كثرة تحريفات النصوص - على وفق ما يريدون - سواء كانت تلك النصوص من القرآن الكريم أو من السنه حيث أولوها على الطريقة الباطنية الماكرة بحيث إذا وقف عليها من ليس عنده اطلاع كاف على أباطيل الباطنية والبهائية لا بد وأن يقع في شبكاتهم^(١)، ويصدق ولو بعض تلك الترهات .

٦ - تفنن هؤلاء في التلون واستعمال التقية واستحلال الكذب والنفاق بحيث كانوا يتوددون إلى كل شخص بما يستطيعون به الوصول إلى قلبه لاستدراجه بعد ذلك إلى حيث يشاءون دون أن يجدوا في تلك المسالك الملتوية أي حرج .

٧ - مهارة هؤلاء في تنظيم الدعوة إلى مذهبهم وتنظيم المحافل التي هي نقاط الانتشار في كل بلد توجد به هذه المحافل وتوددهم إلى الحكام والمفكرين وخذاعهم لهم بما يظهرونه لهم من الخير وإرادة الإصلاح والتزلف إلى رضاهم بكل وسيلة .

٨ - كما يعود انتشار مذهب البهائية إلى أن أكثر الناس يحبون الانفلات عن الالتزامات الشرعيه والميل إلى الشهوات ونهذ القيود وقد عرف زعماء البهائية هذا الجانب واستغلوه أقوى استغلال ومن هنا دخل كثير من الناس في

(١) وأقرب الأمثلة على هذا تلاعبهم بمعنى الآية الكريمة- ولكن رسول الله وخاتم النبيين «حيث صاروا هم والقاديانيون في طريق واحد حول تأويل هذه الآية بأن الخاتم بمعنى «أفضل» أو أنه كالمهر أو أنه خاتم الأنبياء أصحاب الشرائع المستقلة وغير ذلك من أكاذيبهم على الله وعلى رسوله وعلى اللغة أبدا لأن اللغة لا تساعدهم أبداً على تلك المعاني الباطلة التي اخترعوها .

المذهب البهائي ليس اقتناعا تاما به وإنما ليضفي على ميوله وشهواته صفة شرعية ولو على طريقة الشرع البهائي .

٩ - كما يعود أيضا إلى أن أكثر الدعوات الباطلة إنما تنتشر بين الأوساط الفقيرة حيث يقوم أصحاب تلك الدعوات بمساعدة الفقراء من بناء مدارس ومستشفيات ودور اجتماعية وقروض وإيصال بعضهم إلى الوظائف الحكومية وتسهيل معاملاتهم وغير ذلك من المساعدات التي يكون لها أثر إيجابي في نفس المدعو ولا بد إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة الخفية التي يجيد هؤلاء عرضها بأساليبهم وطرقهم الملتوية .

الفصل الثاني عشر

كتاب البهائية الذي يقصدونه

إدعى حسين على المازندراني الألوهية . ومن هنا كان حتما عليه أن ينزل الكتب المقدسة ويبين لعبادة ما يريد حسب أوهامه .

فكان أن جاء بكتابه «الأقدس» وجاء فيه بما يستحي طالب العلم المبتدئ في الطلب من نسبته إلى نفسه فكان بحق أحط كتاب وصيغ بأردأ العبارات وحشي بألفاظ وعبارات تنضح جهلا تنفر من معانيه النفوس وتأنف من سماعه الأسماع ألقه ولفقه المازندراني وزعم أنه أفصح وأشرف كتاب منزل على الإطلاق وفضله على كتب الله المنزلة على رسله الأخيار ثم نسخ به جميع الكتب السابقة وفي أولها القرآن الكريم .

ولا تسأل عما فيه من الألفاظ الشنيعة والمعاني الركيكة والأخطاء اللغوية والتراكيب الغامضة قراءته ممله ثقيلة على النفس وقد قرأته عدة مرات لأنه كتيب - وكلمة قرأته أزددت غيظا وغما من تبجح مؤلفه واستكباره الذي فاق استكبار فرعون وهامان وقارون فإنه كله مدح لنفسه ولبهائه ولجوذة قريحته وعمق تفكيره وإحاطته علما بما كان وما يكون وسماعه ضجيج أصوات الذرية في أصلاب آبائهم ومخاطبة الملوك والرؤساء وندائهم إلى الأخذ بديانته ومخاطبة بعض الأراضى أيضا مثل قوله يا أهل البهاء يا معشر العلماء يا ملاء الإنشاء يا عبادي - يا معشر الملوك - قل لي يا ملك البرلين أسمع النداء من هذا الهيكل المبين - يا معشر الأمراء اسمعوا يا شواطئ نهر الرين - يا معشر الروم - يا أرض الطاء - يا أرض الخاء يا بحر الأعظم - قل يا قوم - يا ملك النمسا - يا ملوك أمريكا هذه هي النداءات التي يكررها في كتابه .

وقبل إيراد بعض الأمثلة من ذلك الكتاب أود التنبيه إلى أنك حينما تقرأ فيه تختار حيرة شديدة في معرفة مصدره فهو مرة يأتي بآياته كما يسميها على أنها من الله تعالى لشخصه مباشرة ومرة يأتي بها على أنه هو الله الذي تكلم به كما

اقتضت إرادته ومرة يأتي بها على أنها من إنشائه هو، ومرة يظهر فيها العلو والاستكبار إلى أبعد الحدود، ومرة يظهر نوعاً من التواضع.

وهكذا يخرج منه قارئة وهو أشد جهلاً به حتى في الآيات التي يزعم فيها بيان بعض الأحكام ففيها من التعقيد وركالة الأسلوب ما لا يكاد يفهم إلا بكلفة.

ولكي يطلع القارئ الكريم على بعض تلك الآيات التي لفقها المازندراني نورد الأمثلة الآتية من كتابه الأنجس وليس الأقدس وهو موجود ضمن كتاب خفايا الطائفة البهائية بنصه كاملاً كما تقدمت الإشارة إليه.

١ - فمن ذلك زعمه أنه قد أحاط بعلم ما في اللوح وقرأه والناس غافلون وأنه دخل مكتب الله - هكذا بهذا الأسلوب - والناس راقدون .

النص: « يا ملاء البيان إنا دخلنا مكتب الله إذا أنتم راقدون ولا حظنا اللوح إذ أنتم نائمون - تالله الحق قد قرأناه قبل نزوله وأنتم غافلون^(١) .

٢ - رده على المخالفين له الذين يدعون أنهم علماء أكثر منه مع أنه أحاط بالعلم ولم يترك لهم منه إلا مثل ما تترك العظام للكلاب .

النص: « ومنها - أي من الناس - من يدعي الباطن وباطن الباطن قل أيها الكذاب تالله ما عندك أنه من القشور تركناها لكم كما تترك العظام للكلاب^(٢) .

٣ - وقال في بيانه لمنزلة كتابه الأقدس :

« لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والأقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار^(٣) .

٤ - ويندب حظ من أعرض عن ذكره بقوله: « من الناس من غرته العلوم وبها منع عن اسمي القيوم وإذا سمع صوت النعال من خلفه يرى نفسه أكبر من نمرود قل أين هو يا أيها المردود تالله أنه لفي أسفل الجحيم^(٤) .

٥ - ويقول في تفضيل كلامه: « من يقرأ آية من آياتي لخير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين هذا بيان الرحمن - يعني نفسه إن أنتم من السامعين قل

(١) الأقدس ص ١٨٢ . (٢) الأقدس ص ١٤٧ .

(٣) ص ١٤١ . (٤) ص ١٤٩ .

هذا حق العلم لو أنتم من العارفين»^(١).

إلى أن قال : « لو يقرأ أحدا به من الآيات بالروح والريحان خير له من أن يتلو بالكسالة صحف الله المهيمن القيوم »^(٢).

«قل تالله لا تغنيكم اليوم كتب العالم ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع أنه لا إله إلا أنا العليم الحكيم»^(٣) إلى آخر إفكه وإلحاده وجهله بجميع الأديان .

على أن البهاء وقد تنبأ وتألّه صار يخبر بأشياء كثيرة من المغيبات التي زعم أنها ستقع كما أخبر فإذا بها تأتي عكس ما أراد وأخبر وقد أخزاه الله في ما تنبأ به كما أخزى غيره من كبار الأبالسة ونشير هنا بإيجاز ، إلى بعض نبؤات المازندراني^(٤)، ومنها :

١- ماتنبأ به المازندراني من أن البهائية سيكون لها مستقبل مشرق في العراق وسيفتخرون بها بعد قليل من الزمن فهل صدق في ذلك الزعم الذي ينسب الإخبار به إلى الله مضى على قوله سنوات عديدة ولم يفتخر أهل العراق بها بل وبالعكس ذلك لا يوجد اليوم فيها من يستطيع المجاهرة بالبهائية رغم إدعاء المازندراني الألوهية وأن ما أخبر به سيكون كما وقع .

٢- تنبأ المازندراني بأن طهران ستكون بهائية كلها ويحكمها بهائيون ويمتد حكمهم من طهران إلى ماورائها ويعظم شأن البهائيون بها جدا .

وكذب هنا كما كذب في غير ذلك فلم يسمح للبهائيين رفع رؤسهم أو إظهار دعوتهم بل بقوا فيها في غاية الذل والاحتقار ولم يقم لهم حكم فيها أو كلمة.

(١) ص ١٧٣ .

(٢) ص ١٧٦ .

(٣) ص ١٨١ .

(٤) لإحسان إلهي رحمه الله في كتابه البهائية نقد وتحليل مقال بعنوان « البهائية وتنبؤاتها يبدأ من ص ٢٤٩ إلى ص ٣٠٨ توسع في ذكر تنبؤات المازندراني وبين أكاذيبه كلها ومنه ما أشرت إليه في الفقرات التي ذكرتها ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب البهائية نقد وتحليل الصفحات المشار إليها .

٣ - تنبأ المازندراني بأن دينه سيغلب الأديان كلها ويعتقده أكثر العالم وسيهيمن هو على جميع الأرض فماذا كانت النتيجة لقد فضح الله الكاذب فقد مضت سنوات عديدة وتلك الأمانى الفارغة لم يتحقق منها شيء رغم ما قام أعداء الإسلام من اليهود، والصهيونية العالمية، والصليبيون والاستعمار الروسي والأمريكي بمساعدته والوقوف إلى جانبه ولكن قدرة الله أقوى من ذلك ففشل هؤلاء فشلا ذريعا في تحقيق مطامع هذا المتأله الكاذب وكانت أحلامه خيالية وكلامه هذيان فارغ ﴿ليحق ويطل الباطل ولو كره المجرمون﴾^(١).

٤ - وأغرب شيء وأشنعه في تنبؤات البهائية ما صرح به ابن المازندراني المسمى عبد البهاء عباس أفندي - بوحى من أبيه حينما سئل عن آخر السنوات التي تعم فيها البهائية العالم وتنتشر في أرجائه وأنحائه أجاب بأنه وحسب البشارات القديمة التي ذكرها له إلهه المازندراني أنه سيتم ذلك وبالتحديد أيضا في ١٩٥٧م فماذا كانت النتيجة؟

لقد أظهر الله كذبهم حتي لا يبقى لأحد حجة فلم تدخل الدول في البهائية ولم يظهر نور الله البهاء في جميع أقطار الأرض كما زعموا .

فطردت البهائية من إيران وطردت من العراق وطردت من تركيا وطردت من مصر وليبيا وسوريا وقضي عليها في باكستان وأفغانستان ولم يأبه لها العالم الغربي كما يريدون وكذلك طردت من أفريقيا، ولم يقر لها قرار إلا في البيئات المنحلة، أو الحاقدة على الإسلام وظلت طريفة لخبثها وخبث مبادئها وولائها للاستعمار في كل مكان إلى أن أوأها الإنكليز إلى فلسطين وتلقفتها اليهودية فأين نبوءة حسين على البهاء المازندراني وابنه عباس أفندي من أن البهائية ستكتسح جميع الأديان وستعم البلدان في الموعد الذي حدده البهائيون^(٢).

(١) سورة الأنفال ٨ .

(٢) انظر البهائية نقد وتحليل ص ٢٥٤ .

الفصل الثالث عشر

أماكن البهائية

تنتشر الأفكار وتتغلغل بين الناس دون أن يفطن لها المجتمع لآتحدها الحدود الدولية السياسية ولا تمسك بزمامها سلطة تسري في الأمة سريان النعاس في جسم الإنسان حتى إذا قوي أمرها وانتشر خيرها وصار لها رجال يدافعون عنها ظهرت متنكرة للوسط الذي تعيش فيه طالبة التغيير الجذري لكل ماحولها ومن هنا تبدأ ثمارها خيرة كانت تلك الأفكار أم شريرة ومن المعلوم أن للسلطة والسياسة والمجتمع بأكمله دور في ظهور الفرق وعدم ظهورها حسب الظروف التي تحيط بها فمثلا هذه الطائفة التي نحن بصدد دراستها من الأسس الهامة في عقائدهم القول بالتقية وحينما يخافون أن يظهروا أنفسهم على حقيقتهم يدخلون مع الناس على الوفاق والود ويبطنون ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من التريص بالبشرية والتمسك بعقائدهم ومحاربة الأديان المنافسة لها ويكونون كالنار تحت الرماد ويعملون في الخفاء لنشر أفكارهم إلى أن تواتيهم الفرصه فيظهرون وقد انتشرت البهائية في أماكن كثيرة بعضها معلوم وبعضها في الخفاء إلا أن وجودهم الأكبر ومركزهم الرئيسي بين حلقائهم في أرض فلسطين التي اغتصبها اليهود وبارك هذا الاغتصاب ونشر الدعاية له البهائيون في كل مكان . ويوجد لهم خلايا كثيرة في إيران وأمريكا والعراق ومصر وتركيا وإمارات الخليج والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومحافلهم كثيرة وأكبرها في شيكاغوا وإسرائيل وكندا وبنما ولندن وألمانيا وسويسرا والهند وباكستان وشمال أفريقيا وأوغندا وأستراليا .

وقد قدر بعض زعماء البهائية عدد البهائيين بما يزيد على ستين مليون نسمة في العالم ولكن لا ينبغي تصديقهم فيه فهو رقم دعائي أكثر منه حقيقي ومما لا ينكر أنه قد وقف أعداء الإسلام إلى جانب البهائية مدافعين عنها ومشجعين لها

في الاستمرار وكل من حاول الأخذ على أيدي البهائيين في أي مكان من العالم تقوم ضده دعاية رهيبية بأنه غير متحضر وإرهابي ولا يسمح بحرية الفكر ولا يراعي حقوق الإنسان إلى غير ذلك من الدعايات الطويلة العريضة التي يعيدونها ثم يلجؤون إلى مجلس الأمن للعويل على حقوق الإنسان التي ترعاها الأمم المتحدة في نيويورك ليجد كل من يريد إيقافهم عند حدهم أنه أصبح في عداد الأشرار دون أن يعرف الذنب الذي اقترفه وهذا بفعل دسائس زعماء البهائية في كل مكان يوجدون فيه وتكاتفهم على باطلهم ووقوف بعضهم إلى جانب البعض الآخر لشعورهم بالقلّة والذلة أدام الله ذلهم إلى يوم يؤوبون فيه إلى الدين الحق والصراط المستقيم .

من مراجع البهائية

- ١ - البهائية تاريخها وعقيدتها . وصلتها بالباطنية والصهيونية تأليف :
عبدالرحمن الوكيل.
 - ٢ - حقيقة البابية والبهائية : تأليف الدكتور / محسن عبد الحميد .
 - ٣ - البهائية . السيد محب الدين الخطيب .
 - ٤ - البهائية نقد وتحليل - إحسان إلهي ظهير .
 - ٥ - حقيقة البهائية والقاديانية . الدكتور محمد حسن الأعظمي .
 - ٦ - البهائية الفكر والعقيدة . صالح عبد الله كامل .
 - ٧ - الحكم على البهائية . على رشدي .
 - ٨ - قراءة في وثائق البهائية . الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي .
 - ٩ - خفايا الطائفة البهائية . الدكتور / أحمد محمد عوف .
 - ١٠ - البهائية رأس الأفعى . أول محاكمة شرعية للبهائيين مجموعة من الكتاب .
 - ١١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . « الندوة العالمية للشباب الإسلامي » .
 - ١٢ - دراسات عن البهائية والبابية تأليف / محب الدين الخطيب / على على منصور / محمد كرد على / محمد فاضل .
- وبعد هذه الدراسة عن فرقة البهائية عثرت على نسخة مصورة عن هذه الفرقة تسمى موقع البهائيين في الحركات الهدامة ، المفسدون في الأرض « كتبها » محمد علي كيوه » - معاصر - فيها تفاصيل دقيقة وموسعة عن البهائية ويظهر فيها أن له اطلاعا واسعا على خفايا هذه الطائفة ومعرفة خاصة بهم فلترجع إليها إن شئت .
- نهاية الجزء الأول ويليه الجزء الثاني ويبدأ بـ (الباب الثامن : القاديانية)

تطلب جميع منشوراتنا من

مكتبة أضواء المنار

السعودية - المدينة المنورة - مجمع أحد التجاري

ت: ١٨٥٠١٣٧٠٨٣٧ ص . ب : ٥٤٩١

فرق معاصرة

تنسب إلى الإسلام
وبيان موقف الإسلام منها

الجزء الثاني

إعداد
غالب بن علي عواجي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

١٤١٤ هـ



دسمبر - ١٤١٩/٣٥٠٤٥

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



دمشق - ت ٣٣٥١٩٩ - ٤٥

الباب الثامن

القاديانية

تمهيد

التحذير من ظهور دجالين يدعون النبوة بعد محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

وجاء في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام:

١ - («وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء») قال أبو الدرداء: «صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»^(٣).

٢ - ويقول عليه الصلاة والسلام في بيان أنه لاخير إلا دل أمته عليه ولا شر إلا وحذرهما منه «أنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيرا لهم ويحذرهم ما يعلمه شرا لهم»^(٤).

فقد جمعت هذه النصوص بيان ختم النبوة بمحمد ﷺ وبيان إكمال الدين من عند الله عز وجل وبيان إكماله من قبل المصطفى ﷺ، وبيان كمال النصح والشفقة من الرسول ﷺ حيث بين كل ما يحتاج إليه المسلم في أمور دينه

(٢) المائة: ٣ .

(١) الأحزاب: ٤٠ .

(٤) أخرجه أحمد: ١٦١/٢، ١٩١ .

(٣) أخرجه ابن ماجه: ٤ / ١ .

ودنياه، ولم يبق لأي متحذلق مجال في الزيادة في الدين أو النقص منه لأن ما أكمله الله لا يحتاج إلى إكمال.

وفي إثبات ختم النبوة وردت نصوص كثيرة نكتفي ببعضها هنا ومن أراد التوسع فعليه بكتب الحديث والتوحيد وما كتبه العلماء عن هذه القضية بخصوصها ومن تلك النصوص :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه وأنه لا نبي بعدي »^(١).

٢ - وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي حينما خرج إلى تبوك « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي »^(٢).

إذا لا نبي بعده عليه الصلوة والسلام ولكن هناك جريشون لا يزالون بالكذب على الله وعلى رسوله ﷺ يدعون النبوة بكل صلافة وفي هؤلاء يقول المصطفى ﷺ :

١ - عن جابر بن سمرة قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول إن بين يدي الساعة كذابين »^(٣).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله »^(٤).

وتوجد أحاديث كثيرة رواها أصحاب المسانيد والسنن كلها تكذيب لمن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ مهما زخرف صاحبها القول وتفنن في الخداع والاحتيال.

(١) صحيح البخاري : ٦ / ٤٩٥ ، مسلم : ٤ / ٥٠٩ .

(٢) صحيح البخاري : ٨ / ١٢ ، مسلم : ٥ / ٢٦٨ .

(٣) مسلم : ٥ / ٧٦٨ . (٤) البخاري : ٦ / ٥١٦ .

ولقد أجمعت الأمة الإسلامية وصار معلوما من الدين بالضرورة أن الرسول محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء لاني بعدة لوصول البشرية إلى نهاية الكمال الذي لا يحتاجون بعده إلى نبي ولا إلى رسالة جديدة فقد أكمل الله الدين وصار صالحا للبشرية إلى نهاية هذا الكون وهذه نعمة من الله تعالى على البشر عامة لتجتمع هممتهم على هذا الدين القيم وتطمئن نفوسهم إلى أنه لا تبديل ولا تغيير لأحكامه وأن عليهم فقط تنفيذ ما جاء من أحكامه وشرائعه للوصول إلى السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة .

واتفق المسلمون على أن كل من يدعي النبوة بعد محمد ﷺ فيما أن يكون ملحدا كذابا أو مجنونا مهوسا ومن المعلوم أن أعداء الإسلام والمستعمرين أصحاب المطامع الواسعة في بلاد المسلمين لم يرضهم هذا المنهج الإلهي وكذلك لم يرضى هذا المنهج أصحاب النفوس المريضة المتعطشة إلى السلطة والعلو في الأرض بغير الحق فقام كذابون يدعون النبوة معرضين عن ما ذكر الله في كتابه وما ذكره رسوله محمد ﷺ من انقطاع النبوة وتظاهروا بالإسلام لتحقيق مطامعهم ولم يكونوا وحدهم في هذا الميدان بل وجدوا من يشجعهم ويمدهم بالمال وهم المستعمرون الذين رأوا أن هؤلاء هم أفنك الأسلحة لتفريق كلمة المسلمين وارجاعهم إلى الذل والوثنية فربوهم على أيديهم وأمدوهم بكل ما يحقق أحلامهم وقد ذهب هؤلاء المغرمون بدعوى النبوة إلى تأويل النصوص الواردة في ختم النبوة لنبينا محمد ﷺ تأويلا شنيعا باطنيا سواء كانت تلك النصوص من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليها ﴾ .

أو كانت من السنة النبوية مثل قول الرسول ﷺ « سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي الله وأنا خاتم النبيين لاني بعدي » .

أو قوله ﷺ لعلي: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » متلاعبين بمعانيها على حسب ما يخدم عقائدهم الإلحادية غير عابئين بما أتفق عليه

المسلمون من معانيها أو بما تدل عليه اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم وشرفها به وجعلها أفضل اللغات وجعلها مفخرة كل مسلم في كل مكان من الأرض ، وصار هؤلاء يتخبطون في كل أمر يريدونه لا يرجعون فيه إلى أهله ولا أدل على هذا من إجماع المسلمين كلهم وإجماع كل اللهجات العربية على أن الختم معناه آخر الشيء ونهايته بينما معناه عند هؤلاء يختلف عن ذلك تماما .

فهو عندهم إما أن يكون بمعنى الأفضل أو الزينة أو غير ذلك مما سنذكره إن شاء الله عنهم ومما لا يجهله طلاب العلم أن هذه المعاني التي جاؤا بها هي واهية كبيت العنكبوت وتدل كذلك على فراغهم من العلم ورغبتهم في الخروج على منهج الله تعالى بتلك التأويلات الفاسدة التي لا تدل عليها اللغة ولأقوال أهل العلم .

والواقع أن هؤلاء الفجرة أمثال أحمد القادياني أو حسين على المازندراني زعيم البهائية أو غيرهم قد أحدثوا فوضى في مفهوم النبوة بحماقاتهم ففقدت كلمة النبوة جلالها وحرمتها وقداستها في نفوس بعض الناس إذ هان على أصحاب المطاعم والنفوس المريضة بصفة عامة بعد هؤلاء أن يتنبؤا خصوصا وقد أنسوا من أعداء الإسلام تعاطفا معهم وحماية لهم اضافة إلى ما أحدثته هذه النبؤات الكثيرة المزعومة من بلبلة أفكار المسلمين واضطرابهم وتمزيق وحدتهم وإفلاسهم الروحي العميق لقد أضافت الحركة القاديانية إلى الأضطراب والجهل بالدين وتشتيت كلمة المسلمين وتضارب أفكارهم في الهند وفي غير الهند أضافت هذه الحركة حينما جاءت في ذلك الليل البهيم تمزيقا جديدا لوحة المسلمين وتباعدا بينهم وأخذ بعضهم يكفر البعض الآخر وضعفت كلمتهم واسهمت بريطانيا العدو الأكبر للمسلمين في محاولة الإجهاز على البقية من تعلق المسلمين بدينهم ووحدهم في الهند وفي كل مكان وصلت إليه أقدامهم النجسة في تلك الحقبة التي ظهر فيها الغلام بدعوته الخرافية المشثومة وكذلك المر را حسين على المازندراني في إيران وفي فلسطين وقبله على محمد الشيرازي وللباطنية ثم يضمحل .

الفصل الأول

كيف نشأت القاديانية

القاديانية وهي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة^(١) ظهرت في آخر القرن التاسع عشر المسيحي في الهند، وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية وسموا أنفسهم في أفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية تمويهاً على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ «والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية كما يذكر الندوي»^(٢).

احتضنها الإنجليز حينما كانوا حكاماً مستعمرين للهند وتبنوها وبذلوا لنصرتها مافي وسعهم من الإمكانيات المادية والمعنوية وذلك لما رأوه فيها من تحقيق مآربهم والتمكين لهم في الهند وفي غير الهند واحتضنتها كذلك اليهودية العالمية ولهم مراكز في أنحاء العالم وفي إسرائيل لنشر الإسلام - كما يزعم القاديانيون - وقد نبغت هذه الفتنة في عصر كثر الاضطراب فيه وخيم الجهل وانتشرت الأفكار والمبادئ الهدامة على أوسع نطاق . وتغلغت بين صفوف المسلمين على حين غفلة منهم حتى أصبحت طائفة كبيرة خصوصاً حينما تولى وزارة الدولة الباكستانية المسلمة وزير قادياني هو ظفر الله خان فقد تولى وزارة الخارجية وعمل كل ما في وسعه لتمكين القاديانية والقاديانيين من الانتشار والظهور وصارت قاديان ثم الربوة عاصمة للقاديانية ومركز دعوة ودعاية لها وبدأت القاديانية توجه دعوتها إلى البلاد العربية والإسلامية وبدأت تظهر في العراق وسوريا وتنتشر في أندونيسيا^(٣) وبعض البلدان في أفريقيا^(٤) وتتمنى

(١) وذلك لأخذهم بالمبادئ الباطنية في تأويل النصوص تأويلاً باطنياً ودعوى أن للنصوص ظاهراً وباطناً وتدينهم بكثير من المبادئ الباطنية .

(٢) القادياني والقاديانية ص (٥) .

(٣) انظر البحث الذي قدمه الشيخ مشفق أمر الله بن شمس الدين بعنوان: «القاديانية في أندونيسيا» .

(٤) انظر البحث الذي قدمه الشيخ سحنون تاج الدين بعنوان « القاديانية في غانا » .

بالحاح لو وجود من يصغي لها في الجزيرة العربية حرسها الله من الفتن والارتداد الذي يراد لها ، ففيها مهبط الوحي وإليها تهوى أفئدة المؤمنين بالله من كل قطر من أقطار الأرض وكم بذلت من المحاولات الكثيرة لطوائف الفرق الضالة للتغلغل إلى قلوب المسلمين في مكة والمدينة فرد الله كيدهم إلى نحورهم وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع بفضل الله وتوفيقه لعلماء المسلمين لفضح تلك الطوائف وماتبئته من السوء للمسلمين ولدينهم والله متمم نوره ولو كره الكافرون .

وقد قبض الله للتصدي للقاديانيين علماء أجلاء بينوا للمسلمين خطر هؤلاء القاديانيين وارتدادهم عن الإسلام ومن هؤلاء العلماء المجاهدين كثير من علماء الهند وباكستان وغيرهم من علماء البلدان الإسلامية وبذلت محاولات عديدة لجعل القاديانية أقلية غير مسلمة في باكستان وتم ذلك والحمد لله إلا أن نشاط القاديانيين هؤلاء ربما إزداد اشتغالا وتوسعا بين جهلة المسلمين وشبابهم الذين لم يكن عندهم مانع من الثقافة الإسلامية عن تقبل الديانة القاديانية التي بذلت المال ونشرت الدعاة لتحقيق ما تهدف إليه من إخراج المسلمين عن دينهم للإيمان بنبوة القادياني والحج إلى قاديان والرضي بحكم الإنجليز واستعمارهم لبلدان المسلمين في كل مكان وصلت إليه أيدي الإنجليز المطلخة بالدماء وقلوبهم المنطوية على غاية المكر والخديعة والاضرار بالمسلمين بكل ما يمكن فعله من قتل وسجن وتشريد كما فعلوا في الهند بعد أن أخفقت ثورة الهند الكبرى عام ١٨٥٧م وراح ضحيتها كثير من أهل الهند وخصوصا من المسلمين بكل قسوة ووحشية^(١) . وبمباركة القاديانيين الذين كانوا من أخلص الجواسيس لهم .

(١) انظر القادياني والقاديانية ، الندوي ص ٥ - ١٠ وكذا « القاديانية » للمودودي في مقاله «مواقف المسلم» ، ائتمهم وقادتهم نحو القاديانية ص ٥١ .

الفصل الثاني

زعيم القاديانية

١ - اسمه وأسرته :

ترجم المرزا لنفسه ولأسرته في آخر كتابه « ضميمة الوحي » وجاء بخلط عجيب في ذلك . أما اسمه فهو: غلام أحمد القادياني واسم والده غلام مرتضى واسم أمه جراج بي بي^(١) وفي نسبة أسرته يتضارب قوله فهو يزعم أنه ينتمي إلى أسرة أصلها من المغول من فرع برلاس ومرة قال إن أسرته فارسية^(٢)، ومرة زعم أن أسرته صينية الأصل ومرة أنه من بني فاطمة بنت الرسول ﷺ وأخرى قال بأنها جاءت من سمرقند وزعم مرة أنه يرجع إلى بني إسحاق^(٣).

وبعد كل هذا الخلط والاضطراب زعم أن الله أوحى إليه أن نسبه يرجع إلى فارس فقال : (والظاهر أن أسرتي من المغول ولكن الآن ظهر على من كلام الله تعالى أن أسرتي حقيقة أسرة فارسية وأنا أو من بهذا لأنه لا يعرف أحد حقائق الأسر مثل ما يعرفها الله تعالى)^(٤).

وفي تقرير هذا الخلط قال في ضميمة الوحي « وسمعت من أبي أن أبائي كانوا من الجرثومة المغلية ولكن الله أوحى إلي أنهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركية ومع ذلك أخبرني ربي بأن بعض أمهاتي كن من بني الفاطمة - ومن أهل بيت النبوة والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل من كمال الحكمة والمصلحة»^(٥).

(١) القاديانية دراسة وتحليل ص ٢٠٥ نقلا عن يعقوب القادياني ، حياة النبي : ١٤١/١ - ١٤٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ٢٠ .

(٣) ذكر تلك الأخبار لإحسان إلهي في كتابه القاديانية ص ١٢٥-١٢٦. نقلا عن كتب الغلام، كتاب

البرية ص ١٣٤ حاشية أربعين ص ١٧، ضميمة حقيقة الوحي ص ٧٧ تحفة كولة ص ٢٩ .

(٤) حاشية أربعين ص ٢٧ رقم (٢) القاديانية ص ١٢٥ .

(٥) ضميمة الوحي ص ٨٥ .

وكل من سأله عن هذه التقلبات في نسبه يقول هكذا أخبرني الله تعالى أو هكذا ألهم من الله أو كلم على التعبير الذي يحبه^(١) أي أخبره الله بكل هذه التناقضات التي لا مبرر لها إلا الجهل والنفاق - والله يتنزه عن هذا التناقض ومهما قال عن أسرته فإنها أسرة عميلة اشتهرت بعمالها وتفانيها في خدمة الإنجليز المستعمرين لهم. وكان الغلام كثيرا ما يتباهي بأنه هو وأجداده كانوا من المخلصين لخدمة الإنجليز كما سيأتي ذكر النصوص التي تبجح بها القادياني وأتباعه.

أما ولادته فقد ولد غلام أحمد في عام ١٢٥٦ هـ على أحد الأقوال في قرية قاديان إحدى قرى البنجاب بالهند يقول المودودي : « ولد الميرزا غلام أحمد كما أشرنا في البداية حوالي سنة ١٨٣٩ م أو سنة ١٨٤٠ م حسبما كتبه الميرزا في تأليفه كتاب البرية إلا أن أحد مؤرخيه كتب أنه ولد سنة ١٨٣٥ م^(٢) وقد وصف القادياني قريته التي ولد فيها بقوله :-

« كانت قريتي أبعد من قصد السيارة وأحقر في عيون النظارة درست طولها وكره حلولها وقلت بركاتها وكثرت مضراتها ومعراتها والذين يسكنون فيها كانوا كبهائم وبذلتهم الظاهرة يدعون اللائم لا يعلمون ما الإسلام وما القرآن وما الأحكام ، فهذا من عجائب قضاء الله وغرائب القدرة أنه بعثني من مثل هذه الخرية »^(٣).

وأغلب الظن أنه كان صادقا في وصفه لقريته بأنها خربة ولأهلها بأنهم مثل البهائم لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا إذ لولا أنهم كذلك لما جرؤ على دعوى النبوة بينهم .

٢ - أما هو وثقافته :

فقد قرأ مبادئ العلوم وقرأ في المنطق والعلوم الدينية والأدبية في داره

(١) القادياني والقاديانية ص ٢٠ .

(٢) القاديانية ص ١٥ نقلا عن المجدد الأعظم ص ١٦ ، ١٧ . (٣) ضميمه الوحي ص ٢٨ .

على بعض الأساتذة مثل فضل إلهي وفضل أحمد وكل على شاه كما قرأ الطب القديم على والده الذي كان طبييا ماهرا^(١) وعرافا حاذقا^(٢) وقد كان يكثر القراءة والطلب وأجهد نفسه في ذلك^(٣) إلا أن جميع معلوماته عن الإسلام وعن النبي ﷺ كانت مشوشة ومملوءة بالأخطاء والخلط الشنيع كما ذكر عنه الأستاذ إحسان إلهي وذكر الأمثلة على ذلك^(٤).

وقد بدأ حياته العملية بأن توظف في محكمة حاكم المديرية في مدينة سيالكوت إحدى المدن في باكستان بمرتب يساوي خمس عشرة روبية في ذلك الوقت وبقي على ذلك أربع سنوات من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٨٦٨م وقد استغل في هذه الفترة وقته فأقبل على تعلم الإنجليزية كما التحق بدراسة الحقوق وأخفق في الامتحان ثم استقال من وظيفته هذه عام ١٨٦٨م وشارك والده في المحاكمات والقضايا التي كان مشغولا بها^(٥).

وهكذا بدأ حياته في تقشف وحاجة شديدة عبر عنها في كتابه ضميمة الوحي بعدة أساليب نأخذ منها على سبيل المثال قوله في الاستفتاء الأول الذي بدأ بقوله: «يا علماء الإسلام وفقهاء ملة خير الأنام أفتوني في رجل ادعى أنه من الله الكريم يقصد نفسه - إلى أن قال: «وكان في أول زمنه مستورا في زاوية الخمول لا يعرف ولا يذكر ولا يرجى منه ولا يحذر وينكر عليه ولا يوقر ولا يعد في أشياء يحدث بها بين العوام والكبراء بل يظن أنه ليس بشيء ويعرض عن ذكره في مجالس العقلاء»^(٦).

وقال أيضا: «وما كنت من المعروفين فأوحى إلى ربي وقال اخترتك»^(٧).

إلى أن يقول: «و كنت أعيش كرجل اتخذته الناس مهجورا» .

(١) القادياني والقاديانية ص ٢٢ .

(٢) القاديانية ص ١٢٧ .

(٣) كتاب البرية ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٤) القاديانية ص ١٢٨ .

(٥) القادياني والقاديانية ص ٢٢ ، ٢٣ نقلا عن كتاب «سيرة المهدي وكتاب البرية» وكلاهما للغلام .

(٦) ضميمة الوحي ص ٣ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٨ وانظر ص ٣٠ .

ونصوص أخرى كثيرة ذكرها حول إثبات هذه الحقيقة .

إلا أنه حينما تبوأ الزعامة الدينية أقبلت عليه الدنيا والهدايا الكثيرة التي تمدح بها في كتابه ضميممة الوحي في سبعة مواضع بتعبيرات مختلفة زاعما أنها فضل من الله ودليل أيضا على نبوته منها :

« ثم بعد ذلك أيد الله هذا العبد كما كان وعده بأنواع الآلاء وألوان النعماء فرجع إليه فوج من الطلبة بأموال وتحايف وما يسر من الأشياء حتى ضاق عليها المكان»^(١).

وقال أيضا :

«وانهالت على الهدايا كأنها بحر تهيج في كل آن أمواج هذه آيات الله»^(٢).

وقال : « يأتوني من كل فج عميق بالهدايا وبكل ما يليق هذا وحي من السماء من حضرة الكبرياء ما كان حديثا يفترى »^(٣).

ومن هنا وحين أقبلت عليه الدنيا بالزعامة الدينية رتع فيها كيفما حلّى له على حساب المغفلين من أتباعه وصار ينفق في المسكن والمأكل والمشرب بما في ذلك شرب أقوى المسكرات من الخمر والمعجونات المقوية الثمينة وصارت حياته أشبه ماتكون بحياة الزعماء السياسيين حتى شكى كثير من أتباعه هذه الحياة المملوءة بالإسراف بالنسبة للغلام ولزوجاته من لبسهن الحرير والحلي والحلل الفاخرة بينما أتباعه يعيشون في فقر مدقع وكان الغلام كثيرا حينما يسئل عن كيفية إنفاق تلك الأموال التي تأتي بكثرة لكنها لا ترى بعد ذلك ولا يلمس لها أثر^(٤) ومما يذكر في ترجمته أن الله قد عاجله بكثير من الأمراض، فقد أصيب بعدة أمراض حتى كان يغمي عليه كثيرا من شدة مرض السكر به إضافة إلى

(١) المصدر السابق ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩ ، وانظر ص ٣٠ .

(٤) انظر القادياني والقاديانية ص ٢٤ ، ٢٥ وانظر القاديانية لإحسان إلهي ص ١٤٤ - ١٤٦ .

الصداع الشديد الملازم له إضافة إلى مرض المراق وأمراض أخرى ذكرها المودودي والندوي وغيرهما في ترجمتهم له مستندين إلى كتب الغلام وغيره من كبار أصحابه^(١).

وأما حياة خلفاء الغلام من بعده فقد أضافوا إلى الحشف سوء كيلة لقد استهتروا بكل القيم ورتعوا في كل مراتع اللهو والفجور ويكفي الشخص أن يقرأ كلمة الأستاذ عبد الرحمن مصري مدير كلية تعليم الإسلام في قديان وكان من كبار علماء الجماعة القاديانية كما يذكر الأستاذ الندوي فقد أسلم هذا الرجل على يد بعض القاديانيين ونشأ في حضانتهم وتعلم في مصر وحاز ثقة الجماعة حتي كان يستخلفه الميرزا بشير الدين في إمامة الصلوات ثم اطلع على أسرار هؤلاء الماسونيين القاديانيين وثار عليهم وألف جماعة من الثوار كان يرأسهم هو . فقد سجل قاضي محكمة الاستئناف في لاهور كما يذكر عبدالرحمن المصري في يوم ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٣٨ م ما يأتي :

إن الخليفة الحالي الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق ، أنه يتصيد الفتيات في ستر من الزعامة الدينية وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريرا من الرجال والنساء يفسق فيه^(٢).

ولاشك أن هذا الميرزا سار على سيره والده الميرزا غلام أحمد في استهتارهما بالدين وعدم وجود المراقبة الذاتية فأصبح انتهاب المملذات من الأمور المألوفة وهذا النادي يشهد صراحة بتأثير العقائد القاديانية في أصحابها ودليل على أن هذا الفرقة إنما قامت من الأساس على خداع الناس والوصول إلى مآربهم وشهواتهم التي لاحد لها .

(١) انظر تفصيل ذلك في القادياني والقاديانية ص ٢٤ نقلا عن سيرة المهدي ١ / ١٧ وانظر القاديانية ص ١٦ - ٢٠ نقلا عن سيرة المهدي وكتاب البرية للغلام .

(٢) انظر القادياني والقاديانية ص ٩٠ وانظر القاديانية لاحسان الهي ص ٥٦ ، مظلوموا القاديان .

٣ - صفاته وأخلاقه

مما يذكر عن القادياني أنه كان قليل الفطنة مستغرقا تبدو عليه البساطة والغرارة فقد قيل عنه أنه كان لا يحسن ملأ الساعة وكان إذا أراد أن يعرف الوقت وضع أتملته على ميناء الساعة وعد الأرقام عدا وكان لا يميز الأيمن من حذائه عن الأيسر منها حتى اضطر إلى وضع علامة عليها وكان يضع أحجار الاستنجاء التي كان يحتاج إليها كثيرا وأقراص القند التي كان مغرما بها في مخبأ واحدا (١) هكذا يذكر عنه وفي رأبي أنه كان يتظاهر بهذه الغفلة والسذاجة لأشياء في نفسه تمهيدا للإيحاء إلى الناس بأنه في تلك القوة من الاحتجاج والمناظرة والخطاية وكثرة تأليف الكتب التي بثها في العالم إنما كانت بقوة ربانية وإلهام منه ؛ أي ولولا ذلك لما استطاع أن يحفظ اسمه أو يكتب كلمة « وهذا من دهائه ومكره فإن الذي كتب عن مدح الانجليز ما يملأ ٥٠ خزانة كيف لا يعرف أرقام الساعة وحذائه الأيمن عن الأيسر وأحجار الاستنجاء وأقراص القند بل وبين السكر والملح كما يذكر عنه هذا بعيد جدا خصوصا وأن هذه الأوصاف إنما ينقلها علماء المسلمين من كتب القاديانية وعن القادياني ومن مصادره أنه كان كثير الأمراض (٢) وقد ذكر هو عن نفسه وذكر عنه العلماء من المسلمين ومن كتاب القاديانيين من الأمراض ما لوجمعت على حجر لفلقته فقد ذكر المودودي جملة من أمراض الغلام من مصادر القاديانيين أن الغلام كان فيه من الأمراض - الهستريا - القطرب - المالمخوليا - السل - أمراض الصدر - دوار الرأس - سلس البول - الأرق - التشنج القلبي - الذياييطس - أي السكر - يبول في الليلة الواحدة أكثر من مائة مرة - الضعف العصبي - سوء الذاكرة إلخ ذلك وفيما اتصور أن هذه المبالغات في ذكر أمراض الغلام المتنبي - من قبل القاديانيين

(١) انظر القادياني والقاديانية ص ٢٣ نقلا عن ترجمة الميرزا المعراج الدين عمر القادياني ملحقة بكتاب براهين أحمدية ٦٧/١ .

(٢) انظر كتاب القاديانية والمصادر التي أخذ عنها ص ١٦ - ١٩ .

- إنما يراد من ورائها مكسب هام لإثبات النبوة لأن أقل هذه الأمراض تمنع الشخص أن يملأ الخزائن بمؤلفاته ولا تسمح له بالتفكير السليم فتكون النتيجة أن كل ما قاله الغلام وكتبه إنما كان إلهاما جاهزا من الله لا دور للغلام فيه إلا مجرد التبليغ خصوصا إذا عرفنا أن الغلام وأسرته كانوا يحبون أن تشيع هذه الأمراض عنه وقد ذكر الشيخ إحسان إلهي - رحمه الله - أمراضا أخرى كثيرة للغلام من مصادر القاديانيين^(١) فأَي جسم يحتمل ذلك ؟

وقد وصف الغلام بالبذاءة وسوء الأخلاق وطول اللسان هجاء مقذعا للمخالفين والعلماء المعاصرين وعباد الله الصالحين وكان مصداق صفة المنافقين التي جاءت في الأحاديث الصحاح « وإذا خاصم فجر » وكان يكثر من سب مخالفيه مثل هذه الألفاظ فلان الغوي الجاهل الخليع الكلب الأحمق الضال الكذاب اللعين ابن الزنا والبغي الشيطان الغوي وأمثال هذه الكلمات والسباب البذيء الذي لا يصدر إلا عن السفهاء والسوقة^(٢). ومن ذلك أنه تنبأ بموت رجل في زمن محدد ولكن هذا الرجل لم يموت حسب تنبؤة في هذه المدة فقال له بعض العلماء أنت تظن أنك نبي ولا تتكلم إلا بوحى الله فكيف يمكن أن يتخلف وعد الله فبدل أن يجيبهم بدليل يرد به دعواهم ويثبت دعواه بدلا عن ذلك بدأ يسبهم هم وجميع علماء المسلمين فقال : « لا يوجد في الدنيا شيء أنجس من الخنزير ولكن العلماء الذين يخالفونني هم أنجس من الخنزير أيها العلماء يا آكلي الجيفة وأيتها الأرواح النجسة »^(٣).

وقد وصف جميع من يخالفونه بقوله : « بعضهم كالكلاب وبعضهم كالذئاب وبعضهم كالخنزير »^(٤) ويخاطب الشيخ ثناء الله الأمر تسري قائلًا يا

(١) القاديانية لإحسان إلهي أنظر ص ١٣٠ - ١٣٤ .

(٢) انظر القادياني والقاديانية ص ١٠٤ - ١٠٧ .

(٣) انظر القاديانية لإحسان إلهي ص ١٤٠ نقلا عن أنجم آثم للغلام ص ٢١ .

(٤) خطبة الهامية للغلام ص ١٥٠ .

كلب يا أكل الجيفة»^(١) ويقول عن العالم الكبير مهر على الكولري الجشتي :

فقلت لك الويلات يا أرض جولر لعنت بملعون فأنت تدمر^(٢)

وقال في سبه لجميع مخالفيه :

إن العدا صاروا خنازير الفلا نساؤهم من دونهن الأكلب^(٣)

وإذا كان هذا السباب لعلماء عصره لأغراض شخصية إن صرفنا النظر عن الأساس الديني فيها - وهو الأصل - فلماذا لم يقتصر في سبه على المخالفين له حين تناول فسب أنبياء الله الأطهار دون أن يكون له أي مبرر - إلا تغطية ضعف جانبه وبطلان أفكاره وسقوطها - .

ومن ذلك السباب سبه لنبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقد قال عنه: «أن عيسى ما استطاع أن يقول لنفسه أنه صالح لأن الناس كانوا يعرفون أن عيسى رجل خماروسيء السيرة»^(٤) وقد كذب وافتري وحاشا أن يوصف نبي الله عيسى بهذا الوصف أو الأوصاف الأخرى التي قالها عنه مما يلزم تنزيه القارئ عن ذكرها هنا^(٥) وربما تصور الغلام أن نقضه لبناء الآخرين يشيد بنيانه وأن ترفعه على الأنبياء يجعل منه نبيا أعلا منهم - كما أنه له أشعار ركيكة ومعاني تافهة مملوءة بالسباب والشتائم على كل من يخالفه ينطبق عليه المثل القائل «رمتني بدائها وانسلت» وحين تمادى في شتم الناس وإيذائهم بلسانه وبكتاباتة عنهم أوصلوا أمره إلى القضاء فأخذ عليه تعهد في المحكمة الجنائية أن لا يستعمل مرة أخرى تلك الألفاظ القبيحة والسب والشتم والقذف ضد مخالفيه وقال الغلام نفسه «أنا عاهدت أمام نائب الحاكم بأني لا استعمل بعد ذلك ألفاظا سيئة»^(٦).

(١) حاشية أنجم آثم ص ٢٥ .

(٢) إعجاز أحمددي ص ٧٥ .

(٣) نجم الهدى ص ٢١٥ انظر القادياني والقاديانية ص ١٠٦ .

(٤) ست بجن للغلام ص ١٧٢ ، القاديانية لإحسان إلهي ص ١٤٣ .

(٥) ذكر الأستاذ إحسان إلهي والعلامة المودودي والندوي كثيرا منها .

(٦) مقدمة كتاب رب البريه ص ١٣ للغلام ، القاديانية ص ١٤٤ .

ولكنه لم يف فهذا هو يقول في ضميمة الوحي في معرض تعداده للنعم الوافره عليه يقول : « ويطرد - أي الله - اعداءه المؤذنين كالكلاب ويؤتبه مالم يؤت أحد من المعاصرين»^(١).

وتجد تفاصيل كثيرة فيما كتبه عنه العلامة الندوي والمودودي وإحسان إلهي رحمهم الله حيث يظهر القادياني فيما ينقله عنه هؤلاء الأعلام أنه كان سبابا فاحشا لايدانيه أحد في هذه الصفة .

كما عرف عنه التناقض في القضية الواحدة حيث يذكر شيئا ثم يذكر آخر يدل على كذبه، وحبل الكذب قصير كما قيل ومن الكذب الذي اشتهر به الكذب على الله حيث يأتي بكلام من تليفه ثم يزعم أن الله قاله له ثم يكذب على الرسول ﷺ بوضع أحاديث من تلقاء نفسه كما عرف عنه الاحتيال لأخذ أموال الناس وعدم الوفاء بالتزاماته لهم وتعليل ذلك بما لا مقنع فيه لأحد كما في قصة الخمسين المجلد التي زعم أنه سيؤلفها وأخذ ثمنها مقدما ثم كتب خمسة كتب فقط وامتنع من الباقي ومن إرجاع الأموال أيضا بحجة أنه لا فرق بين الخمسة والخمسين غير الصفر ويظهر التناقض واضحا في أفكاره حين تقارن بين قوله الآتين:

«أنا اعتقد كل ما يعتقدُه أهل السنة كما أنا اعتقد أن محمداً خاتم النبيين ومن يدعي النبوة بعده هو كافر كاذب لأنني أو من أن الرسالة بدأت من آدم وانتهت إلى رسول الله ﷺ»^(٢) وقوله: «والله الذي في قبضته روعي هو الذي أرسلني وسماني نبيا وأظهر لصدق دعواي آيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة ألف بينه»^(٣).

٤ - عمالة القادياني وأسرته للانجليز

لقد جرت بريطانيا على المسلمين مصائب وفتنا عظيمة لايزال المسلمون

(١) ضميمة الوحي ص ٣١ . (٢) تبليغ رسالة : ٢ / ٢ .

(٣) تمة حقيقة الوحي ص ٦٨ ، عن القاديانية لإحسان إلهي ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

يجترونها إلى اليوم في الهند وفي بلاد العرب وكثير من بلدان المسلمين حيث فرقت كلمتهم وأوهنت قواهم وأوجدت عملاء لها في كل بلد إسلامي من أبناء ذلك البلد ومن جلدتهم ويتكلمون بألسنتهم ولكنهم أصبحوا بعد ذلك أشد عليهم من الأعداء الظاهرين ونشرت الفساد والخلاعة إلى جانب نشر المسيحية بين المسلمين وقتلت في سبيل ذلك الأبرياء والصفوة الممتازة من العلماء ليفسحوا المجال للمبشرين ، وليثبتوا كذلك استعمارهم إلى الأبد ومع كل هذا وغيره نرى الانجليز وهم مسيطرون على الهند يبحثون فيها عن عميل لهم فكان المطلوب ووجدوا القادياني خير من يمثل لتحقيق مآربهم ويقدم طاعتهم على طاعة ربه ودينه الذي كان ينتمي إليه ويخون أمته الإسلامية التي كان ينتسب إليها ولولا نكايته بعد ذلك بالإسلام والمسلمين وإدخال أفكار هدامه حارب بها العقيدة الإسلامية الصحيحة وأخرج بها كثيرا من المسلمين عن دينهم لولا ذلك لما كان لنا بعمالته لبريطانيا أو غيرها أي غرض لإبراز دوره مع الأنجليز وخدمته لهم لأنه كغيره ممن باعوا أنفسهم لأعدائهم على أن عمالة هذا الشخص لبريطانيا فاقت التصور فإنك لو رجعت إلى أي كتاب من كتب الغلام أو تصريحاته فسترى مدى تعلقه بهم وتفانيه في خدمتهم وتعلقه بهم وطلب رضاهم وتفضيلهم على غيرهم ودعوة الناس إلى الانضواء تحت لوائهم والسير خلفهم في كل شئونهم ومحاکاتهم بكل دقة .

وستري كذلك في الجانب الآخر مدى تعلق الحكومة الانجليزية به وبأتباعه وكيف هيأت لهم المناصب وأغدقت عليهم الأموال ويسرت لهم في داخل الهند وخارجها إلى اليوم كل أسباب التفوق والراحة ودافعت عنهم في كل موقف يتعرضون فيه للضغط ، والنتيجة من كل تلك المواقف للجانبين غير خافية فالمصلحة بينهم مشتركة والهدف واحد.

ومن الأمثلة - وهي كثيرة - على خدمة هذا المتنبئ لبريطانيا قوله في منع

الجهاد: «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر - الانجليز - من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملاً خمسين خزانة!! وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى» (١).

وقال أيضاً في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة: «لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها وألغى فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وحدثت تحولاً في مئات الآف منهم» (٢) ولاشك أن هذا الكلام من الخزي المفضوح لنبوته حتى لكأنه بعث لتأييد بريطانيا والدفاع عن مصالحها وإضفاء الشرعية على استعمارها لبلاد المسلمين، ويقول كذلك في تملقه للانجليز وتذكيرهم بمجهود وجهد اتباعه لهم «والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي هي من غرس الانجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية وتوصي رجال حكومتها أن تعاملني وجماعتي بعطف خاص ورعاية فائقة» (٣) وهناك نصوص كثيرة بعضها بالأردنية وبعضها بالفارسية وأخرى بالعربية يتناقلها العلماء عنه للتأكيد على عمالته لأعداء الإسلام وعلى رأسهم عدوهم اللدود بريطانيا وجد فيهم القادياني ضالته المنشودة ووجدوا هم أيضاً ضالتهم وما تحمله في شخص

(١) شهادة القرآن ص ٣ ، القادياني والقاديانية ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) تبليغ رسالة ٧ / ١٠ ، القادياني والقاديانية ص ٩٥ .

(٣) تبليغ رسالة ٧ / ١٩ - ٢٥ المصدر السابق ص ٩٨ ، ٩٩ .

القادياني ففاضت قريحة القادياني فأثاد بفضلهم ومنتهم المزعومة على العالم الإسلامي قاطبة والهند خاصة وبقدر ما ارتبط هو وزمرته بأعداء الإسلام بقدر ما ازداد بعده عن الإسلام والمسلمين ونفرت عنه القلوب واستحوذت عليه الشياطين وكان موقفه هو وأتباعه في غاية المقت بالنسبة لأهل السنة وعامة المسلمين فإنه ناصبهم العداة ورأى أن الثورات التي يقومون بها على المستعمرين أنه من فعل العقول الجامدة والحماقة وكان يثبطهم بكل مألديه من قوة وحيلة لمنعهم من جهاد هؤلاء الغزاة للبلاد وللدین ويصيح فيهم أن الجهاد حرام وقد انتهى وقته قبل مجيء القادياني وأما بعده فالجهاد منكر يجب - على حد زعمه - تركه والتسليم للحكومة التي أمر الله بطاعتها ؛ أي حكومة بريطانيا الكافرة وقد تمثل في وضوح تام ولاء القاديانية للانجليز أنهم دائماً يظهرهم سرورهم وابتهاجهم بسقوط أي دولة إسلامية في يد الاستعمار ويحتفلون بذلك ويعتبرونه من أسعد أعيادهم لأنهم يعتبرون المكان الذي تصل إليه بريطانيا هو المكان الذي تصل إليه القاديانية وعلى هذا فإن عز القاديانية وانتشارها مرهون بعز الانجليز وانتشارهم فكيف لا يفرح القاديانيون بانتصار بريطانيا وإنكسار المسلمين بعد ذلك ولقد صرح بهذا كبار القاديانية ابتداء بالغلام وخلفائه مثلهم في هذا مثل سائر الباطنية حين يفرحون بمصائب المسلمين ويحزنون من أفراحهم وهنا أدلة كثيرة من أقاويل القاديانيين في هذا المسلك منها ما قاله ابن الغلام - محمود أحمد - حين استولت بريطانيا على العراق حيث ألقى خطاباً قال فيه : « إن علماء المسلمين يتهموننا بتعاوننا مع الانكليز ويطعنوننا على ابتهاجنا على فتوحاته فنحن نسأل لماذا لانفرح ولماذا لا نسر ؟ وقد قال إمامنا بأنني أنا المهدي وحكومة بريطانيا سيفي فنحن نبتهج بهذا الفتح ونريد أن تري لمعان هذا السيف وبرقه في العراق وفي الشام وفي كل مكان ^(١) » ولعله قال هذا الكلام - أنه مهدي - قبل أن يرقى نفسه إلى « نبي » .

(١) جريدة الفضل ٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ م .

وقال أيضا عندما احتلت بريطانيا القدس - وهي المدينة التي لا يعترف بها بعد أن حولها إلى قاديان - : « نحن نشكر الله ألف وألف مرة على فتوحات بريطانيا وأن سبب الابتهاج والسرور لأن إمامنا (الغلام القادياني) كان يدعو لفتوحاتها وكان يوصي جماعته بالدعاء لها ، وأيضا فتحت لنا أبواب الدعوة إلى القاديانية التي كانت مسدودة قبل الآن وهذا كله لامتداد دولة بريطانيا إلى بلدان أخرى»^(١).

كما ينقل إحسان إلهي رحمه الله عن جريدة الفضل القاديانية الرسمية مقالا جاء فيه: « أن حكومة بريطانيا هي ترس لنا نتقدم إلى الأمام تحت وقاية هذا الترس الذي لو أبعاد لمزقنا من الرماية فاتحدنا وصار رقيتها^(٢) وعلوها رقيتنا وعلونا ودمارها دمارنا»^(٣).

وقال الغلام نفسه عن ربوة وظل بريطانيا عليهم « قد قال الله عز وجل في القرآن : «وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» ولما جعلني الله عز وجل مثيل عيسى جعل لي السلطنة البريطانية ربوة أمن وراحة ومستقرا حسنا فالحمد لله مأوى المظلومين ولله الحكم والمصالح ما كان لأحد أن يؤذي من عصمه الله والله خير العاصمين»^(٤).

وقال كذلك : « ولولا سيف الحكومة لأري منكم ما رأى عيسى من الكفرة ولذلك نشكر هذه الحكومة لا بسبيل المداهنة بل على طريق شكر المنة ووالله إنا رأينا تحت ظلها أمنا لا يرجي من حكومة الإسلام في هذه الأيام ولذلك لا يجوز عندنا أن يرفع عليهم السيف بالجهاد وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم ويقوموا للبغاوات والفساد ذلك بأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان»^(٥)

(١) المصدر السابق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) جريدة الفضل ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٥م، انظر لتلك النصوص القاديانية لإحسان إلهي ص ٢١-٣٣.

(٤) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٥) ضمیمة الوحي ص ٥٠ هامش (١) .

إلخ الثناء عليهم .

والذي أحوجنا إلى ذكر هذه النصوص من أقوالهم إنما هو بيان خطر هذه الطائفة وانخداع بعض المسلمين بما يبد هؤلاء من الدعوة إلى الإسلام وأنه لا فرق بين القاديانيين وسائر المسلمين ليعرف المسلم في أي مكان وطأة أقدام القاديانيين أنهم أداة تخذيل وإضرار بالإسلام والمسلمين وأنهم جواسيس الانجليز ومعاول هدم للإسلام باسم الإسلام .

وبعد ما قدمنا من النصوص حول عمالة القادياني وأسرته للانجليز أليس من المغالطة المكشوفة أن يتصدى بشير محمود للقول بأن القادياني والقاديانيين لا يلغون فكرة الجهاد ثم يرد على هذا القول بشدة ويهاجم كل من يقول به أو ينسبه إلى القاديانيين نعم إنها مغالطة حين قرر بشير ذلك ثم زعم أن الجهاد الذي ينادون بالغائه ليس هو جهاد الكفار وإنما المقصود به ذلك الجهاد الذي يوحى بأن الرسول ﷺ كان جباراً يقتل الناس لأن الإسلام كما هو تعبيره يعلن إعتراف الدين خوفاً وطمعا بل إن الإسلام هو أول دين يقر بحرية العقيدة وبعد هذه الأقوال ينتهي إلى النتيجة الآتية في فهم الجهاد : الحروب الدينية لا تجوز إلا ضد من يتدخل في الدين ويمنع المسلمين من قولهم «ربنا الله» وأن مثل هذه الحروب (١) لا تهدف إلى هدم المعابد والكنائس ولا إلى إكراه غير المسلمين على ترك دينهم أو إلى قتلهم بل إنما ترمي إلى الدفاع عن سائر الملل والأديان والحفاظ على معابدها إلى أن يقول : «وقصارى القول أن الجهاد الذي أجازته الإسلام هو محاربة من يرغم المسلمين على الارتداد عن الإسلام أو يستعمل القوة لصد الناس عنه أو يقتل الناس لمجرد اعتناقهم للإسلام فمحاربة أحد لغير هذه الجرائم لا تجوز مطلقاً» (٢) ثم زعم أن الجهاد الذي قام به المسلمون إنما هو تقليد للمسيحين

(١) أي التي وقعت في الإسلام .

(٢) دعوة الأمير - معتقد الجماعة الإسلامية الأحمدية ص ٤٠ - ٤٤ .

وهذا الكلام مملؤ بالدس والمغالطة فيقال له إذا انتظر المسلمون الكفار إلى الوقت الذي يمنعوهم فيه من قول ربنا الله فمن اين يقومون للجهاد بعد ذلك مع أن معظم الكفار لا يمنعون أحدا من قولها مادام قد ترك الجهاد وصار عبدا لهم وزعمه أن المسلمين إنما يقومون بالجهاد تقليداً للكفار المسيحيين إنما هو تعبير مفضوح لجهله بفريضة الجهاد في كتاب الله عز وجل وقيام أهل التوحيد بامثالها.

الفصل الثالث

ختم النبوة وموقف القادياني منه

وقد حاول القادياني التلاعب بعقول المسلمين وإيهامهم أن نبوته لا تتعارض مع القول بختم النبوة بمحمد ﷺ مستعملاً في ذلك شتى أنواع التأويلات الباطلة للتمويه والتعتيم على نبوته الجديدة وقد رصد العلماء كل تلك المفاهيم والتأويلات الباطلة وكانت هذه المواقف تمثل البدايات الأولى لظهور الغلام ولكن بعد مدة من الزمن وبعد أن ائتمد طمعه في إثبات النبوة له تورد وعنى وادعى هو وجماعته بكل وضوح أن النبوة لا تزال ولن تزال أبداً تحل بأشخاص وتنتهي عن أشخاص دون انقطاع ، وأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ وركبوا لذلك كل صعب وذلول ولم يكتفوا بأن هذا كفر صريح بما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وبدلاً أن يرجعوا إلى الحق أخذوا يتفننون في بيان مفهوم ختم النبوة على معاني مختلفة وتأويلات ملفقة منها :

١- أن الله تعالى حين يكرم أحداً من أمة محمد ﷺ ويوصله إلى درجة الوحي والإلهام والنبوة فإنه ومع تسميته نبياً لا يتعارض هذا المفهوم مع مفهوم ختم النبوة إذ إن الشخص لا يزال من أمة محمد ﷺ ومن أتباعه ولكن ينتقض هذا المفهوم إذا ادعاه شخص من غير أمة محمد ﷺ فحينئذ يتعارض قوله تماماً مع ختم النبوة^(١). ويقول بشير محمود «إننا نرفض النبوة المباشرة عن غير توسط الرسول ﷺ رفضاً باتاً ولذلك نرفض ظهور المسيح الناصري بعينه لكننا لانكر النبوة التي تضاعف كرامة النبي ﷺ وتزيدها سموً وعلواً»^(٢) وقد أخذ بشير هذا المفهوم عن والده حيث قال الغلام في ضميمته الوحي « وإن قال قائل كيف يكون نبي من هذه الأمة وقد ختم الله على النبوة؟ وهذا سؤال مهم جداً ولكن

(١) مفهوم نص أورده المودودي في كتابه القاديانية ص ٣٣ نقلاً عن كتاب « العين المسيحية للميرزا غلام أحمد » ص ٤١ .

(٢) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية ص ٣٢ .

كيف كان جواب الغلام عنه لقد أجاب بما لا مقنع فيه لأحد وحاد عن الحق وألحد فيه فقال : « فالجواب أنه عز وجل ماسمى هذا الرجل نبياً إلا لإثبات كمال نبوة سيدنا خير البرية فإن ثبوت كمال النبي لا يتحقق إلا بثبوت كمال الأمة^(١) ومن دون ذلك ادعاء محض لادليل عليه عند أهل الفطنة ولا معنى لختم النبوة على فرد من غير أن تختتم كمالات النبوة على ذلك الفرد ومن الكمالات العظمى كمال النبي في الإفاضة وهو لا يثبت من غير نموذج يوجد في الأمة^(٢) .
والمغالطة في هذا الكلام :

١- أن النبوة لاتأتي من فيض أحد بل هي تفضل من الله تعالى على من يشاء من خلقه .

٢- لماذا لا يكون النموذج الذي يدعيه الغلام عاما بحيث يحق لكل شخص أن يتصف به فكيف احتكره القادياني بدون أن يذكر أي مبرر له .

٣- أن معنى القول بختم النبوة بمحمد ﷺ : «أنه قد تمت عليه كمالات النبوة وأنه لا يأتي بعده رسول ذو شريعة جديدة ولأنبي من غير أمته»^(٣) أي أن الأنبياء الذين يأتيون بعده ﷺ كلهم يعتبرون من أمته وهذا ليس فيه خروج - حسب مفهوم القادياني - عن القول بختم النبوة بمحمد ﷺ وهذا هو ما أكده بشير محمود في كتابه « دعوة الأمير»^(٤) . ولكن الغلام في آخر أمره اخترع له ولأتباعه شريعة جديدة .

٤ - أن النبي محمدا ﷺ هو صاحب الفيوضات الكمالية التي لم يعطها أحد غيره ولذلك سمي بخاتم النبيين « أي أن اطاعته تمنح كمالات النبوة وأن التفاته الروحي يصنع الأنبياء»^(٥) .

(١) يريد بهذا المفهوم مشابهة قول الباطنية أن الناطق لا يكمل إلا بوجود السوس والصامت .

(٢) ضميمه الوحي حاشية ص ١٨ . (٣) عين المعرفة ص ٩ للغلام .

(٤) دعوة الأمير - معتقد الجماعة الأحمدية الإسلامية ص ٣١ ، ٣٥ .

(٥) حقيقة الوحي للغلام ص ٩٦ .

أي فإذا وجد أن أحداً يدعي النبوة ولم تكن نبوته مصدقة من خاتم النبيين محمد ﷺ فإنها لا تكون نبوة صحيحة مثل الورقة التي تكون رسمية وليس عليها الختم الرسمي وإذا كانت طاعته ﷺ تمنح الكمالات والنبوة فإنه يحق لكل شخص متبع للرسول ﷺ أن يتصف بصفة النبوة بل كان الصحابة في أول هؤلاء فهل يستطيع الغلام أن يثبت أن أحداً منهم ادعاها .

٥ - أن معني الختم هنا هو تأخير النبوة بعد محمد ﷺ ثلاثة عشر قرناً لتظهر عظمة محمد ﷺ ثم يأتي بعد ذلك ما يقتضي إظهار عظمة الإسلام بظهور من تطلق عليه كلمة النبي لتبقي سلسلة النبوة متصلة الحلقات ومن هنا أجريت على لسانه ﷺ كلمة النبي للمسيح الموعود في آخر الزمان ^(١) ويقول بشير محمود :

« إن الشريعة لا تنسخ إلا بالنبوة التشريعية الجديدة المباشرة لكن النبوة التي تستمد من أتباع النبي الأول وتهدف إلى نشر الشريعة السابقة هي مظهر رائع للنبوة السابقة .. وهي في متناول هذه الأمة » ^(٢).

٦ - أن الغلام هو ظل للرسول محمد ﷺ لبقاء النبوة في شخص الرسول ﷺ إلى الآن وإنعكاس ظلية الكمالات المحمدية في الغلام ومن هنا فلا تأثير في نبوة الغلام على القول بختم النبوة بمحمد ﷺ ^(٣) وعلى الناس أن يتركوا عقولهم ويصدقوا هذا الهراء .

ومن الأدلة التي ساقها بشير محمود على عدم انقطاع النبوة قول الله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ إلى آخر الأدلة ثم قال: « يتبين لنا مما ذكرنا آنفاً من الآيات أن صراط الذين أنعمت عليهم هو الانضمام

(١) ارشاد الميرزا غلام أحمد المدرج في عدد جريدة الحكم الصادر في ١٧ / ٤ / ١٩٠٣ م .

(٢) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الإسلامية ص ٣٢ .

(٣) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد - القاديانية ص ٣٣ - ٣٥ .

إلى طائفة الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين إلى أن قال : فلو كان عز وجل حرم علينا نعمة النبوة لما علمنا بأن نلح في طلبها ولما بشرنا بأن اتباع هذا النبي ﷺ يشرف الإنسان بالنبوة» (١).

ومعني هذا الكلام أنه يصح لكل مسلم أن يطلب النبوة بل كل مسلم نبي لأن بشير يقول في معني الآية : « وهل من الممكن أنه عز وجل من ناحية يؤكّدنا بطلب الصراط المستقيم صراط الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ومن ناحية أخرى يقول لنا والعياذ بالله أنني حرمت عليكم هذه النعمة إلى الأبد كلاً» (٢) إلخ كلامه .

٧ - أن القول بانقطاع النبوة وختمها بمحمد ﷺ ينافي حاجة الناس إلى الرسل والأنبياء التي هي دائمة الوجود بين الناس وشهادة الله بإكمال الدين الإسلامي يجب التغاضي عنها لتصدق مزاعم القادياني .

٨ - كما أن القول بختم النبوة بمحمد ﷺ فيه اتهام لله بأنه نفذت خزائنه وأنه لم يعد قادراً على إرسال الرسل كما يزعم بشير محمود ولكي لا نصف الله بالعجز يجب أن نثبت أن والده نبياً ورسولاً .

حقاً لقد كفر القاديانيون وبكل جرأة بما جاء عن الله في كتابه الكريم وفيما قررته السنة النبوية من ختم النبوة بمحمد ﷺ وهي نصوص صريحة واضحة تسلطت عليها الباطنية من قاديانية وصوفية وبهائية وغيرهم من فرق الضلال فأولوها على حسب أهوائهم بتأويلات في غاية الجهل والتكلف الشنيع والله متم نوره ولو كره الكافرون .

فإن الله تعالى يقول ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ .

(١) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الإسلامية ص ٣٨ .

(٢) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الإسلامية ص ٢٥ .

فالآية صريحة وواضحة في معناها وفي دلالتها على انقطاع النبوة بمحمد

ﷺ.

فجاء الدجاجلة كالقادياني وغيره وتسلطوا على معناها فأولوها تأويلات أجمع المسلمون على أنها باطلة مثل تأويلاتهم السابقة لمعني خاتم النبيين من أنه أفضلهم لا غير أو تأويلهم لها بمعني أن الرسول ﷺ مثل الخاتم الذي يختم به على المعاملات الرسمية - المهر - من كونه زينة لهم وغير ذلك من المعاني الباطلة - أو زعمهم حين رأوا ضعف ذلك التأويل السابق أن معني الآية إثبات أن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين أصحاب الشرائع المستقلة لا الأنبياء الذين لم يأتوا بشرائع مستقلة عن التي قبلها بل جاءوا متممين ومكملين للشرائع مثل حال القادياني بالنسبة للشرعية الإسلامية التي هي في حاجة إلى من يكملها كالقادياني وغيره وهي أفكار لا تجد لها رواجاً إلا بين الجهال ومن قل خوفهم من ربهم فأثروا الدنيا على الآخرة أو من كان له هدف يريد تحقيقه من وراء هذه الحركات الهدامة وفي شرح الآية هذه يقول بشير الدين محمود ابن الغلام أحمد : « إن الخاتم بفتح التاء معناه الآلة التي يختم بها وليس الانتهاء - الخاتم يتخذ للتصديق ومعني الآية إذاً أنه صلي الله عليه وسلم آلة الختم التي ختم بها جميع النبيين » إلى أن يقول : « والخلاصة أن هذه الآية لا تحظر النبوة التي ذكرناها آنفاً ولكنها تنفي النبوة التشريعية أو النبوة المباشرة»^(١).

وفي قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ استنتج من هذه الآية عدم انقطاع النبوة قال ويتبين من هذه الآية أن الأنبياء سيبعثون في هذه الأمة أيضا لأن الله تعالى يذكر هنا الأمة المسلمة بأن الأنبياء إن بعثوا إليكم فعليكم أن تؤمنوا بهم إلى أن يقول أيضا إن سلمنا أن «إماما» للشرط فإنها مع ذلك تدل على أن

(١) دعوة الأمير معتقدات الجماعة الأحمدية ص ٣٤ .

النبوة غير منقطعة^(١).

وبعد هذا الكذب على الله في معنى الآية يضيف كذبا آخر على النبي ﷺ في إثبات عدم انقطاع النبوة بعده ﷺ حيث أثبت أن المسيح نبي قال: «وعلاوة على شواهد القرآن الحكيم يتبين من أحاديث الرسول ﷺ أيضا أن باب النبوة ليس بمسدود على الإطلاق لأنه ﷺ وصف المسيح الموعود بصفة النبي مرارا ولو لم يمكن وجود النبوة مطلقا لما وصفه النبي ﷺ بصفة النبي»^(٢).

وغريب جدا هذا الفهم القاصر لخليفة القادياني في زعامة القاديانيين أن يستدل بإثبات النبوة لعيسى عليه السلام استمرار تجدد الأنبياء وأن يستدل من أمر الله لبني آدم بعد اهباطه أيهم إلى الأرض بالإيمان بالأنبياء الذين سيرسلهم على استمرار النبوة بعد محمد ﷺ هذا فهم يدعو إلى العجب حقا وهذه حجة من لاحجة له وكم تناقض القاديانيون هنا فمرة يزعمون أن الغلام نبي مشرع ومرة يزعمون أنه نبي تابع للنبي محمد ﷺ مع أن هذا التفريق لا دليل عليه فإن الله تعالى لم يخبرنا بأن فيه «فرقا» بين النبي المشرع والآخر غير المشرع بل أمر بالإيمان بجميع الأنبياء بدون تفريق بينهم وحتى ما يقوله بعض العلماء بأن النبي هو الشخص الذي يسير على الشرع السابق للرسول قبله ويجدده.

لا ينطبق على الغلام لأنه جاء بتشريعات كثيرة تخالف الشريعة الإسلامية تمام المخالفة ومستقلة تمام الاستقلال^(٣).

وكل تلك التأويلات التي لفقها القادياني وأتباعه بعدم انقطاع النبوة لا يقبلها إلا غافل فارغ عن العلم وجاهل باللغة العربية وجاهل بالدين الإسلامي.

ذلك أن الحتم معناه آخر الشيء ونهايته كما يذكر علماء اللغة^(٤) لا أن معناه

(١) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الأجمدية ص ٤٠ .

(٢) انظر كتاب «لماذا تركت القاديانية محمد اختر» ص ٢٠ ترجمة محمد كلیم الدين .

(٤) انظر كتب اللغة مادة حتم .

أفضل الشيء وأجوده .

وقد وردت النصوص من الكتاب والسنة على المعنى الأول وأنه لاني بعد محمد ﷺ وأنه آخر الأنبياء به أكمل الله الدين وأتم به النعمة على العباد ومن لم يعتقد هذا فلا حظ له من الإسلام وقد قدمنا ذكر بعض الأدلة على ختم النبوة بمحمد ﷺ وهي واضحة صريحة لولا بعد هؤلاء عن الدين واستحواذ الشياطين عليهم .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة غير خافية على طلاب العلم ومن غريب أمر القادياني أن يترك الأدلة الصريحة من القرآن والسنة على أن خاتم الشيء هو آخره وأن الرسول خاتم الأنبياء أي آخرهم ثم يستدل بأقوال الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون على أن خاتم الشيء أفضله واستدل بقول الشاعر :-

فجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي

وخاتم الشعراء هنا يعني أفضلهم وزينتهم كما فسره القاديانيون ولكن معناه في الحقيقة أن الشاعر - وهو حسن بن وهب - يظن أن أبا تمام الذي قيل في رثائه هذا البيت - أفضل الشعراء المتقدمين ذوي الحكمة والعقل وأنه على حسب ما يعتقد فيه الشاعر أنه خاتم الشعراء أي فلا يمكن أن يأتي بعده مثله هكذا ظن - والظن أكذب الحديث - وعلى أي تفسير فإن القرآن والسنة لا يعارضان بأقوال الشعراء . ولكن الغريق بكل حبل يمسك فإن تأويلات الباطنية من القاديانية أو البهائية أو غيرهم بأن خاتم النبيين أي أفضلهم أو زينة لهم كل تلك التأويلات لا يلتفت إليها أي مسلم شرح الله صدره للإسلام ولا شك أن نسبة هؤلاء للرسول ﷺ بأنه كالمهر في الورقة ، هذه إهانة للرسول ﷺ ، فالذي يحب الرسول ﷺ ويحترمه لا يستجيز لنفسه أن يمثل به خاتم في أسفل الورقة ، فالرسول ﷺ أجل من أن يمثل بهذا .

الفصل الرابع

كيف وصل القادياني إلى دعوى النبوة

لقد تدرج غلام أحمد لدعواه النبوة وسلك مسالك عديدة وقطع مراحل متفاوتة بينها اختلاف واضطراب كل مرحلة بنت وقتها .

لقد كان الميرزا في بدء حياته خامل الذكر لا يعبأ به ولا يذكر بخير أو شر .

١ - ثم اتجه إلى التأليف والمناظرات التي كانت ملتبهة في القارة الهندية بين شتى الأفكار والفرق ، وقد بدأ مناظرا جلدا عن الإسلام والمسلمين مع ما كان يظهر منه بين الفينة والأخرى من غلو في نفسه وتمجيدها وكان علماء المسلمين تجاهه بين الاستبشار والقلق من أن يجمع به فرسه إلى ما لا تحمد عقباه .

ومن هنا بدأت الأنظار تلتفت نحوه وذاع صيته وأعجبته نفسه ومواهبه فبدأ يحتطب في حبله وطلب من الناس أن يبايعوه ، ولم ييخل على نفسه بلقب مجدد العصر « المأمور من الله شبيه المسيح في دعوته إلى الله وأحواله الشخصية» وقد اقتضت سياسة بريطانيا أن يزيدوا من النار اشتعالا فشجعوا قيام المناظرات وافتعال الخصام والعنف بين الطوائف ليشعر الجميع بالحاجة إلى دولة قوية تحميهم وتكون الملجأ لجميعهم وهي سياسة بارعة منهم ، وحين شمر القادياني في بدأ أمره للدعوة إلى الإسلام ودحض حجج خصومه من الهندوس والنصارى وحينما توجه إليه المسلمون أعلن أنه بدأ في تأليف كتاب كبير في إثبات فضل الإسلام وإعجاز القرآن وإثبات نبوة محمد ﷺ والرد على الديانات السائدة في الهند كالمسيحية والآرية^(١) والبرهمية والبرهوسماجية^(٢) وسمى

(١) فرقة من الهنادك أسسها « ديانند سرسوتي » في القرن التاسع عشر المسيحي تمتاز بالحماسة الدينية والنشاط في الدعوة والمناظرة والرد على المسلمين وتدعو إلى الأخذ بتعاليم «ويدا» ونصومه ورفض البدع والمحدثات الداخلة في الديانة البرهمية وتقول بقدوم العالم وقدم الروح والمادة انظر : القادياني والقاديانية ص ٣٥ .

(٢) ديانة هندية جديدة ظهرت في القرن التاسع عشر تحاول الجمع بين تعاليم الإسلام والبرهمية =

هذا الكتاب « براهين أحمدية » وتكفل المؤلف القادياني في أن يجمع في هذا الكتاب ثلاثمائة دليل على صدق الإسلام في خمسين مجلدا يدفع فيه كل الاعتراضات والایرادات التي يعترض بها الكفار عامة على الإسلام وطلب من المفكرين أن يرسلوه بأفكارهم ليستعين بها وطلب كذلك التبرع السخي بالمال لطبع الكتاب فانخدع بذلك كثير من العلماء وعامة المسلمين وفرحوا بهذا الانجاز المرتقب وبدأ القادياني يكتب فكيف تم ذلك ؟

الواقع أن الكتاب كان بمثابة صدمة عنيفة للمسلمين وخيبة أمل مريرة ، فقد أصدر الجزء الأول منه وسماه براهين أحمدية سنة ١٨٨٠م وملاه بمدح نفسه وكراماته وكشوفاته وإعلانات أخرى زكى بها نفسه ثم أصدر الجزء الثاني وكان لا يختلف عن الأول من حيث المضمون ثم أصدر الجزء الثالث سنة ١٨٨٢م ثم أصدر الجزء الرابع سنة ١٨٨٤م وقد ضمن الجزء الثالث والرابع حث العلماء والجمعيات الإسلامية على اقناع الحكومة الانجليزية بأن المسلمين أمة هادئة سلمية مخلصه للانجليز وان جهاد الانجليز حرام وأن حكومتهم نعمة جسيمة من الله ورحمة وأنها هي الدولة الوحيدة التي تحقق أهداف المسلمين وأعاد ذلك وكرره مرة بعد مرة ففطن العلماء له وعرفوا أنه لا يريد إلا الشهرة وكسب المال لا الدفاع عن الإسلام .

وحينما وقف على كتابة خمسة أجزاء بدل الخمسين طالبه المشتركون في قيمة الخمسين جزءا فذكر أنه كان عازما على إصدار خمسين جزءا من هذا الكتاب ولكنه سيقصر على خمسة أجزاء ولما كان الفرق بين الخمسين والخمسة هو صفر واحد فقد أنجز وعده بإتمام خمسة أجزاء وأنه لا حق لهم في المطالبة بعد ذلك حسب مزاعمهم .

= وتقر التوحيد وتنكر النبوة والإلهام ومؤسسها: « راجه رام موهن راي » انظر: القادياني والقاديانية

ص ٣٦ .

ولقد معج الناس سماع هذا الكتاب لأنه أتخمه بالإلهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الإلهية والنبوات والتحديات ومدح الانجليز مما يطول نقله وتثقل قراءته ثم أعلن بعد ذلك أنه هو نفسه المسيح الموعود لأنه تواتر - حسب قوله - عليه الإلهام « إنك أنت المسيح الموعود »^(١) ثم جاءت سنة ١٩٠٠ وبدأ الخواص من أتباعه يلقبونه بالنبي صراحة وكان موقف الغلام إزاء هذه النقلة الخطيرة متمسما بالحذر والمراوغة فكان يعجبه هذا اللقب وييدي بين خاصته التأييد لهم .

ويظهر لمن يخالفه كلمات يمتص بها غضبه بما كان ييديه من تأويل نبوته بما يشعر بالتواضع مثل « النبي الناقص » أو « النبي الجزئي » أو النبي المحدث عليها تخفف حرارة إمتعاض المخالف له ولم تدم هذه الفترة طويلا فبعد سنة ١٩٠١ م أسفر عن وجهه الحقيقي بأنه نبي كامل وأن كل ما قاله أو كتبه من أنه نبي غير كامل صار منسوخا بثبوت نبوته .

ثم أدركه بعد ذلك عرق السوء في سنة ١٩٠٤ م فاحتقر النبوة ورآها غير كافية في شخصه فادعي أنه « كرشن » وهو معبود من معبودي الهنادك ولعله طمع في ميل الهنادك^(٢) إليه وهو في هذه الدعوى الخطيرة لم يأت بجديد فهو خلف لأسلافه من الطغاة الذين ادعوا الألوهية على مر العصور .

٢ - إلهاماته

دعوى أي شخص أن الله ألهمه كذا وكذا من الأمور اليسيرة التي هي بإمكان كل إنسان أن يدعيها إلا أن الخطر يكمن في ظهور النتائج - على حد قول أحد الشعراء :

من تحلى بما ليس فيه فضحته نتائج الامتحان

(١) انظر القادياني والقاديانية ص ٣٥ - ٤٢ ومن ٥٠ - ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٢ ومراجعته التي نقل عنها من

كتب الغلام بالأردية ، وانظر القاديانية للحموي ص ١٧ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

على أن ما يحصل للنفس من إلهام ليس له مورد واحد بل عدة موارد فقد يرد عليها الإلهام من الله تعالى وهنا لا بد من أهلية صاحبها وتقواه وصدق إخلاصه لربه وصفاء توحيده .

وقد يرد عليها الإلهام من وساوس الشياطين إذا كان صاحبها لائقا بذلك بعيدا عن الله .

والهجمات الغلام كلها من هذا النوع ، وقد ظهر الكذب فيها والتكلف الممقوت رغم أنه يصوغها على غرار الآيات القرآنية يريد أن يوحي به إلى الناس على أنه الهام من الله له ووحي مباشر إليه يتبين ذلك من خلال صيغته وإنشائه .

لقد كثرت إلهامات الغلام التي جعلها بمثابة وحي من الله تعالى وهي أفكار زخرفها وتقول فيها على الله تعالى وتنطع وخرج عن الإيمان بالإسلام وبختم النبوة المحمدية ثم تحول القادياني من شخص مسلم غيور على الدين في أول أمره إلى عدو لدود للمسلمين والإسلام حينما رأى إقبال الناس عليه ودفع الحكومة الانجليزية له إلى الأمام في غيه كما هو عادة الانجليز وخداعهم للناس .

ولهذا فقد وصل به التعلق بالانجليز إلى حد أن الذي يأتيه بالوحي هو رجل في صورة شاب إنجليزي .

بل والوحي نفسه اختلط عليه الأمر فيه فمرة يوحي إليه بالعربية ومرة بالفارسية وأخرى بالأردية بل وأحيانا بالانجليزية إتماما للنعمة .

ويمكن أن أجعل عذر الندوي في عدم الإتيان بتلك الإلهامات التي نزلت على الغلام كلها أجعله عذرا لي وذلك في قوله عن الغلام :

« ثم ذكر الشيء الكثير من إلهاماته يطول نقله وتثقل قراءته على القارئ الأديب إلا أننا نقتصر على مثالين من هذه الإلهامات الطريقة»^(١) .

(١) القادياني والقاديانية ص ٤٥ .

ثم ذكر مثالين منها تكفي القارئ لاصدار الحكم على الغلام ومدى ما وصل إليه من استهتار بكتاب الله وسنة نبيه بل ويعقول الناس بل ويعقله أيضا هو حيث جاء بكلام لا يفهمه حتى هو فضلا عن غيره فمما أورده الغلام في كتابه «براهين أحمدية» قوله : « لقد الهمت أنفا وأنا أعلق هذه الحاشية وذلك في شهر مارس عام ١٨٨٢ م مانصه حريا : «يا أحمد بارك الله فيك ما رميت إذ رميت ولكن الله رمي . الرحمن علم القرآن لتندر قوما ما أنذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين قل إنني أمرت وأنا أول المؤمنين قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا كل بركة من محمد ﷺ فتبارك من علم وتعلم... إلى أن يقول : « يقولون أنني لك هذا أنني لك هذا إن هذا لإقول البشر وأعانه عليه قوم آخرون^(١)... إلى أن يقول : أنني رافعك إلى وألقيت عليك محبة مني لا إله إلا الله فاكتب وليطبع (كذا) وليرسل في الأرض خذوا التوحيد التوحيد يا أبناء الفارس (كذا).... أصحاب الصفة وما أدراك ما أصحاب الصفة... إلى أن يقول :

قبل ارجعوا إلى الله فلا ترجعون . وقيل استحوذوا فلا تستحوذون ولا يخفى على الله خافية ولا يصلح شيء قبل إصلاحه ومن رد من مطبعه (كذا) فلا مرد له^(٢) .

وأكتفي بذكر هذه النصوص على الوحي الذي يزعمه ولكن من الأنفع لطلاب العلم أن يقفوا على الحق جملة الإلهام أو الوحي الذي نزل على الغلام في آخر كتابه ضميمة الوحي ليقف عليه القارئ وليرى مقدار ما وصل إليه هذا الشخص في إقدامه على التلاعب بكتاب الله عز وجل وليرى الوقاحة التامة التي اتصف بها هذا الرجل وعدم خوفه عاقبة أكاذيبه .

(١) لقد صدق في هذا فإن هذا الخلط والتكسير للآيات الكريمة من وضعه وأعانه عليه الحكيم نور الدين البهيري .

(٢) هذا تخويف لأصحاب المطابع أن لا يردوا أي كتاب يصل إليهم من الغلام دون طباعته .

وليرى كذلك جملة من الكلام الركيك والهديان الفاحش والفكر الناقص المضطرب الذي تحدى به البشر .

وكتاب الغلام أو رسالته التي جعلها بعد ذلك ملحقة بكتابه براهين أحمدية وضميمة له صاغها على طريقة القرآن الكريم في قصر الآيات وطريقة الوقوف على رأس كل آية . ثم خلط بين آيات متباعدة دون رابط مع تبديل كلمات القرآن بكلمات من عنده أحيانا وتحريف لألفاظ القرآن أحيانا أخرى مع الجسارة التامة على التلاعب بترتيب الآيات ونطقها وتبديل ما شاء وترك ما يشاء .

وليقف كذلك على جهل الغلام بخالق السموات والأرض وبدائيته في ذلك حيث لفق ٩٧ صفحة ليضاهي بها القرآن الكريم^(١) .

وقد تحدى الغلام البشر أن يأتوا بصفحات من مثل كلامه الذي هو كالقرآن فقال : يرد على الذين يقولون بأن كلامه مسروق وليس بإلهام من الله :

« ووالله إنه ظل فصاحة القرآن ليكون آية لقوم يتدبرون . أتقولون سارق فأتوا بصفحات مسروقه كمثلها في التزام الحق والحكمة إن كنتم تصدقون»^(١) .

هذا وهو القائل :

« الا لعنة الله على من أفترى على الله أو كذب الصادقين وكل من كذب الصادق أو افترى جمعهم الله في نار أعدت لهم وليسوا منها بخارجين قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين»^(٢) .

وبعد أن تحدى الغلام البشر أن يأتوا بصفحات من مثل الوحي الذي جاءه عاد وتحدى البشر أن يأتوا بآية من تلك الآيات التي تلقاها عن الله تعالى قائلًا ومقسما «ووالله لو اجتمع أولهم وآخرهم وخواصهم وعوامهم ورجالهم

(١) انظر لذلك كتاب الغلام « براهين أحمدية » ٢٣٩/٣ - ٢٤٢ ، ٥٠٩/٤ و ص ٥٥٤ - ٥٥٦ نقلا عن القادياني والقاديانية ص ٤٢ - ٤٤ .

(٢) ضميمة الوحي ص ١٠ . (٣) المصدر السابق ص ١١ .

ونسأؤهم ما استطاعوا أن يأتوا بآية كما نعطي من ربنا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»^(١) ومن أقوى ما أوحى إليه هذا الكلام «فروا من مائدة الله ورغفانها وانتشروا وبقيت الخوان على مكانها وآثروا عصيدة الدنيا وتحلبت لها أفواههم وتلمظت لها شفاههم»^(٢) إلخ فمن يستطيع أن يأتي بمثل هذا غيره.

وقد ذكر أن من الأدلة على نبوته أنه كان قد نفش في خاتمه « أليس الله بكاف عبده يا أهل الآراء»^(٣) قبل أن يخبره الله بأنه نبي فاعجب لهذا الدليل أيها العاقل وذكرا أن الخاتم مضى عليه أكثر من ثلاثين سنة ولا يزال محفوظا لديه فضلا من الله ورحمة ومع هذا الفضل من الله عليه فقد سجل على نفسه أنه كان يكتنم بعض الوحي خوفا من الحكومة فقد نبأه الله أن رجلا من اعدائه اسمه سعد الله سيموت فأراد أن ينشر هذا الإلهام فثناه عنه وكيله فقال .

« فأردت أن أفصله في كلامي وأشيع ما صنع الله بذلك الفتان .. فمنعني من ذلك وكيل كان من جماعتي وخوفني من إرادة اشاعتي وقال لو أشعتها لا تأمن مقت الحكام ويجرك القانون إلى الآثام ... وليست الحكومة تارك المجرمين»^(٤).

فكيف يكتنم الوحي لعلا يكون مجرما أمام الحكومة وصدق الله ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ .

ومن إلهاماته الأخرى هذه العبارات :

١ - إني ألهمت ان شاء الله^(٥) .

٢ - إني ألهمت رجل معقول^(٦) .

٣ - اني ألهمت الأسف كل الأسف^(٧) .

(١) ضميمه الوحي ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١ .

(٣) ضميمه الوحي ص ٣١ .

(٤) ضميمه الوحي ص ٣٩ .

(٥) البشرى للغلام : ٢ / ٦٥ .

(٦) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٧) مجموعة إلهامات الغلام - البشرى : ٢ / ٧١ .

٤ - أنني ألهمت جوهدي رستم^(١) على .

٥ - فراش العيش^(٢) .

٦ - أنت مني بمنزلة أولادي^(٣) بهذه الوثنية زعم أن الله خاطبه - تعالى الله -

عن افترائه .

وهناك إلهامات كثيرة ممله كما ذكر الندوي بعضها وذكر المودودي بعضا وذكر إحسان إلهي بعضا منها^(٤) أيضا ويكفي مجرد قراءتها دليلا واضحا على شخصية القادياني وشعوذته .

٣ - دعواه أنه المسيح الموعود

بعد أن أعاد القادياني وأبدي في دعوى الإلهام انتقل إلى الدعوى الثانية وهي أنه المسيح الموعود قال في ضميمته الوحي « واتي المسيح الموعود مهجرا بأمر الله العلام ليظهر الله ضيائه التام على الأنام بعد الظلام »^(٥) إلا أن العلماء يذكرون أن الفضل في هذا التوجه يعود إلى صديقه الحكيم نور الدين ويتضح ذلك في رسالة بعثها القادياني ردا على رسالة لصديقه الحكيم الذي كتب إليه إقتراحه المشهور للغلام في أن يدعى أنه المسيح فكتب له الغلام مبديا تواضعه في أول الأمر وعدم طموحه إلى ذلك جاء فيها قوله : « لقد تساءل الأستاذ الكريم ما المانع من أن يدعي هذا العاجز^(٦) - أنه مثيل للمسيح وينحى في جانب مصداق الحديث الذي جاء فيه أن المسيح ينزل في دمشق ، وأي ضرر في ذلك ؟ فليعلم الأستاذ الكريم أن العاجز ليست له حاجة إلى أن يكون مثيلا للمسيح ، إن همه

(١) البشري ص ٩٤ .

(٢) البشري ص ٨٨ .

(٣) « أربعين » حاشية ص ٢٣ .

(٤) انظر القادياني والقاديانية ص ٤٢ - ٤٤ وانظر ما هي القاديانية وانظر القاديانية دراسة وتحليل

ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٦) يعني الميرزا نفسه .

(٥) ضميمته الوحي ص ١٢ .

الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين»^(١) وما أَلطفه من تواضع لوبقي عليه إن كان صادقاً في هذا الكلام إلا أنه قد يتبادر إلى الذهن أن ما أظهره هنا من التحرج والتواضع يحتمل أنه :

١ - كان يخاف مغبة هذه الدعوى .

٢ - أو أنه قالها قبل أن تختمر الفكرة في ذهنه .

٣ - أو أنه كان ماكرًا يريد أن يستثبت من رغبات الناس ويسبر غورهم وبالأخص صديقه المذكور .

ومهما كان فقد وجهه الحكيم إلى دعوى أنه مثيل للمسيح وبين له الخطة في ذلك بتأويل الأحاديث على وفق دعوى الغلام وربما لم يكن الحكيم نور الدين وحده مصدر هذه الفكرة بل الإنجليز أيضاً بطبيعة الحال كان لهم دور بارز في إضرارها ليوجهوها بعد ذلك الوجهة المطلوبة لهم والتي أول أهدافهم منها محو فكرة الجهاد من أذهان المسلمين وعلى أي حال كان فقد قبل الميرزا مشورة صديقه في أن يصبح نبياً وتؤكد لديه أن الفرصة قد واتته ومن هنا بدأ الميرزا غلام أحمد في تنفيذ تلك الفكرة وأخذ يدعو إلى ذلك بكل ما يستطيعه من إمكانيات .

قال الندوي: «وهنا تتميز الفكرة القاديانية عن الديانات السماوية والدعوات النبوية تميزاً واضحاً فإن الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - ينزل عليهم الوحي من السماء ويمتلئون إيماناً وثقة برسالتهم ، ولا تنبثق عقيدتهم أو دعوتهم من اقتراح أو توجيه»^(٢) كما حصل للغلام المذكور وقد أخذ القادياني بعد ذلك يدل على أنه هو المثيل للمسيح الموعود الذي بشرت به الأحاديث وأنه ينبغي على كل مسلم أن يشكر الله على نزول المثيل الموعود وهو القادياني في عصره الجديد أما المسيح ابن مريم حسب زعمه فإنه لا يعود

(١) مکتوبات أحمدية ٨٥/٥ ، نقلا عن القادياني والقاديانية ص : ٥٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ٥٣ .

إلى الأرض ولكن الذي سيعود هو المثل للمسيح والشبيه له لا المسيح نفسه ولذلك فإن شبه المسيح تماما هو القادياني وعلى الناس أن يصدقوا هذا التفسير منه ويتركوا ماجاء من النصوص في ثبوت عودة المسيح ابن مريم الذي أرسل في عصره إلى بني إسرائيل لأن عودته إنما هي مثال للمسيح الهندي الغلام أحمد ولقد ألف عدة كتب في إثبات هذا المفهوم الجديد وله نصوص كثيرة فيه يمكن أن نقتصر منها على هذا المثال من كلامه الذي جاء في كتابه « توضيح مرام »^(١) ترجمة الأستاذ الندوي^(٢) حيث قال « ان المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح ابن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصري وأنه سينزل من السماء في عصر من العصور وقد أثبت في كتابي - يعني فتح إسلام - « أنها عقيدة خاطئة وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدم مثل المسيح وأن هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام ومن هنا فإنه لامناس من تقمص شخصية المسيح والعراك المرير لا نتزاعها وتسليم المخالفين له بها .

وقد أكثر من الكلام حول وفاة المسيح وتحقيق أنه كان له أب وأن المقصود بكونه لا أب له أي أنه جاءه العلم من غير تعلم^(٣).

دور صديقه الحكيم نور الدين في دفعه إلى الأمام

لقد كان لنور الدين اليد العليا على الغلام حيث كان يمهده للصعاب ويشاركه في إبراز القضايا الخطيرة وطريقة حلها وتوجيهها ، ومن ذلك تفسير دمشق الوارده في صحيح مسلم أن المسيح ينزل في دمشق . فكيف ذلك ونزول القادياني كان في قاديان وبين البلدين من البعد وعدم العلاقة بينهما مالا يخفى على أحد .

(١) توضيح مرام ص ٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ٥٧ .

(٣) انظر ضميمه الوحي ص ٥٤ - ٥٥ .

وهذه القضية أثارها نور الدين وهي قضية خطيرة إن لم يوجد لها حل وتوجيه مقبول عند الناس وبعد تفكير اهتدى الغلام إلى الحل الذي اطلعه الله عليه - حسب قوله - وهو أن دمشق التي ينزل فيها المسيح ليست هي دمشق المعروفة بالشام ولكن المراد بدمشق أنها قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية - أي قاديان - فاتفقت في الوصف مع دمشق الشام من حيث إن طبيعة أهل هاتين المدينتين يزيدية . فقال : « وإنه لما كانت قرية قاديان شبيهة بدمشق أنزلني فيها لأمر عظيم - أي قاديان - بطرف شرقي عند المنارة البيضاء من المسجد الذي من دخله كان آمنا»^(١) يعني المسجد الذي بناه بقاديان ليحج إليه أتباعه المرتدون عن الإسلام مضاهاة للمسجد الحرام وجعل عنده منارة بيضاء ليضل الناس في صدق الحديث عليه لنزوله أو ظهوره عند هذه المنارة التي بناها .

٢ - تأويل الرداءان الأصفران :

كما أول نصوصا كثيرة تأويلات باطنية ضالة . مثل تأويل ما جاء في أحاديث نزول المسيح أنه ينزل وعليه رداءان أصفران أولهما القادياني على نفسه بأنهما المرضان الذان كانا يلازمانه وهو الصداق الشديد والدوار الذي في مقدم رأسه وكثرة البول الناتج عن السكر الذي أصابه^(٢) وان الله ابتلاه بهذا للتلايق للخلل في نبوءة الردائين الأصفرين زيادة في تثبيت الناس فيه وسخر من الأحاديث التي تدل على نزول المسيح ابن مريم من السماء وزعم ان النبي محمدا ﷺ ألقى الله عليه علما إجماليا عن المسيح ليكمل تفصيله على النحو المذكور القادياني حين بعثته الجديدة من الهند وقرر أن قبر المسيح ابن مريم موجود في كشمير وتعسف في ذلك وجاء بالعجائب والغرائب من التأويلات التي لا تستند إلا على الهوى وعدم المبالاة وهكذا أثبت لنفسه أنه هو المثيل

(١) ماهي القاديانية ص ٣٨ - ٤٠ ، القادياني والقاديانية ص ٥٨ .

(٢) براهين أحمدية ص ٢٠١ وسيرة المهدي ؛ ٢ / ٢٣٨ .

للمسيح ابن مريم لوجود التشابه التام بينهما في المسكنة والتواضع والثقة في الله والتوكل عليه وتجديد كل منهما للدين كما كان يذكر الغلام .

إلا أنه يرد سؤال مهم وهو أنه من الضروري أن يكون مثيل المسيح أيضا نبيا لأن المسيح كان نبيا؟ وهذا سؤال يبدو أنه قد يشكل عقبة أمام القادياني وهو نفسه صاحب هذا السؤال ولكن أجاب عنه بقوله بعد إيراد السؤال « فالجواب الأول عن هذا ، أن سيدنا ومولانا ما اشترط للمسيح القادم بالنبوة وكتب بكل وضوح أنه سيكون رجلا مسلما متبعا للشريعة الفرقانية شأن عامة المسلمين ولا يظهر شيئا أكثر من هذا»^(١) .

وعلى هذا فهو ليس المسيح وليس نبي قال : « وإنى ما أدعيت قط أني المسيح ابن مريم والذي يتهمني بهذا فإنه المفترى الكذاب بل الذي قد نشر من جانبي منذ سبعة أو ثمانية أعوام هو أنى مثيل المسيح»^(٢) لكنه لم يقف عند هذا الحد فيما بعد ، وهذا الكلام إنما جاء في مرحلة من مراحل التخطيط للنبوة ومن هنا فإنه قد ارتفع بعد أن أثبت مثلته للمسيح إلى أنه هو نفسه المسيح وأمه فقال : « وهذا هو عيسى المرتقب ، وليس المراد بمريم وعيسى في العبارات الإلهامية إلا أنا» وقال « وهو قد سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الأحمدية ثم نشأت في الصفة المريمية إلى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الأحمدية ومازلت أتمو وأتربى وراء الحجاب ثم ... نفخ في روح عيسى كمرم وحملت بعيسى على وجه الاستعارة ثم بعد عدة أشهر جعلت عيسى بعد أن كنت مريم بإلهام جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الأحمدية فهكذا أصبحت ابن مريم»^(٣) وقد حاول الميرزا بشير محمود تأسيس هذه الفكرة حيث زعم أن كلمة « مريم » تعنى حالة ووضعاً خاصاً من أوضاع المؤمنين في مرحلة من

(١) توضيح مرام ص ١٩ .

(٢) إزالة أوهام للميرزا ص ١٩٠ .

(٣) إزالة أوهام ص ٦٥٩ - ماهي القاديانية ص ٤١ .

مراحل حياتهم ثم ينتقلون إلى « العيسوية » الهداية التامة^(١) وبهذا البهتان العظيم والخيال السقيم والعقوق أيضا لأنه صار ابنا لمريم وليس لأمه جراغ بي بي أراد أن يثبت نبوته والذي يظهر لي أن هذه التلفيقات في أفكاره ترجع إلى أنه كان متأثرا بالقول بالتناسخ إلا أنه لم يجرؤ على التصريح به في تلك الفترة فحاول تغطيته بمثل تلك العبارات المملوءة بالغموض عن عمد .

وللعلماء ردود على هذه الأفكار طويلة وفي الواقع أنه لا ينبغي مجرد الاهتمام بها ولا الردود عليها فهي أحط من أن تثبت أمام المناقشة والجدال ، ومن الجدير بالتنبيه إليه أن بشير محمود أحمد في كتابه : « دعوة الأمير » قد ذكر كلاما كثيرا حول إثبات وفاة المسيح عيسى ابن مريم وزعم أن الذين يقولون بحياته إلى يومنا الحاضر أنهم لا يعرفون الله حق معرفته حيث جعلوا المسيح مثيلا له في عدم الفناء وزعم أن اعتقاد حياة المسيح إلى اليوم فيه تأكيد للنصارى في زعمهم ألوهية عيسى وأنه ابن الله وهي مغالطة واضحة فإن المسلمين حين يقولون أن المسيح حي الآن في السماء لا يقولون أن حياته مثل حياة الله بل يثبتون أنه سيرجع إلى الدنيا ثم يموت بعد ذلك كغيره من البشر» وقد اعتبر الميرزا بشير محمود القول بأن عيسى رفع إلى السماء ومحمدا مدفونا في الأرض من أشد الإهانات التي توجه للرسول محمد ﷺ ومنزلته عند الله ويقول كيف أن الرسول محمدا ﷺ حبيب الله تركه للهموم والمصائب ولم يرفعه إلى السماء وعيسى بمجرد أن تعرض لأدنى خطر رفعه الله إليه وجاء بشخص مثيل له ليصلب إلخ ما أورده من مغالطات شريرة فإنه من المعلوم لدى أفهام العقلاء أن كون عيسى رفع ومحمد ﷺ مدفون في الأرض هذا ليس إهانته للرسول ﷺ لا من قريب ولا من بعيد فالأرض والسماء كلها لله وقد اختار الله أن يكون الأمر على ما ذكر ولا يستل الله عز وجل عما يفعل ولا يعترض إلا جاهل ونحن مع

(١) معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية من كتاب « دعوة الأمير » للميرزا بشير محمود إنظر من

النصوص ما أثبتته نثبته وما نفته ننفيه وقد نفت النصوص أن عيسى صلب بل إنه رفع فيجب اعتقاد ذلك والقول بأن الرسول محمدا ﷺ مدفون في الأرض إهانة^(١) له هذه الإهانة لا وجود لها إلا في أذهان المغالطين .

كما أنه أورد أدلة على وفاة المسيح هي في واقعها تشبهات وتحريف للمعاني زخرف فيها القول وظن أنه قد أصاب الحق يحتاج إيرادها والرد عليها إلى دراسة مستقلة .

ومن الأمور التي قررها بشير محمود هو أن والده الميرزا هو المثل للمسيح المتوفى وأن القول بنزول المسيح عيسى ابن مريم مرة ثانية إلى الدنيا يعتبر احتقاراً للرسول محمد ﷺ وهضمًا للقول بقدرته الله في إرسال الأنبياء والمصلحين إذ كيف يضطر الله إلى إرسال ميت حسب زعمه - من بنى إسرائيل وأمه محمد ﷺ موجودين . وهذا المفهوم مأخوذ عن ضميمة الوحي حيث قال الغلام القادياني « ويدفنون خير الرسل في التراب ويصعدون عيسى إلى السموات العلى فتلك إذا قسمة ضيزى يبصرون ثم لا يبصرون يرون الحق ثم يتعامون»^(٢) .

٤- ادعاؤه النبوة

وحينما وصل إلى الدرجة النهائية لتدرجه إلى مقام النبوة صرح بآخر تفاصيل الخطة وأزاح الضباب الذي جعله سابقا غطاء للوصول إلى هذه الدرجة التي أعلن فيها نبوته وصال وجمال وتحدى الناس وراهن على صدق نبوته وصدق نفسه أنه نبي ومن هنا انطلق آخذنا في اعتباره أن يغطي الإسلام برداء نبوته الجديدة وأن يتحول المسلمون على مر الزمن من الإسلام الذي إرتضاه الله لنبيه محمد ﷺ ومن اتبعه إلى يوم القيامة أن يتحولوا إلى القاديانية فتصبح قاديان بدلا عن مكة والمدينة وبيت المقدس أيضا وتنتقل مهوى الأفئدة إلى قاديان

(١) معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية من ص ٩ إلى ص ٢٩ .

(٢) ضميمة الوحي ص ٣٥ .

ويصبح زيارة مسجد القادياني والسلام على القادياني بدلا عن زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله محمد ﷺ وتصبح تعاليم القادياني بديلة لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية إلى آخر ما كان يهدف إليه وفي ظني أن المنية عاجلته قبل أن يكمل المخطط تماما ولربما لو امتدت به الحياة بعد تلك الفترة التي قضاها لكان له شأن آخر .

وعلى كل حال فقد ادعى الغلام النبوة وبين المهام التي اسندها الله إليه حسب زعمه فقال : « أنا على بصيرة من رب وهاب بعثني الله على رأس المائة لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفئ نار النصرانية وأقيم سنة خير البرية ولأصلح ما فسد وأروج ما كسد وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود من الله عليّ بالوحي والإلهام وكلمني كما كلم رسله الكرام»^(١) إلا أنه تميز عن الرسل بخاصية لا توجد فيهم وهي :

أن الرسل كانوا يفرحون بأخذ النبوة ويتقبلونها بلهفة بينما هو تقبلها رغم كراهيته لها وإيثاره الخمول على الشهرة وهذا في قوله :

« كنت أحب أن أعيش مكتوما كأهل القبور فأخرجني ربي على كراهيتي من الخروج وأضاء اسمي في العالم مع هربي من الشهرة والعروج وليثت عمرا كالسر المستور أو القنفذ المدعور ثم أعطاني ربي ما يحفظ العدا»^(٢) .
وقوله :-

« فأخرجني الله من حجرتي وعرفني في الناس وأنا كاره من شهرتي وجعلني خليفة آخر الزمان وإمام هذا الأوان»^(٣) .

لقد كان القادياني لبقا في إبداء فكرته يمشي خطوة خطوة وينتقل من

(١) ضميمة الوحي ص ٢٢ .

(٢) أي ما يثير غضبهم وحقدهم . انظر لهذا النص ضميمة الوحي ص ٣٤ .

(٣) خاتمة رسالته ضميمة الوحي ص ٨٦ .

مرحلة إلى مرحلة فبدأ يتكلم عن الإلهام والعلم الباطني والعلم اليقيني كمنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي ﷺ والاضمحلال فيه على طريقة الصوفية. ويتكلم عن صفات النبوة والنبي الذي يجمع هذه الخصائص وإمكان ذلك. ولعله كان يدرس الأحوال ويتأكد من وجود المحيط المناسب لهذه الدعوى الكبيرة.

التي ستحدث الضجة العظيمة التي كان يترقبها في المجتمع الإسلامي حين إعلانها. وقد حدث الحادث المرتقب عام ١٩٠٠م حينما ألقى إمام مسجده ويسمى عبد الكريم خطبة الجمعة معلنا فيها أن الغلام صار نبيا رسولا لا يؤمن بالله من لا يؤمن به وحصلت المفاجأة واندعش المصلون لهذا الحدث الغريب وحصل الجدل والنقاش بين هذا الخطيب وبين المسلمين الذين ما كانوا يعرفون عنه إلا أنه عالم ومجدد وداعية إلى الإسلام ومناظرا لخصومه.

فعاد عبد الكريم وألقى خطبة أخرى في هذا المعنى في الجمعة الثانية والتفت إلى الغلام أحمد وقال له « أنا أعتقد أنك نبي ورسول فإن كنت مخطئاً نبهني على ذلك ، ولما قضيت الصلاة وهم الميرزا بالانصراف أمسك الخطيب عبد الكريم بذيلة وطلب منه توضيح هذا الأمر فأقبل إليه الميرزا وقال « هذا الذي أدين به وأدعيه » فارتفعت الأصوات بالنقاش فخرج الميرزا من بيته وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ (١).

ومن هنا شمر عن ساعد الجد في دعوى النبوة بل وتحدى على ذلك وأنه نبي مرسل من الله صاحب شريعة وكفر جميع من لا يؤمن به وأثبت لنفسه أنه رسول من الله (٢) ، وأنه نبي سماه الله بذلك حسب قوله « سماني الله نبيا تحت

(١) محاضرة السيد سرور شاه القادياني صحيفة الفضل القاديانية عدد (٥١) مجلد ٤١٠ يناير

١٩٢٣ م ، القادياني والقاديانية ص ٦٦ ، ٦٧ ، الآية من سة الحجرات: ٢.

(٢) ضميمة الوحي ١٣ .

فيض النبوة المحمدية وأوحى إلى ما أوحى» (١) .

وقال أيضا :

«وإني والله من الرحمن يكلمني ربي ويوحى إليّ بالفضل والإحسان» .

«وخاطبني ربي أنك بأعيننا فأوفى وعده» (٢) .

وبعد أن صرح بالنبوة أخذ يتدرج أيضا في تلمظته مع المخالفين إلى أن جاء الحكم الأخير عليهم بالكفر والنار فبدأ بالقضية هكذا كل من لا يؤمن بنبوة الغلام ويكفر به يستوجب العقاب إلى حد ما (٣) ولا يكون الإنسان كافرا أو دجالا لأجل انكاره لدعواه إلا أنه يكون ضالا منحرفا عن جادة الصواب ويكون فاسقا وجاهلا جهلا محضا إلى آخر ما وصف به مخالفه في هذه الفترة .

ثم جاءت الفترة النهائية وفيها الشدة والغلظة على المخالفين وإخراجهم من الملة إن لم يدخلوا في دينه بخلاف من مات قبل مجيئه ومن هنا قال : « إن الذين خلوا من قبلي لآثم عليهم وهم مبرؤن والذين بلغتهم دعوتي ورأوا آياتي وعرفوني وعرفتهم بنفسي وتمت عليهم حجتي ثم كفروا بآيات الله وأذوني أولئك قوم حق عليهم عقاب الله خصوصا بعد أن صار مهديا متجسدا بمحمد ﷺ كما زعم (٤) .

ولأن الله أنزل عليه بالالهام « كل رجل لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفا لك هو عاص لله والرسول وهو من أصحاب النار » (٥) .

وهناك نصوص كثيرة في دعوى تجسد محمد ﷺ بالغلام في قاديان

(١) المصدر السابق ص ١٨ . (٢) ضميمة الوحي ص ٢٦ .

(٣) رسالة الأربعين ص ٧ رقم (٤) .

(٤) ضميمة الوحي ص ٤٦ وانظر أيضا إرشاد الميرزا جريدة الفضل ٢٦ / ١ / ١٦١ م .

(٥) حجة الله : محاضرة للميرزا ألقاها في لاهور منقولة من كتاب النبوه في الإسلام لمحمد علي اللاهوري ص ٢١٤ .

وظهوره مرة أخرى داعياً إلى الإسلام ونشره من جديد ، منها :

« أن الله قد أنزل محمدا ﷺ مرة أخرى في قاديان لينجز وعده»^(١) ومنها
« فالمسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء إلى الدنيا مرة أخرى لنشر
الإسلام»^(٢).

ومنها: « فإن المسيح الموعود ليس بشخص غير النبي الكريم بل إنه هو
نفسه»^(٣) وعلى أساس هذا المفهوم فكل من أنكر أو كذب بنبوة الغلام فهو نفسه
تكذيب وإنكار لنبوة محمد ﷺ وكل جزاء يلحق من كذب بمحمد ﷺ هو
نفسه الجزاء الذي يحل بمن يكذب بالقادياني .

وانتقلت نفس الصفات التي اختارها الله لنبيه محمد ﷺ فصارت للقادياني
فهو مفضل ومسجده مفضل وقبره مفضل وقاديان نفسها مفضلة أيضاً ويجب
على المسلم أن لا يرى فارقا بين قبر الرسول محمدا ﷺ وقبر الغلام لأن القبرين
في منزلة واحدة لأن الغلام اسمه أيضاً محمد .

ولهذا فكل آية فيها ذكر محمد فإنها تنطلق أيضاً على الغلام المسيح الموعود
لاتحادهما في الاسم وشمول الرسالة والتجسد ومن هنا فلا غرابة في عدم تغيير
القادياني لفظة الشهادة في الإسلام بل أبقاها على صيغتها الشرعية : « لا إله إلا
الله محمد رسول الله » . لأن القاديانيين يزعمون كما زعم لهم الغلام نفسه أن
من أسمائه « محمداً » فلهذا يكفي ذلك اللفظ عن الإتيان بصيغة جديدة
وفي هذا يقول بشير أحمد ابن الغلام القادياني : « نحن لا نحتاج لدينا إلى
كلمة جديدة للشهادة بنبوة غلام أحمد لأنه ليس بين النبي وبين غلام أحمد أي
فارق»^(٤).

(١) كلمة الفصل لبشير أحمد القادياني ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق ١٤٧ .

(٤) انظر كلمة الفصل ص ١٥٨ ج ١٤ ، القاديانية لإحسان إلهي ص ٨٦ - ٨٧ .

هذا تعليلهم ولعل الصحيح أنهم لم يغيروا الشهادة خبثاً وتقية ليكملوا
تحت شعار الإسلام ما يهدم الإسلام ويحقق أهدافهم وتنتشر تعاليمهم بين العامة
من المسلمين على طرف من الحذر وعمق في التمويه والسير إلى النهاية ببطء
ودقة.

الفصل الخامس

نبوءات الغلام المتنبئ

وبعد أن أثبت لنفسه النبوة كان حتما عليه أن يخبر بالمغيبات على طريقة الرسل الذين يطلعهم الله على غيبه لمصلحة يعلمها عز وجل .
فكان الغلام إذاً على نفس المسلك ولكن كان بينه وبين المسلك النبوي كما بين السماء والأرض .

ما أبعد الفرق بين القوم في شرف و بيننا يا حثالات الحثالات (١)

لقد ظن الغلام أنه بمجرد الأخبار بالمغيبات تثبت نبوته وتناس مصداق ما يخبر به النبي ووقوعه على وفق ما أخبر ولقد خانته الحظ السعيد في أغلب أخباره فكانت تأتي النتائج سلبية و بعكس ما يخبر به تماما مرة بعد مرة ولقد عانى هموما شديدة من ذلك إلا أنه كان يحاول إخفاء ذلك بثتى الأجوبة والحيل لتغطية الفشل الذريع الذي كان يمني به ولكنه كان من الثبات بمكان فلا يفشل في خبر إلا وقد جاء بغيره على طريقة الكهان الذين يصدقون في كل مائة كذبة مرة واحدة لتكون منطلقا لنشرها بين الناس .

وتنبؤاته كثيرة ومتنوعة بعضها يعود إلى حياته الشخصية وبعضها إلى غيره من الناس وبعضها إلى الأحوال الطبيعية والتغيرات المستمرة في الكون وقد قال في بيانه لكثرتها وفي بيان أنها كلها إلهام: «وأنها أبناء كثيرة منها ذكرنا ومنها لم نذكر وكفي هذا القدر للأتقياء»^(٢) وفيما يلي نذكر بعض تلك الإلهامات التي جاء بها للتدليل على نبوته ومنها :-

١ - قصة غرامية حصلت له - لا يهمننا منها إلا جانبها واحدا - ومفاد هذه القصة أن الغلام أحب امرأة تسمى محمدي بيكم بنت الميرزا أحمد بك وهو

(١) نصيحة الاخوان للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ص ٦ . (٢) ضميمه الوحي ص ٥ .

ابن خاله . خطبها الغلام بعد أن زعم أن الله أوحى إليه أنها ستكون زوجة له وأن الله وعده بذلك والله لا يخلف الوعد وتحدى على ذلك كل من أراد أن يحول بينه وبين الزواج بها وجاء بالهجمات وأخبار طويلة وأن الذي يتزوجها غيره لا بد وأن يموت في خلال سنتين ، وخاب أمله ورفض والدها أن يزوجهما منه رغم ما بذل في تحقيق ذلك ، ورغم هذه الصولات والجولات فقد وقع المحذور وتزوجت هذه المرأة من غيره وأنجبت له أولادا وعاش زوجها عيشة هنيئة سنين عديدة ومات الغلام وهو يتحدى من يشككه في أخبار الله له وصدق عليه قوله حين قال متحديا إن لم يتحقق هذا النبأ فأكون أخبث الخبثاء أيها الحمقى يخاطب مخالفه^(١) بل وأكد أن هذا الخبر هو معيار لصدقه من كذبة^(٢) فقد مات ولم يتزوجها لاهو ولا أحد من أقربائه .

٢ - وتنبأ كذلك بأمر كثيرة خاب أمله فيها كلها ، فقد جرؤ على ادعاء أمر خطير جدا يظهر فيه كذب الكاذب بعد فترة بسيطة مهما كان وذلك هو ادعائه علم الغيب ومعرفة وفيات الناس الذين يغضب عليهم حيث يقول : إن فلانا الذي عاداني سيموت بعد كذا من المدة يحددها بالتاريخ فينتظر القاديانيون بفارغ الصبر تحقيق تلك النبوءة فينعكس الحال تماما والأمثلة على ذلك كثيرة وقد لا يهمنا استقصاء هاذلك أنها جزء متمم لدعوى النبوة وفرع عنها . ومادام الأصل قد قام على شفا جرف هار فإن الفرع تبع له وقد صارت أخبار نبؤاته وفشله فيها من الحكايات التي يتسلى بها الناس ومن ذلك :

١ - ماتنبأ به من موت رجل نصراني اسمه عبد الله آثم ناظره فلم يفز الغلام عليه فغضب وأراد أن يمحو العار عن قصوره أمام هذا النصراني فزعم أن عبد الله آثم سيموت إن لم يتب بعد خمسة عشر شهرا حسب ما أوحى به الله إليه وأكد ذلك بقوله : « مافتح على الليلة هو هذا بأني حينما تضرعت وابتهلت أمام

(١) ضميمة إنجام آثم للغلام ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ ، انظر القاديانية لإحسان إلهي ١٧١ - ١٧٢ .

الله عز وجل ودعوت منه بأنه يفصل في هذا الأمر فأعطاني آية بأن الكذاب يموت في خمسة عشر شهرا بشرط أن لا يرجع إلى الحق والصادق يكرم ويوقر وإن لم يموت الكذاب في خمسة عشر شهرا من ٥ مايو سنة ١٨٩٣ م ولم يتحقق ما قلت فأكون مستعداً لكل جزاء يسود وجهي وأذلل ويجعل في جيدي حبل واثنق وأنا أقسم بالله العظيم أنه يقع ما قلت ولا بد له أن يقع»^(١).

رحم الله من قال إن البلاء موكل بالمنطق لقد أوقع الغلام نفسه في مأزق حرج لم يخرج منه بعد ذلك لا هو ولا أتباعه وقد وقع له في هذا الخبر الذي زعم أنه عن الله تعالى أمور :

- ١ - أنه وحي من الله .
- ٢ - حدده بالمدة الدقيقة .
- ٣ - وجدت فيه صفة الخلاف المهيمن .
- ٤ - سب نفسه بأقذع السب إن كذب وقد كذب .
- ٥ - أنه يستحق أن يشنق إن كذب .

فماذا كانت النتيجة لقد كان القاديانيون ونبههم يلهثون مما يجدون من خوف العار وظهور الكذاب وصاروا ينظرون إلى المدة بغاية القلق والهم كأنما «يساقون إلى الموت وهم ينظرون» كل ما مر يوم إصفرت وجوههم وملاؤا المساجد بالصلوات والابتهالات أن يموت عبد الله آثم إلى أن انتهت المدة والرجل في كمال صحته فأسقط في أيديهم ونخاب أملهم .

فادعوا أن عبد الله آثم قد رجع عن النصرانية ولهذا أمهله الله ولم يمته فلما سمع بذلك كتب يكذبهم ويفتخر أنه مسيحي وعاش بعد ذلك مدة .

٢ - نبوءته عن نفسه بأنه لا يموت حتى يتجاوز سنة ١٩٢٠ م ثم مات سنة ١٩٠٨ م^(٢).

(٢) سيرة المهدي لبشير أحمد ص ٧ .

(١) الحرب المقدس ص ١٨٨ .

٣ - نبوءته عن رجل اسمه عبد الحكيم من المسلمين ناظره فغضب الغلام وزعم أنه أوحى إليه أن عبد الحكيم سوف لا يعيش طويلا بل يموت في حياة القادياني فكانت النتيجة بالعكس إذ مات الكذاب منهما في حياة الصادق كما هو تعبير القادياني وعاش عبد الحكيم بعد موت الغلام زمنا»^(١) .

قصة مناظرته مع الشيخ ثناء الله الأمر تسرى ودعاؤه أن يهلك الله الكاذب منهما في حياة الصادق بمرض خطير مثل الكوليرا أو غيرها فاستجاب الله دعاؤه وأمات الكاذب - الغلام - وبقي الشيخ ثناء الله بعده مدة طويلة^(٢) .

وكان يتنبأ بأن زوجته ستلد ولدا جميلا ذكرا وأن الله أخبره بذلك فتلد زوجته أنثى وحدث هذا أكثر من مرة ومع ذلك لم يئس الغلام أن يصدق في أي مرة ومن أكاذيب نبوءته أن الطاعون لا يمكن أن يصل قاديان مادام فيها رسوله - أي يقصد نفسه - حتى ولو استمر الطاعون سبعين سنة^(٣)، فكذبه الله ودخل الطاعون قاديان وفتك بهم بل ودخل بيت الغلام نفسه وكانت وفاته به مع أن الطاعون آنذاك لم يعم البلاد والقرى المجاورة لقاديان كلها قال في ضميمته الوحي: «وآية له أن الله بشره بأن الطاعون لا يدخل داره وأن الزلازل لا تهلكه وأنصاره ويدفع الله عن بيته شرهما»^(٤) وقال أيضا «وجعل الله داره حرما آمنا من دخلها حفظ من الطاعون وما مسه شيء من الأذى»^(٥) .

وتنبأ لأحد أتباعه ويسمى منظور محمد أن زوجته - وكانت حاملا - ستلد ولدا مباركا يسمى بشير الدولة من زوجته محمدي بيجوم فكانت النتيجة أن زوجة منظور ولدت بنتا ثم لم تلد حتى ماتت^(٦) .

وأحيانا كان يتنبأ بوقوع زلازل هائلة يتأثر منها حتى الجن والطيور وأنها ستقع

(١) القاديانية لإحسان إلهي ص ١٨٥ .
(٢) القاديانية ص ١٥٤ ، ١٥٩ .
(٣) دافع البلاء للغلام ص ١٠ - ١١ .
(٤) ضميمته الوحي ص ٩ .
(٥) المصدر السابق ص ١٩ .
(٦) مجلة الفضل سنة ١٩٠٦ م ص ١٢٢ .

في مدة أقصاها كذو وكذا . ولكن النتيجة تظهر لتكذيب الغلام ولا يقع إلا الخير لا الزلازل التي تنبأ بها بأخبار الله له - كما يزعم - .

وتنبأ بأن الله أوحى إليه إلهاما أنه سيتزوج بعد تاريخ سنة ١٨٨٦ م نساء^(١) ذوات بركة وخير ينجبن له أولادا صالحين وكانت النتيجة أنه مات قبل تحقق هذا الوحي المزعوم.

وتنبأ لمولود له اسمه مبارك أحمد بأنه يكون له فضل على العالمين ويكون له شهرة عالمية وأيادي على الخلق^(٢) كانت النتيجة أن الولد مات بعد ثمان سنوات من عمره .

ورغم وقوع القادياني في أكثر من موقع حرج يبطل ما يتنبأ به فإنه لم يتعظ من كل حادثة يكذب فيها بل يشفع الكذبة بأخرى ولعله كان يأمل أن يصيب مرة ويخطيء مرة أخرى ، ولعل هذه المواقف المخزية التي تعرض لها كثيرا ولم ينته عن غيه إنما تدل على بلادته وعدم احترامه لنفسه وتدل كذلك على أن أتباعه أيضا لا عقول لهم بل هم في عداد البهائم حيث لم يرتابوا في تلك النبؤات الكثيرة التي كذب الله فيها الغلام خصوصا وأنها تتعلق بأمر لا تخفى نتائجه كמות فلان وولادة فلان ... إلخ وقد بدأ القاديانيون يفسرون تلك النبوءات تفسيرات وتأويلات متكلفة ليوهموا الناس بصدق غلامهم كما أن الغلام نفسه وبعد أن ذاق الأمرين من تنبوءاته الكاذبة سلك مسلكا آخر لتنبوءاته وهو أنه إذا سمع بحادثة مازعم على الفور أنه كان قد تنبأ بها وأخبر بها قبل وقوعها وكل كاذب يجد من يصدقه ولكل صوت صدى ، وأحيانا كان يتنبأ بوقوع أمور طبيعية لا بد من وقوعها كقوله مثلا : ألهمت أن فلانا سيموت وألهمت أن حربا ستقع بين الناس وأن الزلازل ستحدث ونحو ذلك من الأمور التي تقع عادة فإن جاءت كما أخبر فرح بها هو وأتباعه وإن كان العكس نكسوا رؤسهم قليلا ثم

(٢) تزيق القلوب ص ٤٣ .

(١) تبليغ رسالة : ١ / ٥٨ .

يأخذون في جمع وتلفيق المبررات .

وفي كتابه - ضميممة الوحي - تنبأ في أكثر من مكان بأن الناس سيأتون إليه في قاديان أفواجا فقال عن نفسه عن طريق الإلهام « ويعان من حضرة الكبرياء وتأتيه من كل فج عميق أفواج بعد أفواج كبجر موج حتى يكاد أن يسئم من كثرتهم ويضيق صدره من رؤيتهم ويروعه ما يروع العايل المعيل عند كثرة العيال وحمل الأعباء وقلة المال » (١).

فكانت النتيجة عكس ذلك حوربت القاديانية من قبل المسلمين في الهند وباكستان حربا شعواء وخرجت مهزومة محكوم عليها بالارتداد والكفر بالله ولم تنتشر إلا في بلدان نائية بين جهلة المسلمين وعوامهم .

(٣) ضميممة الوحي ص ٣ .

الفصل السادس

غلوه وتفضيله نفسه على الأنبياء وغيرهم

لم يقتصر الميرزا على التنبؤ بل حمله غروره على أن فضل نفسه على أكثر الأنبياء والمرسلين وأنه جمع فيه ما تفرق في أنبياء كثيرين فما من نبي إلا وقد أخذ منه قسطا حسب قوله الآتي : « لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد وإنني ذلك الرجل »^(١) وقوله : « وآتاني ما لم يؤت أحدا من العالمين »^(٢) كما فضل نفسه على النبي ﷺ حيث قال متطاولا :

له خسف القمر المنير وإن لي غسا القمران المشرقان أتتكر^(٣)

وله نصوص كثيرة في تفضيله نفسه على سائر البشر مع أنه كان في أول أمره يصف نفسه بالمسكين والضعيف ثم جاء الميرزا بشير الدين محمود خليفته الثاني ليعلن غلوه فيه بقوله : « أن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل »^(٤).

وقال عنه أيضا أنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء^(٥) وقال أيضا مقارنا حال الناس في عهد والده وحالهم في عصر الرسول ﷺ والفيوضات الربانية في حياة كل منهما ولم يحرم - أي الرسول ﷺ الدنيا من الفيوض الروحانية بل زادها غزارة وتدافقا وإن كانت تجري من قبل كترعة صغيرة فالآن أصبحت كنهر زاخر لأن العلم لم يبلغ عندئذ دوره الكمال لكن الآن قد بلغ أوجه^(٦) ثم ادعى الغلام أنه عين محمد ﷺ فقال :

(١) آئنة كمالات اسلام ص ٩٠ . (٢) ملحق حقيقة الوحي ص ٨٧ .

(٣) اعجاز أحمد ص ٧١ وفي ضميمة الوحي ص ٧ قال في تعداده لآياته « منها أن الشهب الثواقب انقضت له مرتان وشهد على صدقه القمران إذا انخسفا في رمضان وهو كلام كاذب

لم يذكره غيره . (٤) حقيقة النبوة للميرزا بشير الدين محمود ص ٢٥٧ .

(٥) صحيفة الفضل ج ٤ عدد ٢٩١ سنة ١٩٢٧ م إبريل (انظر القادياني والقاديانية ص ٧٦ ، ٧٨) .

(٦) دعوة الأمير - معتقدات الجماعة الإسلامية الأحمدية ص ٣١ .

«من فرق بيني وبين المصطفي فما عرفني وما رأى^(١) كما ادعى كذلك أنه مظهر
« لكرشن » وأنه برز فيه وتجلي^(٢) ثم ادعى أنه ابن الله تعالى الله عن أقواله
الكفرية علواً كبيراً - فقال إن الله ألهمه أنت مني بمنزلة أولادي^(٣) وخاطبه الله
مرة بقوله : « اسمع يا ولدي^(٤) يا شمس يا قمر^(٥) أنت من ماءنا وهم من فئس^(٦) .
ومن هنا رأى بأن مدحه لنفسه من الأمور الجيدة » فقال يصف شخصه
ويقارن بينه وبين الأماكن المقدسة :

« وإني والله في هذا الأمر كعجة المحتاج كما أن في مكة كعجة الحجاج وإني
أنا الحجر الأسود الذي وضع له القبول في الأرض والناس بمسه يتبركون لعن الله
قوما يقولون أنه يريد الدنيا وإنا من الدنيا مبعدون » .
قال في الهامش « هذه خلاصة ما أوحى الله إليّ »^(٧) .

ثم زعم أن كل المصائب التي حلت بالقارة الهندية إنما كانت توطنه لبعثته
حيث قال: « فاعلموا رحمكم الله أن هذه المصائب من الأقدار التي ما رأيتم قبل
هذا الزمان ولا آباءكم في حين من الأحيان إنما هي آيات الرجل بعث فيكم من
الله المنان »^(٨) .

وإذا كانت تلك الكوارث كلها بسببه فلا عيب بعد ذلك على من تشاءم به
ورأى أنه مصدر الكوارث والعقاب الشديد على حد قول الله تعالى: ﴿واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ .

(١) جريدة الفضل ١٧ يونيو سنة ١٩١٥ م .

(٢) محاضرات الميرزا في سيالكوت في ٢ / ١١ / ١٩٠٤ ص ٣٤ .

(٣) رسالة الأربعين ص ٢٣ رقم ٤ . (٤) البشري : ١ / ٤٩ .

(٥) حقيقة الوحي ص ٧٣ .

(٦) الجاح آثم ص ٥٥ للغلام أحمد . انظر ماهي القاديانية ص ٣٤ ، القاديانية لإحسان الهي ص
١٠٠ ، ص ١٥٤ .

(٨) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٧) ضميمة الوحي ص ٤٥ .

وهذه الإلهامات والكشوف والوحي الذي ادعاه في أقواله السابقة إنما تدل على جهله المطبق وجهل أتباعه وعدم معرفة الغلام قدر الأنبياء العظيم الذي لا يصل إليه أحد غيرهم وتدل كذلك على عدم معرفته بنفسه أيضا حيث ظن أنه بمجرد التفضيل الفارغ لشخصه ينقله إلى ربتهم فقله إن الله جمع فيه كل صفات الأنبياء وأنه آتاه ما لم يؤت أحدا من العالمين كذب ظاهر فإن للأنبياء صفات لم يجرؤ القادياني على ادعائها فلم يؤت ملك سليمان ولا صبر أيوب .

ولا سفينة نوح ولا بركات محمد ﷺ وانتشار دينه في أقطار الأرض بسرعة مذهلة دون اللجوء إلى أي دولة من الدول ولا الحب الذي كان يكرهه المسلمون له بخلاف القادياني الذي مات وهو يحاول جاهدا أن يزوجه ببنت ابن خاله فرفضوه رغم ما أذل نفسه لهم وتوسل بشتى الوسائل دون جدوى فكيف بعد ذلك يتجاسر أن يفضل نفسه على جميع البشر بل وعلى أولي العزم من الرسل الذين اجتباهم الله وجعل لهم الود والاحترام في نفس كل شخص عاقل بل وأغرب من هذا أن يقال ومن أي طريق أقدم على دعوى أنه عين محمد ﷺ وأنه كان لمحمد ﷺ حسب مزاعم القادياني وأتباعه بعثتين الأولى وكانت بمكة والثانية وكانت بالقاديان بالهند وأن محمدا في بعثته الثانية كان أكمل منه في بعثته الأولى . إذا كان يزعم أن ذلك تم عن طريق التناسخ فإن التناسخ لم يقل به أحد من العقلاء غير عباد البقر والفروج من الهندوس والبوذيين ثم كيف تناقض بعد ذلك في مسألة واحدة هامة وخطيرة جدا فزعم أولا أنه مظهر لكرشن معبود الهنادك ثم زعم بعد ذلك أنه محمد ﷺ كيف ساغ له أن يجمع بين الشرق والغرب الليل والنهار في مكان واحد هذا هو عين التخبط والجهل الشنيع .

ولقد زاد على جهله بحق الأنبياء الجهل بحق الله عز وجل فها هو يثبت أن الله قال له « أنت مني بمنزلة أولادي » .

تعالى الله عن هذا المعتقد الجاهلي فإن الله تعالى لم يولد ولم يكن له كفوا

أحد ، فهو منزه عن الصحابة والولد ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴾ .
بل هو قول عظيم جدا ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ .

ولقد أخبر الله أن كل من نسب إلى الرحمن ولدا فإنه كاذب كما قال تعالى ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ .

ومن حكم الله عليه بأنه كاذب فقد استحق المقت وعدم الالتفات إلى قوله فإن المؤمن لا يكون كذابا لا يستحله ولا يستمر عليه إلا من من مقتته الله ولهذا فإن خطاب الله له بقوله : « اسمع يا ولدي » ونسبة هذا الفجور إلى وحي الله جريمة كبرى وكلام لم يقله نبي من الأنبياء ولا ذكر في كتاب من الكتب المنزلة ولم يقل به إلا الجهال الذين يقولون المنكر والزور .

وقول القادياني إن الله خاطبه بقوله يا شمس يا قمر فمعاذ الله أن يصدر هذا من الله عز وجل وإنما هذا قول الفارغين العاطلين عن المعرفة وليس هناك ما يدعو إلى هذا الغزل فإنه لم يؤت جمال يوسف ولا بهأؤه ومع ذلك لم يوصف يوسف بمثل هذا الوصف فأين القادياني وأين الشمس والقمر .

ثم ذكر القادياني تعبيرا مجوسيا وثنيا جل الله عنه حيث زعم أن الله ألهمه أنت من مائنا وهم من فشل كبرت كلمة تخرج من فمه كذبا وزورا وتنزه الله عن كل نقص ﴿ فهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ ، ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا ﴾ .

وإذا كان القادياني قد غلا في نفسه وفضلها على جميع الأنبياء والمرسلين فمن الطبيعي أن يفضلها على جميع أمة محمد ﷺ ابتداء بالصحابة الكرام فمن بعدهم وهذا هو الذي وقع بالفعل .

فقد فضل القادياني نفسه على جميع أمة محمد ﷺ بما فيهم الصحابة كلهم لم يستثن أحدا منهم فقد أداه الغرور إلى أن يقول :

« لاشك أنه ولد في أمة محمد ﷺ آلاف من الأولياء والأصفياء ولكن ما كان أحد مثلي^(١) وقد يبدو هذا التفضيل برغم بشاعته صغيرا بالنسبة لتفضيل نفسه على جميع الأنبياء حيث قال :

« جاء أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدم أحد عليّ في معرفة الله وكل ما أعطي لجميع الأنبياء أعطيت أنا وحدي بأكمله »^(٢).

وجاء في تمجيد أتباعه له على نفس المعنى :

« نحن نعتقد بأن الله أنزل لصداقة غلام أحمد آيات وبيانات لو توزع على ألف نبي لثبتت بها نبوتهم . وكان يجمع في ذاته جميع الصفات القدسية التي وجدت في جميع الأنبياء^(٣) .

وقد فضل نفسه على أنبياء خصهم بأسمائهم وقبلهم فضل نفسه على آدم عليه السلام فقال : « إن الله خلق آدم وجعله سيدا مطاعا وأميرا حاكما على كل ذي نسمة كما يظهر من قوله اسجدوا لآدم » ثم أغواه الشيطان وأخرجه من الجنة ورجع الحكم إلى الشيطان وصار آدم مصغرا ثم خلقتني الله لكي أهزم الشيطان وهذا ما وعده في القرآن » .

وتوجد نصوص كثيرة من كلامه في تفضيل نفسه على نوح وعيسى ويوسف وإذا كان هذا هو موقفه من الأنبياء فما الحال بغيرهم خصوصا أصحاب محمد ﷺ الذين هم هدف حربه ، وحرب كل الطوائف المعادية للإسلام ولهذا نرى القادياني وقد فضل نفسه على كثير من مشاهير الصحابة مثل أبي بكر

(١) تذكرة الشهادتين للغلام ص ٢٩ .

(٢) درثمين للغلام ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ وانظر ضميمه الوحي ص ١٣ .

(٣) جريدة الفضل ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

وعمر وعليّ والحسن والحسين وأبي هريرة دون أن يجد رادعا من حياء أو ضمير وهو حينما يسب ويشتم هؤلاء الأخيار ويرفع عليهم نسي قوله : « الذي يسب أو يشتم الأخيار المقدسين فليس إلا خبيث ملعون لثيم » (١).

وقد تناول أحد أقرباء الغلام وقال في جراءة شريرة أين أبو بكر وعمر منغلام أحمد إنهما لا يستحقان أن يحملتا نعليه » (٢).

ونصوص أخرى كلها تدور على تفضيل القادياني على من لايساوي شراك نعل أحدهم نتركها لتفاهتها ولما فيها أيضا من الظلم الصريح بسبب تنقص القاديانيين بالأنبياء وبأصحاب رسول الله ﷺ .

ومن الغريب حقا أن القاديانيين حينما يزعمون أو يزعم الغلام لنفسه أن له هذا الفضل الذي لاحد له يأبى الله إلا أن يظهره على حقيقته ، فإذا به يوصف بأنه كان سكيما عرييدا يحب الأفيون حبا شديدا حتى جعله في شريعته نصف الطب يقول عنه ابنه محمود أحمد : « إن الأفيون يستعمل في الأدوية كثيرا حتى كان أبي يقول إن الأفيون نصف الطب » ثم يقول محمود عن تحليله : « ولذا استعماله للتداوي يجوز ولا بأس به ».

ويذكر كذلك أن والده صنع من الأفيون دواء إلهيا بإلهام منه عز وجل فقال بعد كلامه السابق : « وأنه (٣) صنع دواء باسم ترياق إلهي بهدي الله وأعينه وكان الجزء الأكبر في هذا الدواء الأفيون وكان يعطي هذا الدواء لخليفته الأول نور الدين كما كان يستعمله هو أيضا حينما بعد حين لمختلف الأمراض » (٤). وكان الغلام يشتري خمرا خاصا يأتي من بريطانيا يسمى وائن هو أقوى المسكرات (٥) فكيف ساغ لهذا الحشاش - كما سماه إحسان إلهي رحمه الله - أن يفضل نفسه على آدم والأنبياء والمرسلين وجميع أمة محمد ﷺ .

(١) البلاغ المبين ص ١٩ . (٢) المهدي ص ٥٧ رقم ٣٠٤ محمد حسين القادياني .

(٣) أي والده . (٤) مقال محمود أحمد في جريدة الفضل ١٩ يوليو سنة ١٩٢٩م .

(٥) مكتوب الإمام باسم الغلام ص ٥ للطبيب محمد حسين القادياني .

وقد تبع هذا التفضيل دعوى المعجزات التي فاقت معجزات الأنبياء لأن الغلام تمدح بمعجزات كثيرة وزعم أنها فاقت معجزات الرسول محمد ﷺ وعيسى بن مريم وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث قارن الغلام بين معجزات الرسول ﷺ فبلغت ثلاثة آلاف معجزة ، وبين معجزاته فبلغت أكثر من مليون معجزة (٢).

وهي معجزات خرافية وفضائح شنيعة ظنها ماءً فإذا بها سراب .

ومن تلك المعجزات الهامة أنه تزوج بزوجته الثانية وهي شابة وكان عمره هو فوق الخمسين وكان مصابا بعدة أمراض فتاكة قال عنها :

« والمعجزة الثانية بأنه لما نزل الوحي المقدس في شأن الزواج كنت مصابا بضعف القلب والدماغ والجسم ومرض البول ودوران الرأس والدق وفي هذه الأمراض المضنية لما تزوجت تأسف بعض الناس لأن حالتي وقوتي الرجولية كانت كالمعدوم وكنت كشيخ فان » (٣) .

كما أنه أيضا ما كانت به قوة رجولية للزواج ومع ذلك أنجب أولادا فقال :
« حينما تزوجت لا زلت متيقنا بأني لست برجل مدة طويلة » (٤) ثم قال « ولكن مع هذه الأمراض والضعف أعطيت الصحة وأربعة بنون » (٥) .

ومن هنا حق للشيخ إحسان إلهي رحمه الله أن يعلق على هذه المعجزة العظيمة بقوله : « وليت شعري ماذا يريد من معجزاته ؟ إن كان المراد من المعجزات بأنه ولد له الأولاد مع أنه كان محروما من القوة الرجولية فهذه معجزة زوجته لا معجزته هو » (٦) لأنه تمدح بهذه المعجزة في غفلة عن عقله فجاءت فضيحة مضحكة .

(٢) هامش نزول المسيح ص ٢٠٩ للغلام .

(٤) هامش نزول المسيح ص ٢٠٩ للغلام .

(١) تحفة كولرة ص ٤٠ .

(٣) مکتوبات أحمدية : ١٤٥ / ٥ .

(٥) القاديانية دراسة وتحليل ص ٧٢ .

الفصل السابع

أهم عقائد القاديانية

لقد تخبط القادياني وأتباعه في متاهات عديدة وجاءوا بأفكار شاذة غريبة وتناقضوا في أقوالهم وأفعالهم . ومن الأمور التي تظهر في معتقدات زعيمهم القادياني مبادئ كثيرة ننبه إلى أهمها بإيجاز فيما يلي :-

١ - اعتقاد التناسخ والحلول وأن الأنبياء تناسخ أرواحهم وتتقمص روح بعضهم وحيقته جسد وحيقة آخرين وتظهر في مظهر الجسد الآخر تماما وقد قال بهذا ليصل إلى تثبيت بعثته ونبوته .

وعلى هذا الاعتقاد الفاسد قرر أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد ولد بعادته وفطرته ومشابته القلبية بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ ومثل هذه الولادة حصلت لعيسى عليه السلام حينما ظهر بمظهر القادياني أيضا . وأن الرسول محمد ﷺ بعث مرتين كما صرح القاديانيون بذلك بعثته الأولى وبعثته الأخرى حينما حلت روحانيته في القادياني نفسه .

وفي هذا يقول القادياني « إن مراتب الوجود دائرة وقد ولد إبراهيم بعادته وفطرته ومشابته القلبية بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ » (١) .

وقال أيضا : « وتحل الحقيقة المحمدية وتتجلي في متبع كامل » ... (٢) .

وقد مضى مئات الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمدا وأحمد » (٣) .

(١) تزيق القلوب ص ١٥٥ . (٢) يقصد بالمتبع الكامل نفسه .

(٣) آئنه كمالات إسلام ص ٣٤٦ .

ويقصد بطريق الظل أنهم أشباح للرسول محمد ﷺ على طريقة التأويلات الباطنية ويجاب عن هذا بقول الله تعالى: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ فمن الذي أخبره بأن هؤلاء الأظلة هم عند الله محمدا وأحمد ويقول عن حلول شخصية المسيح ابن مريم في شخصه هو حين أرسله الله «إن الله أرسل رجلا كان أتمودجا لروحانية عيسى وقد ظهر في مظهره وسمي المسيح الموعود، لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه. ومعني ذلك أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت به»^(١).

وهذه العقيدة المجوسية أي عقيدة التناسخ إنما تأثر بها لأمر منها:

بعده عن الدين وعن الحقائق التي ذكرت فيه لمصير الروح بعد الموت ومنها مجاورته للهندوس وميله إليهم في هذا المبدأ خصوصا وأنه يحقق لم مكاسب في أولها هذه العقيدة التي تسبغ عليه شخصية المسيح وشخصية محمد عليهما الصلاة والسلام فلا عجب بعد ذلك في تأكيده لعقيدة الحلول والتناسخ^(٢) بين البشر بل الأدهى والأمر من ذلك أنه ادعى حلول الله عز وجل فيه حيث قال «إن الله أنزل في وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها»^(٣).

٢ - التشبيه :

كما أن للقادياني أقوال كفريه في وصف الله تعالى فهو يزعم أن الله قال عن نفسه جل وعلا بأنه يصلي ويصوم ويصحو وينام وأنه يخطيء ويصيب .

قال القادياني « قال لي الله أني أصلي وأصوم وأصحو وأنام»^(٤) وقال أيضا: «قال الله: إني مع الرسول أجيب أخطيء وأصيب أني مع الرسول محيط»^(٥).

ويبلغ منتهى التشبيه والتجسيم حين زعم أنه رأى في الكشف أنه قدم أوراقا

(٢) انظر القادياني والقاديانية ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٤) البشري للقادياني ٩٧ / ٢ .

(١) المصدر السابق ص ١٨٠ .

(٣) كتاب البرية ص ٧٥ للغلام .

(٥) المصدر السابق ص ٧٩

كثيرة إلى الله تعالى ليوقع عليها ويصدق على طلباته التي اقترحها فوقع الله عليها بحبر أحمر وكان عنده - كما يزعم - في وقت الكشف رجل من مرديه اسمه عبد الله ثم نفض الرب القلم فسقطت منه قطرات الحبر على أثوابه وأثواب مرید وحينما انتهى الكشف رأي - كما يكذب - بالفعل أن أثوابه وأثواب عبد الله لطخت بتلك الحمرة (١)، وقد وصف الله تعالى بأنه مثل الأخطبوط على طريقته البدائية حيث قال نستطيع أن نفرض لتصوير وجود الله تعالى بأنه له أيادي وأرجل كثيرة وأعضائه بكثرة لا تعد ولا تحصى وفي ضخامة لانهاية لطولها وعرضها مثل الأخطبوط له وعروق كثيرة امتدت إلى أنحاء العالم وأطرافه (٢). بل يصف القادياني إله العالمين بصفات في غاية القبح والشناعة ننزه عن ذكرها أسماع وأبصار طلاب العلم كلها تدور حول الجنس والولادة على طريقة الباطنية وغلاة التشبيه والتجسيم بل وعلى طريقة النصارى الذين أدعوا أن لله ولدا (٣).

وفي صراحة تامة يصرح الغلام بأن الله له فم - تعالى الله عن قوله - ينفخ به الصور تأييدا لدعوته المشثومة حيث قال :

« ستؤسس جماعة وينفخ الله الصور بضمه لتأييدها وينجذب إلى هذا الصوت كل سعيد ولا يبقي إلا الأشقياء الذين حقت عليهم الضلالة وخلقوا ليملاؤا جهنم » (٤).

لقد وصل في تشبيهه رب العالمين إلى مثل ما وصل إليه عتاة التجسيم والتشبيه مثله مثل هشام بن الحكم الرافضي وغيره ممن ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يظن أنه يحسن صنعا .

(١) تزيق القلوب ص ٣٣ حقيقة الوحي للقادياني ص ٢٥٥ . كلاهما للغلام .

(٢) توضيح المرام للقادياني ص ٧٥ .

(٣) انظر القاديانية لاحسان الهى ظهير رحمه الله تعالى ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) براهين أحمدية ٨٢/٥ .

وأغلب الظن أن الغلام كان متأكداً من حر كته بأنه لم يحسن فيها صنعا
ولكن غلبته شهوته وحبه الزعامة .

ولقد شبه الله بإنسان له قصر فيه باب يمنع الداخلين إلا بإذنه قال في ضميمة
الوحي « ولا يوصل إلى قصر الله وبابه إلا هذا الدين الأجلى » (١).

ومما لا ريب فيه أن من تصور أن الله تعالى يصلي ويصوم أو يفعل غيرهما
من العبادة أنه لا حظ له من العقل فضلا عن الدين فلمن يصلي ويصوم الرب عز
وجل ومن الذي كلفه بهذه التكليفات تعالى الله عن هذا المعتقد الجاهلي البدائي
وأما كونه عز وجل يلحقه النوم والصحو والخطأ والصواب وغير ذلك من
صفات النقص التي تحل بالبشر لنقصهم وافتقارهم إلى ذلك فإن الله تعالى هو
الخالق العظيم والقوي العزيز يعلم ما في السموات وما في الأرض وما بينهما
وما تحت الثرى .

وورد في الحديث عن المصطفى ﷺ أنه قال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له
أن ينام » (٢).

وهو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
لا يكون إلا ما أرد تنزه سبحانه عن الخطأ لأنه محال عليه عز وجل لنفاذ علمه
بكل شيء .

ووصفه تعالى بالتوقيع والكتابة أو أنه مثل الإخطبوط أو أن له ولدا كل هذه
الأوصاف إنما يطلقها على الله تعالى من خرج عن الحق واتبع هواه وأفسد عقله
قرناء السوء من الجن والإنس وصار أضل من الأنعام واتخذ دينه لهوا ولعبا وفضل
العقائد الوثنية والخرافية على دين الإسلام فانسلك منه وأضله الله على علم نعوذ
بالله من الزيغ والضلال .

(٢) أخرجه مسلم : ١٦٢/١ .

(١) ضميمة الوحي ص ١٩ .

الفصل الثامن

علاقة القاديانية بالإسلام وبالمسلمين وبغير المسلمين وموقف علماء الهند وباكستان من القاديانيين

لقد ابتعد القادياني عن الإسلام وعن المسلمين ، وزاحمت القاديانية الإسلام وأرادت أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة وقطعت أقوى صلة للقاديانية بالإسلام وجعلت كل من يدخل هذه الديانة الجديدة أو الإسلام الجديد. كما يزعم القاديانيون بعيدا عن الإسلام الذي ارتضاه رب العالمين لخلقه ومن هنا نرى القاديانيين يقارنون بين أصحاب الرسول محمد ﷺ وبين أتباع الغلام دون أن يجدوا في ذلك أى حرج فقد جاء في صحيفة الفضل القاديانية « لم يكن فرق بين أصحاب النبي ﷺ وتلاميذ الميرزا غلام أحمد أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية» (١).

ثم جعلوا الحج الأكبر هو زيارة قاديان وقبر القادياني مضاهاة لزيارة المسجد النبوي الشريف والسلام على الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ونصوا على أن الأماكن المقدسة في الإسلام ثلاثة مكة والمدينة وقاديان وأولوا المراد بالمسجد الأقصى بأنه مسجد قاديان . فقد جاء في تلك الصحيفة أيضا :

« إن الذى يزور قبر المسيح الموعود البيضاء يساهم في البركات التى تخص قبة النبى الخضراء في المدينة فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه هذا التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان » (٢) .

وفيهما أيضا « أن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب لأن الحج إلى مكة اليوم لا يؤدى رسالته ولا يفي بغرضه » (٣) .

(١) جريدة الفضل عدد (٩٢) ٢٨ مايو سنة ١٩١٨ م .

(٢) المصدر السابق عدد (١٨٤٨) ج ١٠ سنة ١٩٢٢ م .

(٣) القادياني والقاديانية للندوى نقلا عن المجلد ٢١ عدد ٣٣ .

واخترعوا لهم أشهراً غير الأشهر الإسلامية وهي :
الصلح ، التبليغ ، الأمان ، الشهادة ، الهجرة ، الإحسان ، الوفاء ، الظهور ،
تبوك ، الإخاء ، النبوة ، الفتح (١) .

وهو نفس المسلك الذى سار عليه البهاء المازندراني حين اخترع له أشهراً
غير الأشهر الإسلامية ليقطعوا صلتهم بالأشهر الإسلامية وبما جاء فيها من
مناسبات مفضلة ، ومن هنا يتضح أن علاقة القاديانيين بالمسلمين أتباع محمد ﷺ
علاقة مبتورة فقد قطعوا كل صلة بهم وعاملوهم على الأسس الآتية :

١ - أن المسلمين كفار ما لم يدخلوا في القاديانية لأنهم يفرقون بين الرسل والله
تعالى يقول ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ فالؤمن بالإسلام ونبهه إذا لم
يؤمن بالقاديانية ونبهها فإنه يكون كافراً .

٢ - وعلى هذا فإنه لو مات مسلم فإنه لا يجوز للقادياني الصلاة عليه ولا دفنه
في مقابرهم لأنه كافر لعدم إيمانه بنبوة الغلام فلا تجوز الصلاة عليه ولو كان
طفلاً أيضاً ويذكر أن ظفر الله خان وزير خارجية باكستان لم يصل على
القائد الشهير محمد على جناح حين مات لأنه في نظر ظفر الله كافر لعدم
إيمانه بنبوة الغلام .

٣ - لا يجوز نكاح المسلم بالقاديانية ويجوز ذلك للقادياني كما هو الحال بالنسبة
لأهل الكتاب أى أنهم يعاملون المسلمين معاملة أهل الكتاب .

٤ - لا تصح الصلاة خلف غير القادياني مهما كانت منزلته ، وإذا فعل ذلك تقية
أو لمصلحة فعليه أن يعيد تلك الصلاة حتماً حتى وإن كان صلاها في أحد
الحرمين الشريفين وهذه التقية أو النفاق هو الأساس الذى قام عليه مذهب
الشيعة والباطنية والقاديانية .

(١) القادياني والقاديانية ص ١٢١ .

٥ - لا يجوز حضور اجتماعات المسلمين سواء كانت فى أفراحهم أو فى مصائبهم بل ولا يجوز أن يذكر المخالف للقاديانية من المسلمين أو يترحم عليه أو يستغفر له .

٦ - بل وأبعد من هذا أنهم لا يجوزون الصلاة على من يصلى من القاديانيين خلف المسلمين أو يتعامل معهم أو يوادهم (١) .

علاقتهم بغير المسلمين

وأما علاقتهم بغير المسلمين فنوجزها فيما يلى :-

١ - لقد قامت بين القاديانيين وبين كثير من الملل المخالفة للإسلام علاقات قوية خصوصا بينهم وبين الدول المعادية للمسلمين مثل بريطانيا وإسرائيل اليهودية الحاقدة فهى تتمتع معهم بصداقات حميمة واتصالات وثيقة وقد أعطتهم إسرائيل أمكنة لفتح المراكز والمدارس وأغدقت عليهم الأموال سرا وجهرا وقد جاء فى خطاب للقاديانيين باسم مراكزنا فى الخارج هذا النص :

« ويمكن للقارئ أن يعرفوا مكانتنا فى إسرائيل بأمر بسيط بأن مبلغنا جوهدرى محمد شريف حينما أراد الرجوع من إسرائيل إلى باكستان سنة ١٩٥٦ م أرسل إليه رئيس دولة إسرائيل بأن يزوره قبل مغادرته البلاد فاغتنم المبشر هذه الفرصة وقدم إليه القرآن المترجم إلى الألمانية الذى قبله الرئيس بكل سرور؟ وقد نشر تفاصيل اللقاء (٢) فى الصحف الإسرائيلية كما أذيع أيضا فى الإذاعة، بل وقد سمحت لهم إسرائيل بإنشاء مدرسة بقرب جبل الكباير ومن المعروف بداهة أن إسرائيل ما كانت لتحتضن هذه الدعوة القاديانية ولا أن تقوم

(١) انظر مصادر هذا الكلام فى القاديانية دراسة وتحليل ص ٣٤ ، فصل « القاديانية والمسلمون » .
(٢) كتاب « مراكزنا فى الخارج ص ٧٩ ، انظر القاديانية لإحسان إلهي ص ٤٨ وانظر كتاب ما هى القاديانية ص ٦٦ حيث نقل الكلام السابق بتصرف وعزاه إلى كتاب القاديانية « بعثاتنا الخارجية » تأليف الميرزا مبارك أحمد القادياني .

بتمويلها بل والدعاية لها لو أنها تعرف فيها مثقال ذرة من الإسلام الذي تعتبره إسرائيل الخطر الحقيقي عليها كما أن إسرائيل تمول جميع الحركات الهدامة من قاديانية وبهائية وغير ذلك لتحقيق أهدافها في السيطرة والعلو فالمؤامرات واضحة لا تحتاج إلى سياسى بارع ولا ذكى فى تحليل الأحداث .

٢ - رحب القوميون الهنود بالقاديانية وفرحوا بها وتحمسوا لها كثيرا لأن هؤلاء الهنادك يحقدون على الإسلام حقدا لا يقل عن حقد اليهود والنصارى وضايقتهم جدا توجه المسلمون الهنود بقلوبهم إلى نبيهم محمد ﷺ وكتاب ربهم بل وإلى الجزيرة العربية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ولهذا فقد اعتبروا توجه الناس إلى قاديان انتصارا للوطنية الهندية على الإسلام الأجنبي عن بلادهم وفرصة سانحة للتحويل العظيم في تفكير المسلمين الهنود وغيرهم من الإسلام إلى القوميات والتعصب لها بدلا عن الإسلام . وفي هذا يقول الكاتب الهندوكي د . شنكر داس مهرا :-

إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنون إليها ولو استطاعوا لأطلقوا على الهند اسم العرب وفي هذا الظلام الحالك وفي هذا اليأس الشامل يظهر شعاع من النور يبعث الأمل فى صدور الوطنيين وهى حركة الأحمديين (القاديانيين) .

وكلما أقبل المسلمون إلى الأحمدية نظروا إلى قاديان كمكة هذه البلاد والمركز الروحي العالمي وأصبحوا مخلصين للهند وقوميين بمعنى الكلمة .

إن تقدم الحركة الأحمدية ضربة قاضية على الحضارة العربية والوحدة الإسلامية . وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهة نظره وضعفت صلته الروحية بمحمد ﷺ) بذلك وتنتقل الخلافة من الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان فى الهند ولا يتبقى لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية إن كل أحمدي سواء كان فى البلاد العربية أو تركيا أو إيران أو فى أى ناحية من نواحي العالم يستمد من قاديان القوة

الروحية وتصبح قاديان أرض نجاة له وفي ذلك سر فضل الهند وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى حركة الأحمديّة وقلقهم منها لأنهم يعتقدون أن حركة الأحمديّة هي المنافسة للحضارة العربيّة والإسلام، ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة الخلافة لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة في قاديان مكان تركيا والجزيرة العربيّة وإن كان هذا الواقع مقلقا للمسلمين الذين لا يزالون يحملون بالاتحاد الإسلامي وبالالاتحاد العربي ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين» (١).

والكلام ظاهر المعنى ينفث خبثا وحقدا على المسلمين وعلى الإسلام ويريد قائله أن تشن الحرب التي لاهوادة فيها على كل مسلم غير القاديانيين الذين يرى فيهم تحقيق أحلامه الكفرية ومحو الإسلام من أذهان المسلمين والاهتداء بعميل الانجليز وبالوطنيين الهنود كما يريد فوضوى المجوسية ودعاتها الحاقدون. ومما يوضح موقف القاديانيين من الإسلام أيضاً ذلك الدفاع الذي بذله عدو الإسلام والمسلمين في الهند جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند حينذاك عن هذه الطائفة المسلمين - يقصد القاديانيين - على حد زعمه وغريب منه أن يتعاطف مع المسلمين فقد قال متسائلا ومستنكراً «لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية عن الإسلام».

وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة؟ فأجابه الدكتور محمد إقبال رحمه الله فقال: «القاديانية تريد أن تنحت من أمة النبي العربي ﷺ أمة جديدة تؤمن بالنبي الهندي» وقال: إنها أشد خطرا على الحياة الاجتماعية الإسلامية في الهند من عقائد «أسفنورا» الفيلسوف الناثر على نظام اليهود» (٢).

(١) مقالة الدكتور شنكر داس مهرا في صحيفة بند في ماترم الصادرة في ٢٢ أبريل سنة ١٩٣٢ م انظر القادياني والقاديانية ص ١٢٢ .

(١) انظر ما هي القاديانية ص ٥٧ وقد أثنى المودودي على الجهود التي بذلها محمد إقبال رحمه الله لدحض القاديانية والمواقف المشرفة التي وقفها في وجه القاديانيين بإخلاص وصدق غيرة على دينه الإسلامي الخنيف .

وحيثما تظاهر القاديانيون في خيبت ودهاء ومكر بالإسلام إنما أرادوا أن يموهوا على المسلمين ويدخلون على عوامهم من طرق لا يفطنون لها ليسلخوهم عن دينهم شيئاً فشيئاً إن استطاعوا ولن يتم لهم ذلك إن شاء الله تعالى .

ومن هنا نجد أن لعلماء الهند وباكستان من المسلمين مواقف ونضال مرير للقاديانية حيث جعلوها بالعراق وبينوا زيف تظاهر القاديانيين بالإسلام ومدى عداوتهم له .

والجدير بالذكر أن محكمة باكستانية موقرة أصدرت حكماً شرعياً بشأن هذه الفئة الشريرة من القاديانيين وبكل حزم وشجاعة وقد ظهر في الأسواق في شكل كتاب ، وقد صدر الكتاب مترجماً من الأردية إلى العربية « تعريب الأستاذ / محمد بشير باسم المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر القاديانية فئة كافرة » .

جاء في أول الكتاب قوله : « بإذن من المحكمة الشرعية الفيدرالية الباكستانية بإسلام آباد طبعا النص الكامل لحكمها على الالتماس الشرعي رقم ١٧ / أي لعام ١٩٨٤ م والالتماس الشرعي رقم ٢ / آيل لعام ١٩٨٤ م والقاضي بوضع القاديانيين من كلتا الفرقتين: الفرقة اللاهورية والفرقة القاديانية » (١) .

وكانت هذه المحكمة مؤلفة من سيادة القاضي فخر عالم رئيس القضاة القاضي شودي محمد صديق .

القاضي الشيخ : ملك غلام علي .

القاضي الشيخ : عبد القدوس القاسمي .

وقد بحث هؤلاء القضاة مسألة القاديانية بكل جد وحزم وقد استعانوا بمجموعة من العلماء في مناقشتهم لقضية القادياني وزعمه النبوة ومواقف

القاديانيين من المسلمين ومن الإسلام ونبيه وتعاليمه علي ضوء الالتماس الذي قدمه بعض المحامين والقاديانيين ومنهم مجيب الرحمن والنقيب المتقاعد عبد الواحد وغيرهما .

وقد استوفت المحكمة دراسة المسألة كاملة وظهرت النتيجة بتاريخ ١٩٨٤ م كما يلي :-

١ - أصدر رئيس المحكمة فخر عالم مرسوما يسمى :

« مرسوم حظر ومعاينة النشاطات المناهضة للإسلام للفرقة القاديانية والفرقة اللاهوتية والأحمديين » .

٢ - جعلت هذه البنود فعلا إجراميا من القادياني :

أ- أن يسمي نفسه أو يتظاهر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بكونه مسلما أو ان يسمي مذهبه الإسلام .

ب- أن ينشر ويروج مذهبه أو أن يدعو غيره إلي قبول مذهبه أو يثير بطريقة ما المشاعر الدينية للمسلمين .

ج- أن يدعو الناس إلى الصلاة بقراءة الأذان أو يسمي طريقة ندائه للصلاة أو شكله بكلمة الأذان .

د- أن يدعو أو يسمي محل عبادته مسجدا .

هـ- أن يذكر أي شخص غير أحد من خلفاء النبي محمد ﷺ بكلمة أمير المؤمنين أو خليفة المؤمنين أو خليفة المسلمين أو الصحابي أو رضي الله عنه أو أن يذكر أحدا غير زوج من أزواج النبي ﷺ بكلمة أم المؤمنين أو أن يسمي غير أهل بيت النبي ﷺ بكلمة أهل البيت ^(١) .

ومما لا ريب فيه أن هذا توفيق عظيم من الله لهذه المحكمة أجزل الله لهم

(١) المحكمة الشرعية الفيدرالية : بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر القاديانية ففة كافرة ص ١٠ .

ولمن ساعدتهم الأجر والثواب إلى يوم الدين .
فإنهم أصابوا القاديانية في مقتلها دون أن يظلموهم بكلمة واحدة أو قانون
غير ما يستحقونه .

وفي أحكام العقوبات جاء في المرسوم :

« أي شخص يدنس اسما مقدسا لأي من أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)
أو أهل بيته أو خلفائه الراشدين أو صحابته بأية كلمات منطوقه أو مكتوبة أو بأى
تعبير محسوس أو بأى تعريض أو تلميح أو إيماء إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة
سيعاقب بسجن لمدة يجوز أن تمتد إلي ثلاث سنوات عن كل تعبير أو الغرامة أو
العقوبتين كليتهما»^(١) ومنه :

« أي شخص من الفرقة القاديانية أو الفرقة اللاهورية الذين يسمون أنفسهم
أحمديين أو بأى اسم آخر يذكر بكلمات منطوقة أو مكتوبة أو بأى تعبير
محسوس طريقة النداء للصلوات التي تستعملها فرقته بكلمة الآذان أو يقرأ
الآذان كما يقرؤه المسلمون سيعاقب بسجن لمدة يجوز أن تمتد إلي ثلاث
سنوات عن كل تعبير وسيكون معرضا للغرامة أيضا»^(٢).

وقد بلغت دراسة المحكمة لهذه الطائفة ١٨٨ مائة وثمان وثمانين صفحة
استوعبت أهم ما يتعلق بأفكار القادياني وفرقته الشريرة وانتهت بصرف النظر
عن الالتماسات التي تقدم بها مجيب الرحمن وعبد الواحد وغيرهما من
القاديانيين.

(١) القاديانية ففة كافرة ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥ .

الفصل التاسع

أسباب انتشار القاديانية

إن البشر ليسوا علي درجة واحدة من الفهم والذكاء ولا قوة الإيمان وضعفه، بل هم أصناف وأشكال منهم الخامل ، ومنهم المخادع ، ومنهم من يحب المسكنة والذلة ومنهم من يحب الرياسة والسلطة والشهرة ، ولهذا فكل صائح يجد له صدى وكل داع يجد له أتباعا مهما كانت دعوته خيرة أو شريرة الخيرة يقبلها أهل الخير والشريرة يتلقفها أهل الشر والتافهه يتقبلها التافه من الناس وضعاف النفوس .

والقادياني ودعوته الشريرة التافهه وجد لها من يتقبلها والذي يهمننا هنا هو نظرة سريعة في الأسباب التي ساعدت علي انتشار وباء القاديانية ويمكن أن نوجز عناصر تلك الأسباب في الأمور التالية :

١ - جهل كثير من الناس بحقيقة الدين الذي ارتضاه الله فأكثرهم مسلم بالتبعيه والتقليد يتأثرون بكل دعوة ويقلدون كل صائح .

٢ - وقوف الاستعمار إلى جانب هذه الدعوة الخبيثة وتأييده لها ماديا ومعنويا لإدراكهم نتائجها في تحقيق أطماعهم في العالم الإسلامي .

٣ - استغلال القاديانيون لفقراء بعض المسلمين بمساعدتهم المادية ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات وتوزيع الكتب وإيجاد بعض الوظائف وغير ذلك .

٤ - نشاط القاديانيون وذهابهم إلي الأماكن النائية من بلدان المسلمين التي يكثر فيها الجهل والعامية .

٥ - تمويه القاديانيون علي السذج من المسلمين بأن القاديانية والإسلام شيء واحد وأن القاديانية ما قامت إلا لخدمة الإسلام .

٦ - عدم قيام علماء الإسلام بالتوعية الكافية ضد القاديانية وغيرها من الطوائف

الضالة التي بدأت تنتشر في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى وبتخطيط أدق وأكمل عن ماضى إذ العالم اليوم من عزبٍ ومن غلب استلب .
هذه هي أهم الأسباب وربما توجد أسباب أخرى كثيرة ساعدت في نشر القاديانية في أماكن كثيرة من بلدان المسلمين .

ويطول المقام لشرح تلك الأسباب التي استغلها القاديانيون وحولوا كثيرا من المسلمين إلى ديانتهم ، وأدخلوا كذلك كثيرا من غير المسلمين في القاديانية علي أساس أنها هي الدين الإسلامي الذي أرتضاه الله وأنزل به القرآن الكريم وأرسل به محمداً ﷺ بحيث لا يعلم الشخص مدى البعد بينه وبين الإسلام إلا إذا وفقه الله فأبصر واقع القاديانية علي أنه وجد بعد ذلك نوع من اليقظة الإسلامية ووجد علماء أوقفوا القاديانية عند حدها في بعض البلدان وكتبوا مقالات كثيرة بل ووجد أيضا من بعض من دخل القاديانية من المفكرين على أساس أنها هي الإسلام ولكنه تبين له بعد ذلك أنها عدوة للإسلام فبدأ يهاجمها ويدعو إلى الإسلام الصحيح.

ومع هذا كله فقد انتشرت القاديانية في هذه الأيام وبدأت تستعيد أنفاسها في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي مستغلين نفس الأسباب التي ذكرت آنفا والأمل في الله قوي أن يهيبء من عباده من يتصدى للقاديانية وغيرها من التيارات الهدامة المعاصرة ويكشف زيفها ويبين خطرها على الإسلام والمسلمين وما ذلك علي الله بعزيز .

ولولا أن خطة قوية وتيارا هائلا لصرف أنظار الناس عن واقع هذه الفرق الخبيثة لانكشفت ولبان لكل ذي لب الخطر الذي يترصد العقيدة الإسلامية من جراء انتشار هذه الفرق التي تتظاهر بالإسلام لبناء عقائدها المنحرفة وأمجادها الزائفة ولا أدل على نجاح تلك الخطة من إنصراف عامة المسلمين بل وطلاب العلم عن معرفة هذه الفرق التي يموج بها العالم الإسلامي في شتى الدول

الإسلامية دون استثناء فانظر - أخي القارئ الكريم - إلي أي اجتماع بين المسلمين كبيرا كان ذلك الاجتماع أو صغيرا وسواء كان المجتمعون طلاب علم أو عامة . لا تسمع أي حديث عن هذه الفرق وبيان أخطارها على الدين والمجتمع حتى ليخيل لغير المتتبع لهذه الحركات الهدامة أنه لا توجد بين المسلمين أي فرقة خارجة عن التدين الصحيح ولهذا يرددون عبارة المسلمون بخير دائما.

ولقد عزى الشيخ إحسان إلهي رحمه الله سبب انتشار القاديانية في بلدان المسلمين وخصوصا أفريقيا وأوربا إلى أهم الأسباب الآتية :

١ - مساعدة الاستعمار بثستي أشكاله لهم حيث بمدونهم بكل أنواع المساعدات .

٢ - قلة وجود العلماء المسلمين الحقيقيين وشغور مناصبهم في تلك البلاد .

٣ - جهل أكثر المسلمين لحقيقة القاديانية الأصلية وأهدافهم .

٤ - غفلة العالم الإسلامي عن أفريقيا في الوقت الذي تنشر فيها القاديانية أكثر من خمس^(١) مجلات راقية بينما لا توجد مجلة احدة للمسلمين في أفريقيا كلها تجابهم .

٥ - وجود مئات المبلغين القاديانيين الذين يتجولون من أدنى أفريقيا إلى أقصاها عبر القارات الأخرى .

٦ - أقاموا فيها ٤٧ سبعا وأربعين مدرسة ، وبنوا ٢٦٠ ستين ومائتي مسجدا^(٢) هذا غير ما يتبع ذلك من المكتبات العامة والخاصة والمؤلفات والنشرات وترجمة القرآن إلى لغات شتى .

(١) لقد زاد عدد المجلات إلى أكثر من هذا العدد كما ذكر النجرامى . في كتابه « أباطيل القاديانية في الميزان ص ١٠٥ .

(٢) لقد زاد عدد المساجد إلى أكثر من هذا العدد كما ذكر النجرامى .

٧ - كما فتحوا في الآونة الأخيرة مستشفيات ودور اجتماعية في مختلف أنحاءها وأصبح أتباعهم حسب نشراتهم أكثر من مليوني شخص في مدة لا تتجاوز خمسة عشرة سنة^(١)، وهذا كله يجري في الوقت الذي شحت فيه الدول الإسلامية بإرسال الدعاة إلى تلك الأماكن النائية من العالم الإسلامي ليواجهوا نشاط آلاف القاديانيين وما ذلك عن فقر في الدول الإسلامية ولكنه ضعف الحماس للدين الإسلامي وأنشغالهم بأنفسهم وبأمور أخرى افتعلها أعداء الإسلام لإلهاء زعماء المسلمين بها وإشغالهم بعدين عن واجبهم الذي يحتمه عليهم دينهم الإسلامي ولو توجهت الدول الإسلامية إلى خدمة الدين الذي ارتضاه الله لهم وبذلت بعض الأموال التي تذهب إلى هنا وهناك فيما لا يعود أكثره لخير الإسلام والمسلمين لو توجه هؤلاء بنية صادقة وعزم قوى لتغيير الحال المهين الذي تعيشه الأمة الإسلامية في كل مكان ولصار المسلمون هم سادة العالم ومشاعل أنواره ومحط آمال الفقراء والمستضعفين في العالم كله ومنفذا لكل من أحاطت به ظلمات الجهل والظلم المشين .

إلا أن العالم الإسلامي مع الأسف الشديد صار حاله مع دينه مثل حال العلم عند كثير من أتباعه حين وصفهم الجرجاني بقوله :

ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

لقد كان للقاديانيين نشاط قوي في الصحافة والمجلات لعلمهم بتأثير هذه الوسيلة في مفاهيم الأمة ومن هنا فقد أصدر القاديانيون عدة مجلات بعدة لغات وفي عدة دول نذكر هنا الأرقام التي أفادها النجرامي إضافة إلى ما سبق ذكره عن إحسان إلهي :

فلهم في نيجيريا مجلة أسبوعية باللغة الانجليزية .

(٣) القاديانية دراسة وتحليل ص ١٥ ولعل هذه الأرقام التي ذكرها كانت في ذلك الوقت وربما زادت في عصرنا الحاضر زيادات لا يعلمها إلا الله ومنها ظاهر ومنها خفى .

ولهم في غانا مجلة شهرية باللغة الانجليزية .
ولهم في سيراليون مجلة شهرية باللغة الانجليزية .
ولهم في كينيا مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر باللغة الانجليزية .
ولهم في شرق أفريقيا مجلة شهرية تصدر بالسواحلية .
ولهم في موريشيس مجلة شهرية تصدر باللغة الانجليزية والفرنسية .
ولهم في سيلون مجلة شهرية تصدر باللغة الانجليزية .
ولهم في أندونيسيا مجلة شهرية تصدر باللغة الأندونيسية .
ولهم في إسرائيل مجلة شهرية تصدر باللغة العربية .
ولهم في سويسرا مجلة شهرية تصدر باللغة الألمانية .
ولهم في لندن مجلة شهرية تصدر باللغة الانجليزية .
ولهم في الدانمارك مجلة شهرية تصدر باللغة الدانماركية .
هذا بالإضافة إلى الكتب الكثيرة والمبالغ الضخمة التي ترسلها دائما إلى بلدان كثيرة لنشر القاديانية بين شعوب تلك البلدان .
كما أن لهم نشاطات أخرى وهي بناء المدارس والمساجد فقد بلغ عدد المدارس في أفريقيا حوالي ٤٧ مدرسة كما تقدم .
كما بلغ عدد المساجد التي بنوها في العالم حوالي ٣٤٣ مسجدا ، بنوا في أمريكا وفي هولندا وسويسرا وبورما كل بلد من هذه البلدان مسجدا واحدا .
وفي ألمانيا مسجدين - ألمانيا الغربية - .
وفي سيلون مسجدين وكذا الملايو وفي الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة مساجد وفي بورنيو ستة مساجد .

وفي موريشيوس عشرين مسجدا وفي شمال أفريقيا أربعين مسجدا وكذا في نيجيريا وفي سيراليون ستين مسجدا وكذا في أندونيسيا وفي غانا ١٦١ مائة وواحد وستين مسجدا .

وهذه المساجد إنما أقيمت لتكون وكرا للقاديانية ومحلا للتخطيط وحبك الدسائس على الأمة الإسلامية وإقامة الزعامة القاديانية على حساب الإسلام فهي أشبه ما تكون بمسجد الضرار الذي هدمه الرسول ﷺ بأمر ربه حينما بنى على نية سيئة .

يقول النجرامي : « فليتنا نعمل بهذه المساجد كما عمل الرسول ﷺ بمسجد الضرار حتي لا تكون نقطة الانطلاق لهذه الحركة الضالة تنطلق من خلالها للكيد للمسلمين وتفتيت وحدتهم وبذر الشقاق بين جموعهم »^(١).

ومما لا ريب فيه أن هذه الأعمال التي قام بها القاديانيون وهذا النشاط الذي أبداه هؤلاء في نشر باطلهم يحتاج ضرورة إلى أعمال خيرة تقابله وتصده وإلا لكان المجال مفتوحا أمام هؤلاء الذين ازداد نشاطهم أكثر مما ذكر سابقا وزاد طمعهم في بلدان المسلمين والاستوحاذ على شباب المسلمين خصوصا والأوضاع الداخلية تساعدهم على ذلك كثيرا في ظل الحكام الذين هم رؤوس حراب فوق الشعوب الإسلامية فإن كثيرا من حكام الدول الإسلامية لم يبق فيهم ما يتفائل به الإسلام والمسلمون لأنهم إن لم يبدؤوا بالحرب كان أقل ما فيهم نحوه الاستهتار بمبادئه وإظهار الجفاء لتعاليمه والتقطيب المكفهر في وجوه من يمثلونه لأن هؤلاء لا يثمنون عند عتاة الكفر والإلحاد إلا بقدر ما يهدمون من تعاليم الإسلام .

(١) انظر أباطيل القاديانية في الميزان ص ١٠٦ - ١٠٨ .

الفصل العاشر

وفاة القادياني

وقعت في عام ١٩٠٧ م بين القادياني وبين العلامة ثناء الله الامر تسري مناظرات خروج الغلام منها مدحورا مغضبا ثم تحدى القادياني الشيخ ثناء الله بأن الله سيميت الكاذب منهما في حياة الآخر ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه .

وفي شهر مايو ١٩٠٨ م أجيبت دعوته فأصيب بالهيضة البائية الكوليرا في لاهور فمات في بيت الخلاء وكان جالسا لقضاء حاجته ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ .

ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة اللجنة بهستي مقبره^(١) وعاش ثناء الله بعده أربعين سنة في نضال القاديانيين والرد عليهم وانطبق على القادياني قوله: « إن كنت كذابا ومفتريا كما تزعم في كل مقالة لك فأنني سأهلك في حياتك لأنني أعلم أن المفسد الكذاب لا يعيش طويلا في عاقبة الأمر يموت ذلا وحسرة في حياة ألد أعدائه حتى لا يتكمن من إفساد عبادة»^(٢).

وبعد هلاك الميرزا خلفه في زعامة القاديانية صديقه الحميم وشريكه في قيام نبوته الحكيم نور الدين البهيري « .

والملاحظ أن القادياني أثبت أنه كان كذابا في دعواه النبوة حتى في موته لأن الرسول ﷺ قال: (ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه) كما رواه الصحابي الجليل أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(٣).

(١) القادياني والقاديانية ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) المصدر السابق نقلا عن إعلان الغلام بتاريخ ٥ إبريل سنة ١٩٠٧ م .

(٣) أخرجه الترمذي : ٣٣٨/٣ كتاب الجنائز .

الفصل الحادي عشر

بعض زعماء القاديانية

برز كثير من زعماء القاديانية وكبرائهم متخذين من حيل القادياني وضلالاته منهجاً لهم .

وطمع بعضهم في نفس المكانة التي احتلها زعيمهم - أي مرتبة النبوة - إلا أن بريطانيا لم تشأ أن تقويهم إلى حد نصرتهم على أدعاء النبوة كما فعلت مع الغلام لئلا يذهب تأثير القاديانية من نفوس أتباع القادياني بحيث تصبح النبوة متعددة في عصر واحد مما يستدعي فتور الناس عن التصديق. أو الشك في نبوة الغلام فتخسر ما بنته في أعوام عديدة وكانوا أذكي من أولئك الذين تشوفوا للنبوة .

وفيما يلي نذكر بعض أولئك الزعماء بصورة موجزة إتماماً للتعريف بالقاديانيين وهم بالإضافة إلى الغلام أحمد القادياني المؤسس الأول للقاديانية :-

١ - الحكيم نور الدين البهيري : هذا الرجل هو الشخصية البارزة بعد الغلام وصار هو الخليفة للقاديانية بعد موت الغلام ، ويعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم في الحركة القاديانية كلها وكان محباً للعز والجاه يتمنى ذلك بأي ثمن كان وقد وجد في الغلام ما يمكنه من تحقيق ما يهدف إليه من الشهرة فالتحق به وصار أكبر أعوانه والمخطط والمنفذ لأكثر آراء المتنبئ وكان المتنبئ يباليغ في إكرامه إلى أبعد الحدود .

ولد الحكيم نور الدين في عام ١٢٥٨ هـ في بهيرة من مديرية شاه بور في البنجاب غربي باكستان - وتسمى هذه المديرية الآن - سر كودها (١) - وأبوه غلام رسول كان إماماً في مسجد بهيرة وقد درس الحكيم نور الدين الفارسية وتعلم الخط ومبادئ العربية .

(١) القادياني ، للدوي ص ٢٨ .

وعين أستاذا للفارسية في مدرسة حكومية في راولبندي في عام ١٨٥٨م ثم عين مديرا لمدرسة ابتدائية لمدة أربع سنوات ثم تركها وانقطع للدارسة وملازمة بعض الشيوخ في « رامبور » ثم سافر إلى لكهنؤ ودرس الطب على الطبيب المشهور الحكيم على حسين مدة سنتين ثم سافر إلى بهوبال ثم إلى الحجاز وفي كل ذلك يتلقى العلم عن علماء هذه البلدان .

ثم عين طبيبا خاصا في ولاية جمون - كشمير الجنوبية - واشتهر بها وفي هذا الوقت تعرف على الميرزا غلام أحمد القادياني الذي كان مقيما في سيالكوت وتوثقت بينهما الصداقة وشرع يحرض القادياني على ادعاء النبوة ويؤلف الكتب لتصديق وتكفير من لا يؤمن بنبوته ولقب بالخليفة الأول وخليفة المسيح الموعود بمباركة الاستعمار البريطاني . وكان آخر حياته أن سقط عن فرسه وجرح واعتقل لسانه قبل وفاته بأيام ومات في ١٣ من مارس عام ١٩١٤م واستخلف الميرزا بشير الدين محمود نجل الميرزا غلام أحمد .

صفاته :

وكان الحكيم المذكور كما وصفه الندوي قلق النفس ثائر الفكر عقلي النزعه تأثر بالمدرسة التي تدين بضرورة اخضاع الدين والعقيدة والقرآن للعلوم الطبيعية التي دخلت عن طريق الانجليز وتأويل كل معارض المقررات الطبيعية في ذلك العصر وكان كثير الرغبة في المباحثات والمناظرات^(١).

وقد ظل متحمسا للقاديانية زعيما لها بعد وفاة الميرزا القادياني إلى أن توفى .

٢ - محمود أحمد : ابن غلام أحمد والخليفة الثاني للقاديانية تولى زعامة

القاديانيين بعد وفاة نور الدين .

وأعلن أنه خليفة ليس للقاديانيين فقط ، وإنما هو خليفة لجميع أهل الأرض بما

(١) انظر ترجمة هذا الشخص في ما كتبه عنه الندوي في الفصل الثالث ص ٢٨ من كتابه القادياني والقاديانية .

فيهم بريطانيا - التي تفانى في الجاسوسية لها حيث أعلن قوله: «أنا لست فقط خليفة القاديانية ولا خليفة الهند بل أنا خليفة المسيح الموعود فإذا أنا خليفة لأفغانستان والعالم العربي وإيران والصين واليابان وأوروبا وأمريكا وأفريقيا وسماترا وجاوا وحتى أنا خليفة لبريطانيا أيضا وسلطاني محيط جميع قارات العالم»^(١).

ثم ادعى أن لقمان هو والده وأنه هو ولد لقمان الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ ومما يذكر عن سيرته أنها كانت مملوءة فحشا وشناعة وفجورا مما جعل القاديانيين يتألمون منه...

ومما كان يوصي به أتباعه أنه يقول لهم «إن آلام الحكومة الانجليزية آلامنا وكان يشاركهم في أفراحهم ويرى خدمتهم شرفا له على نفس المسلك الذي كان عليه والده من قبل «ومن يشابهه أبه فما ظلم» واستمر في غيه إلى أن عاقبه الله بعدة أمراض ألزمته الفراش إلى أن هلك سنة ١٩٦٥ م .

٣- الخواجة كمال الدين: كان يدعي لنفسه أنه مثل غلام أحمد في الإصلاح والتجديد وقد أخذ كثيرا من الأموال وذهب إلى المجترة التبليغ القاديانية وسكن في «وكنج مثن» ومال إلى انتهاب اللذات وبناء البيوت الفاخرة.

وكان إذا سمع بشخص أسلم ادعى فورا أنه أسلم على يديه على الطريقة القاديانية الخارجة عن هدى الإسلام . وكان بعض هؤلاء الذين يدخلون في الإسلام من الأوربيين - ويدعى الخواجة أنهم أسلموا على طريقة القاديانية - حين يعلمون ادعاء الخواجة يكذبونه ويبنون أنه لا علاقة لهم بمذهب القاديانية وقد ذكر سائح هندي عن الخواجة كمال الدين وطريقته في طعامه فقال: «إن الأستاذ كمال الدين كان جالسا مع أحد أصدقائه في المطعم يأكلان الطعام وبعد ذهابهما سألت صبي المطعم ماذا أكل هذان الشيخان فقال بكل سذاجة أطيب نوع من لحم الخنزير»^(٢).

(١) جريدة الفضل ١ نوفمبر لسنة ١٩٣١ م ترجمة إحسان إلهي ص ٢٥٣ القاديانية .

(٢) جريدة الفضل ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٤ م .

قال إحسان إلهي: « فهذا الصحابي الجليل للمتنبى القادياني ومن زعماء القاديانية اللاهورية مات بعد أن ترك تركة ضخمة »^(١) وأيضا يأكل أطيب نوع من لحم الخنزير ، وأين الطيب وأين لحم الخنزير ؟

وقال فضل كريم خان في تكذيبه لادعاء القاديانيين أن الناس أسلموا على أيديهم في « ووكنج مشن » قال : « لا يوجد في عظماء الانجليز الذين أسلموا من يرجع الفضل في إسلامه إلى ووكنج مشن . وقد أعلن اللورد هدلي أنه درس الإسلام بنفسه واعتنق الإسلام وقال ولم أتعرف على الخواجة كمال الدين إلا قبل إسلامي بأسبوعين فقط . وقد أسلم المستر مار ماديوك بكتهال في مصر وبفضل الأتراك والمصريين وتأثيرهم . وقد اعتنق سرارجيا لدهلتن بضرورة عائلية وهكذا إذا فحصنا وجدنا أن ووكنج مشن ليس لها في إسلام هؤلاء فضل ولا نصيب »^(٢).

ويقول في نفس هذه المقالة رادا على الذين يزعمون أن مسجد ووكنج مشن من بناء القاديانيين ومبينا صلة القاديانيين به بعد ذلك .

« لست أدري كيف شاع في الهند أن جامع ووكنج من بناء القاديين الواقع أن هذا الجامع إنما بني بالمال الذي تبرعت به إمارة بوفال الإسلامية أما المسكن الذي بجوار الجامع فهو في تذكار وزير حيدر اباد المشهور سرسالارجنك وقد بني كل ذلك تحت إشراف العالم الألماني الدكتور لائتس لقد أسكن المؤلف الإسلامي المشهور السيد أمير على الخواجة كمال الدين في هذا الجامع . وإلى الأول يرجع الفضل في بقاء هذا الجامع مركزا للمسلمين »^(٣).

٤- وهناك شخصيات أخرى قاديانية - مثل محمد أحسن أمر وهي الذي

(١) القاديانية ص ٢٦٠ .

(٢) (٣، ٢) مجلة حقيقت إسلام لا هور يناير سنة ١٩٣٤م. انظر كتاب القادياني والقاديانية للندوي ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، فصل « دعاية وتهريج » .

كان مصدر عون للقادياني حيث كان يرسل إليه مسودات كتبه ليصلح ما يحتاج إلى إصلاحه فيها ثم يرسلها للغلام ليجعل اسمه على الكتاب .

وقد كان في عيشة راضية طوال عهد الغلام إلا أنه وفي خلافة ابن الغلام محمود أحمد وقع بين شركة النبوة القاديانية من التشاجر والسباب والتفرقة ما كان طبيعيا في مثل تلك العلاقات القائمة على الكذب والخيل أن يقع .

ومنهم محمد صادق وكان مفتيا للقاديانية وعبد الكريم السيسالكوتي إمام مسجد الغلام وخطيبه وصديق الغلام الخاص الذي مدحه بقوله: «لم يولد في القاديانية رجل ثالث يضاهي حضرة الشيخ عبد الكريم ، وهو أول من خاطب الغلام .

برسول الله ونبي الله فأذقه الله في هذه الدنيا عذابا تقشعر منه الجلود كتب ابن الغلام أحمد بشير أحمد عن مرض عبد الكريم فقال : « فابتلي الشيخ عبد الكريم في مرض كارينكل ومابقي في جسمه موضع لإثق من العمليات الجراحية وكان يصرخ في مرضه صرخات لا يحتمل الإنسان سماعها ولأجل ذلك غير حضرته المسيح الموعود مسكنه ؛ لأن الشيخ عبد الكريم كان يسكن في نفس البيت الذي كان يسكنه المسيح الموعود وكان الشيخ عبد الكريم يبكي ويصرخ لكي يزوره حضرة المسيح ولكن حضرة المسيح لم يذهب لعيادته لأنه كان يقول أنا أريد أن أذهب إليه ولكني لا أطيق أن أراه في هذه الحالة وبعض الأحيان كان الشيخ عبد الكريم يفقد شعوره لشدة مرضه وكان يقول هاتوا إليّ المركب حتى أذهب إلى حضرة المسيح لاني منذ أيام ما رأيته ، كأنه كان يظن بأنه يسكن بعيدا عن حضرته في خارج القاديان وهكذا استمر به المرض حتى هلك .

ومنهم يارمحمد وهو من المؤسسين الأوائل لنبوة الغلام وبعد هلاك الغلام استسهل يارمحمد أمر النبوة فادعى هو الآخر أنه نبي تابع لحضرة الغلام وكان

من أساتذة ابن الغلام محمود أحمد الذي رد بعد ذلك على يار محمد وخطئه في دعواه النبوة وأن ذلك إنما كان عن سبب اختلال وقع به .

ومنهم نور أحمد القادياني الذي أعلن أنه رسول الله أيضا فاعلن قوله : لا إله إلا الله نور أحمد رسول الله ، أنا رسول الله أرسلت رحمة للعالمين كما أنا مظهر لجميع الأنبياء فرد عليه ابن الغلام وخطأه وزعم بأن به مرض الجنون حسدا من ابن الغلام له .

ومنهم عبد الله تيمابوري ادعى النبوة حسب بشارات غلام أحمد فقال : أنا هو الذى بشر عنه حضرة الأقدس المسيح الموعود غلام أحمد بأنه يرسل نبي فيها أنا أرسلت ببركة غلام أحمد وفيضانه وسوف يظهر على يدي صداقة حضرة الغلام على الدنيا .

ولقد هان أمر النبوة فى نظر صحابة الغلام فادعى كل واحد أنه هو النبي المبعوث بعد الغلام وكونوا جماعة قاديانية أخرى وحصل بينهم نزاعات كثيرة إلا أنه كان يجمعهم تقريبا إنتسابهم إلى الغلام وأن الغلام القادياني نبي الله ورسله كما أنهم أنبياء الله ورسوله ولا نجاة لمن لم يؤمن بنبوة غلام أحمد كما لا نجاة لمن لم يؤمن بنبوتهم ورسالتهم هم أيضا .

والفرق بينهم وبين المتنبى الغلام القادياني بزعمهم أن الغلام اكتسب النبوة بلا واسطة وهم اكتسبوها بواسطة فهو كالأستاذ لهم وهؤلاء كالتلاميذ له وكانوا خلفا جيدا للغلام وجيدا للاستعمار البريطاني ولكن بريطانيا لم تقدم على دعمهم دعما كاملا ولم تدع إلى نبوتهم كما دعت إلى نبوة الغلام لئلا يستهين الناس بالقادياني فتبطل دعواه النبوة وينفر الناس عنها كما تقدم .

هؤلاء هم أشهر زعماء القاديانية وهناك مئات من الزعماء الأشقياء لهذه الفرقة الضالة وقد خذلهم الله في أماكن كثيرة وانبرى لهم أتباع محمد ﷺ يردون عليهم ويبينون خروجهم عن الإسلام ويحذرون منهم مما جعل القاديانيين

يتبعون بدعوتهم الديار النائية للمسلمين ومن تكثر بينهم الأمية وقد نجحوا في دعوتهم بينهم والحرب بين قوى الخير وقوى الشر من الأمور التي لا تنتهى بين البشر ولله حكمة في ذلك والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار .

﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

الفصل الثاني عشر

الفرع اللاهوري القادياني

أمير هذا الفرع هو محمد علي من أوائل المنشئين صرح القاديانية وممن كان له يد ومنه عظمة في توجيه الغلام المتنبي ومساعدته بالفكر والقلم أيضا وكان هو الآخر من أشد المخلصين للإنجليز والمخرضين على بذل الطاعة التامة لهم ، وقد كانت لهم مواقف مع الغلام وأسرتة إذ كان أحيانا يتبرم من استبداد المتنبي بالاموال التي تصل إليه من أتباعه فيصرح للمتنبى بهذا ويرد عليه المتنبي هذه التهمة وبعد وفاة الغلام استفحل الخلاف بين أسرة المتنبيء ومحمد علي حول اقتسام الأموال التي جاءتهم حيث استغلها ورثة المتنبي مع علمهم « بأن هذه النبوة شركة تجارية وهم كلهم شركاء فيها»^(١) ولعل هذه الخلافات الشخصية لم يكن لها تأثير على إتمام الخطة وإحلال القاديانية محل الإسلام خصوصا والقوة التي انشأت الغلام وفكرته لاتزال هي القوة والمتآمرون لايزالون في إتمام حيلها وتنفيذها .

أما بالنسبة لحقيقة معتقد هذا الرجل في غلام أحمد وهل كان متلونا أم كان له مبدأ أملي عليه أم أنه كان مقتنعا به دون تدخل أحد فإن الذي اتضح لي من كلام العلماء الذين نقلوا عنه آراءه أنهم مختلفون على النحو الآتي :

١ - منهم من يرى بأن محمد علي أختير من قبل الساسة الإنجليز لإتمام مخطط القاديانية بطريقة يتحاشي بها المواجهة مع مختلف طوائف المسلمين في الهند والباكستان وغيرهما ويتحاشي بها كذلك من مصادمة علماء الإسلام الذين نشطوا في فضح القاديانية وإخراجها عن الدين الإسلامي فاقترضى الحال أن يتظاهر محمد علي وفرعه بأنهم معتدلون لا يقولون بنبوة الغلام وإنما يشبتون أنه مجدد ومصلح لاستدراج الناس إلى القاديانية ولامتصاص غضب المسلمين على

(١) القاديانية لإحسان إلهي ص ٢٥٠ .

القاديانية فتظاهر بعد ذلك محمد على وفرعه بهذه الفكرة بغرض اصطياد من يقع في أيديهم^(١).

٢ - ومنهم من يري بأن محمد على وفرعه كانوا يعتقدون بأن الميرزا غلام أحمد لم يدع النبوة وكل ما جاء عنه في ذلك إنما هي تعبيرات ومجازات وكابروا في ذلك اللغة وكابروا الواقع .

وقد لقبهم القاديانيون بالمنافقين « لأنهم يحاولون الجمع بين العقيدة القاديانية والانتساب إلى مؤسسها وزعيمها وبين ارضاء الجماهير » ومع هذا الموقف .
فإن محمد على اللاهوري دائماً يلقب الميرزا غلام أحمد بمجدد القرن الرابع عشر والمصلح الأكبر وزيادة على ذلك يعتقد أنه المسيح الموعود » .
قال الندوي عنهم « وعلى ذلك تلتقي الطائفتان »^(٢).

٣ - وذهب الأستاذ مرزا محمد سليم اختر في كتابه لماذا تركت القاديانية إلى رأي آخر حيث قال بعد أن ذكر ما وقع بين محمد على وجماعة الربوه من خلاف على منصب الخلافة بعد نور الدين قال : « وانكر نبوة الميرزا ليكسب العزة عند المسلمين » ثم قال : « ولم ينكر أحد هذه الحقيقة أن محمد على اقر بنبوة الميرزا وإنكاره لنبوته يعتبر كالعقدة في الهواء »^(٣).

والواقع أن القول بأن الفرع اللاهوري وعلى رأسهم محمد على ما كانوا يؤمنون بنبوة الغلام عن اقتناع قول بعيد جداً ذلك أن مواقفهم وتصريحاتهم كلها تشهد باقرارهم بنبوة الغلام وليس فقط أنه مصلح ومجدد .

كما أن تصريحات الغلام نفسه بنبوته لا تخفي على من هو أبعد من الفرع اللاهوري فكيف يقال بأنها خفيت عليهم .

(١) انظر ما كتبه إحسان إلهي في كتابه القاديانية دراسة وتحليل ص ٢٤٢ .

(٢) القادياني والقاديانية ص ١٤٤ .

(٣) لماذا تركت القاديانية ص ٣١ ترجمة محمد كلیم الدين .

كما أن معتقد الفرع اللاهوري ليس له أي أساس آخر غير الأساس الذي بناه غلام أحمد وأسهم فيه محمد علي نفسه .

والباطل لا بد وأن يتناقض أهله فيه فقد صرح محمد علي نفسه بقوله عن الغلام : نحن نعتقد أن غلام أحمد مسيح موعود ومهدي معهود وهو رسول الله ونبيه ونزله في مرتبة بينها لنفسه أي أنه أفضل من جميع الرسل كما نحن نؤمن بأن لا نجاة لمن لا يؤمن به»^(١).

ونصوص أخرى كثيرة كلها تثبت أن هذا الفرع لا يختلف في النتيجة عن الحركة القاديانية الأم في قاديان وأنه كان يراوغ في إظهار معتقده نفاقا وايعالا في خداع العامة حتى أنه كان يوصي أتباعه في جزيرة مارشيس أن لا ينشروا هناك أن الغلام نبي . وأن من لم يؤمن به فهو كافر ، لأن هذا المسلك يضر بانتشار القاديانية^(٢) أي ولكن ينشروا أنه مجدد لتقريب وجذب المسلمين إليهم .

ومن أقوال هذا الفرع أيضا :

« ياليت أن القاديانية كانت تظهر غلام أحمد بصورة غير النبي ... ولو فعلوا هذا لكانت القاديانية دخلت في أنحاء العالم كله »^(٣).

وبهذا يتضح أن هذا الفرع أمكر وأكثر إحتيالا لنشر القاديانية وهو الذي أتيح له التوغل في العصر الحاضر إلى أقصى البلدان الإسلامية في آسيا وفي أفريقيا .

وقد قام محمد علي بنشاط كبير في عرض القاديانية . ولعل من أهم أعماله ترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية^(٤) حيث ملأها بالأفكار القاديانية مما

(١) جريدة الفضل : ٣ / ٤١١ . (٢) التبليغ : ١ / ٢١ .

(٣) بيغام صلح ١٧ إبريل لسنة ١٩٣٤ م جريدة الفرع اللاهوري .

(٤) يذكر محمد اختر الذي كان قاديانيا ثم انفصل عنهم أن تلك الترجمة ليست من صنع محمد

علي كلها وإنما هي للحكيم نور الدين البيهري ونسبها محمد علي لنفسه .

انظر كتابه لماذا تركت القاديانية ص ٣٢ ترجمة محمد كليم الدين .

جعل الكثير من الناس يقعون ضحية تلك الأفكار ظانين أنها ترجمة رجل مسلم لقد اتجه هذا الرجل في تفسيره للقرآن وجهة خطيرة لم يتورع فيها عن الكذب والتعسف ومخالفة أهل العلم واللغة والإجماع وإنما فسره بمعاني باطنية فيها التركيز على إنكار الإيمان بالغييب وبالقدرة الإلهية والأمثلة على ذلك كثيرة جدا منها على سبيل المثال .

١ - قوله تعالى موسى ﴿ فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾
أي أن الله أمر موسى بالمسير إلى جبل فيه اثنتا عشرة عينا .

٢ - ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ أي كنتم في منخفض من الأرض والجبل يطل عليكم .

٣ - ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ ؛ أي مسخت قلوبهم وأخلاقهم .

٤ - ﴿ أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ﴾
المراد بالطير هنا استعارة أي رجال يستطيعون أن يرتفعوا من الأرض وما يتصل بها من أخلاق وأشياء وبطيروا إلى الله ويحلقوا في عالم الروح .

٥ - المراد باليد البيضاء التي أعطي موسى أي الحجة والحبال والعصي في قوله تعالى ﴿ فألقوا حبالهم وعصيهم ﴾ أي وسائلهم وحيلهم التي عملوها في أحباط سعى موسى^(١) .

وفي قوله تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ماد لهم على موته إلا دابة الأرض ﴾ الآية ، دابة الأرض : هو رجل اسمه رحبعام بن سليمان الذي تولى الملك بعده وسمى دابة الأرض لقصر نظره إذ كان لا يجاوز الأرض .
والمنسأة التي هي العصا كناية عن ضعف الحكومة وانقراضها .

والجن : شعوب أجنبية بقيت في حكم بني إسرائيل إلى ذلك العهد ،

(١) انظر ص ١٤٥ - ١٥٣ .

وهدهد سليمان : هو إنسان كان يسمى الهدهد وكان رئيس البوليس السرى
في حكومة سليمان. وقد تلاعب بمعاني القرآن الكريم على هذا التفسير الباطني
الهزلي المملوء بالأكاذيب والخرافات وقد تلقفه المسلمون خصوصا من لم يعرف
العربية بكل سرور لعدم علمهم بأن تفسير محمد على للقرآن الكريم باللغة
الإنجليزية إنما يراد به هدم معاني الشريعة الإسلامية والمفاهيم الصحيحة وقد ذكر
الأستاذ الندوي في كتابه القادياني والقاديانية كثيرا من مثل هذا التلاعب بالقرآن
للتحذير وإبراء الذمة (١).

(١) انظر ص ١٤٥-١٥٣ .

من أهم مراجع القاديانية

- ١ - ماهي القاديانية / أبو الأعلى المودودي .
 - ٢ - القادياني والقاديانية / أبو الحسن على الندوي .
 - ٣ - القاديانية دراسة وتحليل / إحسان إلهي ظهير .
 - ٤ - القاديانية / عبد الله صالح الحموي .
 - ٥ - معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية / بشير محمود أحمد .
 - ٦ - لماذا تركت القاديانية / ميرزا محمد سليم اختر .
 - ٧ - المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر «القاديانية فئة كافرة» تعريب الأستاذ محمد بشير .
 - ٨ - القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام / د / أحمد محمد عوف .
 - ٩ - حب العرب إيمان / للميرزا غلام أحمد - خطبة جمعة .
 - ١٠ - أباطيل القاديانية في الميزان / د / محمد يوسف النجرامي .
 - ١١ - دعوة الأمير / معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية / للميرزا بشير محمود أحمد .
 - ١٢ - ضميمه الوحي / للقادياني .
 - ١٣ - توجد بحوث عن القاديانية منها :
 - ١ - القاديانية في اندونيسيا للشيخ شفيق أمر الله شمس الدين .
 - ٢ - القاديانية في غانا للشيخ سحنون تاج الدين .
- كما انني قدمت أثناء الكتابة عن القاديانية ما ترجمه المشائخ أبو الأعلى المودودي والشيخ الندوي والشيخ إحسان إلهي على ما ترجمه غيرهم للشقة القوية بغزارة علم هؤلاء وإحاطتهم بمفاهيم القاديانية كلها وعظيم شرفهم في الخلق والدين فالاعتماد على ترجمة هؤلاء أولى من غيرهم في نظري خصوصا لمن لم يعرف اللغة الأردية .

الباب الثامن الصوفية الفصل الأول

تمهيد: في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة

الصوفية التي نبحثها هنا هي الصوفية التي خرجت عن الحق إلى الغلو متأثرة بثتى الأفكار المنحرفة التي هي في الواقع أفكار بدعية طرأت على المسلمين في غياب الوعي الإسلامي وبروز الجهل وعلماء السوء المغرمون بالخرافات وحب الزعامة وهي ذات مفاهيم خاطئة مضطربة تأثرت بمسالك منحرفة وبالغت فيها إلى حد الهوس والاضطراب الفكري الشنيع .

وكان حافظ إبراهيم حينما ندب اللغة العربية بقوله :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

كأنه عني المذهب الصوفي في انحرافه وتنوع مصادره وتلنيق أفكاره من ثتى المذاهب ولقد جراً أصحاب هذه الطريقة الصوفية على القول على الله بغير علم ، كما كذبوا وأكثروا أيضاً على رسوله ﷺ لتقوية مبادئهم الكثيرة وتأييدها وبالغوا في الكذب وزخرف القول وتفننوا في الطرق والآراء حتى ليخيل للشخص أنهم على شيء وهم في فراغ وجهل شديد .

وطرقوا مسائل ليست من الإسلام في شيء ولم يقل بها أحد من المسلمين وأظهروها بزخرفهم على أنها من الإسلام بما قدموه من تقليب الأدلة وإثارة الشبه والتفنن في الاستدلال والجواب ، وقالوا بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود والكشف والقطب والغوث وغير ذلك من الأمور التي طرقها

كبار دعائهم مثل الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي وغيرهم ممن لبس عليهم إبليس فقالوا بوجود الله تعالى في كل شيء حتى صار في عرف غلاتهم أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق لا يمكن أن يعد صوفيا ووليا من أولياء الله كما ذكر الأستاذ إحسان إلهي ذلك عنهم^(١).

وهكذا أصبح المذهب الصوفي بعد أن لبس إبليس على أتباعه خليط من شتى الأفكار والآراء المنحرفة، حيث يظهر فيه جليا غلو الشيعة ومبائدي الباطنية وآراء المسيحية والهندوكية والبوذية وغير ذلك من الديانات والفلسفات القديمة كالأفلاطونية والأفلوطينية وسائر ما قال به علماء اليونان^(٢) وقد قامت الدعوة للصوفية وازدهار شأنها من جديد في هذا العصر على نطاق واسع بسبب عوامل عدة منها:

جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم ثم الجهل بحقيقة الصوفية كذلك ومنها مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية، لأنهم يعرفون المكاسب التي سيجنون ثمارها إذا علا سلطان الصوفية وفشا الجهل وانتشرت الخرافات الصوفية وخزعبلاتها وتأثروا بآرائها السلبية في مفهوم وحدة الجهاد في سبيل الله وفي مفهوم الأديان التابعة لمفهوم وحدة الوجود وأعداء الإسلام هنا فريقين:

فريق عداوته ظاهرة وهم المستعمرون ومن يبيتون النية لهدم الإسلام وتشتيت كلمة المسلمين وقد استفاد هؤلاء من أفكار الصوفية كثيرا حين نام المسلمون على دعوى الزهد والإقبال على الآخرة بغير بينة والتمسح بصور الأولياء وطلب البركة والنصر منهم في حياتهم وبعد موتهم أيضا والعكوف على قبورهم.

وفريق آخر متلبسون باسم الدين ويحكمون كثيرا من ديار المسلمين وهؤلاء

(١) التصوف المنشأ والمصدر ص ٦ .

(٢) انظر التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة .

يساعدون الصوفية خوفا من عودة الإسلامي السلفي الذي يصطدم مع ميول ورغبات هؤلاء وشهواتهم لأجل هذا ولغيره كان تنبيه طلاب العلم إلى خطر هذا المذهب الرديء واجب يحتمه وجوب النصيح لكل مسلم يجب حماية نفسه ودينه من الانزلاق في خضم الأفكار المبتوثة بين صفوف المسلمين ، والتي كان من نتيجتها زيادة الكوارث والخبال الذي حل بديار المسلمين حين ابتعدوا عن المنهج الحق الذي شرعه الله لعباده ولقد فرح أعداء الإسلام بانتشار الصوفية التي مهدت لهم السبيل بدعوى الزهد والتقشف والابتعاد عن المظاهر وعن منازعة الحكام والرضى بأفعالهم فعاش المسلمون على هامش الحياة بعد أن خدرت الصوفية أعصابهم بترهاتها وخزعبلاتها التي تنافي العقل السليم والدين الإسلامي الخفيف في كثير من مبادئها وطقوسها المختلفة ونظرتها إلى الحياة .

الفصل الثاني

التعريف بالصوفية لغة واصطلاحاً

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية والتصوف باختلافاً كثيراً قلما يوجد له مثيل ، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين يقول محمد طاهر الحامدي : « الأقوال المأثورة في التصوف قيل أنها زهاء ألفين »^(١) ، وقد نقل إحسان إلهي في كتابه «التصوف المنشأ والمصدر» أقوالاً كثيرة عن أقطاب التصوف في تعريفهم ومفهومهم للتصوف^(٢) ولكن مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها فإنها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها مما يستدعي الحال غض النظر عن تلك التعريفات كلها والقاء الضوء على الأقرب منها وفيما يلي بيان ذلك .

١ - في اللغة :

يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات ومنها كلمة صوفان وصوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة . وقد أطلقت كلمة « صوف » في بعض دلالتها بمعنى الميل فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه وصاف عن الشر أي عدل عنه^(٣) .

٢ - في الاصطلاح :

يجب إدراك أن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة ومن هنا وقع كثير من الجدل بين العلماء في التعريف بالصوفية ومهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف فإنه يصدق عليه عموماً أنه يدعه محدثة في الدين وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان .

(٢) انظر: ص ٣٦-٤٨ (الفصل الثالث).

(١) انظر : التصوف المنشأ والمصدر ص ٣٧ .

(٣) انظر : معاجم اللغة في مادة « صوف » .

ونذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء كانت من الصوفية أو من مخالفيهم ومن ذلك ما يلي :

١ - التصوف هو تجريد العمل لله تعالى والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة والميل إلى التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس .

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده والزهد في الدنيا والتخفف من متاعها والإقبال على الآخرة دون أن يلبسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المثين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك .

٢ - وذهب قسم كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم أي «الصوفية» إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي يعبر عن الزهد والتقشف وترك التمتع والملذات المباحة وقد علق القشيري على هذا بقوله : « فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف » .

٣ - وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ عن الصفاء أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى وهو ما يحب الصوفيون التسمي به بل إن كل انتساب فيما لاحظ (نيكلسون) إلى الصوف يقابله اثنا عشر تعريفا تعتمد على الصفاء الذي حاول الصوفية ان ينتسبوا إليه ^(١). إلا أن القشيري قد استبعد هذا المفهوم في اللغة بقوله : « ومن قال أنه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة ^(٢) .

٤ - وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد ويرى القشيري أن النسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ^(٣) .

٥ - وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصف الأول قال القشيري :

(١) انظر دراسات في الفرق ص ٩٨ . (٢) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٥٠ .

(٣) المصدر السابق .

« فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف (١) .

٦ - وبعضهم يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية وهي تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام .

٧ - وبعضهم يرى أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله .

وهناك تعريفات كثيرة خاض فيها العلماء باجتهاداتهم بعضها من وضع أقطاب التصوف وبعضها من غيرهم لايهمنا سردها هنا بالتفصيل والدراسة الشاملة لها كلها^(٢)، إذ الغرض إنما هو التنبيه إلى ما وقع من اختلاف في التعريف بهم ولما كانت كل تلك التعريفات أمور اجتهادية واستحسانات وتقريب لهذا المذهب فإنك تجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة وفي بعضها أخطاء واضحة ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردود على بعض تلك التعريفات فقد ذكر أنه إذا كانت النسبة إلى أهل الصفة - وهو خطأ تاريخي كما سنبين - ذلك - فإنه يقال صُفِّي ، وأما إذا كانت إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى فإنه يقال صُفِّي وأما كانت نسبة إلى الصفوة من خلق الله فإنه يقال صَفْوِيٌّ ، وأما إذا كانت النسبة إلى ذلك الرجل الجاهلي فإنه لا أحد من المتصوفة يرضى أن ينسب إلى قبيلة جاهلية قبل الإسلام إضافة إلى أنه لم تعرف هذه التسمية بين الصحابة ولا كانت هذه القبيلة مشهورة أيضاً^(٣) .

وقد زعم كاتب نصراني هو «جورجي زيدان» « أن كلمة تصوف في العربية تعادلها كلمة « سوفيا » اليونانية والتي معناها الحكمة^(٤) ، أي أن التصوف

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر الرسالة التفسيرية ص ٥٥٠ ج ١ وانظر الصوفية معتقداً ومسلكا ص ١٩ - ٣٦ وانظر الصوفية المنشأ والمصدر ص ٢٠ - ٣٩ .

(٣) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ص ١٣/١٤ . (٤) انظر الصوفية معتقداً ومسلكا ص ٢٣ .

نسبة إلى الحكمة اليونانية وهو زعم أبطله كثير من العلماء وربما لأن التصوف إنما ظهر بعد الإسلام ولا يمنع هذا أن تتأثر الصوفية بعد ذلك بثتى التأثيرات بل هو الواقع ولكن ليس بالمفهوم اليونانى بالكامل، هذا ونسبة التصوف إلى الصوف أقرب إلى الاشتقاق اللغوي كما أنه أقرب كذلك إلى ذوق الصوفية وحالهم في تمسكهم بلباس الصوف وقد ذهب إلى تقرير هذا القول كثير من العلماء في نسبتهم لهذه الطائفة التي لم توجد في زمن النبي ﷺ ولا في زمن الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان إذ لو وجدت في هذه الأزمنة وعرفها الناس وعرفوا مسالكها لاشتهرت تسميتها ولما حصل لبس أو خلاف في حقيقتها واتجاهاتها بين المتأخرين.

وقد رجح شيخ الإسلام فيما يظهر من كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف حيث قال « وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف » .

ثم علل ذلك بقوله : « فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية^(١) .

وأيد السهروردي صحة القول بنسبة الصوفية إلى الصوف وذكر أدلة كثيرة على فضائل لبس الصوف وبالغ في مدح الصوفية حين اختاروا هذا الاسم بما يطول نقله .

ثم ذكر الأسماء الأخرى والتي منها نسبتهم إلى أهل الصفة من فقراء الصحابة المهاجرين ثم قال :

« وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك »^(٢) .

وستأتي مناقشة هذا الادعاء للسهروردي .

(٢) انظر عوارف المعارف ص ٤٥ - ٤٩ .

(١) الصوفية والفقراء ص ١٥ .

الفصل الثالث

هل توجد علاقة بين المتصوفة وأهل الصفة

والواقع أن هذه القضية تعتبر من القضايا الساخنة خاض غمارها المتصوفة من جانب وغير المتصوفة من الجانب الآخر حول الصلة بين الفريقين الصوفية وأهل الصفة .

فهل توجد فعلا علاقة بين الصوفية وأهل الصفة ؟

الجواب : أنه بالرغم مما بذله المتصوفة من جدل وبحوث لتقريب التصوف إلى أهل الصفة فإن ذلك لم يجدهم شيئا .

فهناك من المتصوفة كالمُنوفي ، والسهورودي ، وغيرهما من كبار الصوفية من يزعم وجود تلك الصلة بين الفريقين وأن أهل الصفة هم سلف أهل التصوف فالسهورودي يرى أن العلاقة بين المتصوفة وأهل الصفة تتمثل في حب الانفراد والعزلة عن الناس والشوق إلى الله تعالى ، وأن هذه الفكرة هي الجامع بين الصوفية وأهل الصفة فيما يرى وقد قال في إثبات ذلك :

« الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك^(١) لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحواً من أربعمئة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط^(٢) الخ كلامه .

وأما المنوفي فقد قال عنهم :

« هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض الفانية وشغل أفدتهم بالحياة الباقية » إلى أن يقول : « استوطنوا الصفة فصفوا أنفسهم من الأكدار ونقوها من الأغيار واعتصموا من حظوظ النفوس بالإيثار » .

(١) أي أهل الصفة .

(٢) عوارف المعارف ص ٤٧ .

إلى أن قال: «وكان الظاهر من أحوالهم والمشهود من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم نوعان ولا حضر لهم من الأطمعة لوان»^(١).

والحقيقة أن السهروردي وغيره من المتصوفة لم يستطيعوا أن يأتوا برباط أحد أو بوجه شبه يعتبر قاسما مشتركا صحيحا مقبولا بين حال أهل الصفة رضوان الله عليهم وبين المتصوفة مع كثرة ما حاول هو وغيره وبشتى الأساليب أن يوجد واتلك الصلة المزعومة وأن يكون آلتك الصحابه الأفاضل هم الأساس لأقطاب التصوف والمثل الأول لهم.

مع محاولة بعضهم كذلك ربط حركة التصوف وما تحمل من حب العزلة والافتراد والخلوة بما وقع للرسول ﷺ من تجيب الخلوة إليه في غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد.

وقد فاتهم أن هذا لا يصلح أن يكون دليلا لهم على ذلك فإن أقل ما ينقضه هو أن تلك الخلوة إنما كانت بعناية من الله له ليستعد لحمل أعباء الرسالة فيما بعد وقبل أن يكلف أيضا بدعوة الناس وإقامة شعائر الدين وأن الرسول ﷺ بمجرد أن اختاره الله لتبليغ الدعوة كان محط أنظار الناس في كل لحظة من لحظات عمره المبارك وإلا فكيف انتشر الإسلام بعد ذلك ودخل الناس في دين الله أفواجا لو بقى على تلك الخلوة وبمفهوم الصوفية أيضا، والحق أن المتصوفة ليس لهم مستند في تعلقهم بأساس تصوفهم سواء كان ذلك التعلق بالصحابة من أهل الصفة أو بالرسول ﷺ في خلوته في غار حراء ومن زعم أن بدايات التصوف كان الرسول ﷺ أو أهل الصفة فلا شك في خطئه. وإذا كان المتصوفة فيما يدعون يحبون الفقر والخرقة^(٢)، والانزواء في الزوايا والأربطة فإن الثابت المتواتر

(١) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٣١.

(٢) ذكر السهروردي للبس الخرقة حقوقا لا يحتملها إلا من كان موقفا غاية التوفيق فيما يريد أن يوحى به السهروري في عوارف المعارف ص ٥٢.

أن أهل الصفة في مجملهم كانوا كثيرا ما يشكون حالهم إلى رسول الله ﷺ على أمل أن يساعدهم على حياة طيبة في الدنيا تكون عوناً لهم إلى الآخرة وقد أخبر الله عنهم أنهم يتولون وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون، وقد تحقق لمعظمهم بعد ذلك مال وافر عملاً منهم بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، واجتمعت لبعضهم ألوان الأطعمة المباحة ولم يزهّدوا عن الدنيا نهائياً لأنهم يعلمون أن ذلك لا ينافي الزهد بينما معظم المتصوفة إنما يريد بإظهار ذلك الزهد وتلك الرهبانية الوصول إلى ما في أيدي الناس واستعباد أذهانهم وأفكارهم لازهداً حقيقياً عن الدنيا في أكثر أحوالهم حيث وجد لبعضهم بعد موتهم مدخرات كثيرة مما يتنافى ودعوى الزهد لأن الزهد الحقيقي هو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من بعده فلا رهبانية ولا تواكل ولا تحريم لما أحله الله من الطيبات ولا استحلال ما لم يرد به الشرع، وهذا هو الزهد لا إظهار الفقر والعوز كما يراه غلاة المتصوفة .

إن تلك الصلة بين الصوفية وأهل الصفة التي يزعمها السهروري والمنوفي محض خيال ذلك أن أهل الصفة ما كانوا يحبون الفقر ولا يحبون الانفراد والعزلة عن الناس وكيف يحبون العزلة والانفراد وهم في أكثر أماكن تجمع الناس وأيضاً هل كان مكثهم في الصفة بمحض رغبتهم أم كانت حالة طارئة أملت عليها الظروف المعيشية ذلك أنه لا يخفى على طلاب العلم - أن أهل الصفة كانوا من الفقراء الذين لا يجدون مأوى غير المسجد في الوقت الذي كانوا يبحثون فيه بكل جد من أجل الوصول إلى حال اليسار والغنى خصوصاً وهم يتلون قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، كما يسمعون قول المصطفى ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»^(١). وقوله أيضاً: «اليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٥ ص ٥٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٣٧٧ ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد .

فما كان أحدهم يحمل الزنبيل على ظهره ويطوف بالبيوت في طلب رزقه متكاسلا عن العمل متكلا على ما في أيدي الناس أعطوه أم منعه كما هي حال كثير من المتصوفة بعد أن فسدت فطرهم واختلت مفاهيمهم .

وحين صاروا كما مدحهم السهروري بقوله :

« واتخذوا النفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب »^(١).

وأما زعم المنوفي أن الله اختار أهل الصفة ليكونوا كذلك وهم أيضا قد اختاروا الفقر والمسكنة فهو زعم باطل يكذبه الله في القرآن الكريم وتكذبه السنة النبوية والتاريخ لقد كان من أهل الصفة من أصبح أميرا ومن أصبح غنيا ذا ثراء كبير ومال وفير ومن أصبح قائد جيوش جرارة وهم مع ذلك في قمة الزهد والخشوع لربهم .

(١) عوارف المعارف ص ٤٩ .

الفصل الرابع

أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها

من أشهر الأسماء لهذه الطائفة اسم « الصوفية » ولهم أسماء أخرى غير مشهورة على ألسنة الناس ومن تلك الأسماء التي أطلقت عليهم أو أطلقوها هم على أنفسهم :

١ - الصوفية : وهو الاسم المشهور الذي يشمل كل فرقهم وهم يرضون به ويتمدحون بالانتساب إليه وقد سبق تعليل هذه التسمية .

٢ - أرباب الحقائق : لزعمهم أنهم وصلوا إلى حقائق الأمور وخفاياها بخلاف غيرهم من الناس الذين أطلقوا عليهم اسم « أهل الظاهر » وأهل الرسوم»^(١).

٣ - الفقراء : وهو اسم زعم السهروردي أن الله هو الذي سماهم به حيث قال : « وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقير يقولون قال الله تعالى ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ﴾ هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء»^(٢).

٤ - ويسمون شكفتيه في خراسان نسبة إلى الغار قال السهروردي عن الصوفية في خراسان : « كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر»^(٣).

٥ - جوعية قال السهروردي وأهل الشام يسمونهم جوعية^(٤).

٦ - الملامية أو الملامتية : وقد عنون المنوفي لها بقوله « أهل الملامة واللامتية»^(٥).

واللامتية هي إحدى تطورات المذهب الصوفي ووساوسه المتشعبة وأمانيه

(٢) انظر عوارف المعارف ص ٤٢ .

(٥) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٢٢ .

(١) انظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٣١ .

(٣ ، ٤) عوارف المعارف ص ٤٨ .

البراقة وهذه الملامة التي يعتنقها بعض الصوفية ويتظاهر بها هي في احدى مفاهيمها النفاق بعينه يدخل فيه الشخص من حيث يشعر أولاً يشعر بل وسموه النفاق المحمود^(١)، حين يأتي الصوفي بما يلام عليه لأجل أغراض سامية فيما يزعمون ولكن متى كان النفاق محموداً، والملا متي حسب المفهوم الصوفي عرفه السهروري بقوله عن بعضهم « الملا متي هو الذي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً » ثم قال : « وشرح هذا هو أن الملا متي تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله ، ولا يتم هذا الإخلاص إلا إذا أصبح يستوي عنده المدح والذم له من الناس وأن لا يفكر في اقتضاء ثواب العمل في الآخرة^(٢) .

ويعلمون لهذا بأنه مع الناس في الظاهر وهو مع الله في الباطن مهما كانت أفعاله في الظاهر ومن هنا يقول أبو سعيد الخراز :

« رياء العارفين أفضل من إخلاص المرئدين » وقد شرح السهروري هذا الكلام بقوله ومعني قوله أن إخلاص المرئدين معلول برؤية الإخلاص والعارف منزّه عن الرياء الذي يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيئاً من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مرئد أو معاناة خلق من أخلاق النفس في إظهاره الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء إنما هو صريح العلم لله وبالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه^(٣) .

والصحيح أنه التلاعب بعقول الناس والترويج للباطل بأبطل منه وقلب للحقائق إذ كان الأولى أن يغلظ ذنب العارف لا أن يكون الرياء منه أفضل من غيره ومتى كانت دعوة المصلحين تقوم على أساس مداهنة الناس ومرءاتهم

(٢) انظر عوارف المعارف ص ٥٤ .

(١) انظر الصوفية معتقداً ومسلماً ص ٣٣٤ .

(٣) عوارف المعارف ص ٥٤ .

وأيضاً كيف صح له أن يصف محض الرياء بأنه ليس رياء وإنما هو صريح العلم لله وباللله من غير حضور نفس فمن يقبل هذا الخداع ويتهم نظره وعقله ويصدق بأن تلك الحال التي اعترت الصوفي إنما هي من أجل أن يجذب المريد أو يريد أن يذل نفسه فمن أين يعلم الناس ذلك حتى يمكنهم أن يسموا الرياء عبادة لله ولهذا فإن من الثابت عندهم أن كل ما يصدر عن الصوفي ينبغي أن يفسر بخير حتى وإن كان فعل الفواحش فيجب الاعتقاد على أنه لم يفعل ذلك إلا للحكمة جليلة كما بين ذلك الشعراني في طبقاته وغيره من كبار الصوفية في تراجمهم لساداتهم عتاة الصوفية وفي هذا يقول الدباغ :

« إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام والمراد بالعبورة العبورة الحسية والعبورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه، وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه »^(١).

ويؤكد الفتوي أن الواجب في حق المشائخ والأولياء - وهي كثيرة جداً منها:

١ - عدم الاعتراض على الشيخ في أي شيء يفعله ولو كان ظاهره حرام .

٢ - أن يكون المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل^(٢) وشروط أخرى يندى لها الجبين ويموت القلب حسرة على آثك الذين أذلتهم الصوفية وملكت عليهم كل عرق ينبض بالحياة والحياة وذكر علماء التصوف أمثلة وأخبار كثيرة في وجوب التسليم والرضاء لكل ما يفعله الولي الصوفي مهما كان ذلك العمل وهو ما قرره الفتوي وعلى حرازم والشعراني والمنوفي وأبو يزيد البسطامي والسهوروي وغيرهم من كبار الصوفية المجرمين في حق البشرية .

ومهما كان فإن الملامتية في حقيقتها إنما هي إحدى مصايد الصوفية مهما زخرفوا القول فيها وقال ابن عربي عن هؤلاء الملامتية :

(١) الإبريز ص ٤٣ ج ٢ . (٢) انظر رماح حزب الرحيم ج ١ ص ١٣٢ .

« أنهم رجال قطعهم الله إليه و صانهم صيانة الغيرة عليهم لئلا تمتد إليهم عين فتشغلهم عن الله ، لقد انفردوا مع الله راسخين لا يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين^(١) .

ويرى ابن عربي في فتوحاته المكية أن هذا الاسم أطلق عليهم لأنهم أخفوا مكانتهم الشريفة في العامة فكأن المكانة تلومهم حيث لم يظهروا عزتها وسلطانها^(٢) .

وقد شبههم المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء بأهل الكهف في فتوتهم وحالهم حين قال في التعريف بهم « الملامنة نعت لأبدال أهل الفتوة واسم الملامية أو الملامتية أطلق على قوم يلومون أنفسهم مع حسن أحوالهم ونموها » وقد استفاض المنوفي في الأمثلة للملامتية وحشر كثيرا من الناس أمثلة للفتوة^(٣) .

وقد قسم شيخ الإسلام الملامية إلى قسمين :

١ - ملامية يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وهؤلاء هم أهل الملام المحمود .

٢ - وملامية يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصرون على الملام في ذلك والصبر عليه وهؤلاء هم أهل الملام المذموم .

قال : « وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك ، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك »^(٤) .

(١) هذا النص عن مقدمة رسالة الملامتية تحقيق د . أبو العلا العفيفي ص ٢٠ وأما في الفتوحات المكية فإن النص يبدأ من قوله « لقد انفردوا مع الله » الخ ج ٣ ص ٣٩ .

(٢) الفتوحات المكية ج ٣ ص ٤٠ .

(٣) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٢٢ - ١٣٠ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١ ص ٦١ .

وأشار العلامة ابن الجوزي رحمه الله إلى مسلك من مسالك هؤلاء الملامية وهو ارتكاب المعاصي بحجة عدم لفت الأنظار إلى صلاحهم كما يتصورون فقال:

« وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا: مقصودنا أن نسقط عن أعين الناس فنسلم من الجاه، ثم قال معلقا على هذا الزعم الباطل: «وهؤلاء قد اسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع»^(١).

(١) تلبس إبليس ص ٣٦٣ .

الفصل الخامس

متى ظهر المذهب الصوفي

لقد تضاربت أقوال العلماء وتعددت مفاهيمهم حول الوقت الذي ظهرت فيه الصوفية وكل أدلى بدلوه حسبما ترجح لديه والواقع أنه لا يعرف بالتحديد الدقيق متى بدأ التصوف في المسلمين ولا من هو أول متصوف وقد تقدم ذكر السبب في عدم اتفاق العلماء على تاريخ ظهور أي فرقة من الفرق بالتحديد الدقيق السالم من الاختلاف ، ونظرا لكثرة تلك التحديدات لظهور الصوفية وما تتطلبه من دراسة قد تأخذ حجما كبيرا فقد رأيت أن أذكر الأقوال في بدأ نشأتهم سردا مجردة عن الدراسة التفصيلية فقد لا يتعلق بها غرض كبير بقدر ما يتعلق الغرض بذكر آرائهم وإبطال الخاطيء منها وبيان بعد بعضها عن الدين الإسلامي الخفيف والتحذير من الاغترار بها وعدم الركون إلى زخرف القول فيها لأنها من وحي الشياطين إلى أوليائهم وفيما يلي ذكر تلك التحديدات من أقوال العلماء :

- ١ - أن هذه التسمية عرفت قبل الإسلام مرادا بها أصحاب الفضل والشرف .
- ٢ - أن المذهب الصوفي ظهر سنة ١٥٠ هـ .
- ٣ - أن المذهب الصوفي ظهر سنة ١٨٩ هـ .
- ٤ - أن المذهب الصوفي ظهر بعد المائتين من الهجرة .
- ٥ - أن المذهب الصوفي ظهر قبل المائتين من الهجرة .
- ٦ - أن المذهب الصوفي ظهر بعد القرون الثلاثة الأولى أي في القرن الرابع الهجري .
- ٧ - أنه اشتد بعد النصف الثاني من القرن الثامن والتاسع والعاشر حين ظهرت آالف الطرق الصوفية .

٨ - أن التصوف كان معروفا في زمن النبي ﷺ كما قال الهجويري من علماء الصوفية وهذا من أبطل الأقوال (١).

والذي يظهر لي من بين هذه الاختلافات أن التصوف ظهر بعد الإسلام في شكل زهد ورغبة في الدار الآخرة وكبح جماح النفس في حب الدنيا مهما أمكن. ثم صارت الأمور على هذا المفهوم ثم لحقه ما يلحق غيره من سائر المبادئ والأفكار من حب التطوير وإدخال شتى المفاهيم بقصد تهذيب الفكرة وتقديمها في شكل متكامل بغض النظر عن مطابقتها للحق أو مجانبتها له .

على أن أقطاب التصوف وهم ينون هذا المسلك لم يوفقوا إلى الابتعاد عن شتى التيارات والأفكار المخالفة للإسلام والتأثر بها وظهورها واضحة جلية في معتقداتهم وسائر سلوكهم على المستوى الفردي أو الجماعي - بعد أن تنوین الأساس الذي قام عليه المذهب في أوله .

وعلى كل ما ورد من الأقوال فإن العلماء على أن التصوف ليس له وجود في عهد النبي ﷺ على الصحيح من أقوالهم إذ من المحال أن يتشرف أحد من الصحابة بالانتساب إلى غير صحبة النبي ﷺ وأن هذه التسمية حدثت بعد ذلك حين لبس إبليس على أولئك القوم وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون.

ومن هنا يذكر السهروري ظهور الصوفية بقوله :

« وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وقيل كان في زمن

(١) انظر كشف المحجوب للهجويري ص ٧٧٢ / التصوف الإسلامي وتاريخه تأليف نيكلسون ترجمة أبو العلا العفيفي ص ٣ / دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٢٦٦ ، اللع للطوسي ص ٤٢ ، الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣ ، عوارف المعارف للسهروري ص ٦٣ ، الصوفية والفقراء ص ٥ ، وانظر الفكر الإسلامي ص ٣٣-٣٦ عبد الرحمن عبد الخالق، التصوف المنشأ والمصادر ص ٤٠-٤٨ الفصل الرابع للشيخ / إحسان إلهي ، الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٥٣ بعنوان «حول التصوف في التاريخ الإسلامي » د . صابر طعيمة.

التابعين... وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله ﷺ كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله ﷺ (١).

ويقول المنوفي: « ولم تطلق كلمة صوفية على جماعة بعينها إلا في القرن الثاني للهجرة » (٢).

وهذا ما يذكره شيخ الإسلام رحمه الله بقوله :

« أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك » (٣).

وكذلك يذكر أيضا أن التصوف أول ما اشتهر كان في البصرة حتى قيل فقه كوفي وعبادة بصرية، وأن الصوفية ما ظهرت من البصرة لأن بعض هؤلاء كان إذا سمع القرآن يصعق وبعضهم يخرميتا كما حدث ذلك لغير الصوفية أيضا وقد حدث أن قاضي البصرة زرارة ابن اوفى قرأ في صلاة الفجر ﴿ فاذا نقر في الناقر ﴾ فخرميتا. وقد أنكر الصحابة الموجود منهم في ذلك الوقت هذا السلوك ومقتوه أشد المقت قال ابن تيمية : « ولم يكن في الصحابة من هذا حاله » (٤).

وقد تقدم في حديث العرباض بن سارية وصف حال الصحابة حين سماعهم للقرآن الكريم ولخطب النبي (ﷺ) وهم أعرف الناس بالحق وأخشعهم لله وأبعدهم عن مفتريات الصوفية وشركياتهم .

ولقد بين علماء السلف كل ذلك أكمل بيان ، ولا زال علماء الحق أيضا يجاهدون التصوف بأفكارهم وأقلامهم وإبطال الفكر الصوفي الباطني المتمثل في تقديس القبور والمزارات والأولياء ودعوى علم الغيب وختم الولاية إلى آخر

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ٢٦٩ .

(١) عوارف المعارف ص ٤٨ .

(٤) انظر الصوفية والفقراء ص ١٥ / ١٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٥ .

أفكار الصوفية المنحرف منها . وكان لهؤلاء العلماء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في القرن الثامن وتلميذه ابن القيم وابن كثير والحافظ الذهبي والحافظ المزري وغيرهم من العلماء وممن جاء بعدهم كالشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر حيث كان لعلماء الحق من هؤلاء رحمهم الله وغيرهم الباع الطويل في كسر شوكة التصوف وبيان انحراف المتصوفة عن الحق ، وتخديرهم لأفكار المسلمين وإذلال مشائخ التصوف لهم إلى حد العبودية كما سيتضح ذلك من خلال هذه الدراسة للصوفية .

الفصل السادس

حقيقة التصوف

لقد مضى زمن رسول الله ﷺ وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك غير ملتفتين إلى التنطع في سلوكهم أو مخترعين طرائق ورهبانية مبتدعة.

إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف منحرفين عن المنهج السليم وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزاباً متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون .

وقد أخذ كل فريق من هؤلاء يعبر عن التصوف حسب ما يراه ويطول سرد تلك المفاهيم والتعبيرات والأقوال التي صدرت عن أقطاب هؤلاء كالجريري والجنيد وعمرو بن عثمان المكي ومحمد بن علي القصاب ومعروف الكرخي والسهورودي والشبلي والشاذلي والتجاني والبسطامي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم ولهذا فإن العلماء لم يتفقوا على بيان محدد لمفهوم التصوف عند الصوفيين وذلك لإطلاق هؤلاء الصوفية عبارات شتى حسب ذوق كل فريق وتخيلاته لمفهوم التصوف إلا أن الحصيلة العامة لأقوالهم تلتقي حول أن التصوف هو القرب من الله وترك الاكتساب والتمسك بالخلق الرفيع والجود ورفع التكاليف عن بعض فضلائهم حين يتصلون بالله عز وجل على حد زعمهم ويصلون إلى درجة اليقين وظهور المكاشفات ثم هم بهد ذلك درجات في تطبيق هذا المفهوم ولقد ذكر القشيري في « رسالته » عدداً من الآراء الصوفية في مفهوم التصوف والصوفي حيث قال :

« وتكلم الناس في التصوف ما معناه وفي الصوفي من هو ؟ فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الايجاز وسنذكر هنا بعض

مقالاتهم فيه على حد التلويح» .

وإذا كان القشيري قد اعتذر عن إيراد كل ذلك لكثرة مكتفيا بذكر بعض مقالاتهم فإنني أنا كذلك أعتذر عن إيراد كل ما ذكره القشيري لكثرته أيضا واذكر من ذلك ما نقله عن الجنيد أنه قال :

« إذا رأيت الصوفي يعني بظاهره فاعلم أن باطنه خراب » .

وقال القشيري :

« سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ابن الجلاء ما معنى قولهم صوفي ؟ فقال ليس نعرفه في شرط العلم ولكن نعرف أن من كان فقيرا مجردا من الأسباب وكان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان ، يسمي صوفيا » . ونقل عن أبي يعقوب المزابلي أنه قال « التصوف حال تضحل فيها معالم الإنسانية » .

وقال القشيري أيضا : « سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول أحسن ما قيل في هذا الباب قول من قال : هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابيل^(١)، ولهذا قال رحمه الله يوما : « لو لم يكن للفقير إلاروح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها » .

وعن الاستاذ أبي سهل الصعلوكي أنه قال :

« التصوف الإعراض عن الاعتراض » .

قال القشيري :

« ويقال الصوفي المصطلم عنه^(٢)، بما لاح له من الحق »^(٣) .

وهناك أقوال أخرى ذكرها القشيري كلها تدور حول مدح التصوف وبيان

(٢) اي المستغرق عن نفسه .

(١) هكذا العبارة : أي لاقيمة لهم في نظر الناس .

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٥٠ - ٥٧ - ج ٢ .

تعلقات الصوفية ومفاهيمهم حول المولى جل وعلا وحول هذا الكون وواجبات الصوفي واهتماماته الدنيوية والأخروية صيغت بزخرف من القول وإيغال في الخيال في بعضها وحكم جيدة في البعض الآخر .

وأما السهروردي فقد أورد باباً خاصاً في كتابه عوارف المعارف قال فيه: «الباب الخامس في ماهية التصوف» .

وقد أكد في هذا الباب على أن أساس التصوف هو الفقر حيث قال: «الفقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه» ، ونقل أقوالاً كثيرة عن صفة هذا الفقر الصوفي منها : ما قاله الشبلي حين سئل عن حقيقة الفقر فقال : «أن لا يستغنى بشيء دون الحق» .

ونقل عن مظفر القرميستي أنه قال: «الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة»^(١)؟

وقال السهروردي :

« وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع » الخ ما ذكر مما قدمنا ذكره عن القشيري وقد أضاف أوصافاً أخرى لا ضرورة لذكرها^(٢) .

وأما حقيقة التصوف وأصله عند غير الصوفية فقد اختلفت وجهة نظر العلماء في الحكم عليه .

وأهم ما قيل في ذلك :

١ - أن التصوف على الإطلاق أساسه الإسلام وأن أصوله العقديّة وسلوكهم فيه مستمدة من نصوص الكتاب والسنة وما أدى إليه الاجتهاد في فهمها .

(١) أي لا نشغاله بطاعة الله عن طلبه له حسب التفسير الصوفي .

(٢) انظر عوارف المعارف ص ٤٠ - ٤٤ .

وهذا القول قريب من وجهة نظر الصوفية ومفهومهم فيه رغم اعتراف بعضهم بتأثر التصوف ببعض التيارات الفكرية الخارجة عن الإسلام .

٢ - أن التصوف على الاطلاق ليس إسلامي النشأة ، وإنما وفد على البيئة الإسلامية مع ما وفد من عادات وتقاليد الأجناس الأخرى بعد ما امتزجت واختلطت عقب الفتح الإسلامي .

وعلى هذا الرأي بعض الملاحظات - فقد ينطبق هذا الرأي على ذلك النوع من التصوف الذي قام على أساس من الغلو والانحراف الذي جاء به أصحاب وحدة الوجود والحلول والاتحاد مع تظاهرهم بالانتساب إلى الإسلام وتقديسهم لنبي الإسلام محمد ﷺ ولعل سبب هذا القول إنما يعود إلى الواقع الذي اشتمل عليه مفهوم التصوف وقد يبدو للناظر أنه يوجد لكل من القولين السابقين ما يبررهما في العقائد الصوفية وأهل هذا القول يرجعون نشأة التصوف إلى أنه فارسي أو هندي أو يوناني أو مسيحي أو أنه مزيج من هذا كله وعلى رأس هذا الفريق كثير من المستشرقين ومن غيرهم أيضا .

ومما نكتفي بالإشارة إليه هنا بغض النظر عن ترجيح نشأة التصوف وحقيقته أن الطريقة الصوفية قد تأثرت كثيراً بالأراء والأفكار المخالفة للإسلام حيث تظهر فيها تلك الأفكار واضحة جلية في جوانب كثيرة في الاعتقاد والسلوك خصوصا الأفكار الهندية والفارسية واليونانية والمسيحية كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة بعد أن كان التصوف في بدء أمره عند بعض المسلمين عبارة عن الزهد عن الدنيا والرغبة في الآخرة وقتل هوى النفس والاتجاه إلى الله وليس الصوف لتعويد النفس على التحمل والمكابدة إلى أن أخذ يتطور في الانحدار والبعد عن حقيقة الإسلام في كثير من الأمور التي طرقتها التصوف فأصبح مذموماً نفر عنه أهل الحق لخلط المتصوفة بين الزهد والتصوف الغالي إذ الزهد المشروع لم يذمه أحد وتوجه الذم إلى التصوف رغم تظاهر المتصوفة

بالزهد حتى صار أطيب الطعام عندهم ما كان عن ذل السؤال وحمل الزنبيل والتسول والانزواء في أماكن عبادتهم وانتظار ما يجود به الناس عليهم ويظنون أنهم يحققون بذلك التوكل الذي يريده الله ، وهم في الحقيقة إنما يحققون التواكل والكسل البغيض عن طلب الرزق واعزاز النفس إضافة إلى الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي الخفيف وما يهدف إليه من إيجاد اليقين بعزة النفس وكرامتها في الدنيا والآخرة .

ومهما قيل عن حقيقة التصوف فإننا سندرس أهم الآراء الصوفية بتفصيل يتضح به الحكم على الصوفية بصورة جلية من واقع كلامهم وسلوكهم إن شاء الله تعالى .

الفصل السابع

أقسام المتصوفة وذكر طرقهم واختيار الطريقة

التجانبة نموذجاً ودراستها دراسة شاملة من واقع كتبهم

الصوفيون طوائف عديدة وأهواء متباينة شأن كل أصحاب البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله لعباده .

ولقد اختلف العلماء في عددهم لأقسام وطرق التصوف اختلافاً واسعاً إذ تجد بعضهم يعددهم قسمين وبعضهم يعددهم ثلاثة أقسام وبعضهم يوصلهم إلى ستة أقسام .

وهذا الاختلاف سببه تنوع مصادر الصوفية وتنوع أفكارهم فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية إذ يحصل لها بذلك فيض وإشراق إلهي ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي في رياضه النفس وحملها على المكارة هذا قسم من الصوفية وقسم آخر بعض العلماء يعبر عنهم بصوفية الحقائق وهم من صفوا من الكدر وامتلأوا من الفكر كما يدعون على طريقة الفيلسوف الهندية وقسم آخر من الصوفية قائلون بالحلل أي دعوى أن الله تعالى عن قولهم حل في مخلوقاته وأن أرواحهم لاهوتية وأجسامهم ناسوتية .

ومن أكابر أهل هذا المذهب الرديئي ، الحلاج حين قال في تفسير هذا الحلل:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وصوفية وحدة الوجود هم القائلون بأن الموجودات كلها تمثل الباري عز

وجل ، وفي أولهم ابن عربي وهو من المؤسسين لمذهب وحدة الوجود يقول في تقرير ذلك في كتابه الفتوحات المكية .

العبد رب والرب عبد ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب فأني يكلف

وقد قسم شيخ الإسلام الصوفية إلى ثلاثة أقسام هم :

١ - صوفية الحقائق ٢ - صوفية الأرزاق ٣ - صوفية الرسم

وقال عن القسم الأول :

« فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم ولعله يقصد بذلك ما قدم من ذكر خلاف الناس في الحكم على الصوفية والتصوف حيث قال : « ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ... » قال : « وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء » ثم قال في بيان حكمه عليهم بعد ذكر هذا الخلاف :

« وكلا طرفي قصد الأمور ذميم والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله تعالى كما اجتهد من أهل طاعة الله » الخ ما ذكره عنهم .

ولعل هذا الحكم منه إنما ينطبق على التصوف في بدء أمره حينما كان بمعنى الزهد والاجتهاد في العبادة .

ثم قال عن القسم الثاني منهم :

« وأما صوفية الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالحوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز وأكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الحوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط » ، ثم ذكرها وهي

وجود العدالة الشرعية فيهم والتأدب بآداب الشرع وأن لا يكون متمسكا
بفضول الدنيا .

ثم قال عن القسم الثالث منهم :

« وأما صوفية الرسم فهم المقتصرون على النسبة فهمهم في اللباس والآداب
الوصفية ونحو ذلك^(١) ، أي أنهم يتشبهون بالصوفية في الظاهر ويعرفون أقوالهم
ولكنهم خارجون عن طريقهم همهم جمع الأموال والاحتيايل على الجهال
بأمرهم .

وهذا التقسيم واضح جلي إلا أنه ليس فيه توضيح وبيان لمدي ما وصلت إليه
العقيدة الصوفية فيما بعد ومدى تأثرها بالينابيع والمصادر الخارجة عن الإسلام .

لقد أصبح من الصعب جدا تمييز طوائف التصوف أو الحكم عليهم بحكم
واحد شامل لجميع فرقهم وعقائدهم المتشعبة ، إذ لا يمكن معرفة كل قسم من
أقسام التصوف قائما بنفسه متميزا عن غيره إلا من خلال « الطرق » الكثيرة
والتي هي تعبير عن التزام مجموعة من الاتباع أو المريدين بشيخ يجعلونه قدوتهم
وينفذون ما يوجهه عليهم من أذكار وسلوك وقد تتفق طريقتهم مع بعض الطرق
وقد تختلف عنها ، والطرق الصوفية لم تقف عند حد أو مفهوم فهي دائما في
ازدياد وتجدد إذ كل من ابتدع طريقا وجد له أتباعا يتسمون باسمه أو باسم
طريقته ، وقد ذكر الشيخ أبو علي حسن بن علي العجيمي الحنفي طرق الصوفية
فعد منها أربعين طريقا في رسالة له وقد لخصها الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته
وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك .

وبعد أن ذكر علي بن محمد الدخيل الله ذلك قال :

« والحق أن الطرق الصوفية كثيرة جدا بحيث يصعب حصرها إذ لكل من

(١) الصوفية والفقراء ص ٣٣ .

عن له أن يتدع طريقا فعل وسمها باسمه واسم قبيلته أو عشيرته وهذا مشاهد بكثرة في أفريقيا إذ بين فترة وأخرى تخرج طريقة جديدة تحمل اسما جديدا ولهذا أوضاع معينة وأوراد مقررة»^(١).

وذكر الدكتور صابر طعيمة ما مجموعه ٦٦ طريقة وقال :

« وأما الطرق الصوفية الحديثة فمن العسير تسجيل أسماء معظمها في كتاب ويكفي أنه في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد بلغ عد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريق^(٢).

ثم أخذ يعد منها ٥٢ طريقة نقلا عن المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء الذي ذكر فيه قسما كبيرا من طرقهم تحت عنوان « هذا بيان بشيوخ الطرق الصوفية في عصرنا »^(٣).

وكل الطرق الصوفية ناتجة عن الهوى ونابعة منه ومبنية على الرغبة في الزعامة والعلو في الأرض واستعباد الناس وصار زعماء الصوفية في مجموعهم يحرصون حرصا شديداً على هذه الزعامة الروحية ووصل بهم الحرص عليها أن جلعوها وراثية وكأنها جزء من المال الذي يخلفه الميت على حد ما أورده محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني فإنه قال بعد سرده الطويل لطرق الصوفية وأسماء مشائخها قال بعدها : « وكل هذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء رضي الله عنهم وقد يرثها حفيد أو سبط لولي من آلك الأولياء فيكرمه الله سبحانه وتعالى بكرامة آبائه وأجداده الصالحين فإن سار على دربهم أكرمه الله مثل ما أكرمهم وأن فرط أو قصر أكرمه الله لأجلهم^(٤)، وهذا جهل شنيع

(١) انظر التجانية ص ٢٨ وقد ذكر من طرق الصوفية أربعاً وثلاثين طريقة .

(٢) الصوفية معتقداً ومسلكا ص ٤١ - ٤٣ .

(٣) انظر جمهرة الأولياء ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧ صدر ذكر تلك الطرق بقوله : « وهذا بيان بشيوخ الطرق الصوفية في عصرنا » .

(٤) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ج ٢ ص ٢٧٧ .

وكذب من أشد أنواع الكذب فإن هذه المحاباة التي افترضوها على الله تعالى إنما هي من جنس الهوس والأمني الباطلة والقرآن مملؤ بالرد على مثل هذه الافتراءات والسنة كذلك ترد مثل هذه الأفكار الجاهلية فالقرآن يصرح بأن ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ وأن كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وأن صلاح الآباء- إن كانوا صالحين بحق لا يغني عن الأبناء إن لم يكونوا كذلك وقد صرح الرسول ﷺ لقربته أنه لا يملك لهم من الله شيئاً وأن عليهم أن لا يتكلموا على الأنساب بل عليهم أن يحذروا الله عز وجل وأن يتقربوا إليه بالأعمال الصالحة إذ لو كانت الأنساب تغني لما هلك والد إبراهيم وابن نوح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وهذا رد صريح على ما يزعمه الصوفيون من التقرب إلى الله بولاية القطب الفلاني أو الغوث الفلاني وأن الله يفيض حتى على العصاة منهم إكراماً لآبائهم وأن الذي جرأهم على هذا هو قلة خوفهم من الله تعالى واستحلالهم الكذب في سبيل مدح أوليائهم بالحق وبالباطل ، وقد قال عبد الرحمن عبد الخالق في بيان تاريخ نشأة الطرق الصوفية ونظامها الوراثي «وقد قيل أن أول صوفي وضع نظام الصوفية هو الصوفي الإيراني محمد أحمد المهيمي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ والمعروف باسم أبي سعيد فقد أقام في بلده نظاماً للدرأويش وأقام بناءً للصوفية بجوار منزله وسن نظام تسلسل الطرق عن طريق الوراثة وبين كثيراً من أمور التربيـة الصوفية . بل هو من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية وهو أكبر من عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية^(١) .

ومن طرق الصوفية الكثيرة :

الطريقة التجانية :

وسندرسها بإيجاز جداً كمثال للطرق الصوفية التي تعتم واجهة الإسلام

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٣٤٩ .

المشرفة لدى كثير من جهلاء المسلمين الذين جرفهم تيار التجانية وأذلتهم واستعبدتهم وأوصلتهم إلى مآسي يندى لها الجبين ولقد وقفت بنفسي على بعض ما يتعبد به التجانيون من طاعة مشائخهم وإحياء خرافاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان وشدة تعصبهم لها ونفورهم عن كل من يريد أن يسدي لهم النصيحة خروجاً عن كتمان الحق ، وهذه الطريقة التي لها الأمر والنهي في أقطار كثيرة من بلاد أفريقيا بخصوصها . هي نسبة إلى شخص يسمى أحمد بن محمد بن مختار التيجاني ولد سنة ١١٥٠ هـ بقرية عين ماضي وينسب إلى بلدة تسمى «بني تجين» من قرى البربر ولم يترك هذا التيجاني بدعة قديمة ولا حديثه للتصوف إلا ادعاها وزخرف القول فيها ولم يترك فضلاً مزعوما ادعاه شيخ صوفي لنفسه إلا وادعاه هو لنفسه وزاد عليه^(١) ، ولقد ادعي أموراً كثيرة يطول الحديث لو بسطت وإنما نشير إليها إجمالاً فيما يأتي :

- ١ - ادعى أنه خاتم الأولياء جميعاً وهي دعوى كاذبة مبنية على فهم خاطيء وقياس باطل فزعم أن الولاية لها ختم كختم النبوة ومحمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والتيجاني خاتم الأولياء فلا ولي بعده .
- ٢ - أنه الغوث الأكبر في حياته وبعد مماته وقد جعل نفسه بهذه الدعوى وثنا يعبد من دون الله .
- ٣ - أن أرواح الأولياء منذ آدم إلى وقت ظهوره لا يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بواسطته هو وهذا نهاية الحمق والقول على الله بغير علم والاستهانة بعقول الناس وخداعهم .
- ٤ - زعم متطاولاً أن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى منذ أن خلق آدم إلى النفخ في الصور وربما يجازي بهذا الكبر أن يحشر في صورة الذرة كما هو جزاء المتكبرين .

(١) انظر الفكر الصوفي ص ٣٥١ .

٥ - أنه هو أول من يدخل الجنة هو أصحابه وأتباعهم وصدق عليهم قول الله ﴿تلك أما نبيهم﴾ .

٦ - أن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه .

٧ - أن الرسول ﷺ أعطاه ذكرا يسمى «صلاة الفاتح» يفضل كل ذكر قرئ في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم والذكر المزعوم هنا - صلاة الفاتح - ذكر مبتدع سيء التركيب ركيب العبارة وهو لا يعد و ثلاثة أسطر وهو :

« اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » .

هذا هو الذكر الهائل عنده الذي ألهمه الله حسب زعمه ، أو علمه به النبي ﷺ يقظة لا مناما ثم فضله على كل ذكر ، ولقد رأيت أتباعه وهم يجلسون في يوم الجمعة - من بعد صلاة العصر إلى المغرب وهم يرددون هذا الكلام بصوت جماعي ومرتفع جدا يسمع من مكان بعيد ثم ينصرفون وهم لا يشكون في أنهم من أعظم الخلق عبادة وأجرا عند الله واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

فما الجديد في هذا الذكر وما معنى تلك الكلمات الجوفاء وذلك التركيب المفكك الواقع أنه ليس فيها ما يستحق ذلك الأجر العظيم الذي لا يعده الحاسبون حسب ما قدروه لصلاة الفاتح ومع ذلك فهو يزعم أنه تلقاه عن الله وعن رسوله محمد ﷺ والقرآن الكريم مملؤ بالأدعية الشرعية النافعة الفاضلة وكتب الحديث مملؤة بالأذكار النبوية الصحيحة التي يؤجر صاحبها على قولها وتجاب دعوته اشتملت على أنواع التوحيد بأحسن الألفاظ وأشمل المعاني ممن أوتي جوامع الكلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ثم لم يقف التجاني عند هذا الحد في غلوه في تقدير نفسه وفي تقدير ما جاء به من خرافات وأذكار في صلاة الفاتح المزعومة أنها من الله تعالى وأن لها ذلك

الفضل الذي لا يصفه الواصفون وفي غيرها من الأذكار الأخرى بل زعم أيضا أن أتباعه لا تكتب عليهم سيئات ما عملوا بل يدخلون الجنة مهما عصوا وبغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا بضمانة رسول الله ﷺ له كما زعم لنفسه .

وهذا الهوس هو من جنس هوس اليهود الذين زعموا أن الله لا يعذبهم إلا أياما معدودة إن عذبهم - لأنهم شعب الله المختار - كما يعتقدون ويتشدقون بالتمدح بذلك في التلمود وفي غيره من كتبهم المقدسة عندهم ثم يدعي التيجانيون كرامات لم يقل بها حتى أفضل الرسل محمد ﷺ ومنها أن من رأى التيجاني يومي الاثنين والجمعة فإنه يكون من أهل الجنة إكراماً للتيجاني حتى وإن كان الرائي كافرا لأنه لا يتمكن من رؤية التيجاني في هذين اليومين إلا من سبقت له السعادة في علم الله تعالى كما قرره على حرازم والفوتي وهذه الدعوى لهذا الضال من غرائب الأمور .

ولو كانت له ولأتباعه أفهام لعلموا أن الرسول ﷺ وهو أفضل البشر لم يقل ذلك وأنه كان يراه المؤمن والكافر في كل أيامه ويبقى المؤمن مؤمنا والكافر كافرا إلى أن يؤمن ولم يقل ﷺ بما قاله التيجاني المذكور .

ومن خرافات التيجاني : زعمه أنه يرى الرسول ﷺ في كل وقت يشاء وأن الرسول ﷺ يجالسهم ويحضر سمرهم ولهوهم ويلقي عليهم أذكارهم وأدعيتهم الشركية والخرافية حسب ما يفترون ولقد صرف التيجانيون الناس عن الهدى والطريق الصحيح وملؤا أذهانهم بشركيات وخرافات لا تمت إلى الدين الإسلامي بأي علاقه وجنوا على عقائد المسلمين بما ألقوه في قلوبهم من الرجوع إلى الوثنية والخرافات الجاهلية والتعلق بغير الله تعالى وصرف أنظارهم عن واقعهم المتردى من حيث لا يشعر هؤلاء الأتباع ولقد انتشرت هذه الطريقة الضالة في شمال ووسط وغرب أفريقيا وضمت تحت لوائها ملايين كثيرة من

أبناء المسلمين الذين أصبحوا لاهم لأحدهم إلا أن يأخذ بطريقة شيخه ليضمن دخول اللجنة بغض النظر عن العمل وصحته ثم جاء من بنى على هذا الواقع الفاسد وزعم أنه صاحب الفيض التجاني الذي بشر به التجاني وأن أتباعه هو الآخر يدخلون اللجنة جميعا بغير حساب ولا عقاب ولو كانوا على أي ملة قبل ذلك ومن هؤلاء الذين ادعوا هذا الفيض المزعوم الحاج إبراهيم السنغالي والذي كان له شأن عظيم وحركة قوية وبسط دعوته تلك في أصقاع واسعة من القارة الأفريقية.

وإلى جانب الطريقة التجانية طرق كثيرة كما ذكرنا من قبل يحتاج بيانها إلى عدة صفحات وهي في جملتها لا تخرج عن هوس وتخبطات التجانية .

وقد استحسننا هنا ذكر بعض الأمثلة من كتب الصوفية التجانية تمثل أنواعا من الآراء والمفاهيم التي يحرصون عليها دون مبالاة فيها من الغلو والانحراف وقد وقع اختياري على قراءة وتمحيص ما في جواهر المعاني تأليف علي حرازم ورماح حزب الرحيم تأليف الفوتي وكتيب الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية حيث أضع العنوان المناسب ثم أنقل تحته ما يدل عليه من كلام علماء التجانية وأوضح ما يميز الانحراف في كتب التجانية هو الغلو الفاحش في أئمة الصوفية التجاني وغيره ومدحهم بما لا يليق إلا بالله العظيم من علمهم المغيبات وأنواع العلوهم والمعارف التي لا يدركها إلا الله عز وجل وبالتالي ذكر مدائح لهم وهي في الحقيقة ذم ما بعده ذم تدل دلالة صريحة على بعد آلك الأئمة ومجونهم واستهتارهم بعقول الناس وخروجهم عن أدنى حد الأدب مع الله ومع رسوله ومع سائر الناس .

قال علي حرازم في كتابه « جواهر المعاني » عن السيد أحمد بن محمد بالفتح جد أحمد التيجاني :

« وقد حكى عنه رضي الله عنه أنه كان له بيت في داره لم يدخلها أحد

غيره وكان إذا خرج من داره للمسجد يتبرقع ولا يرى أحد وجهه ولا يكشف عن وجهه إلا إذا دخل المسجد ثم إذا رجع إلى داره عاد إلى ستر وجهه حتى يدخل لخلوته وقد سألت الشيخ رضي الله عنه عن سبب ستر وجهه عن الناس فأجاب رضي الله عنه قال : ولعله بلغ مرتبة في الولاية فإن من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقتها طرفة عين وإن فارقه وإنحجب عنه مات لحينه^(١).

ويقول عن نسب التجاني حين سأل الرسول ﷺ يقظة لا مناما كما يزعم دائما: « ولم يكتف بما هو مذكور من الآباء والأجداد والرسوم وإخبار الأعيان والآحاد حتى سأل سيد الوجود وعلم الشهود ﷺ في كل نفس مشهود عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد ومن الآل والأحفاد فأجابه ﷺ بقوله أنت ولدى حقا أنت ولدى حقا أنت ولدى حقا كررها ﷺ ثلاثا وقال له ﷺ : نسبك إلى الحسن بن علي صحيح »^(٢).

التجاني يرى الأنبياء : أورد على حرازم عدة روايات تثبت رؤية التجاني للرسول محمدا ﷺ وسؤاله عن أحكام كثيرة في الفقه وعن الجمع بين بعض الأحاديث التي ظاهرها التعارض وكان النبي ﷺ يجيبه عن كل سؤال بغاية التلطف ثم التقى بموسي وسأله كذلك عن بعض الأسئلة وأجابه عنها ثم قال على حرازم: « فانظر رحمك الله أحوال هذا الشيخ مع صفوة الله من خلقه »^(٣).

المشابة بين التجاني في حال سكره وبين النبي ﷺ حال تلقيه الوحي يقول على حرازم: « لا يزال تظهر عليه الغيبة في حال ظهور صحوه فضلا عن حال ظهور سكره .. وكذلك يظهر عليه رضي اله عنه من آثار جذبه وقوة حاله أمور أخرى كعظم جثته وإمتلاء بدنه وتهلل وجهه وثقل الأمر عليه حتى لا يستطيع حركة ونذكر هنا ما كان يقع للنبي ﷺ عند نزول الوحي وتلقي الأمر الإلهي^(٤) ».

(١) ص ٢٦ ج ١ . (٢) ص ٢٦ ج ١ . (٣) ص ٤٧ . (٤) ص ٥٠ .

التجاني يعلم الغيب لكل أمر مهما كانت دقته ويعلم ما في قلوب أصحابه يقول في هذا: «ومن كماله رضى الله عنه نفوذ بصيرته الربانية ٠٠٠ من إظهار مضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات ٠٠٠ فيعرف أحوال قلوب الأصحاب ٠٠٠ ويعرف ما هم عليه ظاهرا وباطنا وما زاد وما نقص (١)».

الاسم الأعظم وموقف التجاني منه: يقول عنه: «قال سيدنا رضى الله عنه أعطيت اسم الله العظيم الأعظم صيغا عديدة وعلمني كيفية أستخرج بها ما أحسبت من تراكيبه» ثم أعطاه أيضا الاسم الخاص بعلی رضى الله عنه فقال: «قال لي سيد الوجود ﷺ وهذا الاسم الخاص بسيدنا على لا يعطى إلا لمن سبق عند الله في الأزل أنه يصير قطبا»

وفي هذا الكلام الذى لا عقل له أمور، ما هو الاسم الخاص بعلی غير على بن أبى طالب؟

٢ - كيف يقول الرسول ﷺ لعلی «سيدنا على» كما هو ظاهر النص؟

وأما بالنسبة لثواب الاسم الذى أعطيه التجاني فأقله ما يذكره على حرازم بقوله: «قال الشيخ رضى الله عنه حاكيا ما أخبره به سيد الوجود ﷺ فإنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفا من كل شئ في الجنة ٠٠٠ وله في كل مقام سبعون حورا، وسبعون نهرا من العسل، وكلما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه... وله في كل مرة ثواب جميع ما ذكر الله به على السنة جميع خلقه في سائر عالمه وله في كل مرة ثواب ما سبح به ربنا على لسان كل مخلوق من أول خلق العالم إلى آخره وله ثواب صلاة الفاتح لما أغلق (٢)، بتمامها ستة آلاف مرة لكل مرة منه وله ثواب سورة الفاتحة وله ثواب من قرأ القرآن كله أعني بكل مرة أجر ختمة وله في كل مرة من تلاوته ثواب كل دعاء وقع في الوجود وكل ما تلاه التالي تلته

(١) ص ٥٤ . (٢) وسيأتي أن صلاة الفاتح لها من الأجر ما لا يتصوره عقل .

معه جميع ملائكة عوالم الله بأسرها وكل ملك يتلوه بجميع ألسنته فإن من الملائكة من له سبعون لسانا ومنهم من له ستون لسانا (١)، وخوفاً أن يمل القارئ فسأقف هنا وإلا فإن النص قد استغرق ست صفحات في جواهر المعاني كلها في مضاعفة الأجر لمن تلاه ، دعاء التجاني الذي علمه به الرسول ﷺ في إحدى مقابله له يقظة لا مناما .

أورد التجاني : أورد على حرّازم في كتابه جواهر المعاني أورادا عديدة لا يتسع المقام لذكرها عن شيخه التجاني بأسلوب ركيك ومعاني متنافرة هابطة مملة .

من رأى التجاني فهو في الجنة . قال على حرّازم : « قال رضي الله عنه أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما قال لي أنت من الآمين وكل من رآك من الآمين إن مات على الإيمان وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب » . (٢)

ثواب صلاة الفاتح : ليس من السهل كتابة كل ما ذكره التجاني لفضل صلاة الفاتح وذلك لكثرة ما أورده التجانيون غير أننا سنكتفي بمثال واحد من تلك الترهات الحمقى قال التجاني عن نفسه : « ثم أمرني ﷺ للرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبيراً أو صغيراً ومن القرآن ستة آلاف مرة » إلى أن يقول : « قال ﷺ مامعناه إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة ثم قال بعده ﷺ إن من صلى بها أى بالفاتح لما أغلق إلخ مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك

(٢) ص ١٠٩ .

(١) ٧٢ .

ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أى كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عموماً ملكاً وجناً وإنساً وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وأن الله يصلى عليه وملائكته بكل صلاة على عشر مرات»^(١).

وقد أضاف محمد السيد التجاني إلى تلك الخيالات في فضل صلاة الفاتح خيالات أخرى قال فيها: «وصلاة الفاتح التي هي من الله كتبت بحروف مستقيمة بكل لسان تفهمه من لسان العربية فوق رأسه وهي تاجه وعزه وملكه وبها فضل على سائر ملك الله وبها تثبتت خلافته في الدنيا والآخرة وبها ظهرت الحقيقة الحمديه كل الظهور وبها ثبتت الحقيقة الحمديه في محراب القدس وبها أعز الله دينه وبها ظهرت مقامات الدين كلها وبها فضلت هذه الأمة وصارت وسطاً وبها قوام الأرواح والأشباح وبها ظهرت التكاليف وبها برزت الجنة ونعيمها وبها ساد سيدنا محمد غيره ممن دونه من الأنبياء والمرسلين وبها تعرف جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام وبها نظام الكائنات وفيها روح الموجودات وحياتها وبها شرفت الأنبياء والملائكة وبها ظهرت محاسن الأخلاق الحمديه وهي التي شرف الله بها النبي ﷺ وشرفها بالنبي ﷺ وهي مرتبته وحقيقته ﷺ وهي أول الصلوات التي ظهرت من قلب رسول الله ﷺ أو من قلوب العارفين فإن الله جلا جلاله هو الذي صلى عليه أى تجلى فيه بكمال ذاته ومراتبه وأسمائه وصفاته وذلك التجلى هو عين تشريفه وإعزازه وتفضيله على سائر الخلائق لأنه لم يتجل في أحد بكمال ذاته إلا فيه ﷺ (٢) الخ . هذه العجائب والغرائب التي لا مستند لها إلا الخيال والأمانى الفارغة وإلا فهل يوجد في الشريعة الإسلامية دليل واحد على تلك الخزعبلات والتهويلات .

(١) ص ١١٤ - ١١٥ . (٢) الهداية الربانية في فقه الطريقة التيجانية ص ٢٣ .

خاصية صلاة الفاتح: « وخاصية صلاة الفاتح لما أغلق إلخ، أمر إلهي لا مدخل للعقول فيه ولو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق وجميع ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق فلا تلتفت لتكذيب مكذب (١)». الشيخ الواصل يرى الله علانية في كل وقت مع إنتقاء والغيرية بينهما كما قرره التجاني: « اعلم أن سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو فأجاب رضي الله عنه بقوله أما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينا فإن الأمر أوله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ثم مشاهدة وهو تجلي الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير والغيرية عينا وأثرا وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء فليس في هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق فلم يبق إلا الله لاشئ غيره، فلا ثم موصول ولا ثم واصل (٢) وفعل الأولياء للفواحش علانية إنما هو تخيل من الناظر أو من باب ستر حال الولي بعد أن رأوا عامة الناس لاهم لهم إلا قضاء رغباتهم فأحب الأولياء الصوفية عند ذلك ألا يظهر وأنفسهم للعامة فاحتجوا عنهم بارتكاب تلك الفواحش في الظاهر قال علي حرازم: « فلما عرف العارفون ما في العامة من هذا الأمر إحتجوا عن العامة وطردوهم بكل وجه وبكل حال ... فخلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عن العامة بإظهار أمور من الزنا والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس وغير ذلك من الدواهي التي تحكم على صاحبها أنه في سخط الله وغضبه والأمور التي يقتحمها العارفون في هذا

(١) ص ١١٧ . (٢) ص ١٣٥ .

الميدان إنما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها في الخارج إنما هي تصورات خيالية ، يراها غيرهم حقيقة فيفعلون في تلك الصور أمورا منكرا في الشرع وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئا فاستتروا بذلك من العامة حفظا لمقامهم»^(١).

وهكذا فعل الزنا وشرب الخمر وغيرها من الفواحش لا حقيقة لها حتى وإن ثبت أن الصوفي يفعلها فإنما ذلك خيال وما أكثر ما يثبت عن هؤلاء من فعل الفواحش حتى في البهائم كما يثبت الشعراني في ذلك في طبقاته عن علي وحيش رضي الله عنه كما هي عادته في الترضي عن أولئك الفجار؟! .

دعاء تجاني في طلب الاتصاف بالألوهية!؟

« ومن أدعيتنه رضي الله عنه مما أملاه علينا ونصه رضي الله عنه اللهم حققني بك تحقيقا يسقط النسب والرتب والتعينات والتعقلات والاعتبارات والتوهيمات والتخيلات حيث لأين ولا كيف ولا رسم ولا علم ولا وصف ولا مساكنة ولا ملاحظة مستغرفا فيك بمحق الغير والغيرية بتحقيقي بك من حيث أنت بما أنت وكيف أنت حيث لاحسن ولا اعتبار إلا أنت بك لك عنك منك»^(٢).

مباشرة البسطامي مع ربه كما يرويها التجاني لتلميذه علي حرازم أنه قال :
« إن أبا يزيد باسطه الحق في بعض مباشرته قال له : يا عبد السوء لو أخبرت الناس بمساويك يرموك بالحجارة فقال له : .

وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لي من سعة رحمتك لما عبدك أحد فقال له لا تفعل فسكت»^(٣).

أهانة للقرآن الكريم :

« فإذا عرفت هذه الخيثة عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل أهل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن»^(٤).

(٤) ص ١٥٤ .

(٣) ص ١٥٣ .

(٢) ص ١٤٦ .

(١) ص ١٣٧ .

السرفي وجود هذا الكون ومصدره :

« قال سيدنا رضي الله عنه ما خلق الله لنفسه إلا سيدنا محمداً ﷺ والباقي من الوجود كله مخلوق لأجله ﷺ معلل بوجوده ﷺ ولولا أنه خلق سيدنا محمداً ﷺ ما خلق شيئاً من العوالم » (١).

تلاعب بمعاني النصوص :

أورد على حرازم عن شيخه وسيده التجاني نصوصاً كثيرة في تفسير القرآن الكريم وبعض الأحاديث فسرها بمحض الهوى والجهل والتخبط والقول على الله بغير علم في جرأة عاتية .

تشبيه الله بخلقه :

روى التجاني عن النبي (ﷺ) أنه قال :

« رأيت ربي في صورة شاب » (٢).

الحلول والاتحاد :

قال التجاني : « فهو سبحانه وتعالى مع كل شيء بذاته وأقرب إلى كل شيء بذاته من وجه لا يدركه العقل » (٣).

وقال :

« اعلم أن أذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات كسراب بقيعة الآية - فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه وتعالى تجلي بصورها وأسمائها وما ثم إلا أسماءه وصفاته فظاهر الوجود صور الموجودات وصورها وأسمائها ظاهرة بصورة الغير والغيرية إلى أن يقول :

« فإذا رأيت ما يظهر من صور الموجودات على اختلاف أحواله وتباين

(١) ص ٢١٥ .

(٢) ص ١٩٧ .

(٣) ص ١٧٣ .

أشكاله وتشتتت أموره من مذمومة ومحمودة فما فيها إلا تجليات الحق سبحانه وتعالى»^(١).

الولاية والألوهية وهل يوجد فرق بينهما أولا؟ عند التجاني .

١ - معرفة الولي أصعب من معرفة الله .

٢ - لو كشف عن حقيقة الولي لعبد قاله المرسي .

٣ - وأمرني بأمر الله إن قلت كن يكن « قاله الجيلاني .

٤ - ياربح اسكني عليهم بأذني «^(٢).

قال على حرازم :

« فأجاب رضي الله عنه بقوله : « وحقيقة الولي أنه يسلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا . إلى أن يقول : « ومعنى قوله لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصاف إلهه ونعوته من نعوته لأنه ينسلخ من جميع الأوصاف البشرية كما تنسلخ الشاة من جلدها ويلبس خلعة الأخلاق الإلهية » .

وعن تملك أقطاب الصوفية للكون بتفويض من الله لهم يقول على حرازم عن شيخه : « قال رضي الله عنه معني ذلك أن الله ملكهم الخلافه العظمي واستخلفهم على مملكته تفويضا عاما أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون وملكهم الله تعالى كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه » فأبي إلحاد بعد هذا من هؤلاء الذين يترضى عنهم على حرازم .

الصلاحيات للولي أعلى من الصلاحيات للنبي قال :

« وسألته رضي الله عنه عن قولهم إن دائرة الولي أوسع من دائرة النبي ﷺ

(٢) تلك النصوص في ٦٧ ج ٢ .

(١) ص ٣٥٠ ج ١ .

فأجاب رضي الله عنه بقوله المراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط... إلى أن قال :
« الرسول ليس له عموم الأمر والنهي إلا ما سمعه من مرسله سبحانه وتعالى
لا يزيد وراء ذلك شيئاً وإنما هو في ذلك مبلغ فقط ليس بآمر ولا ناه إلا أن يكون
الرسول خليفه ، فله المرتبة الأولى فالخليفة الولي أوسع دائرة في الأمر والنهي
والحكم من الرسول الذي ليس بخليفه » (١).

حقيقة القطبانية تمتد قدرتها بامتداد ما وصلت إليه الألوهية وتحجبها أيضا قال
على حرازم :

« وسألته رضي الله عنه عن حقيقة القطبانية فأجاب رضي الله عنه بقوله
اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة
وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفه في تصريف الحكم وتنفيذه في
كل من عليه ألوهية الله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمي بين الحق والخلق فلا
يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب » (٢).

رغبة الصوفية في تجهيل الخلق بربهم ونسيانهم لذكره ليصفو لهم وخدمهم
قال التجاني :

« المحبة الصادقة هي التي تورث الغيرة لصاحبها قيل للشبلي رضي الله عنه
متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكرا غيري ، وقال أبو يزيد رضي الله عنه لصاحبه
حين قال له وهل سألته المعرفه به قال له اسكت غرت عليه من أن يعرفه غيري .
التوحيد عند التجانية يقتضي شعور الشخص أنه هو الله لا فارق بين ذاته
وذات المولي عز وجل وأن ينس جسمية نفسه تماما قال على براده :

« سألت سيدنا رضي الله عنه عن هذا التوحيد فأجاب سيدنا رضي الله عنه
عن التوحيد وهو توحيدة لنفسه بنفسه عن نفسه وهذا التوحيد لا سبيل إليه إلا

(١) ج ٢ ص ٧٩ . (٢) ص ٨١ ج ٢ .

بالفناء قال الجريري رضي الله عنه كل إشارة أشار بها الخلق إلى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا إلى الحق بالحق أراد بهذا الذي ذكرناه هو عرو النسب حيث تنطمس النسب في الذات ... قال الشبلي حين دخل عليه رجل قال له ما تريد قال له أسأل عن الشبلي قال له مات لا رحمه الله (١).

كلمات غامضة صوفية :

١- التجلي الأول : هو الله عز وجل .

٢- التجلي الثاني : هو ظهور محمد (ﷺ) قبل الخلق .

٣- التجلي الأخير : هو ظهور آدم ويسمى أيضا اللباس الأخير (٢).

حقوق وخرافة :

يقرر التجاني أن الأنبياء لم يخرجوا من أمهاتهم من المحل المعتاد للولادة وإنما يخرجون من تحت سرة أمهاتهم تنزيها لهم ثم أخذ يدلل على هذه الخرافة بما تمجحه الأسماع (٣).

نزول الوحي على القطب من الله لكن بواسطة الحقيقة المحمدية وإن رآه من الله فقد خدع ولبس عليه قال :

«وما ذكر من أن العقل يأخذ العلم عن الله بواسطة فإنه نفي الواسطة المشهورة لا يشهد واسطة بينة وبين الحق أصلا لكنها موجوده في نفسها غير مشهوده له وهي الحقيقة المحمدية فإنه لا مطمع لأحد في درك حقيقتها فضلا عن مشاهدتها فإنها أخفى من السر الخفي فإنه يرى نفسه يأخذ العلم عن الله بلا واسطة وما برز له ذلك العلم إلا من الحقيقة المحمدية من حيث لا يراها وإن رآه من الله فإنه مغطى عليه بحجاب التلبيس فهذا معنى أخذ العلم عن الله بلا واسطة (٤).

(٢) ص ١٠٠ ج ٢ .

(١) ج ٢ ص ٩٧ .

(٤) ج ٢ ص ١٠٧ .

(٣) ص ١٠٤ / ١٠٥ .

شكوى علماء الصوفية من علماء المسلمين في حجزهم عن الإتيان بما لم تأت به الأنبياء قال :

« قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه لولا علماء الظاهر أوكما قال لأنت الأولياء عن الله بما أتت به الأنبياء^(١) .

معنى قول الشيخ الضال ابن عربي من وحد فقد ألد « واعتبارهم التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ إلهاداً قال علي حرازم عن شيخه التجاني :

« وسألته رضي الله عنه عن معنى قول الشيخ الأكبر من وحد فقد ألد فأجاب رضي الله عنه بقوله معنى الإلهاد هو الخروج عن الجادة المستقيمة فإن العارف إذا وحد بتوحيد العامة فقد ألد والعامي إذا وحد بتوحيد العارف فقد ألد يعني كفر » .

التجاني يعرف أنفاس الإنسان وخواطره بغض النظر عن طول عمره أو قصره قال : « وسألته رضي الله عنه عن عدد أنفاس الإنسان فأجاب رضي الله عنه بقوله عدد أنفاس الإنسان أربعة وعشرون ألفاً نصفها داخل ونصفها خارج وأما الخواطر فعددها سبعون ألف خاطرة تخطر كل يوم على القلب حتما لا يتخلف منها واحد »^(٢) .

القطب الصوفي لا يستطيع أن يسمع كلام الناس بعد أن يسمع كلام الله له إلا بعد فترة نقاهة وسماعه لكلام الله أعلى من سماع الأنبياء له قال : « ثم قال سيدنا رضي الله عنه من فتح عليه في هذا الأمر العظيم والنعيم الجسيم لا يقدر أن يسمع كلام الخلق إلا إذا اعتزل ثلاثة أيام يذكر الله فحينئذ يقدر على سماع كلامهم وإن لم يفعل ما ذكر فإنه مهما سمع كلامهم يتقيأ لقبحة بالنسبة للذة ما سمع من كلام الحق وسماع كلام الله لمن سمعه لا بأذن فقط بل بجميع أجزاء ذاته كلها حتى يصير كل ذره من ذاته تلذ مثل جميع ذاته بكمالها^(٣) .

(١) ج ٢ ص ١١١ .

(٢) ص ١١٠ .

(٣) ص ١٠٨ .

الجنة في نظر الصوفية لا قيمة لها :

قال : « ومن كلامه رضي الله عنه قال كل العارفين في شغل عن الله تعالى لأنهم بقى لهم ضرب من حظوظهم إلا أهل التجلي الأكبر الذين لاحظ لهم في الجنة فإنهم عنده سبحانه وتعالى مقيدون في حضرة قربه وواصلهم بما لا تحيط العقول وصفه... فإن هؤلاء لا التفات لهم إلى الجنة ونعيمها ولا عبرة لهم بها أوجدت أم عدت »^(١).

والبديل لها عند الصوفية هو النظر إلى المشائخ والجلوس بين أيديهم بكل الخضوع والتذلل ولهذا يقول محمد السيد التجاني في كتابه الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ناقلاً عن مشائخ الصوفية « الجلوس بين يدي ولي قدر ما تحلب فيه شاة أفضل من عبادة ألف سنة »^(٢)، وعلى المسلمين أن لا يجتهدوا في طلب ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فقط بينما الجلوس أمام شيخ صوفي داجن في زاويته المظلمة حساً ومعنى خمس دقائق خير من عبادة ألف سنة فهل بعد هذا السفه للنفس والحمق المردي حمق أو سفه ؟

كيفية خلق هذا الكون عند الصوفية:

يقول :

« ومن كلامه رضي الله عنه قال أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم . وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية فإنما خلقت من النسبة الثانية من روحه ﷺ فإن لروحه ﷺ نسبتين أفاضها على الوجود كله فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها . والنسبة الثانية من نسبة روحه ﷺ نسبة الظلام ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين وسائر الأجسام

(١) ص ١٣١ . (٢) الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص ٢٠ .

الكثيفة والجحيم ودرجاتها كما أن الجنة وجميع درجاتها خلقت من النسبة النورانية فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ أما حقيقة المحمدية ﷺ فهي أول موجود أو جده الله تعالى من حضرة الغيب وليس عند الله من خلق موجود قبلها»^(١).

فالملائكة والشياطين والجنة والنار بل والكون كله مخلوق من روح محمد ﷺ فأين العقول التي تصدق بمثل هذا الفحش والإهانة لنبي الإسلام ﷺ أن تكون الشياطين والجحيم وغيرهما ممانص عليه التجاني مخلوقة من روح محمد ﷺ كبرت كلمة تخرج من فمه .

تطاول التجاني على الصحابه وكل من جاء بعدهم .

قال التجاني في كتابه إلى أهل الاغواط :

« وأقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعده مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول»^(٢).

تصرف التجاني في الجنة .

جاء كذلك في كتابه إلى أهل الأغواط بالمغرب يقول لهم : « ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته من الرسول ﷺ تحقيقا ليس من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي »^(٣).

عدوان الصوفية بعضهم على بعض وطلب كل صاحب طريقة العلو على الآخرين .

(١) ص ١٣٥ .

(٢) ص ١٦٦ .

(٣) ص ١٦٦ .

سأل رجل من أهل فاس بالمغرب التجاني عن الدائرة الشاذلية وأسمائها
وخواصها وفضائلها فأجابه التجاني بقوله :

« اعلم أن التمسك بما في كتب أهل الخواص من دائرة الشاذلية رضي الله
عنه أسماء الله والحروف والجداول كله كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى
إذا جاءه لم يجده شيئاً مافي جميعها إلا التعب والطمع الذي لا يوجد فيه قليل
من الفائدة ولا جدوى من الفائدة » (١) .

الصوفي له قوة الخلاق العظيم كما يرى التجاني :

قال علي حرازم تحت عنوان « سر » شريف :

« قال سيدنا رضي الله عنه إذا تجلى الله لسر عبد ملكه جميع الأسرار
وألقه بدرجة الأحرار وكان له تصرف ذاتي متى توجهت إرادته لأي خارق
كان انخرق له في الحين إلا أن بعضهم يضيف لها كلمة كن وبعضهم بمجرد
الإرادة» (٢) .

ومعني هذا التطاول الغريب أن الله تعالى « إذا أراد شيئاً أن يقول له كن
فيكون » أما هؤلاء فإذا أراد أحدهم شيئاً تكفيه مجرد الإرادة لا يجاده وإذا
أضاف إليها « كن » فلا حرج عليه عند بعضهم فكلمة « كن » عندهم إنما هي
مجرد إضافة عارضة .

مزايا التجاني لم يصلها أحد من البشر بل ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل .

١ - كل من أخذ وردنا وداوم عليه إلى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب
ولاعقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته » (٣) .

٢ - وكذلك من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب
ولاعقاب (٤) .

(٣)،(٤) ص ١٧٠ .

(٢) ص ١٧٠ .

(١) ص ١٦٨ .

والسبب في تخصيص يوم الجمعة والأثنين بحصول هذا الفضل العظيم لمن نظر إلى وجهه الذي عليه غبرة هو اعتقاده أن الجمعة خلق فيها آدم والأثنين خلق فيه محمد ﷺ ومن هنا حصل له هذا الفضل العظيم في هذين اليومين الذي وقع فيهما الفرع أفضل من الأصل على ميزان التجاني المعكوس .

جفاء وعتو ونفور عن الله تعالى وحمق مركب .

مدح التجاني أبا عبيده الخواص بقوله :

« وله منذ أربعين سنة ما رفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وهذا هو حياء العارفين »^(١).

أذكار وأدعية بعبارات متكلفه وكلمات غامضه وأساليب ركيكه مرذولة قال على حرازم :

« وأول ما نبدأ به ذكر الصلوات التي أملاها مولانا رسول الله ﷺ من فيضه الشريف يقظة على شيخنا أبي العباس .. الأولى سماها شيخنا رضي الله عنه ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق ونصها الله الله اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك التي شئت فيه بوجود شؤونك ... اللهم برتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم أن تصل وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور الساري المحدود .. لله لله لله آه آمين هو هو هو آمين »^(٢).

ذلك هو الدعاء الأول وما يحمله من هذيان يبعث على الاشمئزاز والنفور. أما الدعاء الثاني فقد جاء فيه قوله وبعباراته المتكلفه التي تخفي وراءها قبائح وجهل شنيع قال :

« وهي أيضا من إملائه ﷺ لشيخنا يقظة وهي اللهم صل وسلم على عين

(٢) ص ٢١٦ .

(١) ص ١٨٠ .

الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الاسطع بمزون الأرياح المألعة لكل متعرض من البحور والأواني ... اللهم صلي وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروس الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم ... إحاطة النور المطلسم»^(١).

وما أدري من أين يأتي الخشوع في مثل هذا الدعاء الذي هو أقرب إلى الالغاز والهديان .

وجاء في نص الدعاء الثالث :

« اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية ... عبدك القائم بك منك لك إليك بأتم الصلوات الزكية المصلي في محراب عين هاء الهوية فصل اللهم عليه صلاة كاملة تامة بك ومنك وإليك وعليك ... وتب علينا بمحض فضلك الكريم في الصلاة عليه »^(٢).

وقد شرح على حرازم تلك الأدعية فكان كمن أراد أن يكحلها فأعماها حيث جاء هو الآخر بكلمات أغمض من النص بغرض أن تلك الأدعية وشرحها تحمل علما لا يعرفه إلا هؤلاء العباقرة .

وقد شرح وصف التجاني للرسول ﷺ بأنه اللوح المحفوظ فقال : « قوله اللوح المحفوظ اعلم أن اللوح المحفوظ هنا هو نبينا وسيدنا محمد ﷺ .. وتشبيهه هنا ﷺ باللوح المحفوظ يسمى عند المتكلمين تشبيه التسامح وإلا فهو ﷺ أكبر وأوسع من اللوح المحفوظ بأضعاف مضاعفة لأن غاية علوم اللوح وما سطر فيه إنما هو منشأ العالم إلى النفخ في الصور فرداً فرداً بلا شدوذ وأما ما وراء ذلك من أحوال يوم القيامة وأحوال الشؤون والأمور والاعتبارات واللوازم والمقتضيات كلها ليس في اللوح المحفوظ منه شيء إلا أمور قليلة مثل فلان يعمل كذا وكذا

(٢) ص ٢١٧ .

(١) ص ٢١٦ .

من الأعمال وجزاؤه في جنة الخلد أو جنة النعيم أو جنة المأوى له فيها كذ وكذا وفلان يعمل كذا وكذا من الشر ومستقره في الدرك الثانيه أو الثالثه وهكذا هو قليل بالنسبه لأحوال الجنة والنار وأحوال يوم القيامة وأما هو ﷺ فإنه جمع في حقيقته المحمدية كل ما أحاط به علم الله تعالى من الأزل إلى الأبد من علوم المخلوقات بأسرها ومعرفة مقتضياتها ولوازمها» (١).

المراتب الصوفية بينها خليفة التجاني على حرازم بقوله :

المرتبة الأولى مرتبة الاستهتار بذكر الله تعالى حتى يقع صاحبها في الذهول عن الأكوان والطمأنينة بذكر الله تعالى مستغرقا جميع أوقات دهره وهم الأولياء.
المرتبة الثانية : لباس الحلة الملكية وهي فوق هذه المرتبه وهي أن يتصف صاحبها بأحوال الملائكة» (٢).

المرتبة الثالثة : وهي فوق هذه وهي لباس الحلة الإلهية وهي لا تذكر ولا يعلمها إلا من ذاقها وصاحبها هو الذي يطلق عليه اسم الصديق فهي حزب من النبوة أو هي النبوة بعينها وهم العارفون والصديقون» (٣).
وتفسيره بأنها النبوة خداع وجبن عن إظهار الحقيقة إذ أن هذه المرتبة لباس الحلة الإلهية التي لا يعرفها إلا من ذاقها تفيد معني الأولوية إلا أنه لم يصرح بهذا التلا يكشف الحقيقة فتظهر حقيقتهم الإجرامية.

جوهرة الكمال :

يسمى التجانيون صلاة جوهرة الكمال وهي التي قدمنا بعضا منها وأولها «اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققه» إلخ (٤).

قال على حرازم في أول كلامه في شرحها :

(١) ص ٢٣٩ .

(٢) ومن أحيل علي مليء فليحتل وقد صدق من قال « الجنون فنون» .

(٣) ص ٢٤٩ . (٤) انظرها ص ٢١٦ ج ٢ .

« الحمد لله الذي فتق من كنه الغيب رتق الكائنات وجعل أصلها ونشأتها نور حقيقة سيدنا محمد فكان أصل الموجودات فأوجد منها بقدرته القدسيه وكلمته الأزلية فطرة آدم وجعل شكله صورة العالم وعلمه الأسماء كلها وجعله من جميع البرية خلاصتها وصفوتها وأخرج من عنصره الأرواح والذرية والأشباح^(١)، واختار منها صفوة الأنبياء والرسل والأولياء بالرسالة والولاية^(٢) إلى آخر ما جاء به من عجائب الحمق .

خواص هذه الصلاة: زعم التجانيون أن لهذه الصلاة أو الدعاء خواص لا يقدر لها قدر ولا ظن أحداً لم تدنس الصوفية فطرته يصدقها قال :

« وذكر لها رسول الله ﷺ خواص منها :

- ١ - أن المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات .
- ٢ - أن من قرأها سبعا فأكثر يحضره روح النبي ﷺ والخلفاء الأربعة مادام يذكرها .

٣ - ومنها أن من لازمها أزيد من سبع مرات يحبه النبي ﷺ محبة خاصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء وقال الشيخ رضي الله عنه من داوم عليها سبعا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ^(٣) .

إلى أن قال: « فإنه لولا وجوده ﷺ ما كان وجود الموجود أصلا من غير الحق سبحانه وتعالى ... فإنه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان ولا رحم شيء منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة^(٤) .

ثم قال: « تنبيه شريف » .

اعلم أنه لما خلق الله الحقيقة المحمدية أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ما

(٢) ص ٢٥٤ .

(٤) ص ٢٥٦ .

(١) انظر إلى تعمق هؤلاء في الباطنية .

(٣) ص ٢٥٥ .

قسمه لخلق من فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها ثم هو ﷺ الآن بترقى في شهود الكمالات الإلهية مما لا مطمع فيه لغيره ولا تنقضي تلك الكمالات بطول أبد الأباد»^(١).

وتظهر الطلاسم واضحة في هذا الدعاء النجاني العجيب الغريب المسمى بحزب البحر قال محمد السيد النجاني :

«مقصد حزب البحر التعوذ والبسمة وبه نستعين وبه الحول والقوة رب سهل ويسر ولا تعسر علينا يا ميسر كل عسير أبت خدذ رزط ظكل منص صبع فقس شهولاي لا إله إلا الله عشرا ثم صلاة الفاتح عشرا ويرفع يديه إلى السماء ويقرأ فاتحة الكتاب مرة بنية ما يريد ثم بسم الله الرحمن الرحيم يا الله يا عليّ إلخ»^(٢).

وقد ذكر دعاء يقوله من أراد أن يجتمع بالنبي (ﷺ) يقظة لا مناما وفي آخره يبخر بالعود أو الجاوي على طريقة الشعوذة والسحرة .

ثم ذكر دعاء آخر لجلب الغنى ودفع الفقر .

ثم ذكر دعاء لكيفية خاصة من جوهرة الكمال تقوم مقام اللطيف الكبير هكذا وبهذا الأسلوب .

إلى أن ذكر الطامة الكبرى وهي في قوله الآتي :

« كيفية من الصلوات تسمى مهر السر والخور وعين الفتح والنور من أكثر من تلاوتها يرى رب العزة في المنام ولا يفارقه رسول الله وروح القدس أبدا»^(٣) وأحب أن لا أذكر تلك الأدعية لأنزه سمع وبصر القارئ عن حشو ذهنه بخزعبلات الصوفية وخرافاتهم ومن تناقضاتهم أن يأتوا بدعاء لجلب الغنى ودفع

(١) ص ٢٦٤ . (٢) الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥ إلى ص ٢٦ .

الفقر وهم لا يحبون الدنيا كما يزعمون ويحبون الفقر ويجعلونه من أشرف الأسماء لديهم .

وأما زعمهم رؤية الرسول ﷺ ورؤية المولى عز وجل والاتحاد به فهي ديدنهم وعليها قام دينهم .

يجب الخضوع التام لأقطاب التصوف وترك الإنكار عليهم في أي شيء يقول الفوتي في كتابه: « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم » هامش جواهر المعاني:

« اعلم أن المنكر على الأولياء ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة وأنه في لعنة الله ومحاربه »^(١)، ويقصد بأولياء الله هنا أقطاب التصوف .

فليعتصم المرید بشيخه وليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفرض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقى في متابعته شيئاً ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب^(٢)، إلى أن قال: « ولا اعتراض بأن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله وقد قالوا من قال لشيخه لم فإنه لا ينتفع به »^(٣).

التصدر للمشيخة خطر عظيم إلا ياذن شيخ صوفي .

يقول الفوتي: « قلت التصدر للشيخوخة بغير إذن شيخ كامل خطر جدا لأن يكن سببا لسوء الخاتمة وإن لم يتب فاعله فلا يموت إلا كافرا »^(٤) .

الاتصاف بالله وتهوين الفاحشة :

ذكر الفوتي أن أحد المريدين طلب من شيخه أن يدلّه على الله فقال له أتصف بصفة من صفات الله تعالى فاختر الصدق ثم ارتكب جريمة زنا وحين

(٢) ص ١٠٣ رماح .

(٤) ص ١١٠ .

(١) ص ٥١ ج ١ .

(٣) رماح ص ١٠٥ .

سئل أجاب بقوله نعم فسجنه الوالي لظنه أنه مجنون فشفع فيه بعضهم فأخرج من السجن بفضل صدقه كما يزعم وقد صاغها الفوتي بأسلوب مزخرف مطول يهون الجريمة بدلا عن التنفير عنها^(١) وذكر الفوتي في رماحه قصصا كثيرة جدا كلها تهدف إلى طاعة المشائخ طاعة عمياء لا اعتراض ولا جدال حتى ولو أمر الشيخ المرید بفعل الفواحش وقتل النفوس فعليه التنفيذ لأنه لا يعرف الحكمة من وراء ذلك إلا الشيخ منها أن بعض المشائخ أمر مریدا له بقتل والده فجاء المرید بالليل ووالده عند أمه فاحتز رأسه وجاء به إلى الشيخ فلما عرف صدق إيمان المرید كشف له عن الرأس فإذا هو ليس والد المرید وإنما كان علجا في حال غياب أبيه جاء الشيخ الوحي بذلك .

ثم ذكر قصصا كثيرة حول هذه الطاعة ثم عقب بذكر قصص أخرى تفيد أن التلميذ لا ينبغي أن يشك في شيخه حتى ولو رآه يشرب الخمر ويزني ويقتل النفوس وقد دخلت على أحد المشائخ امرأة في خلوته ولما رأى أن تلميذه ، لم يتغير عليه أخبره أنها ليست امرأة ولكنها الدنيا تصورت في صورة امرأة ثم دخلت عليه .

إلى آخر ما ذكر من أمثال هذه الفواحش بأسلوب سافر لم اذكره بنصه لأولئك الذين سماهم أولياء والذين قال عنهم بعد ذلك :

« الشيخ هو الولي الكامل في قومه كالنبي في أمته وأن مبايعته كمبايعه النبي ﷺ لكونه نائبا عن النبي ﷺ »^(٢).

ومن هنا فإنه ينبغي على المرید :

« أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه »^(٣).

« فعلم أن كل من لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه وأنه لا يأمر

(١) ص ١١٤ . (٢) ص ١٢٦ .

(٣) ص ١٢٦ / ١٢٧ .

قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفس منه فمحبتة نفاق» (١).

وذكر أن الشيخ لو طلب إلى أحد مريديه أن يطلق زوجته أو يأتي بنصف ماله أو منعه من وظائفه ومصالحه فأبى لكان قد دلل على نفاق أيضا ولعل في ذكر الآداب التي ينبغي على المرید أن يمتثلها أقوى تصوير لمدى هيمنة شيوخ الصوفية على أتباعهم ومدى الغبن والذل الذين يلحقان بأولئك القطعان من أتباع رهبان الصوفية وقد ذكر الفوتى منها ما يلي:

- ١ - تعظيم الشيخ وتوقيره ظاهراً وباطناً وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله ولو كان ظاهره أنه حرام وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين .
- ٢ - أن لا يقعد وشيخه واقف .
- ٣ - ولا ينام بحضرتة إلا بإذنه في محل الضرورات ككونه معه في مكان واحد .
- ٤ - أن لا يكثر الكلام بحضرتة ولو باسطه .
- ٥ - وأن لا يجلس على سجادته .
- ٦ - ولا يسبح بسبحته .
- ٧ - ولا يجلس في المكان المعد له .
- ٨ - ولا يلج عليه في أمر .
- ٩ - ولا يسافر .
- ١٠ - ولا يتزوج .
- ١١ - ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه .
- ١٢ - ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب بل يسلم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره به .
- ١٣ - ولا يمشي أمامه ولا يساويه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادمة ضرر .

(١) ص ١٢٨ .

- ١٤ - وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه .
- ١٥ - وأن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره .
- ١٦ - وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفراً وحضراً التعمه بركته .
- ١٧ - وأن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه أو من طرده الشيخ عنه .
- ١٨ - وأن يحب كل من أحبه الشيخ ويكره كل من كرهه الشيخ .
- ١٩ - وأن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته .
- ٢٠ - وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه .
- ٢١ - وأن يحمل كلامه على ظاهره فيمثلته إلا لقرينه صارفة .
- ٢٢ - وأن لا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عاده فإن في ذلك هلاكه .
- ٢٣ - وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذن .
- ٢٤ - ولا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك .
- ٢٥ - وأن لا يزور الشيخ إلا وهو على طهارة لأن حضرة الشيخ حضرة الله تعالى .
- ٢٦ - وأن يحسن الظن به في كل حال .
- ٢٧ - وأن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله .
- ٢٨ - وأن لا يكلفه شيئاً حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلم على الشيخ ولا ينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه .
- ٢٩ - وأن لا يكتنم عن شيخه شيئاً مما يخطر له .
- ٣٠ - وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه .
- ٣١ - وأن لا ينظر في أفعال الشيخ ولا يتعدى أمر شيخه ولا يتأول عليه كلامه .
- ٣٢ - ولا يطلب علة للأمر الذي يأمره به بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سواء عقل

- معناه أو لم يعقل .. ومتى تأول على الشيخ ما أمره به أو يقول تخيلت أنك أردت كذا فليعلم أنه في ادبار فليبك على نفسه .
- ٣٣ - ولا يلبس ثوبا لبسه شيخه إلا إذا كساه الشيخ إياه .
- ٣٤ - ولا يسأله عن شيء سؤال من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقص ما وقع له فإن أجابه كان وإلا فلا وإن وصف ذلك على أن يجيب الشيخ فقد جعله سؤالاً وإذا جعله سؤالاً فقد أساء الأدب .
- ٣٥ - ولا يخون شيخه في أمر مأمور به .
- ٣٦ - ومن شرط المرید أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل إن غسل عضواً من أعضائه قبل عضو آخر أو حركه أو تصرف فيه كيف يشاء فلا يخطر عليه خاطر اعتراضه .
- ٣٧ - ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزاً كجلوس العبد بين يدي سيده وذكر شروطاً إلى أن قال :
- ٣٨ - ولا يقعد مقعداً حيث كان إلا ويتيقن أن الشيخ يراه فليلزم ذلك .
- ٣٩ - ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلة الأدب والحياء ويخرج الاحترام من القلب .
- ٤٠ - ولا يكثر مجالسته .
- ٤١ - ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها .
- ٤٢ - وإن طلق امرأة فمن الأدب ألا يتزوجها .
- ٤٣ - ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبل يديه وأطرق .
- ٤٤ - ويتحجب إليه بامثال أمره ونهيه .
- ٤٥ - وليكن حافظاً شحيحاً على عرضه .
- ٤٦ - وإذا قدم إليه طعاماً فليلقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وليقف خلف الباب

- فإذا دعاه أجابه وإلا فليتركه حتي يفرغ فإذا فرغ أزال المائدة فإن بقي شيء من طعامه وأمره بالأكل فليأكل ولا يؤثر بنصيبه أحداً .
- ٤٧ - ويجتهد أن لا يراه إلا فيما يسره ولا يتمن عليه وليحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه .
- ٤٨ - ومن شرط المريد أن لا يرد على الشيخ كلامه ولو كان الحق بيد المريد .
- ٤٩ - الاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه فهذا مريد مسخر للشياطين .
- ٥٠ - ومن شرط المريد إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأمل ولا توقف ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض الشيوخ لبعض المريدين رأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع فقال أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه فقال له أحسنت .
- ٥١ - ومن شرط المريد الوفاء بكل ما يشترط عليه الشيخ سواء كان صعباً أو سهلاً وليس للمريد أن يعترض على الشيخ في شيء... فإنهم قالوا الاعتراض على الشيوخ سم قاتل .
- ٥٢ - وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك .
- ٥٣ - الولي ينظر إلى باطن المريد ولا عبرة عنده بظاهره .
- ٥٤ - كل ما يفعله الولي من الأعمال التي تعيبه في الظاهر إنما يكون بسبب معاصي الناس المريدين له وإلا لما حصل له ذلك لو كانوا أصحاب خير وبر لرأوا كل ما يفعله حسناً^(١) .
- ولقد تركت ذكر آداب وشروط كثيرة واجبه لمشائخ الصوفية بإيجاب النبي ﷺ لها على حد افتراء هؤلاء الكذابين سراق عقول البشر الذين لا يهمهم أن

(١) انظر لتلك الأقوال رماح الفتوي من ص : ٩٤ إلى ص : ١٤٠ ج ١ .

يدوسوا كرامة الإنسان بأرجلهم - ولقد ظهر للقارئ الكريم من خلال ما قدمنا من الآداب التي تطلب من المرید وهي في الحقيقة أغلال ما يبعث على الأسي والحزن على أولئك الذين أصبحوا ضحايا الجشع الصوفي ولقد كنت أتحرق غيظا في أثناء كتابتي لهذا الدجل الصوفي التيجاني وتشويههم لصورة الإسلام السمحاء واستعبادهم هؤلاء البله والعوام من المسلمين إلى حد أنهم يشترطون عليهم أن يروا المنكرات التي يفعلها المشائخ من الزنا وبيع الحشيش وسائر أنواع المنكرات أن يروا ذلك إما أنهم يفعلونه لحكمة لا يعلمها إلا هؤلاء الأقطاب أو بسبب معاص الناس أو أنها صور تخيل للشخص وليست حقيقة فأبي لصوصية هذه وأي استهتار بكرامة الإنسان؟.

قارن يا أخي المسلم بين من يدخل الإسلام ومدى ما يشعر به من كرامة نفسه وحين يقال له أنت الإنسان المكرم الذي خلق الله من أجلك هذا الكون الهائل أنت أكرم على الله من السموات والأرض أنت خليفة الله في الأرض إلى غير ذلك من تعاليم الإسلام .

وبين تعاليم هؤلاء اللصوص المحترفون حين يشترطون على الداخل في الإسلام على طريقتهم أن يرمي نفسه أرضا لا حراك به كالميت بين يدي الغاسل وإذا قدم لشيخه أكلا أن يقف وراء الباب ثم يأكل بعد ذلك ما بقي بعد شبع شيخه الجشع الذي لا يسأل عما يفعل.

لقد سد كهنة التصوف كل منفذ لعودة عقل الإنسان إلى الصواب و كبلوه بسلاسل وأغلالا لا انفكاك له منها إلا إذا تداركته رحمة الله تعالى ولهذا نجد أن من خرج عن طرقهم الفاسدة يكاد يصعق حين تذكر له .

تثليث صوفي: يقول الفوتي « فإن المرید لا يجيء منه شيء حتى لا يكون بقلبه غير الشيخ والله تعالى والرسول ﷺ^(١)، الشيخ، الله، الرسول.

(١) ص ١٥٣ ج ١ .

تشريع جديد لأقطاب التصوف :

« ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى » (١).

تثبيت الفرقة بين المسلمين وإحكام قبضتهم على أتباعهم وحجرهم عليهم يقول علي حرازم: « وأما أتباعه رضي الله عنه - أي التيجاني - فقد أخبره سيد الوجود ﷺ أن كل من أحبه فهو حبيبه للنبي ﷺ ولا يموت حتى يكون وليا قطعاً وأمره أن ينهي أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات وكل من زار منهم ينسلخ عن طريقته إلى أن يقول :

« ويجب على الشيخ أن لا يترك أصحابه يزورون شيخاً آخر ولا يجالسون أصحابه فإن المضرة سريعة للمريدين » (٢).

وسمعت سيدي عليا المرصفي يقول لا ينبغي لمريد أن يزور ولا يزار لغلبة الآفات عليه » (٣).

تحكم على الله وترهيب للأتباع :

« حكى القشيري في رسالته أن شقيقا البلخي وأبا تراب النخشي قدما على ابن يزيد وقدمت السفارة وشاب يخدم أبا يزيد فقال شقيق كل معنا يافتي فقال أنا صائم فقال أبو تراب ولك أجر صوم شهر فأبى فقال شقيق كل ولك أجر صوم سنه فأبى فقال أبو زيد دعوا من سقط من عين الله فأخذ ذلك الشاب بعد مدة وقطعت يده بسرقة » (٤).

مبدأ باطني وهو التبني الروحي كما يسمونه :

قال الفوتي : « الفصل الثالث والعشرون في أعلامهم بأن الوالد المعنوي

(٢) ص ١٥٩ .

(١) ص ١٥٨ .

(٤) ص ١٦٠ .

(٣) ص ١٦٠ وفي رسالة القشيري ج ٢ ص ١٧٦ .

الذي هو الشيخ أرفع رتبة وأولي بالبر والتوقير وأحق رعاية وأكد دراية وأقرب حسبا وأوصل نسبا من الوالد الحسي^(١)، ثم جاء في هذا الفصل بكل طامة إلى أن قال أكاذيب تردها النصوص الصحيحة والفطر السلمية في دور المشائخ الصوفية في يوم القيامة منها « وأيضاً يدعو المريدين بأسماء مشائخهم - أي في يوم القيامة - ويدعوهم إلى منازلهم ودعائهم في ذلك اليوم الشديد الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت بأسماء المشائخ دون أسماء الآباء والأمهات يكفي دليلاً على ارتفاع رتبة المشيخة التي هي الولادة المعنوية على رتبة الولادة الجسمية»^(٢).

ومن هنا فجزء المشائخ لا يكاد يبلغه أحد وقد أوصله كهنة التصوف إلى مرتبه فوق مرتبة الأنبياء حسب قولهم الآتي .

« والله لو وقف المريدون على الجمر بين يدي أشياخهم منذ خلق الله الدنيا إلى أنقضائها لم يقوموا بواجب حق معلمهم في إرشادهم إلى إزالة تلك الموانع التي تمنعهم من دخول حضرة الله »^(٣) قالوا : « ومن نسب تلميذاً إلى غير أستاذه كمن نسب ولدًا إلى غير أبيه »^(٤).

العشق والغرام في المذهب الصوفي وأكاذيبهم في ذلك :

« روي السهروردي بسنده أن النبي ﷺ قال حاكياً عن ربه إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري فإذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقتة ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم الأنبياء أولئك الأبطال الأبدال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرفت بهم عنهم »^(٥).

وهذا الحديث بلا شك أنه من جنس الأحاديث التي يرويها الصوفي عن

(٢) ص ١٦٢ .

(١) ص ١٦١ .

(٥) ص ١٦٩ .

(٣، ٤) ص ١٦٥ .

قلبه عن ربه مباشرة دون أن يعلم بها النبي محمد ﷺ .

متى يسقط ذكر الله تعالى عند الصوفية ، فلا يعد لذكر الله وجود في
حقهم يقول الفوتي :

« قلت وإذا أكثر العبد ذكر ربه باللسان حصل له الحضور وإذا حصل له
كثرة الذكر مع الحضور صار الحق مشهوده وهناك يستغني عن ذكر اللسان ...
لأن حضرة شهود الحق سبحانه حضرة بهت وخرس يستغني صاحبها في
الجمعية بالمدلول فقد استغنى العبد عن الدليل فافهم » (١).

ويوضح المقصود من الكلام السابق قوله عن ما يجده الشخص في ميدان
التصوف في كفره الآتي :

« وفي هذا الميدان ينمحي الذاكر والذكر ويصير في حالة أن لو نطق لقال
أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لاستهلاكه في بحار التوحيد وهذه المرتبة هي آخر
مراتب الذكر وصاحبها صامت جامد لا يذكر ولا يتحرك » (٢).

وإذا ذكر الله بلسانه في هذه الحال فإنه يعتبر في حقه ذنب وفي هذا الحال
المعكوس يقول :

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس السرائر والقلوب
فتترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها غروب (٣).

زاد الله ذنوبهم وطمس سرائرهم وقلوبهم انظر كيف تلاعب الشيطان بهم
حتى أصبح ذكر الله يزيد ذنوب الإنسان ويطمس سريره وقلبه لأن الأولى به
حين يصل إلى تلك المرتبة أن يترك كل شيء لاتحاده التام بالله تعالى حيث تصبح
ذاته لاغروب لها بعد ذلك .

(٣.٢) ص ١٧٢ .

(١) ص ١٧١ .

مستند الصوفية في وجدهم ورقصهم :

قال الفوتي : « وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه فإذا انضم إلى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا إنكار عليهم فإن ذلك من لذات الشهود والمواجيد وقد ورد في بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي الرسول ﷺ حين قال له أشبهت خلقي وخلقي من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه ذلك النبي ﷺ فكان هذا أصلا في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم » (١).

ومما يدركه طلاب العلم أن هذا القول مملؤ بالمغالطة والكذب فأين اهتزاز جعفر وخفته في حال سماعه قول الرسول ﷺ من رقص الصوفية وتمايلهم طربا لا يمت إلى الخشوع بأدنى قرابة وبذكر لا يورث أيضا أي خضوع ولا ذكر للآخرة مثل ما يذكره الفوتي بقوله في تعداد أنواع ذكرهم قال :

« فلا حرج على الذاكر ما دام مسلوب الاختيار يستعمله كيف شاء على أنواع مختلفة كلها محموده وصاحبها مشكور عليها فلها كلها أسرار فرما يجري على لسانه الله الله الله أو هو هو أو لا لا لا لا لا لا أو آآآ بالمد أو أأأأأ بالقصر أو اه اه اه اه اه اه اه اه اه أو ها ها ها ها ها ها ها ها ها أو ... عياط بغير حرف أو صراخ وتخبيط فأدبه في ذلك الوقت أن يسلم نفسه لو ارده يتصرف فيه كيف يشاء » (٢).

ولك أيها القارئ اللبيب أن تتصور الصوفي وهو يترنح يمينا وشمالا وهو يصرخ هو هو هو أو لا لا لا لا لا لا لا أو آ أو آ أو ها ها ها ها ها ها ها ها ها أو بغير تلك الصفات الهوجاء بأن يكون عياطا بغير حرف أو كان ذكره أنه يصرخ أو تخبيط كالذي مسه الشيطان فكيف تتصور النتيجة أنها مأس تقشعر لها الجلود إن هذا عار على الإسلام والمسلمين بل عار على العقل والإدراك إنك لو اطلعت

(٢) ص ١٨٠ .

(١) ص ١٧٩ .

عليهم وهم يرددون هو هو هو ولم تكن تعرف التصوف من قبل لوليت
منهم فرار وملتت منهم رعبا .

ذكر الله وصفة طيبة محتكرة على أقطاب الصوفية وبرضاهم قال الفتوي :

« اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيخ أو عن شيخ غير مفتوح عليه عارف
هلاك صاحبه أقرب من سلامته لا سيما أسماء الله تعالى » وسبب ذلك يبينه أحد
كهنة الصوفية وهو عبد العزيز الدباغ بقوله: « الأسماء الحسنی لها أنوار من أنوار
الحق سبحانه فإذا أردت أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نوره الذي يحجب
من الشيطان وأنت تذكره لم يضرک وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب
من الشيطان حضر الشيطان وتسبب في ضرر العبد والشيخ إذا كان عارفا وهو
في حضرة الحق » (١) .

من رأى الثعلبي أحد أقطاب الصوفية دخل الجنة . اجتمع أحمد التيجاني
بالشريف الحسيني التهامي فقال له : « سمعت أن لك مزية عظيمة فقال له : ما
هي قال له : من رآك يدخل الجنة قال : نعم إلا أن المزية ليست لي فقال له :
شيخنا لمن هي قال : للشيخ الثعلبي لأن من رآه ومن رأى من رآه ومن رأى إلى
سبعة أو ثمانية أو إثني عشر إنسانا يدخل الجنة وأنا رأيت من رأى من رآه » (٢) .

وقال كذلك :

عن الثعلبي أنه قال : « من رآني إلى سبعة ضمننت له الجنة » (٣) .

الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة لا منا ما حسب زعم الفتوي في قوله : «
الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة وأنه ﷺ
يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث
يشاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم

(٣) ص ١٩٣ .

(٢) ص ١٩٣ .

(١) ص ١٨٦ .

يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار.

كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها» (١).

وجاء في هذا الباب بما لا يتصوره عقل سليم من مجيء النبي ﷺ إليهم ومقابلاتهم له وأخذهم عنه علوما وفوائد وغير ذلك مما لا نرى التطويل بذكره وفوق ما تقدم يذكر الفوتي أن النبي ﷺ يحضر الديوان الصوفي وقد أطل في أخبار هذا الديوان والترتيب الذي يسرون عليه حينما يحضر الرسول ﷺ أو حينما يتغيب قال في أول ذلك الكلام :

« قلت ولا ينكر رؤية النبي ﷺ يقظة إلا من لا شعور له بمقامات العارفين ولا اطلاع له على ديوان الصالحين فهذا أنا ألخص لك شيئا من ذلك » (٢).

وقاك الله من ذلك التلخيص الذي هو أشبه ما يكون بحكايات ألف ليلة وليلة إلا أن تلك الحكايات لالف ليلة وليلة لاتصل إلى عشر الأكاذيب التي ساقها أقطاب التصوف في تفاصيل ذلك الديوان الغريب الذي يحضره الأولياء والنبي محمد ﷺ وأحيانا يحضره الأنبياء كلهم ويحضره أيضا الأموات ويعرفون بعلامات في لباسهم وكلامهم» (٣)، وأخبار أخرى إذا قرأها العاقل حمد الله على نعمه العقل والدين .

والنبي ﷺ لا يحضر الديوان الصوفي فقط وإنما يحضر أيضا حسب أكاذيب الصوفية صلاة جوهرة الكمال حسبما يقرره محمد السيد التجاني في كتابه الهداية الربانية حيث يقول :

« وكذلك يحضر الرسول ﷺ مع الخلفاء الأربعة والشيخ ومع عدد عظيم من صفوة الملائكة في الوظيفة السابعة من الجوهرة إلى الاختتام ويشفع في جميع

(١) ص ٢١٠ . (٢) انظر رماح الفوتي ص ٢١٢ إلى ص ٢١٤ .

(٣) انظر رماح الفوتي ص ٢١٢ إلى ٢١٤ .

الحاضرين شفاعه خاصة تلحقهم وتلحق السابع من أولاده ولو لم يكن فقيراً إن حضرها بمحبة في الذكر وأهله ولو لم يعرف خاصيتها بل يحضر النبي ﷺ لكل من قرأها في غير الوظيفة حتى يختم ولو سار عمره ما فارقه ﷺ صاحباً أو فقيراً أو تلميذاً وهذا أغرب من كل غريب تفضل به الحق سبحانه على أهل هذه الطريقة لا غير»^(١).

ولكن كان محمد السيد التجاني قد كذب في أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة وتلك الصفوف من الملائكة يحضرون .

فإنه قد صدق حين قال عن كل ما ذكره سابقاً: « وهذا أغرب من كل غريب » نعم إنه في منتهى الغرابة فأى عقل سليم يصدق مثل ذلك الهراء السمج والكذب على الله وعلى نبيه وعلى خيار الصحابة .

ولقد ذكر في كلامه بموقف مر على حيث وقفت أمام بائع في حانوته - دكانه - وقد كتب عليه لوحه كبيرة هذا عنوانها « من يصدق خصم خمسين في المائة » فقلت له نعم لا أحد يصدق وأنا أولهم أنك تخصم خمسين في المائة فضحك وقال: « الناس يفهمون غير ما فهمته » .

أمثله مختصرة من مزاعم التيجاني يذكرها الفتوي ، وفيها من المبالغات وتزكية النفس وإطرائها مالا يليق بمخلوق منها قوله :

١ - قد أخبرني سيد الوجود ﷺ بأني أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة يقظة لا مناما .

٢ - لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور .

٣ - إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي كان مددكم منه » .

(١) الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص ٢١ .

- ٤ - قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قديمي هذا على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره وأما أنا فقدماى هاتان وجمعهما على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور .
- ٥ - هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سوى القرون الثلاثة الوارد النص بأفضيلتها « (١) .
- ثم ذكر الفتوي فضائل من تمسك بطريقة التجاني نوردها ليقف القارئ على مدى الهوس والأمانى الفارغة التي أقام الصوفية مذهبهم عليها :
- ١ - أن جده ﷺ ضمن لهم أن يموتوا على الإيمان والإسلام .
 - ٢ - أن يخفف الله عنهم سكرات الموت .
 - ٣ - لا يرون في قبورهم إلا ما يسرهم .
 - ٤ - أن يؤمنهم الله من جميع أنواع عذابه وتخويله وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة .
 - ٥ - يغفر الله لهم جميع ذنوبهم ما تقدم وما تأخر منها .
 - ٦ - أن يؤدي الله عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله عز وجل لا من حسناتهم .
 - ٧ - أن لا يحاسبهم الله تعالى يوم القيامة ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير .
 - ٨ - أن يظلمهم الله في ظل عرشه يوم القيامة .
 - ٩ - أن يجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة .
 - ١٠ - أن يسقيهم الله تعالى من حوض النبي ﷺ .

(١) انظر من ص ٤ إلى ٣٦ . ج ٢ .

- ١١ - أن يدخلهم الله الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى .
- ١٢ - إنهم يستقرون في عليين وجنة الفردوس وجنة عدن .
- ١٣ - أن النبي ﷺ يحب كل من أحب التجاني .
- ١٤ - أن محب التجاني لا يموت حتى يكون وليا .
- ١٥ - أن أبوي آخذي ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو لم يكن لهم به تعلق .
- ١٦ - أن التجانيين تلاميذ للنبي ﷺ وأحباب له .
- ١٧ - أن أصحاب التجاني يعتبرون صحابيين مثل صحابة الرسول ﷺ .
- ١٨ - أن أي أذية لأي تيجاني تعتبر أذية للرسول ﷺ .
- ١٩ - أن الإمام المهدي في آخر الزمان يأخذ عنهم ويدخل في زمرةهم ويطلب إليهم أن يعلوه الفاتحه .
- ٢٠ - أن كل واحد من التجانيين أعلى من أكبر ولي من الأولياء ممن عداهم .
- ٢١ - في الأذكار التي أعطيها التجاني اسم الله الأعظم .
- ٢٢ - أن كل تيجاني يحفظ الأذكار آمن من السلب .
- ٢٣ - أن الله تعالى يعطيهم عن كل عامل تقبل الله عمله الضعف في أجره وهم رقود .
- ٢٤ - لا يمر عليه ما يمر على سائر الناس من التعب في الموقف .
- ٢٥ - أن النبي ﷺ يحضر هو وخلفاؤه مع التجانيين دائما .
- ٢٦ - يتميزون في يوم القيامة عن سائر الناس بأن كل واحد منهم مكتوب بين عينيه محمد ﷺ وعلى قلبه مما يلي ظهره محمد بن عبد الله وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة الحمديّة .
- ٢٧ - أن التجاني لا يعذب ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها .

اقتصر على ما ذكر وإلا فإن الفتوي ذكر بعد ذلك مزايا تدل على سعة خياله وعدم خوفه من القول على الله بغير علم .

ثم ذكر مزايا الأذكار الطريقة التجانية لا يستطيع الخلق حصرها ولو جاءوا بكل أجهزة الآلات الحاسبة واستدل على ذلك بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب كل المخلوقات من السموات والأرض ومن فيهن والعرش والكرسي والقلم واللوح المحفوظ كلها خلقت من نور محمد ﷺ والأرواح كلها كذلك من نوره ﷺ هذه الخرافات كلها يشبها الفتوي في رماحه تبعا لمفاهيم الصوفية الضالة ويثبت أن الله قبل كل شيء ليس معه إلا ذات النبي ﷺ وأن الملائكة وجبريل في أولهم إنما خلقوا لخدمة محمد ﷺ (١).

تلاعب التجانية بتفسير القرآن الكريم

« أنه ﷺ عين الرحمة الربانية لأن جميع الوجود رحم بالوجود بوجوده ﷺ ومن فيض وجوده أيضا رحم جميع الوجود فلماذا قيل فيه عين الرحمة ﷺ وهو المراد بقوله: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٢).

الصوفية باطنية ويفضلون العلوم الباطنية على العلوم الإسلامية .

تساءل الفتوي على لسان شخص ما الفائدة من الالتجاء إلى علم الشريعة أي علم الظاهر مع أن علم الحقيقة أي العلم الباطني أفضل ثم أجاب عن ذلك وصيغة السؤال والجواب هي « فإن قلت فلم لا يكتفي الإنسان بعلم الباطن المسمى علم الحقيقة فيعمل بها حيث كانت هي المقصودة بالذات فلم يقدم على الظاهر المسمى بالشريعة التي هي الوسيلة ، ثم قال في الجواب « قلت اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن علم الشريعة الذي هو علم الظاهر وسيلة إلى المقصود بالذات الذي هو علم الحقيقة كما ذكرت وعلم الحقيقة أفضل

(٢) ص ١٢٧ .

(١) انظر ص ١١٨ - ١٢٠ .

وأشرف منه إلا أن الانتفاع بعلم الحقيقة منوط باستصحاب علم الشريعة» ونقل
عن عبد العزيز بن مسعود الدباغ قوله :

« إن علم الظاهر بمثابة الفئار الذي يضيء ليلاً فإنه يفيد في ظلمة الليل فائدة
جليلة. وعلم الباطن بمثابة طلوع الشمس وسطوع أنوارها وقت الظهيرة»^(١).

(١) ص ١٤٧ .

الفصل الثامن

الخلوات الصوفية ومنها الخلوات التجانية

أورد الفوتوي في رماحه المعوجة إيضاحات كثيرة لهذه الخلوات الصوفية تحتاج إلى دراسة مستقلة ولئلا يفوت القارئ بعض أخبارها فإنني سأكتفي بإيجاز بعض ما قرره فيها كهنة الصوفية الذين أسهموا بجهد كبير في تنويم الأمة الإسلامية وتأخرها وتخدير كل عرق نابض فيها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه مما لا يزال أقوى شاهد على تلك الجهود في عصرنا الحاضر ما هو حاصل بين المسلمين.

الدليل على الخلوات الصوفية حسب زعمهم :

يستدلون بما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدأ برسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد إلخ الحديث » (١).

يقول الفوتوي :

« فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله ﷺ هو الأصل في اثبات المشائخ للخلوة لمريد من الطالبين » (٢).

والجواب :

- ١- أن هذا الحديث بينه وبين الخلوة الصوفية فراق لا لقاء معه فإن خلوة الرسول ﷺ إنما كانت لتحبيب الله عز وجل له ليهيئه لحمل الأمانة العظمى .
- ٢ - كانت قبل أن يؤمر بتبليغ الناس الدين الإسلامي .

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ج ١ ص ٢٢ .

(٢) انظر ما كتبه الفوتوي من ص ١٦١ إلى ص ١٦٨ وقد ذكرت ذلك هنا بتصرف .

٣ - لم يأمر بها النبي ﷺ ولا أشار إليها ولا استحسناها لأمته على الطريقة الصوفية .

٤ - لم يفعلها أحد من الصحابة ولا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان .

٥ - أنها تنافي ما هو ظاهر من الشريعة الإسلامية بالاكتساب وبدعوة الناس ومخالطتهم إلى غير ذلك من الأجوبة التي يدرکها طلاب العلم .

والخلوة الصوفية بدعة مستحدثة وليس فيها أي نفع لا للشخص ولا للمجتمع يخرج منها الشخص مظلماً الفكر محلاً للوساوس نافراً عن الناس .

مدتها : يقول الفوتي :

وأكثرها عند القوم لا حد له لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى ﷺ والقصد في الحقيقة الثلاثون إذ هي أصل المواعدة وجاور ﷺ بحراء شهراً .

شروط الخلوة الصوفية :

ذكر الفوتي ستة وعشرين شرطاً لصحتها نذكرها باختصار وللقارئ أن يلاحظ أثناء عرضها مدي تغلغل الأفكار المخالفة للإسلام فيها من بوذية وهندوسية ونصرانية وغير ذلك .

١ - أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة .

٢ - أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ ومباركته له وللمكان أيضاً .

٣ - أن يعتقد في نفسه أن دخوله الخلوة إنما هو بقصد أن يستريح الناس من شره .

٤ - أن يدخلها كما يدخل المسجد مبسماً متعوذاً بالله تعالى من شر نفسه مستعيناً مستمداً من أرواح مشايخه بواسطة شيخه المباشر .

٥ - أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المرید ويتوجه إلى الله تعالى في توفيق المرید .

- ٦ - أن يعتقد عند دخوله الخلوّة أن الله تعالى ليس كمثله شيء فكلما يتجلى له في خلوته من الصور ويقول له أنا الله فليقل سبحانه الله آمنت بالله .
- ٧ - أن لا يتلهف كثيرا على كثرة ظهور الكرامات .
- ٨ - أن يكون غير مستند إلى جدار الخلوّة ولا متكئا على شيء مطرقا رأسه تعظيما لله تعالى مغمضا عينيه ملاحظا قوله تعالى أنا جليس من ذكرني ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فإنه معه وإن لم يره المرید .
- ٩ - أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامه مراعيًا معني الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه .
- ١٠ - أن يداوم الصوم لأنه يؤثر في تقليل الأجزاء الترابية والمائية فيصفو القلب .
- ١١ - أن تكون الخلوّة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة وسد طرق الحواس الظاهرة شرط لفتح حواس القلب .
- ١٢ - دوام الوضوء لتتلاّ الأنوار فيها بعد ذلك .
- ١٣ - دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى الا عند الضرورة القصوى فيتكلم بحذر شديد أن يزيد .
- ١٤ - أن تكون الخلوّة بعيدة عن حس الكلام وتشويش الناس عليه .
- ١٥ - كونه إذا خرج للوضوء والصلاة يخرج مطرقا رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه مغطيا رأسه ورقبته بشيء لأنه ربما يحصل له عرق الذكر فيلحقه الهواء فيضره .
- ١٦ - أن يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة - وإن وجد نفقة فليتخذ له شخصا يصلي معه في خلوته ؛ أي بالإيجار .
- وإذا خرج لصلاة الجماعة ليتأخر حتى يكبر الإمام تكبيرة الإحرام فإذا انتهى من الصلاة رجع فورًا إلى خلوته قال السهروري .

« وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك لشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة .

١٧ - المحافظة على الأمر الوسط في الطعام لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط .

١٨ - أن لا ينام إلا إذا سبه النوم بأن تشوش عليه الذكر .

١٩ - نفى الخواطر عن نفسه خيرة كانت أم شريرة .

٢٠ - دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والاعتقاد التام بأنه لا يصل إليه أي خير إلا من قبل شيخه المباشر ومتي غاب فكره عن الشيخ فقد خسر الصفقة .

٢١ - ترك الاعتراض على الشيخ لأنه أعلم بمصالحه وأكبر عقلا وأعظم لأنه بلغ مبلغ الرجال بخلاف المرید .

٢٢ - أنهم في أثناء خلواتهم لا يفتحون أبواب خلواتهم لمحبي الناس إليهم وزيارتهم والتبرك بهم وإياك وتلبيسات النفوس وخداع الشيطان بالإلقاء فيك إن هذا الشخص يهتدي بك وبكلامك ويتنفع بملاقاتك في الدين فإنها من شبكات مكر اللعين .

٢٣ - أنهم إذا شاهدوا أشياء تقع لهم في اليقظة أو بين النوم واليقظة فلا يستقبحون ذلك ولا يستحسنونه بل يعرضون ذلك على الشيخ وهو يتصرف بعد ذلك .

٢٤ - دوام الذكر والأذكار حسب ترتيب الشيخ لها .

٢٥ - الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية .

٢٦ - أن لا يعين مدة يخرج بعد كمالها فإن النفس يصير لها بذلك تتطلع إلى انقضاء المدة بل يدخلها وهو يحدث نفسه بأنه قد انتهى من الحياة ودخل القبر .

هذه أهم الشروط التي لفقها علماء التصوف مثل علي حرازم والفتوتي والسهوروري والشيخ نجم الدين البكري وغيرهم من عتاة التصوف .

ولاشك أن القارئ يدرك مدى تأثير هؤلاء الصوفية بالمبادئ الخارجة عن الإسلام وكيف حاولوا أن يظهرها ويغطوها بغطاء إسلامي وإلا فأين مستندهم من القرآن الكريم أو السنة النبوية على تلك الرهبانية وتلك الخلوة في ذلك الحفش المظلم الذي يسد فيه أي شعاع للنور ويجلس غير مستند إلى شيء هل هو من الإسلام وتلك الطاعة العمياء التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي لا ينبغي أن تكون إلا لله ولرسوله فقط هل هي من الإسلام إن كل ذلك جناية على العقل أيما جناية وإذلال للمؤمن إيما إذلال وإساءة لتعاليم الإسلام الحنيف وتشويه لصورته المشرقة عند من لا يعرفه .

زوجة الشيخ المطلقة منه لا يحق للمريد أن يتزوجها لقول الله في حق نبيه محمد ﷺ ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يقول الفتوتي في بيانه لأقسام الناس بالنسبة لطاعة شيوخهم .

« ومنهم من يتزوج مطلقة شيخه لولا قول الله تعالى ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ (١) .

أقسام الخلوات الصوفية :

- ١ - خلوة الأربعين يوما التي تقدم ذكرها وشروطها .
- ٢ - خلوة فاتحة الكتاب وكيفيتها أن تصوم أربعين يوما وتحتز فيهما من أكل الحيوان وما يخرج منه وتقرأ هذا الدعاء .. إلخ ما يذكر وهنا لا أظن أن الأمر يحتاج إلى اجتهاد في استكشاف نزعة التصوف الوثنية .
- ٣ - خلوة البسملة ومدتها تسعة عشر يوما ومن فاته سر بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ص ١٩٩ .

فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء .

٤ - خلوة الفاتحة أيضا وهي أن يلازم قراءتها بالخلوة أربعين يوما .

٥ - خلوة الياقوتة الفريدة وخلوتها عشرون يوما تتلى كل يوم في الخلوة ألفي مرة .

وقال الفوتوي بعد ذكر تلك الخلوات الخرافية :

« انتهى ما أردنا ذكره منها ولكل واحد منها ثمرات لا يمكن حصرها منعني من ذكر بعضها الخوف من شياطين الطلبة»^(١). ولعله كان يدرك أن هؤلاء الطلبة ربما لا يزال فيهم وميض من العقل والمعرفة فأخر الأخبار بكل التفاصيل إلى وقتها.

ولعل الذي شجع الصوفية على هذا الخبط والاضطراب ما هو مقرر عندهم في القاعدة الآتية : « أصحاب الفتح الأكبر لا يتقيدون بمذهب من مذاهب المجتهدين بل يدورون مع الحق عند الله تعالى أينما دار»^(٢). ولهذا فكل عمل يعملونه يعتبر من باب التشريع للأمة . تثبيط الصوفية أتباعهم عن الجهاد في سبيل الله وقاتل الكفار وتسميتهم للجهاد هذا بالجهاد الأصغر وتسميتهم لما يسمونه جهاد النفس بالجهاد الأكبر .

قال الفوتوي . « انعقد اجماع الأمة على وجوب جهاد النفس والهجرة عن مآلوفاتها وردّها إلى الله تعالى أكبر من جهاد الكفار بلا ريب لوجوه»^(٣) .

(١) أحدها إن جهاد النفس والهجرة عن مآلوفاتها السيئة فرض عين وجهاد الكفار فرض كفاية .

(٢) أن النفس أعدى من كل عدو لصاحبها لأن المجاهد جهاد الكفار إن قتل

(٢) ص ١٧١ .

(١) ص ١٧٠ .

(٣) نذكرها بتصرف انظر ص ٢١٧ إلى آخر الفصل الذي أورده وهو الحادي والخمسين .

الكافر دخل الجنة وإن قتله الكافر كان شهيدا بخلاف النفس فإن غلبها صاحبها استولى عليها وكان الحكم للروح وسعد وسعدت سعادة الأبد وإن غلبت وتسلطت على الروح تسلط عليه الكفر والمعاصي فيهلك .

(٣) إن ضرر الكفار مقصور في الدنيا وهي فانية ولذلك كان جهادهم أصغر ... وفي عرائس البيان عند قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ النفوس التي هي تجمع الهوى والبلاء والحجاب من عرفها قاتلها وأماتها يعنون الرياضات .

(٤) إن جهاد الكفار قد لا يكون فرضا في بعض السنين وجهاد النفس وردّها عن مقتضى هواها والهجرة عن مآلوفاتها الباطلة واجب متعين على كل مسلم ومسلمه في كل لحظة .

(٥) إن بعض فروض الكفاية أفضل من جهاد الكفار .

(٦) إن فرض جهاد الكفار يسقط بمنع الأمر والنهي من الوالدين لوجوب طاعتها ويحرم طاعتها في مجاهدة نفسه .

(٧) إن جهاد الكفار يقدر عليه كل أحد وجهاد النفس والهجرة عن مآلوفاتها... لا يقدر عليه إلا الموفقين .

(٨) إن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مآلوفاتها المخزية شهيد قطعاً في الآخرة وأكثر شهداء الكفار شهداء الدنيا فقط دون الآخرة

(٩) إن القائم بجهاد نفسه والهجرة عن مآلوفاتها المضلة قائم لإصلاح نفسه وساع في تخليصها من الدنيا وعذاب الآخرة والقائم بجهاد الكفار قائم لإصلاح غيره .

(١٠) إن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مآلوفاتها المبعدة عن الله تعالى أفضل من شهيد جهاد الكفار بدرجات .

وهناك أقوال أخرى كثيرة لأقطاب التصوف في تثبيط المسلمين عن جهاد الكفار وتركهم والانزواء في الزوايا والأربطة ومجاهدة النفس وإصلاحها دون إصلاح الآخرين ومن الواضح أن تلك التعليقات التي ذكرها الفوتي ويذكرها غيره من أقطاب الصوفية إنها تعليقات واهية تردها النصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه كما في سورة براءة وكما في أحاديث فضل الجهاد والقتل في سبيل الله وتمنى الشهيد الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى ليقتل في سبيل الله لما يرى من إنعام الله ورضاه عنه . وزعم الصوفية أن جهاد النفس أولى مغالطة فإن جهاد الكفار هو أعلى جهاد للنفس وفضله أعلى وأشرف ولو أن المسلمين أطاعوا الصوفية وقبعوا في الزوايا المظلمة وتركوا قتال الكفار واهتموا بجهاد أنفسهم على طريقة الصوفية لجاء الكفار وكان أول ما يبدأون به هو إخراج هؤلاء الدواجن من زواياهم ثم هتك أعراض المسلمين وأخذ بلدانهم وأمواهم وإذلالهم وإهانتهم إن ما يذهب إليه هؤلاء الصوفية هو تخدير وتنويم للمسلمين .

ورحم الله عبد الله بن المبارك حين قال في قصيدته العصماء التي يقول في أولها :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا يوم الكتبية تخضب

ومن الواضح أن أعداء الإسلام حينما ينظرون إلى الصوفية بعين الرضى والارتياح فإنما ذلك لأجل هذه المواقف المتخاذلة التي وقفها أقطاب التصوف منهم . ولقد اتفقت دعوة الصوفية إلى ترك الجهاد مع كل الأفكار الخارجة عن منهج الله عز وجل إذ ما من طائفة من تلك الطوائف إلا وكانت الدعوة إلى ترك الجهاد من أوليات إهتماماتهم .

وأرجو من الله عز وجل أن يهيء لدراسة تلك الأفكار الصوفية المتقدمة دراسة وافية ورد كل مزاعمهم التي فرقوا بها دينهم وأمتهم إلى وقتنا الحاضر .

الفصل التاسع

مغالطات، لجنة جماعة الصوفية في مدينة (ألورن)، (في نيجيريا)

وأما لجنة جماعة الصوفية، في مدينة «ألورن في نيجيريا فقد أراد والتحسين الوجه الكالح للتيجانية والقادرية أيضا حيث أخرجوا كتيباً باسم «رفع الشبهات عما في القادرية والتيجانية من الشطحات»^(١)، وقالم بترتيب الحاج محمد إبراهيم النفاوى القادرى، والحاج على أبوبكر جبتا التجاني. وقد صدروا هذا الكتيب بأبيات للحاج حمزة سلمان أيلر غدرما الألورى ومتمها:

انتبهوا يا معشر الإخوان على فساد واعظى الزمان
قد دخلوا في هذه البلدان لنصرة الإلحاد والشيطان
وطعنوا في شيخنا التجاني وطعنوا في شيخنا الجيلاني

إلخ تلك الأبيات التى يدافع بها عن التجانية ويحذر من دعوة المصلحين من المسلمين إلى رجوع التجانيين إلى الحق وقد وصف هذه الدعوة الإصلاحية أنها نصرة للشياطين وللإلحاد لمجرد انتقادها منهج التجانية وجرائمه ويقصد بهم جماعة نصر الإسلام في مدينة كادونا.

وما دامت النصيحة واجبة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فيأني أحذر كأيها القارئ من قرائتها قبل أن تقرأ مبادئ الصوفية والردود عليهم لا لغزاره علم فيها وإنما لكثرة المغالطات والتأويلات وإيراد الأدلة على غير معانيها الصحيحة سواء كانت من القرآن الكريم أو من السنة النبوية فقد جاءت ردودهم من واقع الانفعال العصبى ضد من كفرهم من بعض الدعاة وطلبة العلم في نيجيريا وغيرها، كما يذكرون ولا ريب أن إعلان تكفيرهم وإخراجهم من الملة هم أو سائر الصوفية حكما عاما دون تفصيل لا ريب في قبح خطئه.

(١) رفع الشبهات عما في القادرية والتيجانية من الشطحات يتكون من ٣٢ صفحة مع مقدمة آدم عبد الله الألورى التجاني القادرى مدير المركز العربى في نيجيريا.

ومما أحب تنبيه طالب العلم عليه هو ما جاء في ردودهم من الأخطاء الفاحشة في تأويل صفات الله تعالى كما هي الطريقة المعروفة عن نفاة الصفات، حيث جعلوها من المتشابهات ثم أكدوا أنهم يؤمنون بالمتشابهات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ويطلبون لما ظاهره عدم موافقة الواقع تأويلاً ليخلصوا بعد ذلك إلى أن أقطاب الصوفية أيضاً كلامهم يحمل ما كان منه مخالفاً للواقع أو فيه شطح على التأويل مع حسن الظن بهم كيف ما كان اعتقادهم وهو طلب مردود فإن الإنسان لا يعلم ما في نفسه إلا الله وإنما يحكم عليه حسب ما يظهر من قوله أو فعله أو اعتقاده .

وهؤلاء أصحاب الشطح أظهروا كلمات كفرية وفعلوا أفعالاً باطلة وتمدحوا بذلك كله ولوجاز هذا المسلك لجاز أن نعتذر لمن لطم شخصاً أو لعنه بأنه فعل ذلك من فرط حبه له وتقديره له .

وأما بالنسبة لجواب التجانيين في مدينة ألورن عن بعض المبالغات في الطريقة التجانية ومنها صلاة الفاتح .

فقد أجابوا عن تقرير التجانيين في أن صلاة الفاتح لما أغلق المرة الواحدة منها تعدل ستة آلاف ختمة بأن هذا من المتشابهات ولعله أريد بذلك تفضيل الممكن على المستحيل أى من حيث إنه يمكن أن يصلى بصلاة الفاتح فى دقيقة واحدة ويستحيل أن يقرأ ستة آلاف ختمة فى دقيقة واحدة .

والغريب فى هذا الجواب أن يتكلف له إلى هذا الحد بأن يقال أنه من المتشابهة وكان الأسهل والأقوى فى الجواب أنهم يقولون هذا خطأ من التجاني وخروج عن الصواب لأنهم يجعلونه من المتشابهة الذى لا يعلمه إلا الله فهو قول بشر والبشر معرضون للخطأ والصواب وأى حرج فى أن يخطيء التجاني أو غيره ومن المؤسف أن يقال أخطأ عمر أو أخطأ ابن عباس أو بن مسعود أو بن عمر ثم لا تحصل هذه الجرأة أمام التجاني ويقال له أخطأت فإن القرآن الكريم هو

كتاب الله لا يعدله كلام البشر مهما كانوا عليه من العلم أو الصلاح . ولكن التعصب ليس له عقل .

مع أن صلاة الفاتح هذه ليس فيها ذكر السلام على النبي ﷺ بل فيها ذكر الصلاة فقط وهو نقص بلا شك في صيغة الصلاة على النبي ﷺ على ضوء قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ، ونذكر للقارئ هنا جواب علماء أئورن من الصوفيين التجانيين حيث قالوا : « فالواجب على المسلم أن يصلي على النبي وأن يسلم عليه مرة في عمره ثم ما زاد فعلى الاستحباب فلا يجب الجمع بينهما في زمان واحد » .

ألا ترى يا أخي المسلم أن هذا من باب الدفاع عن الباطل بباطل مثله من قال من علماء المسلمين المقتدى بهم أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ لا تجب إلا مرة واحدة أليس هناك عشرات الأحاديث في الحث على الصلاة عليه في كل وقت وخصوصا يوم الجمعة ثم أليس ظاهر القرآن الكريم يطلب إلى المؤمنين أن يداوموا الصلاة والسلام عليه ﷺ .

أليس النبي ﷺ يقول رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل علي . ثم هل نترك الصلاة والسلام عليه في التشهد في الصلاة بحجة أنه لا يجب علينا السلام عليه إلا مرة واحدة في العمر ؟

فجوابهم هذا سقيم مثل سقم جوهرة الكمال التي ورد فيها وصف النبي ﷺ بالأسقم ومع ذلك حاول هؤلاء العلماء الصوفية جاهدين على إخراج ما جاء في هذه الصلاة من عشرات وجعل بصورة مقبولة وأعتقد أنهم لم ينجحوا في ذلك لأن في صلاة جوهرة الكمال أمور يقف عندها الشخص طالبا للدليل ملحا عليه منها :

(١) إيجابهم للضوء لقراءتها كما في الهداية الربانية وجوهرة الكمال ورماح الفتوي

(٢) وصف النبي بالأسقم وهي كلمة نابية لا تقبلها النفس مهما أسدل عليها من تأويلات.

(٣) ما جاء من وصف النبي ﷺ بإحاطة النور المطلسم .

(٤) زعمهم أن النبي ﷺ يحضر بنفسه عند قراءة جوهرة الكمال .

أجابوا عن وجوب الوضوء لقراءتها بأنه شرط كمال لتحصيل البركة وعن الأسقم أنها بمعنى العدل .

وعن المطلسم أى الخفي عن الغير .

وعن حضور النبي ص بأنه ممكن لأنه من الخوارق والنبي في قبره يرد السلام على من يسلم عليه ويظهر لأحبابه في أى مكان .

ثم استدلوا على حضوره في كل مكان بدليل أحب أن تحكم عليه أنت بنفسك أيها القارئ هذا الدليل هو محطة التليفزيون حيث تبث الصور في كل مكان وهي ثابتة في مكانها فهل تلك الأجوبة التي أجابوا بها عن مسائل في غاية الأهمية قد لا يقتنع الشخص بما قرره علماء الصوفية فيها حتى ولو وجدت له الأدلة لربما نازع فيها فإنه قد تقرر عند المسلمين أن الوضوء لا يجب إلا للصلاة ولقراءة القرآن والطواف بالبيت أما أنه يجب لقراءة جوهرة الكمال فهو حكم جديد يحتاج إلى دليل وأين الدليل ؟

وأما الأسقم والمطلسم فيكفي في النفور عنها ظاهرها فهي كلمات متكلفه لم ترد في كتاب الله ولا في سنة نبيه ولا في أقوال علماء الإسلام .

وأما حضور النبي ﷺ مجالس لهوهم وطربهم فهو قول لا يسلم لهم به أى إنسان عنده مسكة من عقل أو أثارة من علم . حينما مات النبي ﷺ غسل وحفر قبره ودلي فيه كما هو الحال في بقية بني آدم ثم دفن بعد ذلك النزاع بين المسلمين في موضع دفنه وحصل ما حصل للمسلمين بعد وفاته من فتن وبلايا

كانوا أحوج إليه ومع ذلك لم يقل أحد أنه رآه أو حضر أمرهم أو أشار بهم فيه، وإذا كان الأمر على ما ذكره الصوفية في حقه الشريف من أنه يخرج من قبره حين يجتمعون ويفرشونه له بساطاً أيضاً يليق بوقفه عليه فمن يدفنه مرة أخرى فإنهم يزعمون أنه يحضر بجسده ويقابلهم يقظة لا مناماً وهذا يبطل ما استدل به التجانيون المتأخرون من تمثيل حضوره بمحطة التلفزيون لأن هذا لا يتحقق إلا إذا قالوا يحضر بروحه فقط وفي مكان واحد أيضاً فقط وهم لا يقولون هذا بل يقولون يحضر في كل مكان في وقت واحد وبجسده الشريف .

وهل محطة التلفزيون تصلح أن تكون دليلاً مقنعاً على هذه المسألة الخطيرة؟

ويجدر بالذكر هنا أن جماعة ألورن تناقضوا في مسألة أصلها خطأ وبنوا عليها حكماً خاطئاً وذلك في قولهم: فصلاة الفاتح خالصة جامعة شاملة للمعاني العالية ولو كان مدحا للنبي ﷺ في حياته لفرح بها كما فرح بمدح كعب بن زهير حين مدحه بقوله « إن الرسول لسيف يستضاء به: مهند من سيوف الله مسلول » وبغض النظر عن صحة تركيب البيت فإن الذي يهمنا هنا أمور منها :

١- كيف يقولون أن صلاة الفاتح لو مدح بها النبي ﷺ في حياته لفرح بها وهم يعتقدون ويقررون في كتبهم المعتمدة أن الرسول يحضر أماكنهم ويجالسهم ويحضر الديوان العام لهم بجسده وروحه ومعنى هذا أنه سمع بهذه الصلاة مرات عديدة .

٢- أنهم يقررون أنها وحي من الرسول ﷺ للتيجاني فكيف بعد ذلك يقولون أنه لو سمع بها لفرح .

٣- أنه ليس فيها ما يفرح ففي الأذكار الثابتة والصلوات التي علمها ﷺ أمته ما لا تعتبر صلاة الفاتح لما أغلق شيئاً بالنسبة لها .

٤- أن قصيدة كعب أعجبت النبي ﷺ لجودة قريحه كعب وإتيانه بمعاني خلاصة

فيها تدل على سعة فكره فهي من باب إن من البيان لسحرا بخلاف دعاء الفاتح فليس فيه شيء من هذا .

٥- كيف يقررون فرح النبي ﷺ بها لو سمعها مع أن فيها إثبات أجور لا يعلم عددها إلا الله أو رسوله ﷺ بوحى وهي أمور غيبية لا تقال إلا باخبار الله ورسوله عنها فإثباتهم لتلك الأجور إما أن تكون ياخبار الرسول ﷺ وذكره لها وإما أن تكون من وضع خيالاتهم، وإذا قالوا بأنه لم يعلم بها فإنها تعتبر من الأمور المردودة لأن من أحدث في الدين ما لم يثبت فهو ردي عليه فكيف يدعون أنها كانت من تعليم الرسول ﷺ ثم يقولون لو علم بها لفرح بها ثم يثبتون فيها أجورا خيالية بدون سند صحيح .

وعلى هذا فيعتبر قول جماعة «ألورن» أن النبي ﷺ لو كان سمعها لفرح بها كلام من تلقاء أنفسهم واجتهاد خاص بهم تناقضوا فيه دون أن يشعروا مع أن هذا القول ليس مسلم لهم فإنها قياته بإمكان كل شخص أن يخترع في الدين ما يشاء ثم يقول بمثل مقالتهم هذه ويعلل بمثل تعليلاتهم .

تنبيه :

لقد أطلت في النقل عن التجانية فيما تقدم برغبة مني لأمر أبعدها فيما يأتي :
(١) أن ذلك النقل كان من أهم كتب التجانية مثل جواهر المعاني ورماح الفتوي وغيرهما من كتب التجانيين .

(٢) لأن التجانية لاتزال مستولية على مفاهيم كثير من الناس ولاتزال لها سلطتها الفولاذية على كثير من بلاد أفريقيا بخصوصها .

(٣) لكي يقف القارئ على أفكار التجانية وما تحمله من أخطار من كتبهم لئلا يظن أحد بوقوع التحامل عليهم .

(٤) كنت قد جمعت تلك الأقوال في أوراق خاصة للرجوع إليها عند الحاجة ثم رأيت أن حاجة طلاب العلم إليها أيضا لدراستها وللرد على التجانية ربما

تفوق حاجتي فأحببت أن أقدمها بل أعتبرها هدية إليهم حيث قرأت أهم مصادرهم واستخلصت منها ما يحتاج إلى تنبيه ودراسة ونقد لضرره على الإسلام والمسلمين .

(٥) عرضت تلك الأفكار من باب النصيحة لكي لا يقع أى شخص ضحية تلك الأفكار التجانية الخاطئة ولينجو منها من أراد الله به خيراً ممن وقع فيها بعد ما يقرأ بنفسه ما تبيته التجانيه لاتباعها من ذل واستعباد لا يليق بالإنسان الذى كرمه الله تعالى .

(٦) ما لمست به بنفسي من التعصب الأعمى للتيجاني وأفكاره من جهله بعض المسلمين مما يجعل الواقف على ذلك في حزن على هؤلاء الذين أرغمت أنوفهم في الأرض دون أن يشعروا بكرامتهم المداسة من قبل أقطاب التصوف حيث علقوا أنظارهم وأهدافهم بالوصول إلى الكرامات والاتحاد مع الله ومناجاته لهم ووصولهم إلى درجة يسقط معها كل تكليف وأنهم في الآخرة من الآمنين لأنهم قد رأوا التجاني أورأوا من يراه إلى اثني عشر رجلاً هو أو الثعلبي أو غيرهما ممن جراً على استعباد أفكار الناس دون الرحمة بهم أو عطف على مصيرهم .

(٧) كانت في نيتي أن أجعل تلك النصوص موضع دراسة خاصة إذ لا تحتل هذه الدراسة التوسع في دراسة تلك النصوص وفحصها والرد عليها ومهما يكن فقد حصلت عندي قناعة تامة بأن إطلاع طلاب العلم على تلك النصوص حتى وإن كانت بطريقة موجزة فيها نفع عظيم لهم وفيها أيضاً تزويدهم بما يدحض تعصب التجانيين ضدهم ودفع شبههم والتطاول عليهم حين يغالطون في نفي المفاهيم الضالة التي توجد في كتبهم المعتمدة والتظاهر بالإستقامة وعدم الغلو .

والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفصل العاشر

كيفية الدخول في المذهب الصوفي

للسوفية طرق عديدة ومسالك مظلمة وقواعد خاصة للتربية حسب منهجهم وكيفية ذلك عندهم نوجز الكلام عنه فيما يلي :

- ١ - أول ما يجب على الداخل هو أن يختار الفرد أو الجماعة من المريدين شيخا لهم يسلك بهم رياضه خاصه بهم على دعوى وزعم تصفية القلب للوصول بالمريد إلى معرفة الله هكذا يزعمون وهو في الحقيقة يصل إلى متاهات وضلال بعيد ولا يتم السير في الطريق الصوفي إلا إذا عطل المريد عقله وفكره.
- ٢ - أن يتبع المريد شيخه اتباعا مطلقا حتى وإن كان في تحريم الحلال وإحلال الحرام.
- ٣ - عليه أن يردد ما يردده الشيخ من أذكار .
- ٤ - ثم يكون وجوبا عليه أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء فإن الاعتراض وإبداء الرأي من أكبر الأخطار على المريد وطرده عن رحمة الله .
- ٥ - وعليه كذلك أن يعتقد أن جميع ما يفعله الشيخ هو الحق والصواب حتى وإن رآه يشرب الخمر ويزني لأن الشيخ لا يفعل الفواحش بروحه وإنما بصورته البشرية لتربية المريدين وهذا مخرج للصوفي إذا فعل فاحشة وما أكثر ما يفعلونها تحت هذا الستار وعلى التلميذ أن لا يفكر في أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لأنه يتعارض تماما مع ما يراه زعماء الصوفيه من وجوب التسليم للشيخ في كل ما يأتي ويذر .
- ٦ - كما أنه يجب عليه أن يجتاز تلك الخلوة المفروضة .
- ٧ - وأن يتصور صورة الشيخ ماثلة أمامه في كل حال وأن يعتقد أن الشيخ يعلم به وهو في داخل خلوته ويعرف كل شؤونه ما دق منها وما جل .

- ٨ - وأن لا يغير شيخه بآخر .
- ٩ - ولا يزور أحد المشائخ والأولياء مادام في أول أمره .
- ١٠ - وأن يمشي في الطريقة منزلة حتى يصل إلى القطبانية .
- ١١ - وأن لا يخالط المقصرين والبطالين من أهل قيل وقال .
- ١٢ - وأن لا يرضن بماله ولو طلبه الشيخ كله .
- ١٣ - وأن يرضى بالذل الدائم وحرمان النصيب والجوع الدائم والخمول وذم الناس له وتقديم اضرابه وأشكاله وأقرانه عليه في الإكرام والعطاء والتقريب عند الشيوخ ومجالس العلماء فيجوع هو والجماعة يشبعون والكل أعزاء ونصيبه الذل ويعز الجميع ويكون يستجيز الذل ويجعله نصيبه قال الجيلاني بعد أن ذكر ما سبق :

« فمن لم يرض بهذا ويوطن نفسه عليه فلا يكاد أن يفتح عليه ويجيء منه شيء »^(١)، إلى آخر ما ذكره الجيلاني مما يطول نقله .

وأول المنازل في الطرق الصوفية يسمى فيها الداخل مريداً أي يريد السير في الطريقة وتسمى منزلة الإرادة يقبله الشيخ يأخذ عليه العهود بالتوبة من الذنوب وصدق التنية وترداد الأوراد المقررة عليه من الشيخ وأن لا يعتقد أي معتقد لم يقرره الشيخ ولا يحق له الاعتراض على الشيخ حتى إن رآه مخطئاً ويسمى بعد توجهه وإرادته المذهب الصوفي سالكا وبعد استمراره وسلوكه ومواظبته على الأوراد التي يلقنه الشيخ فإذا أتقنها انتقل إلى مرتبة أخرى تسمى مرتبة العبودية^(٢)، وعليه أن يكثّر من الضراعة والإلحاح إلى الله بترداد ما يمليه

(١) جـ ٢ ص ٦١٣ باب فيما يجب على المبتدئ في هذه الطريقة أولاً إلى آخر ص ١٦٩ حيث ذكر الآداب التي تجب على المرید والآداب التي تجب على الشيخ .

(٢) عوقها المنوفى بقوله : « العبادة غاية التذلل للعامة ، والعبودية صدق القصد للخاصة » جمهرة الأولياء جـ ١ ص ٣٠٦ .

عليه المشائخ من أذكار وأوراد .

ثم ينتقل المريـد إلى مقام آخر حيث تقبل عليه العناية الإلهية وينتقل بقلبه إلى مقام العشق لله وعلى المريـد هنا أن يكثر من الرياضة التي توصله إلى ربه فيما يزعمون فيكثر من الأوراد والعزلة بنفسه والندم الشديد حتى تتملكه ، بزعمهم - حال علوية شريفة ينتقل بها إلى مقام يسمى (الوجد^(١)والهيام) وهو أسمى من مقام العشق وعند هذا المقام المزعوم تتوارد على قلب السالك النفحات الربانية يعتقدون أنه في هذه الحال تزداد معرفة السالك الباطنيـه الصفات الذات العلية - وهنا يصل السالك فيما يزعمون إلى الحقيقة وتسمى هذه المرحلة - مقام الحقيقة - التي يعرفها المنوفي بأنها «مشاهدة الربوبية»^(٢)، وهي في الحقيقة الوصول إلى أعماق الوثنية والحلول فإذا وصل بزعمهم إلى مقام الحقيقة يمكنه أن يظل يرتقى إلى أن يحقق منازل ثلاثاً هي : «الفناء» ، «اللقاء» ، «البقاء» ، والفناء يقصدون به أن يفنى العبد عن كل شيء في الله تعالى ويصير كما قال الحلاج ما في الجبة إلا الله .

فالوجود عنده كله يمثل الله تعالى عن قولهم وخصوصاً النساء فإنه يتمثل فيهم بصورة أكمل ومن هنا بدى على أدبهم العشق والغرام والهياج الجنسي إلا أنهم زعموا أن هذا الغزل وهذا الهياج الملتهب إنما هو في الله وسموه الحب الإلهي يجتمع الرجال والنساء ويرددون إما أبياتاً شعرية أو غيرها في رقص وتمايل كما يحصل في الرقصات والسهرات مما يتنافى مع أبسط المثل الإسلامية والخشوع المطلوب في العبادات وأما اللقاء والبقاء^(٣) فإن الصوفية يقصدون بذلك أن العبد من خلال تلك المنازل تتجلى عظمة الخالق سبحانه على قلب

(١) يقول المنوفي «الوجود : وجدان الحق بذاته ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود»

جمهرة الأولياء ج ١ ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٢ .

(٣) عرفه المنوفي بأنه «قيام الأوصاف المحمودة بالله ج ١ ص ٣٠١ جمهرة الأولياء .

السالك فلا يرى أمامه إلا الله ، ولا يجد في الوجود جميعا إلا واجب الوجود سبحانه وتمحى آثار الموجودات من أمام عينيه إلا وجود الله سبحانه وتعالى قال المنوفي:

« سئل أبو يعقوب النهرجوري عن صحة الفناء والبقاء فقال : الفناء هو رؤية قيام العبد بالله عز وجل والبقاء هو رؤية قيام الله تعالى منفردا بذاته (١) .

وهذه الدرجات هي ما عبر عنه الحلاج بقوله «ما في الجبة إلا الله» وللسهروردي والمنوفي تفاصيل كثيرة حول المقامات ومراتبها العديدة في كتاب السهروردي «عوارف المعارف وكتاب المنوفي جمهرة الأولياء» (٢) والواقع أن غلاتهم وقعوا في هوس وتخبط وتلاعب من الشيطان بهم لبعدهم عن منهج الله وشرعه ، فجاءوا بأفكار وأقوال وحكم تنضح وثنية وجهلا وأشعار اغزلية وقد قال الشافعي: «ما تصوف رجل في أول النهار وأتى عليه الضحى إلا وهو أحمق» .

والحاصل أن تلك الطرق لدخول المذهب كما اتضح مما سبق نجمل أهمها فيما يلي :

- ١ - أن يلتزم الشخص أمام شيخه بالمحافظة على الطريقة التي يحددها له الشيخ .
- ٢ - أن يكون المرید - أي الداخل في المذهب - على صلة دائمة بشيخه المأذون له هو أو من ينيبه الشيخ عنه ليتولى تعليم المرید .
- ٣ - أن يجتاز المرید عهدا يعاهد الشيخ ويده في يده مغمضا عينيه على الالتزام والوفاء الدائم لشيخه ولطريقته لا يحيد عنها أبدا .
- ٤ - أن يكون المرید دائم الاشتغال بالأوراد والأدعية التي يقررها عليه الشيخ

(١) المصدر السابق ص ٢٦٤ .

(٢) انظر جمهرة الأولياء ج١ ص ١٩٠ في عنوان « المقامات والأحوال » وانظر عوارف المعارف من ص ٣٣٠ إلى ص ٣٣٨ .

سواء عرف معانيها أم لا .

٥ - أن يكمل مدة الخلوة التي يقررها الشيخ على المريد في سرداب أودهليز أو زاوية مدة لا تزيد عن أربعين ليلة ولا تقل عن عشر ليال ولهم شروط كثيرة لصحة هذه الخلوة قاسيه جدا يخرج الشخص منها وهو في منتهى الحمق والبلادة والغفلة عن كل شيء إلا عن شيخه وأذكاره وهو الهدف الحقيقي من تلك الفكرة .

٦ - ومن الشروط التي يقطعونها للمريد على أنفسهم حسب زعمهم أن يصبح من أهل الكشف وأن يترقى في ذلك إلى أن يعلم ما وراء العقل ويصبح من أهل التجلي بحيث تدرك ذات المريد ذات الله في كل وقت .

٧ - أن يفنى المريد عن كل شيء غير الله تعالى فلا يحس بأي وجود غير وجود ربه وشيخه وبذا يصبح الشخص من أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود لأن الله قد ظهر في كل شيء حسب تعاليمهم بعد فناء المريد عن كل شيء وتصوره أن الله أمامه في كل مكان .

٨ - أن يطلب المريد علم الباطن الذي هو بمنزلة اللب وأن يتعمق في العلم الباطني حسب ما يمليه عليه الشيخ وإذا تطور في ذلك فإنه يصل إلى حد اليقين فتسقط عنه التكاليف كما يفترون ويصبح وليا من الأولياء .

وهذه القواعد والشروط الصوفية يتمرن عليها الشخص أو الأشخاص الذين يريدون الدخول في متاهات الصوفية حتى يتقبلها الداخل بقبول حسن فيموت فكره وذوقه ويصبح في الحقيقه عبدا ذليلا لمشائخ الصوفيه فيسلكون به طرقا ملتوية وتعاليم معقدة حتي تثبت في ذهن الداخل أمور عظام أقلها أن لا حلال ولا حرام ولا علم ولا عمل إلا ما جاء عن شيخ طريقته وأذنه به وما يتلقاه عن قلبه عن ربه وما يمليه عليه ذوقه أيضا .

وإذا أراد القارئ التوسع في هذا ومعرفة كيفية الدخول في الطريق الصوفي فعليه بالرجوع إلى عوارف المعارف للسهروردي أو إلى ما كتبه الجيلاني في كتابه الغنية^(١).

قال المنوفي في بيان بعض المسالك الصوفية ومنزلة الشيخ فيها: « وإذن فهناك طريق إلى الله وسالك يسلك ذلك الطريق ومرشد يدل على مفاوز الطريق... ذلك الطريق الذي كان أول مرشد له الرسول ﷺ بعد أن تحلى بدقائق الإيمان.. وبعبارة أخرى هو طريق التصوف الذي كان أول خطوة فيه أن بايع الرسول ﷺ العشرة أهل بيعة الرضوان.... فمن بدأ السير فيه فهو مرشد متصوف ومن توسط فهو سالك متعرف ومن انتهى إلى مقام التحقيق فيه المرشد المحقق^(٢).

وقد أوصل المنوفي الدرجات إلى سبعين درجة^(٣)، يكشف العبد في آخرها إذا ترقى فيها مقاما مقاما ولا طائل من وراء سرد كل ما قرره أقطاب التصوف كالسهروردي والمنوفي والغزالي والقشيري.

فإنه يكفي حسب رأي أن يقال في الجواب عنها كلها أنها بناء في الهواء وأفكار لم يرشد إليها كتاب ولا سنة ولا أقوال علماء الأمة الإسلامية أصحاب العقول النيرة الذين أعرضوا عن تكلف ما ليس لهم به علم من الأمور المعينية التي لا يصح فيها الحكم الا لله ولرسوله ﷺ.

(١) الغنية ج ٢ ص ١٦٣ / ١٦٩ .

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧ .

الفصل الحادي عشر

أصول الصوفية

يزعم المتصوفة : كما هو شأن كل الطوائف المفارقة للمنهج الرباني أنهم على حق وأن ما يدعون به من أفكار وخرافات إنما هي نابعة من تمسكهم بالكتاب والسنة وفهم حقائق الإسلام وهذه الدعوى ينتحلها زعماء الطوائف بغرض ترويج مبادئهم وإظهارها بمظهر الحق مهما كانت بعيدة عنه.

ذلك أن دعوى التمسك بالكتاب والسنة سهلة على اللسان و لكن التطبيق هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه .

وقد ذكر أحد أعلامهم وهو السيد محمود أبو الفيض المنوفي بعض مستنداتهم فقال : « والتصوف الإسلامي نبعه القرآن أولاً وسنة الرسول ﷺ، ثانياً والفقهاء في الدين فروعاً وأصولاً ثالثاً ولهم أى المتصوفة فوق ذلك قواعد وقوانين صوفية استمدوها من حقائق اليقين وخفي معاني القرآن ومن دقائق السنة العلمية وعملية ومتابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله وهذا في الواقع مستمد علم التصوف الإسلامي » . (١) .

أى أنهم يرجعون في جملة مستنداتهم إلى تلك الدعوى العريضة وهي أخذهم الأحكام من حقائق اليقين وخفي معاني القرآن وفي الحقيقة إنما يرجعون إلى الهوى وإلى تفسير القرآن تفسيراً باطنياً غير مستندين إلى المعاني التي ذكرها العلماء من أهل الحق لمعاني تلك النصوص .

ثم يذكر المنوفي مستنداً آخر لهم بقوله :

« ومستمد الصوفية هم أهل الصفة وإن كان تعريف الاسم يناسب لبس الصوف من حيث الاشتقاق . وهذا صحيح لأن القوم أهل الصفة وغيرهم من

(١) انظر كتاب جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ص ١٥٤ ج ١ .

الروحيين في الإسلام وقبل الإسلام ومن قديم الزمان كانوا يلبسون الصوف
لخشونة فيه وهم متخوشنون أو قل لسبب لونه الأبيض الذي يرمز إلى الطهارة
والصفاء، وكان أيضاً لباس الحواريين» (١).

ويذكر الغزالي أن مستندات الصوفية وأصولهم مشاهدة الملائكة وأرواح
الأنبياء والخضر بخصوصه ومخاطبتهم فهو يقول :

« ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم
يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد،
ثم تترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها النطاق
ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكن الاحتراز
عنه إلا لمن رسخ فيه ونهل من منهله» (٢) وبطلان هذا الكلام واضح وربما أن
الذين يشاهدونهم يزعم أنهم الملائكة أو أرواح الأنبياء وسماع الأصوات إنما هي
شياطينهم تتلاعب بهم وتراءى لهم ليضلونهم وما أكثر خدع الشياطين لإغواء
الناس وكذلك من مزاعمهم وأصولهم في مستندهم إلى الطريق إلى الله علم
الباطن الذي أفضى به رسول الله ﷺ إلى عليّ رضي الله عنه وعليّ أفضى به
إلى الأئمة المذكورين في كتبهم وذلك فيما يزعمون أن جبريل عليه السلام نزل
إلى الرسول ﷺ أولاً بالشرعية فلما تقررت الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة (٣)،
المقصودة والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة وهي الإيمان والإحسان ثم خص
الرسول ﷺ بتعليم باطن الشريعة بعض أصحابه كعليّ ثم الحسن دون بعض

(١) انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٥٥ . نقلا عن الغزالي .

(٣) يزعم الصوفية أن الشريعة هي ما أوحاه الله إلى رسوله، وأما الحقيقة فهي عندهم المعرفة العقلية
التي وصلوا إليها بدوقهم وصارت من الدين بغض النظر عن موافقتها للشرعية أو مخالفتها
ويجب التنبيه إلى أن وسيلة المعرفة عند الصوفية هي الذوق ولهذا اختلفت أفكارهم لاختلاف
أذواقهم.

وحاشا رسول الله ﷺ من كذب هؤلاء وقد سرد المنوفي أسماء السلسلة التي تداولتها الصوفية ابتداءً بالإمام علي إلى أحمد بن عطا الله السكندري^(١)، صاحب لطائف المنن وأورد بعض النصوص المرفوعة كذبا إلى رسول الله ﷺ يذكر فيها أن كل آية لها ظاهر وباطن وظاهر الآية مظهر من معانيها، وباطنها ماتضمنته من أسرار إلهية لا يطلع عليها إلا أهل المعرفة بالله ممن سرد أسماءهم من أوليائه الذين يعلمون علم الباطن في زعمه ولقد نفى علي رضي الله عنه أن يكون الرسول ﷺ قد خصهم بعلم دون سائر البشر وقد سبق إبطال مذهب الباطنية في دعواهم أن النصوص لها ظاهر وباطن .

ويقول المنوفي أيضاً في دعواهم الالتصاق بأهل الصفة :

« وكان عظماء أهل الصفة بل جلهم من أوائل الصوفية وأهل طريق الله وحسبنا في ذلك أن نزل فيهم قرآن عند قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾^(٢) .

ويقول الشعراني في مستند القوم :

« مقدمة في بيان أن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وبيان أنها لا تكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لاغير »^(٣) .

لكنه أضاف بعد ماتقدم قوله عن مستند جديد :

« ثم اعلم يا أخي رحمتك الله أن علم التصوف عبارة عن علم انقذح في قلوب الأولياء» إلى أن قال : « فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق »^(٤) .

(١) انظر جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٥٩ / ١٦٠ .

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٦٢ . والآية ٢٨ من سورة الكهف .

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤ . (٤) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤ .

ومستند آخر أيضاً يذكره بقوله :

« ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيها أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى. نظير ما فعله المجتهدون»^(١).

ومن هنا نجد أن الصوفية ينفرون أشد انفور من العلم عن طريق التعلم ويفضلون ما يسمونه علم الكشف بلا واسطة وهو ما عبر عنه محي الدين بن العربي حينما كتب إلى الرازي كتاباً جاء فيه :

« إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ فإن كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات وذلك معلول عند أهل الله عز وجل» إلى أن يقول: « فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لاعن نظر وفكر وظن وتخمين»^(٢).

ويقول الشعراني في هذا المعنى ناقلاً عن شيخه البسطامي، وموضحاً مصادر التشريع في ذوقهم : « وكان الشيخ الكامل أبو زيد البسطامي رضى الله عنه يقول لعلماء عصره أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً من ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»^(٣). وبعد هذا الكلام لا يلام من احتار في أمر الصوفية ومصادرهم فبينما هم يحضون على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وعدم الخروج عنهما إذا بهم يفصحون بالحقيقة في النهاية وهي أن مصدرهم في التشريع إنما هو الكشف والإلهام وهو فعلاً ما سلوكه في كل سلوكهم وتشريعاتهم .

وعلى نفس المعنى السابق يقول الفوتوي : « إن الولي المفتوح عليه لا يتقيد

(١) المصدر السابق . (٢) المصدر السابق ج ١ ص ٥ .

(٣) طبقات الشعراني (المسمى الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخبار) ص ٥ ج ١ .

بمذهب معين من مذاهب المجتهدين بل يدور مع الحق عند الله تعالى أينما دار^(١).» أي حسب تجديد الكشف له والإلهام الرباني المتكرر عليه وهو كذلك يشير إلى قول أحمد بن المبارك في الإبريز حيث قال :

« إن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر علي إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة»^(٢).

والواقع أن كل منصف له أدني المام بالشريعة الإسلامية لو حكم في دعاوى الصوفية وفي زعمهم شرعية شطحاتهم ومستنداتهم في ذلك كله لا تضح له بما لاخفاء به أن المتصوفه قد جانبوا الصواب في كثير من أمور الدين وأنه لا مستند لهم إلا هواهم الذي يسمونه الكشف والإلهام والصريح ذلك أن قولهم أن التصوف نبعه القرآن والسنة والفقهاء في الدين وفوق ذلك أن له قواعد وقوانين استمدوها من حقائق اليقين دعاوى غير ثابتة فليس في القرآن آية واحدة من شرعية غلو التصوف وليس في السنة النبوية عبارة واحدة جاءت دليلا يسند شطحيات الصوفية وأورادهم وترنيماتهم وحلقات رقصهم وليس في علوم الفقه الإسلامي وأصوله شيئا من هذا القبيل ثم هم لم يذكروا أيضا أدلة من القرآن تدل فعلا على ما يذهبون إليه وقد تلمسوا بعض الأدلة من السنة أساؤا الفهم فيها ولهذا جعلوا القواعد والقوانين الصوفية فوق المصادر الثلاثة القرآن ، والسنة ، والفقه الإسلامي كما قال المنوفي :

« ولهم فوق ذلك قواعد وقوانين صوفية استمدوها من حقائق اليقين » ولهذا تجد السلسلة عندهم حدثني قلبي عن ربي : « وهذه الحقائق اليقينية التي ذكرها

(١) رماح حزب الرحيم ص ٩٦ : ج ١ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٦ نقلا عن الإبريز

المنوفي هي في الحقيقة من جنس الهوى والاضطراب الفكرى ثم حرفوا معاني القرآن إلى ما يوافق أهواءهم كما فعلت الباطنية تماما .

إن ما زعمه القطب الصوفي صاحب كتاب جمهرة الأولياء من أن مستمد الصوفية هم أهل الصفة إنما هو دليل على خواء علمى بالكتاب والسنة وسيرة الصحابة الكرام فهل كان لأهل الصفة تشريع خاص بهم وهل كان لهم شرف يحبون الحفاظ عليه والانتساب إليه غير شرف الانتساب إلى الإسلام وطاعة الله وطاعة نبيه ﷺ وأهل الصفة الذين ذكرهم المنوفي هم من خيار الصحابة كأبي هريرة وخباب بن الأرت وبلال وسلمان الفارسي وأبو سعيد الخدري وأبو برزة الأسلمي وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر وأبو فكيهة ووابصة بن معبد الجهني وأنس بن مالك^(١)، فهل هؤلاء الأعلام الأبرار أصحاب رسول الله ﷺ هم أصل الصوفية وهل كان هؤلاء على الزعم الصوفي هم سلف الحلاج وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وغيرهم من عتاة الصوفية الذين يأخذ أحدهم السكر بالله كما يزعمون إلى حد أن يقول لا إله إلا أنا - أو ما في الجبة إلا الله - أو قولهم - العبد رب والرب عبد ياليت شعرى من المكلف هل يمكن أن يكون أساس هؤلاء هم أولئك الأخيار .

بل أن المنوفي زعم أن الله عز وجل أمر نبيه أن يكون صوفيا فقال : « وأيضا قد أمر الله رسوله محمدا ﷺ بعد أن رباه وكمل خلقه وأتم عليه نعمته بأن يتصوف ويندمج في الصوفية بقوله: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ ومع بعد هذا الاستدلال عن ما يهدف إليه المنوفي فإنه يواصل ما يعتبره أدلة على أن الرسول ﷺ هو أول من مشى على الطريق الصوفي فقال : « وأن الله عز وجل قبل أن يرسل محمدا برسالته

(١) جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٣٤ / ١٣٥ .

الكبرى والملة العظمى أمره بدخول الخلوة (غار حراء) « إلى أن يقول: « فلما دخل الرسول الخلوة وتعبد وتحنث في غار حراء وفيه قد أكثر من الذكر والاستغفار والإعتكاف ... وما نعتبر هذا النمط من العبادة الخاصة إلا أن نعهده تصوفاً إسلامياً رفيعاً وأن الرسول ﷺ قد بدأ متدرجاً في الكمال كمريد ثم تهيأ لحمل الرسالة ولذا وصفه الله في كتابه بقوله ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ** ﴾ وحتى بعد أن حمل الرسالة وأصبح سيد المرسلين أمره الله بأن يصاحب أهل الصفة وذلك واضح في قوله: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ أي يا محمد (١).

لقد قلب المنوفي الأمور وحاول جاهداً أن يقيم الأدلة على أن نبينا محمداً ﷺ كان صوفياً قولاً وفعلاً قبل أن تأتيه الرسالة وبعد ما جاءته أيضاً وأنه أبتدأ كأبي صوفي « مريداً » ثم تدرج في الكمال وإذا امعنا النظر في هذا التصوف الذي سار عليه الرسول ﷺ قبل الرسالة حسب رأي المنوفي فلا نجد للمنوفي مستندا إلا أنه يهدف إلى منشأ التصوف الذي كان قبل الإسلام متمثلاً في شتى الديانات المنحرفة علي حد قوله الآتي :

« وإن تعرجت تعاليم التصوف وتلونت بعض فروع الوانا عدة واتجهت تلك الفروع اتجاهات مختلفة بسبب المذاهب المورثة للداخلين المحدثين من الإسلام من هنود وفرس وإسرائيليين ومسحيين ولا سيما في عصر الترجمة الذي شجع عليه المأمون ومن بعده من الخلفاء العباسيين فترجم المسلمون كتباً كثيرة من التصوف الهندي واليوناني والفارسي وطعمت بعض فروع التصوف الإسلامي الخالص بما دخل عليها من النزعات الأفلاطونية الحديثة أو القديمة وبعض المذاهب الهندية والفارسية في التصوف كنظرية الحلول والاتحاد والتقمص والتناسخ وما إلى ذلك » (٢).

(٢) جمهرة الأولياء ج ١ ص ٢٦٧ / ٢٦٨ .

(١) جمهرة الأولياء ج ١ ص ٢٦٦ .

وبلا ريب فإن هذه الشهادة منه على ما في التصوف من خلط واضطراب
وتعاليم خارجة عن الإسلام لا تحتاج إلى تعليق أحد عليها فكيف تتفق بعد هذا
مفاهيم التصوف مع المفاهيم الإسلامية المنزلة على محمد ﷺ ويقتضى أن ما قرره
المنوفي من أن الرسول (ﷺ) هو أول من سن قواعد التصوف حينما كان يخلو
لنفسه ويتعبد في غار حراء هو منتهى الجهل وأشنع القياس ولا حظ تناقض المنوفي
في كتابه جمهرة الأولياء حينما لم يستطع أن يخفى حقيقة التصوف باح بأن
الصوفية قد تأثرت إلى حد كبير بعقائد الداخلين في الإسلام من هنود وفرس
وإسرائيليين ومسيحيين ولاسيما في عصر الترجمة لفلسفة هؤلاء حيث أخذ
التصوف منها جوانب لم ينكرها المنوفي وهو في كل كتاباته عنهم يكيل المدح
للصوفية، وأن أول متصوف في الإسلام هو الرسول ﷺ وأن الله أمره بذلك
ليسن الطرق الصوفية ابتداء بالخلوة في غار حراء ثم الزهد ، وإذا كان الرسول
ﷺ هو أول المتصوفة فكان ينبغي عليهم أن يقدرُوا هذا الموقف فيقبلون سنته
لأن يردوها ويعيبون أهل الظاهر كما يسمونهم ممن يخالفهم من أهل الحق حين
يقولون لهم أنتم تأخذون الحديث بسند ميت عن ميت حدثني فلان وقد مات
عن فلان وقد مات على نحو ما قاله البسطامي ناعيا على علماء الشريعة ومفاخرها
لهم حين قال لهم « أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا
يموت يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي وأنتم تقولون حدثني فلان وأين هو ؟
قالوا مات عن فلان وأين هو ؟ قالوا مات .

وهذا القول إنما يدل على جهل وبغض للسنة النبوية ولأهلها وللطريقة التي
يتداولها أهل الحق في تلقي دينهم من مصدره الفياض .

كما أنه من غير الانصاف أن يقصروا ذلك المسلك عليهم فقط لأنه في
استطاعة كل شخص من الناس أن يقول حدثني قلبي عن ربي وأن يدعي من
الزهد والقرب من الله مثل ما يدعون ثم إنه يلزم على قولهم هذا أن يعرض

المسلمون عن جميع كتب الحديث التي اشتملت على الأسانيد الثابتة إلى رسول الله ﷺ لأن أصحابها قد ماتوا فيقال لهم والنبي ﷺ نفسه قدمات أيضا ، وينبغي على قولهم هذا أن نأخذ بالأحاديث الجديدة التي يروونها عن قلوبهم عن ربهم مباشرة وهذا القول منهم وإن كان يبدو ساذجاً تافهاً إلا أنه يحمل في طياته أخطارا جسيمة بالنسبة للإسلام وللمسلمين لو تحقق لهم ما يهدفون إليه من التفاف الناس حولهم والأخذ بمبادئهم وتشريعاتهم وإلهائهم بها عن كتاب الله عز وجل وعن سنة نبيه العظيم ﷺ .

الفصل الثاني عشر

ايضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للصوفية

١ - عقيدة المتصوفة في الإله عز وجل :

الله عز وجل هو الواحد الأحد الفرد الصمد خلق المخلوقات وأوجدها وأمر الثقلين الجن والأنس بأوامر ونهاهم عن نواه من قام بامتثال أمره فيها دخل في طاعته ومن أبي صار من أعدائه وهو غني عن الخلق وعبادتهم وجعل لكلا الفريقين جزاء عادلا إما الثواب وإما العقاب وقد وصف الله نفسه في كتابه الكريم ووصفه نبيه بالصفات الثابتة له عز وجل فهو رب كل شيء ومالكة، ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلَّمُ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ولقد استقر في أذهان العقلاء مباينة الله لخلقه وقربه منهم بعلمه وإحاطته وأنه متفرد بالأسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السمع البصير ، وأمرنا عز وجل أن نصفه بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه به نبيه الكريم ﷺ غير معطلين ولا محرفين ولا مكيفين ، ذاته لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفات خلقه حتى وإن اتفقت التسمية فإنها لا تتفق في الحقيقة وتبقى المباينة بين الحقائق مما لا يخفي إلا على من لم يفهم الحق.

هذا هو الاعتقاد الذي أمر الله العباد به فما هو موقف الصوفية منه. إن المتتبع لعقائد زعماء الصوفية يجد أنهم يعتقدون بوجود معبود لا حقيقة له قائمة بذاته، معبود لم يذكر في الشريعة الإسلامية ولم تدل عليه العقول ولا الفطر السليمة إنه معبود غير رب العالمين تعالى وتقدس يظهر في صورة الصوفي العابد الذي وصل إلى مرتبة النيابة عن الله في تصريف أمور هذا الكون والتحكم فيه بحكم نيابته عن الله وعلمه بكل المغيبات ورؤيته لله في كل وقت لارتفاع الإنية بينه وبين الله عز وجل الذي يظهر أحيانا في صورة شاب وأحيانا في صورة الآكل والشارب

وأحياناً في صورة شخص كأنه محجور عليه تعالى بعد أن فوض الكون وما فيه إلى أقطاب الصوفية يتصرفون فيه بما يشاءون كما تفيد أقوالهم وتبجحهم بذلك .

٢ - الحلول :

ولقد أصبح الحلول من لوازم الصوفية الغلاة ومن المبادئ الأساسية عندهم ، وكتبهم مملوءة بذلك بثراً ونظماً ، وقد اختلف العلماء في تعريف الحلول : فمنهم من قال هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد .

ومنهم من قال : هو اختصاص شيء بشيء بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر .

واستعمل بعض المتصوفة لفظ الحلول ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد واللاهوت والانسوت بمعنى أن الله تعالى يحل في بعض الأجساد الخاصة وهو مبدأ نصراني وأول من أعلن به من الصوفية الحسين بن منصور الحلاج حين عبر عن ذلك في أبياته الشعرية التي يقرر فيها أن الله تعالى حال في كل شيء وأنه لا فارق بين الخالق والمخلوق .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا ابصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا (١)

والقائلون بالحلول منهم من قصر الحلول وخصه ببعض الناس . كقول النصاري بالحلول في عيسى عليه السلام وكقول بعض غلاة الشيعة كالخطابية الذين اعتقدوا الله عز وجل في جعفر الصادق والسبئية الذين قالوا بحلول الله في علي ومثله قول النصيرية فيه وقول الدرروز بحلوله عز وجل في شخص الحاكم .

وفريق آخر : قال بالحلول العام وأن الله حال في كل شيء وأنه في كل

(١) عوارف المعارف ص ٣٥٣ .

مكان، وهؤلاء تأثروا بالفلسفة الطبيعية عند اليونان وهم الجهمية ومن قال بقولهم ويمثل الحلول العام البسطامي في قوله: «رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدانيتك وأبسنني أنايتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأني خلقتك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولأأكون أنا هنا.

﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الاكذبا﴾^(١).

وهذا الطلب الغريب العجيب يريد به أبو زيد البسطامي كما تقدم أن يحتال على الله عز وجل ليصبغ عليه الوحدانية ويرفع ما بينه وبين البسطامي من الإنية بحيث إذا قال الله عز وجل «أنا» وقال البسطامي «أنا» انعدم الفرق بينهما وحينئذ يمثل البسطامي الله عز وجل تمام المماثلة فإذا شوهد البسطامي شوهد عند ذلك الخلاق العظيم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وليس هذا فقط بل أحيانا يختلط الحابل بالنابل فيحصل بين الرب والعبد مدّ وجزر حسب ما يتصوره ابن عربي في قوله :

ففي حال أقربه	وفي الأحيان أجحده
فيعرفني وأنكره	وأعرفه فأشهده
فإنني بالغني وأنا	أساعده وأسعده
فيحمدني وأحمده	ويعبدني وأعبده ^(٢)

ولعله بعد هذه المرواغة استقر الأمر على أن الله هو نفسه كل موجود على ظهر الأرض فهو العاشق والمعشوق والرجل والمرأة فالأجسام صور عنه وذلك في قوله:

فمن ليلي ومن لبني	ومن هند ومن بثنة
ومن قيس ومن بشر	أليسوا كلهم عينه ^(٣) الخ

(١) جزء آية من سورة الكهف : ٥ .

(٢) الفتوحات المكية ج ٣ ص ٤٩٨ .

(٣) المصدر السابق ٥٢١ .

وفي قوله أيضا :

فعين الخلق عين الحق فيه فلا تنكر فإن الكون عينه
فان فرقت فالعرفان باد وإن لم فاعتبر فالبين بينه (١).

وقد ملأ كتابه الذى سماه بالفتوحات المكية أشعارا وشروحا لها حول هذا الاتحاد والحلول .

ويقول ابن الفارض عن الذات الإلهية كما يتصور :

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حوا قبل حكم البنوة
وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبني وأخ برى بثينة وآونة تدعسي بعزة عزت (٢).

ومن هنا نشأ عند ابن الفارضى الفوضى الفكرية في تداخل جميع الأديان الحق منها والباطل حتى صارت بجميع أشكالها شكلاً واحداً فكأنه أراد أن يجمع بين الليل والنهار والحر والبارد والحق والباطل ، فتصور أن الملل كلها حق سواء كانت شركية أو وثنية أو مجوسية أو نصرانية أو يهودية الكل عنده يرجع إلى مصدر واحد وحقيقة واحدة هي الله، تائيته المشهورة مليئة بتأكيد هذا الخلط والاضطراب فهو بعد أن قرر أن جميع العبادات وجميع الأفعال التي تصدر عن الناس هي نفسها أفعال الله قال عن المجوس :

وأن عبد النار المجوس وما انطففت كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما عبدوا غيرى وأن كان قصدهم سواى وان لم يعقدوا عقديتي
رأوا ضوء نارى مرة فتوهموه ناراً فضلوا في الهدى بالأشعة (٣).

وكثير من مثل هذا الهذيان في أشعارهم هو وسائر غلاة الصوفية ممن هم

(١) الفتوحات المكية . (٢) تائية ابن الفارض . (٣) تائية ابن الفارض .

على شاكلته أنهم يتصورون معبودهم يتجلى في صورة امرأه ولهذا تجد أن الصوفية يلهجون بذكر النساء ويرونهن أكمل وأتم وأجمل لتعينات الذات الإلهية التي يعتقدونها فيهن وهذا واضح جدا في تلك العناية التي لقيتها المرأة في الأدب الصوفي من التذلل ولها والتشبيب بها والتفنن في وصفها .

ومما قاله ابن عربي في تقريره حلول الله تعالى عن كلامه في المرأة أن الأمر بالغسل لأن الحق غير على عبده أن يعتقد أن يلتذ بغيره فلهذا أحب النبي ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن إذ لا نشاهد الحق مجردا عن المراد فشهود الحق في النساء أعظم وأكمله وأعظم الوصلة النكاح .. فمن جاء لامرأته أو لأنثى بمجرد الالتذاذ ولكن لا يدري بمن كما قال :

صح عند الناس أني عاشق غير أنهم لم يعرفوا عشقى لمن

كذلك هذا الالتذاذ فأحب المحل الذي يكون فيه هو المرأة ولكن غاب عنه روح المسألة فلو علمها لعلم بمن التذ؟ ومن التذ؟ وكان كاملا قال من شاهد الحق في المرأة كان شهوده في منفعل وهو أعظم الشهود ويكون حبا إليها^(١).

ومن هذا المفهوم الباطل تجرأ على رسول الله ﷺ وأساء الأدب في حقه وأفتري عليه بما لا يقدم عليه مسلم يعرف ولو شيعا يسيرا عن الإسلام وعن نبيه العظيم الذي اعترف له كل من عرفه أو سمع عنه بأنه خير منقذ للبشرية عابدا لربه حق عبادته متواضعا بالمؤمنين روف رحيم لكن ابن عربي يقرر حسب مذهبه الرديء أن رسول الله ﷺ، كان يحب النساء لكمال شهود الحق فيهن وحاشا رسول الله ﷺ من هذا البهتان .

بل قرر زعماء الإباحية والزنادقة العتاة ابن عربي وابن الفارض وغيرهما أن الله تعالى يتجلى في كل صورة حسنة في صورة الرجل والمرأة فيكون فاعلا

(١) كتاب ابن عربي الصوفي ص ٢٧٠ نقلا عن العلم الشامخ ص ٥٥٠ .

ومنفعلا تعالى الله عن كفرهم وإلحادهم علوا كبيرا وأن الله تجلى في صور العاشقات المعشوقات^(١)، ويطول النقل عنهم لو أردنا ذلك مما يباه الدين وتشمئز منه النفوس وتمجده الفطر السليمة ويأباه الذوق .

« وفي تفسير الحديث « فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به »^(٢)، « يذكر السهروردي أن المحب يعود بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب أى بحيث تشترك الصفات بين المحب والمحبوب فلا يحصل بينهما أى فارق ثم استشهد على هذا الاتحاد والحلول بمبدأ العلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... الخ .

ويقول ابن عطاء الله السكندري في بيان حقيقة الولي :

« ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته »^(٣) وقال أيضا في وجود الله تعالى وأنه لا خفاء به ولا حجاب عليه :

« كيف يتصوران يحجبه شيء وهو الذى ظهر بكل شيء »^(٤).

وفي الشطحات الصوفية وجرأتهم على قول كل ما يريدون ما لا يخفى طلاب العلم .

ومما يذكر في سيرة ابن عربي أنه شغف حين كان بمكة بحب امرأة هي ابنة رجل يسمى الشيخ مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني ، ووصفها بأوصاف من الغزل بجمالها ما لا يحتمل المقام ذكره هنا

(١) ترجمان الأشواق لابن عربي وفصوص الحكم له وانظر ما ينقله عنهم د . صابر طعيمه في الصفحات من ١٦٥ - ١٨٣ .

(٢) يقول العلماء في معنى الحديث ما حاصله أن العبد قد يصل في طاعة الله تعالى إلى حد أن لا يستعمل أى جارحه من جوارح جسمه إلا فى ما يرضى الله تعالى .

(٣) لطائف المنن ص ٩٥ . (٤) المصدر السابق ص ١٠٣ .

ضمنه كتابه ترجمان الأشواق «ثم شرحه بطلب من رجلين من خاصته فشرحه في كتاب سماه «ذخائر الأعلاق» .

حاول جاهدا أن يغطي ما قاله في تلك المرأة من العشق والغرام ليحوله إلى أنه قاله في الحب الإلهي ولكن لم يتم له ذلك حيث غلب الطبع التطبع وليست هذه معشوقته الوحيدة بل هناك أخرى عشقها وهو يطوف حول البيت وقال فيها أشعارا غزلية ماجنة ولم يستشعر مقدار جرمه في الحرم الذي يعاقب الله فيه على مجرد النية ، ثم وصف تلك الأشعار بعد ذلك بالحب الإلهي تمويهها وتغطية لمجون هذا الشيخ الصوفي الكبير فأين الحب الإلهي في مثل قوله :

ليت شعري هل دروا	أي قلب ملكوا
وفؤادى لودرى	أي شعب سلکوا
أتراهم سلموا	أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى	في الهوى وارتبكوا ^(١) .

٣ - وحدة الوجود :

وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشيع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة وهي فكرة هندية بوذية مجوسية . وهذا هو المبدأ الذي قام عليه مذهب ابن عربي الذي قال سبحانه من خلق الأشياء وهو عينها وتجراً على تفسير كتاب الله بغير علم فاستدل بآيات من القرآن الكريم زاعماً أن الله أطلق اسم الوجود على نفسه كما في قوله تعالى ﴿ووجد الله عنده﴾ ٣٩ النور ، ﴿لوجدوا الله توأبا رحيماً﴾ ٦٤ النساء ، ﴿يجد الله غفورا﴾ ١١٠ النساء ، واستدل بأحاديث موضوعه مثل حديث «من عرف

(١) انظر التصوف المنشأ والمصدر ص ٢٦٩ / ٢٧١ .

نفسه فقد عرف ربه .

وهذا الاستدلال من أغرب وأنكر ما تلفظ به قائل .

إذ كيف يتأتى لهم القول أن القرآن والسنة يدعوان إلى الإلحاد والكفر بالله ؟ ولا شك أن هذه العقائد الإلحادية قديمة جدا في العبادات الهندية والديانات البوذية . وقد انقسم أصحاب هذه المبادئ الإلحادية فريقين :

١ - الفريق الأول : يرى أن الله سبحانه وتعالى روحا وأن العالم جسما لذلك الروح فإذا سما الإنسان وتطهر التصق بالروح أي بالله .

٢ - الفريق الثاني : وهؤلاء يزعمون أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله . فكل شيء في زعمهم هو الله تجلى فيه (١).

والإسلام برئ من هذه الأفكار المنحرفة الخرافية كلها ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ وهؤلاء يقولون أن الله ما دام وهو أصل وجود هذه الممكنات المشاهدة فكأن الموجودات في حكم العدم والوجود الحقيقي هو الله الذي تجلى في أفعاله ومخلوقاته وبالتالي فإن العقائد كلها حق والناس لا خلاف بينهم حقيقة والديانات كلها ترجع إلى عقيدة واحدة وهذا لا شك أنه خلط وانحراف شنيع أدى بمن اعتنقه إلى خذلان المسلمين وترك فكرة الجهاد . ولهذا نجد أن المستشرقين اهتموا كثيرا بدراسة ظاهرة التصوف لأنها تحقق أهدافهم في إلهاء المسلمين وتفرق كلمتهم وبالتالي فإنهم وجدوا فيها معينا لهم على نشر الإلحاد وإنكار النبوات ونبذ التكاليف الشرعية والدعوة إلى القول بوحدة الأديان وتصويبها جميعا مهما كانت حتى وإن كانت عبادة الحجر والشجر .

والواقع : أنه ما من مسلم يشك في كفر أو ارتداد من قال بوحدة الوجود وعلماء الإسلام حين حكموا بكفر غلاة المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود

(١) الصوفية معتقداً ومسلكا ص ٢٠٦ / ٢٠٧ ، نقلا عن التصوف الإسلامي والإمام الشعراني للاستاذ طه عبدالباقي سرور : ١ ص ٨٩ .

والحلول والاتحاد حكموا أيضا بكفر من لم يرى تكفيرهم .
ولقد قال شيخ الإسلام عن هؤلاء: « إن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود
والنصارى ومشركي العرب » .

ولقد وصل الهوس والجنون بابن الفارض - بناءً على عقيدته أن الله هو عين
كل شيء - وصل به الحال إلى أن يعتقد أنه هو الله حقيقة لأن الله حسب
خرافته هو عين كل شيء فهو على هذا يمثل الله تعالى عن قولهم :

وابن عربي من أساطين القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وصحة
الأديان كلها مهما كانت في الكفراذ المرجع والمآل واحد ومن هنا فهو يقول :

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويقول :

العبد رب والرب عبد ياليت شعري من المكلف
ان قلت عبد فذاك رب أو قلت رب فأني يكلف

ولابن عربي في كتابي « فصوص الحكم » و كتابه الآخر « الفتوحات المكية
من الأقوال في وحدة الوجود ونفي الفرق بين الخالق والمخلوق وثبوت اتحادهما
تماماً أقوال لا تكاد تحصر نثراً ونظماً .

وأما ابن الفارض فإذا أراد الشخص أن يعرف عقيدته تمام المعرفة فليقرأ
تأنيته التي باح فيها بكل صراحة وتحد أن الله متحد بكل موجود وأن ابن
الفارض نفسه هو الممثل الكبير لله تعالى في صفاته وفي أفعاله ولهذا فإنه يفسر
كل ما في الوجود بأنه يصبح أن يقال فيه أن الله أوجده أو كل موجود هو أيضاً
ذلك الموجد . وأن كل عبادة تقام فإنها توجه له أو لله لا فارق بينهما إلا في ذكر
الأثنينية التي هي أيضاً لا وجود لها عند استجلاء الحقيقة حيث تتلاشى الإثنينية
ويصبح الوجود واحداً ممثلاً في كل شيء .

وإذا أردت تفصيل كل تلك الحقائق عنه فاقرأ تأثيته أو الأبيات الآتية .

وانظر شرحها عند الشيخ عبد الرحمن الوكيل (١) .

جلت في تجليها الوجود لناظري ففي كل مرئي أراها برؤية
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت
فوصفي إذ لم تدع بائنين وصفها وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي
فإن دعيت (٢) كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبيت
فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
وكل الجهات الست نحوي توجهت بما تم من نسك وحج وعمرة
لها صلواتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لها صلت
كلانا مصلى واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواى ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل سجدة (٣) .

يقول ابن الفارض عن الذات الإلهية وتجليها له :

ويقول عن معنى سجود الملائكة لآدم ، وأن الملائكة إنما هم صفة من صفاته

لا خلق مستقل :

وفي شهدت الساجدين لمظهرى فحققت أنني كنت آدم سجدتي

شرح الصوفي القاشاني بقوله :

« أى عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهرى فعلمت حقيقة اني كنت

في سجدتي آدم تلك السجدة وأن الملائكة يسجدون لي والملائكة صفة من

صفاتي فللساجد صفة مني تسجد لذاتي » (٤) .

(١) هذه هي الصوفية ٢٤٨ . (٢) أي الذات الإلهية . (٣) تأتية ابن الفارض .

(٤) كشف الوجوه الغر على هامش شرح الديوان ص ٨٩ ج ٢ نقلا عن هذه هي الصوفية ص ٣٣ .

ومن عتاة دعاة وحدة الوجود الجيلي صاحب كتاب « الإنسان الكامل » .

وقد ترجم له الشعرائي وأطال في ترجمته ابتدأها بقوله :

« ومنهم أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ثم جاء في أخباره بما لا يصدقه عاقل »^(١) .

ومما يدل على تعمق الجيلي في القول بوحدة الوجود وأنه لم يعد بينه وبين الله أي فارق ولا بينه وبين كل المخلوقات في هذا الكون أي فارق أيضا ما أورده في كتابه « الإنسان الكامل »^(٢) .

لي الملك في الدارين لم أرفيهما سوى فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال جمال جلال الكل ماأنا إلا هو

* * *

لي الملك والملكوت نسجي وصنعتي لي الغيب والجبروت مني منشاء

* * *

فمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع أنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئه ملكية ومن منظر أبلّيس قد كان معناه
ومهما ترى من شهوية بشرية لطبع وايشار لحق تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه وكرسیه أو رفرف عز مجلاه
فاني ذاك الكل والكل مشهدي أنا المتجلى في حقيقته لاهو
وإني رب للآنام وسيد جميع الوري اسم وذاتي مسماه^(٣)

(١) انظر طبقات الشعرائي من ص ١٢٦ إلى ص ١٣٢ .

(٢) يقول الكشخاني في شرح وحقيقة الإنسان الكامل « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم » جامع الأصول في الأولياء ص ١١١ نقلا عن هذه هي الصوفية ص ٤٤ .

(٣) الإنسان الكامل ص ٢٢ / ٢٣ نقلا عن هذه هي الصوفية ج ٤٢ .

فالجيلي هو كل شيء والله هو أيضا كل شيء من خير أو شر من فسق أو فجور الكل هو الله على حسب هذه العقيدة المجوسية .

ومن القائلين بوحدة الوجود ووحدة الشهود أبو حامد الغزالي ولقد تأثر الناس به كثيرا لأنه كان في وقته يدارى كل طائفة ويتودد إليها بالموافقة وخفي أمره على كثير من الناس فلم يفتنوا إلى تعلقه بوحدة الوجود وإن كان قد صرح بها كثيرا في كتبه خصوصا إحياء علوم الدين ، وفي هذا يقول عنه عبد الرحمن الوكيل :

« لا تعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب فللغزالي وجوه عدة كان يراعي بها صنوف الناس في عصره فهو أشعرى لأن نظام الملك صاحب المدرسه النظامية أراد على ذلك وهو عدو للفلسفة لأن الجماهير على تلك العداوة وهو متكلم ولكنه يترأى بعداوتة للكلاميين اتقاء غضب الحنابلة أما هو في كتبه المضمون بها على غير أهلها فصوفي إشراقي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفي كتبه « الأخرى تجده أشعريا تارة وسلفيا مشوبا بأشعرية تارة أخرى وهكذا كان يلقي كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبون لا يهمه أكان وجه حق أو وجه باطل »^(١).

وأما بالنسبة لرجوعه عن غلوه في التصوف أو عدم رجوعه فقد قرر بعض العلماء أن الغزالي رجع عن تلك الأقوال الصوفية إلا أن بعضهم شكك في رجوعه وتوبته ومن هنا يقول عبد الرحمن الوكيل :

« يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرأة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقا .

ولكن لا بد من تحذير المسلمين جميعا من تراث الغزالي فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتابا يدل على أنه اشتغل

(١) هذه هي الصوفية ص ٥٦ / ٥٧ .

بالكتاب وبالسنة» (١).

ومن أقوال الغزالي في وحدة الوجود كما جاءت في كتابة إحياء علوم الدين (٢).

للتوحيد أربع مراتب .

والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام .

والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادره عن الواحد القهار .

والرابعة: ألا يرى في الوجود إلا واحدا ، وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق .

وفي هذا التعبير أمور تدل على وحدة الوجود وذلك فيما يلي :

١ - وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد ويقصد به العقيدة السهلة الواضحة التي جاء بها الإسلام .

٢ - في تقريره أن الذي يشاهد تلك الأمور عن طريق الكشف يراها كلها صادره عن فاعل واحد هو الله تعالى على ما فيها من خير وشر .

٣ - قوله لا يرى في الوجود إلا واحدا هذا هو عين القول بوحدة الوجود .
وعندما أورد استشكالا قد يرد في الذهن وهو قوله :

(٢) إحياء علوم الدين ص ٢٤٥/٢٤٦ ج٤ .

(١) هذه هي الصوفية ص ٥٢ .

« فإن قلت كيف يتصور إلا يشاهد ألوأاحدا وهو يشاهد السماء والأرض
وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً ؟

ولاشك أن هذا الاستشكال وارد وهو استشكال قوي جدا ويحتاج إلى
جواب شاق فبماذا أجاب الغزالي عن هذا أجاب عن إيراد هذا السؤال بقوله :

« فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر
في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر » .

وهذا الجواب فيه اتهام لله بالتقصير في بيان أمر التوحيد حيث لم يبينه الله
تمام البيان ولا بينه الرسول ﷺ ولا يعرفه أحد إلا أرباب الكشف الصوفي الذين
يعرفون كل تفاصيل التوحيد إلا أنهم لا يحبون افشاء سر الربوبية لأنه يؤدي إلى
الكفر حسب هذا الزعم والواقع أنه قد صدق فإن هذا التوحيد الذي لا يعرفه
إلا أصحاب الكشف هو نفسه التوحيد الذي لا يفرق بين الخالق والمخلوق وهو
أمر لا يقربه أحد من المسلمين .

أما الجواب الثاني فهو مثل ضربه يفيد أنه قد يحصل تعدد أشياء في شيء
واحد دون فارق بينهما وذلك كالإنسان وأعضائه فهو إنسان واحد ولكن له
أعضاء كثيرة روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشاؤه وهو باعتبار
آخر ومشاهدة أخرى واحد أى إنسان وهذا الجواب أرد أمن الذى قبله يريد أن
يثبت لنا القول بوحدة الوجود قياسا على الوحدة المتكاملة بين الإنسان وأعضائه
وأردء من هذا أيضا جعله هذه الأوصاف هي نفسها الفناء في التوحيد حسب ما
أورده عن موقف جرى بين الحلاج والخووص .

حيث رأى الخووص يدور في الأسفار فقال فيماذا أنت ؟ فقال : أدور في
الأسفار لأصحح حالتي في التوكل فقال : الحسين - الحلاج - قد أفنيت عمرك
في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخووص كان في تصحيح المقام
الثالث فطالبه بالمقام الرابع .

أي أن الحلاج كان في المقام الثالث أو الرتبة الثالثة في التوحيد وهي أنه يرى الأشياء هي نفسها « الله » ولكن بطريق الواسطة والكشف فطالبه الخواص - والغزالي لإقراره كلام الخواص - بأن يرتقي إلى الدرجة الرابعة (١) في تحقيق التوحيد وهي أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي (الفناء في التوحيد) بدون واسطة ولا كشف وبها يتحقق التوحيد.

وفي كتاب مشكاة الأنوار للغزالي تصريح بوحدة الوجود في أكثر من موضع (٢)، وقد فندها الشيخ عبد الرحمن الوكيل وأظهر عوارها (٣).

ومن كبار القائلين بوحدة الوجود عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين حيث قال محاكيا ابن الفارض في تائيته وفي معتقده أيضا :

تجلى لى المحبوب من كل وجهة	فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائر	تعالت عن الأغيار لظفا وجلت (٤).
فقال أتدرى من أنا قلت أنت يا	منادى أنا إذ كنت أنت حقيقتي
نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة	بغير شريك قد تغطت بكثرة
تكثر الأشياء والكل واحد	صفات وذات ضمنا في هوية
فأنت أنا لابل أنا أنت وحدة	منزهة عن كل غير وشركة (٥).

وقد اختار نقل هذه الأبيات من تائية ابن عامر الشيخ عبد الرحمن الوكيل

(١) انظر إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢١٢ وانظر تعليقات الشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه هذه هي الصوفية من ص ٤٧ إلى ص ٥٦ .

(٢) انظر ص ١٢٢ إلى ص ١٢٥ . (٣) انظر ص ٥٤ - ٥٦ .

(٤) أي تعالي الله عن أن يكون له غير إذ هو عين كل شيء والمسلم يقول تعالي الله عن الشريك والمثليل لأنه الخلاق العليم انظر هذه هي الصوفية ص ٥٧ .

(٥) تائية ابن عامر .

وهي صريحة لا لبس فيها على ما يذهب إليه أهل وحدة الوجود الذين يرون أنه لا يكتمل إيمان العبد ولا يصل إلى الله إلا إذا تلاشت «أنا» من نفسه فأصبح في لجة جمع الجمع ورفع الإثنية .

وقد سلك هذا المسلك في الاعتقاد بوحدة الوجود جماعة أخرى من الصوفية يمكن إحالة القارئ للاطلاع على كلامهم إلى كتاب الشيخ عبد الرحمن الوكيل حيث ذكر نصوصا كثيرة عنهم نثرا ونظما ومن أولئك محمد ابن إسحاق المشهور بالقونوي^(١)، وعبد الغني بن إسماعيل المشهور بالنابلسي^(٢). وعبد السلام بن بشيش أو مشيش وهو من كبار شيوخ الشاذلية، ومحمد الدرماش المحمدي^(٣).

وأحمد بن عجيبة الإدريسي^(٤). وحسن رضوان^(٥).

وكل واحد من هؤلاء قد أدلى بدلوه وخاض فيما ليس له بحق وحاول تثبيت عقيدة وحدة الوجود بكل ما أمكنه من الكلام نثرا ونظما ما قد يطول نقله وتثقل قراءته إذ إنهم لا يختلفون إلا في الألفاظ فقط والمورد واحد .

٤ - وحدة الشهود أو الفناء.

وبيان العلاقة بين وحدة الشهود ووحدة الوجود:

وحدة الشهود هو ما يسمونه في بدء أمره مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق أي لا يصل إلى درجة الحلول والاتحاد في أول الأمر إلا بعد أن يترقى درجات ثم يصبح كما يقول على حرازم ناقلا جواب شيخه التيجاني « اعلم أن سيدنا رضي

(١) له كتاب « مواتب الوجود » مخطوط بالظاهريه بدمشق رقم ٥٨٩٥ .

(٢) رسالة اسمها « حكم شطح الولي » مخطوط بالظاهريه بدمشق رقم ٤٠٠٨ .

(٣) له كتاب القول الفريد .

(٤) له كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم .

(٥) له كتاب روض القلوب المستطاب .

الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: أما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا»^(١).

وهذه نهاية الفناء في الله ووحدة الشهود فيه .

وأما العلاقة بين وحدة الوجود ووحدة الشهود

فإنه يرى بعض العلماء أن بين وحدة الوجود ووحدة الشهود فارقا بعيدا وذلك أن وحدة الوجود هي الحلول والاتحاد وعدم التفرقة بين الله وبين غيره من الموجودات بينما وحدة الشهود عند بعضهم هي بمعنى شدة مراقبة الله تعالى بحيث يعبده كأنه يراه .

ومن هنا ظن هذا البعض أن وحدة الشهود لا غبار على من يقول بها ومنهم من يؤكد على أن وحدة الشهود هي الدرجة الأولى إلى وحدة الوجود والواقع أن التفريق بين وحدة الشهود ووحدة الوجود ليس له أساس ثابت بل هو قائم على غير دليل إلا دليلا واحدا هو الذوق الصوفي وذلك أن خير البشر لم يستعمل هذه الحالة ولا نطق باسمها في عبادته لربه ولا كان أصحابه أيضا يقولون بها فكان شأنهم أنهم يعبدون الله وهم على أشد ما يكونون من الوجل والخوف أن ترد عليهم أعمالهم مع وجود أشد الطمع في نفوسهم لعفو ربهم وتجاوزه عنهم يعبدونه بالخوف والرجاء ووحدة الشهود ووحدة الوجود لم تعرف إلا بين الفئات الذين امتلأت نفوسهم إعجابا وتيهها بأعمالهم وقلت هيبة الله تعالى في نفوسهم .

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل في أثناء رده على الغزالي وبيان خطر أفكاره على الإسلام والمسلمين ومدى تعلق الغزالي بوحدة الوجود أو الشهود:

(١) جواهر المعاني ج ١ ص ١٣٥ .

« أرأيت إلى من صنمته ^(١)، الصوفيه باللقب الفخم الضخم ^(٢)، لتفتن به المسلمين عن هدى الله تعالى؟ أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود أو الشهود سمها بما ثعت فعند الكفر تلتقي الأسطورتان لا تقل إن وحدة الوجود أنشودة من البداية وحدة الشهود أغرودة عند النهاية فكلتاها بدعة صوفية بيد أنها غايرت بين الاسمين وخالفت بين اللونين ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمي به السم الناقع كلتاها زعاف الرقطاء غير أن واحدة منهما فى كأس من زجاج والأخرى فى كأس من ذهب» ^(٣).

فينبغى أن نبتعد عن هذه الكلمة - وحدة - أشد البعد فإن الله تعالى هو الواحد القهار لم يشرك أحدا فى خلقه ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ ولنا فى العبارات الطيبة التى تربطنا بربنا مجالا واسعا كالإسلام والإيمان والإحسان كما جاء فى حديث جبريل حيث سأله عن تلك الأمور ولم يسأله عن وحدة الشهود ولا وحدة الوجود ولا الحلول ولا الكشف ولا غير هذا مما هو من اختراع الصوفيه تبعا لأفكار ضالة ليس بينها وبين الإسلام أى صلة أو تقارب .
إن وحدة الشهود تؤدى فى النهاية إلى القول بالحلول رغم ما زخر فوه من الكلام والتدليس .

وقد وضع على حرازم الأمر وجلاه فى بيانه لأقسام مراتب المحبة التى هى محبة الإيمان ، ومحبة الآلاء والنعماء ، ومحبة الصفات ، ومحبة الذات ثم بين هذه المراتب إلى أن قال عن القسم الرابع من المحبة :

« ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة فيكون أمره أولا ذهولا عن الأكوان ثم سكرا ثم عينية وفناء مع شعوره بالفناء ثم إلى فناء الفناء وهو أنه لم يحس بشيء شعورا وتهمما

(١) أى جعلته صنما . (٢) أى لقبه حجة الإسلام .

(٣) هذه هى الصوفية ص ٥٠ .

وحسا واعتبارا وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه فلم يبق إلا الحق بالحق وللحق في الحق وهو مقام الفتح والبداية يعني بداية المعرفة وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقى والصعود في المقامات إلى أبد الأبد بلا نهاية»^(١).

وقوله أنه لانهاية لترقية لا يتفق مع ما قدمه مما يدل على نهاية الترقى وهو الوصول إلى وحدة الوجود كما في قوله :

« إلى أن ينتقل إلى المشاهدة وهي الاستهلاك في التوحيد وغاية المشاهدة ينمحق الغير والغيرية ، فليس إلا الحق بالحق للحق عن الحق فلا علم ولا رسم ولا عقل ولا وهم ولا خيال ولا كيفية ولا كمية ولا نسبة انتفت الغيرية كلها»^(٢).

إلى أن قال عن دخول الحضرة الإلهية :

« فإن من دخلها غاب عن الوجود كله فلم يبق إلا الإلوهية المحضة حتى نفسه تغيب عنه ففي هذا الحال لا نطق للعبد ولا عقل ولا هم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حدود ولا علم فلو نطق العبد في هذا الحال لقال لا إله إلا أنا سبحاني ما أعظم شأنى لأنه مترجم عن الله عز وجل»^(٣).

هذا هو الحلول والاتحاد ومع ذلك سماه على حرازم « غاية الصفاء » ونسى أو تناسى أو جهل - وهو الصحيح - أن الرسول ﷺ ولا أحد من صحابته قد قال سبحانى ما أعظم شأنى أو قال لا إله الا أنا ، لأن قائل هذه الألفاظ لا دين له إلا دين المجوسية ومن هنا استشهد على حرازم بعد الكلام السابق على صحة هذا الصحو فى الله بقول الحلاج سبحانى ما أعظم شأنى . ومن حسن الحظ أنه لم يستدل بقول أحد من المسلمين .

وتتضح صورة القول بوحدة الوجود عند التيجانيه كما هى عند سائر أقطاب التصوف الغلاة في قول على حرازم في صراحة تامة وفي مواضع كثيرة

(٢) جواهر المعاني ص ١٣ .

(١) جواهر المعاني ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) جواهر المعاني ص ١٧ .

من كتابه جواهر المعاني نأخذ منها قوله في أثناء بيانه لمنزلة الخلق من الحق تبارك وتعالى وأنهم صور تنبئ عن الله تماما فقال في ذلك : « ولا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل فإن الوجود عين واحدة ولا تجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها لا تخرجها عن إفتراق أشخاصها بالأحكام والخواص وهي المعبر عنها عند العارفين آن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة»^(١).

ومن العجيب أنهم يستدلون على هذا المسلك بقول الرسول ﷺ : « إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب الي آخر الحديث»^(٢)، والحديث حسب مفهومهم معناه أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاهر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج^(٣)، وينسى العبد نفسه في الله وأن الله يحل بجوارحهم فهو في سمعهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم قد إتحدت ذاته بذواتهم .

فهل كان الرسول ﷺ يقصد ماذهب إليه زعماء الصوفية؟ والجواب سيكون بالنفي قطعاً. وقد أجاب العلماء عن معنى هذا الحديث بعدة أجوبة ذكرها كلها ابن حجر رحمه الله ومنها أن معناه أن العبد يحب طاعة الله ويؤثر خدمته ومحبته وأنه لا يستعمل هذه الجوارح إلا وفق ما شرعه الله له فلا يستعملها إلا في ما أحبه الله ويبعدها عن كل ما يغضب الله تعالى^(٤)، لا أن الله يحل في تلك الجوارح والرسول ﷺ أعظم وأجل من أن يتصور ربه على هذه الصفات.

وتلك المعاني الباطلة لمعنى الحديث موضحة في جمهرة الأولياء للمنوفي في

(٢) صحيح البخارى ج ١١ ص ٣٤١.

(٤) المصدر السابق ج ١١ ص ٣٤٤.

(١) جواهر المعاني : ج ٢ ص ٧٣ .

(٣) فتح البارى ج ١١ ص ٣٤٤ .

مقال تحت عنوان « دور الكمال » ذكر فيه أن الصوفية قد تطورت فشارك في أبحاث كثيرة فقهية وفلسفية إلى أن قال : « وقد خطا الجنيد في هذا السبيل الخطوات الأولى الفاصلة فانتقل من حال الفناء التي قال بها البسطامي إلى فكرة الاتحاد ، وذهب إلى أن المتصوف قد يصل إلى درجة يتحد فيها الروح اتحادا تاما بخالقه عن طريق الشهود (١) .

ثم ذكر بعد ذلك أنه ليس المراد من هذا الاتحاد ما هو معروف في البوذية والمسيحية وإنما هو بمعنى أنه مجرد ملاحظة روحية ولكن يبقى عليه أن الملاحظة الروحية لا يقال فيها بالاتحاد وإنما هي زيادة تعلق القلب بخالقه فقط ومن قال أن ملاحظاته جعلته متحدا مع الله فلا شك في خروجه عن الحق مهما حاول بعد ذلك تغطية معتقده بزخرف القول .

لقد أصبحت وحدة الشهود عند المتصوفة : هي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية وهي الحال التي يسمونها بالفناء وعين التوحيد وحال الجمع وهي الاتصال بين العبد وبين ربه عن طريق الشهود الصريح فيما يزعمون ، ويصل الإنسان إليها بزعمهم بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبي ثم يستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور حسب تخيلاتهم السقيمة الإلحادية فاتضح مما سبق أن الفوارق لا تكاد تعرف بين تلك التسميات فهي داخلية في النهاية كلها في دائرة واحدة هي القول بالحلول مهما تعددت صورته . (٢)

٥- وأما اعتقادهم في الرسول ﷺ فهو ضرب من الخيال والإلحاد فهم يزعمون :

١- أن الله كان في عماء دون تعيين فأراد أن يتعين في صورة فتعين في صورة محمد ﷺ أي أنهم يعتقدون أن محمدا ﷺ هو الله سبحانه وتعالى ذاتا وصفة

(١) انظر ص ٢٧٥ ج ١ .

(٢) انظر ما كتبه د. صابر طعيمة في كتابه الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٢٥٧ .

حيث تعينت فيه الذات الإلهية في صورة مادية كما قرر الكشخاني ومحمد الدمرداش - والجيلي والبيطار والقاشاني والفوتي وعلى حرازم والشعراني^(١).

٢ - وأن الذي هاجر من مكة إلى المدينة هو الذات الإلهية متجلية في صورة هي محمد ﷺ كما قرر بن عربي ذلك في قوله : « اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة... الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للامكانية والوجودية »^(٢) .

٣ - أن الرسول محمد ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض إلى اليوم لم يتبدل بعد وفاته^(٣).

٤ - كل هذه الموجودات إنما وجدت من نور محمد ﷺ ثم تفرقت في الكون^(٤)، وهكذا فقد أصبح من الأمور المسلمة عند الصوفية أن هذا الكون وكل ما يحصل فيه من خير وفيض إنما يتم عن طريق الرسول محمد ﷺ وفيما قدمنا من النقل عن جواهر المعاني ورماح الفوتي ما يغني عن إعادته هنا وهذا المعتقد مقرر في كتب الصوفية كلهم من التيجانية أو من غيرهم ولهذا يقول المنوفي في بيان تلك القضية :

(١) انظر النصوص عن هؤلاء في كتاب « هذه هي الصوفية » من ص ٧٣ - ٩٢ .

(٢) هذه هي الصوفية ص ٧٧ .

(٣) انظر ما كتبه الفوتي في رماحه ج ١ ص ٢١٩ هامش جواهر المعاني وانظر جمهرة الأرياء ج ٢ ص ١٢ .

(٤) هنا مربوط الفرس في العقيدة الصوفية فقلما يخلوا كتاب من كتبهم عن تقرير هذه العقيدة .

لله در القائل :

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده نبیه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها يعلم هذا كل من يعقل^(١)

أى أن كل من يعقل - ولو قال كل من يجهل لكان أصوب - يعرف تمام المعرفة أن هذا الكون وما فيه إنما هو مستمد لبقائه ووجوده من محمد ﷺ الذى هو الرب تعالى في تعينه الثاني .

ويقرر ابن عطاء الله السكندرى ذلك بقوله: «جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا ﷺ عين الرحمة». (٢)

ومما لا يجهره أى مسلم أن الرسول ﷺ عبد بشر مثل سائر البشر كرمه الله تفضلا ومنة عليه بالرسالة مثل سائر الأنبياء والرسل .

وهو عليه الصلاة والسلام غني عن مبالغات الصوفية وأكاذيبهم الحمقاء فكل ما قرره أقطاب الصوفية من أولهم إلى آخرهم حول الحقيقة الحمديدية ونشوء الخلق عنها فإنه كلام خارج عن عقيدة المسلمين من دان به فلا حظ له في الإسلام بل هو مجوسى وثني .

٥ - يعتقدون كما قرره ابن عربي أن الرسول ﷺ كان يعرف القرآن قبل نزوله بل أنه على حسب زعمهم هو الذى يعلم جبريل الذى بدوره يوحيه إلى محمد ﷺ ثانية^(٣)، ومن الصوفية مثل أبي يزيد البسطامي من يزعم أن الرسول كان جاهلا لا يصل إلى مرتبتهم حيث قال : « خضنا بحرا وقف الأنبياء

(١) جمهرة الأولياء ج ٢ ص ١٠ (٢) لطائف المنن ص ٥٥ .

(٣) هذه هى الصوفية ص ٨٩ ، ينقله عن كتاب الكبريت الأحمر للشعراني ص ٦ .

بساحله»^(١)، وهذه الإفتراءات كلها إحداد وزندقة وشبهات مظلمة وابطالها مما لا يشق على مسلم عرف شيئا عن تعاليم الإسلام، فإن القرآن منزل من عند الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام وهذه هي عقيدة كل مسلم من لم يؤمن بها أو شك فيها فلا حظ له من الإسلام ولا صلة بينه وبين المسلمين.

٦ - الولاية وبيان بعض المصطلحات الصوفية :

تطلق كلمة ولاية في اللغة العربية^(٢)، على عدة معان منها التابع المحب والصديق والناصر .

أما معناها في مفهوم الصوفية فهي تنتهي أخيرا في مصب وحدة الوجود فقد عرفها المنوفي^(٣) تحت عنوان « أولياء الله » بقوله : « اعلم أن الولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علما وعينا وحالا وأثره لذة وتصرفا » ثم زاد الأمر وضوحا حينما بين التجليات الإلهية والفيوضات التي تقع على السالك وأفعاله وأفعال كل المخلوقات ثم « لا يرى في نظره غير فعل الفاعل الحقيقي وهو الله » .

وعرفها الجرجاني بقوله :

الولي : هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وقال أيضا الولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه. ^(٤)

وقد ذكر السهورودي الولاية وقسمها إلى أقسام باعتبارات مختلفة ثم ذكر

(١) انظر شطحات الصوفية ص ٣١ .

(٢) انظر مادة ولي تهذيب اللغة للأزهري ج ١٥ ص ٤٤٧ ونزعة الأعين النواظر ص ٦١٤ والمختار من الصحاح ص ٥٨٣ وغير ذلك من كتب اللغة .

(٣) جمهرة الأولياء للمنوفي ج ١ ص ٩٨ / ٩٩ .

(٤) كتاب التعريفات ص ٢٥٤ .

بعض الكرامات للأولياء التي لا يخلو من ذكرها كتاب صوفي . وأكثر تلك الكرامات التي يروونها محض خرافات وقصص باطلة . ثم خلص السهروري إلى أن الصالحين الذين يتولاهم الله ويتولونه ليس المراد بهم : « الذي يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب ويقولون فلان صالح وشهيد وولي بل الصلاح هنا المراد به : الذين صلحوا لحضرتهم بتحقيق الفناء عن خليقة » (١) .

وأما القطب الكبير عند الصوفية وهو القشيري فقد ذكر تعريفات كثيرة للولاية ونقل عن أكابر مشائخهم آراءهم في الولاية وأهميتها وعلاماتها وكيفية الحصول عليها ومسائل أخرى (٢) ، وهكذا فإن نظرة الصوفية إلى الولي والولاية ليست هي تلك المنزلة الطيبة في مفهوم الإسلام . لأن الولي الصوفي لا أحد لصلاحياته في هذا الكون .

وقد جاءت الولاية في القرآن الكريم مرادا بها المدح وأحيانا مرادا بها الذم فهي تستعمل في الخير وفي الشر حسب إطلاقها ، لأن صاحبها أما أن يكون وليا لله تعالى أو وليا للشيطان وبين الولايتين من البعد والانفصال ما يعرفه كل مسلم سليم الفطرة صافي العقيدة .

وجاءت في السنة النبوية مرادا بها وصف من ساروا على سنة رسول الله ﷺ والتزموا طريق الخير ونصروا الدين ووالوه .

ثم توسع الصوفية والشيعة في إطلاقها وخرجوا بها عن حقيقتها ومدلولها الصحيح فأطلقت على الرجل المتصوف أو من ينتسب إلى آل البيت ثم اسبغوا على أئمتهم وكبار دعواتهم هذه الكلمة وأنواعا أخرى من التهويلات لمطامع إجتماعية وسياسية .

ثم أخذها الصوفيون بعد ذلك وأخرجوها في مذاهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود . وهناك صفة ثانية أضيفت إلى مفهوم الولاية عند الشيعة

(١) عوارف المعارف ص ٨٤ . (٢) الرسالة القشيرية ص ٥٢٠ ج ٢ .

والمصوفية وهى صفة العلم اللدني الذى أخذه على بن أبى طالب عن الرسول ﷺ كما زعموا ثم ورثه إياهم ببركة تلك الولاية وبلغ الغلو بالمصوفية فى أوليائهم إلى أن أتخذوا بين الله وبين خلقه وسطاء على طريقة النصارى واليهود والمشركين تماما .

فكما اتخذ هؤلاء المسيح وعزيز والملائكة أربابا لهم من دون الله اتخذ الصوفية وسطاء إلى الله عز وجل أسموهم القطب والغوث والولي ونسبوا إليهم النفع والضر لأن الله بزعمهم جذبهم إليه واختصم ثم ساووه مع الله تعالى فى كل صفاته بل أصبح من شرط الولي أن يكون متصفا بصفات الله - كما يزعمون - ومن هنا نشأ تنطعهم وتنقصهم للأنبياء على حد ما ورد عن أبى يزيد البسطامي فى قوله :

« خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله » ثم اخترعوا مفهوما كاذبا للولاية فهى عندهم مجرد هبة من الله عز وجل لبعض خلقه دون أن يكون لها سبب بل وبغض النظر عن صلاح الشخص أو فجوره، واستدلوا بقول الله عز وجل: ﴿يَخْتَصِم بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى دون سبب حسب مفهومهم ومعنى هذا أنهم يجعلون مفهوم الولاية كمفهوم النبوة الكل بلا سبب ظاهر وهذا خلاف ما قرره الإسلام بالنسبة للولاية التى تنتج عن طاعة الله تعالى والمتابعة لنبيه ﷺ . وقد قسموا الولاية والأولياء إلى أقسام يطول شرحها بدون فائدة فيها. (١) الامانستنيه مما ذكره المنوفي حين قسمهم إلى :

١ - الملامتية :

وهم الذين لا يظهرون للخلق أعمالا وأسرارا بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم .

(١) انظر ما كتبه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق فى كتابه الفكر الصوفي ص ٢١٩ ، وانظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٩٢ وص ١٠١ .

٢ - الغوث الأكبر :

وهو أكبر الأولياء والأقطاب وهو ذات الحق باعتبار تجريدتها من الاسم والصفة .

٣ - والأوتاد الأربعة :

وهم حفظة العالم كل واحد منهم في ركن من أركان العالم وهم على قدم بدل من الأبدال ؛ أى أقل رتبة من الأبدال لأن الأبدال يكونون على قدم قطب من الأقطاب .

٤ - والأقطاب السبعة :

لحفظ القارات السبع ، والقطب هو الواحد الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان . والقطبانية الكبرى : هى مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن النبوة للرسول ﷺ والأبدال زعموا أنهم أربعون وهم مكلفون بحفظ العالم والكون وقد عرفهم المنوفي بأنهم : «أبدال الأقطاب من الأولياء فإن مات قطب أحل الله محله بدلا منه ومنهم الخلفاء الأربعة .

٥ - النجباء وهم الأربعون القائمون بإصلاح شئون السالكين :

٦ - والأفراد :

وهم المفردون والغرياء لتفردهم عن الخلق بشهود الحق وغربتهم فى أهل زمانهم وهم غير منحصرين فى رتبة أو منزلة ولهم كشف خاص وعلوم الهية غريبة على الناس .. وهم على قدم النبي ﷺ (١) .

٧ - وأخيرا وصلوا بالولاية إلى أنها مثل النبوة تماما فلها ختم كما للنبوة

(١) انظر جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٢١ و ٣٠٦ ، ٣١١ .

ختم. فخاتم الأنبياء محمد ﷺ وخاتم الأولياء عند الصوفية مجموعة من الكذابين مختلفون فيما بينهم على ادعائها .

وأول من ادعى ختم الولاية به هو محمد بن علي بن الحسين « ويسمونه الحكيم الترمذى » وقد ظهر فى القرن الثالث الهجرى فى آخره وهو غير الترمذى صاحب السنن.

وحين صنف الحكيم الترمذى كتابه « ختم الولاية مضاهيا بذلك القول بختم النبوة شهدوا عليه بالكفر ثم نفى من ترمذ .

ثم جاء ابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء .

ثم جاء محمد بن عثمان الميرغني السوداني المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء ثم جاء أحمد التيجاني من فاس بالمغرب المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ فادعى أنه هو خاتم الأولياء وأن من سبقه أو يلحقه ممن يدعى ختم الولاية فإنه كاذب مفتر .

وكل واحد ممن يدعيها له مزاعم وادعاءات وكرامات ومزايا لا يصدقها شخص له أدنى معرفة بالدين الإسلامى .

وكلما جاء رجل منهم ادعى أنه هو خاتم الأولياء وأن غيره كذاب - والكل والله يشهد - إنهم كاذبون ثم بلغ بهم الغلو أن فضلوا خاتم الأولياء المزعوم على خاتم النبيين لأمر لا فائدة من التطويل بذكرها . فإنهم مهما تفننوا فى الاستدلال على ذلك ومهما زخرفوا القول فيه فهو مردود جملة وتفصيلا .

الفصل الثالث عشر

الكشف الصوفي

من أصول الدين الإسلامى وقواعد الإيمان فى الشريعة الإسلامية أن الله تعالى وحده هو علام الغيوب . وأن الخلق مهما كانت منزلة أحدهم لا يصل إلى معرفة الغيب إلا من شاء الله أن يطلعه منهم على ما أراد من ذلك سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا .

ولقد تعدى المتصوفه على هذه الصفة لله عز وجل فأقاموا أمرا سموه « الكشف الصوفي » ويعني عندهم رفع الحجب من أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم بعد ذلك كل ما يجرى فى هذا الكون وبالغوا فى هذا الادعاء بما لا يجرؤ على القول به إلا عتاة الزنادقة كما هو مسطر فى كتبهم بأقلامهم وكما تبين ذلك من خلال ماقدمنا من الإشارات الكثيرة إلى حقيقة الكشف من خلال نظرتهم إلى أقطابهم فى حالة رفع الحجب عنهم واتحادهم بالله ورفع الأنية بينهم وبين الله ويبدوا أنهم ترقوا فى هذه الدعوى على النحو التالى :

١ - ادعوا أن الصوفى يكشف له عن معان جديدة فى القرآن والسنة والآثار والرسوم لا يعلمها علماء الشريعة الذين سموهم علماء الظاهر والقراطيس لأنهم أى علماء الشريعة إنما يعتمدون فى نقل تلك المعانى من القرآن والسنة على موتى وأما هم فإنهم يأخذونها عن الله تعالى مباشرة ومن هنا تجد أقطاب التصوف حين يشرحون بعض الآيات والأحاديث يأتون فيها بمعان من نسج أخيلتهم ويزعمون فيها مزاعم هى عين الأكاذيب التى لا يسندها أى دليل لا من الشرع بل ولا من العقل فى أكثر ما جاءوا به فى شروحاتهم .

٢ - ثم ترقوا فقالوا إن لهم علوما لا توجد فى الكتاب ولا فى السنة يأخذونها جديدة عن الخضر الذى هو على شريعة الباطن حسب زعمهم .

وهذه الفربة هى التى استباحوا بموجبها كثيرا من الفواحش والمحرمات إذ إن

النصوص التي يفيد ظاهرها التحريم قد يفيد باطنها الإباحة والخضر يؤكد لهم ذلك فإذا بتلك النصوص ظاهرها في واد وباطنها في واد آخر لاصلة بينها إلا تلك الروايات التي صدرت عن الخضر أو بعض المنامات التي حدثت لأقطابهم الكبار الذين استباحوا كل محرم من الفواحش .

٣ - وهناك فرية أيضا اقترفوها وهي قولهم أنهم يتلقون علومهم عن ملك الإلهام كما تلقى الرسول محمد ﷺ علومه من ملك الوحي مباشرة .

٤ - وآخرون منهم يزعمون أنهم يتلقون علومهم عن الله رأسا وبلا واسطة حيث تنطبع هذه العلوم في نفوسهم وبموجبها يأتون ما يأتون من أمور .

٥ - وآخرون منهم يدعون أن الرسول ﷺ هو الذي يخبرهم بأذكارهم وعبادتهم يقظة لا مناما .

٦ - ثم زعموا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة من القرآن وقصص الأنبياء على حقيقتها وأنهم يجتمعون بالأنبياء ويسألونهم عن تفاصيل قصصهم وخرافات كثيرة ذكرها الجيلي في كتابه « الإنسان الكامل » يمجها السمع وينفر عنها الذوق . وكذا الغزالي حين دخل التصوف ولم يستطع الخروج منه رغم أنه كان من علماء الشريعة فقد ذكر أشياء كثيرة عن الكشف الصوفي وخرافاتهم فيه مؤيدا له .

وعتاة هذه الدعوى ابن عربي وعبد العزيز الدباغ والبسطامي والبيجاني والمرسي وغيرهم^(١)، لقد كانت دعوى الكشف هي المقدمة الأولى في نظري إلى الادعاء بوحدة الوجود والحلول أن دعوى الكشف مبالغه فاحشة ولكنها تعتبر من باب التمهيد لما هو أفحش منها وهو ادعاء الاتصاف بالله والأخذ عنه مباشرة ولذلك ترى كثيرا من المؤلفين من علماء التصوف زعموا أنهم لم يأتوا بما

(١) انظر الفكر الصوفي ص ١٤٣ الفصل التاسع .

ذكروه في كتبهم إلا عن طريق الكشف الصريح يتلقونه عن الله مباشرة رغم ما يحمل من كفر وفجور وزندقة إباحية .

كما زعم ابن عربي في فصوصه والجيلي في كتابه الإنسان الكامل الذى يقصد به الرسول ﷺ الذى اتصف حسب تقرير الجيلي بصفات الله تعالى وبصفات أقطاب التصوف أحيانا حيث يظهر في صورة أي شيخ منهم كالشبلبي والجبرتي وغيرهما في زمنهم وفي غير زمنهم .

وكتاب الجيلي « الإنسان الكامل » مملوء بالعبارات التى تؤدى إلى إحياء الخرافات والزندقة فقراءة عابرة له تجعلك لا تتوقف في هذا الحكم عليه ولا فيما كتبه عتاة التصوف كالديباغ وتلميذه أحمد بن مبارك والشعراني وعلى حرازم وغير هؤلاء ممن لم يلتزم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ثم دخلوا على عوام المسلمين عن طريق الكشف الإلهي والوصول إلى الحقيقة وصفاء القلب والولاية وغير ذلك من أنواع الشبكات الصوفية التي يصطادون بها الناس عن طريق دعوى الكشف والتظاهر بالزهد وإكرام الله لهم بمعرفة ما لم يعرفه غيرهم وفي كل ذلك تساعدهم الشياطين وأكثر هؤلاء الذين يخبرون بالمغيبات عن طريق الكشف إنما يستعينون بالسحر والطلاسم .

الفصل الرابع عشر

الشطحات الصوفية

لقد وصل الصوفية في شطحاتهم إلى حد لا يقدم عليه إلا من تزندق وألحد وخرج عن الدين ، ولقد فاضت كتبهم بذلك وتواتر النقل عنهم وهو أمر لا يدع مجالاً للشك في الحداد من يعمل ذلك منهم وفي إعراضه عن الخلق الفاضل والعقل السليم فضلاً عن الدين .

ومما يلحظه القارئ لكلامهم أنهم بعد أن أوردوا أنفسهم تلك الموارد الوخيمة أرادوا أن يخرجوا منها فلم يجدوا لهم مخرجاً فادعوا أنهم إنما قالوا تلك الكلمات الكفرية في حال سكرهم بالله تعالى وغيبوبة عقولهم عن الإحساس بأى شيء غير الله وما أقبح هذا العذر وأسمجه فهل هم أحب لله من الأنبياء ومن كثير من أتباعهم الذين لا يقاس بهم غيرهم ولم يعثر عن أحد منهم أن تلفظ بما تلفظ به هؤلاء الذين امتلأت نفوسهم زندقة وحقداً على الإسلام والمسلمين .

ومما يدركه طالب العلم أن الشطحات الصوفية كثيرة جداً لا يمكن حصرها إلا بدراسة وافية^(١)، غير أننا سنعرض هنا بعض الأمثلة لتكون نموذجاً لبقية شطحاتهم وغلوهم ومقدار جرأتهم على اقتحام الأمور العظيمة في الإلحاد .

ونبدأ ببعض ما ذكر عن أبي يزيد البسطامي : طيفور بن عيسى .

١ - قال أبو يزيد عن الله تعالى : « رفعتي مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدانيتك وأبسنني أنا نيتك وأرفعتني إلى أحديتك حتى إذا رأني خلقت قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك .

(١) انظر ما كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه « شطحات الصوفية » الجزء الأول « أبو يزيد البسطامي » حيث نقل أقوالاً كثيرة في شطحات الصوفية .

ومعناه أنه يطلب أن يصوره الله على صورته عز وجل تماماً فإذا شاهده الناس قالوا شاهدنا الله والرواية عنه هي كما تقدم إلا أنني أرى أن هذه العبارة « إن خلقي يحبون أن يروك» ليست هكذا - ولم أرى أحداً بين هذا - ولكن لعل الصواب فيها « أن خلقي يحبون أن يروني » ولهذا بين أبو يزيد كيفية الطريقة التي يمكن أن يرى الخلق فيها ربهم وذلك بأن يرقى البسطامي إلى حد النيابة التامة عن الله تعالى صفة وشكلاً تعالى الله .

٢ - وقال مرة « سبحاني سبحاني » .

٣ - ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش .

٤ - اجتاز بمقبرة لليهود فقال معذورون ومر بمقبرة للمسلمين فقال « مغرورون » .

٥ - قال يخاطب الله كنت لي مرآة فصرت أنا المرآة .

٦ - لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة .

٧ - إلهي إن كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي فيه - أي في النار - حتى لا يسع معي غيري .

٨ - ما النار ؟ لأستندن إليها غداً وأقول إجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها . ما الجنة ؟ لعبة صبيان .

تلك بعض شطحات البسطامي وهناك الكثير يوردها علماء الصوفية عنه بين مستحسن لها وبين مراوغ في معانيها (١) .

أما الشبلي فهو الآخر له من الشطحات ما نذكر بعضه فيما يلي :

١ - أخذ من يد إنسان كسرة خبز فأكلها ثم قال : « إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز ولو التفت سرى إلى العرش والكرسي لا احترق » .

(١) انظر لتلك الشطحات وغيرها كتاب شطحات الصوفية ص ٣٢/٢٨ نقلاً عن اللمع «السراج ص ٣٩٤/٣٨٠ وعن ماسنيون في مجموع نصوص ابتداء من ص ٢٧/ وحلية الأولياء ج ١ ص ٤١ .

٢ - وقال لو خطر ببالي إن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركا .

٣ - أيش أعمل بلظي وسقر؟ عندي أن لظي وسقر فيها تسكن - يعني في القطيعة والإعراض - لأن من عذبه الله بالقطيعة فهو أشد عذابا ممن عذبه بلظي وسقر .

٤ - وسمع قارئاً يقرأ هذه الآية ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ فقال الشبلي ليتني كنت واحداً منهم .

٥ - وقال إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفأوها . فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك .

٦ - قيل له لم تقول « الله » ولا تقول لا إله إلا الله ؟ فقال أستحي أن أوجه إثباتا بعد نفي .. أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار^(١) .
وقال أبو الحسن النوري وقد سمع المؤذن طعنه وشم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك .

وسمع أبو حمزة الصوفي شاة مرغيا فقال : « لبيك يا سيدي » .

وقيل للتلمساني وقد أشاروا له إلى كلب أجرب ميت هو ذات الله أيضا ؟ فقال : « وهل ثم شيء خارج عنها »^(٢) .

وهذه العبارات إنما هي أمثلة قليلة وهناك آلاف الشطحات في حال سكرهم بالله كما يزعمون والحقيقة أنها صادرة عن أناس يدعون الحلول والاتحاد وهم في كامل وعيهم وشيطنتهم وعندهم تمام الجرأة على الكذب على الله لجهلهم به عز وجل وهو أنهم عليه .

وإذا رجع القارئ إلى كتاب الطبقات الكبرى للشعراني فسيرى العجائب

(٢) إلى التصوف ياعباد الله ص ٣٥ .

(١) انظر المصادر السابقة .

والغرائب مما ينقله الشعراني عن أسياده الذين ترجم لهم مبتدئا بقوله: « قال سيدي .. -رضى الله عنه - ثم ملاء كتابه بأخبار هؤلاء في شطحاتهم وفي تصرفاتهم بما يستحي الإنسان أن يقرأه أو ينظر فيه ، شطحات تصل إلى عمق الكفر ، وتصرفات من أولئك الأقطاب تصرخ بالعار والفجور » وقد ترجم لعدد كثر فارجع إليه إن أحببت أن ترى مهازل الصوفية وسقطاتهم التي لا تقال .

وقد ترجم الشعراني لعدد كثير منهم وزعم أنهم كلهم أقطاب التصوف ولكن ينبغي الانتباه إلى أنه حشر خيرة الصحابة رضوان الله عليهم بل جعل الخليفة الأول للمسلمين أبا بكر رضي الله عنه هو أول هؤلاء الأقطاب ثم عمر إلى أن ذكر أيضا كثيرا من خيار التابعين وعلماء الأمة الذين لا صلة لهم بخرافات الصوفية وخزعبلاتها بل إن حشره لهؤلاء مع الحلاج والبسطامي والشاذلي والمرسي وغيرهم من عتاة التصوف يعتبر إهانة لهم .

وقد سار على نفس المنهج كثير من مؤلفي الصوفية كما فعل نفس المسلك الذي سلكه الشعراني المنوفي في جمهرة الأولياء وقبلهم القشيري وكل من جاء بعد هؤلاء سلك نفس ذلك المسلك الخاطيء .

الفصل الخامس عشر

التكاليف في نظر الصوفية

يعتقد غلاة الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هي عبادات العوام. وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة أو خاصة الخاصة ولذلك فإن لهم عبادات خاصة ومناهج وطرائق خاصة ومفاهيم تختلف تماما عن مفاهيم العامة خصوصا بعد وصول أحدهم درجة اليقين - كما يزعمون - وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم . في الذكر والخلوة والأطعمة والملابس المخصوصة والحلقات الخاصة وقد يتفوقون في بعضها وقد يختلفون إلا أن كل صاحب طريقة يجعل على أتباعه أغلالا وحواجز شديده بحيث لا يستطيع أحدهم أن يغير طريقته بطريقة أخرى وحتى مجرد الذكر إلا بإذن الشيخ وكل ذلك إنما يفعلونه كما يزعمون من أجل ربط القلب بالله للتلقي عنه مباشرة ولاستمداد العلوم والمعارف عن الله رأسا على يد شيخ خوله الله ومنحه القدرة على ذلك .

وأما بالنسبة للتحريم والتحليل فأهل وحدة الوجود منهم لاشيء يحرم عندهم لأن الكل عين واحدة وفعل الخير وفعل الشر والقيح والحسن إنما هي أفعال لا فروق بينها لاحتواء الذات لها كلها ولذلك فقد حصل من بعض كبارهم وأئمتهم ما يستقبح الشخص مجرد ذكره إذ كان منهم الزناة واللوطية والملاحدة ثم لا يحق لأي شخص أن يعترض لأن الشيخ لا يفعل شيئا إلا للحكمة ، وأيضا لا يفعل هذه الأمور التي يعتبرها الناس فواحش بجسمه وروحه بل بجسمه فقط وأما روحه فهي أجل من أن تتدنى إلى فعل هذه الأمور الجسمية وقد وجدوا من الناس الذين هم أضل من البهائم من يصدقهم في كل ما يصدر عنهم فصدقوهم في التفرقة بين ما يفعلونه بأجسامهم لحكمة وبين ما في أرواحهم من السمو والتعالى عن ما يفعله سائر الناس ، والعقل من أجل نعم الله على الإنسان .

ثم اخترعوا مفهوما ضالا وهو أنه قد يصل الأمر أحيانا إلى حد أن للولي

شريعته الخاصة وللنبي محمد ﷺ شريعته الخاصة فلا يمنع أن يحصل الخلاف بينهما ويكون الجميع على الصواب فالولي يتلقى شريعته عن الله مباشرة وهي شريعة للخاصة ومحمد ﷺ تلقى شريعته عن الله مباشرة وهي شريعة للعوام ولذلك تجددت في حلقات هؤلاء الصوفية الغلاة من الفواحش والخروج عن تعاليم الإسلام ما لا يمت إلى الإسلام بصلة لأن هذه الأفعال من الاختلاط والحشيش وأنواع الفساد قد تكون مباحة في شريعة الولي مع حرمتها في شريعة النبي ولكل شريعته وما دام الشيخ الصوفي قد وصل إلى حد التلقي عن الله مباشرة واطلع على كثير من أسرار هذا الكون وعرف الكثير من المغيبات فإنه والحال هذه ليس عنده طمع في جنة ولا خوف من النار ومن هنا تنشأ الاستهانة التامة بجميع التكاليف الشرعية . وقد تبجح الكثير منهم بأنه لا يعبد الله طمعا في الجنة ولا خوفا من النار لأن هذه العبادة معاوضة والصوفي قد اتحد بالله وفني فيه لأجله لا لغرض آخر والخوف من النار أيضا طبع العبيد لا طبع الأحرار كما تبجح البسطامي بقوله السابق :

« ما النار ؟ لأستندن إليها غدا وأقول اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها ما الجنة؟ لعبة صبيان » وقول الشبلي إن لله ،عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها « فهم يزعمون أنهم يعبدون الله حبا في الله لا كما يعبد الخائفون من النار الطامعون في الجنة فإن عبادتهم إنما هي على سبيل العوض لا حبا في الله - وعلى هذا فإن من سبقهم من صالحى المؤمنين والأولياء من الصحابة وغيرهم بل والأنبياء كانت همتهم قاصرة عن إدراك هذا المعنى الذى اهتدى إليه هؤلاء !! .

ومما يدل على ما تقدم ما ذكره فيما يلى من كلام الصوفية حيث قسم المنوفي الناس بالنسبة لمراتبهم وقربهم وبعدهم عن الله تعالى ثلاثة أقسام تحت عنوان « حقيقة الطريق » فقال :

« إن في هذا الطريق وهو السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى عند قطع

المنازل والترقي في المقامات ينقسم الناس بحسب اختلاف أحوالهم إلى ثلاثة أقسام لكل قسم منها طريقة :

١- فالقسم الأول ذوو الأمزجة الكثيفة والأفهام الضعيفة الذين يعسر عليهم محاولة التعلم من طريق التعليم فطريقهم يستقيم بالعبادة والتسك والزهادة والصلاة والصوم وتلاوة القرآن والحج والجهاد وغيرها من الأعمال الظاهرة لأن هذه الطائفة لصلابة أبدانها وقوة أركانها تتحمل مشاق العبادة... والسالكون بهذا الطريق لا يزالون على هذه المناهج حتى يرقوا لأرفع المعارج ويقربون من مواطن تنزلات المعارف - وإذا وصلوا إلى هذا الحد - « فحينئذ يكشف لهم عن سبحات المحبوب ويرون عجائب الغيوب ويتلقون عرائس الأسرار وهذه الطرق صعبة جدا والواصل بها على خطر عظيم .

٢- أما الثانية وهي طريقة أهل الخصوص وهم من ذوى الأفهام اللوذعية والأخلاق الرحبة والهياكل النورانية والنفوس الأبية أولئك الذين قد لا يملكون نفوسهم في حال النزوات فطريقهم المجاهدات .. والسالكون بها لا يزالون يرتاضون في قلع ما انطبع في نفوسهم من الأخلاق الذميمة إلى أن تذهب تلك الطباع المكتسبة وترجع إلى فطرتها السليمة .

٣- والقسم الثالث هم ذوو النفوس الرضية والعقول الزكية والفطرة الصديقية التي أبدان أصحابها في نهاية الاعتدال واللطافة وطريقهم طريق المطلوبين إلى الله والطائرين إليه وهي طريق المحبوبين المخطوبين من رب العالمين وملاك السير بها صفاء القلب وصدق الحب والتحقق ظاهرا وباطنا جهرا وسرا بشعائر التصديق فيخرج عن حوله وقوته وعقله وفطنته إلى حول الله وقوته»^(١).

وقال أيضا :

« وبما أن التصوف هو زبدة الديانات ولها وليس مجرد تقاليد وطقوس

(١) انظر جمهرة الأولياء ج ١ ص ١٥٧ / ١٥٨ .

وقواعد ظاهرية كان لكل ديانة تصوفها» (١) .

وهذا الكلام فيه التصريح بأن التصوف لم يكن نبعه الإسلام فقط وإنما هو زبدة الديانات أى أنه ملفق من ديانات شتى وفيه أيضا التصريح بأنه ليس مجرد تقاليد وطقوس وقواعد ظاهرية .

والإسلام كما هو معلوم فيه بيان شامل لكل ما يحتاجه المسلم وهو نظام كامل ولا يجوز تسميته مجرد تقاليد وطقوس علي أن القواعد الظاهرية نسبة إلى الظاهر يقصد بها المنوفي قواعد الشريعة الذين يسميهم الصوفيون أهل الظاهر .

وقد فرق أيضا بين الزاهد والصوفي :

بأن الزاهد هو الذي ينصرف عن الملاذ الدنيوية وينكر على نفسه جميع شهواته وإن أحلها الشرع ويتحمل مرارة الجوع والعطش بصفة مستمرة وصوم دائم .. لا يفعل كل ذلك إلا طمعا في ربح الآخرة والمكافأة بجنت النعيم .

وأما الصوفي فلا يرجو من ذلك شيئا وإنما همه الوقت الحاضر وهدفه أن زهد وأن عبد معرفة الله والاتصال برضوانه» (٢) .

ومعنى هذا أن الجنه والنار لا قيمة لها في نظر الصوفي .

وقال أبو سليمان الدراني في درجة الأبدال ومنزلتهم في العمل :

« لم يبلغ الأبدال ما بلغوا بصوم ولا صلاة ولكن بالسخاء والشجاعة وذمهم أنفسهم عند أنفسهم» (٣)، وهذا الكلام فيه الاستهانة بشرائع الإسلام حيث فضل السخاء والشجاعة وذم النفس على الصوم والصلاة .

وقال أيضا: «إن الله يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي» (٤)، وهذه دعوى صريحة إلى التكاسل في الطاعات وتعريض بفضل الصلاة .

(١) ص ١٥٥ .

(٢) ص ١٥٦ .

(٣) جمهوه الأولياء ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) الرسالة القشيرية ص ٦٠٦ ج ٢ .

وتتضح منزلة التكاليف عند بعض أولياء الصوفية عند الشعراني في تراجمه لكثير من أعلامهم بما لا يدع مجالاً للشك في إلحاد وزندقة هؤلاء الذين يسميهم أولياء ويترضى عنهم أيضاً .

وكمثال على ذلك ما أورده في ترجمته للشريف المجذوب حيث قال :

« وكان أصله جمالاً عند بعض الأمراء ثم حصل له الجذب ... وكان له كشف ومشاقلات للناس الذين ينكرون عليه وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان ويقول أنا معتوق أعتقني ربي وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال وكان رضي الله عنه يتظاهر ببلع الحشيش فوجدوها حلاوة وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار »^(١).

ومن أولئك الأولياء أيضاً بركات الخياط قال عنه الشعراني :

« ومنهم سيدي بركات الخياط رضي الله عنه كان رضي الله عنه من الملامية ... وأخبرني الشيخ عبد الواحد رضي الله عنه أحد جماعة سيدي أبي السعود الجارحي رضي الله عنه قال مدحته للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر وجماعة فقالوا أمضوا بنا نزوره وكان يوم الجمعة فسلم المؤذن على المنارة فقالوا له نصلي الجمعة فقال مالي عادة بذلك فأنكروا عليه فقال نصلي اليوم لأجلكم فخرج إلى جامع المارداني فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر منها ثم وقع في مشخة حمير ففارقوه وصاروا يوبخون الشيخ الذي جاء بهم إلى هذا الرجل وصار الشيخ بركات يوبخ عبد الواحد ويقول أيش هؤلاء الحجارة الذين أتيت بهم لا يعود لك بالعادة أبدا ... وله وقائع مشهورة رضي الله عنه »^(٢).

وأمثلة أخرى كثيرة يوردها الشعراني تدل على مدى استهتار هؤلاء الأولياء

(١) الطبقات الكبرى بتقديم بعض العبارات انظر ج ٢ ص ١٥٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٤٤ .

- حسب زعمه - بالأخلاق والدين والتكاليف فقد ذكر عن علي وحيش ما
يخجل القلم من كتابته وتلعثم اللسان من النطق به (١).

من الأعمال الفاحشة والزنا وفعله بالبهائم وصاحبها قائم أمامه وإن لم يرض
تسمر في مكانه كما يذكر الشعراني ويبدو أن للكشف الصوفي علاقة قوية
بترك التكاليف على حد ما أورده عنهم الشيخ سعيد حوى في قوله :

« يربط بعض الصوفية بين الكشف وترك التكاليف فيرون أن الإنسان متى
كشف له شيء من أمر الغيب وما أكثر ما يتوهون في هذا الشأن سقط عنه
التكاليف فلا صلاة ولا صيام ولا غير ذلك ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى :
﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٢).

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) تربيتنا الروحية ص ٢٠٠ .

الفصل السادس عشر

الأذكار الصوفية

أما الأذكار الصوفية فحدث ولا حرج عن خرافاتهم فيها وقد قدمنا من الأمثلة ما يوضح حال هؤلاء ومدى ما وصلوا إليه من الجهل بربهم والبعد عن هدى خير الأنام هذا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا لقد اخترعوا أذكارا وشرعوا أورادا ما أنزل الله بها من سلطان بل اشتملت على الكفر والزندقة في كثير منها والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ كما اشتملت على كلمات سريانية غير معروفة المعنى وعلى رموز وحروف مقطعة لا يعرف المراد منها وكل صاحب طريقة له أذكار هي أفضل من كل ذكر وأجرها أعظم من كل أجر وماعداه باطل حسب تخرصاتهم في كل ذلك ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ فهم متفرقون قد لا يجمعهم إلا الاتفاق على الرقص وادعاء الوصول إلى الله ومكالمته ورفع الغير والغيرية بينة وبينهم .

مع أن كل صاحب طريقة يدعي أنه يأخذ تلك الأذكار مباشرة عن الله عز وجل أو عن نبيه ﷺ وأحيانا يقظة لا مناما كما يزعمون وفضلوها تفضيلا عاليا ليرفعوا شأنها في نفوس أتباعهم ومريديهم على القرآن والسنة والأدعية المأثورة ويطول البحث لو أردنا ذكر نماذج من تلك الطرق المختلفة والأذكار المتبانية فيما بينها فمنها الأذكار التيجانية التي سبق ذكرها ومنها أذكار البسطامي والرافعي والجيلاني والشبلي وأبو العباس المرسي وآخرون كثيرون ومنها أذكار الطريقة الشاذلية التي زعم أصحابها أن الرسول محمد ﷺ والخضر هما اللذان علما الشيخ أحمد الإدريسي حيث ذكر تلميذه صالح محمد الجعفري ذلك في كتابه مفاتيح كنوز السموات والأرض المخزونة التي أعطاها الرسول ﷺ لشيخ الطريقة الإدريسية المصونة^(١)،

(١) انظر الفكر الصوفي ص ٢٨٤ .

وهي أذكار في غاية الركاكة والكذب على الله ورسوله وعلى رسوله والاعتداء في الدعاء على حق الله ورسوله ولم يكتف هؤلاء بادعائهم أنهم يأخذون أذكارهم عن الله ورسوله فقط بل هناك كما يذكرون بعض الأولياء الذين قد ماتوا هم أيضا يلتقون ببعض المشائخ الأحياء ويعلمونهم أدعية وأورادا لآحد لأجر من يقولها. ولو كان الذكر كلاما لامعنى له في أي لغة من اللغات المعروفة من مثل ما ذكره عن الدسوقي أنه علمهم هذا الدعاء: « بسم الله الخالق يلجمه بلجام قدرته أحمي حميئا أظمي طميئا وكان الله قويا عزيزا حم عسق حمايتنا كهيعص كفايتنا»^(١)، إلخ الذكر الذي يدل على مدى ضحالة معرفتهم بالله ورسوله وعدم التفاتهم إلى ما شرع الله ورسوله ﷺ من الدعاء الواضح المشر في قلب العبد إذا دعا ربه بإخلاص وتوجه .

وقد ذكروا من الأجر لقائل أذكارهم الجوفاء ما لا يحد ولا يعد ولا يتصور في الذهن وقد بيد وعلى تلك الأدعية حرارة الإيمان وصدق الالتجاء إلى الله تعالى ولكنه في الحقيقة ليس موجه إلى الله فقط بل إلى أوليائهم الأحياء أو الأموات أيضا ومدار أذكارهم على الاثبات كما يزعمون فهم يقتصرون على لفظة « الله » بدلا عن لا إله إلا الله ويعللون لهذا المسلك بما لا مقنع فيه حتى للجهال العامة فضلا عن أهل العلم حيث يقولون إن اقتصارهم على لفظة « الله » وتكرارها خوفا أن يموت الشخص عند ذكر النفي في قوله « لا إله » ولا ندرى كيف يقرؤها في القرآن فاعلم أنه لا إله إلا الله وماذا يفعل المؤذن وماذا يفعل الداخل في الإسلام عندما ينطق بالشهادتين وأمور أخرى لا يستطيع العقل أن يتصور مدى التخبط الذي حل بهؤلاء .

ومن غريب أمر بعض الصوفية في أذكارهم أنهم رتبوها على طريقة شيطانية من وحي شياطينهم حيث جعلوا لكل اسم من أسماء الله تعالى ذكرا

(١) المصدر السابق ص ٢٩٠ نقلا عن الأبريز للدباغ .

خاصا به ولطيفة خاصة به فمن ذلك زعمهم أن اسم الله العفو يليق بأذكار العوام لأنه يصلحهم وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره .

وأما اسمه تعالى الباعث فإنه يذكره أهل الغفلة ولا يذكره أهل طلب الفناء وأما اسمه الغافر يلحق لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب وأما من يصلح للحضرة الإلهية فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة وأما اسمه تعالى المتين فإن ذكره يضر أرباب الخلوة وينفع أهل الاستهزاء بالدين .

وهكذا استمر السكندري في وصف أسماء الله وخواصها وكأنما هو طبيب يصف العلاج ومنافعه وقد تقدم ذكر الطريفة التيجانية ونضيف هنا ما استخلصه الشيخ عبد الرحمن الوكيل في بيانه لكيفيات الذكر الصوفي ومراحله فنوجز ذلك فيما يلي :

(بتصرف)

١ - إذا جاء وقت المولد - الأعياد الوثنية - يجتمع الرجال والنساء أو الدراويش والدرويشات كما يحبون تسميتهم بذلك .

٢ - بعد أن يتخموا بطونهم بأنواع المأكولات التي تقدم في هذه المناسبة .

٣ - يقوم الشيخ الكبير ويصفق بيديه اللامعتين من «دسم الحرام إيداناً ببدأ الذكر» .

٤ - يخرج من شفثيه ومنخريه اسم الله ملحدا في حروفه وفي النطق به .

٥ - يقوم المتغزلون بانشاد قصائد غزلية تلهب المشاعر ويصاحبهم المطبلون وأصحاب الآلات المطربة .

٦ - ثم يهب الشيخ ويهب معه المريدون يتمايلون يمنا ويسرة في حركات مثيرة صاخبة كل ينوح على ليلاه والأهات والزفرات والقبل كما رأيتهم بعيني^(١)، هي الشعار العام لهم وكل واحد من الحاضرين يبذل أقصى جهده في إظهار أقوى الحركات والحماس ليلفت الأنظار إليه .

(١) حينما ذهبت في رحلة علمية إلى دولة عربية سنة ١٣٩٧ هـ .

٧ - على الحاضرين أن يستحضر كل واحد منهم صورة شيخه أمامه إن لم يكن موجود أو يستمد منه العون في بدء قيامه بهذا الذكر قائلاً مددك يا أستاذي ثم يستأذن أصحاب الطريق والقدم فيقول دستوراً يا أصحاب الطريق والقدم .

٨ - ينبغي على كل واحد أن يلتزم بطريقة الذكر وهي كما يلي :

١ - أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه .

٢ - أن يبدأ بـ « لا » يمينا ويرجع بـ « إله » فيتوسط ثم يختم « إلا الله » يسارا قبلة القلب .

٣ - إذا ذكر اسماً مفرداً مثل الله أو هو « أوحى » لا بد أن يضرب بذقنه على صدره .

٤ - في كل ذلك يجب أن ينتع الكلمة من سرته إلى قلبه ثم يستمر هكذا في هذه الصور البهلوانية التي هي أقرب إلى الجنون والعريضة منها إلى أقل التفات إلى الله تعالى أو ثوابه وعقابه .

٧ - يجب ملاحظة أن المرید لا يدعو بأى اسم لله إلا إذا سمح له به الشيخ وإلا حصل عليه ضرر شديد .

٨ - ثبت أن تلك الطريقة الصوفية في الدعاء أخذت بتمامها عن اليهود وحيث جاء ذلك في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة في العهد القديم وهو :

« ليتهيج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ليرنموا ، هللوا يا ، سبحوا الله في قدسه ، سبحوه برباب وعود سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوع الهتاف » (١) .

ولقد ذكر ابن عطاء الله السكندري أدعية عن مشائخه وأسياده في الطريقة

(١) انظر ما كتبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل عفا الله عنه ص ١٤١ / ١٤٥ .

وانظر العهد القديم المزامير ص ٦٤١ .

طويلة ممله مملوئة بالتمنوع والتعدى في الدعاء والإشعار بكبرياتهم
وعتوهم وطلبهم الحلول والاتحاد به منه دعاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي وفيه :

« يا عزيز يارحيم ... وأسقط البين بيني وبينك حتى لا يكون شيء أقرب
إلى منك ... اللهم هب لي من النور الذي رأى به رسولك ﷺ ما كان ويكون،
اللهم أرزقني من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة واضربني
بها ضربا تحقق بها من قلبى كل قوة .

باسم المهيمن العزيز القادر أجل كل شيء وهو ناصرى ق . ج ن ص
انصرني»^(١).

ونفس الدعاء السابق أيضا كان يدعو به القطب الكبير أبو العباس أحمد
المرسى بل وزاد عليه أشياء أخرى ومنه :

« اللهم اهدني لنورك ... وهب لي علما يوافق علمك ... وارفع الحجاب
فيما بيني وبينك وأسقط البين عنى حتى لا يكون شيء بيني وبينك واكشف لي
عن حقيقة الأمر ..» إلى أن قال : « كيف يكون ذنبى عظيما مع عظمتك أم
كيف تجيب من لم يسألك وتترك من سألك ؟

إلهي جذبك لي أطمعني فيك ... قاف جيم سران مع سرك هب لي من
نورك ما أتحقق به حقائق ذاتك»^(٢) إلخ .

ثم أورد السكندري دعاء حزب شيخه الشاذلي وفيه :

« لا إله إلا الله نور عرش الله ، لا إله إلا الله نور لوح الله . لا إله إلا الله نور
قلم الله ، لا إله إلا الله نور رسول الله » ثم كرر الدعاء على هذه الصفة إلى أن
قال :

« وتا الله لئن لم ترعني بعينك وتحفظني بقدرتك لا هلكن نفسي ولأهلكن

(٢) لطائف المتن ص ٣٤٣ / ٣٥٤ .

(١) لطائف المتن ص ٣٤٢ .

أمة من خلقك .. يا من به ومنه وإليه يعود كل شيء أسألك بحرمة الأستاذ بل بحرمة النبي الهادي بل بحرمة السبعين والثمانية .. اللهم صلني باسمك العظيم الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء وهب لي منه سرا لا تضر معه الذنوب شيئا .. واجعلني خزانة الأربعين»^(١). إلى آخر ما ورد من أذكار لا تسمن ولا تغني من جوع بل هي سراب يحسبه الظمآن ماءً ومنهم من يدعو بهذا الدعاء بدلا عن سبحان الله وبحمده لا إله إلا الله بدلا عن ذلك يدعو بهذا الدعاء الذي تقشعر منه الجلود وتشمئز منه النفوس وهو من أدعية الطريقة الشاذلية .

«سقاطيس ، سقاطيم آمون قاف آدم حم ها أمين كد كد كر دد ده بها بهيا بهيا بهيات لقفنجل يا أرض خذيههم»^(٢)، نعم يا أرض خذيههم إنها مأساة حقيقية حين توجد تلك الأذكار الجوفاء ثم يتبعها الوجد والرقص والطبول والزغاريد كما نبينه فيما يلي :

(١) المصدر السابق ص ٣٥٥ / ٣٦٥ .

(٢) انظر الفكر الصوفي ص ٢٩٢ ، نقلا عن أبي الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود ص ٢١٠ .

الفصل السابع عشر

الوجد والرقص عند الصوفية

لقد كان للغرام العارم والرقص والتمايل عند الصوفية مكانة ثابتة بل هذا النوع صار من أقوى الشبكات التي يصطادون بها من قلت معرفته بالدين الإسلامي الحنيف وحقاً إنه نوع من الخلل في السلوك والاضطراب الذهني حين يعبدون الله بالرقص والحركات التي لا تمت إلى عبادة الله بأية صلة إلا كما تمت إليها عبادة اليهود من قبل حين حثهم التوراة - المحرفة - العهد القديم - المزامير على وجوب التسبيح لله بالدف والمزامر والعود والربابة .

وعند الصوفية في أوقاتهم الخاصة مجالس يجتمعون فيها على الرقص والغناء والتصفيق والصيح بأصوات منكرة يمزقون فيها ثيابهم ويتمايلون حين يأخذ منهم الطرب مأخذه في حركات بهلوانية لا يفهم منها أى إشارة إلى الخوف من النار أو الرغبة في الجنة . وقد أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الإحتفال بمولد بعض كبارهم أو في أية مناسبة من مناسباتهم الكثيرة يحضر عازفون وموسيقيون ويختلط بعضهم ببعض رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً ويجلس في هذه المناسبة كبار الأتباع يتناولون ألواناً من شرب الدخان وكبار أئمتهم يقرأون عليهم بعض الخرافات المنسوبة لمقبورهم^(١) .

والغناء الذى يترنمون به يشتعل حبا وعشقا وغراما وقصائد وجد وحزن فإذا سئلوا عن ذلك زعموا أنها من الطرق التي توصلهم إلى ربهم أو هو الحب الإلهي كما يسمونه لترغيب الناس فيه .

وهذه الصور البهلوانية الرعناء هي صورة الذكر . فهل كان الرسول ﷺ أو أحد من الصحابة يفعلون مثل هذا التنطع المذموم وهل مثل تلك الحركات

(١) انظر الصوفية معتقداً ومسلماً ص ٢٣٠ .

تشير إلى الخشوع لله تعالى والسكينة في العبادة من قريب أو من بعيد وهل ذلك الاختلاط والتمايل يمكن أن يكون بعيدا عن الشيطان إنها مهازل وسخرية بدينهم . ومع ذلك فهم يتلمسون لهم الأدلة التي يجادلون بها مهما كان سقوطها .

أدلتهم على جواز ذلك والرد عليها :

وهكذا لم يكتف هؤلاء بتلك المسالك التي غلوا فيها إلى أن أخرجوا بعض عباداتهم في صور غنائية ورقص بل حاولوا كذلك أن يوجدوا والتك الأفعال أدلة لمشروعيتها ومن ذلك :

- زعمهم أن سلمان رضي الله عنه حين نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام .

- ومن ذلك أيضا احتجاجهم بقول الله تعالى لأيوب عليه السلام : ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ .

- ومنها قول الرسول ﷺ لعلي : « أنت مني وأنا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل . وقال : لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل » .

- ومنها احتجاجهم لسماح الرسول ﷺ جاريتين تغنيان بحضرة النبي ﷺ وهو مسجى بثوبه فجاء أبو بكر فأنتهرهما فنهاه الرسول ﷺ وقال دعهما فإنها أيام عيد .

- ومنها أن الحبشة زفنت والنبي ﷺ ينظر إليهم .

- واحتج أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما روي عن الشافعي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحذاء يتغنى في دار العاص بن وائل بهذين البيتين .

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب في نسوة عطرات

- فلما رأت ركب النميرى أعرضت وهن من أن يلقيه حذرات
قال فضرب برجله الأرض زمانا وقال هذا مما يلذ سماعه .
- ومنها أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بأية في ورده فتخنقة العبرة ويسقط
ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا .
- ومنها أن الرسول ﷺ قال في حق أبي موسى: « لقد أوتى زمماراً من زمامير
آل داود » .
- ومنها استحسان الرسول شعر النابغة حتى قال له لا يفيض الله فاك ووضع
أيضا المنبر لحسان يقول عليه الشعر في هجاء المخالفين للرسول ﷺ .
- ومنها أن بعض الصالحين رأى الخضر وسأله عن السماع الصوفي فقال له ذلك
هو الصفاء الزلال .
- ورأى أحدهم الرسول ﷺ في المنام فسأله عن سماع الصوفية فقال له الرسول:
ما أنكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختتمون بعده بالقرآن .
- ومنها أن الخضر تواجد حتى سقط على جبهته وصار الدم يقطر منها ولا يقع
على الأرض حين سمع أبياتا من الشعر قالها شخص بحضرته ذكرها
السهروردي .
- ومن أدلتهم أن بعض الصالحين رأى النبي ﷺ وأبا بكر يقول له كلاما والنبي
ﷺ قد وضع يده على صدره كالتواجد بذلك .
- ثم أورد السهروردي أدلة كثيرة عن بعض الصوفيين في حال تواجدهم
بعضهم مشى على الماء وبعضهم لم يحترق بالنار وبعضهم يرتفع أذرعاً عن
الأرض إلى أن ختم السهروردي أدلته وهي كثيرة بزعمه : بهذه القصة :
- وهي أن أعرابيا أنشد رسول الله ﷺ :
- قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طيب لها ولا راقى

إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقني

فتواجد رسول الله (ﷺ) وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ثم قسم رداءه بينهم حيث مزقه إلى أربعمائة قطعة (١) .

تلك أهم الحجج التي يتمسك بها الصوفيون في مشروعية لهوهم وتواجدهم فما مدى صحة استدلالهم وهل مذكروه من تلك الروايات كلها صحيحة أو هل كان فهمهم لها فهما صحيحا .

والجواب عن هذه الاحتجاجات : يحتاج إلى دراسة ووقت ولكن أكتفي هنا بإيجاز الرد عليهم في دفع حججهم وأدلتهم بأنها احتجاجات واهية وتلفيق غير مقبول ومزاعم لاصحة لها :

- فأما ما رووه عن سلمان فإنه كذب ومحال كذلك . فقد رويت هذه القصة بلا سند . ثم إن الآية نزلت بمكة بالاتفاق كما قال القرطبي وسلمان إنما أسلم بالمدينة كما هو معلوم . ثم إن الرسول ﷺ كان ينهي أشد النهي عن مثل هذه الأمور المنافية للوقار والخشوع فإنه كان ﷺ يبغض الصياح أو إظهار التخشع عند سماع القرآن أو المواعظ إلا في الحدود المشروعة ومن ذلك ما رواه أنس قال : « وعظ رسول الله ﷺ يوما فإذا برجل قد صعق فقال النبي ﷺ : «من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقا فقد شهر نفسه وإن كان كاذبا فمحقه الله» (٢) .

وقد عرف عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يخشعون تمام الخشوع . فتذرف عيونهم وتخاف قلوبهم ولم يصعق أحد منهم وهم أعرف

(١) انظر عوارف المعارف ص ١٢٤ - ١٤٧ وانظر كتاب حزب الرحيم ج ١ ص ١٧٩ (هامش

جواهر المعاني) . وانظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٢٣٠ .

وانظر الرسالة القشيرية ج ١ ص ٢٤٦ إلى ص ٢٥٣ .

(٢) تلبس إبليس . ص ٢٥٢ .

بالله من غيرهم وأتقى له وأكثر انقيادا وقبولا للحق وأشد تمسكا به ولو كان ذلك الوجد والهيام والصعق خيراً لما سبقهم أحد إليه .

- وأما احتجاجهم بقول الله تعالى لأيوب ﴿ اركض برجلك ﴾ فهذا احتجاج يدل على جهل صاحبه بحقيقة حال أيوب المبتلى بما لا يصبر عليه أحد إلا من أعانته الله وقوى يقينه فإنه يقال لهذا المحتج إن الله لم يأمر أيوبا بضرب رجله فرحا وطربا وإنما أمر بضرب رجله من باب فعل الأسباب إكراما من الله تعالى له ثم أنه لم يركض برجله ابتداء وإنما تنفيذا للأمر وكذلك لإشعاره بتغير الحال والحكم أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى ليس منها جواز الرقص ولم يك حاله يستدعي أن يضرب برجله الأرض تواجدا وطربا إلا عند الجفافة

وأما احتجاجهم بحجل علي وجعفر وزيد فإن الحجل هو نوع من المشي يفعل عند الفرح وارتياح النفس أحيانا ليعبر الشخص به عن فرحه دون قصد الرقص والتمايل والصحابة « هؤلاء لم يكن منهم رقص ولا تمايل ولا إنشاد قصائد الغزل المهيجة فليس فيه دلالة على ما يريد المتصوفة وما فعله هؤلاء الصحابة إنما كانت حالة عارضة لا قصد لهم فيها لإظهار الطرب والتواجد .

- وأما احتجاجهم بزفن الحبشة فإن الزفن أيضا نوع من المشي مع الرقص ويشير كذلك إلى الاعتداد بالنفس .

وأكثر ما يفعل عند اللقاء في الحرب إظهاراً للشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وليس المقصود منه الرقص والطرب كما يرى الصوفية .

وأما ما ذكروه عن سعيد بن المسيب - رحمه الله - فإنه مكذوب عليه وليس هذا شعره وهو أوقر من أن يصل إلى هذا الحد .

وهذه الأبيات فيما يذكره الأدباء قالها محمد بن عبد الله بن نمير الشاعر الثقفي يتغزل فيها بزینب بنت يوسف الثقفي أخت الحجاج . وقد هرب بعد ذلك إلى عبد الملك خوفاً من الحجاج فسأله عبد الملك بن مروان عن الركب

ماذا كان؟ فقال له كانت أحمره عجافا حملت عليها قطرانا من الطائف فضحك عبد الملك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه .

ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس في ذلك حجة على جواز الرقص ولا أنه ضرب بها وهو يريد الرقص فإن الإنسان قد يضرب برجله الأرض أو يدقها لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصا منه بل إن الإنسان قد يضرب برجله الأرض إما فرحا وإما غضبا وغيظا^(١).

وأما احتجاجهم بسماع الرسول للجاريتين فهو استدلال غريب منهم على جواز الرقص والتمايل والتواجد ذلك أن الرسول ﷺ كان مسجى بثوبه وهم حينما يتواجدون لا يتدثرون بثيابهم بل تعلقو هممهمهم ويشتد عراكمهم ويمزقون ثيابهم فأين فعلهم من فعل الرسول ﷺ ؟ .

كذلك فإن الجاريتين كانتا تنشدان كلاما ليس فيه غزل أو تشبيب أو خروج عن حد الوقار والأدب .

وكان الحال يستدعي الترويح عن النفس خصوصا وأنه يوم عيد وعائشة رضي الله عنها كانت جارية شابة .

وأما استدلالهم بما ينسبونه إلى عمر رضي الله عنه من أنه كان يلزم البيت اليوم واليومين حينما يسمع بعض الآيات في ورده .

فإنه لم يعرف أن الصحابة كانت لهم أوارد يرددونها على طريقة الصوفية بل ولم يعرف عنه أنه يمرض اليوم واليومين بسبب ما يسمعه من بعض الآيات لا هو ولا غيره من الصحابة .

وأما استدلالهم بحسن صوت أبي موسى فليس فيه دليل على الوجد الصوفي وإنما هو إخبار من الرسول ﷺ بتلك النعمة التي أعطىها أبو موسى

(١) انظر الصوفية معتقدا ومسلكا ص ٢٣١ .

فهل كان الصحابة يرقصون على سماع قراءته أو يصعقون أو يمزقون ثيابهم ؟
كلا .

وكذلك استحسان الرسول ﷺ لبعض الكلام أو الشعر ليس فيه دلالة
للصوفية فإن الرسول ﷺ كان يستحسن أشياء ويستقبح أشياء وهذا أمر طبيعي
في النفوس .

وأما ما يحشده أقطاب التصوف من الأدلة بالرؤى المنامية أو بمقابلتهم
للخضر فإنها أدلة باطلة حتى ولو كان الرائي ثقة فإنه لا يتعبد برؤياه فما بالك
وتلك الرؤى الصوفية عن مجهولين إضافة إلى التكلف الظاهر في رواياتهم .

وزعمهم أن الرسول ﷺ كان يطرب ويتواجد ويضرب بيده على صدره
ويزق ثيابه ويعطيها لأصحابه كله كلام يدل على عدم احترامهم للرسول ﷺ
وعدم معرفة قدره العظيم . فهل كان يصل به التواجد إلى حد أن يسقط رداءه
عن منكبيه من سماع تلك الأبيات الفارغة . قد لسعت حية الهوى كبدي ؟.

وما ذكره السهروري من أن بعض أقطاب التصوف يكاد أن يطير أو يرتفع
من الأرض أذرعاً أو يدخل الشمعة في عينه أو يطأ النار ولا يحس بها أو يمشي
على الماء أو غير ذلك من الحركات البهلوانية العشوائية التي يفعلها هؤلاء فلا
ريب أنها من أقوى الدلائل على تلاعب الشياطين بهم وإخراجهم عن حد
الأعتدال الذي أقل ما يوصف به أنه ينافي الخوف من الله تعالى والرغبة في
المغفرة .

الفصل الثامن عشر

الكرامات وخوارق العادات عند الصوفية

للأولياء الحقيقين كرامات لا تنكر وقد كان للصحابة رضي الله عنهم من الكرامات ما هو جدير بهم وكان لغيرهم من الأولياء والعلماء كرامات كثيرة، وهدفنا هنا من ذكر الكرامات وخوارق العادات هو بيان تلك الكرامات والخوارق التي تتم على أيدي أناس ليسوا من أولياء الله وليس لهم صلاح يؤهلهم لذلك . وبيان أن ذلك من مكائد الشيطان وتلبيسه على الناس بأن يظهر لبعضهم أموراً غيبية تبدو كأنها كرامات من الله للشخص فيتخيل أنه بلغ منزلة عالية فاق فيها غيره من الناس وأنه أصبح يماثل الأنبياء في كراماتهم وقربه من الله . وهذه الحال كثيرة الوقوع لمن يدعون أنهم أولياء لله وأكثرهم في الحقيقة أعداء له وموالين لشياطينهم . ومن تلاعب الشياطين بهؤلاء :

أن يسمع أحدهم صوتاً من حجر أو شجر أو صنم يأمره وينهاه بأمر في أولها أحياناً الشرك بالله فيظن المغرور أن الله خاطبه أو الملائكة على سبيل الكرامة ومعلوم أن الله لا يأمر بالفحشاء والملائكة لا تأمر بالشرك بالله وإنما أولئك هم الشياطين يلبسون عليهم أمورهم كما كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام أيضاً . وقد يظن هؤلاء أن ذلك وحي من الله عليهم كما حصل لكثير من الذين قلت معرفتهم بالله كالختار بن أبي عبيد الذي أخبر عنه الرسول ﷺ أنه كذاب ثقيف وغيره ممن استهوتهم الشياطين .

ومنها : أن الشياطين قد تتمثل بصورة المستغاث به من الناس فيظن المشرك بالله أن هذه الصورة هي الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني أو أن ملكاً جاء على صورته . وإنما هو في الحقيقة شيطان تمثل له ليضل به ومنها : أن تخاطب الشياطين بعض العباد الجهال ويوهمونه أنه المهدي المنتظر وصاحب الزمان الذي بشر به الرسول ﷺ ويغرونه بزخرف القول وشتى الوسوس حتى يصدق نفسه فيدعي

المهدية وغير ذلك. بل يبلغ الحال ببعضهم أن يرى الكعبة تطوف به ويرى عرشاً عظيماً وعليه صورة عظيمة وأنواراً وأشخاصاً تصعد وتنزل فيظنها الملائكة بين يدي الله تعالى وأن الله كشف له النظر إليه .

وهذا يتطلب من المؤمن العاقل التنبيه لمثل هذه المكائد الشيطانية بلجوثه إلى الله والاهتداء بهديه وسوء الظن بنفسه الأمانة بالسوء وأن ينظر إلى نفسه من باب الذل والاحتقار والحاجة إلى ربه ويزن أعماله بامثاله أوامر الله واجتنابه نواهيه فيحكم على نفسه عند ذلك بالتقصير أو القرب من الله تعالى .

ويكبح جماح نفسه الأمانة بالسوء وأن لا يصدق ما يترأى له من كرامات تنافي الإسلام مثل أنواع الكرامات التي تبجح بها بعض غلاة الصوفية لأنفسهم كما ذكرها المناوي وهي :

١ - إحياء الموتى . وقد مثل بأبي عبيد اليسرى الذي أحيا دابته بعد ما ماتت ومفرج الدماميني الذي أحيا الفراخ المشوية والكيلاني وأبو يوسف الدهماني الذي أحيا لتلميذه ولده بعد ما مات .

٢ - ومن الكرامات التي يزعمونها أن الأولياء من الصوفية لهم القدره على المشي على الماء وكلام البهائم وطى الأرض . وظهور الشيء في غير موضعه والمشي على السحاب وتحويل التراب إلى خبز وإبراء الأكمه والأبرص .

٣ - ويذكر على حرازم منهم أن الولي يملك كلمة التكوين فإذا أراد شيئاً فإنه يقول له كن فيكون . وقد ذكر أمثلة كثيرة في كتابه جواهر المعاني لمثل هذا الخلط والكذب على الله وعلى الناس .

٤ - ومن المعجزات والكرامات التي يملكها الأولياء من الصوفية حسب زعمهم سماع نطق الجمادات كما يزعم ابن عربي الذي ملأ كتبه بأنواع الأكاذيب حول تلك المعجزات والكرامات الصوفية .

٥ - ضمانه الجنة لمن أطعم صوفياً أو قضى له حاجة كما ضمن ذلك التيجاني لكل من أحبه أو أطعمه أو أحسن إليه بأى شيء كما يذكر التجانيون في كتبهم افتخاراً بكرامات سيدهم التي منها هذه الكرامة التي أكدها على حرازم والفوتى نقلاً عن التيجاني .

وكل تلك الكرامات أشبه ما تكون بأحلام الصبيان أو صرعات المجانين وتكذيبها والسخرية بها لا تحتاج إلى ضياع الوقت في الاشتغال بالردود عليها وبيان سخافتها ودجل من يدعيها ممن جرؤ على الكذب على الله وعلى الناس وضلوا أتباعهم وأخرجوهم عن الإسلام من حيث لا يشعرون أولئك الأتباع لأنهم أصبحوا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة من كلام أقطاب التصوف في الكرامات التي يزعمونها لأنفسهم أو لأوليائهم لترى مدى العقول البعيدة عن الحق والأفكار الرديئة التي انطوت عليها الزعامات الصوفية .

يقول عبد الكريم القشيري عن كرامات أبي الحسين النوري أنه قال : « كان في نفسى شيء من هذه الكرامات فأخذت قصبه من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت وعزتك إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقت نفسي قال فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال » (١).

فهذا جاهل بحق ربه وأراد أن يقتل نفسه وقد صادف أو كان بفعل الشيطان ليغويه أن خرجت له تلك السمكة ولم يكن مسلك الأولياء على هذا النحو وقال عنه :

« وحكي عن النوري أنه خرج ليلة إلى شط دجلة فوجدتها وقد التزق الشيطان فانصرف وقال وعزتك لا أجوزها إلا في زورق » .

(١) الرسالة القشيرية ص ٦٧٦ ج ٢ .

وقد فسر ذلك العروسي فقال : « أى التقيا له الشيطان بحيث لو مد رجله كان على الشط الآخر فانصرف وقال تأدبا واعترافا بتوالى نعم الله عليه في كل خارق وعزتك لأجوزها إلا في زورق كسائر الناس »^(١).

فكيف يكون الأدب مع الله أن ترد مكرمه إلا عند القشيري والنورى وقال أبو الحارث « الأواشي مكثت ثلاثين سنة ما يسمع - أى ينطق - لسانى إلا من سرى ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سرى إلا من ربي »^(٢).

« وكان يحيى بن سعيد يتعبد في غرفة ليس إليها سلم ولا درج فكان إذا أراد أن يتطهر يجيء إلى باب الغرفة ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويمر في الهواء كأنه طير ثم يتطهر فإذا فرغ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته »^(٣).

وقال أبو يعقوب السوسي : « جاءني مرید بمكة فقال يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه وكفني بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعت في اللحد ففتح عينيه فقلت أحياة بعد موت؟ فقال أنا حي وكل محب لله حيي »^(٤).

وأما بالنسبة للخضر فحدث ولا حرج لقد ملأ الصوفيون كتبهم بحكايات عن الخضر لا حد لها ولا حصر إذ لا يخلو كتاب من كتبهم من نسج القصص والأساطير عليه ومفادها أن الخضر يجيب كل من يستغيث به في أي بلد كان .

ويذكر القشيري أنه حدث ابن أبي عبيد اليسرى عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال يارب أعرنه حتى نرجع إلى بسرى يعني قريته فإذا المهر قائم إلخ القصة .

ومثل هذه القصة قصة أخرى وقعت لأحد الأولياء ذكرها أبو سبرة

(٢) ص ٦٨٢ .

(١) ص ٦٧٨ .

(٤) ص ٧٠٠ .

(٣) ص ٦٨٥ .

النخعي^(١)، وذكر السكندري أنواعا من الكرامات التي تحصل للولي فقال :

«ثم إن هذه الكرامات قد تكون طيا للأرض ومشيا على الماء وطيرانا فى الهواء واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة وتكثير الطعام أو الشراب أو إتيانا بثمره فى غير إبانها وانبعاث ماء من غير حفر أو تسخير حيوانات عادية أو إجابة دعوة بإتيان مطر فى غير وقته أو صبر عن الغذاء مدة تخرج عن طور العادة أو إثمار لشجرة يابسة مالميس عادتها أن تكون مثمرة له»^(٢).

ونقل عن المرسى قوله: «وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه جلت فى ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين إلخ»^(٣).
وذكر السكندري عن الصوفي القرشي أنه جاءه الخضر بزيتونه من نجد وكان به مرض الجذام فقال له كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك فقال له إذهب أنت وزيتونتك لا حاجة لي بها»^(٤).

ثم شرع السكندري كغيره من علماء الصوفية فى ذكر فضائل الخضر وأفعاله مع الأولياء الصوفية وأورد قصصا فى ذلك كثيرة ورد على الذين ينكرون وجوده بدليل أن إبليس موجود الآن فلا ينبغي جحد وجود الخضر وهذا الدليل من أبعد ما يكون عن الصواب لأن وجود إبليس بنص القرآن والسنة ووجود الخضر إلى الآن لا دليل عليه لا عقلا ولا نقلا .

وكرامات كثيرة يذكرها السكندري لمشائخه لا يصدقها عاقل نترك ذكرها هنا ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب السكندري «لطائف المنن» حيث ملأه بكرامات وبشطحات أولئك المشائخ بما لا يجرؤ أى مسلم يخاف الله أن يتناول على الله وعلى رسله ولو بأقل من تلك الشطحات الخرقاء من دعوى

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٧١٢ .

(٢) لطائف المنن ص ١٢٣ .

(٣) ص ١٤٦ .

(٤) ص ١٥٣ .

علم الغيب بكل شيء في هذا الكون مهما كان حقيرا في ليل أو نهار ومن دعوى الاتحاد بالله ومجالسته ومن دعوى مصاحبة النبي محمد ﷺ في كل وقت ومن دعوى مشاهدة الجنة دائما وأشياء أخرى حين يقرأها المسلم يقول ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

ومثل ما خاض فيه السكندري خاض فيه أيضا الشعراني ولا أرى أن المقام يسمح بذكر نماذج من تلك الكرامات الخيالية التي زعمها الشعراني لأقطاب التصوف الذين ترجم لكل واحد منهم وجاء في تراجمهم بما لا يقوله إنسان سليم الفطرة سليم العقل عنده أدنى معرفة بالدين الإسلامي . إنها جرائم حثسها الشعراني في طبقاته على أنها كرامات لأولئك الذين زعم كذبا أنهم أولياء أقل ما فيها الاستهانة بجرائم اللواط والزنا والشذوذ الجنسي - كما يسمى في عصرنا - ومن غريب أمره أنه يذكر الشخص منهم ثم يأتي في ترجمته وكراماته بما ينكس الرأس حياء ثم يختمها بقوله عنه - رضي الله عنه - .

ولو أن هؤلاء الصوفية من أمثال ابن عربي والمنوفي والسهوروي والشعراني والسكندري وعلى حرازم والفوتي ذكروا كرامات قليلة وفيها نوع من التعقل لكنك نقلتها هنا ولكن لا حيلة في ذلك وكتبهم كلها مملوءة بكرامات كل واحدة تلعن أختها^(١) ، ومن هنا أعرضت عن ذكر ذلك وكنت مثل خراش الذي قال فيه الشاعر :

تكاثر الضياء على خراش فما يدرى خراش ما يصيد

على أن بعض تلك الكرامات لا تستحق أن تذكر لأحد إذ فيها الاستهانة بالأخلاق والآداب العامة وفيها التشجيع على اللهو والفسق .

(١) انظر الفتوحات المكية ٤ أجزاء، جمهرة الأولياء جزئين عوارف المعارف مجلد، طبقات الشعراني ٢ جزئين ولطائف المتن ١ مجلد جواهر المعاني ٢ جزئين رماح حزب الرحيم جزئين، هامش جواهر المعاني وغيرها من كتب الصوفية الذين غلوا في دينهم .

الفصل التاسع عشر

زعماء الصوفية

للسوفية زعماء كثيرون ليس من السهل حصرهم وذكر تراجمهم غير أننا نحيل من أراد التوسع في تراجمهم إلى كتب الصوفية أنفسهم .

وقبل إيراد بعض تلك الكتب أحب التنبيه إلى أن بعض علماء الصوفية حينما كتبوا تراجم لمشاهيرهم وأسلافهم ارتكبوا جرماً في حق الصحابة رضوان الله عليهم وفي حق غيرهم من خيار المسلمين وعلمائهم حيث حشروهم في سلسلة واحدة مع كبار غلاة وفساق الصوفية الذين وصل بهم الاستهتار بالأخلاق وبأمور الدين الشرعية وبالآداب الإسلامية بل والعرفية إلى حد يستحي الإنسان من ذكرها وأعمال لا يتصور وقوعها من جهال المسلمين فما الظن بطلاب العلم بل وما الظن بأولياء الله ؟

و كنت قد جمعت عدة أوراق في تراجم أقطاب التصوف ولكني رأيتها أليق بكتب التاريخ وتطول بها هذه الدراسة فاكتفيت بذكر بعض المراجع التي اهتمت بدراسة شخصيات علماء التصوف ونقل أخبارهم وشطحاتهم وكشوفاتهم ومنزلتهم عند الله وعند الناس وما آل إليه أمر كل واحد منهم ومن أهم تلك الكتب :

١ - الرسالة القشيرية : لأبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري الشافعي ٤٧١ - ٤٦٥ هـ وهي مجلدين خصص المجلد الأول من ص ٦١ إلى آخره لتراجم مشائخ التصوف أبتدأه بهذا العنوان، (فصل في ذكر مشائخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة)^(١) ثم ذكر ترجمة لثلاثة وثمانين شخصاً ٨٣ من كبار زعماء التصوف .

(١) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٦١ .

٢ - الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار تأليف
عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني .
ظهر في القرن العاشر الهجري .

والطبقات مجلدين خصصها لتراجم كبار علماء الصوفية من رجال ونساء .
وقد ترجم لأربع مائة وأربعة وعشرين شخصا ٤٢٤ بإضافة مشائخه
وعدددهم ٨٧ شخصا وقد بدأ تراجم هؤلاء بأبي بكر الصديق رضي الله عنه
وختمهم بعلي بن شهاب جده الأدنى ثم ابتداء بمحمد المغربي الشاذلي وختمهم
بالشيخ علي العياشي .

٣ - جمهرة الأولياء اعلام أهل التصوف ، تأليف محمود أبو الفيض المنوفي
الحسيني . مجلدين خصص الجزء الثاني لترجمة كثير من الأعلام أعلام الصحابة
وأهل الصفة ثم ترجم لعدد من أعلام التصوف تحت عنوان « طبقة التابعين
وتابعيهم ذكر التابعين من الأولياء » (١) .

ثم ترجم لسبعة وثمانين شخصا حشر بعض الفضلاء من أعلام الإسلام مع
كبار الغلاة من الصوفية دون تمييز .

٤ - كتاب عوارف المعارف لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن
محمد بن عموية الصديقي القرشي التميمي البكري الشافعي الملقب بشهاب
الدين السهرودي ٥٣٩ - ٦٣٢ هـ ، لم يبرز التراجم لرجال الصوفية في هذا
الكتاب إلا أنه ذكر كثيرا من أعلام التصوف في ثنايا أبواب الكتاب .

٥ - لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري وطريقته مثل طريقة السهرودي .

٦ - جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني
تأليف / علي حرازم ابن العربي برادة المغربي .

(١) ص ٨٠ ج ١ .

٧ - كتاب رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم تأليف/عمر بن سعيد الفتوي الطوري الكدوى .

وجواهر المعاني مجلدين. وكذا « الرماح » مجلدين بهامش كتاب جواهر المعاني.

اهتم المؤلفان ببيان الطريقة التيجانية وذكر التيجاني وكبار أتباعه بتوسع تام .

٧ - وقد ألف بعض العلماء مؤلفات خاصة عن بعض شخصيات الصوفية مثل ابن عربي والبسطامي . والتيجاني ، والنقشبندی وابن سبعين والغزالي وابن الفارض والحلاج والجيلاني .

بعض المراجع عن الصوفية

كتب الصوفية

- ١ - الرسالة القشيرية . للقشيري .
- ٢ - عوارف المعارف . للسهروردي .
- ٣ - لطائف المنن . للسكندري .
- ٤ - جمهرة الأولياء . للمنوفي .
- ٥ - جواهر المعاني . على حرازم .
- ٦ - رماح حزب الرحيم . الفتوي .
- ٧ - الطبقات الكبرى . الشعراني .
- ٨ - الفتوحات الربانية . ابن عربي .
- ٩ - فصوص الحكم . ابن عربي .
- ١٠ - تائية ابن الفارض . ابن الفارض .
- ١١ - تخريج الأربعين السلمية في التصوف . للسخاوي تحقيق علي حسن .
- ١٢ - الهداية الرباية في فقه الطريقة التجانية . محمد السيد التجاني .
- ١٣ - الغنية لطالبي طريق الحق . عبد القادر الجيلاني .
- ١٤ - رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات: لجنة جماعة الصوفية في ألورن .

ومن الكتب التي ألفها علماء الإسلام من غير الصوفيين

- ١ - الصوفية والفقراء . شيخ الإسلام ابن تيمية
- ٢ - الجزء ١١ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام .
- ٣ - هذه هي الصوفية . عبد الرحمن الوكيل .
- ٤ - الفكر الصوفي . عبد الرحمن عبد الخالق .
- ٥ - التصوف معتقداً ومسلماً . صابر طعيمة .
- ٦ - التصوف المنشأ والمصدر . إحسان إلهي ظهير .
- ٧ - التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث مصطفى حلمي .
- ٨ - إلى التصوف يا عباد الله . الجزائرى
- ٩ - التجانية . على بن محمد الدخيل الله .
- ١٠ - رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي . جمع وتحقيق موسى الدويش
- ١١ - النقشبندية عرض وتحليل . عبد الرحمن دمشقية
- ١٢ - كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق / عبد القادر حبيب الله السندى .
- ١٣ - الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية . محمد تقي الدين الهلالي
- ١٤ - الصوفية نشأتها وتطورها . محمد العبدة طارق عبد الحليم
- ١٥ - نظرات في معتقد ابن عربي . كمال محمد عيسى .
- ١٦ - الرفاعية . عبد الرحمن دمشقية .
- ١٧ - نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام . ساره عبد المحسن السعود

تتمة المنهج

لقد استحسن بعض أعضاء قسم العقيدة إضافة بعض الجوانب عن المرجئة وبعض المسائل عن فرق إسلامية كان لها دور بارز في قيام مفاهيم جديدة على العقيدة الإسلامية التي عليها أهل السنة والجماعة .

ومما أحب التنبيه عليه أن تلك الفرق التي سنأخذ بعض الفقرات عنها تعتبر من الفرق الأساسية في تقسيم الأمة الإسلامية وتفرقهم وقد حظيت تلك الفرق بالدراسة الواسعة من قبل علماء الفرق ومؤلفي العقائد الإسلامية وقد ألفت فيها مؤلفات لا تكاد تحصر كما أنها قد مرت دراستها بصفة عامة على طلاب هذه المرحلة من الدراسة ، ولا يزالون أيضا يدرسونها في مادة التوحيد .

ومن هنا فإننى سأكتفى بذكر الفقرات المستحسن إضافتها إلى المنهج تاركاً ما عدا ذلك من أخبار تلك الفرق سواء التاريخية منها أو العقدية ، فهي كما تقدم تحتاج إلى مؤلفات لدراستها وبيان ما قاله علماء الإسلام عنهم ولعل ما أكتبه هنا يصح أن يوصف بأنه من باب التذكير بالمعلومات السابقة أسأل الله أن ينفعني وإخواني طلاب العلم بما نقرأ ونسمع وأن يرزقنا حسن النية والرغبة في خدمة الإسلام والمسلمين فهو القادر على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الباب العاشر المرجئة

أولا : تمهيد :

المرجئة من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور وقد احتلت مكانا واسعا في أذهان الناس وفي أهتمام العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم بين مدافع عنهم ومحاج لهم وبين معجب بأدلتهم وبين داحض لها . ومن هنا نجد أن المقصود بالإرجاء بالذات لم يتفق علماء الفرق والمقالات على تعيينه دون اختلاف كما أن قضية الإرجاء قد جرت كثيرا من علماء الأمة الإسلامية المشهورين إلى « الركون إليها على تفاوت في المواقف والمفاهيم حيالها ووجد بعض علماء السلف طريقا إلى انتقاد مسالك آخرين ووجد لهؤلاء مدافعين عنهم ومؤيدين لفكرتهم دفاعا قد يصل إلى درجة التعصب ولي أعناق النصوص لتوافق ما يذهبون إليه كما وجد قسم من المدافعين حاولوا جهدهم لتقريب وجهات النظر بين القائلين بالإرجاء وبين مخالفينهم فيه .

ولقد أخذت تلك الخصومات أشكالا من العنف واللين كما التهمت كثيرا من الأوقات والجهود التي لو كانت قد بذلت في خدمة ودراسة العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة ومعتقد السلف لكان لها من النفع والخير ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ولكنها ذهبت حول تقرير حقيقة الإرجاء والرد عليه وجمع أدلته والوقوف عندها واستنتاج مفاهيمها ومقارنة بعضها ببعض الآخر وكان بكفى للانتهاء عن الخوض في هذه القضية وقفة واحدة مثالية ومواجهة الحقيقة التي طالما أغفلها

هؤلاء وألك ألا وهى أن الإرجاء الذى هو بمعنى ترك الأعمال وعدم الاهتمام بها لا مكان له في الواقع إلا عند المتأخرين الذين يريدون التحايل والانفلات بأى وسيلة ذلك أن الذين قرروا الإرجاء في بدأ أمرهم كانوا عند التحقيق من أكثر الناس عبادة وعملا بدليل أنك تجد الشخص منهم يحث على الإرجاء بكلام قد ألفه وحفظه ولكن إذا جاء إلى ميدان العمل تجده من المحرضين على اغتنام الفرص والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة فلم يبق للإرجاء عنده إلا ذلك الجزء من الكلام المردد في إيقاظ الخصومة (١) .

ومن هنا نجد أن شيخ الإسلام رحمه الله وقد قدم دراسة وافية للمرجئة يذكر أن السلف كانوا يصلون خلفهم ويترحمون عليهم وإنما يشنعون عليهم مسلكهم الخاطيء في تأخير العمل عن حقيقة الإيمان وهؤلاء هم مرجئة الفقهاء بخلاف مرجئة الجهمية الغلاة (٢) .

وقبل البدء بتفاصيل الفكر المرجئى وبيان نشأته وما آل إليه ، قبل هذا نذكر على سبيل الإيجاز التعريف بالمرجئة لغة واصطلاحا .

(١) انظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى و انظر كلام عمر بن ذر الهمداني - حلية الأولياء ج ٥ ص ١٠٨ .

الفصل الأول

التعريف بالمرجئة لغة واصطلاحاً

وبيان أقوال العلماء في ذلك

١ - الإرجاء في اللغة : يطلق على عدة معاني منها : الأمل والخوف والتأخير وإعطاء الرجاء وقد يهمز وقد لا يهمز . قال تعالى : ﴿ وترجون من الله ما لا يرجون ﴾^(١) أى لكم أمل في الله لا يوجد عندهم وقال تعالى : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقاراً ﴾^(٢) أى مالكم لا تخافون من عذاب الله تعالى .

أما الإرجاء بمعنى التأخير فمثل قول الله تعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾^(٣) قرئ أرجه وأرجئه أى أخره ، وقال تعالى : ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله ﴾^(٤) .

ويذكر الأزهري حال استعمال الرجاء بمعنى الخوف بقوله : « إنما يستعمل الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه حرف نفي ومنه قوله تعالى : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ المعنى مالكم لا تخافون لله عظمة - قال الفراء وقد قال بعض المفسرين في قول الله : ﴿ وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ أن معناه تخافون^(٥) والإرجاء يهمز ولا يهمز قال ابن السكيت : يقال أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته قال الله جل وعز : ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله ﴾ وقرئ مرجئون وقرئ أرجه وأخاه وقرئ أرجئه وأخاه . قال : ويقال هذا رجل مرجئ وهم المرجئة وإن شئت قلت مرج وهم المرجية . . . وقال غيره إنما قيل لهذه العصابة مرجئة لأنهم قدموا القول وأرجؤا العمل - أى أخروه^(١) .

(١) سورة النساء آية (١٠٤) وانظر تفسير ابن كثير ٥٥٠/١ (٢) سورة نوح آية (١٣) .

(٣) سورة الأعراف آية (١١١) والشعراء آية (٣٦) . (٤) سورة التوبة آية (١٠٦) .

(٥) قال ابن كثير في معنى الآية « أى أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وأياهم من الجراح والآلام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق وخير صدق وهم لا يرجون شيئاً من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلانها ١٠ / ٥٥٠ .

تعريف الإرجاء في الاصطلاح :

اختلفت كلمة العلماء في المفهوم الحقيقي للأرجاء مفاد ذلك نوجزه فيما

يلي :

١ - أن الإرجاء في الاصطلاح مأخوذ من معناه اللغوي - أى بمعنى التأخير والإمهال - وهو إرجاء العمل عن درجة الإيمان وجعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان لأنه جزء منه وأن الإيمان يتناول الأعمال على سبيل المجاز بينما هو حقيقة فى مجرد التصديق كما أنه قد يطلق على أولئك الذين كانوا يقولون لا تضرب مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

كما أنه يشمل أيضا جميع من أخر العمل عن النية والتصديق .

٢ - وذهب آخرون إلى أن الإرجاء يراد به تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه في الدنيا بحكم ما (٢).

٣ - وبعضهم ربط الإرجاء بما جرى في شأن على رضى الله عنه من تأخيره فى المفاضلة بين الصحابة إلى الدرجة الرابعة (٣) أو إرجاء أمره هو وعثمان إلى الله ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا كفر وخلص بعضهم من هذا المفهوم إلى وصف الصحابة الذين اعتزلوا الخوض فى الفتن التي وقعت بين الصحابة وخصوصاً ماجريين على ومعاوية من فتن ومعارك طاحنة خلصوا إلى زعم أن هؤلاء هم نواة الإرجاء حيث توقفوا عن الخوض فيها واعتصموا بالسكوت وهذا خطأ من قائله فإن توقف بعض الصحابة إنما كان بغرض ريثما تتجلى الأمور واستندوا إلى مفهوم قول الرسول ﷺ إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد

(١) انظر تهذيب اللغة ١١/١٨١، ١٨٣، وانظر معاجم اللغة مادة « رجا » :

(٢) انظر مقالات الأشرى تعليق ج ١ ص ٢١٣ .

(٣) هذا هو الصواب فإن ترتيب الخلفاء فى الفضل مثل ترتيبهم فى الخلافة ويبدو الأثر الشيعي فى هذا القول واضحا .

فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها ألا فإذا نزلت - أو وقعت - فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه قال : فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة»^(١).

ومن هؤلاء الصحابة الذين امتنعوا عن الخوض في تلك الأحداث المؤسفة: سعد بن أبي وقاص ، وأبو بكرة راوى الحديث السابق وعبد الله بن عمر وعمران ابن الحصين حيث توقفوا ثم أرجأوا الحكم في تلك الفتن وفوضوا أمر المختلفين فيها إلى الله سبحانه وتعالى . فلم يحكموا بتخطئة أحد أو تصويبه مع اعترافهم بفضل الجميع فكيف يعتبر هؤلاء هم أساس الإرجاء فإن موقفهم لا يعد التوقف عن الدخول عن نصرة أحد بالسيف وهم في توقفهم كانوا يستندون إلى النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة التي تحذر من الدخول في الفتن وهم أعرف بالنصوص لأنهم من كبار فضلاء الصحابة فقد كان هؤلاء يودون لو أن الأمور تمت معالجتها بالصبر والصلح بين المتقاتلين بدلا عن التسرع في القتال ابتداء قبل بذل أسباب الوفاق .

وهذا الموقف منهم هو عين الصواب فإن السلامة من قتل المسلم خير من التعيير بالتريث لعدم قتاله .

وليس إرجاء حكم هؤلاء الصحابة في عليّ ، ومعاوية هو أساس الإرجاء البدعي فالواقع أن إطلاق اسم الإرجاء على كل من يقول عن الإيمان أنه قول أو تصديق بلا عمل أو القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة هو الأغلب في عرف العلماء حينما يطلقون حكم الإرجاء على أحد بل هو المقصود بالإرجاء .

(١) أخرجه البخارى ٣٠/١٣ ، ومسلم ٢٢١٣/١ واللفظ له .

وفي كل ماتقدم يقول الشهرستاني : « الإرجاء على معنيين : أحدهما بمعنى التأخير كما فى قوله تعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أى أمهله وأخره .
والثانى : إعطاء الرجاء .

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر فإنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ^(١)، إلى أن قال : « وقيل الإرجاء تأخير عليّ رضى الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة » ^(٢).

(١) مذهب السلف أنه لا يجوز الحكم على معين بالجنة أو بالنار إلا ما جاء التنصيص عليه عن الشارع .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٩ .

الفصل الثانى

الأساس الذى قام عليه مذهب المرجئة

الأساس الذى قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان وم يتألف .

وتحديد معناه ، وما يتبع ذلك من أبحاث .

وهل الإيمان فعل القلب فقط ... أو فعل اللسان ، أو هو فعل القلب واللسان معاً والعمل غير داخل في حقيقته .. وبالتالي لا يزيد الإيمان ولا ينقص إذ التصديق واحد لا يختلف أهله فيه ، هذه أهم ميزات بحوث هذه الطوائف المرجئة وإلى كل قسم من تلك الأقسام ذهب فريق من المرجئة .

إلا أن أكثر فرق المرجئة على أن الإيمان هو مجرد ما فى القلب ولا يضر مع ذلك أن يظهر من عمله ما ظهر حتى وإن كان كفراً وزندقة وهذا مذهب الجهم ابن صفوان ولا عبرة عنده بالإقرار باللسان ولا الأعمال أيضاً لأنها ليست جزء من حقيقة الإيمان

وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو القول باللسان ولا يضر مع ذلك أن يبطن أى معتقد حتى وإن كان الكفر وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان لا يغنى أحدهما عن الآخر أى فمن صدق بقلبه وأعلن التكذيب بلسانه لا يسمى مؤمناً . وعلى هذا قام مذهب الحنفية وهو أقرب مذاهب المرجئة إلى أهل السنة لموافقته أهل السنة فى أن العاصي تحت المشيئة وأنه لا يخرج عن الإيمان وخالفوهم فى عدم إدخال العمل فى الإيمان وفي أن الإيمان يزيد ينقص فلم يقولوا بذلك هذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة من المرجئة وهو مذهب إليه أبو حنيفة ومن قال بقوله من فقهاء الكوفة الذين أخرجوا العمل عن حقيقة الإيمان وماهيته .

على أن في نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة من الخلاف الكثير بين العلماء مالا يخفى هل كان أبو حنيفة من المرجئة كما وصفه كتاب المقالات والفرق أم كان ضد الإرجاء كما يصفه المدافعون عنه لأن الإرجاء يتميز بالتساهل في الأعمال وتأخيرها عن منزلة الإيمان . وأبو حنيفة - رحمه الله تعالى - بلغ حدا كبيرا في الاهتمام بالفروع مما يدل على أنه يهتم بالعمل وهذا عكس الإرجاء فكيف يوصف بالإرجاء حسب هذا الدفاع عنه .

وأما ما جاء في الكتاب المنسوب إليه الفقه الأكبر ، من عبارات تدل دلالة واضحة على إرجائه فقد شكك هؤلاء المدافعون عنه في صحة نسبة هذا الكتاب إليه بل كذبوا نسبته إليه .

ودافع عنه الشهرستاني وذهب إلى أن نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة إنما كان سببه في رأيه - المعتزلة - والقدرية - عن سوء فهم منهم لرأى أبي حنيفة الذي يرى بأن الإيمان هو التصديق بالقلب وأنه لا يزيد ولا ينقص فظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان إضافة إلى أن المعتزلة كما يرى الشهرستاني كانوا يسمون كل من خالفهم مرجئا^(١)، والواقع أن النقول بإرجاء أبي حنيفة كثيرة وعلماء الفرق أغلبهم يقر نسبة الإرجاء إليه بالمعنى الذي قدمنا ذكره . وهذا هو الثابت ولا يقال إن أبا حنيفة كان من غلاة المرجئة كالجهمية مثلا وذلك لموافقته أهل السنة والاعتقاد السليم في جوانب كثيرة في باب الإيمان وإن خالفهم فيما ذكر ولقد بذل كثير من علماء الأحناف جهدهم ليجعلوا الخلاف بينهم وبين أهل السنة في حقيقة الإيمان لفظيا فلم يتم لهم ذلك مع أنهم يستندون إلى جعل الخلاف لفظيا على الاتفاق الحاصل - فعلا - بينهم وبين أهل السنة في مرتكب الكبيرة عند الله إذ لا يسمى كافرا ولا يحكم له بالخلود في النار يوم القيامة بل هو تحت المشيئة إن شاء الله عفى عنه بفضله وإن شاء عاقبه بعدله وكذلك إتفاقهم على أن

(١) الملل والنحل ١ / ١٤١ .

الأعمال لا بد منها وأن العبد لو صدق بقلبه وأقر بلسانه ولكن امتنع عن العمل فلم يقيم به أنه يستحق اللوم والعقوبة وأنه من العصاة إلا أن كل هذه الحجج لا تجعل الخلاف لفظيا وذلك أن أهل السنة لا يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان فالتفرقة بين الأعمال والإيمان لا يقول بها السلف .

كما أن السلف لا يرون أن الناس على درجة واحدة في الإيمان والتوحيد كذلك حكم الأحناف للعصاة بالإيمان الكامل لم يوافقهم فيه السلف كما أن السلف لا يوافقونهم في القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه والحاصل : أن المرجئة أقسام كثيرة وأنهم يختلفون في بعض أسس الإرجاء كما سيتضح ذلك إن شاء الله .

الفصل الثالث

كيف نشأ الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب

عرفنا مما سبق في التعريف بالمرجئة أن الإرجاء في بدء الأمر كان يراد به في بعض إطلاقاته أولئك الذين أحبوا السلامة والبعد عن الخلافات وترك المنازعات في الأمور السياسية والدينية وخصوصاً ما يتعلق بالأحكام الأخروية من إيمان وكفر وجنة أو نار وما يتعلق كذلك بأمر علي وعثمان وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وغيرهم .

وما جرى بين علي ومعاوية من أحداث - كما مثله الحسن بن محمد بن الحنفية ومن جاء على طريقته - إلا أنه من الملاحظ أنه بعد قتل عثمان رضی الله عنه وبعد ظهور الخوارج والشيعة أخذ الإرجاء يتطور تدريجياً .

فظهر الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة ومنزلة العمل من الإيمان ثم ظهر جماعة دفعوا بالإرجاء إلى الحد المذموم والغلو فبدأ الأرجاء يتكون على صفة مذهب ، فقرر هؤلاء أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان وأنه لا تضرر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة وأن الإيمان في القلب فلا يضر الشخص أى شيء بعد ذلك ولو تلفظ بالكفر والإلحاد فإنه يبقى إيمانه كاملاً لا يتزعزع وهذا بلا شك غلو وتطرف مذموم .

وأهل هذه المرحلة ممقوتون ومذهبهم يفضي إلى الإباحية والتكاسل والتعويل على عفو الله وحده دون العمل لذلك .

وهو أمر تأباه الشريعة الإسلامية .

ولقد احتدم النزاع بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة من جانب وبين المرجئة من جانب آخر في دخول الأعمال في مسمى الإيمان ويظهر أثر ذلك في مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأمره في الآخرة إلى الله

وإلى مشيئته كما يقول السلف أم هو كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار كما تقول الخوارج لأنه أحل بالعمل فكفر .

أم هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا لا مؤمن ولا كافر وفي الآخرة هو مخلد في النار كما تقول المعتزلة .

أم هو مؤمن كامل الإيمان لم يتأثر إيمانه بالكبيرة مطلقا كما تقول المرجئة لأنه مصدق بقلبه فلا مجال لأن يتأثر إيمانه لأن الإيمان عندهم - على هذا المفهوم - لا يزيد ولا ينقص بل يبقى إيمانه كاملا إذا كان التصديق موجوداً في قلبه وفي الحقيقة أن مذهب المرجئة تطور على هذا المفهوم حتى صار من أوسع المذاهب وأكثرها تساهلا فبينما الخوارج يرون أن مرتكب الذنب كافر مخلد في النار والمعتزلة تراه في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وفي الآخرة مصيره النار ثم تزعم هاتين الطائفتين أن الناس كلهم كفار إلا من كان خارجيا وتزعم المعتزلة أن الناس كلهم كفار إلا من كان معتزليا فضاقت نظرتهم إلى غيرهم فإذا بالمرجئة توسع المجال فزعمت أن كل طائفة تنسب نفسها إلى الإسلام وتصدق به تعد من المؤمنين الخالص بغض النظر عن عملها بعد ذلك ، فالخوارج والشيعة والمعتزلة وسائر الطوائف في نظر المرجئة هم من أهل الإيمان الكامل .

الفصل الرابع

بيان أول من قال بالإرجاء

وبيان أهم زعماء المرجئة

تطورت فكرة الإرجاء حتى وصلت في دورها المتأخر إلى الحد الذي يصدق عليها أنها ظاهرة بدعية خطيرة بعد أن تضاربت الأفكار وتعصب كل فريق لفكره ولرأيه من خوارج وشيعة ومعتزلة وجمهية وأشعرية وغيرهم كما تقدم ولكن من الذي بدأ بهذه الفكرة التي تطورت بعد ذلك إلى أن وصلت على ما هي عليه اليوم .

يذكر العلماء أن الحسن بن محمد بن الحنفية هو أول من ذكر الإرجاء في المدينة بخصوص عليّ وعثمان وطلحة والزبير حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال قد سمعت مقاتلكم ولم أر شيئاً أمثل من أن يرجأ عليّ وعثمان وطلحة والزبير فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم^(١). ولكنه ندم بعد ذلك على هذا الكلام وتمنى أنه مات قبل أن يقوله فصار كلامه بعد ذلك طريقاً لنشأة القول بالإرجاء وقد بلغ أباه محمد بن الحنفية كلام الحسن فضربه بعصا فشججه وقال لا تتولى أباك عليّاً؟ ولم يلتفت الذين تبنا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك فإن كتابه عن الإرجاء انتشر بين الناس وصادف هوى في نفوس كثيرة فاعتنقوه^(٢).

ولكن ينبغي معرفة أن إرجاء الحسن إنما هو في الحكم بالصواب أو الخطأ على من ذكرهم ولم يتعلق إرجاؤه بالإيمان أو عدمه كما هو حال مذهب المرجئة أخيراً .

فأصبح هذا الموقف يناقض ما عليه الخوارج من تكفيرهما والبراءة منهما وما عليه الشيعة من الغلو في عليّ والخط من شأن عثمان وتكفيره ويخالف أيضاً

(١) انظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص ٢٤٤ .

(٢) لم يكن ما كتبه الحسن بن محمد كتاباً حسب ما يتبادر إلى الذهن وإنما كان بمنزلة منشوره .

موقف أهل السنة والجماعة منهما من وجوب موالاتهما والترضى عنهما والشهادة لهما بالجنة كما هو مذهب السلف فيهما إلا أنه يعتبر كالحطوة الأولى إلى مذهب الخوارج والتمهيد له .

وقيل أن أول من قال بالإرجاء على طريقة الغلو فيه هو رجل يسمى ذر بن عبد الله الهمداني وهو تابعي وقد ذمه علماء عصره من أهل السنة بل كان بعضهم - إبراهيم النخعي - لا يرد عليه إذا سلم وكذلك سعيد بن جبير .

والجمع بين هذا القول والذي قبله يتضح باختلاف حقيقة الإرجاء عند الحسن وعند ذر بن عبد الله إذ الإرجاء عند الحسن ترك الحكم على أولئك الأشخاص وأما الإرجاء عند ذر فهو إخراج العمل عن مسمى الإيمان .

وهناك أقوال أخرى في أول من دعا إلى الإرجاء فقيل أن أول من أحدثه رجل بالعراق اسمه قيس بن عمرو الماضري .

وقيل أن أول من أحدثه حماد بن أبي سليمان وهو شيخ أبي حنيفة وتلميذ إبراهيم النخعي ثم انتشر في أهل الكوفة وقد عاصر حماد ذر بن عبد الله ويذكر شيخ الإسلام عن نشأة الإرجاء بالكوفة أن أول من قاله فيهم حماد بن أبي سليمان^(١).

وقيل أن أول من قال به رجل أسمه سالم الأفتس ويطلق على إرجاء هؤلاء أنه إرجاء الفقهاء ويظهر أن تلك الأقوال لا تباعد بينها لأن هؤلاء كانوا في عصر واحد وكانوا أيضا على اتفاق في إرجائهم ولقد نسب الإرجاء إلى علماء مشاهير وقد عد الشهرستاني جماعة من هؤلاء ومنهم : الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب وذكر أنه أول من قال بالإرجاء ولكنه لم يجزم بذلك فيما يبد من تعبيره حيث ذكر ذلك بصيغة التمريض «قيل» ثم ذكر أنه كان يكتب فيه

(١) انظر مجموع الفتاوي ج ٧ ص ٢٩٧ ، ٣١١ .

الكتب إلى الأمصار ثم قال : « إلا إنه ما أخرج العمل عن الإيمان كما قالت المرجئة
اليونسية والعبودية لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر إذ الطاعات وترك
المعاصي ليست من أصل الإيمان حتى يزول الإيمان بزوالها .

كما عد منهم سعيد بن جبير^(١) وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب
ابن زياد ومقاتل بن سليمان وذر ، وعمرو بن ذر ، وحماد بن أبي سليمان وأبو
حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر ثم قال : « وهؤلاء كلهم
أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيره ولم يحكموا بتخليدهم في
النار خلافا للخوارج والقدرية » .

إلا أنه ذكر عن مقاتل قوله : « ويحكى عن مقاتل بن سليمان : أن المعصية لا
تضر صاحب التوحيد والإيمان وأنه لا يدخل النار مؤمن » ثم قال : « والصحيح
من النقل عنه : أن المؤمن العاصي ربه يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على
متن جهنم يصيبه لفح النار وحرها ولهيبها فيتألم بذلك على قدر معصيته ثم يدخل
الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار »^(٢) .

ومن كبار المرجئة ومشاهيرهم الجهم بن صفوان وأبو الحسين الصالحي ،
ويونس السمرى وأبو ثوبان ، والحسين بن محمد النجار ، وغيلان ، ومحمد بن
شبيب وأبو معاذ التومنى وبشر المريسي ومحمد بن كرام ومقاتل بن سليمان
المشبه لله عز وجل بخلقه ومثله الجواربي وهما من غلاة المشبهة^(٣) .

(١) هكذا ذكر عن سعيد بن جبير أنه من رجال المرجئة وسيأتي أن سعيد بن جبير ممن كان يذم
الإرجاء ويعتقه .

(٢) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣٩ ، ١٤٦ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ٢١٣/١ .

الفصل الخامس

أصول المرجئة

تكاد فرق المرجئة تتفق في أصولها على مسائل هامة هي :

تعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار .

وأن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ولا هو جزء منه مع أنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً إلا عند الجهم ومن تبعه في غلوه .

وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان .

وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان بكمال تصديقهم وأنهم حتما لا يخلدون في النار في الآخرة .

ولهم اعتقادات أخرى كالقول بأن الإنسان يخلق فعله وأن الله لا يرى في الآخرة وقد تأثروا في هذه الآراء بالمعتزلة وكذا رأيهم في أن الإمامة ليست واجبة فإن كان ولا بد فمن أي جنس كان ولو كان غير قرشي وقد تأثروا بهذا الرأي من الخوارج الذين كانوا ينادون به ولم يطبقوه .

ومن عقائد المرجئة الجهمية أن الكفر بالله هو الجهل به - وهو قول جهم - وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأنه لا يتبعض ومنها أن الجنة والنار تفتيان وتبيدان ويفنى أهلها ولا خلود لأحد فيهما وبعضهم ذهب إلى أن كل معصية فهي كبيرة وبعضهم يذهب إلى أن غفران الله الذنوب بالتوبة تفضل من الله وبعضهم إلى أنه باستحقاق وبعضهم جوز على الأنبياء فعل الكبائر وبعضهم ذهب في إثبات التوحيد إلى قول المعتزلة وبعضهم إلى قول المشبهة ومنهم من أثبت رؤية الله تعالى في الآخرة ومنهم من نفاها كالمعتزلة ، واختلفوا في القول بخلق القرآن فمنهم من قال أنه مخلوق ومنهم من قال غير مخلوق

ومنهم من توقفوا واختلّفوا في القول بالقدر فبعضهم نفى القدر وقال بأقوال المعتزلة وبعضهم أثبتّه واختلّفوا في أسماء الله وصفاته فبعضهم قال بأقوال عبد الله بن كلاب ومنهم من قال بأقوال المعتزلة (١).

وفيما يلي تفصيل واضح لأقسام اتجاهات الناس في حقيقة الإيمان كما رتبها الدكتور/ سفر الحوالي :

١ - أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح :

١ - أهل السنة ٢ - الخوارج ٣ - المعتزلة

٢ - أنه بالقلب واللسان فقط :

١ - مرجئة الفقهاء الحنفية

٢ - ابن كلاب وكان على عقيدة المرجئة الفقهاء وقد انقرض مذهبه .

٣ - أنه باللسان والجوارح فقط :

١ - الغسانية

٢ - فرقة مجهولة لم يصرح العلماء بتسميتها ولعلها الغسانية .

٤ - أنه بالقلب فقط :

١ - الجهمية ٢ - المريسية

٣ - الصاحية ٤ - الأشعرية ٥ - الماتريدية

٥ - أنه باللسان فقط :

١ - الكرامية : وقد انقروا ، وقد ذكر عنهم شيخ الإسلام أنهم يقولون المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لأنه آمن ظاهراً لا باطناً وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢١٣ ، ٢٣٤ .

أ - الذين قالوا أنه بالقلب واللسان والجوارح :

١ - الذين قالوا الإيمان فعل كل واجب وترك كل محرم ويذهب الإيمان كله بترك الواجب أو فعل الكبيرة :

١ - الخوارج مرتكب الكبيرة عندهم كافر .

٢ - المعتزلة مرتكب الكبيرة عندهم في منزلة بين المنزلتين .

يعنى في الدنيا وأما فى الآخرة فقد وافقوا الخوارج في الحكم .

٣- الذين قالوا الإيمان قول وعمل - أى عمل القلب والجوارح - وكل طاعة هى شعبه من الإيمان أو جزء منه .

والإيمان يكمل باستكمال شعبه وينقص بنقصانها لكن منها ما يذهب الإيمان كله بذهابه ومنها ما ينقص بذهابه .

فمن شعب الإيمان أصول لا يتحقق إلا بها ولا يستحق مدعيه مطلق الاسم بدونها ومنها واجبات لا يستحق الاسم المطلق بدونها .

ومنها كمالات يرتقي صاحبها إلى أعلى درجاته .

« وتفصيل هذا كله بحسب النصوص » .

كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

ب - الذين قالوا أنه يكون بالقلب واللسان فقط :

١ - الذين منهم يدخلون أعمال القلب - يعنى في حقيقة الإيمان - وهم بعض قدماء المرجئة الفقهاء . وبعض محدثي الحنفية المتأخرين .

٢ - الذين لا يدخلون أعمال القلب وقد تطور بهم الأمر إلى اخراج قول اللسان أيضا من الإيمان وجعلوه علامة فقط . وهم عامة الحنفية « الماتريدية » .

ج- الذين قالوا أنه يكون بالقلب فقط :

١ - الذين يدخلون فيه أعمال القلب جميعا وهم سائر فرق المرجئة كاليونسيه
والشمريه والتومنية .

٢ - الذين يقولون هو عمل قلبى واحد - المعرفة - الجهم بن صفوان .

٣ - الذين يقولون هو عمل قلبى واحد - التصديق - الأشعرية والماتريدية^(١) .

(١) انظر مجموع الفتاوى ج-٧ في عدة أمكنه من هذا الجزء المشتمل على كتاب الإيمان الكبير
وكتاب الإيمان الأوسط . وانظر « ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ..

الفصل السادس

أقسام المرجئة

إنقسمت المرجئة في اعتقاداتها إلى أقسام كثيرة وفرق يطول ذكرها ويمكن الإشارة هنا إلى رؤوس تلك الفرق وهي كما يذكرها علماء الفرق :-

مرجئة السنة : وهم الأحناف أبو حنيفة وشيخه حماد بن أبي سليمان ومن اتبعهما من مرجئة الكوفة وغيرهم وهؤلاء أخرجوا العمل عن حقيقة الإيمان .

مرجئة الجبرية : وهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان وهم الذين اكتفوا بالمعرفة القلبية وأن المعاصي لا أثر لها في الإيمان وأن الإقرار والعمل ليسا من الإيمان .

مرجئة القدرية : الذين تزعمهم غيلان الدمشقي وهم الغيلانية .

مرجئة خالصة : وهم فرق أختلف العلماء في عددهم لها .

مرجئة الكرامية : أصحاب محمد بن كرام وهم الذين يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب .

مرجئة الخوارج : الشبيبية وبعض فرق الصفرية الذين توقفوا في حكم مرتكب الكبيرة وعد الأشعري في مقالاته المرجئة وأوصلهم إلى اثنتي عشرة فرقة (١) .

ولهم فروع كثيرة ، وبين العلماء اختلافات كثيرة أيضا في عددهم لأقسام

(١) في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين من ص ٢١٣ إلى ص : ٢٣٤ ، أول فرقهم الجهمية وآخرهم الكرامية - الفرقة الثانية عشرة منهم كما ذكر الأشعري ، وذكر البغدادي ؛ أنهم ثلاثة أصناف قائلون بالجبر والقدر ومن خرج عن القول بهما صاروا خمس فرق انظر الفرق بين الفرق ص ٣٠٢ والشهرستاني في الملل والنحل ج١ ص ١٣٩ ذكر أنهم أربعة أصناف ثم ذكر مقالات المرجئة الخالصة وعددهم ست فرق .

وطوائف المرجئة وفي أي الفرق أصلية وأيها فرعية وأيها يصدق عليه الإرجاء
وأيها لا يصدق عليه .

ولا ضرورة تدعو إلى تفصيل الكلام هنا في كل طائفة من هذه الفرق
الفرعية وذلك لاتحادهم العام في مذهبهم وقيامه على الإرجاء .

ولما حصل أيضا من رجوع بعض فرقهم إلى الفرق الأخرى واندماجهم بعد
ذلك في فرقة واحدة ولدقة الخلاف في بعض المسائل الفرعية ، وموضع
استقصاء ذلك كله الكتب المطولة في التاريخ والفرق .

الفصل السابع

أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها

تلمس المرجئة في الاستدال لمذهبهم نصوصا وشبهات أو لوا النصوص ونصروا الشبهات بتكلفات غير صحيحة وخرجوا بنتيجة هي أن العمل ليس من حقيقة الإيمان ، وأخروا جميع أعمال الجوارح عن الإيمان وقالوا يكفي في دخول الإيمان والفوز برضى الله أن يحتوي القلب على المعرفة والتصديق كما سبق وفتحوا بذلك بابا واسعا لأهل البطالة والكسل والمغرمين بالأمانى دون عمل، والذين يحبون التفلت عن ما تقتضيه النصوص الشرعية ، ولهذا تجد المرجئة الغلاة منهم أكسل الناس فى العبادة وأضعفهم فى الالتزام ، وقد تلمسوا لما يذهبون إليه بعض الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية وزعموا أنها تدل على مذهبهم .

فمن القرآن الكريم : استدلوا بقول الله تعالى :

- ١ - ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾^(١).
- ٢ - ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾^(٢).
- ٣ - كما اهتمت الجهمية بجمع النصوص التى تجعل الإيمان أو الكفر محله القلب . كما فى قول الله تعالى : ﴿ أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ﴾^(٣).
- ٢ - ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾^(٤).
- ٣ - ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾^(٥).

(٢) سورة الزمر آية : ٥٣ .

(٤) سورة النحل آية (١٠٦) .

(١) سورة النساء آية (٤٨) .

(٣) سورة المجادلة آية (٢٢) .

(٥) سورة البقرة آية (٧) .

إلى غير ذلك من الآيات التي يوحى ظاهرها بهذا المفهوم المتكلف للمرجئة .

أما من السنة النبوية فقد استدلووا :

ببعض الأحاديث والآثار التي يدل ظاهرها على الاكتفاء بالبعد عن الشرك ووجود الإيمان في القلب للفوز برضى الله مثل :

١ - قول الرسول ﷺ : « من مات يشرك بالله شيئا دخل النار » قال ابن مسعود « وقلت أنا من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » (١).

٢ - وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : « يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » (٢).

٣ - وقوله ﷺ « اللهم ثبت قلبي على دينك » (٣).

٤ - وكذا حديث الجارية التي سألتها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله أين الله قالت : في السماء . فقال لمولاها : اعتقها فإنها مؤمنة » (٤).

٥ - وقوله ﷺ « التقوى ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات » (٥).

٦ - ومن أدلتهم كذلك ما جاء في أحاديث شفاعة المصطفى ﷺ في أقوام فيخرجهم الله من النار حتى لا يبقى من في قلبه ذرة أو برة أو شعيرة من إيمان ، وفيه : « فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، قد عادوا حمما ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له

(١) أخرجه البخارى ٣ / ١١٠ ، ومسلم ١ / ٩٤ في الإيمان .

(٢) أخرجه مسلم ج ٤ ص ٢٠٦٨ بلفظ « ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة » واللفظ السابق للترمذي وحسنه .

(٣) أخرجه أحمد ٢ / ٤٥٤ .

(٤) أخرجه مسلم ١ / ٣٨٢ رقم ٥٣٧ وأحمد في المسند ٥ / ٤٤٧ .

(٥) أخرجه مسلم ٤ / ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤ .

نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل إلى أن قال :
فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله
الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه»^(١).

وقد استدل المرجئة بهذا الحديث لإرجائهم من العبارات السابقة فيه من في
الحديث:

١ - لم يعملوا خيرا قط .

٢ - هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه .

فقالوا إذا لم يكن لهم عمل خير قط فما الذى بقي معهم؟ والجواب - كما
يزعمون - أنه بقي معهم التصديق فقط ونفعهم دون النظر إلى العمل لأن
حقيقة الإيمان كما يزعمون لم تتوقف على العمل .

٧ - ومن التشبهات التى تعلق بها المرجئة أيضا على أن العمل ليس من الإيمان
قولهم :

١ - إن الكفر ضد الإيمان فحيثما ثبت الكفر انتفى الإيمان والعكس .

٢ - ومنها ما جاء في نصوص كثيرة فيها عطف العمل على الإيمان .

٨ - ومن أدلة الأحناف على أن الإيمان قول واعتقاد فقط وأن الأعمال ليست
داخلة فيه وإنما هي شرائع الإسلام فإذا عمل معصية نقص من شرائع الإسلام
وليس من التصديق بالإسلام من أدلتهم على ذلك قولهم :

١ - أن الإيمان في اللغة المقصود به التصديق فقط ، والعمل بالجوارح لا
يسمى تصديقا فليس من الإيمان .

٢ - لو كانت الأعمال من الإيمان والتوحيد لوجب الحكم بعدم الإيمان لمن
ضيع شيئا من الأعمال وفي ذلك يقول أبو حنيفة في كتابه (الوصية): ثم

(١) أخرجه مسلم ١/١٧٠ .

العمل غير الإيمان ، والإيمان غير العمل بدليل أن كثيرا من الأوقات يرتفع العمل من المؤمن ولا يجوز أن يقال يرتفع عنه (الإيمان) فإن الحائض ترتفع عنها الصلاة ولا يجوز أن يقال ارتفع عنها الإيمان إلى غير ذلك من النصوص التي استدلت بها المرجئة عموما والأحناف بخصوصهم والتي فهموا منها ما يدل على صحة مذهبهم ، ثم نتج عن صنيعهم هذا تضارب الأدلة في مدلولاتها - أمامهم - لعدم وقوفهم على ما تقتضيه من الفهم السليم الذي هدى الله إليه أهل السنة ، بل ذهب كل طائفة من طوائف المرجئة الكثيرة إلى الاستدلال لما تزعمه بنصوص قد لاتستدل بها الطوائف الأخرى .

قال ابن أبي العز الحنفي : « فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله : أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق قال تعالى مخبراً عن أخوة يوسف : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾^(١) أى بمصدق لنا ، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك ، ثم هذا المعنى اللغوي وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقاً لله وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله ، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى . والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا ، هذا على أحد القولين كما تقدم . ولأنه ضد الكفر وهو التكذيب والجحود ، وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما وقوله : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢) يدل على أن القلب هو موضع الإيمان لا اللسان ولأنه لو كان مركب من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه ، ولأن العمل قد عطف على الإيمان والعطف يقتضى المغايرة قال الله تعالى : ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣) وغيرها في مواضع من القرآن .»^(٤)

(١) يوسف ١٧ .

(٢) النحل ١٠٦ .

(٣) البقرة : ٢٥ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٣١٩ .

الرد على أدلة المرجئة

والواقع أن تلك النصوص التي تقدمت في أستدلال المرجئة على إخراج العمل عن حقيقة الإيمان لا يسلم لهم فهمهم لها من أنها تدل على إخراج الأعمال الظاهرة عن أعمال القلب ، فإن إيمان القلب وإن كان هو الأساس وعليه الاعتماد الأول ولكن لا ينفى هذا أن أثر إيمان القلب يظهر على الجوارح بل هو الحق والنصوص كما هو الواضح منها لا تدل فقط على تصديق القلب وحده وإنما تدل على أن الإيمان له دلالات لا تتضح إلا بالأعمال الظاهرة والذين أحجموا عن ادخال الأعمال الظاهرة في حقيقة الإيمان نتج عن ذلك تساهل عندهم في الحكم حتى على الفجار الذين لاشك في ظهور فجورهم .

فتجد منهم من لا يكفر بالأعمال الظاهرة حتى وإن كانت توحى بكفر صاحبها علانية فهم لا يجرعون على تكفيره حتى يتأكدوا من مصداقية قلبه بالإيمان لأنه لو صدق بشعائر الإسلام فلا يكفر مهما عمل إلا إذا ارتفع التصديق عن قلبه فهنا يجرعون على تكفيره .

وهذه النتيجة طبيعية بالنسبة لهم بعد أن أغفلوا ارتباط الأعمال بإيمان القلب .

مع أن الحق أن الفعل المكفر يكفر به صاحبه إذا كان الفعل نفسه يوحى بكفر فاعله إذ لو لم يكفر قلبه أولاً لما كفرت جوارحه فمن سب الله أو رسوله أو فضل القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية وقدمها عليها .

أو غير ذلك من الأمور المعلومة من دين الإسلام بالضرورة فإنه لا يحتاج لتكفيره إلى مساءلته هل هو مصدق بالإيمان أم لا ؛ لأن فعله شاهد عليه بعدم التصديق أو أن تصديقه مثل تصديق إبليس بربه وباليوم الآخر فهل نفعه ذلك فكذلك هؤلاء إلا أن يأتي أحدهم بمخرج له في ذلك معتقدا صحته .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - عنهم : « فهؤلاء القائلون بقول جهنم

والصالحى قد صرحوا بأن سب الله ورسوله والتكلم بالتثليث وكل كلمة من كلام الكفر ليس هو كفر في الباطن ولكنه دليل في الظاهر على الكفر ويجوز مع هذا أن يكون هذا الساب الشاتم في الباطن عارفاً بالله موحداً له مؤمناً به فإذا أقيمت عليهم الحجة بنص أو إجماع أن هذا كافر باطنياً وظاهراً قالوا هذا يقتضى أن ذلك مستلزم للتكذيب الباطنى وأن الإيمان يستلزم عدم ذلك» (١).

ومن استند منهم إلى إخراج الأعمال عن حقيقة الإيمان بما استنبطه مما جاء في القرآن الكريم من إسناد الإيمان إلى القلب فقط . كقوله الله تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ (٥).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تبين منزلة الإيمان وضده من القلب من استند منهم إلى ذلك فقد أخطأ الفهم فليس المراد منها إخراج العمل وإغفاله عن إيمان القلب فإن من أنكر تلازم الأعمال الظاهرة بأعمال القلوب وقال إن الإيمان هو المعرفة فقط فهو جهمى ، وكذا من قال إنه التصديق فقط مثل الأشاعرة فقد تجهم ، إذ لا فرق بين دعوى المعرفة فقط ودعوى التصديق فقط . وكلاهما من دون عمل وما ذكره بعض الأشاعرة من التفريق بينهما فإنه نصرة لمذهبهم فإن كلتا الطائفتين تلتقي على إخراج الأعمال عن حقيقة الإيمان فيبقى النزاع في التفرقة بين المعرفة والتصديق المجرد عن العمل غير واضح ، فإن المعرفة والتصديق موضعهما القلب والعمل الظاهر دليل ذلك ولازم له .

(١) انظر مجموع الفتاوى : ٥٥٧/٧ .

(٢) سورة الحج : آية (٣٢) .

(٣) سورة ق الآية (٣٣) .

(٤) سورة الحديد آية (١٦) .

(٥) سورة البقرة : آية (١٠) .

وقد كفر أئمة العلم من قال بقول جهم إن الإيمان هو التصديق فقط .

فظهر أن تلك الآيات لا تدل على نفي دخول الأعمال في حقيقة الإيمان بل غاية ما فيها التركيز على أهمية الإيمان القلبي الذي بدوره يثمر الإيمان بالقيام بأعمال الشرع الظاهرة أو أنها أسندت إلى القلوب باعتبار أنها هي المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله .

وأما ما استدل به المرجئة من النصوص التي تدل على أن من اجتنب الشرك دخل الجنة - سواء كانت تلك النصوص من القرآن الكريم أو من السنة النبوية فإن الجواب على ذلك :

« إن هذه النصوص تفيد أن من لم يقع في الشرك مع التوبة والقيام بأمر الله والانتهاز عن نهيه أن الله يغفر له الذنوب التي هي دون الشرك فإذا مات على بعض الذنوب يرجى له المغفرة ابتداءً أو يعاقبه الله بذنبه ثم يدخله الجنة كما هو مذهب السلف في أهل الذنوب حسب ما تفيده النصوص من الكتاب والسنة .

كما أنه لا يقع من شخص عرف التوحيد وأخلص لربه أنه لا يأتي بالأعمال الأخرى التي أو جبهها الإسلام بحيث يكتفي بابتعاده عن الشرك ثم يركن إلى ذلك لدخوله الجنة ، فأتضح أن هذه الآيات لا تدل على إغفال العمل والاقتصار على المعرفة أو التصديق بالقلب كما يرى المرجئة بل هي واردة في حكم من مات تائباً أو لم تكن عليه معاص أو كانت عليه معاص ومات على التوحيد بحيث كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله .

وما فهموه من قول الرسول ﷺ - التقوى ههنا - بأن الإيمان والكفر محلها القلب ولا عبرة بعمل الجوارح فهو فهم غير سديد من جهة نفي دخول الأعمال الظاهرة في إيمان القلب مع أنه لا نزاع في أن التقوى محلها القلب ولكن تلك التقوى إذا لم تثمر القيام بأعمال الإيمان الظاهرة فهي ليست تقوى صحيحة . وهل كان الرسول ﷺ يريد أن الإيمان هو مجرد التصديق والإقرار بالقلب فقط

دون أن يرى أثر ذلك في الأعمال كلها .

وقد جرهم إلى هذا الفهم أمر لم يتقبلوه وهو أن الرسول ﷺ مرة يعبر عن الإيمان بأعمال القلب ومرة بأعمال الجوارح ومرة بكليهما ، فمن وقف على جانب دون آخر من هذه المراتب فقد قصر ولم يلتزم الحق واختلط الأمر عليه وأما حديث الجارية الذي استدل به المرجئة على مذهبهم أن ترك العمل لا ينافي الإيمان فإن المراد من شهادة الرسول ﷺ لها بالإيمان - أى الإيمان الظاهر - الذى تجري بموجبه الأحكام الدنيوية لا الإيمان الحقيقى الكامل فإن الرسول ﷺ كان يعلم أن إيمان هذه الجارية ليس مثل إيمان كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة السابقين وإنما أراد الإيمان الظاهر الذى يميز المسلم عن الكافر ابتداءً في المعاملات الدنيوية ، ولو أن الرسول ﷺ اكتفى بسؤالها عن الإيمان فقط بأن قال لها : هل أنت مؤمنة وسكت لكان فيه نظر للمرجئة لكن الرسول ﷺ سألها عن أشياء أخرى فقد قال لها : أتشهدين أن لا إله إلا الله . قالت : نعم قال : أتشهدين أن محمداً رسول الله ؟ قالت نعم . قال أتوقنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت نعم . فقال رسول الله ﷺ أعتقها (١) .

وهذه كلها من أعمال الإيمان الباطنة والظاهرة أيضاً قال شيخ الإسلام عن تمسك المرجئة بهذا الحديث « وهذا لا حجة فيه لأن الإيمان الظاهر الذى تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان فى الباطن الذى يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة » (٢) فظهر أن هذه الأسئلة يريد الرسول ﷺ من ورائها معرفة منزلة هذه الجارية من أحكام الإسلام وهل تستحق أن يطلق عليها اسم الإيمان أم لا . وليس المقصود أنها بلغت فى إيمانها إلى حد إيمانه أو إيمان كبار أصحابه .

وعلى فرض أن الجارية قالت للرسول ﷺ أنا مؤمنة بكل شرائع الإسلام

(١) الموطأ ص ٦٦٦ . (٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٠٩/٧ . وص ٤١٦ .

بمعنى مصدقة بها ولكنى لا أرى فرضية الصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك من شرائع الإسلام . أى لا أرى لزوم عملها بالجوارح على أنها حقيقة الإيمان بل تطلق عليه مجازا فهل كان صدر الرسول ﷺ سينشرح منها ويأمر مولاها بعقبتها ويشهد لها بالإيمان» (١).

وأما حديث شفاعة المصطفى ﷺ فى أولئك فالجواب عنه : « أنه لا بد من النظر إلى الأحاديث الكثيرة التى صرحت بأنهم من أهل الإيمان وعليهم أثر السحود الذى هو عبارة عن عمل الصلاة وأن الجهنميين يعرفون بذلك .

وفى بعض الروايات أن المؤمنين يشفعون فىمن عرفوه بأنه من أهل الإيمان والعمل فى الدنيا وهذا لا يمنع أن فيه جماعة من الناس لهم أعمال لا يعلم بها إلا الله أخرجهم الله بسببها من النار حيث ظهرت عليهم علامات إيمانهم وأعمالهم التى قدموها .

وقوله : « لم يعملوا خيرا قط » لا ينافى العمل مطلقا بل قد يكون لهم عمل وإن كان قليلا إلى جانب إيمانهم وحسناتهم الأخرى فينفعهم ذلك ، وهذا مثل أن تقول لشخص أنت ما عملت شيئا بعد إتمامه للعمل الذى هو فيه فإنك لا تنفى وجود عمل ما ولكن حيث كان العمل غير كامل ولا دقيق ولا يعتبر به - ولو من وجهة نظرك - اعتبرته فى عداد من لم يعمل شيئا وهو أسلوب من أساليب العرب فى كلامهم .

ثم إن هؤلاء معهم إيمان وعمل ولو لا ذلك لكانوا كسائر الكفار والمشركين يخلدون فى النار فلا مزية لخروجهم منها إلا ذلك وربما أن الله أخرجهم أو أدخلهم الجنة لعزمهم على العمل ومباشرتهم الدخول فيه كما حصل لبعضهم حين أسلم صادقاً مخلصاً ثم دخل المعركة فقتل فشهد الرسول ﷺ له بالجنة مع أنه لم يظهر منه إلا حسن قبوله للإسلام ودخوله المعركة ولكن الله اطلع على

(١) انظر لمزيد التفصيل ، ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى ص ٥١٩ ، ٥٢٦ .

إيمانه القوي وأوله بذله نفسه للقتل مع المسلمين في سبيل نصرته الإسلام ولقصر وقته عن أداء الواجبات الأخرى فغفر الله له .

وكقصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تداركته رحمة الله فدخل الجنة ومثله ما وقع للرجل الذي أوصى أن يحرق بعد موته فغفر الله له فمثل هؤلاء في عزمهم وقوة إيمانهم كمثله الذي عمل وفرق بين من له رغبة وعزم على العمل وبين من تركه أتكالا وتكاسلا .

وأما احتجاجهم بقولهم : إن الكفر ضد الإيمان فحيثما ثبت الكفر انتفى الإيمان والعكس .

فإنه يقال لهم : اطلاق القول بأن كل كفر هو ضد الإيمان ويخرج من الملة مطلقا ليس صحيحا على إطلاقه هكذا إلا عند الخوارج في حكمهم على أصحاب المعاصي بالكفر المخرج من الملة فإن الإيمان درجات وهو اسم مشترك يقع على معان كثيرة منها ما يكون الكفر ضدا له كأن يعتقد الكفر ويعمل به ويدعو إليه إليه فكفره اعتقادي وهو ضد الإيمان ولا نزاع في هذا ومنها ما يكون الفسق ضدا له لا الكفر - مشترك بعض الأعمال المفروضة مع الاعتراف بوجودها.. ومنها ما يكون الترك ضدا له لا الكفر ولا الفسق ؛ كترك بعض الأعمال التي هي تطوع إذ لا يصح تسمية التارك لها كافرا ولا فاسقا وإنما يسمى تاركا ومفرطا في حق نفسه لعدم قيامه بتلك الأعمال التي تزيد في إيمانه (١).

وقد يطلق السلف التسمية بالكفر على بعض من يعمل أعمالا جاء الشرع بإطلاق الكفر عليها ولكنهم يسمونه كفرا عمليا لا اعتقاديا حتى تقام الحجة على صاحبه كالذنوب التي وردت النصوص بإطلاق الكفر على أهلها كالزنا والسرقه وشرب الخمر في حق من لم يجحد النصوص الواردة في تحريمها قبل إقامة الحجة عليه بيانها فإن السلف يطلقون عليه الكفر تمثيلا مع النصوص ثم

(١) انظر الفصل لابن حزم ج ٣ ص ٢١٢ .

يفصلون بعد ذلك فإذا استحلها ولم يعترف بوجوبها ورد النصوص فهو كافر
كفرا اعتقاديا ظاهرا وباطنا .

وأما ما استدلوا به من ورود نصوص كثيرة فيها عطف العمل على الإيمان
وأن المعطوف والمعطوف عليه بينهما مغايرة وفرق وإلا لما عطف عليه ، فالواقع
أن النصوص كما يتضح منها ، أحيانا يرد فيها ذكر الإيمان في حالة العطف بمعنى
الدين وذلك في حال إطلاق الإيمان وحده فإنه يدخل فيه الأعمال فإذا أطلق لفظ
الإيمان فقط تبادر إلى الذهن أن المقصود بذلك الإيمان القلبي وعمل الجوارح
والنطق باللسان ولا يفهم منه التصديق فقط أو الإقرار فقط إلا عند المرجئة حيث
تكلفوا دعوى وقوع ذلك .

وأما في حال ذكر الإيمان والعمل معا فلا مغايرة بينهما في الحكم الذي ذكر
لهما بل يكون ذلك من جنس عطف الخاص على العام مثل قوله تعالى:
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ (١). فإن الصلاة الوسطى من
ضمن بقية الصلوات وإنما أفردت بالذكر بعد الذكر العام لمزيد العناية والاهتمام
بها وأحيانا إذا ذكر العمل الصالح والإيمان معا يكون المقصود بذلك اظهار
وتوكيد حقيقة الإيمان بالعمل الصالح إذ لا يكون العمل صالحا مقبولا إلا بعد
إيمان صاحبه فذكر الإيمان والعمل معا من باب التوكيد أو عطف الخاص على
العام والحاصل أن الإيمان المطلق يستلزم الأعمال كما جاء في القرآن الكريم
والسنة النبوية (٢).

وأما ما استدل به الأحناف من أن الإيمان في اللغة المقصود به التصديق
والعمل لا يسمى تصديقا فيقال لهم أنه لم يسم التصديق بالقلب دون التصديق
باللسان والعمل إيمانا في اللغة ولم يعرف عن العرب أنهم يحكمون للشخص

(١) سورة البقرة : آية (٢٣٨) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ج ٧ ص ١٦٠ - ١٦١ .

بالتصديق والإيمان بشيء صدقه بقلبه ثم أعلن التكذيب به بلسانه كذلك لم يعرف في اللغة أن التصديق باللسان فقط دون التصديق بالقلب يعتبر إيمانا .
إذا فلا يسمى مؤمنا بالشيء إلا إذا توافق التصديق بالقلب واللسان معا ونتج عنهما حصول أثر ذلك وهو العمل .

ويرد على من ذهب مذهب الإمام أبي حنيفة في إخراج العمل عن الإيمان واستدل باللغة على أن الإيمان هو التصديق يرد عليهم بما ذهبوا إليه هم أيضا من عدم جواز إطلاق الإيمان على الشخص إلا إذا صدق بالله عز وجل وبرسوله وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك .

ومعلوم أن هذا الإيمان قد اشتمل على أعمال فكيف يحق لهم بعد ذلك عدم اعتبار الأعمال من الإيمان وهم يشترطون لثبوت إيمان الشخص ما ذكر .

ححا من أن الإيمان هو التصديق فقط

بشيء ثم كذب بلوازمه ، فقد

سرون ببعض الرسل ومع ذلك

. س عالي : ﴿ إن الذين يكفرون بالله

ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض

ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا

للكافرين عذابا مهينا ﴿ (١)

فهؤلاء مصدقون بالله وبرسله لولا أنهم يريدون أن يأخذوا من كل ديانة ما

يوافق هواهم .

نعم إن أصل الإيمان في اللغة هو التصديق بالقلب واللسان معا بأى شيء

كان .

(١) النساء : ١٥٠ / ١٥١ .

إلا أن الله عز وجل وعلى لسان رسوله ﷺ أوقع لفظة الإيمان على العقد بالقلب لأشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء .

وأوقعها أيضا سبحانه على الإقرار باللسان بتلك الأشياء خاصة لا بما سواها .
وأوقعها أيضا على أعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له تعالى فقط . والله عز وجل هو خالق اللغة وأهلها فلا يجوز لأحد مخالفة الله عز وجل فيما أنزله وحكم به والتعلل باللغة في دفع الحق .

وقد أنزل في القرآن أن الأعمال من الإيمان قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ (١) .

ومعلوم أن التصديق بالشيء حقيقة لا يقع إلا إذا وجد التصديق الكامل بذلك الشيء وازداد فيه رغبة وعملا .

فالمصدق بالله تعالى وبأنبيائه وبما جاء عن الله تعالى هو الذي صدق بذلك ظاهرا وباطنا فصح وصفه بالتصديق .

والآية : فيها الإخبار بزيادة الإيمان لا بالتصديق فإنه قد حصل في قلوب المؤمنين والزيادة هنا هي ما يحصل من الزيادة بالأعمال والتقرب بها إلى الله تعالى .

فإن أساس التصديق لا يتبع في الشيء الواحد وإن كان الناس يتغاضلون فيه لأنه لو تبعض لكان صاحبه شاكا .

فلو أن شخصا صدق بالقرآن كله إلا آية واحدة لما كان مؤمنا بالقرآن ولكان تصديقه مشابها لتصديق بعض أهل الكتاب بالنبي ﷺ في كتبهم وكفرهم بذلك كالموشكانية والعيسوية من يهود أصفان الذين صدقوا بأن الرسول ﷺ هو نبي الله حقا ولكنه إلى العرب خاصة لا إليهم ، وكان أيضا مشابها لتصديق

(١) الفتح : ٤ .

إبليس بربه وهو مع ذلك كافر بلا خلاف مخلص في النار لم ينفعه تصديقه
ومعرفته بربه بدون الإذعان الكامل لما أمر الله واجتناب ما نهى عنه قولا وعملا
واعتقادا .

ولشيخ الإسلام ردود مطولة في إبطال تعلق المرجئة بقوله تعالى : ﴿ ما أنت
بمؤمن لنا ﴾ أى بمصدق على أن الإيمان هو التصديق والعمل خارج عن التصديق
وفي أن الإيمان هو التصديق في اللغة وفي الشرع أيضا (١) ثم إن إطلاق الإيمان
على الأعمال أو الأعمال على الإيمان أمر مقرر عند السلف وثابت لا يمارون في
صحته لورود ذلك في نصوص كثيرة فالجهاد والصوم والصلاة وغيرها من
الإيمان كما أنهم يسمون الإيمان عملا لما جاء في الحديث : « أن النبي ﷺ سئل
أى العمل أفضل فقال : «إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله
قيل ثم ماذا قال حج مبرور» (٢).

وقال الأوزاعي « لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا
بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة . وكان من مضى
من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، العمل من الإيمان والإيمان من
العمل» (٣).

فالصلاة مثلا من أعمال الجوارح وقد قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع
إيمانكم ﴾ (٤) أى صلاتكم إلى بيت المقدس لا كما ذهب إليه المرجئة من أن
المعنى أى تصديقكم بالنبي ﷺ والدين .

قال شيخ الإسلام : وحقبة الأمر أن اسم الإيمان يستعمل تارة هكذا وتارة
هكذا ... فإذا قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل كان دالا على الباطن فقط .
وإن أفرد اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر وبهذا تأتلف النصوص .

(١) انظر ٢٨٩/٧ - ٢٩٧ ، من مجموع الفتاوى . (٢) أخرجه البخارى ١/٧٧ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٧/٢٩٦ . (٤) سورة البقرة : آية (١٤٣) .

وأما إذا قرن الإسلام بالإيمان كما فى قوله تعالى : ﴿ قال الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ (٢) فقد يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة (٣)، أى والإيمان الأعمال الباطنة وهذا هو مذهب السلف أن الإيمان أخص من الإسلام .

وأما استدلالهم ، بقولهم لو كان العمل يسمى إيماناً لكان من ضيع منه شيئاً فقد فقد الإيمان كله فلا يكون مؤمناً أو لا يقال له مؤمن .

يقال لهم : إن هذا الاستدلال تحكم وخروج عن ما يقتضيه الحق فلا يجوز أن نسمى الشخص مؤمناً ولا كافراً إلا بنص واضح عن الله أو عن رسوله ، فمن سماه الله مؤمناً نسميه مؤمناً ومن سماه كافراً نسميه كافراً ، بل نقول أن من ضيع شيئاً من ما أمر بالإيمان به فقد ضيع بعض الإيمان ولم يضيع الكل ، فلا يخرج عن الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه بالكلية (٤).

وأما بالنسبة لارتفاع العمل عن الحائض وعدم ارتفاع الإيمان عنها فإن هذا الاستدلال غير صواب ذلك أنها فى حالة ارتفاع العمل عنها لم يكن من قبلها وإنما ذلك من قبل خالقها وهى فى تلك الحال فى حكم العامل ولهذا لا يتوجه إليها الذم بترك الصلاة والصوم فى تلك الحال وهى لازالت على الإيمان والعمل لم تخرج بتركهما فى تلك الحال عن الإيمان ولا عن مواصلة العمل فإن تلك الفترة الطارئة لا تجعلها فى عداد من خرج عن الإيمان وضيع العمل لكى يصدق عليها ترك الإيمان بسبب ترك العمل كما استدل هؤلاء .

وأما ما ذهب إليه المرجئة من أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص كما أن التصديق لا

(١) سورة الحجرات آية (١٤) .

(٢) سورة الذاريات : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) أنظر مجموع الفتاوى ٧/٥٧٥ ، ٥٧٦ بتصرف .

(٤) انظر الفصل لابن حزم ج٣ ص ١٩١ .

يزيد ولا ينقص ، فهو قول من أبطل الأقوال وهو قياس على أمر غير مسلم ،
فالتصديق لا يصح لهم ما زعموه فيه من أنه لا يتفاضل الناس فيه بل يتفاضلون
تفاضلا ظاهرا في التصديق بقضايا تمر بالناس يوميا في حياتهم ، فضلا عن
التصديق بقضايا المغيبات من أخبار اليوم الآخر والجنة والنار وأسماء الله وصفاته
فمن زعم أن تصديق أقل الناس إيمانا بالله مثل تصديق أكمل الناس إيمانا به بتلك
الأمر المغيبة فلا شك في بطلان قوله بما لا يحتاج إلى سرد الأدلة عليه .

وأما زيادة الإيمان ونقصانه فيكفي في ثبوته إخبار الله عز وجل بذلك في
كتابه الكريم وإخبار نبيه محمد ﷺ في سنته الشريفة بما لا يخفى على طلاب
العلم معرفته ، فإن أدلته واضحة تمام الوضوح ومعتقد السلف فيه من أوضح
الأمر وهو الاعتقاد الجازم أن الإيمان يزيد وينقص في قلب كل شخص .

وكل إنسان يلمس هذا من نفسه ولا ينكره إلا مكابر على أنه بعد ثبوت
ذلك في كتاب الله وفي سنة نبيه وفي إجماع علماء السلف بعد ثبوت هذا كله
لا يحق لمسلم أن يتشكك في ذلك بل يجب الإيمان والجزم به .

وينبغي التنبيه إلى أمر هام وهو وجود عدة أحاديث كلها موضوعة يذكر
فيها أن الإيمان في القلب فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص ونضيف هنا ما ذكره العلماء
من أنه كلما عثرت على حديث من هذا النوع فهو مكذوب على النبي ﷺ
وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله :

« وكل حديث فيه أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فكذب مختلق»^(١) ومن تلك
الأحاديث :-

١ - حديث « من قال الإيمان يزيد وينقص فقد خرج من أمر الله ، ومن
قال أنا مؤمن إن شاء الله فليس له في الإسلام نصيب » قال الشوكاني رواه
محمد بن تميم وهو واضعه^(٢).

(١) المنار المنيف ص ١١٩ . (٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٤٥٣ .

ومنها الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا « من زعم أن الإيمان يزيد وينقص فزيادته نفاق ونقصانه كفر فإن تابوا وإلا فاضربوا أعناقهم بالسيف أولئك أعداء الرحمن فارقوا دين الله تعالى واستحلوا الكفر وخصموا الله، طهر الله الأرض منهم ألا فلا صلاة ألا فلا زكاة لهم ألا فلا صوم لهم ألا فلا حج لهم ألا فلا دين لهم هم براء من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ برئ منهم» قال السيوطي موضوع آفته الطالقاني كذاب خبيث من المرجئة كان يضع الحديث لمذهبه»^(١).

ومثله أيضا الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن وفد ثقيف جاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه عن الإيمان هل يزيد وينقص فقال « لا، زيادته كفر ونقصانه شرك» وهو حديث موضوع وضعه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وهو من رؤساء المرجئة .

قال السيوطي نقلا عن الحاكم «إسناده فيه مظلمات والحديث باطل والذي تولى كبره أبو مطيع»^(٢).

وكان الذين وضعوا أمثال هذه الأحاديث كانوا يجهلون أو يتجاهلون أن الرسول ﷺ كان يقرأ قول الله تعالى : ﴿ فَأما الذين آمنوا فزادهم إيمانا وهم يستبشرون ﴾^(٣) وآيات أخرى كثيرة تثبت زيادة الإيمان فكيف ينفي الرسول ﷺ ما أثبتته الله في القرآن . لأن ما قبل الزيادة - كما هو معروف - قبل النقصان وقول المرجئة بعدم زيادته ونقصانه إنما حملهم على ذلك زعمهم أن التصديق شيء واحد وبالتالي فهو لا يختلف حسب مفهومهم ولا يتفاضل الناس فيه .

(١) اللآلئ المصنوعة ٤٠/١ .

(٢) المصدر السابق ٣٨/١ . وانظر كلام ابن أبي العز على هذا الحديث في شرح الطحاوية ص ٣٢٥ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٢٤ .

الفصل الثامن

مذهب أهل السنة فى تعريف الإيمان

مذهب أهل السنة المتمسكون بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ السائرون على وفق ما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم فى أسماء الله وصفاته وفى مجانبة البدع وأهلها مذهبهم فى الإيمان أنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

هذا هو منهجهم واعتقادهم فى الإيمان ، أن العمل داخل فى حقيقة الإيمان وأنه لا إيمان بدون عمل وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية حسب ما حل بالقلب من ذلك .

وهذا هو الواضح من النصوص الكثيرة فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية إلا أنه قد تختلف تعبيرات أهل السنة عن حقيقة الإيمان فيعرفونه بصيغ مختلفة^(١) ولكن القصد واحد وهو إدخال العمل فى حقيقة الإيمان كما يدل عليه كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ .

ومنه قوله تعالى فى بيان جملة من صفات المتقين أهل الإيمان : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾^(٢) .

(١) مثل قولهم : هو عمل وقول ونية ، أو هو قول وعمل واتباع السنة أو هو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح أو هو إقرار وعمل أو تصديق وعمل .

انظر مجموع الفتاوى ١٧٠/٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

وقال تعالى مبينا الخصال التي يكون بها الشخص مؤمنا إذا طبقها على نفسه وعمل بما دلت عليه ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢).

وهذه الآيات واضحة الدلالة على مذهب أهل السنة في حقيقة الإيمان المكون من القول والعمل والاعتقاد . وهي حجة على من فرق في الإيمان بين الاعتقاد والعمل أو غالط في بعض تعريفات السلف للإيمان .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في بيان أقوال السلف حقيقة الإيمان « ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون هو قول وعمل » وتارة يقولون هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون . قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح » وكل هذا صحيح فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام (٣) وقال أيضا : « والمقصود هنا أن من قال من السلف « الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل الجوارح والقلب ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية

(١) سورة المؤمنون : ١ - ١١ .

(٢) سورة الحجرات : ١٥ .

(٣) مجموع الفتاوى / ٧ / ١٧٠ .

فزاد ذلك ، ومن زاد أتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط . فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة ، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة» (١) .

واستدل أهل السنة على ما يذهبون إليه من دخول العمل في مسمى الإيمان بأحاديث كثيرة منها :

قوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون وأبضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » (٢) .

وقوله ﷺ لوفد عبد القيس « أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع أمركم بالإيمان أتدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم » (٣) .

وقوله ﷺ « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم » (٤) . وأحاديث أخرى كثيرة جعل فيها العمل من الإيمان . وعلى هذا مضى السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم .

وعليه أيضا مضى علماء الإسلام ومنهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد حيث فسروا الإيمان بأنه التصديق والقول والعمل وأنه يقبل الزيادة ويقبل النقص وأن

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧١ .

(٢) أخرجه البخارى ٥١/١ ومسلم واللفظ له ٢١٠/١ .

(٣) أخرجه البخارى ١٢٩/١ ، في مواضع من صحيحه ومسلم ١٥٤/١ .

(٤) الإمام أحمد في المسند ٢٥٠/٢ .

أهله يتفاوتون فيه.

ومما ينبغي فهمه أن السلف حينما يعرفون الإيمان بأنه قول وعمل لا يقصدون أن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح دون النظر إلى إيمان القلب وتصديقه وعمله فإن السلف ما كانوا يريدون ألفاظ اللسان وحركات الجوارح مجردة عن عمل القلب وتصديقه الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع شرائع الإسلام.

فإن السلف يعتبرون إيمان القلب أمراً أساسياً في الإيمان وصلاح العمل وإنما لم يصرحوا به لظهوره إذ إنهم لم يتصوروا أن تلك الثلاثة الأمور في التعريف بالإيمان منفصلة عن بعضها . وحينما يعرف السلف الإيمان بأنه الإقرار والتصديق أو تصديق وعمل لا يريدون من التصديق مجرد التصديق بالخبر فقط دون الالتفات إلى ثمرة التصديق وهو الإذعان والامتثال للأمر الذي يتبعه العمل حتما بل يريدون التصديق الذي يتبعه العمل كأثر للتصديق وإلا فلا فائدة من التصديق إن لم يثمر العمل . وهذا التفسير هو ما دل عليه الكتاب والسنة واللغة قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾^(١) أى قد أمثلت الأمر وحققتة فعلا لولا أن الله فدى ولدك بذبح غيره وليس المقصود إنك صدقت الرؤيا كما تصدق سائر الأخبار أو تكذب بل صدقتها وجزمت بالعمل القلبي الذي يتبعه العمل الظاهر وهو إرادتك ذبح ابنك ولو كان المقصود بذلك مجرد المدح على تصديق الرؤيا لما كان له فضيلة فيها .

ومن السنة قول الرسول ﷺ « إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه »^(٢).

(١) سورة الصافات : ١٠٥ .

(٢) أخرجه البخارى ٢٦/١١ .

وتصديق الفرج وتكذيبه كناية عن الفعل نفسه أو عدمه ، وعلى هذا فالتصديق الذى يريده السلف هو ما يتبعه العمل ، وبهذا يتبين خطأ من ذهب إلى أن مراد السلف هو التصديق المجرد بالقلب دون الألتفات إلى عمل القلب وإذعانه .

كما أن السلف يفسرون الإقرار هنا بمعنى حصول الإلتزام والإذعان لا مجرد الإقرار بمعنى الاعتراف أو التصديق بالشيء قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١).

والإقرار هنا ليس مجرد الاعتراف بل لابد من الإقرار المستلزم للعمل إذ الإقرار وحده لا يكفى .

أما مذهب المرجئة فإن مجرد التصديق بالشيء يعتبر إيمانا به ظاهرا وباطنا بغض النظر عن العمل على حسب منهجهم فإذا تلفظ الشخص عندهم بكلمة الإخلاص - لا إله إلا الله - أصبح بمجرد تلفظه إضافة إلى تصديقه مؤمنا كامل الإيمان ظاهرا وباطنا .

فإذا امتنع عن قولها فحكمه عندهم أنه كافر في الظاهر وقد يكون مؤمنا في باطنه كما يزعمون والسلف يحكمون بكفره ظاهرا وباطنا إذا امتنع عن قولها مع القدرة ، مع أن مجرد التصديق قد لا يكون به الشخص مؤمنا فإن بعض اليهود كان مصدقا برسالة محمد ﷺ وأن ما جاء به من عند الله ولكنهم لم يدخلوا الإسلام إما حسدا وإما خوفا وإما استكبارا وبعضهم يزعم أنه رسول الله حقا ولكن إلى العرب بخصوصهم (٢) فلم ينفعهم هذا التصديق في الحكم لهم بالإيمان مع جمعهم بين الإقرار والتصديق كالموشكانية والعیسوية من يهود

(١) سورة آل عمران آية ٨١ . (٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢١٧/١ .

أصفهان - كما قدمنا .

وإن الإنسان ليعجب حقا ممن تجاهل منزلة العمل من الإيمان وهو يقرأ كتاب الله وسنة نبيه ويسمع الأحاديث التي تجعل الإيمان والعمل قرينان لا يغني أحدهما عن الآخر .

فقد قرن الله تعالى العمل بالإيمان في مواضع عديدة من كتابه الكريم وفي سنة الرسول ﷺ كذلك أحاديث كثيرة .

قال تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري تحتها الأنهار ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٢) ومرة يذكر القرآن الكريم العمل ثم يذكر بعده الإيمان . ومما يدل على أنه لا فرق بين العمل والإيمان أو الإيمان والعمل في إطلاق كل منها على الآخر أيضا قوله تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ (٣) فمن فرق بين الإيمان والعمل بالجوارح فلا شك في مخالفته الصريحة للقرآن والسنة وأنه ينبغي عليه التوبة والرجوع إلى هدى القرآن الكريم ، وأن يترك تلك الفلسفات التي أنتجت هذه الخلافات العقيمة في قضية الإيمان التي كانت في تمام الوضوح عند الصحابة ومن بعدهم حتى نبغت هذه الفئام من الناس ليشرحوا الإيمان بأغمض مما يتصور العقل كما هي عادة أولئك فإنهم يشرحون المسألة الواضحة حتى يجعلوها الغازا وطلاسم لا يعرف منها أحيانا إلا الحروف التي كتبت بها فتجد شروحات وكلاما كثيرا لافائدة من ورائه وصدق ابن أبي العز في قوله عن كثرة كلام المتأخرين وقلة كلام المتقدمين قال : « كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في

(٢) سورة العصر : ١ - ٣ .

(١) سورة البقرة : ٢٥ .

(٣) سورة طه : ١١٢ .

جوابها فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا قليل البركة بخلاف كلام المتقدمين فإنه قليل كثير البركة»^(١) فهل يوجد أوضح من قول الرسول ﷺ في حقيقة الإيمان حين قال لجبريل في سؤاله عن الإيمان « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وقوله ﷺ « الإيمان بضع وسبعون شعبه أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق » .

والأحاديث كثيرة في هذا المعنى الذى يوضح حقيقة الإيمان في أنه مركب من أعمال القلوب وأعمال الجوارح فمن زعم أنه مؤمن ومصداق بقلبه ولكن لا يؤمن بعمل تلك الأمور الظاهرة للإيمان فقد رد الحديث مهما ادعى من تعليقات كما أن مجرد الإقرار لا يكفى للدخول في الإسلام عند السلف فإذا أقر الشخص لكنه رفض العمل متعمدا فهو دليل على كذبه في إقراره فمن أقر بالإسلام ثم امتنع عن الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك من شعائر الإسلام وأصر على الامتناع ، فإن المرجئة لا يتجاسرون على الحكم عليه بالكفر لجواز أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان وفاتهم أن الذى يطمئن قلبه بالإيمان تكون شعائر الإسلام أحب إليه من كل فعل وإن قررة عينه تكون دائما فى القيام بتلك الأعمال والاستزادة منها متقربا بعملها إلى ربه . وهذا يدل على بعد فكر المرجئة عن الحق فلو أن شخصا صدق بما جاء به الرسول ﷺ لكنه أبى أن يعمل بجوارحه ما أمر به كالصلاة مثلا ، وأصر على إيبائه حتى قدم لضرب عنقه وهو مصر على إيبائه فإنهم يزعمون بأنه قد يكون مؤمنا فى الباطن ونحن لاندرى حتى وإن كان ظاهره الكفر الصريح وهذا افتراض كاذب لا وجود له إلا فى الذهن إذ لو كان مصداقا بقلبه لما فضل أن تضرب عنقه على الامتناع لأمر ربه وهو يعلم أن الأحكام فى الدنيا إنما تجرى على حسب ما يظهر من أفعال الإنسان ثم رضى

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣ .

أن يموت كافراً في نظر المسلمين وراضياً بالأحكام التي سيعامله بها المسلمون بعد موته من عدم الصلاة عليه وعدم دفنه في مقابر المسلمين وأنه لا يورث إلى غير ذلك (١).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « ومن هنا يظهر خطأ قول جهنم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة قالوا وهذه كلها معاصي لا تنافي الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما يثبت له في الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما تشهد به الشهود » (٢).

(١) انظر كتاب : الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) أنظر مجموع الفتاوى ١٨٨/٧ .

الفصل التاسع

منزلة مذهب المرجئة عند السلف

مذهب المرجئة المتأخرين منهم مذهب رديء وخطير يهون المعصية ويدعو إلى الكسل والخمول، ولذا تجدد السلف يحذرون منه كثيرا ويذمون له لما اشتمل عليه من فساد وإخماد لشعلة الإيمان في القلوب وتمييع لمنزلة العمل في النفوس. وهذا المذهب ومذهب القدرية من المذاهب الرديئة التي حذر منها الرسول ﷺ.

حسب ماورد من روايات مرفوعة في ذمهم والتنفير من معتقداتهم ومن تلك الروايات.

- ١ - صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية (١).
- ٢ - صنفان من هذه الأمة لا تنالهما شفاعتي المرجئة والقدرية (٢).
- ٣ - ألا وإن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا (٣).
- ٤ - صنفان من أمتي لا يردان على الحوض ولا يدخلان الجنة القدرية والمرجئة (٤).
- ٥ - لكل أمة مجوس ولكل أمة نصارى ولكل أمة يهود وإن مجوس أمتي القدرية ونصاراهم الحشوية ويهودهم المرجئة (٥).

(١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه قرير بن سهل وهو كذاب . أظن مجمع الزوائد ٢٠٦/٧ .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن محصن وهو متروك انظر مجمع الزوائد ٢٠٦/٧ ..
(٣) رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو لين قال الهيثمي مجمع الزوائد ٢٠٤/٧ ، قال يزيد بن حصين لم أعرفه .
(٤) قال الهيثمي ، مجمع الزوائد ٢٠٧/٧ ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الغروي وهو ثقة .
(٥) رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سابق وهو ضعيف .

٦ - وفي رواية عن أنس بن مالك مرفوعة « القدرية والمرجئة مسجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » (١).

وهذه الأحاديث ظاهرة في ذم المرجئة والقدرية ، وإن كان في صحاح . . .
خلاف ونزاع بين العلماء بالرغم من تعدد طرقها وبالرغم من كثرة احتجاج
العلماء بها على القدرية والمرجئة .

وهناك من ضعفها لضعف أسانيدھا وإن ذكرھا فمن باب تنوع الردود على
ذم القدرية والمرجئة ويتلخص من كلام العلماء أنها دائرة بين الصحة والضعف
والحسن وفيها أن القول بالقدر والإرجاء لم تختص به هذه الأمة بل إنها نزعة
شريرة في الأمم السابقة فالشيطان هو الذي يميلها لأتباعه في كل أمة وفي كل
عصر ومع دعوة كل نبي .

ومهما كان فإن علماء السلف قد أدوا ما عليهم من النصح بوقوفهم في وجه
هذه الطائفة وتبيين ضلالها والخطر الذي يكمن في دعوتهم ونصحوا للمسلمين
بالابتعاد عن أقوالهم ومن ذلك :

قال الإمام أحمد رحمه الله حين قيل له من المرجيء؟ قال المرجيء الذي
يقول : الإيمان قول . وقيل له المرجئة من هم؟ قال من زعم أن الإيمان قول
« وسئل عن من يقول إنما الإيمان قول فأجاب هذا قول أهل الإرجاء قول محدث
لم يكن عليه سلفنا ومن يقتدى به ، وقال أيضا لا يصلي خلف مرجيء .

وذكر سعيد بن جبيرة المرجئة فقال إنهم يهود أهل القبلة أو صابئة هذه الأمة
ولعله لمشابهتهم اليهود حينما قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدوات أو قد يكون
قال هذا عنهم لانتكالتهم على غفران ذنوبهم دون النظر إلى أهمية العمل . وقال
فضيل بن عياض « يقول أهل الإرجاء الإيمان قول بلا عمل ويقول الجهمية الإيمان

(٦) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الغروي وهو ثقة .
مجمع الزوائد ٢٠٥/٧ .

المعرفة بلا قول ولا عمل . ويقول أهل السنة الإيمان المعرفة والقول والعمل .
فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالتوثقة ومن قال الإيمان قول بلا عمل
فقد خاطر لأنه لا يدري أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه .

وقال منصور بن المعتمر في شيء لا أقول كما قالت المرجئة الضلالة وقال
شريك وذكر المرجئة فقال هم أخبث قوم وحسبك بالرافضة خبيثا ولكن المرجئة
يكذبون على الله .

وقال سفيان الثوري : تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري .
وقال إبراهيم النخعي - الإرجاء بدعة - وقال أيضا : لفتنتهم عندي أخوف
على هذه الأمة من فتنة الازارقة » .

وقال الزهري : ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضمر على أهله من
الإرجاء وقال الأوزاعي : كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان ليس شيء من
الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء .

وسئل ميمون بن مهران عن كلام المرجئة فقال : أنا أكبر من ذلك .

وقال سعيد بن جبيرة لذر الهمداني : ألا تستحي من رأى أنت أكبر منه .

وقال أيوب السختياني أنا أكبر من دين المرجئة (١) .

ونكتفى بما تقدم ذكره عن هذه الطائفة التي ازداد شرها وانتشارها في
عصرنا الحاضر لموافقة هذه الأفكار لما في نفوس كثير من الناس الذين يريدون
التفلت عن القيام بما شرع الله لعباده وألزمهم القيام به فوجدوا في مذاهب
المرجئة سندا قويا وعذرا واضحا في ذلك وهم يغالطون أنفسهم على معرفة تامة
بأن منهجهم هذا لم يتحروا فيه النهج الذي بينه الله لعباده والسيره التي كان
عليها الرسول ﷺ وأصحابه .

(١) انظر لتلك النصوص مجموع الفتاوى ٣٩٤/٧ ، ٣٩٥ .

وما من ناصح لهم عن تفریطهم إلا وأجابوه بأن الإيمان في القلب لا في المظاهر التي هي أقرب إلى الرياء بزعمهم . وهي حجة شيطانية كاذبة إذ لو صحت لقلنا لكل من يعمل عملاً صالحاً أنت مرآئي ، وبذلك أفسدوا قلوب كثير من عامة المسلمين الذين يتأثرون بمثل هذه الأفكار الخبيثة التي ينفرون بها الناس عن مجالس العلم وسماع طريق الخير من أهل الصلاح والتقوى ولذلك تجرأ هؤلاء وأكثرهم ممن لا يحسن فاتحة القرآن على ذم العلماء والمصلحين الذين يدعونهم إلى العمل الصالح وإلى الالتزام بمنهج الله وتطبيقه قولاً وفعلاً واعتقاداً زاعمين أن إيمانهم يعدل إيمان هؤلاء الذين إيمانهم في هذه المظاهر كما يسمونها بل ويجزم بعضهم أنهم أقرب إلى الله من هؤلاء الكادحين في رضى ربهم وطلب مغفرته وعفوه . نكتفى بهذا الموجز عن الإرجاء ومن أراد التوسع فعليه بكتب الفرق والمقالات إذ لا يخلو كتاب من ذكر هذه الطائفة ويرجع كذلك إلى ما كتبه الأخ سفر الحوالى في كتابه ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامى وما كتبه الأخ هادى طالبى في كتابه طوائف المرجئة وموقف أهل السنة منهم ، وقبل ذلك كله ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنهم كما تجد ذلك في الجزء السابع من مجموع الفتاوى وما كتبه أيضاً في « كتابه « الإيمان » . وغير ذلك من كتب العلماء التي عنيت بدراسة هذه الطائفة .

أهم المراجع لهذه الفرقة

- ١ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / لأبي الحسن الأشعري .
- ٢ - الملل والنحل / للشهرستاني .
- ٣ - الفرق بين الفرق / للبغدادي .
- ٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم .
- ٥ - مواضيع متفرقة من كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى فى الجزء (٧) منها . وفى كتابه «الإيمان» .
- ٦ - ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى / د / سفر الحوالي .
- ٧ - طوائف المرجئة وموقف أهل السنة منهم / د / هادى طالبى
- ٨ - شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز .

الباب الحادي عشر الجهمية

هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر؟

تمهيد :

لقد كان لهذه الطائفة التي قامت على مبدأ التعطيل والجبر صولة وجولة في تاريخ الأمة الإسلامية . ولقد تمكنوا وعلا شأنهم وقتنا من الزمن . واهتم علماء الفرق وأصحاب التاريخ والعقائد بأخبارهم وبيان عقائدهم وذكر أشهر رجالاتهم .

وآراء هذه الطائفة لا تزال في بعض المجتمعات ولا يزال الخصام بينهم وبين أهل الحق قائما على أشده كما كان سابقا في الزمن القديم حتى وإن اختلفت في بعض الأحيان المسميات خصوصا بعد ظهور العصرين الجدد بمفاهيمهم الباطلة، الذين لم يقفوا عند حد في إثارة كل ما يمت إلى هواهم ولو بأدنى صلة، فهم جادون في إحياء تلك المفاهيم الجهمية الباطلة باسم التجديد حينما والتطوير أحيانا أخرى .

وإذا كان المثال للانفلات من الالتزام بالعقيدة الصحيحة والسير لهدمها تحت شعارات براءة في دعوى التجديد والتطوير وأحيانا في صورة تمجيد للعقل والعلم أو التراث مما أهتم به كثير من الكتاب والكاتبات قديما وحديثا فإنه يتوجب على كل طالب علم أن يحذر هؤلاء ويحذر منهم وأن لا يركن إلى كتاباتهم بل ولا ينبغي الاهتمام بقراءة كتبهم قبل أن يطلع على ما عندهم من الباطل فإن تلك الكتب مملوءة بالدس والانحراف تحت زخرف من القول.

الفصل الأول

التعريف بالجهمية وبمؤسسها

الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام وهي ذات مفاهيم وآراء عقديّة كانت لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه .

وترجع في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذى الذى كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية حينما من الدهر وقد عتوا واستكبروا واضطهدوا المخالفين لهم حينما تمكنوا منهم ثم أدال الله عليهم فلقوا نفس المصير الذى حل بغيرهم على أيديهم سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة تبيلا .

لقد كان هؤلاء الجهمية العقبة الكؤد في طريق العقيدة السلفية النقية وانتشارها حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل شغلتهم وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبهات الجهمية ومجادلاتهم لهم وخصامهم معهم وكانت العاقبة الحسنة - ولا تزال لأهل السنة والجماعة والله الحمد .

من هو الجهم بن صفوان :

هذا الرجل هو حامل لواء الجهمية واسمه الجهم بن صفوان وهو من أهل خراسان ظهر في المائة الثانية من الهجرة سنة ٢ هـ ويكنى بأبى محرز وهو من الجبرية الخالصة وأول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته .

وكان مولى لبني راسب إحدى قبائل الأزد .

وكان من أخلص أصدقاء الحارث بن سريج إلى أن قتل سنة ١٢٨ هـ وقيل أن الجهم قتل سنة ١٣٠ هـ وقيل سنة ١٣٢ هـ .

وتاريخه طويل وكتبت فيه مؤلفات عديدة ورسائل جامعية .

كان الجهم كثير الجدل والخصومات والمناظرات إلا أنه لم يكن له بصر بعلم الحديث ولم يكن من المهتمين به إذ شغله علم الكلام عن ذلك وقد نبذ علماء السلف أفكارهم وشنعوا عليه ومقتوه أشد مقت مع ما كان يتظاهر به من إقامة الحق قال عنه الأشعري بعد أن ذكر جملة من آرائه الاعتقادية التي تفرد بها قال : « وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »^(١) .

إلا أن الشيخ جمال الدين القاسمي ذهب إلى أن جهما كان من أحرص الناس على إقامة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأن قتله إنما كان لأمر سياسي وذلك لخروجه في وجه بني أمية ولم يكن قتله لأمر ديني يوجب ذلك فيما يرى القاسمي^(٢) .

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه :

« وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرا ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ وكان صاحب خصومات وكلام »^(٣) .

(١) مقالات الإسلاميين : ص ٢٣٨ ج ١ .

(٢) اقرأ كتابه تاريخ الجهمية والمعتزلة : ص ١٤ - ١٨ .

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية : ص ٢٣ .

الفصل الثاني

نشأة الجهمية

نشأة الجهمية :

قامت أفكار الجهم بن صفوان على البدع الكلامية والآراء المخالفة لحقيقة العقيدة السلمية متأثراً بثتى الاتجاهات الفكرية الباطلة .

وكانت نقطة الانتشار لهذه الطائفة بلدة ترمذ التي ينتسب إليها الجهم ومنها انتشرت في بقية خراسان ثم تطورت فيما بعد وانتشرت بين العامة والخاصة ووجد لها رجال يدافعون عنها وظهرت لها مؤلفات وتغلغلت إلى عقول كثير من الناس على مختلف الطبقات . وقد ذكر شيخ الإسلام درجات الجهمية ومدى تأثر الناس بهم وقسمهم إلى ثلاث درجات :

١ - الدرجة الأولى : وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله وصفاته .

وأن سموه بشيء من الأسماء الحسنى قالوا هو مجاز .

٢ - الدرجة الثانية: من الجهمية وهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته .

٣ - الدرجة الثالثة : وهم قسم من الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ولكن فيهم نوع من التعجهم وهم الذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ولكنهم يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤولونها .

ومنهم من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقهاء وطائفة من أهل الحديث منهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة، لكن مع نفى وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن اتبعه .

وفى هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام
والحديث والتصوف وهؤلاء إلى السنة المحظة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة
والخوارج والقدرية لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى
أهل السنة المحظة» (١).

(١) انظر التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

الفصل الثالث

بيان مصدر مقالة الجهمية

يذكر شيخ الإسلام أصل مقالة التعطيل وأنها ترجع في نهايتها إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين يذكر ذلك في قوله : « ثم أصل هذه المقالة - التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين ، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي ﷺ » (١).

ولهذا كان التجسيم والتشبيه هو أظهر سمات الديانة اليهودية المحرفة التى ملئت بها التوراة من وصف الله تعالى بصفات البشر من الندم والحزن وعدم العلم بالمغيبات وغير ذلك من المعتقدات الباطلة .

(١) الفتوى الحموية الكبرى : ص ٢٤ .

الفصل الرابع

ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالاً

للجهمية آراء وعقائد كثيرة تحتاج في دراستها إلى غير هذه العجالة .

ومن أهم تلك الآراء للجهم مانو جزه فيما يلي :

١ - مذهبهم في التوحيد هو إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل ويجعلون أسماء الله من باب المجاز .

٢ - القول بالجبر والإرجاء .

٣ - إنكار كثير من أمور اليوم الآخر مثل :

١ - الصراط .

٢ - الميزان .

٣ - رؤية الله تعالى .

٤ - عذاب القبر .

٥ - القول بفناء الجنة والنار .

٤ - ومنها نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله وإثبات أن القرآن مخلوق .

٥ - وأن الإيمان هو المعرفة بالله .

٦ - ونفي أن يكون الله تعالى في جهة العلو .

٧ - وأثبت أن الله قريب بذاته وأن الله مع كل واحد بذاته عز وجل وهذا هو المذهب الذي بنى عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم .

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري آراء جهم التي تفردها فقال :

«الذى تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل بالله فقط وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده وإنه هو الفاعل وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل وخلق له إرادة للفعل واختيارا له منفردا بذلك كما خلق له طولا كان به طويلا ولونا كان به متلونا ... ويحكى عنه أنه كان يقول لا أقول أن الله سبحانه شيء لأن ذلك تشبيه له بالأشياء^(١) وكان يقول أن علم الله سبحانه محدث فيما يحكى عنه ويقول بخلق القرآن وأنه لا يقال : إن الله لم يزل عالما بالأشياء قبل أن تكون»^(٢). إلى غير ذلك من آراء الجهمية الكثيرة .

وقد استفاد النقل عن العلماء في ردودهم على آراء جهم وأتباعه وفندوها وبينوا مصادرها وعلى حسب ما قيل قديما « ما لا يدرك كله لا يترك كله » فإنه تمكن الأقتصار على . إيضاح أهم الجوانب الاعتقادية لهذه الطائفة وأبرز سماتها فيما يلي : -

١ - إنكار جميع الأسماء والصفات .

٢ - القول بالجبر والإرجاء .

٣ - إنكار الصراط .

٤ - إنكار الميزان .

٥ - القول بفناء الجنة والنار .

(١) وقد رد عليهم الإمام أحمد في الرد على الزنادقة : ص ٢٥ وقلنا هو شيء فقالوا هو شيء لا كالأشياء فقلنا أن الشيء الذى لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون فى العلانية .

(٢) المقالات : ج ١ ص ٢٣٨ .

١ - إنكار الجهمية لجميع الأسماء والصفات

تنكر الجهمية جميع الأسماء التي سمى الله بها نفسه وجميع الصفات التي وصف بها نفسه بحجج واهية وتأويلات باطلة وقد عرفنا فيما سبق مصدر هذه الأفكار التي يعتنقها الجهمية القدماء والجدد .

وهذه المسألة كتب عنها العلماء كتابات مستفيضة ومؤلفات عديدة دحضوا فيها كل ما تعلق به الجهمية في نفي الأسماء والصفات وقلما يخلو كتاب من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وسائر علماء الفرق من رد وخصام وجدال مع هؤلاء.

شبهات الجهمية في نفي الصفات

لقد أقدم الجهمية على نفي الأسماء والصفات بمزاعم من أهمها :

١ - أن إثبات الصفات يقتضي أن يكون الله جسماً لأن الصفات لا تقوم إلا بالأجسام لأنها أعراض والأعراض لا تقوم بنفسها .

٢ - إرادة تنزيه الله تعالى .

٣ - أن وصف الله تعالى بتلك الصفات التي ذكرت في كتابه الكريم أو في سنة نبيه العظيم يقتضى مشابهة الله بخلقه فينبغي نفي كل صفة نسبت إلى الله تعالى وتوجد كذلك في المخلوقات لعلا يؤدي إلى تشبيهه الله بزعمهم بمخلوقاته التي تحمل اسم تلك الصفات .

الرد عليهم

مما يدركه طلاب العلم أن الله عز وجل وصف نفسه في كتابه الكريم ووصفه به نبيه ﷺ بصفات تعرف معانيها ولا تدرك كيفياتها وهي معروفة في القرآن والحديث .

وقد وقف السلف من الصحابة الكرام إلى وقتنا الحاضر إزاء هذه الصفات موقفا واضحا جليا لا لبس فيه يتلخص في كلمات يسيرة ومعانى واضحة ألا وهو الإيمان التام بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ كما جاءت به النصوص من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف يقولون عن كل صفة الصفة معلومة والكيف مجهول والسؤال عنها بدعة ولم يتنطعوا تنطع المشبهه ولم يسلكوا مسالك المعطلة . لأنهم على معرفة تامة أن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فلا يصفون ذاتا غير مدركة الماهية بصفات تكييفها لأن هذا هو القول على الله بغير علم إذ كيف تكييف ذاتا لم تدركها ولم توصف لك أكثر من صفات مجملة قابلة للاشتراك فى الأسماء متباينة الحقائق ومن هنا نجد أنه لم يعرف عن أى شخص من الصحابة أنه سأل النبى ﷺ عن كيفية أى صفة من الصفات التى أخبر الله بها فى القرآن الكريم أو أخبرهم بها نبيهم ﷺ وهذه دلالة على قوة ذكائهم وصفاء عقولهم لأنهم يعرفون بدهاءة أن الاشتراك فى التسمية لا يوجب الاشتراك والمماثلة فى الذات إذ يقال رأس الرجل ورأس الجمل ورأس الذرة ورأس الجبل وبين ذوات هذه الأشياء من الفروق ما لا يخفى على عاقل .

وكذلك بقية الصفات ولهذا فإن عقلاء الناس حينما آمنوا بصفات الله عز وجل لم يتصوروا فيها أى تشبيه بل كانوا يعتبرون مجرد التفكير فى المشابهة من وساوس الشيطان فيذكرون الله تعالى .

كما أن إيمانهم بالصفات كان يجرى كله على هذا المفهوم فما كانوا يفرقون بين أن تكون الصفة ذاتية أو فعلية ولم يحصل بينهم أى نزاع أو جدال فى مسائل الأسماء والصفات كما حصل عند من اتبع هواه ممن عطلوا ثم شبه ثانيا ثم زعم أنه ينزه الله تعالى .

ومن العجائب أن يثبت الله لنفسه الصفة وهم ينفونها عنه ومثلهم فى هذا

كمثل شخص سأل آخر عن اسمه وهو لا يعرفه فأخبره فقال له لا إن اسمك ليس هذا ذلك أن الله تعالى قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وهم يقولون لا يجوز إثبات هذه الصفة بل يجب نفيها مطلقا أو تأويلها بمعنى استولى أو قصد أو غير ذلك من تأويلاتهم الباطلة وحينما قال تعالى عن نفسه ﴿ وهو السميع البصير ﴾ قالوا يجب نفي مدلول هذا نفيًا تاما أو تأويله إما أن يكون بمعنى سميع بلا سمع بصير بلا بصر أو أنه سميع بذاته بصير بذاته إلى آخر مواقفهم الخاطئة تجاه كل الصفات والأسماء .

لقد عارض الجهمية ومن سار على طريقتهم كتاب الله وسنة نبيه وقدموا آراءهم وماتراه عقولهم على نصوص الكتاب والسنة فلم يقفوا عند حدود فهم العقل ومدى قدرته بل تجاوزوا ذلك وظنوا أنهم على شيء وزخرفوا القول في ذلك وتحذلقوا وتنطعوا فخرجوا من نور العلم إلى ظلمات الجهل ومن اليقين إلى الشكوك عقابا من الله لهم لعدم تلقي النصوص ومدلولاتها بالطمأنينة والتسليم وترك التكلف في البحث عن أمور هي من المغيبات ولم يخبرنا الله بتفاصيلها ولا رسوله ﷺ فقد أراد الله أن تكون كيفياتها سرا مكتوما عن العباد وهم يريدون الاطلاع عليها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

إن تنزيه الله عز وجل لا يمكن أن يكون بسلب صفاته وما تدل عليه من العظمة والكمال إنه من الإجماع أن ينزه الله عن ما تمدح به ﴿ قل أنتم أعلم أم الله ﴾ (١).

إن التنزيه الصحيح إنما يكون في إثبات الصفة في أعلى كمالها لأن الكمال المطلق لا يوصف به أحد غير الله تعالى .

وأي تنزيه في أن تقول أن الله ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن يسار ولا يحس ولا يشم ولا يرى أبدا ولا يكلم أحدا وأنه في كل مكان بذاته وأنه لا

(١) سورة البقرة : ١٤٠ .

سمع ولا بصر له ولا يوصف بالرحمة ولا بالغضب ولا بالحيء إلى آخر تلك الأوصاف التي لاتقال إلا للمعدوم .

إنها صفات سلبية نتيجتها أن لا معبود إلا العدم فليس هناك رب بائن من خلقه مستو على عرشه له كل صفات الكمال والجلال .

ومن هنا وجد الملاحدة ضالتهم المنشودة في تقوية الحادهم واحتجاجهم على ذلك بما زعموا أنه من كلام المسلمين السابق وهم يعلمون تمام العلم أن كلام الجهمية السابق ليس له بالإسلام أية صلة وأنه ليس من كلام المسلمين وإنما هو من أفكار ملاحدة الفلاسفة.

إن الجسمية التي يزعمونها حينما يثبتون الصفات لله تعالى إنما هو من باب تغطية الحادهم ومروقهم عن الدين وهم أقل وأذل من أن يجدوا كلاما ما لعلماء المسلمين فضلا عن الصحابة فضلا عن الكتاب والسنة يشير إلى هذا المفهوم الذي تنبهوا له بزعمهم ونفوا بموجبه صفات الله وأسمائه .

إن كلمة الجسمية لله تعالى نفيا أو إثباتا هي من الألفاظ المخترعة التي لم ترد في الشرع لا في الكتاب ولا في السنة وهي تخفي وراءها هدفا ما ولو وقف هؤلاء الذين يطلقون لفظ الجسم عند الحدود الشرعية لرؤوا أنه يجب عليهم لزاما أن لا يطلقوا على الله إلا ما ثبت له من الأسماء والصفات وترك ذلك التنطع المذموم .

لأن لفظ الجسم لفظ عام يحتاج إلى بيان وتوضيح ممن يقول به لأنه لم يرد في الشرع لا بالنفى ولا بالإثبات ولهذا كان في إطلاقه حق وباطل ويجب على القائل به تفصيل ما يريد فهناك من ينفى لفظ الجسم من الجهمية والمعتزلة ليخفي ما يهدف إليه من نفى ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات وهناك من يثبت الجسم من المشبهة ليخفي ما يهدف إليه من إثبات مانفاه الله عن نفسه وقد أجاب العلامة بن القيم رحمه الله عن هذه المسألة وفصلها تفصيلا شافيا كافيا فقال :

« واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتا فيكون له الإثبات ولا نفيا فيكون له النفي . فمن أطلقه نفيا أو أثباتا سئل عما أراد به فإن قال أردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذى لا يسمى فى اللغة جسم سواه فلا يقال للهوى جسم لغة ولا للنار ولا للماء .

فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا ، فهذا المعنى منفى عن الله عقلا وسمعا .

وإن أردتم به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة فهذا منفى عن الله قطعا . والصواب نفيه عن الممكنات أيضا ، فليس الجسم المخلوق مركبا من هذا ولا من هذا وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعانى ثابتة لله تعالى وهو موصوف بها فلا نفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما كما أنا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصبا ولا نفي قدر الرب ونكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبتته جبريا ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية ولا نوجد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسما مشبها « إلى أن قال : « وأن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق به بإصبعه رافعا بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مشهدا له لا للقبلة ، وإن أردتم بالجسم ما يقال أين هو ؟ فقد سأل أعلم الخلق به بأين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال بأين وأجاب عنه ولم يقل هذا السؤال إنما يكون عن الجسم . وإن أردتم بالجسم ما يلحقه (من وإلى)^(١) . فقد نزل جبريل من عنده وعرج برسوله إليه وإليه يصعد الكلم الطيب وعنده المسيح رفع إليه وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة وهذه صفات متميزة

(١) هكذا النص في الأصل .

متغايرة ... إلى أن قال وإن أردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر فنحن
نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي أطلقها
على نفسه .

وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق
عباده مستو على عرشه « (١) .

فينبغي للعاقل أن يتفطن لكلام أهل الزيغ ونبزهم لعلماء السنة تنفيرا للعامّة
عنهم كما أنه يجب على المؤمن أن لا ينساق وراء مغالطات أصحاب البدع فهم
من دأبهم قلب الحقائق والتلبس على الناس لتقوية ما اقتنعوا به من أفكار
الملاحدة وفلاسفة اليونان .

٢ - قول الجهمية بالإرجاء والجبر

لقد كان الجهم بن صفوان مؤسسا حقيقيا لكثير من الشبهات في الدين
ومؤججا لكثير من الفتن بين المسلمين بفعل من جاء بعده ممن راقى في نظره آراء
جهم ، ويظهر الإرجاء عند الجهمية في تلك الآراء التي نادى بها الجهم ومن
أهمها عدم اعتبار العمل من الإيمان فإن الإيمان وحقيقته في نظرهم إنما هو مجرد
الإقرار بالقلب ولا قيمة للعمل في الإيمان ولهذا سارع أصحاب الفسق
والاستهتار بالقيم إلى التمسك بهذا المذهب لأنه يساير رغباتهم ويثبت لهم
الإيمان بغض النظر عن جميع المعاصي التي يرتكبونها فهم مؤمنون كاملوا الإيمان
بالمفهوم الجبري والإرجائي فهم لا يمكن أن يطلقوا الكفر على أحد بسبب ترك
الأعمال التي أمر الله بها بل لا يتجاسرون على إطلاق الكفر إلا إذا لم يقر بقلبه
حسب زعمهم .

قال ابن أبي العز رحمة الله :

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلّة - على الجهمية والمعطلة ص ١٧٥ / ١٧٧ اختصار الموصلي .

« والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه وهم عكس القدرية نفاة القدر ، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ، وقد تسمى الجبرية قدرية « لأنهم غلوا في إثبات القدر وكما يسمى الذين لا يجزمون بشئ من الوعد والوعيد بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع فلا يجزمون بشواب من تاب كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب وكما لا يجزم لمعين » (١).

وقد قام أساس إرجاء الجهمية على موقفهم من حقيقة الإيمان وفي مبحث المرجئة دراسة حول المرجئة وموقفهم من الإيمان وأنه المعرفة فقط وأنه كذلك لا يزيد ولا ينقص .

ومن العمل وأنه لا صلة له بالإيمان ومن مرتكب الكبيرة وأن الذنوب لا تعلق لها بالاعقاد وإنما هي تابعة للأعمال وبالتالي فلا أثر لها على الإيمان الذي في القلب فهونوا المعاصي وشجعوا على الركون إلى الكسل والخمول في العبادات .

ومع ذلك فهم يزعمون أن إيمان أى واحد منهم هو مثل إيمان جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام لاتفاقهم فى المعرفة بالله التى بنى الجهميون عقيدتهم فى الإيمان عليها وهم أجهل الناس بمعرفته عز وجل إذ نفوا أسماءه الحسنى وصفاته العلا إضافة إلى ما أحدثوه من الآراء والبدع الفاسدة .

وأما الجبر - بفتح الجيم وسكون الباء - فمعناه إسناد ما يفعله الشخص من أعمال إلى الله عز وجل وأن العبد لا قدرة له البتة على الفعل وإنما هو مجبور على فعله وحركته فى الفعل بمثابة حركة النباتات والجمادات ومن هنا فإنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة لأن العبد مجبور على فعله لا

(١) شرح الطحاوية : ص ٥٩٢ .

حول له ولا قوة .

قال الإمام ابن القيم عنهم :

والعبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتحرك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرك نائم وتحرك الأشجار للميلان
والله يصليه على ما ليس من أفعاله حر الحميم الآن
لكن يعاقبه على أفعاله فيه تعالى الله ذو الإحسان
والظلم عندهم المحال لذاته أنى ينزه عنه ذو السلطان
ويكون مدحا ذلك التنزيه ما هذا بمقبول لدى الأذهان

والمقصود بهذا بيان مذهب الجهم الذى قرر فيه أن العبد مسلوب الإرادة والاختيار لأفعاله مثله مثل حركة المرتعد وهبوب الرياح وحركة النائم وحركة الأشجار وتمايلها بفعل الرياح ثم زعموا مالا يعقله أحد إلا هم ومن قال بقولهم وهو أن الله عز وجل مع أنه هو الذى جبر الإنسان على فعله ورغما عنه ومع ذلك فإن الله يعذبه بنار جهنم مع أن الفعل هو نفسه فعل الله فيه .

وقالوا بأن هذا ليس بظلم لأن الإنسان ملك لله لأن الظلم في مفهومهم هو المحال لذاته الغير متصور وقوعه وهذا تكذيب لقول الله: ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى الذى يفيد أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه وقد تمدح بذلك لبيان كمال عدله فأين هذا المفهوم من مفهوم الجهمية حينما يقررون أن الإنسان مجبور على فعله لا لوم عليه فيما يأتيه من الأفعال القبيحة والمنكرات لأن

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

(١) البقرة : ٢٨١ .

موجدها إنما هو الله تعالى ثم كلفه بامثال أمره ونهيه فكيف يتصور هذا ؟ يكلفه الله بالامثال ثم يوجد فيه قوة العصيان هذا تناقض وتكليف بما لا يطاق وقد أخبر الله تعالى بأن الحق هو عكس هذا المفهوم فقال عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ وخلق الفعل من العبد ابتداءً وانتهاءً لا يتفق مع مضمون هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث ، ويصح على مفهوم هؤلاء الجهمية أن لا يقال للزاني أنه زان ولا للشارق أنه سارق ولا للمصلي أنه مصلي الخ .

لأن هذه الأفعال هي أفعال الله فيهم وإنما هم منفذين لها لقد أعظموا على الله الفرية وقفوا ما ليس لهم بحق .

٣- إنكار الجهمية الصراط

الصراط من الأمور الغيبية التي أعدها الله في يوم القيامة وقد ثبت في الشرع بأحاديث صحيحة إضافة إلى قول الله عز وجل : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾^(١).

وفي الصراط تفاصيل طويلة وأخبار كثيرة وقد حاولت حصر أكثر ما تيسر من أخباره في « الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار »^(٢). ونكتفى بإيجاز ما يهمنا ذكره هنا من إخبار هذا الأمر .

الصراط المراد به : ما ثبت في السنة النبوية أنه جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف يعبره الخلائق بقدر أعمالهم إلى الجنة فمنهم من يجتازه ومنهم من يقع فيه .

وقد ورد في القرآن الكريم لفظة الصراط في تسعة وأربعين موضعاً على معان مختلفة لكنها متقاربة في المعنى مراداً بها الطريق أو طريق الهداية والرشاد

(١) مريم : ٧/ .

(٢) قدمتها لمرحلة الدكتوراه . انظر الباب العاشر منها من ص ١٠٦٩ إلى ص ١١٨١ .

هذا في اللغة ولكن السلف ما كانوا يغفلون حقيقته الشرعية من أنه جسر ممدود على متن جهنم ولم يأت التصريح بذكره في القرآن الكريم .
غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها صريحة في ذكر الصراط وبعضهم يجعلها إشارة إليه ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾^(١) ، وهذه الآية ليس فيها التصريح التام يذكر الصراط في اصطلاح الشرع إلا إن يقال إن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط ومنه إلى النار .
ومنه قوله تعالى : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾^(٢) ، ورد في تفسير العقبة أقوال كثيرة منها أن العقبة هنا هي الصراط .
وكذا قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الآية أي بالمرور على الصراط .

أما في السنة النبوية فقد ورد ذكره ووصفه وكيفية المرور عليه في عدة أحاديث في الصباح والسنن والمسانيد منها قوله ﷺ ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبه كلابيب مثل شوك السعدان أما رأيتم السعدان قالوا بلى يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظيمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق ومنهم المخردل ثم ينجو »^(٣) إلى آخر الحديث .

وللصراط أوصاف كثيرة فهو أحد من السيف وأدق من الشعرة عليه كلابيب تخطف الناس بأعمالهم ولا ينجو عليه إلا من كتبت له السعادة ولا صحة لأقوال المتأولين له فإنها في مقابلة النصوص وفي مرورهم عليه يعطون أنوارا كل شخص نوره على قدر عمله .

(١) الصفات : ٣٣ . (٢) البلد : ١١ .

(٣) أخرجه البخارى ج ١١ ص ٤٤٥ « الفتح وقد بوب البخارى بقوله » باب الصراط

ثم يقال لهم امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كأنقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشهد الرجل يرمل رملا وقد نصبه الله لحكمة فلو شاء لاجتاز الخلق بغير نصبه وقد تلمس بعض العلماء حكما كثيرة لذلك إلا أنه ينبغي الإيمان التام بأن الله حكمة قد تظهر وقد لا تظهر حقيقتها لأحد ولسنا مكلفين باستخراج الحكمة وقد كلفنا بالإيمان بكل ما صح ثبوته.

كما أنه قد ورد في تحديد مسافة الصراط أقوال كثيرة تفتقر إلى دليل من الشرع فهي من إجهادات العلماء واستنباطاتهم وينبغي معرفة أن المسافة وطولها أو قصرها إنما تعود إلى العمل فالاجتياز عليه إنما هو بقدر العمل كما ثبت ذلك في عدة نصوص .

وإنكار الجهمية وغيرهم للصراط ليس لهم ما يتمسكون به إلا شبهات باطلة واستبعاد له ظانين أن استبعاده في عقولهم يصح أن يكون دليلا على إنكاره وبغض النظر عن سرد تلك الشبهات فإن النتيجة واحدة وهي إنكار الصراط ويكفي في الرد عليهم أن يقال لهم إنكم تردون أقوال نبيكم ﷺ بمحض الهوى والشبهات وليس لكم أى دليل ومن رد أقوال النبي ﷺ بعد صحة ثبوتها فلا ريب في خسارته ومفارقة طريق المؤمنين .

وإذا أردت أيها القارئ الكريم تفاصيل الصراط كاملة فأرجع إلى ما سبق ذكره من المراجع التي ترشدك إلى أماكن أقوال العلماء وخلاصة أرائهم ..

٤ - إنكار الجهمية للميزان

الميزان من أمور الآخرة الغيبية التي يجب الإيمان بها وقد أنكرته الجهمية والمراد به في الاصطلاح الشرعي الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم وأخبر عنه رسول الله ﷺ في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة تنويها بعظم شأنه وخطورة أمره .

وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرا وشرها وقد أخبر الله عنه في القرآن الكريم إخبارا مجملا من غير تفصيل لحقيقته وجاءت السنة النبوية فينته .

يظهره الله في يوم القيامة لإظهار مقادير أعمال الخلق وقد أجمع المسلمون على القول به واعتقاده .

وجاء ذكره في القرآن الكريم في أكثر من آية تنويها بعظمه وأهميته قال تعالى : ﴿ وَنُضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنا حَاسِبِينَ ﴾ الأنبياء ٤٧ وآيات أخرى كثيرة لا تحفى طلاب العلم ودلالاتها على اثبات الميزان أمر ظاهر وقد وصف الله فيها الموازين بالثقل والخفة وإنها موازين عدل وأن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية ومن خف ميزانه فقد خسر وهوى إلى جهنم .

كما وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة فيها بيان ثبوت الميزان وصفاته وما الذى يوزن فيه هل هو العامل فقط أو العمل فقط أو العامل والعمل أو صحف الأعمال وما الذى يثقله وما الذى يخففه ومن تلك الأحاديث وهى كثيرة .

قوله ﷺ كما فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » (١) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرأوا : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ (٢) . (٣) .

وثبت أن العمل يوزن ويوزن أيضا العامل وتوزن صحائف الأعمال وروى

(١) صحيح البخارى : ١٣ ص ٥٣٧ ومسلم : ج ٥ ص ٥٤٨ .

(٢) سورة الكهف ١٠٥ . (٣) أخرجه مسلم : ج ٥ ص ٦٥٥ .

أن أشد ما يكون الناس خوفاً في يوم القيامة عندما يأتي دور الوزن .
وقد تلقى المسلمون أخباره بالقبول والتصديق لثبوته بالكتاب والسنة
والإجماع^(١) ولم يخالف في ثبوته أى شخص من السلف .
وقد ذهبت الجهمية وغيرهم من أهل البدع إلى إنكاره بلا دليل لأنه فى
زعمهم يستحيل وزن الأعراس كما أنكروا أن يكون هناك ميزان حقيقى له
كفتان ولسانا معرضين عن النصوص الثابتة بذلك كما قدمنا بعضها .
وإذا أراد القارئ المزيد من أخبار الميزان والاطلاع على المناقشات الموسعة
فيه فليقرأ - إن أحب - « الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار » .
فسوف يجد فيه إن شاء الله كل ما يطلبه من تفصيل لأخبار الميزان ومواقف
علماء السنة وعلماء البدع منه وما الذى يوزن وهل توزن أعمال الجن وهل هو
ميزان واحد أو موازين متعددة إلى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بهذا الأمر .

٥ - قول الجهمية بقاء الجنة والنار

اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد الجنة وأن تكون دار أوليائه إلى الأبد
وأن يوجد النار وتكون دار أعدائه إلى الأبد خلقهما الله وكتب لهما البقاء
الأبدي بإبقاء الله تعالى لهما وهذا هو الثابت فى الشريعة الإسلامية .
وخالفت الجهمية وجاءوا بأفكار ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان قال
شمس الدين ابن القيم ..

« والجهم أفناها وأفنى أهلها تبا لذاك الجاهل الفتان »^(٢)

ولم يكن لهم ما يستدلون به على إنكارهم ذلك إلا مجرد الظن ، وأن الظن
لا يغنى من الحق شيئاً وصاروا يشنعون على السلف أهل الحق ما يعتقدونه فى
وجود الجنة والنار الآن ودوامهما فى المستقبل .

(١) انظر لوامع الأنوار : ج ٢ ص ١٨٤ . (٢) النونية : ح ٢ ص ٣٩٣ .

قال ابن أبي العز رحمة الله: ^(١) « وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام المذموم التي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدث ما لم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى جهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل فداوم الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي » .

لقد زعم الجهم وأتباعه أن الجنة والنار ستفنى بحجة أن ما لا نهاية له من الأمور الحادثة المتجددة بعد أن لم تكن يستحيل حسب زعمه أنها تبقى إلى ما لا نهاية ولم يتصور أن بعض الأشياء التي شاء الله لها البقاء أنه يمتنع فناؤها .

ولا يوجد له من الأدلة إلا أهل الكلام حينما أرادوا الاستدلال حسب عقولهم على حدوث الأجسام حين قالوا كل جسم حادث وكل حادث لا بقاء له فالأجسام حادثة - وكل ما قبل الحدوث فهو حادث والعالم قبل الحدوث فهو حادث .

ثم زعم جهم أن الرب يمتنع عليه إيجاد حوادث لا أول لها ؛ مخافة تعدد الآلهة إذا قلنا بوجودها ثم قاس هذا على نهاية الحوادث فكما أنه يستحيل عنده وجود حوادث لا أول لها فكذلك يمتنع القول بوجود حوادث لا آخر لها لأن الله وحده هو الأول والآخر وقد ظن أن هذا من تنزيه الله تعالى . وهو في الواقع إساءة ظن بقدرة الله تعالى ولم يعلم أن ما أراد الله له البقاء فإنه يمتنع عليه الانتهاء .

فإن الجنة أراد الله لها البقاء والنار كذلك فيستحيل أن تفنيان وإلا كان

(١) شرح الطحاوية : ص ٤٢٠ .

فناؤهما تكذيب لكتاب الله وسنة نبيه فإن القرآن الكريم مملوء بالأخبار عن بقائهما إلى الأبد .

قال تعالى ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ (١) أى غير منقطع إلا إذا شاء الله أن يقطعه فقوته فوق ذلك ولكن أخبر عز وجل أنه لم يشأ أن ينقطع أبداً فيجب تصديق ذلك ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ (٢) ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فى إثبات هذا المفهوم .

وقد جاءت السنة بتأكيد ثبوت وجود الجنة والنار الآن ودوامهما فى المستقبل فى أحاديث كثيرة كقوله ﷺ « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس » (٤) وقوله ﷺ « ينادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن تمحوا فلا تموتوا أبداً » (٥)

وورد عن ذبح الموت بين الجنة والنار ثم يقال : « يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت » (٦) والمذبوح هنا ليس هو ملك الموت كما يظن البعض حاشاه من ذلك وإنما المذبوح هو الموت نفسه على صورة كبش أملح لأن الموت مخلوق والحياة مخلوقة كما أخبر الله تعالى .

وعن دوام النار يقول الله تعالى ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٧) وقال تعالى ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ (٨) ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ (٩) ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ (١٠) .

(١) هود : ١٠٨ . (٢) الحجر : ٤٨ . (٣) الدخان : ٥٦ .
(٤) رواه مسلم . ج ٤ ص ٢١٨١ . (٥) أخرجه مسلم . ج ٤ ص ١٢٨٢ .
(٦) أخرجه البخارى ج ٨ ص ٤٢٨ ومسلم أيضا . (٧) البقرة : ٨١ .
(٨) البينة : ٨ . (٩) البقرة : ١٦٧ . (١٠) فاطر : ٣٦ .

فهذه النصوص تثبت بجلاء دوام الجنة والنار وأن المنكرين ذلك ليس لهم أى دليل إلا مجرد الاستبعاد وهو ليس بدليل وإلا ما قاسوه باخياتهم الضعيفة ولإن نازع هؤلاء فى دوامهما فقد نازعوا فى وجودهما الآن حيث نفوا ذلك وأصروا على عدم وجودهما الآن بدليل أن الجنة لو كانت موجودة الآن لما ذكر فى الأحاديث أن الأعمال الصالحة يفرس بها لصاحبها شجر فى الجنة ونسوا أن البيت الجميل المتكامل البناء والحسن لا يمنع أن يزداد فيه من أنواع التحسينات والنقوش والزخرفة ما يزيده جمالا وحسنا .

وقد ذكر الله عز وجل فى القرآن الكريم أدلة وجودهما الآن بما لا يخفى إلا على أهل البدع فقد قال تعالى عن الجنة : ﴿ أعدت للمتقين ﴾ (١) .

وقال عن النار كذلك ﴿ أعدت للكافرين ﴾ (٢) لقد أعدهما الله تعالى قبل نزول أهلها فيهما وقد جاء فى السنة النبوية ما يؤكد وجودهما الآن كما جاء ما يؤكد بقاءهما أبداً - كما تقدم .

ومن الأحاديث التى تؤكد وجودهما الآن ما جاء فى حديث الإسراء والمعراج قوله ﷺ : « ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان » لا أدرى ما هى قال ثم دخلت الجنة فإذا هى جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» (٣) .

وقوله ﷺ : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » (٤) .

وقد أخبر ﷺ « بأنه رأى الجنة وتناول منها عنقودا وقال لهم ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا » (٥)

(١) آل عمران : ١٣٣ .
 (٢) آل عمران : ١٣١ .
 (٣) صحيح البخارى : ج ٤ ص ١٠٧ .
 (٤) المصدر السابق : ج ٤ ص ٨٥ .
 (٥) صحيح مسلم : ج ٣ ص ٣٤ .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد وجودهما الآن إضافة
إلى ماجاء فى القرآن الكريم ولكن أهل البدع لا ينظرون إلى الحق إلا من زاوية
هواهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الفصل الخامس

الحكم على الجهمية

يتورع السلف كثيرا عن إكفار أى جماعة أو شخص ويرهبون إطلاق التفكير فلا يتسرعون فيه كما تفعل الفرق المبطللة فى تكفير الناس أو فى تكفير بعضهم بعضا أيضا ، إلا أن السلف لا يتورعون عن إطلاق كلمة الكفر على من جاءت النصوص بتكفيرهم أو بتسميتهم كفارا عملا بالنصوص ووقوفا عند مفهومها الصحيح . ومن هنا نجد أن السلف حينما يطلقون الكفر على فرد أو جماعة لهم ضوابط قوية ودرجات فى التكفير من لا يفتن لها وقع - ولا بد - فى الخطأ سواء أكان خطأ شرعيا أم خطأ فى مفهومه للتكفير عند السلف ولهذا نجد أن كثيرا من العلماء يقعون فى الخطأ حينما يحكون مذاهب السلف وهم على غير دراية كافية بمفاهيمهم ومصطلحاتهم .

أما بالنسبة لتكفير الجهمية بخصوصهم فإنك ستجد أيها القارئ الكريم أن كلام الناس مختلف فى إطلاق الكفر على الجهمية . فهناك من يهاجمهم ويحكم بكفرهم ويسوق المبررات لذلك وهناك من يدافع عنهم ويأتى أيضا بمبررات .

ولقد ذهب كثير من علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة ومن هؤلاء الإمام الدارمى أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمى - فقد جعل فى كتابه « كتاب الرد على الجهمية »^(١) - بابا سماه « باب الاحتجاج فى إكفار الجهمية » وبابا آخر سماه « باب قتل الزنادقة والجهمية وإستتابتهم من كفرهم » .
أورد تحت هذين البابين أدلة كثيرة من الكتاب الكريم ومن السنة النبوية ومن الآثار وأقوال العلماء ما يطول ذكره إلا أن حاصله أن الجهمية كفار للأموالآتية:

(١) انظر كتاب الرد على الجهمية : ص ١٠٦ / ١١٧ .

١ - بدلالة القرآن الكريم حيث أخبر عن قريش أنهم قالوا عن القرآن : ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ أى مخلوق وهو نفسه قول الجهم بخلقه ثم أورد كثيرا من الآيات فى هذا.

٢ - ومن الأثر ما ورد عن على وابن عباس فى قتلهم الزنادقة لقول الرسول ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » والجهمية أفحش زندقه وأظهر كفرهم منهم .

٣ - قال الدارمى : « ونكفروهم أيضا بكفر مشهور » ثم ذكر من ذلك قولهم بخلق القرآن .

وتكذيبهم لما أخبر الله تعالى أنه يتكلم متى شاء وكلم موسى تكليما وهؤلاء ينفون عنه صفة الكلام فيجعلونه بمنزلة الأصنام التى لا تتكلم .

ثم بكفروهم فى عدم إثباتهم لله تعالى ما أثبتته لنفسه من الصفات كالوجه والسمع والبصر والعلم والكلام .

وبكفروهم فى أنهم لا يدرون أين الله تعالى ولا يصفونه بأين ولا يثبتون له مطلق الفوقية الثابتة بالنصوص الصريحة فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

كما أورد الدارمى جملة من أسماء الذين حكموا بكفر الجهمية صراحة ومنهم سلام بن أبى مطيع وحماد بن زيد ويزيد بن هارون وابن المبارك ووكيع وحماد بن أبى سليمان ويحيى بن يحيى وأبو توبة الربيع بن نافع ومالك بن أنس .

الباب الثاني عشر

المعتزلة

الفصل الأول

نشأتهم

المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة ١٠٥ و سنة ١١٠ هـ بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال نشأت هذه الطائفة متأثرة بثتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر وقد أصبحت المعتزلة فرقة كبيرة. تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشارا واسعا ، وعن كثرتهم وانتشارهم يقول الشيخ جمال الدين القاسمى :

« هذه الفرقة من أعظم الفرق رجالا وأكثرها تابعا فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة ، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ومثلهم الزيدية فى اليمن فإنهم على مذهب المعتزلة فى الأصول كما قاله العلامة المقلبي فى « العلم الشامخ » وهؤلاء يعدون فى المسلمين بالملايين بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا فى قلة فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا وأن لا فائدة فى المناظرة معهم ، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها (١) .

وهناك روايات يذكرها الباحثون فى كيفية نشأت المعتزلة :

١ - إذ يرى بعض العلماء أن أصل بدأ الاعتزال كان فى زمن الخليفة الراشد على رضى الله عنه حينما اعتزل جماعة من الصحابة كانوا معه السياسة وتركوا

(١) تاريخ الجهمية : ص ٥٦ .

الخوض فى تلك الخلافات التى نجمت بين على ومعاوية رضى الله عنهما وهذا القول باطل لا صحة له وقد أيدته الشيخ محمد الطاهر النيفر (١) .

٢ - ويرى أكثر العلماء أن أصل بدأ الاعتزال هو ما وقع بين الحسن البصرى وواصل بن عطاء من خلاف فى حكم أهل الذنوب .

وقد ظهر قرن الاعتزال بمبادئه المعروفة من البصرة التى كانت مسكنا للحسن البصرى ثم إنتشر فى الكوفة وبغداد ومنها إلى شتى الأقطار والآفاق .

ومما يذكر للمعتزلة أنهم كانوا شوكة قوية فى صد مبادئ الزندقة وقاموا بجهود كثيفة لنشر الإسلام إلا أنهم لم يحسنوا التصرف إزاء القول بخلق القرآن وغيره من المبادئ التى عجلت باضطهادهم بعد قوتهم وشدة جانبهم .

وقد تفرقت المعتزلة فرقا كثيرة واختلفوا فى المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى إثنيتين وعشرين فرقة نترك ذكر تفاصيلها هنا ونحيل من أراد التوسع فى ذلك إلى كتب الفرق (٢) .

إلا أنه يجمعهم إطار عام وهو الاعتقاد بالأصول الخمسة التوحيد على طريقة الجهمية والعدل على طريقة القدرية والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر « على طريقة الخوارج » .

(١) انظر كتابه أهم الفرق الإسلامية : ص ٣٣ .

(٢) انظر مقالات الأشعري ، الملل والنحل للشهرستاني ، الفرق بين الفرق للبغدادى التنبيه والرد للملطي ، التبصير فى أمور الدين للأسفرايينى ، الفصل لابن حزم .

الفصل الثانى

أسماء المعتزلة وسبب تلك التسميات

يجد الباحث عن أسماء المعتزلة أن العلماء لم يتفقوا على تسمية واحدة للمعتزلة ولم يقتصر كذلك المعتزلة على تسمية واحدة لهم .

ومن أقوال العلماء فى تسميتهم :

١ - المعتزلة : ويرجع سبب التسمية إلى اعتزال أول زعيم لهم وهو واصل ابن عطاء الغزال حلقة الحسن البصرى حينما ألقى رجل سؤالاً عن مرتكبي الذنوب فبادر واصل إلى الجواب قبل أن يجيب الحسن^(١) ومن هنا تطور الأمر إلى اعتزال واصل ومن معه حلقة الحسن البصرى فسموا معتزلة على سبيل الذم من قبل المخالفين لهم على أن هذا التعليل لتسميتهم ليس أمراً متفقاً عليه بل هناك عدة تعليلات واعتراضات وأجوبة أخرى^(٢).

وقد أخذت المعتزلة مبادئ كثيرة عن الجهمية فقد أخذت القول بنفي رؤية الله تعالى ونفي الصفات والقول بخلق القرآن .

٢ - تسمية المعتزلة جهمية : ولهذا الاتفاق بين المعتزلة والجهمية فى تلك المسائل العقديّة ولسبق الجهمية فى الظهور أطلق العلماء اسم الجهمية على المعتزلة وذلك لأن المعتزلة هم الذين أحيوا أراء الجهمية فى مبدأ ظهورهم حيث جاء المعتزلة ونفخوا فى رمادها وصيروها جمرًا من جديد ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية .

(١) حيث أجاب بأنهم فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمنون ولا كافرون وفى الآخرة هم مخلدون فى النار مخالفاً بذلك مذهب السلف القائم على الحق الموافق للكتاب والسنة فى أنهم تحت المشيئة .

(٢) انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم ص ٢١ / ١٤ .

فالجهمية أعم من المعتزلة فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزليا^(١).

٣ - تسميتهم بالقدرية: بسبب موافقتهم القدرية في إنكار القدر واسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وهم لا يرضون بهذا الاسم ويرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله تعالى لاعليهم لأنهم لا يقولون بذلك بل يقولون بأن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم ولكن ابن قتيبة يرد عليهم ويرى أن نفى المعتزلة للقدر من الله تعالى وإضافته إلى أنفسهم يوجب أن يسموا قدرية لأن مدعي الشيء لنفسه أحق أن ينسب إليه^(٢) ، وكان أول المتكلمين في القدر والمقررين له معبد الجهني وغيلان الدمشقي .

٤ - ومن أسمائهم الثنوية والمجوسية: وهم ينفرون من هذا الاسم والذي حمل المخالفين لهم على تسميتهم به هو مذهب المعتزلة نفسه الذي يقرر أن الخير من الله والشر من العبد وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذي يقرر وجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر .

٥ - الوعيدية: وهو ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة وأن الله تعالى لا خلف في وعده ووعيده فلا بد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت .

٦ - المعطلة: وهو اسم للجهمية أيضا ثم أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية في نفى الصفات وتعطيلها وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة .

وإذا كانت تلك الأسماء لم يرتاحوا إليها ولا يحبون التسمية بها فإن هناك أسماء آخر اختاروها لأنفسهم وأخذوا يدللون على فضلها وتلك الأسماء هي :
١ - المعتزلة: وقد سبق أنه اسم ذم وهو كذلك إلا أن المعتزلة حينما رأوا ولع

(١) انظر منهاج السنة ج ١ ص ٣٤٤ . (٢) انظر تأويل مختلف الحديث : ص ٩٨ .

الناس بتسميتهم به أخذوا يدللون على أنه اسم مدح بمعنى الاعتزال عن الشرور
والمحدثات واعتزال الفتن والمبتدعين على حد قوله تعالى: ﴿واهجرهم هجرًا
جميلًا﴾ .

٢ - أهل العدل والتوحيد أو «العدلية» . والعدل عندهم يعنى نفى القدر
عن الله تعالى أو أن تضاف إليه أفعال العباد القبيحة والتوحيد عندهم يعنى نفى
الصفات عن الله تعالى وتسميتهم بالعدلية اسم مدح اخترعوه لأنفسهم .

٣ - أهل الحق: لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق ومن عداهم على الباطل .

٤ - الفرقة الناجية : لينطبق عليهم ماورد فى فضائل هذه الفرقة .

٥ - المنزهون الله : لزعمهم حين نفوا الصفات أنهم ينزهون الله وأطلقوا
على من عداهم وخصوصا أهل السنة أسماء جائزة كاذبة مثل القدرية - المجبرة -
المشبهه - الحشوية - النابتة .

سلطان المعتزلة

ومهما كان فلقد عظم أمر المعتزلة - الجهمية - واشتدت شوكتهم وقوى
ساعدهم حينما استطاعوا اختطاف الخليفة العباسي المأمون إلى جانبهم وحججوا
عنه كل فكر يخالف فكرهم ووقع رغم حبه للعلم والاطلاع فى يد أحمد بن
أبي دؤاد ومن ثم ناصر المعتزلة بكل مالديه من قوة بل وأراد حمل كافة الناس
على اعتناق المذهب المعتزلى ورغب الناس فيه ورهبهم من تركه ولقي المسلمون
عنتا شديدا منه وفتن كثيراً من الناس وأوذي الكثير من العلماء الأجلاء وعلى
رأسهم الإمام أحمد رحمه الله . « وتسمى هذه الفترة بمحنة خلق القرآن وقد
بلغوا الذروة ثم أخذوا ينحدرون عنها فلما جاء المتوكل وجد ناراً تنقد فى كل
مكان وامتحانات وضرباً وتشريداً ونفياً كل ذلك جلب السخط العام على
رجال الدولة فأبطل المتوكل القول بخلق القرآن وأبطل المحاكمات ليكتسب تأييد

الرأى العام وبذلك نصر المحدثين نصرا مؤزرا فأصبح القول بالاعتزال يتحدث به سرا بعد أن كان جهرا» (١).

الاتفاق بين المعتزلة والقدرية

ومن الجدير بالذكر أنه قد اتفقت مفاهيم المعتزلة مع القدرية فى مسألة من أهم مسائل العقيدة الا وهى القدر وموقف الإنسان حياله فذهبت المعتزلة والقدرية إلى القول بأن الله تعالى غير خالق لأفعال الناس بل الناس هم الذين يخلقون أفعالهم بأنفسهم وليس لله تعالى أى صنع فى ذلك ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء.

وقد حملهم على ذلك قلة علمهم وعدم تصورهم أن يكون الله تعالى يأمر أو ينهى عن شىء وهو يعلم عاقبة ما سيؤول إليه ذلك الشىء فإن إثبات علم الله السابق ينافى أمره بالامتثال وعلمه بالعصاة ينافى خلقه لهم وأمرهم بالطاعة كما يرى هؤلاء.

(١) انظر أهم الفرق الإسلامية للنيفر : ص ٣٤ .

الفصل الثالث

مشاهير المعتزلة القدرية الجهمية

ظهر في المعتزلة الجهمية رجال كان لهم أثر بارز في انتشار أفكارهم وذيوعها بين الخاصة والعامة فكان منهم المناظرون الخصمون والمؤلفون بل ووصلوا إلى أخذ السلطه وأستجلاب الخلفاء إلى مبادئهم . كما سبق . ومن رجالهم المشاهير :

- ١ - بشر بن السري .
- ٢ - ثور بن زيد المدني .
- ٣ - ثور بن يزيد الحمصي .
- ٤ - حسان بن عطية الحاربي .
- ٥ - الحسن بن ذكوان .
- ٦ - داود ابن الحصين .
- ٧ - زكريا بن اسحاق .
- ٨ - سالم بن عجلان .
- ٩ - سلام بن عجلان .
- ١٠ - سلام بن مسكين .
- ١١ - سيف بن سليمان المكي .
- ١٢ - شبيل بن عاد .
- ١٣ - شريك بن أبي نمر .
- ١٤ - صالح بن كيسان .
- ١٥ - عبد الله بن عمرو .
- ١٦ - عبد الله بن أبي لييد .
- ١٧ - عبد الله بن أبي نجيح .
- ١٨ - عبد الأعلى بن عبد الأعلى .
- ١٩ - عبد الرحمن بن إسحاق المدني .
- ٢٠ - عبد الوارث بن سعيد الثوري .
- ٢١ - عطاء بن أبي ميمونه .
- ٢٢ - العلاء بن الحارث .
- ٢٣ - عمرو بن أبي زائدة .
- ٢٤ - عمران بن مسلم القصير .
- ٢٥ - عمير بن هانيء .
- ٢٦ - عوف الأعرابي .
- ٢٧ - كهس بن المنهال .
- ٢٨ - محمد بن سواء البصري .

٢٩ - هرون بن موسى الأعمور النحوي . ٣٠ - هشام الدستوائي .

٣١ - وهب بن منبه . ٣٢ - يحيى بن حمزة الحضرمي .

قال السيوطي « هؤلاء رموا بالقدر وكلهم ممن روى له الشيخان أو أحدهما» (١) .

وإضافة إلى ما ذكره السيوطي رحمه الله هنا فإنه لم يقتصر خطأ المعتزلة الفاحش في مسألة القدر وإنما كان لهم خبط واضطراب في أهم قضية على الإطلاق ألا وهي توحيد الله عز وجل حيث تقرر في مذهبهم أن التوحيد هو نفى جميع الصفات التي وصف الله بها نفسه المقدسة واستبدالها بصفات يتنزه الله عن الاتصاف بها وزعموا أنها هي الحق .

وقد أورد الأشعري جملة اعتقاد المعتزلة في التوحيد وسرد عنهم عدة جمل يصفون بها الله عز وجل زعموا أن ذلك هو توحيد الله تعالى وهو في الحقيقة إلحاد يؤدي إلى إنكار وجود الله تعالى فقد وصفوه بصفات مبنية كلها على النفي المجرد مملوءة بالتناقض والمستحيلات التي لا يمكن أن يوجد لها محل خارج

(١) انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة : ص ٧٦ / ٧٧ .

من الواضح أن البخاري ومسلما رحمهما الله وغيرهما من علماء الحديث كانوا يروون عن أناس عرفوا بميلهم عن مذهب السلف وذلك لأمر كثيرة من أهمها :

١ - ثقة أولئك وصدقهم في روايتهم .

٢ - يروون عنهم ما لم يقوي بدعتهم .

٣ - يروون عنهم حرصا على حفظ العلم وتدوينه .

٤ - يروون عنهم بسبب أن المسائل التي خالفوا فيها مما يتسامح في الخلاف فيه إلى حد ما لغموضها ولقوة الشبهة التي دفعتهم إلى ذلك إلى غير ذلك من الأمور كذلك فإن الأشخاص الذين روى لهم البخاري ومسلم لم يكونوا ممن يتهمون بمحاربة الإسلام والكيد له وإنما كانت لهم أخطاء ظنا منهم أنهم فيها على صواب فقد اجتهدوا كغيرهم من طالبي الحق ولكن ليس كل من اجتهد في طلب شيء أصاب الحق فيه وأخذ العلماء عن هؤلاء إنما هو دليل قوي على ذم التعصب والتسرع في تكفير المخالفين وإخراجهم من الملة ودليل آخر على وجوب الإنصاف وإن الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذه بغض النظر عن حامله .

الذهن لا تمت إلى توحيد الله بأى صلة بل هي خيالات محضة وكذب على الله
بغير دليل ولا إثارة من علم ويمكن للقارئ أن يقف عليها في كلام الأشعري
الآتي :

« أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير
وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر
ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذى حرارة ولا
رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا
يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض وليس بذى ابعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء وليس
بذى جهات ولا بذى يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان
ولا يجرى عليه زمان ولا تجوز عليه المماسسة ولا العزلة ولا الحلول في
الأماكن»^(١) إلى آخر تلك الأوصاف التي ملأوا بها كتبهم وحشوا بها أذهان
الناس والتي لا يخرج القارئ منها بثمرة ولا يستفيد السامع فائدة تنفعه في دينه أو
في دنياه لأنها جهل وخبط واضطراب فكري أدى إليه علم الكلام الذي جر
على المسلمين الفتن وأنواع الشرور .

(١) المقالات : ج ١ ص ٢٣٥ .

الفصل الرابع

ذكرهم عقائد المعتزلة إجمالاً

وللمعتزلة - كغيرهم من الفرق الكلامية - آراء وأفكار ومعتقدات كثيرة تحتاج دراستها إلى مجلدات غير أنه يمكن عرض أهم آرائهم بإيجاز في المسائل الآتية :

١ - اختلفوا في المكان لله تعالى :

١ - فذهب بعضهم وهم جمهورهم إلى أن الله تعالى في كل مكان بتدبيره وهذا قول أبي الهذيل والجعفران ، والإسكافي ، ومحمد بن عبد الوهاب الجبائي .

٢ - وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لافي مكان بل هو على ما لم يزل عليه ، وهذا قول هشام الفوطي وعباد بن سليمان وأبي زفر .

٢ - ذهبوا إلى أن الاستواء هو بمعنى الاستيلاء في قوله الله تعالى : ﴿الرحمن على العرش أستوى﴾ (١) .

٣ - أجمعوا على أن الله لا يرى بالأبصار .

٤ - اختلفوا في صفة الكلام لله تعالى .

١ - فذهب بعضهم إلى إثبات الكلام لله تعالى .

٢ - وذهب بعضهم إلى إنكار ذلك .

ولهم اختلافات كثيرة في مسائل دقيقة من مسائل الصفات والعقائد (٢) .

لا يستدعى المقام الدخول في تفاصيلها وأهم ما أود التنبيه عليه هو أن أبرز

(١) سورة طه آية : ٥٠ .

(٢) انظر المقالات : ج ١ والفرق بين الفرق للبغدادى والملل والنحل للشهرستاني . الجزء الأول .

سمات هذه الطائفة فى باب الأسماء والصفات تظهر فى :

١- إنكارهم الصفات وتعطيلها .

٢- أنهم بنوا آراءهم ومعتقداتهم فى أصول خمسة لا يسمى الشخص معتزليا إلا إذا حققها واعتقد صحتها وسوف نبين هذه الأصول مع الرد عليها حسب ما يقتضيه المقام من الإيجاز المفيد إن شاء الله تعالى .

وقبل بيان تلك الأصول أجدنى على يقين من أن إنكار الصفات وتعطيلها فى مفهوم الفكر المعتزلى أمر لا يجهله طلاب العلم فقد استفاضت كتب الفرق والمقالات وكتب التاريخ والعقائد فى بيان هذا الموقف الخاطئ للمعتزلة وسموه مع ذلك توحيد الله تعالى وتنزيها له لقد لبس الشيطان عليهم « حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن » لانسياقهم فى فلك أهل الكلام المذموم والفلسفة الدخيلة الممقوتة فسموا ذمهم لله تعالى بإنكارهم لصفاته تعالى باسم ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب أى أن ظاهره التنزيه ولكن باطنه تمام التشبيه والتعطيل ولكن التسمية لا تغير الحقيقة عند عقلاء بنى آدم فى المسائل الاعتقادية التى يتوجب بسببها الطاعة والمعصية والحق والباطل .

وكل هذه المواقف إنما جرتها كتب اليونان الفلسفية التى وصفها أحد علماء اليونان بأنها ما دخلت بلدا إلا وأفسدت أهله .

لقد أساء المأمون الخليفة العباسي إلى الإسلام والمسلمين حين شجع ترجمة تلك الكتب ونشرها فى ديار المسلمين وحينما تضلع منها المعتزلة بدأت أفكارهم فى الاضطراب ولا أدل على هذا من إقدامهم على إنكار صفات الله تعالى الذى نتج عن جمعهم بين التشبيه والتعطيل ثم نفى تلك الصفات

وسنذكر مزيدا من الرد عليهم إن شاء الله تعالى فى دراسة أصول المعتزلة فى الأصل الأول .

الفصل الخامس الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها، والرد عليها

الأصول الخمسة هي إجمالاً :-

- ١ - التوحيد .
- ٢ - العدل .
- ٣ - الوعد والوعيد .
- ٤ - القول بالمنزلة بين المنزلتين .
- ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر العلماء أنه لا يسمى الشخص معتزلياً حتى يقول بهذه الأصول الخمسة .

١ - أما الأصل الأول وهو التوحيد : فإنهم يقصدون به البحث حول صفات الله عز وجل وما يجب لله تعالى وما لا يجب في حقه .

وقد حرص المعتزلة على إنكار صفات لله تعالى بحجة أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء وهو شرك على حد زعمهم ؛ لأن إثبات الصفات يوحى بجعل كل صفة إلهها والمخرج من ذلك هو نفي الصفات وإرجاعها إلى ذات الباري تعالى فيقال عالم بذاته قادر بذاته إلخ وبذلك يتحقق التوحيد في نظرهم .

الرد عليهم :

إن الرد على المعتزلة في نفي صفات الله عز وجل مما لا يجمله أى طالب علم كما أن مذهب السلف في تقرير صفات الله عز وجل فى أتم وضوح وأجلى حقيقة فإن السلف رحمهم الله يثبتون صفات الله عز وجل كما جاءت فى الكتاب والسنة دون تحريف أو تأويل مع معرفتهم بمعانيها وتوقفهم فى بيان

كيفيةاتها لأنهم يؤمنون بأن الكلام فى صفة كل شىء فرع عن تصور ذاته والله عز وجل له ذات لا تشبه الذوات ولا يعلم أحد كيفيةها وصفاته كذلك ثابتة على ما يليق بذاته جل وعلا .

وهكذا ينبغى أن يكون معتقد المسلم يصف الله بما وصف به نفسه فى كتابه الكريم وبما وصفه به رسوله الأمين نفيًا وإثباتًا . ولا يقف ما ليس له به علم وقد علم أن طريقة السلف تتلخص فى إثبات أسماء الله وصفاته على وجه لا يوحى بأى نوع من المماثلة والمشابهة على ضوء قول الله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (١) .

المتضمن رد التشبيه والتمثيل ورد الإلحاد والتعطيل ويقول الرسول ﷺ مخاطبًا أصحابه حينما كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل فقال لهم : « أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا » (٢) .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال رأيت رسول الله ﷺ يقرأها - يعنى - قوله تعالى : ﴿ سميعًا بصير ﴾ (٣) ويضع أصبعيه قال أبو يونس وضع أبو هريرة إبهامه على أذنه والتي تليها على عينيه (٤) وهذا زيادة تأكيد فى إثبات صفات الله تعالى قال البيهقى : « وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلها من الإنسان » (٥) .

وصفاته عز وجل قديمة قائمة بذاته زائدة على الذات لا كما ترى الفرق

(١) الشورى : ١١ .

(٢) فتح البارى : ح ١٣ ص ٣٧٢ « باب » « وكان الله سميعًا بصيرًا » .

(٣) النساء : ٥٨ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٣٤ ، انظر فتح البارى : ج ١٣ ص ٣٧٣ قال ابن حجر : عن

سند الحديث أنه قوى على شرط مسلم من رواية أبي يونس عن أبي هريرة .

(٥) فتح البارى : ح ١٣ ص ٣٧٣ .

المخالفة للحق بأنها ذاته وليست بزائدة على الذات .

٢ - الأصل الثاني للمعتزلة . العدل :

يقول القاضي عبد الجبار في بيانه لمعنى العدل ودلالاته وفي سبب تأخيره الكلام عليه بعد إيراد بحث التوحيد يقول :

« وأما الأصل الثاني من الأصول الخمسة وهو الكلام في العدل . وهو كلام يرجع إلى أفعال القديم جل وعز وما يجوز عليه وما لا يجوز فلذلك أوجبنا تأخير الكلام في العدل عن الكلام في التوحيد »^(١).

والذى يهمنى هنا هو بيان المراد بالعدل عندهم حيث اتضح أنهم يريدون بالعدل ما يتعلق بأفعال الله عز وجل التى يصفونها كلها بالحسن ونفى القبح عنها . بما فيه نفى أعمال العباد القبيحة عن الله عز وجل لارضاء ولا خلقا . لأن ذلك يوجب نسبة الفعل القبيح إلى الله تعالى وهو منزه عن ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿والله لا يحب الفساد﴾^(٢) ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾^(٣) ويقول تعالى : ﴿إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾^(٤) الآية وفى هذا الفهم الخاطيء يقول القاضي عبد الجبار فى شرح الأصول الخمسة : « أفعال العباد غير مخلوقة فيهم ، وأنهم هم المحدثون لها»^(٥).

وقال فى كتابه : « المغنى فى أبواب العدل والتوحيد » تحت عنوان « الكلام فى المخلوق » « إتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم . وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم

(١) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ٣٠١ . (٢) سورة البقرة : ٢٠٥ .

(٣) سورة غافر : ٣١ . (٤) سورة الزمر : ٧ .

(٥) شرح الأصول الخمسة : ص ٣٢٣ .

خطبأه» (١).

فاتفق المعتزلة على أن الله تعالى غير خالق لأفعال العباد وأن العباد هم الخالقون لأفعالهم مع أنهم يؤمنون بأن الله تعالى عالم بكل ما يعمله العباد وأن الله تعالى هو الذى أعطاهم القدرة على الفعل أو الترك .

ولهم فى هذا الباب شبه كثيرة وجدال عقلي .

ومن تلك الشبه :

١ - أن إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد فيه نسبة الظلم والجور إليه تعالى والله منزه عن ذلك .

٢ - ومنها آيات كثيرة فى القرآن الكريم يستدلون بها منها قول الله تعالى : «**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**» (٢) ومأخذهم من هذه الآية كلمة «تفاوت» وقد أخطأ والمراد منها حيث فسرهما القاضي .

عبد الجبار بقوله : « نفى الله التفاوت عن خلقه فلا يخلو . إما أن المراد بالتفاوت من جهة الخلقة أو من جهة الحكمة ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة لأن فى خلقه المخلوقات من التفاوت مالا يخفى فليس إلا أن المراد به التفاوت من جهة الحكمة على ما قلناه : إذا ثبت هذا لم يصح فى أفعال العباد أن تكون من جهة الله تعالى لاشتمالها على التفاوت وغيره» (٣).

الرد عليهم :

مما لا شك فيه أن أفعال الله كلها حسنة لا يبيح فيها إلا أن المعتزلة ارتكبوا

(١) المغني فى أبواب التوحيد والعدل : ح ٨ ص ٣ « الكلام فى المخلوق - ذكر اختلاف الناس فى أفعال العباد » .

(٢) شرح الأصول الخمسة : ص ٣٥٥ .

(٣) الملك : ٣ .

مغالطات واضحة في فهم النصوص .

ذلك أن الظلم الذى نفاه الله عن نفسه هو وضع الشيء فى غير موضعه أو وضع سيئات شخص على آخر أو أن ينقص من حسنات المحسن وهذا ظلم بلا شك والله منزه عنه .

والخلاف إنما هو فى حقيقته خلق كل الأشياء وكل الأفعال وأنها لا تخرج عن خلق الله وإرادته لها قال تعالى :

﴿ الله خالق كل شيء ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾^(٢) وهؤلاء يقولون الإنسان هو الذى يخلق فعله فرارا بزعمهم من نسبة خلق الأفعال إلى الله تعالى وإرادتها بزعمهم .

ولم ينظروا إلى أن الله عز وجل هو الخالق للعباد وأعمالهم ولا يوجب ذلك أن يكون الله تعالى هو الفاعل لأعمالهم فخلق الظلم والكذب والطاعة والمعصية فمن فعل الظلم بأن غش الناس أو غصبهم أموالهم يقال له غاش ومغتصب ومنتهب وسارق وفاجر إلى آخر الصفات ولا تنسب إلى الله تعالى إلا باعتبار إقدار الله تعالى للعبد وشمول مشيئته لها لا أن الله هو الفاعل الحقيقى لتلك الجرائم ولذلك حين جيئ بسارق إلى عمر رضى الله عنه قال له لم سرت؟ فقال السارق قدر الله على فقال عمر وأنا قدر الله على أن أقطع يدك «ذلك أننا لسنا مطالبين بالوقوف على ما عند الله من الأقدار وإنما نحن مطالبون بالقيام بالأعمال التى يريد الله والاجتناب عن ما لا يريد رتب الله الحدود ومصالح الناس على هذا القدر» .

فالله تعالى خلق ظلما من اتصف به من الناس كان ظالما وخلق كذبا من اتصف به كان كاذبا وخلق طاعة من اتصف بها كان مطيعا وقد ورد فى الحديث أن الله تعالى لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم .

(١) الرعد : ١٦ .

(٢) الصافات : ٩٦ .

وأما بالنسبة لاستدلالهم بالآية الكريمة: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ .

فقد فسروا التفاوت هنا بالحكمة بينما الصحيح أن التفاوت المنفى هنا هو التفاوت في الخلقة . أى لا يوجد في خلق السموات والأرض من تفاوت أى من عيب أو خلل لقلة استوائهما بل هما فى أدق تناسب واتقان فالمقصود بنفى التفاوت فى الخلقة وليس فى الحكمة كما فسروه .

وهناك آيات أخرى استدلوها بها ذكرها القاضي عبد الجبار فى كتابه شرح الأصول الخمسة (١) .

ويتحقق بمسألة العدل مسائل من أهمها :

الصلاح والأصلح واللطف من الله تعالى وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

والصلاح . كلمة محببة إلى النفوس لأنها ضد الفساد .

والأصلح . كلمة توحى بأعمق من الصلاح وقوة القرب من الخير والنفع .

والمعتزلة تؤكد أن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا الصلاح ونافيه نفعهم وجوبا عليه جل وعلا لأنه إذا لم يفعل ذلك كان ظلما لهم ونقصا من مافيه صلاحهم . بل وخلاف الحكمة فى إيجادهم لهم إذا لم يعنهم على ما كلفهم به حسب ما يرى المعتزلة من الواجبات التى افترضوها على الله تعالى .

الرد عليهم :

أمر الله وأرشد عباده إلى أن يفعلوا كل مافيه صلاحهم وأن مرد ذلك يعود إليهم هم وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع وقد كتب

(١) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ٣٥٤ / ٣٦٢ تحت عنوان جانبى « آيات من القرآن تدل على أن الله لا يخلق أفعال العباد » .

الله على نفسه الرحمة تفضلاً منه وحرماً الظلم عدلاً منه .
والله تعالى يفعل بعباده الأصلاح لهم ولكن لا يجوز القول بالوجوب عليه
جل وعلا على سبيل المعاوضة كما هو الحال بين المخلوقين .
فإن العباد لا يوجبون عليه شيئاً وإنما هو الذى أوجب على نفسه .
تفضلاً منه وكرماً لا أنه يجب .

عليه فعل الصلاح والأصلاح بمفهوم المعتزلة الذى فيه إقامة الحجة عليه إن لم
يفعل بهم ذلك فإنه حسب معتقد هؤلاء يحق للكافر أن يقول يارب أنت خلقتنى
ورزقتنى ومكنتنى من الكفر حتى مت كافراً فلم أقدرتنى على ذلك ولم تعاملنى
بالأصلاح كغيرى من الناس الذين ماتوا على الإسلام .

ويحق كذلك لمن كانت درجته نازلة فى الجنة أن يقول لم لم تمكنى من
الأعمال التى توصلنى إلى ما وصل إليه غيرى من الدرجات العلى .

ومذهب أهل السنة هو الحق فلا إيجاب على الله إلا ما أوجبه على نفسه
تفضلاً منه وكرماً لا أن العباد يستحقون عليه شيئاً بإيجاب أحد من خلقه عليه .

وكذلك مسألة اللطف من الله تعالى هى من الأمور الثابتة لكن ليس على
سبيل الإيجاب على الله تعالى كما ترى المعتزلة .

بل اللطف من الله لعبده بمحض تفضله جل وعلا وكرمه ومنه عليه بالتوفيق
إلى فعل الخيرات وترك المحذورات ولا يجوز القول بوجوب فعل اللطف على
الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا
قليلاً ﴾^(١) .

فقد لطف الله بعباده إذ لم يتبعوا الشيطان جملة حيث بصرهم بعواقب

(١) النساء : ٨٣ .

طاعة الشياطين وبين لهم أضرار ذلك ثم لطف بهم وقوى عزيمتهم على عصيان الشيطان تفضلا منه تعالى وليس بإيجاب أحد عليه .

وأما إرسال الرسل فإنه من جملة ما توجهه المعتزلة على الله تعالى لأنه إذا لم يفعل ذلك كان مخلا بما هو واجب عليه لأن صلاح العباد يتعلق بإرسال الرسل لتعريف الناس ومادام صلاح العباد يتوقف على إرسالهم فإن إرسالهم يكون واجبا عليه لأن إرسالهم هو مقتضى العدل الذى يتم به صلاح الخلق .

الرد عليهم :

وقد عرفنا فيما سبق أنه لا يجوز لأحد أن يوجب على الله تعالى شيئا فهو رب العباد وخالقهم ومالكهم يتصرف فيهم كما يشاء فلا موجب عليه إلا ما أوجبه هو على نفسه تفضلا وكرما .

وقد اقتضت حكمته تعالى أن يرسل الرسل وأن يعذر إلى الخلق فلا يعذب أحدا إلا على مخالفته لرسله قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾^(٢)، وهذا من تفضله وكرمه على عباده ولطفه بهم لا أن أحدا أوجبه عليه كما ترى المعتزلة .

٣- الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

الوعد في مفهوم المعتزلة عرفه القاضي عبد الجبار بقوله :

« أما الوعد فهو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين أن لا يكون كذلك ألا ترى أنه كما يقال أنه تعالى وعد المطيعين بالشواب فقد يقال وعدهم بالتفضل مع أنه غير مستحق وكذلك يقال فلان وعد فلانا بضيافة فى وقت يتضيق عليه الصلاة

(٢) الأنعام : ١٣١ .

(١) الإسراء : ١٥ .

مع أنه يكون قبيحا» (١) قال « ولا بد من استقبال الحال فى الحدين (٢) جميعا لأنه إن نفعه فى الحال أو ضرره مع القول لم يكن واعداء ولا متوعدا» (٣) إلى أن قال فى بيان علوم الوعد والوعيد فى مفهومهم : « وأما علوم الوعد والوعيد فهو أنه يعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب» (٤).

هذا هو مذهب المعتزلة يوجبون على ربهم أن ينفذ وعده وأن يعطى العبد أجر ما كلفه به من طاعات استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التى اختارها الله وكلف بها عباده .

وقد أورد المعتزلة لتأييد مذهبهم هذا بعض النصوص فهموا منها وجوب إنفاذ الله وعده وهى آيات من القرآن الكريم وبعض الشبه العقلية .

منها قول الله عز وجل : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٥).

وموضع الشاهد من الآية هو قوله تعالى : ﴿ فقد وقع أجره على الله ﴾ حيث فسروا هذا الوقوع بمعنى الوجوب أى فقد وجب ثوابه على الله استحقاقا لأن العمل فى رأيهم من موجبات الثواب .

واستدلوا أيضا على ذلك من العقل بأن الله مادام قد كلف عباده بالأعمال الشاقة فلا بد أن يكون لها مقابل من الأجر وإلا لكان ذلك ظلما والله منزه عن الظلم فلا يجوز على الله تعالى - فى نظرهم - أن يوجب العمل ولا يوجب له جزاء .

والواقع أن ما استدلوا به من الآية والشبهة العقلية إنما بنوه على مسألة وجوب

(٢) الحدين يقصد بهما الوعد والوعيد .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٥ / ١٣٦ .

(١) شرح الأصول الخمسة : ص ١٣٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٥ .

(٥) سورة النساء : ١٠٠ .

دخول الجنة بالعمل وهى من المسائل الهامة وقد أورد الحافظ ابن حجر فيها عدة معاني للعلماء حول مفهوم الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة»^(١).

وحول مفهوم الآيات التى تفيد أن دخول الجنة لا يكون إلا بالعمل لقوله تعالى: ﴿يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾^(٢).

وبين الآيات التى تفيد أن دخولها إنما هو بفضل من الله تعالى لقوله عز وجل في إخباره عن كلام أهل الجنة وغبطتهم بما هم فيه ﴿الذى أحلنا دار المقامه من فضله﴾^(٣).

فهل يكون دخول الجنة استحقاقا بالعمل كما ترى المعتزلة أم أن دخولها إنما هو بفضل الله مضافا إليه العمل .

والحق أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله أولا وأخيرا وليس للعبد على ربه أى استحقاق غير أن الله تعالى أوجب على نفسه أنه لا يظلم عمل عامل من ذكر أو أنثى فجعل العمل من أسباب دخول الجنة والأسباب نفسها إنما هى بفضل من الله تعالى .

فاتضح أن استدلال المعتزلة بالآية السابقة وغيرها فى وجوب الثواب بمعنى أن الله تعالى يجب عليه شىء لم يوجبه هو على نفسه استدلال خاطئ فإن الله تعالى لا يستطيع أحد من خلقه أن يوجب عليه شىئا لم يوجبه هو على نفسه .

فالخلق عبده وله عليهم من النعم ما لا يقومون بشكر أقلها ومع ذلك فإن الله تعالى لا يخلف وعده فإنه يعطى العبد ما وعده به من الخير بحكم وعده وكرمه وفرق بين وقوع ذلك على هذه الصفة وبين وقوعه استحقاقا وهذا الجواب يدفع

(١) أخرجه البخارى ، انظر فتح البارى : ح ١١ ص ٢٩٤ / ٣٠٠ .

(٢) سورة النحل : ٣٢ . (٣) سورة فاطر : ٣٥ .

كذلك شبهتهم العقلية التي بنوها على المعاوضة بينهم وبين الله عز وجل وقد علمت خطأ هذا التصور^(١).

٢ - الوعيد :

والوعيد في مفهوم المعتزلة سبق بيانه في كلام القاضى عبد الجبار من أن الله « يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب » .

والمقصود بالوعيد هنا هو ما يتعلق بأحكام المذنبين من عصاة المؤمنين إذا ماتوا من غير توبة وقد أوضح المعتزلة رأيهم فى هذا وهو أن أصحاب الكبائر إذا ماتوا من غير توبة فإنهم يستحقون بمقتضى الوعيد من الله النار خالدون فيها إلا أن عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار^(٢).

شبههم :

للمعتزلة شبهات فى تأييدهم لمذهبهم بأنفاذ الوعيد لا محالة وقد استدلوا من القرآن الكريم بكل آية يذكر فيها عقاب العصاة بالنار والخلود فيها وهى آيات كثيرة مثل قوله عز وجل : ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين﴾^(٣).

وكذا قوله تعالى : ﴿إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(٥).

وآيات أخرى كثيرة يدل ظاهرها على هذا المفهوم .

(١) انظر لمزيد التفصيل المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ص ٢١٣/٢١٧ .

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستانى : ج ١ ص ٤٥ .

(٣) الانفطار الآيات ١٣ / ١٦ .

(٤) الزخرف .

(٥) البقرة : ٨١ .

والواقع : أن مسألة تخليد أصحاب الذنوب في النار من المسائل التي بحثها المعتزلة وأهل السنة وأطالوا فيها الكلام وكثر فيها الخصام وأود إيجاز النتيجة في ما يلي:

إن استدلال المعتزلة لما يذهبون إليه من إنفاذ الوعيد لا محالة وأن أصحاب الكبائر والذنوب من المؤمنين مخلدون في النار حتماً قول غير مسلم وهو خطأ في فهم النصوص وحمل لها على غير معانيها الصحيحة فإن الآيات لا تدل على خلود أصحاب المعاصي من المؤمنين خلوداً أبدياً حتماً ذلك أن الله عز وجل قد يعفو عنهم ابتداءً وقد يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يخرجهم الله بتوحيدهم وإيمانهم لأنه لا يخلد في النار إلا من مات على الشرك الذي أخبر عز وجل أنه لا يغفر لصاحبه وأما ما عدا الشرك فإن الله تعالى يغفره .

ومن ناحية أخرى فإن خلف الوعيد من فعل الكرام وهي صفة مدح بخلاف خلف الوعد فإنها صفة ذم والله عز وجل يتنزّه عنها بخلاف الوعيد فإنه يعتبر من باب التفضل والتكريم وإسقاط حق نفسه وهذا هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة وما ذهب إليه المعتزلة من منع إخلاف الوعيد وزعمهم أنه من الكذب فهو إلى سوء الظن أقرب وهو تحكم على الله عز وجل والله تعالى يفعل ما يشاء .

وقد أجمل الطحاوي مذهب أهل السنة في كلامه الآتي : « وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين ^(١) وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه ﴿ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ ^(٢) وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من

(١) قال شارح الطحاوية ابن أبي العز ، الحنفى معقبا على قول الطحاوي « بعد أن لقوا الله عارفين» قال « لو قال مؤمنين بدل قوله عارفين كان أولى لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر ، وإنما اكتفى بالمعرفه وحدها الجهم وقوله مردود باطل ص ٣٥٩ .

(٢) النساء ٤٨ ، ١١٦ .

أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته»^(١).

وهذه الشفاعة التي أشار إليها الطحاوي رحمه الله للمعتزلة فيها موقف مخالف لموقف أهل الحق .

وذلك أن المعتزلة لا ترى الشفاعة لأحد فى الآخرة إلا للمؤمنين فقط دون الفساق من أهل القبلة فلا شفاعة لأهل الكبائر لأن إثبات ذلك يؤدى إلى خلف وعيد الله وخلف الوعيد عندهم يعتبر كذبا والله يتنزه عن الكذب .

ثم استدلوا بالآيات الواردة فى نفي الشفاعة عن غير المؤمنين الفائزين كقوله تعالى : ﴿واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾^(٢).

وكذا قوله تعالى : ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٣) أى والفساق غير راض عنهم فلا تصح الشفاعة فيهم .

وقوله تعالى : ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾^(٤) . إلى غير ذلك من الآيات الواردة بهذا المعنى .

ولا ريب أن المعتزلة جانبوا الصواب فى الحكم ينفي الشفاعة فى العصاة فإن القول بإثبات هذه الشفاعة مما هو ثابت متواتر عن السلف لثبوت الأحاديث المتواترة بذلك وإجماع علماء الإسلام عدا المعتزلة .

والذى جر المعتزلة لهذا الخطأ ، خطأ آخر وهو أن من عقائدهم أن السيئات يذهبن الحسنات ، فلو أتى الشخص بحسنات كالجمال ثم جاء بعدها بسيئة فإن تلك الحسنات تحبط بمجرد صدور المعصية .

(٢) البقرة : ٤٨ .

(١) انظر شرح الطحاوية : ص ٣٥٦ / ٣٥٧ .

(٤) سورة غافر : ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٨ .

ومذهب السلف أنه لا شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة عن الإسلام والرجوع إلى الكفر .

كما أن تكفير جميع السيئات عن المذنب لا يكون إلا بالتوبة وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« والتحقق أن يقال : إن الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله فكذلك نصوص الوعد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره إلى أن قال : « فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة »^(١).

٤- الأصل الرابع : المنزلة بين المنزلتين

تدور هذه المسألة حول الحكم على مرتكب الكبيرة حينما طلب إلى الحسن البصري أن يبين الحكم في صاحب الكبيرة وما تلا ذلك من جواب واصل بن عطاء ثم أشتداد الخلاف بعد ذلك واعتزال واصل وجماعته حلقة الحسن البصري .

وقد قدمنا أن قضية مرتكبي الذنوب كانت هي الحصيلة الحتمية عند المعتزلة لمواقف الفرق الأخرى من خوارج ومرجئة وأهل السنة أيضا بسبب ما استجد

(١) مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٤٨٣ .

بين المسلمين من أحداث خطيرة سياسية أبتداء من قتل عثمان رضى الله عنه
وانتهاء بأصحاب المعاصي أيا كان عصيانهم .

وقد أجمعت المعتزلة على قضية المنزلة بين المنزلتين واعتبروها أصلا من
الأصول الثابتة .

وتلقب هذه المسألة حسب ما يذكره القاضي عبد الجبار: « بمسألة الأسماء
والأحكام»^(١).

وقد بين اصطلاح المتكلمين فى معنى المنزلة بين المنزلتين بقوله :

« والأصل فى ذلك أن هذه العبارة إنما تستعمل فى شىء بين شيئين ينجذب
إلى كل واحد منهما بثبته هذا فى أصل اللغة وأما فى اصطلاح المتكلمين .

فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين على
مايجىء من بعد »^(٢).

وما أحال إليه هنا فى قوله على ما يجىء من بعد قد شرحة تحت عنوان «
الأصل الرابع وهو الكلام فى المنزلة بين المنزلتين » قال فيه : « اعلم أن هذا
الفصل كلام فى الأسماء والأحكام ويلقب بالمنزلة بين المنزلتين ومعنى قولنا أنه
كلام فى السماء الأحكام هو أنه كلام فى أن صاحب الكبيرة له اسم بين
الإسمين وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه إسم الكافر ولا أسمه اسم المؤمن
وإنما يسمى فاسقا ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل
يفرد له حكم ثالث وهذا الحكم الذى ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين
المنزلتين فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان فليست منزلته
منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن بل له منزلة بينهما »^(٣).

(١) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) شرح الأصول الخمسة : ص ٦٩٧ .

والمقصود أن المعتزلة يريدون بالمنزلة بين المنزلتين المؤمن صاحب المعاصي فهو عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل يفرد له حكم ثالث وهو تسميته « فاسقا » في الدنيا والحكم بخلوده في النار في الآخرة فاختلف اسمه وحكمه في الدنيا فاستحق أن يكون في منزلة بين المنزلتين .

والذي حيرهم في أمر الفاسق هو أنه من جهة ليس بمؤمن لأن حكم المؤمن لا ينطبق عليه في الواقع لمجيئه بأعمال غير المومنين في بعض أموره وهو كذلك ليس بكافر تماما لمجيئه بأعمال المؤمنين في بعض أموره إذا فهو فاسق والفسق اسم ذم ومأثبت له اسم الذم انتفى عنه اسم المدح وقد توعد الله الفاسق بالنار فحكمه في الآخرة الخلود فيها .

ويرد عليهم : ببيان حكم مرتكب الكبيرة في الشرع هل حكم بكفره وإخراجه من الملة أم حكم بإيمانه الإيمان الكامل أم هو مؤمن بإيمان فاسق بكبيرته .
الواقع : أن العاصي غير خارج من الملة بفسقه بل هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولم تخرجه النصوص عن الإيمان لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه ولا في إجماع الأمة وفي هذا يقول الطحاوي « ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه »^(١) .

وقد أجاب الشارح ابن أبي العز الحنفي حول ما ورد من تسمية الشارع لبعض الذنوب كفرا مثل قول الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾^(٢) وقول النبي ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »^(٣) .

وأمثلة أخرى كثيرة يفيد ظاهرها إطلاق كلمة الكفر على من اقترف ذنبا من تلك الذنوب ثم أجاب عن ذلك كله فقال :

والجواب : أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٩٥ . (٢) المائة : ٤٤ .

(٣) متفق عليه البخاري ج ١ ص ١١٠ ومسلم .

كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال ولا يقبل عفو ولا القصاص ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة فإن قولهم باطل أيضا إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾^(١) إلى أن قال: ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ إلى أن قال ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَخَوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ ﴾^(٢).

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار أن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، أن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقى في النار»^(٣) فثبت أن الظالم بكون له حسنات يستوفى المظلوم منها حقه « ثم أورد حديث المفلس^(٤) وقول الله تعالى: ﴿ إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾^(٥) ثم قال: « فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته »^(٦).

وهذا جواب نفيس جامع لفوائد عظيمة وفيه بيان جلي لمذهب السلف في

(١) البقرة: ١٧٨ .

(٢) الحجرات: ١٠ . ٩ .

(٣) رواه البخاري في الرقاق ح ١١ ص ٣٩٥ ، وفي المظالم أيضا ج ١ ص ١٠١ .

(٤) هو حديث رواه مسلم . ج ٨ ص ١٨ . (٥) هود: ١١٥ .

(٥) انظر شرح الطحاوية: ص ٣٠١ / ٣٠٢ .

هذه القضية التي أخطأ فيها المعتزلة وجعلوا العصاة فى منزلة بين المنزلتين فى الدنيا وحكموا بخلودهم فى النار فى الآخرة ولم يلتفتوا إلى مشيئة الله تعالى فى أولئك وهو الفعال لما يريد جل وعلا فقطعوا عنه المشيئة ، ثم زادوا الخطأ بآخر حينما حكموا بخلوده فى النار مع من مات على الشرك ولم يسجد لله سجدة ولا شك أن العقل يأبى هذا الحكم مع أنهم ممن يقدر العقل ويقدمه على النقل . ولكن الهوى يغطي على العقل والفهم إلا من وفقه الله تعالى .

٥- الأصل الخامس : الأمر بالمعروف ... والنهى عن المنكر

هذا هو الأصل الأخير من أصول المعتزلة الخمسة .

وقد بين القاضي عبد الجبار حقيقة الأمر ، والنهى ، والمعروف ، والمنكر فقال : « أما الأمر : فهو قول القائل لمن دونه فى الرتبة افعل ، والنهى هو قول القائل لمن دونه لاتفعل .

وأما المعروف فهو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه ، ولهذا لا يقال فى أفعال القديم تعالى معروف لما لم يعرف حسنها ولا دل عليه .

وأما المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ولو وقع من الله تعالى القبيح لا يقال أنه منكر لما لم يعرف قبحه ولا دل عليه » (١).

ومعنى التعريف أن المعروف والمنكر لابد أن يتضح أمرهما عند الشخص بأن يرى حسن المعروف ويدلل عليه ويرى قبح المنكر ويستطيع أن يدل عليه وهذا بخلاف ما لو وقع من الله - أفترضا - فعل القبيح فإنه لا يستطيع أن يدل عليه ولذا فلا يوصف بالمنكر .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبران من فروض الكفايات عند المعتزلة إذا قام بهما من يكفى سقط عن الباقيين وحكمها عموما الوجوب الكفائي .

(١) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤١ .

وقد استدلل المعتزلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأدلة كثيرة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية والإجماع .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾^(١) قال عبد الجبار : « فالله تعالى مدحنا على ذلك فلولا أنها من الحسنات الواجبات وإلا لم يفعل ذلك »^(٢).

قال عبد الجبار : « وأما من السنة فهو قول النبي ﷺ : « ليس لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل »^(٣).

قال : « وأما الإجماع فلا إشكال فيه لأنهم أتفقوا على ذلك »^(٤) وقد توافق أهل السنة والمعتزلة في حكم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كونه من الواجبات على الكفاية وهو ما قرره الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾^(٥). إلا أنه وقع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة فيما يلي :

١ - طريقة تغيير المنكر .

٢ - أوجبوا الخروج على السلطان الجائر .

٣ - حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم سواء كانوا من الكفار أو من أصحاب المعاصي من أهل القبلة .

فأما طريقة تغيير المنكر : فقد ساروا فيها عكس الحديث الذي بين فيه الرسول ﷺ موقف المسلم إزاء تغيير المنكرات .

(١) آل عمران : ١١٠ . (٢) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤٢ .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد في المسند . (٤) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤٢ .

(٥) آل عمران الآية : ١٠٤ .

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (١).

إذ إن تغيير المنكر عندهم يبدأ بالحسنى ثم باللسان ثم باليد ثم بالسيف بينما الحديث يرشد إلى العكس وهو ما يذهب إليه أهل الحق من أن تغيير المنكر يبدأ بالفعل باليد إذا لم يترتب عليه مفسد والتغيير باليد هنا لا يكون بالسيف وإنما هو إزالة المنكر بدون قتال وافتح باب فتنة أكبر من المنكر المراد إزالته .

فإن لم يتمكن الشخص من التغيير باليد انتقل إلى التغيير باللسان فإن وصل الحال إلى عدم الاستطاعة من التغيير باللسان بأن كان الشر هو الغالب على الخير فليكتف بالتغيير بالقلب من كراهة المنكر وتمني زواله وبغضه وبغض أهله ومع هذا فلا مكان للسيف هنا لأن الرسول ﷺ لم يرشد إليه ولما فيه كذلك من جر الأمة إلى ما هو أكبر من تغيير ذلك المنكر بخلاف المعتزلة فإنهم لا يرون حرجاً فى حمل السلاح لتغيير المنكر .

وأما الخروج على السلطان الجائر فقد أوجبه المعتزلة والواقع أن جور السلطان وارتكابه المعاصي لا يوجب الخروج عليه لما يترتب على ذلك من المفسد ومن سفك الدماء وتفريق كلمة الأمة فإن الإسلام لا يبيح الخروج عليه إلا عندما يظهر الكفر منه صراحة .

وأما حمل السلاح فى وجوه المخالفين لهم من أهل القبلة فلا دليل لهم على ذلك ولا يجوز أن يستحل دم المسلم إلا بما حدده الشرع وصاحب الكبيرة ليس بكافر فلا يجوز قتاله واستحلال دمه ولم يأمر الشرع بذلك فيجب على المسلم الالتزام وترك تنطع الخوارج والمعتزلة .

(١) أخرجه مسلم : ح ١ ص ٣٢ كتاب الإيمان .

الباب الثالث عشر « الأثاعرة أو السبعية »^(١)

وفيه المطالب الآتية:

١ - ظهور الأشاعرة :

ظهرت الأشعرية بعد أن تنفس الناس الصعداء من سيطرة المعتزلة في القرن الثالث الهجرى .

وهي فى الأصل نسبة إلى أبى الحسن الأشعري ظهر بالبصرة وكان أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه واستقل عنهم ولقد أصبح الانتساب إلى الأشعري هو ما عليه أكثر الناس فى البلدان الإسلامية .

بعضهم على معرفة بمذهبه الصحيح وآرائه التى استقر عليها أخيرا وبعضهم على جهل تام بذلك وبعضهم بتجاهل ويصر على مخالفته مع انتسابه إليه .

وانتساب الأشاعرة إليه إنما هو بعد تركه للاعتزال وانتسابه إلى ابن كلاب وهى المرحلة الثانية من المراحل التى مر بها الأشعري ولم يدم فيها إذ رجع إلى مذهب السلف ولكن بعض الأشاعرة ينتسبون إليه ولكن فى مرحلته الثانية ومن انتسب إليه فى مرحلته الثالثة فقد وافق السلف ونذكر فيما يلى نبذة موجزة عنه .

٢ - أبو الحسن الأشعري :

هو على بن إسماعيل الأشعري ينتسب إلى أبى موسى الأشعري وهو أحد علماء القرن الثالث تنتسب إليه الأشعرية ولد فى البصرة سنة ٢٥٠ هـ وقيل سنة (١) بعض العلماء يطلق عليهم السبعية بسبب أنهم يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط ويؤولون فيما عداها .

٢٧٠ هـ وتوفي سنة ٣٣٠ هـ على أحد الأقوال .

تعمق أولاً في مذهب المعتزلة وتلمذ على أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب أحد مشاهير المعتزلة إلا أن الله أراد له الخروج عن مذهبهم والدخول في مذهب أهل السنة والجماعة وتوج ذلك بما سجله في كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » .

ومما يذكر عن سيرته أنه كان دائماً يتململ من اختلاف الفرق في وقته وينظر فيها بعقل ثاقب فهداه الله إلى الحق واقتنع بما عليه السلف من اعتقاد مطابق لما جاء في القرآن والسنة النبوية فكان له موقف حاسم في ذلك .

ومما يدل على ذكائه وطلبه للحق وإفحامه لخصمه في المحاجة أنه سأل أستاذه^(١) أبا علي الجبائي عن ثلاثة أخوة كان أحدهم مؤمناً برأ تقياً . والثاني كان كافراً فاسقاً شقيماً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففي الدرجات وأما الصغير فمن أهل السلامة . فقال الأشعري أن إراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له ؟ فقال الجبائي لا لأنه يقال له أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات فقال الأشعري فإن قال ذلك التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة فقال الجبائي يقول البارئ جل وعلا كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك فقال الأشعري فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني ؟ فانقطع الجبائي .

لقد كان الأشعري إماماً فذاً كثير التأليف واسع الاطلاع محبباً إلى الناس ولهذا تجد أن كل طائفة تدعي نسبته إليها « فالمالكي يدعي أنه مالكي والشافعي يزعم أنه شافعي والحنفي كذلك »^(٢) .

(١) على حسب مذهب المعتزلة . (٢) انظر كتاب « أبو الحسن الأشعري » : ص ٨ .

٣ - عقيدة الأشعري :

علمنا فيما مضى أن الأشعري كان على مذهب المعتزلة ومن العارفين به وأنه أقام عليه مدة أربعين سنة ومما يذكره العلماء عن سيرته ورجوعه عن الاعتزال إلى المذهب الحق أنه مكث في بيته خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الناس وفي نهايتها خرج في يوم الجمعة وبعد أن انتهى من الصلاة صعد المنبر وقال مخاطباً من أمامه من جموع الناس :

« أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعالها وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم .

معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت الله تعالى فهداني إلى الاعتقاد ما أودعته كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما أنخلعت من ثوبي هذا وأنخلع من ثوب كان عليه . ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين » (١) .

ومن هنا انضم إلى أهل السنة والجماعة وفرحوا به فرحاً شديداً واحترموه وعرفوا قدره وإخلاصه وتوجهه إلى الحق بيقين ثابت وصارت أقواله حجة وآرؤه متبعه بينما ثار عليه أهل الاعتزال وذمواه بأنواع الذم غيظاً عليه لوقوفه في وجوههم وإبطال آرائهم المخالفة للحق وتركه لمذهبهم خصوصاً وأنه كان من المتعمقين في مذهبهم والعارفين بعواره .

ومما ينبغي ملاحظته . أن ينتبه طالب العلم إلى تمويه المغرضين ممن يزعم أن الأشعري لم يتب عن الاعتزال وأن الإبانة مدسوسة عليه وهو كذب ليس له ما يسنده بل الصحيح الذي عليه عامة علماء السلف أن الأشعري رجع إلى مذهب

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : ص ١٨١ - ج ١ .

أهل السنة والجماعة وتاب من كل ما يخالفه كما صرح بذلك في كتبه كالإبانة وغيرها من مؤلفاته النافعة (١) .

وعلى هذا فإن الأشعري مرّ بثلاثة أحوال في عقيدته :

١ - الحال الأول : حال الاعتزال .

٢ - الحال الثاني : إثبات الصفات العقلية السبعة : وهي الحياة - والعلم - والقدرة - والإرادة - والسمع - والبصره والكلام . وتأويل الصفات الخيرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك .

٣ - الحال الثالث : إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف كما في الإبانة واللمع التي نوه بها أحد معاصري الأشعري فقال بمدحه :

لو لم يصنف عمره	غير الإبانة واللمع
لكفى فكيف وقد	تفنن في العلوم بما جمع
مجموعة تربي على المقتنين	مما قد صنع
لم يأل في تصنيفها	أخذنا بأحسن ما استمع
فهدى بها المسترشد	ين ومن تصفحها انتفع
تتلى معاني كتبه	فوق المنابر في الجمع
ويخاف من إفحامه	أهل الكنائس والبيع
فهو الشجاء في حلق من	ترك المحجة وابتدع (٢)

(٢) في رسالة للشيخ حماد الأنصاري تسمى « أبو الحسن الأشعري » نقول كثير، عن علماء الإسلام في إثباتهم الإبانة لأبي الحسن انظرها إن شئت .
(٢) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري : ص ١٥٢ انظر : « أبو الحسن الأشعري : ص ١٤٢ .

وفى كتابه الإبانة توضيح تام لعقيدته السلفية ومتابعته لإمام أهل السنة أحمد ابن حنبل فارجع أيها القارئ الكريم إلى هذا الكتاب وقرأه وخصوصا الباب الذى عنوانه « باب فى إبانة قول أهل الحق والسنة » تجد فيه العقيدة السلفية واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار .

وأرى أنه من باب تيسير الاطلاع على ما فى هذا الباب أن أنقله بطوله لعظيم نفعه وعموم فائدته فى كلام عذب وعبارات جميلة لا يمل القارئ من قرائته فأليك مضمون ما فيه بحروفه اسأل الله النفع للجميع .

قال رحمه الله تعالى :

عقيدته كما بينها فى كتابه « الإبانة » :

باب فى إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون . قيل له : قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون . وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن يخالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليع معظم مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين وجملة قولنا أنا نقربا لله وملائكته وكتبه ورسوله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئا وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق . وأن الجنة حق والنار حق . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور .

وأن الله استوى على عرشه كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ . وأن له وجهها كما قال : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿ خلقت يدي ﴾ وكما قال : ﴿ بل يدها مبسوطتان ﴾ وأن له عينا بلا كيف كما قال : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا وأن لله علما كما قال : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ وكما قال : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ ونثبت له السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفتته المعتزلة والجهمية والخوارج ونثبت أن لله قوة كما قال : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ ونقول أن كلام الله غير مخلوق وأنه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له كن فيكون كما قال : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل وأن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله ولا نستغنى عن الله ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العبد مخلوقه لله مقدورة كما قال : ﴿ خلقكم وما تعملون ﴾ وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون كما قال : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ وكما قال : ﴿ لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ﴾ وكما قال : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ وكما قال : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ وهذا في كتاب الله كثير .

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين كما قال تبارك وتعالى ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره

ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله وأنا نلجىء أمورنا إلى الله ونبش الحاجة والفقير في كل وقت إليه ، ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ ونقول أن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله عز وجل : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى تجلى للجبل فجعله دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا ونرى بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون .

ونقول أن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا .

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمان وندين بأنه يقرب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وأنه عز وجل يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كنا جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ .

وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا نارا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ونرجوا الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين .

ونقول إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله ﷺ تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ .

ونؤمن بعذاب القبر وبالخوض . وأن الميزان حق والصراط حق . والبعث

بعد الموت حق . وأن الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف ويحاسب المؤمنين .
وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك
عن رسول الله ﷺ التى رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى إلى الرسول
ﷺ وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وآله
وسلم ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين .

ونقول أن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله
عليه وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للإمامة كما
قدمه رسول الله ﷺ للصلاة وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ ثم عمر
بن الخطاب رضى الله عنه ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه وأن الذين قاتلوه
قاتلوه ظلما وعدوانا ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه فهؤلاء الأئمة بعد
رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة : ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم
رسول الله ﷺ بها ونتولى سائر أصحاب النبى ﷺ ونكف عما شجر بينهم .

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم فى
الفضل غيرهم . ونصدق بجميع الروايات التى يثبتها أهل النقل من النزول إلى
السماء الدنيا وأن الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما
نقلوه وأثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل ونعول فيها اختلافنا فيه على كتب
ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا
نبتدع فى دين الله بدعة لم يأذن الله بها ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول إن
الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾
وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال : ﴿ ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد ﴾ وكما قال : ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ ومن
ديننا أن نصلى الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر
وغيره .

كما روى عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلى خلف الحجاج وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة .

وندين بترك الخروج عليهم بالسيف وترك القتال فى الفتنة ، ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ ، ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهم المدفونين فى قبورهم (١) ونصدق بحديث المعراج ونصح كثيرا من الرؤيا فى المنام ونقر أن لذلك تفسيراً ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك ونصدق بأن فى الدنيا سحرة وسحرا وأن السحر كائن موجود فى الدنيا ، وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم ، ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل ، وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها عباده حلالا وحراما ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه خلافا لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز وجل: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾ ، وكما قال: ﴿من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس﴾ ، ونقول أن الصالحين يجوز أن يخصصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم ، وقولنا فى أطفال المشركين أن الله يؤجج لهم فى الآخرة ناراً ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية ، وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون وما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمون ، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء ، وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم نذكره بابا بابا وشيئا شيئا إن شاء الله تعالى (٢) .

(١) المسألة تتم حتى ولو لم يقبر الشخص على صورة يعلمها الله تعالى .

(٢) انظر الإبانة .

٥ - أشهر زعماء الأشعرية :

لقد كان لأفكار الأشعري رجال برزوا فى العلم وتحرير المذهب ودعم الحجج التي ذكرها الأشعري .

ومن كبار أولئك الرجال :

١ - أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

٢ - البيضاوى المتوفى سنة ٧٠١ هـ .

٣ - الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ .

وأبرز من انتسب إلى الأشعري ومال إلى مذهب السلف وأثنى عليه أخيرا:
الإمام الجويني (الأب) وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٣٨ هـ .

وكذا ابنه إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، الجويني نسبة إلى بلدة فى فارس تسمى « جوين » وقد سمي إمام الحرمين لأنه مكث بمكة أربع سنوات ثم عرج على المدينة المنورة وكان يدرس فيهما وينظر .

ومن أولئك أيضا الغزالي - أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الملقب حجة الإسلام توفى سنة ٥٠٥ هـ وهو ينسب إلى طوس ومنهم أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفى سنة ٥٤٨ هـ .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي .

وقدماء الأشاعرة الذين كانوا على مذهب أبي الحسن الأشعري فى إثبات صفات الله تعالى هم الباقلاني - أبو بكر محمد بن الطيب - والطبري - أبو الحسن

الطبري والباهلي، أبو عبد الله بن مجاهد وهؤلاء مشوا على الطريقة السلفية في باب الصفات ولكن من جاء بعدهم ممن ينتسب إلى الأشعري تركوا طريقتهم وأولوا الصفات تأويلات باطلة ومنهم من رجع أخيرا إلى مذهب السلف وذبوا ما كانوا عليه من الانحراف وهم بعض من قدمنا أسماءهم .

موقف الأشاعرة من صفات الله تعالى

وقف الأشاعرة بالنسبة للإيمان بصفات الله تعالى موقفا مضطربا مملوءا بالتناقض ولم يتمكنوا من الدخول في المذهب السلفي كاملا إذ وافقوا السلف في جانب وخالفوهم في جانب آخر ونفس المسلك هذا أيضا تم مع مذهب المعتزلة فقد وافقوهم في جانب وخالفوهم في آخر .

ومن هنا وقفوا بين خصمين فألزمهم السلف بالزامات كثيرة تنقض ما ذهبوا إليه بالنسبة للإيمان بصفات الله تعالى ، كما ألزمهم المعتزلة أيضا وشنعوا عليهم ولو رضوا بمذهب الأشعري وساروا في طريقه تماما لما وجد أحد طريقا إلى ذمهم في باب صفات الله تعالى كما هو حالهم اليوم .

وموقف الأشاعرة في باب الصفات حاصله ما يلي : -

ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الصفات الإلهية إلى صفات نفسية راجعة إلى الذات أي إلى وجود الله تعالى ذاته وإلى صفات سلبية . واختاروا له خمسة أقسام :

وحدانية الله تعالى . والبقاء والقدم . ومخالفته عز وجل للحوادث وقيامه عز وجل بنفسه . وسموها سلبية لأن كل صفة منها تسلب في إثباتها كل ما يضادها أو كل ما يليق بالله تعالى .

كما يقسمون الصفات كذلك إلى سبعة أقسام يسمونها « صفات المعاني » وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، والكلام والسمع والبصر ، وهذه الصفات

يثبتونها لله تعالى صفات ذاتية لا تنفك عن الذات يؤمنون بها كما يليق بالله تعالى .
ويسمونها أحيانا الصفات الذاتية والوجودية .

وقد يجمع الأشاعرة تبعا للكلاسيكية بين المتناقضات فى صفات الله تعالى فهم يقررون أنه لا يقال إن صفات الله تعالى عين ذاته ولا يقال إنها غير ذاته والذى حيرهم فيها هو أن الصفة للشيء ليست هى ذاته وليست هى غيره لأنها لا تنفك .

وأقسام الصفات الثابتة لله تعالى هى كما يلي :-

١ - صفات ذاتية وهى التى لا تنفك عن ذات الله تعالى كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ... إلخ .

٢ - صفات فعلية : وهى التى تتعلق بمشيئته وقدرته بمعنى إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالإستواء على العرش والنزول والمجيء إلى آخره .

وبعض الصفات تجمع الأمرين فتكون ذاتية باعتبار ، وفعلية بإعتبار آخر مثل صفة الكلام فهى ذاتية باعتبار أن الله تعالى لم يزل ولا يزال يتكلم لا تنفك عن ذاته هذه الصفة . وهى فعلية بإعتبار أن الله يتكلم حسب مشيئته .

٣ - صفات عقلية : ثبتت بالنص وبالعقل أيضا كالعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة والبقاء والحياة والقدرة والوجود والوحدانية .

٤ - صفات خبرية : وهى التى ثبتت بالخبر - السمع - دون النظر إلى ثبوتها بالعقل كالاستواء والنزول والوجه واليدين .

وهذه الصفات تشمل :

الصفات الفعلية الإختيارية ، المتعلقة بمشيئة الله تعالى كالنزول والاستواء والرضى والغضب والإتيان والمجيء والفرح والسخط .

وهذه الصفات يقال لها قديمة النوع باعتبار أن الله تعالى لم يزل متصفا بها
حادثه الأحاد باعتبار تجدد وقوعها .

وقد ذهبت الكلاية وتبعهم الأشعرية إلى نفي الصفات الفعلية عن الله
تعالى ويؤولون ما ورد منها بزعم أنها لا تليق بالله تعالى لإشعارها بالأعراض التي
لا تقوم إلا بالجسم ومع هذا فهم يثبتون له تعالى الصفات الذاتية اللازمة له .

وأنكروا قيام الصفات الفعلية الاختيارية به وأوهموا الناس أن الحامل لهم
على هذا هو تنزيه الله تعالى عن قيام الحوادث به .

ومما يذكر أن قدماء الأشاعرة كالباقلائي - أبو بكر محمد بن الطيب -
والطبري - أبو الحسن الطبري - والباهلي - أبو عبد الله بن مجاهد .

كانوا يثبتون الصفات الخبرية على ظاهرها ولا يؤولونها تبعاً لأبي الحسن
الأشعري وعلى طريقة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث .

وفي ترجمة العلماء لأبي الحسن الأشعري وبيان رجوعه إلى مذهب أهل
السنة والجماعة من النصوص التي تثبت ذلك ما لا يخفى على طلاب العلم .

ولكن المتأخرين من الأشاعرة كالغزالي والجويني والرازي والتفتازاني
والجزجاني كانوا يذهبون إلى تأويل الصفات الخبرية ونفي معانيها الحقيقية وأنها
مجازات فالاستواء بمعنى الاستيلاء واليد - القدرة أو النعمة - والنزول - نزول
الملائكة والوجه - الذات والعين - الحفظ وزعموا أن إثبات هذه الصفات على
ظاهرها يؤدي إلى التشبيه والتجسيم وتركوا ما قرره الأشعري في وجوب إثبات
هذه الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته . وهو أمر يناهض انتسابهم إليه وإلى
أصحابه المتقدمين كالباقلائي وابن مجاهد والطبري الذين ساروا على طريقة
شيخهم السلفي .

وينبغي الحذر مما درج عليه بعض الكتاب من زعم أن الأشعري قد ترك

المذهب السلفى ورجع عنه ، وكون مذهبا وسطا ليس هو على طريقة المعتزلة ولا هو على طريقة أهل السنة أصحاب الحديث وأن كتابه الإبانة كان على طريقة هؤلاء بينما كتابه اللمع هو آخر ما كتبه وقد استقر عليه كما يزعم هؤلاء تجد هذا القول عند الدكتور حموده غرابة فى كتابه « أبو الحسن الأشعري » وفى مقدمته لكتاب اللمع كما تجده أيضاً عند الدكتور عبد العزيز سيف نصر فى رسالته « العقيدة الإسلامية بين التأويل والتفويض » ولعلهما تأثرا بما قرره قبلهما زاهد الكوثرى .

وقد رد عليهما الشيخ عثمان بن عبد الله آدم^(١) ودفع تصورهما وأنهما أخطأ الحقيقة ولم يطلعا على ما قرره علماء الإسلام والحقائق التى أوردوها على رجوع الأشعري وعلى أن كتابه الإبانة هو آخر ما كتب وآخر ما استقر عليه .

وحينما يذهب الأشاعرة إلى إثبات السبع الصفات ، وهى الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة حينما يثبتون هذه الصفات كما يليق بالله تعالى من أنه حي بحياة وعليم بعلم وقدير بقدرة .. إلخ ثم يردون بقية الصفات الأخرى ويؤولونها تأويلات بعيدة عن حقيقتها إنما يسلكون مسلكا متناقضا لا مبرر له إذ يقال لهم يلزمكم من إثبات الصفات السبع على ما يليق بالله أن تقولوا كذلك فى بقية الصفات الخيرية من الرحمة والغضب والفرح والضحك والمجىء والنزول .. إلخ ؛ إنها ثابتة لله تعالى كما جاء فى كتابه الكريم على ما يليق بالله تعالى دون أن يلحظ فيها المشابهة بخلقه لا فى علمه ولا فى رحمته فإن الذى يلحظ فى إثبات صفة الفرح أو الرحمة المماثلة بخلقه يلزمه أن يلحظ المماثلة بخلقه فى إثبات السمع والبصر والحياة أيضا وإلا كان تفريقا بلا دليل فيجب أن يثبتوا كل الصفات السمعية على حد سواء وأن ينزهوا بعد ذلك فى كل صفة وأما إجاباتهم لمن نازعهم وألزمهم بالإلزام السابق بأن تلك الصفات

(١) انظر « الصفات الخيرية بين الإثبات والتأويل : ص ٢٨١

السبع دل عليها العقل بخلاف ما عداها فهو قول غير صحيح وحجة غير مقبولة وهو قول فى مقابلة النصوص وتقديم العقل على النقل ليس بتسليم للنصوص ورضى بها وإذعاناً لله تعالى فيها .

وإثبات الأشعرية لسبع صفات ونفى ما عداها بالتأويلات جعلهم بين المعتزلة وأهل السنة « فلا للسلف اتبعوا ولا مع الجهمية بقوا »^(١) وقال شيخ الإسلام عن طرق الأشعرية :

« ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما نفوه إما التفويض، وأما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون مستقيم فإذا قيل لهم لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح »^(٢) بل جوابهم إما أن يلجؤا إلى التأويل الباطل وإما أن يدعوا عدم العلم بمعانيها وتفويض ذلك وكلاهما جواب باطل فإن التأويل الباطل مرفوض والتفويض فى المعاني ليس من مذهب السلف .

كما أنهم وقعوا فى التناقض حينما ينفون بعض الصفات على أساس أن إثباتها يستلزم مشابهة الله بخلقه ؛ لأن المخلوق هو الذى يوصف بتلك الصفات ولكنهم لا يجعلون هذه قاعدة عامة إذ ينقضونها بإثبات السبع الصفات على ما يليق بالله حتى وإن وجد مفهوم الاشتراك فيها بين الله وبين خلقه فإن هذا الاشتراك لا يوجب المماثلة وقولهم إن الاشتراك فى تلك الصفات لا يوجب المماثلة كلام صحيح لكنهم لا يجرونه فى كل الصفات فلزمهم التناقض والتفريق بين المتماثلات من هنا ألزمهم المعتزلة أن ينفوا الصفات كلها لأنها تدل على التشبيه فأجابهم الأشاعرة بأن إثبات تلك الصفات السبع إنما هو على وجه لا يستلزم المشابهة فألزمهم أهل السنة أن يقولوا هذا القول فى كل الصفات وهو

(١) انظر التحفة المهدية شرح التدمرية : ص ٨٠ .

(٢) الرسالة التدمرية : ص ١٠٦ .

ما يدل عليه العقل والشرع .

وقد هدى الله السلف فأمنوا بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ فنفوا عنه كل ما نفاه وأثبتوا له كل ما أثبتته بلا تنطع ولا تأويلات باطلة وقد علموا أن كل ما أخبر الله به فليس فيه نقص بأى وجه من الوجوه فهو أعلم بنفسه وما جرى عليه السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم من أن كل صفة وردت في القرآن لله تعالى فهي صفة كمال وقولهم في كل صفة الجواب المأثور عن السلف .

هذه الصفة معلومة وكيفيتها مجهولة والسؤال عنها بدعة توفيق ظاهر من الله تعالى لهم فمن لم يرض بما رضى الله لنفسه فقد نازع الله تعالى وقال عليه بلا علم وسلك سبيل غير المؤمنين .

الباب الرابع عشر الماتريدية

وفيه المطالب الآتية : -

١ - التعريف بمؤسس الماتريدية .

تنتسب هذه الطائفة إلى أحد علماء القرن الثالث الهجري وهو محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي ، ولد في ماتريد وهي من بلدان سمرقند فيما وراء النهر ولا يعرف على وجه اليقين سنة مولده وقد توفي سنة ٣٣٣ هـ تلقى علوم الفقه الحنفي والكلام على أحد كبار علماء ذلك العصر وهو نصر بن يحيى البلخي المتوفي سنة ٣٦٨ هـ وغيره من كبار علماء الأحناف كأبي نصر العياض وأبي بكر أحمد الجوزجاني وأبي سليمان الجوزجاني حتى أصبح من كبار علماء الأحناف لقد كان لأبي منصور مناظرات ومجادلات عديدة مع المعتزلة في الأمور التي خالفهم فيها .

وقد اتحد في الهدف مع الأشعري في محاربة المعتزلة وكان معاصرا له ، وأما في العقائد فكان على اتفاق مع ما قرره أبو حنيفة في الجملة وله مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون منها بيان وهم المعتزلة - تأويلات أهل السنة - الدرر في أصول الدين - الرد على تهذيب الكعبي في الجدل - عقيدة الماتريدية - كتاب التوحيد وإثبات الصفات - كتاب الجدل - مأخذ الشرائع في أصول الفقه - المقالات - وكان يلقب فيما وراء النهر بإمام السنة وإمام الهدى^(١) وقد وقف في وجوه المعتزلة الذين كانوا فيما وراء النهر إلا أنه كان قريبا منهم في النظر إلى العقل ولم يغفل فيه غلوهم بل اعتبره مصدرا آخر إضافة إلى المصدر الأساسي

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية : ج ١ ص ١٩٧ .

وهو النقل مع تقديم النقل على العقل عند الخلاف بينهما (١) .

وقد أوجز الشيخ أحمد عصام الكاتب عقيدة الماتريدي من خلال كتاب الماتريدي في التوحيد المسمى « كتاب التوحيد » الذي حققه الدكتور فتح الله خلف عن نسخة مخطوطة يتيمة في مكتبة جامعة كمبردج بالإنجلترا وقد عرضه الدكتور المذكور في مجلة تراث الإنسانية المجلد ٩ العدد ٢ كما أن تحقيقه لكتاب التوحيد نشر في بيروت سنة ١٩٧٠ م .

ثم قال أحمد عصام عن كتاب التوحيد للماتريدي بتحقيق الدكتور فتح الله خلف «وسنعمد عليه في كلامنا على عقائد الماتريديّة لأنه أفضل مصدر لهذه العقائد وأصدقها وأقربها ولا عبرة بما فعله المتأخرون منهم من خلط الحابل بالنابل» .

وأنا بدوري سوف اختصر أيضا ما ذكره الشيخ أحمد عصام بقصد الاختصار والإشارة إلى عقيدة الماتريدي والماتريديّة ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى كتاب التوحيد المذكور أو المجلة تراث الإنسانية .

٢ - أهم آراء الماتريدي إجمالا :

١ - لا يرى الماتريدي مسوغا للتلقيد بل ذمه وأورد الأدلة العقلية والشرعية على فساده .

٢ - يذهب في نظرية المعرفة إلى لزوم النظر والاستدلال وأنه لا سبيل إلى العلم إلا بالنظر وهو قريب من آراء المعتزلة والفلاسفة في هذا ثم يذكر أدلة كثيرة على وجود الله مستخدما أدلة المعتزلة والفلاسفة في حدوث الأجسام وأنها دليل على وجود الله .

٣ - يوافق في الاعتقاد في أسماء الله السلف ويرى أن أسماء الله توقيفية فلا نطلق على الله أى اسم إلا ما جاء به السمع .

(١) هذا من باب الأخبار عن مذهب الماتريدي وإلّا فإن العقل السليم لا يعارض النقل الصحيح .

٤ - يرى أن المؤمنين يرون ربهم والكفار لا يرونه ويخالف الأشعري هنا في أن الماتريدي يرى أن الأدلة على إمكان رؤية الله تعالى عقلا غير ممكنة بينما يستدل عليها أبو الحسن الأشعري بالعقل .

٥ - هو أقرب ما يكون إلى السلف في سائر الصفات فهو يثبت الاستواء على العرش وبقية الصفات دون تأويل لها ولا تشبيه .

٦ - في القضاء والقدر هو وسط بين الجبر والاختيار فالإنسان فاعل مختار على الحقيقة لما يفعله ومكتسب له وهو خلق لله ، حيث يخلق للإنسان عندما يريد الفعل قدرة يتم بها ومن هنا يستحق الإنسان المدح أو الذم على هذا القصد وهذه القدرة يقسمها إلى قسمين :

١ - قدرة ممكنة وهي ما يسميها لسلامة الآلات وصحة الأسباب .

٢ - وقدرة ميسرة زائدة على القدرة الممكنة وهي التي يقدر الإنسان بها على الفعل المكلف به مع يسر ، تفضلا من الله تعالى .

٧ - يقول الماتريدي بخلق أفعال العباد، وهو يفرق بين تقدير المعاصي والشور، والقضاء بها وبين فعل هذه المعاصي فالأول من الله والثاني من العبد بقدرته واختياره وقصده ويمنع أبو منصور من إضافة الشر إلى الله فلا يقال رب في الأوراث والخبائث ولو أنه خالق كل شيء وهذا الشق الأخير معروف عن السلف أما تقسيمه القدرة وجعل العبد فاعلا باختياره وقصده وقدرته من وجه ، ولو كان الله هو الفاعل من وجه آخر فيه حيد عن مذهب السلف في ذلك .

٨ - في مسائل الإيمان . لا يقول بالمنزلة بين المنزلتين ولا يقول بخروج مرتكب الكبيرة عن الإسلام ويرى أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، دون الإقرار باللسان ومن هنا يفترق الماتريدي عن السلف وعنده لا يجوز الاستثناء في الإيمان لأن الاستثناء يستعمل في موضع الشكوك والظنون .

وبين الماتريدي والأشعري مسائل كثيرة اتفقوا فيها وأخرى اختلفوا فيها
فمما اختلفوا فيه.

١ - مسألة القضاء والقدر . فقال الماتريدي : إن القدر هو تحديد الله أزلا كل
شئ بحده الذى سيوجد به من نفع وما يحيط به من زمان ومكان.
والقضاء: الفعل عن التنفيذ .

وقال الأشاعرة: إن القضاء هو إرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على
ترتيب خاص . والقدر: تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها المخصوصة.

٢ - واختلفوا فى أصل الإيمان . فذهب الماتريدي إلى أنه يجب على الناس
معرفة ربهم ولو لم يبعث فيهم رسولا .

وذهب الأشاعرة إلى عدم وجوب الإيمان وعدم تحريم الكفر قبل بعثه الرسل.

٣ - كما اختلفوا فى زيادة الإيمان ونقصانه وشرطه إلخ .

٤ - واختلفوا فى المتشابهات كما أسلفنا .

٥ - كما اختلفوا فى النبوة هل يشترط فيها الذكورة ؟ فجعلها الماتريدي شرطاً
ونفى ذلك الأشاعرة عنها . واحتج هذا الفريق بقوله تعالى وأوحينا إلى أم
موسى «ورد الفريق الأول بأن الإيحاء هنا بمعناه الواسع وهو الإلهام» (١).

وهذه المسألة الأخيرة وهى نبوة النساء وعدمها مما وقع فيه الخلاف بين
العلماء إلا أن الحق أن النبوة مختصة بالرجال وليس هنا موضع بحث هذه
القضية بالتفصيل وأرجو أن يتم الله ما قمت به من دراسة حول المتنبئين وبيان
خطرهم فى الفكر والمجتمع حيث بينت فيما يتعلق بنبوة النساء وعدمها أقوال
العلماء والراجع منها .

(١) انظر عقيدة التوحيد فى فتح الباري شرح صحيح البخاري : ص ٩٨ - ١٠١ .

الباب الخامس عشر

دراسة أهم المسائل التي اتفق عليها أهل الكلام

من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية

وتشمل ما يأتي :

- ١ - تقديم العقل على النقل .
- ٢ - جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .
- ٣ - معنى التأويل عندهم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح .
- ٤ - تعطيل النصوص عن مدلولاتها .

١ - تقديم العقل على النقل

من المساوئ التي ابتلى بها بعض المنتسبين إلى الإسلام تقديس العقل واعتماده مصدرا أعلى من كلام خالق العقل لبس عليهم إبليس فرأوا أنهم على صواب وقوي في نفوسهم شبه الملاحدة أعداء الدين فأرتكبوا هذا الجرم الشنيع ورأوا أنه إذا تعارض النقل والعقل في شيء فإن العقل هو المقدم عند الجهمية والمعتزلة وجمهور الأشاعرة المتأخرين ظانين أنه يوجد بالفعل تعارض بين العقل النسليم والنص الصحيح حسب زعمهم ولهم حجج في تقديم العقل على النقل وهي شبه لا تسلم لهم ومنها :-

- ١ - أن العقل هو الأصل والأساس للنقل وإلا لم يرد النقل .
- ٢ - أن الدلالة العقلية قطعية بينما الدلالة النقلية ظنية .
- ٣ - أن معرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل وهي أصل وما عداها فرع

وهذا الأصل إنما قام على العقل فلو قدمنا النقل لكان من باب تقديم الفرع على الأصل فالعقل هو الأساس فلو حكم باستحالة الشيء وحكم السمع بخلافه فيجب تأويل السمع ليتوافق مع العقل ، فإن العقل هو الذى شهد بصدق الشرع ولم يعرف الشرع إلا بالعقل فمن كذب العقل فقد كذب الشرع والعقل معا سواء كان فى الصفات أو فى غيرها من الأخبار وما ورد من آيات الصفات فى القرآن الكريم ينبغى عرضها على العقل فإذا عارضها وجب تأويلها لتوافق العقل أو تفويض علمها إلى الله .

٤ - إن صدق الأنبياء فى أخبارهم عن الله لا يتوقف على النقل بل يتوقف على العقل لأن النقل لا يقبل إلا أن يكون عن الأنبياء فلو توقف صدق الأنبياء على النقل للزم الدور .

٥ - ما ثبت بالتواتر وخالفه العقل إما أن يؤول أو يفوض وما ثبت أخبار الآحاد فإنه لا يقبل بأى حال فى العقائد .

الرد عليهم :

مهما حاول دعاة تقديم العقل على النقل من سرد المبررات لقبول ذلك . فإن تلك المحاولات والاحتجاجات والجدال والخصومة غير مقبولة عند من وفقه الله لمعرفة دينه وابتعد عن الوسوس التى جاء بها علم الكلام وهذه المسألة على بساطة الرد عليها قد أخذت حيزا واسعا من الجدال والخصومة بين المثبتين والنافين إلا أنه يمكن إيجاز الرد عليهم فيما يلى :

١ - هل يوجد بالفعل تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح ؟ .

الجواب : لا يوجد تعارض بين العقل والنقل فإن النقل وهى النصوص الشرعية إذا صحت من كتاب الله عز وجل أو من سنة نبيه ﷺ لا يمكن أن يعارضها العقل السليم الخالي عن الشهوات والبدع فإنه لا يمكن أن يحصل التعارض بين دليل عقل قطعي وآخر نقلي قطعي أما إذا كان الدليلان ظنيان

فإنه يقدم الراجح منهما سواء كان عقليا أو نقليا وإن كان أحدهما ظنيا والآخر قطعيا فإنه يقدم الدليل القطعي بغض النظر عن كونه نقليا أو عقليا إذا القطعي هو الذى يمكن الاعتماد عليه حتى وإن كان عقليا فالمزية إنما هى لكونه قطعيا لا لأجل أنه عقلي .

وأما ما ذهبوا إليه من إسقاطهم أخبار الآحاد . فهو من المساوىء التى وقع فيها هؤلاء فقد زعموا أن المتواتر حتى وإن كان قطعي السند فهو غير قطعي الدلالة وذلك لأن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين حسب مفهومهم .

وأخبار الآحاد حسب زعمهم لا تفيد العلم وهو من جملة أقوالهم البدعية العارية عن الأدلة الشرعية لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال علماء الأمة الذين يعتبر كلامهم فى هذه القضية ذلك أن الحق هو قبول خبر الآحاد فى باب الاعتقاد وفى غيره ما دام ثابتا .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الحجرات : ٦ . ولولا أن خبر الواحد مقبولا لما توجه الأمر بالثبوت فيما يخبر به مما يحتاج إلى تثبت خصوصا إذا جاء من فاسق ومعناه أنه إذا كان غير فاسق فإن خبره يقبل .

ولقد كان النبي ﷺ يكتفى بخبر الواحد ويأمر بالاكْتفاء به حيث كان يرسل الشخص الواحد إلى مجموعة من الناس ويأمره بتبليغ ما يأمره به ويطلب إلى الناس قبول ما يأمرهم به والانتفاء عما ينهاهم عنه .

وقد ثبت أنه ﷺ أرسل معاذاً إلى اليمن وأمره بتعليمهم الدين وسائر شعائر الإسلام ، وكان يرسل من أصحابه الواحد والإثنين أو الثلاثة أو أكثر حسب ما يتيسر له بغض النظر عن قضية خبر الآحاد التى ابتدعها أهل الكلام وقد حصل ذلك منه فى وقائع كثيرة وعلى قبول خبر الآحاد جميع الأمة خلفا عن سلف إلا من خالف وأعرض عن النصوص الشرعية من الجهمية والمعتزلة والرافضة

والخوارج ومن سار على طريقتههم .

وكان السلف من الصحابة فمن بعدهم لا يشترطون لقبول رواية الحديث عن رسول الله ﷺ والعمل به سوى عدالة الراوى وثقته وتقواه وكانوا إذا روى الثقة حديثا عن النبي ﷺ تلقوه بالقبول والعمل ولم يخطر فى أذهانهم أنه خبر آحاد وأخبار الآحاد غير مقبولة كما هى حجة من أراد رد النصوص وتعطيلها والتشويش على عقول عامة المسلمين .

وهنا أمر جدير بالذكر وهو أن السلف حينما يقدمون النقل على العقل ليس مقصودهم احتقار العقل وأنه لا يستفاد به المعرفة بل يقدرّون دور العقل فى المعرفة والاهتداء به إلى الحق ولكنهم لا يوصلونه إلى درجة التقديس التام وتقديمه على كلام الله عز وجل وكلام نبيه ﷺ فكل ما فى القرآن الكريم وكل ما صح فى السنة النبوية لا يستجيز مسلم يؤمن بالله وبمحمد ﷺ نبيا وبالإسلام ديناً أن يعارضه بعقله أو باجتهادات العلماء وهو يعلم ثبوت النص . اللهم إلا أن يكون من باب الإجتهد وتنوع المفاهيم فى معاني النصوص وتوجيهها فإن الشخص حينئذ إن اجتهد فأصاب فله أجران وأن اجتهد فأخطأ فله أجر اجتهاده ونيته .

أما إذا قدم عقله وعقول فلاسفة اليونان فعليه حينئذ إثم وإثم من عمل بقوله وحسن له رد ما جاءت به الأنبياء واستبدالها بمفاهيمهم السقيمة ثم تسميتهم لها بالأدلة القطعية والبراهين اليقينية تهويلاً لأمرها ورفعاً لشأنها لئتم لهم ما يريدون من رد النصوص الشرعية وتأويلها أن الهداية لم تأتنا إلا عن طريق الوحي وعلى أيدي رسل الله الكرام فبأي مسوغ نترك طريق الهداية ونرجع إلى تقديم العقل .

فلو كان العقل يكفى للوصول إلى الحق مجردا عن النقل لما عاش هؤلاء المعرضون عن الله فى متاهات الكفر والضلال ولما احتجنا إلى الأنبياء فمن الإجرام أن نترك طريق الهداية واضحا مشرقاً ثم نتعلل بتقديس العقل فى مقابل نصوص الكتاب والسنة فالعقل له حد إذا تجاوزه صاحبه انقلب إلى الجهل

والخزعبلات فمثلا المشبهة حينما أبوا الوقوف عند حدود الشرع بحثوا وتعمقوا في الصفات إلى أن وصلوا إلى تشبيه الله بخلقه تماما ووصفوه كما يصفون إنسانا واقفا أمامهم وظنوا أن عقولهم أوصلتهم إلى علم غزير فهل ذلك صحيح؟ كلا وقابل هؤلاء نفاة الصفات فقد أوصلتهم عقولهم حينما تجاوزت الوقوف عن النصوص الشرعية إلى حد أن وصفوا ربهم بصفات نتيجتها إن الله لا وجود له حتى وإن لم يصرحوا بنفي وجود الله لكن تلك الأوصاف السلبية لا نتيجة لها إلا هذه النتيجة وظنوا أنهم اهتدوا بعقولهم إلى الوصول إلى الحق وزين لهم الشيطان ذلك .

فقارن بين مواقف هؤلاء ومواقف أهل الحق أهل السنة والجماعة الذين يسرون وراء النصوص مستعملين عقولهم إلى الحد الذي تنتهي عنده وبالتالي فالقائد هو النص إلى أن يصلوا إلى غاية ما يريدون أو يطلب منهم .

فأمروا العثار واهتدوا إلى سواء السبيل ورضوا بما جاء به كتاب ربهم وسنة نبيهم وما كان عليه سلفهم الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وعلموا أن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح فأراحوا أنفسهم عناء التأويلات والتكلفات التي أبتلي بها غيرهم حين بحثوا كثيرا وأتعبوا أنفسهم طويلا وخرجوا عن الحق الذي طلبوه بتلك التأويلات والتكلفات وهم لا يشعرون .

لأن السلف يعلمون أن النقل حينما جاء مخاطبا للعقل ومبينا له الطريق الصحيح يعلمون أن بينهما توافقا تاما فالخطاب إنما جاء لأهل العقول لا للمجانين ولا للحيوانات البهيمية فكيف يتصور بعد ذلك أن العقل أعلى من النقل بحجة أن العقل هو الأصل وإلا لم يرد النص فالنقل هو الموجه لمحل قابل للتوجيه وهو العقل ولم تأت العقول لتوجه النقل في أي زمن من عمر البشر وزعمهم أن الدلالة النقلية ظنية بينما الدلالة العقلية قطعية .

هذا كلام اخترعوه وأرادوا أن يؤصلوه وإلا فإن السلف من الصحابة فمن

بعدهم لا يعرفون هذه المسالك بل كانوا يعتبرونها من وساوس الشيطان ومن نقص الإيمان .

وزعمهم هذا هو مثل زعمهم أن صدق الأنبياء إنما يتوقف على العقل ولو كان هذا صحيحا لآمن قوم نوح وسائر أُمم الأنبياء إذ أن لهم عقول ولما احتاجوا إلى سماع النقل منهم عن الله تعالى والواقع خلاف ذلك فإن كلام الأنبياء وإخبارهم عن الله تعالى هو في حد ذاته الطريق إلى الإيمان بالأنبياء فكل رسول كان يأتي لقومه ويقول لهم « إني رسول الله إليكم » ثم يخبرهم عن الله تعالى ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً دون التركيز على الأدلة العقلية فهي تأتي عرضاً ويستفاد منها كثيراً لكن ليست هي الدليل الوحيد على صدق الأنبياء فدلائل صدقهم كثيرة جداً .

٢ - التأويل في مفاهيم الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة

لقد جرت التأويلات الفاسدة فتنا عظيمة على الإسلام والمسلمين وأخرجت الكثير منهم عن عقيدتهم السليمة إلى عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ولقد عبر عن بعض مضار التأويلات الفاسدة العلامة ابن أبي العز في معرض رده على الذين يؤولون رؤية الله تعالى في قوله عز وجل ﴿ وَجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (١) فقال « وهي من أظهر الأدلة وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً :- فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص .

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل وحذرنا الله أن نفعل مثلهم وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جنابة : فهل قتل عثمان رضى الله

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٣ .

عنه إلا بالتأويل الفاسد وكذا ما جرى في يوم الجمل وصفين ومقتل الحسين والحرة . وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافتרכת الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد» (١) .

لقد كثرت الجدال والخصام بين أهل السنة من جانب وبين المخالفين لهم من تأثر بعلم الكلام والفلسفات من جانب آخر في قضية التأويل .

فما هو التأويل وما المراد به عند هؤلاء الفرق من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة وغيرهم ممن اقتحم التأويلات الفاسدة .

حقيقة التأويل في أساس إطلاقه يشمل أمرين :

الأمر الأول : تطلق كلمة التأويل ويراد بها ما تؤول إليه حقيقة ذلك الشيء ومصيره وعاقبته .

الأمر الثاني : تطلق هذه الكلمة ويراد بها معرفة ذلك الشيء وفهم تفسيره وبيانه سواء وافق ظاهره الصواب أو خالفه وكثير من المفسرين يستعمل كلمة التأويل بمعنى التفسير فيقول تأويل هذه الآية كذا أي تفسيرها فإن وافق الحق فهو مقبول وصحيح وإن خالفه فهو باطل .

وقد ورد ذكر كلمة التأويل في القرآن الكريم في عدة آيات قال تعالى ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (٢) أي عاقبة التحاكم إلى الله ورسوله عند التنازع هو أحسن مآلاً وعاقبة ومنه قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ (٣) أي عاقبة تأويله وحقيقته وجميع ماورد في القرآن الكريم من معاني التأويل فهي تطلق بهذا المعنى وورد في السنة عن النبي ﷺ هذا المعنى (٤) حيث روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿قل هو القادر

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٤ . (٢) جزء آية من سورة النساء : ٥٩ .

(٣) الأعراف : ٥٣

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٤٠ وعزاه إلى الإمام أحمد والترمذي .

على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴿﴾ فقال « أما أنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد » أى لم يأت وقت ظهور حقيقة العذاب ومصير المخاطبين وما تؤول إليه عاقبتهم .

وورد فى السنة النبوية أيضا استعمال التأويل بمعنى التفسير والمعرفة كما فى دعائه ﷺ لابن عباس بقوله : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » أى فهمه معرفة الدين .

وهذه المعاني للتأويل هى التى كانت معروفة عند السلف قبل ظهور أهل الكلام والفلسفات العقيمة وقبل ظهور الخصام والجدال فى معاني التأويل .
قال ابن القيم :

« وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره وهذا هو الشائع فى عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه ولهذا يقولون التأويل على خلاف الأصل والتأويل يحتاج إلى دليل . وهذا التأويل هو الذى صنّف فى تسويغهِ وإبطاله من الجانبين ، فصنّف جماعة فى تأويل آيات الصفات وأخبارها كأبي بكر بن فورك وابن مهدي الطبري وغيرهما ، وعارضهم آخرون فصنّفوا فى إبطال ذلك التأويل كالقاضي أبي يعلى والشيخ موفق الدين بن قدامة وهو الذى حكى عن غير واحد إجماع السلف على عدم القول به » (١) .

وقد بين ابن القيم رحمه الله أقسام التأويل الصحيح والتأويل الباطل ثم قسم التأويل الصحيح إلى هذين القسمين فقال :

« وعلى هذا يبنى الكلام فى الفصل الثانى وهو انقسام التأويل إلى صحيح وباطل أو تفسيره وبيان معناه » (٢) وذكر أن كل ما ورد من الروايات عن

(١) الصواعق المنزلة : ج ١ ص ٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨١ .

الصحابة وفيها ذكر التأويل أن المراد به التفسير وذكر أمثلة كثيرة على هذا وأن تأويلهم من جنس التأويل الذي يوافق الكتاب والسنة أو أن لهم وجهة نظر قوية لا تخرج عن الحق .

وأما التأويل الباطل فقد ذكر له عشرة أنواع :

أحدها : ما لم يحتمله اللفظ بوضعه كتأويل قوله ﷺ «حتى يضع رب العزة عليها رجله»^(١) بأن الرجل جماعة من الناس فإن هذا لا يعرف في شىء من لغة العرب ألبتة .

الثانى : ما لم يحتمله اللفظ بينيته الخاصة من تشبيه أو جمع وإن احتمله مفردا كتأويل قوله : ﴿لما خلقت بيدي﴾^(٢) بالقدرة .

الثالث : ما لم يحتمله سياقه وتركيبه وإن احتمله فى غير ذلك السياق كتأويل قوله ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾^(٣) بأن إتيان بعض آياته التى هى أمره وهذا يأباه السياق كل الإباء .

الرابع : ما لم يؤلف استعماله فى ذلك المعنى فى لغة المخاطب وإن أُلّف فى الاصطلاح الحادث ، وذكر أن هذا النوع لم يؤلف استعماله فى لغة العرب وإن كان معهودا فى اصطلاح المتأخرين ومثل لهذا بتأويل الجهمية والفلاسفة والمعتزلة لقول الله تعالى : ﴿ثم استوى على العرش﴾^(٤) بأن المعنى أقبل على خلق العرش فإن هذا لا يعرف فى لغة العرب بل ولا غيرها من الأمم أن من أقبل على الشىء يقال قد أستوى عليه فلا يقال لمن أقبل على الرجل قد استوى عليه ولا لمن أقبل على الأكل قد استوى على الطعام .

(٢) سورة ص : ٧٥ .

(٤) الأعراف : ٥٤ .

(١) رواه البخاري: ج ٨ ص ٥٩٥ .

(٣) الأنعام : ١٥٨ .

الخامس : ما أُلّف استعماله فى ذلك المعنى لكن فى غير التركيب الذى ورد به النص فىحمله المتأول فى هذا التركيب الذى لا يحتمله على مجيئه فى تركيب آخر يحتمله وهذا من احتجاج الغلط والتلبيس ، ومثل لهذا بتأويل اليد . بالنعمة والنظر إلى الله بانتظار الثواب .

السادس : كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل كتأويل قوله ﷺ « أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل » (١) . بحمله على الأمة فإن هذا التأويل مع شدة مخالفته لظاهر اللفظ يرجع على أصل النص بالإبطال وهو قوله: « فإن دخل بها فلها المهر بما استحلت من فرجها » ومهر الأمة إنما هو للسيد فقالوا نحمله على المكاتبه وهذا يرجع على أصل النص بالإبطال من وجه آخر فإنه أتى فيه بأى الشرطية التى هى من أدوات العموم وأكدها بما المقتضيه تأكيد العموم وأتى بالنكرة فى سياق الشرط وهى تقتضى العموم وعلق بطلان النكاح بالوصف المناسب له المقتضى لوجود الحكم بوجوده وهو نكاحها نفسها ونبه على العلة المقتضية للبطلان وهى إفتياتها على وليها وأكد الحكم بالبطلان مرة بعد مرة ثلاث مرات فحمله على صورة لا تقع فى العالم إلا نادرا يرجع على مقصود النص بالإبطال (٢) .

وكان السلف يدركون الفرق بين التأويل بمعنى التفسير وفهم المراد من الكلام الذى هو باستطاعة الإنسان الوصول إليه وهذا هو التأويل المقبول عند السلف وبين التأويل بمعنى معرفة ما يؤول إليه المراد من الكلام سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة من الأمور الغيبية الذى ليس باستطاعة الشخص معرفته إلا بعد ظهوره ووضوح حقيقته .

وأمثله هذا النوع كثيرة يمثلها الأخبار بالمغيبات التى ستحدث فى الدنيا أو

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب النكاح باب الولي ج ١ ص ٤٨١ .

(٢) انظر الصواعق المنزلة : ج ١ ص ٨١ - ٩٣ .

فى الآخرة ويمثلها كذلك معرفة صفات الله عز وجل على حقيقتها وكنفياتها .
وأهل السنة لا يتعدون هذه المفاهيم الواضحة المشرقة البعيدة عن
التكلفات والتأويلات الباطلة .

ولو وقف الخلف عند المكان الذى وقف فيه السلف لكان خيراً لهم وأشد
تثبيتاً ولكنهم تجاوزوا النصوص وقدموا عليها عقولهم ومفاهيمهم القاصرة
وتأويلاتهم الباطلة فجاءت خليطاً مشوهاً .

والتأويل فى عرف هؤلاء المتأخرين يراد به : « صرف اللفظ عن الاحتمال
الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق
لدلالة ظاهرة تأويلاً على اصطلاح هؤلاء وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل
ذلك وأن للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه
المتأولون»^(١) .

فالمتأخرون يريدون بالتأويل عدم إجراء النص على ظاهره والإتيان له بمعنى
يحتمله ليتوافق مع تأويلهم الذى حرفوه عن معناه الصحيح وهذا هو التأويل
الباطل .

وقد رفض السلف تأويل الخلف بالمعنى الذى قرره هؤلاء لأنه تحريف
للنصوص وإبعاد للمراد منها ، خصوصاً وأن تلك النصوص ظاهرة الدلالة
الاخفاء فيها ولا احتمال فإن كل ما جاء فى القرآن والسنة من الوضوح وتحديد
المراد مالا يحتمل التلاعب به ولا بمعانيه لأنه نزل على قوم أدر كوا المراد به
وآمنوا به وأطمأنت قلوبهم ولم يحتاجوا إلى التأويلات التى اخترعها زعماء
التعطيل فإنه على حسب مفهومهم ما من نص إلا وهو يحتمل التأويل وبالتالى فلا
تتم الثقة بأى نص على ظاهره فإذا ورد النص يقول ﴿ وجاء ربك ﴾ قالوا جاء
أمره وإذا ورد النص ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ قالوا سميع بلا سميع بصير بلا

(١) الفتوى الحموية الكبرى : ص ٤٠ .

بصر بل بذاته ورحمة الله إرادة الثواب ، واليد النعمة إلى غير ذلك من تلك التأويلات التي ملأوا بها كتبهم استنادا إلى أن العقل هو الفاصل والمقدم على النقل فلا حرج بعد ذلك أن تؤول نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الذين يقتدى بهم على حسب ما تراه العقول فصار هؤلاء المؤولة أشر من المعطلة قال ابن القيم رحمه الله .

فصل في بيان أن التأويل شر من التعطيل .

وتحت هذا العنوان قال عن التأويل : « فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات وأمتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال » (١) .

وقال ابن أبي العز :

« فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل أنه صرف اللفظ عن ظاهره وبهذا تسلط المحرفون على النصوص وقالوا نحن نتأول ما يخالف قولنا فسموا التحريف تأويلا تزيينا له وزخرفة ليقبل ، إلى أن قال :
« فمن التأويلات الفاسدة تأويل أدلة الرؤية وأدلة العلو وأنه لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا » (٢) .

وما زعمه المؤولة في أن نصوص الصفات في القرآن والسنة لا تعرف إلا بالتأويل زعم مردود إذا أريد أن معاني تلك الصفات غير معروفة أما إذا أريد بأنها لا تعرف بمعنى لا نعرف كيفيتها فهذا حق ولكنهم لا يريدونه .

وعموما فكل تأويل يوافق دلالة الكتاب والسنة فهو مقبول وصحيح وكل تأويل يخالفهما فهو تأويل فاسد فاتح لباب الزندقة ومهيئ للتفتل من قبول الشرع

(٢) شرح الطحاوية : ص ١٧٢ .

(١) مختصر الصواعق : ج ١ ص ٤٨ .

ومسبب للحيرة والاضطراب ويمثل علماء السلف للتأويل الصحيح بمسألة شفعة الجار في حديث « الجار أحق بسقبة »^(١) أى من حق الجار أن يشفع حق جاره ويكون أحق بشرائه من غيره ولفظ الجار يشمل الجار الملاصق ويشمل أيضا الشريك المقاسم على احتمال مرجوح .

لكن هذا الاحتمال المرجوح هو الصحيح المقبول وذلك لموافقته السنة النبوية في الحديث الثابت وهو قوله ﷺ: « فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة »^(٢) فثبت من الحديثين أن المعنى المرجوح هو المراد لنسخه ظاهر المعنى الراجح وهو الجار عموما وهذا ليس من التأويل المذموم فى شىء بل هو من باب الجمع والترجيح .

ومما ينبغى ملاحظته أن التأويل المذموم إنما وجد حين ظهرت الفرق من خوارج ومعتزلة وشيعة وجهمية وباطنية وصوفية حيث أراد هؤلاء أن يوجدوا لأفكارهم غطاء مقبولا فلم يجدوا أفضل من التستر بالتأويل وإظهار أنه علم غزير توصلوا إليه وهو فى حقيقته نقله إلى القول بأن للنصوص ظاهر وباطن وأن الظاهر غير مراد وأن الباطن هو المراد وهو بمنزلة اللب حسب خدعهم ومكرهم بالمسلمين حيث تم لهم التفريق بين كلمة المسلمين وتشويش مفاهيمهم بما أدخلوه من تلك المصطلحات الجوفاء التى نرجو من الله عز وجل أن يبطلها ويعيد ذلك الصفاء الذى كان عليه سلف هذه الأمة الإسلامية فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وإذا رجع القارىء إلى ما كتبه الإمام ابن القيم فى موضوع التأويل فى كتابه الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة فسيجد فيه من أنواع الجدل لأصحاب التأويلات الفاسدة ومن الفوائد ما لا يتسع البحث هنا لذكره .

فليرجع من أحب التوسع فى دراسة قضية التأويل إلى هذا الكتاب المكون

(٢) أخرجه البخارى ج ٤ ص ٤٣٦ .

(١) أخرجه البخارى ج ٤ ص ٤٣٧ .

من جزئين بعد تحقيقه (١) فلقد أزاح كل الشبهات التي تتعلق بها دعاة التأويل وبين المضار التي جلبها على الإسلام والمسلمين مع سعة المناقشة وعمقها وإفحام الخصوم ودحض كل ما يتعلقون به .

٣ - جهل أهل الكلام من الجهمية

والمعتزلة والأشعرية والماتريدية بمعنى توحيد الألوهية

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

هذا هو تقسيم السلف أهل السنة والجماعة لأنواع التوحيد وهذه الأنواع كانت معروفة بالبداية عند السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان حتى ولو لم يفصلوا هذا التفصيل في وقتهم .

فإنهم كانوا يعلمون أن توحيد الألوهية يتعلق بإفراد الله عز وجل بالعبادة والخضوع والإنابة إليه وحده جل وعلا والابتعاد عن الإشراك مع الله ألهة أخرى .

وأما توحيد الربوبية فهم يعلمون أن الله هو رب كل شيء ومليكه وهو خالق الخلق ورازقهم ومدبر أمورهم كلها وأن هذا النوع من التوحيد داخل في مضمون توحيد الألوهية إلا عند الخلف من المتكلمين الذين عكسوا الحقائق .

وأما توحيد الأسماء والصفات فلقد كانوا على معرفة تامة بأن الله عز وجل له من الصفات ما أخبر به عز وجل في كتابه الكريم وما أخبر به نبيه العظيم يؤمنون أن الله تعالى له ذات لا تشبه الذوات وله صفات لا تشبه الصفات التي يتصف بها الخلق والتي ليس بينها وبين صفات الخلق إلا مجرد الاشتراك في التسمية .

(١) حققه د. أحمد عطية والدكتور على ناصر وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٦ هـ .

ودراسة هذه الأقسام وتفصيلها تفصيلا كاملا يحتاج إلى مجلدات بل هو الحاصل بالفعل فإن كتب علماء السنة تبلغ المئات في بيان هذه الأنواع والواجب على الناس تجاهها وكيفية الإيمان بها وغير ذلك مما لا يكاد يحصر إلا بالكلفة وليس الغرض هنا هو الخوض في ذكر كل تلك التفاصيل وإنما الغرض هو بيان خطأ أهل الكلام في مفاهيمهم لتوحيد الألوهية الذي كان أكثر النزاع بين الأنبياء وأممهم فيه بل وبين علماء السنة وغيرهم من علماء الطوائف الضالة.

فمن حقق توحيد الألوهية قولا واعتقادا فاز ومن حاد عن الحق الواجب فيه كان ذلك أكبر دليل على خسارته وضلاله .

والتكلمون حينما يقررون الكلام في التوحيد يقسمونه إلى ثلاثة أقسام فيقولون : « هو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له » وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع » (١) .

هكذا يقرر المتكلمون أنواع التوحيد فيجعلون توحيد الربوبية الذي لم يوجد فيه نزاع بين الأنبياء وأممهم يجعلونه هو أهم أقسام التوحيد وأوجبها معرفة مع أن الله تعالى أخبر في كتابه الكريم أن كفار قريش وغيرهم عند بعثة المصطفى ﷺ كانوا يعرفون توحيد الربوبية ويعتقدون أن الله هو الخالق لكل شيء فإذا وجه لأحداهم سؤال من خلق السموات والأرض ؟ فإنه على الفور يجيب الله هو الذي خلقهما .

وكانوا يعرفون أن معنى لا إله إلا الله نفي ألوهية أى كائن كان لا أصنامهم

(١) التحفة المهدية : ص ٣٤٠ .

ولا غيرها مع الله تعالى ولهذا وقفوا فى وجوه رسلهم شعارهم اجعل الآلهة إلهها واحدا؟^(١) فكانوا فى فهمهم وهم على شركهم أحسن من فهم علماء الكلام - وهم يدعون الإسلام - حينما قرروا أن معنى لا إله إلا الله أى لا قادر على الاختراع والخلق والإيجاد إلا الله وهو معنى باطل يردده كتاب الله وما جاء فى سنة رسول الله وما عليه عامة أهل الحق فإن معنى لا إله إلا الله أى لا معبود بحق إلا الله وحده .

وهذه هى دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ وقال تعالى: حاكيا عن دعوة الرسل لأممهم: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ .

فالإله هو الذى يستحق العبادة والخضوع له وهذا هو التفسير الحق وأما تفسير الإله بأنه القادر على الخلق فهو تفسير باطل وأول ما يدل على بطلانه أنه لو حقق شخص مفهوم هذا التوحيد فأقر بأن الله هو الخالق الرازق المدير لكل الأمور لما كان بينه وبين كفار قريش وغيرهم أى فارق فلا يعد مسلما حتى يشهد الشهادتين ومعتزفا بأن الله هو الإله المستحق للعبادة ولا يشرك به أحدا .

والبشر كلهم يقرون بأن الله هو الرب الخالق حتى الذين عاندوا وجحدوا الربوبية يعترفون فى قرارة أنفسهم بانفراد الرب بخلق كل شىء وما تقوله نفاة الصفاة من أن الله واحد لا قسيم له يريدون من وراء هذه العبارة إثبات ذات مجردة عن كل الصفات التى يسمونها انقساما للبارئ وتركيبا فى ذاته وبالتالي يلزم من ذلك حسب أكاذيبهم تعدد الآلهة فتكون العين والسمع واليد وغير ذلك من الصفات آلهة معه تعالى . وحينما تصوروا وقوع هذا المفهوم شبهوا الله تعالى ثم عطلوه عن صفاته بتلك الحججة الباطلة .

(١) ص : ٥

و حينما جعلوا توحيد الألوهية هو نفسه توحيد الربوبية استدلوا على ذلك
بدليل التمانع فقالوا فى تقريره . لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن
يريد أحدهما تحريك جسم وآخر يريد سكونه أو كان أحدهما يريد أن يكون
ذلك الجسم حيا والآخر يريد أن يكون ميتا أو غير ذلك من الأمور المتضادة فإنه
حينئذ إما أن تتحقق إرادتهما معا وهو مستحيل إذ لا يمكن الجمع بين النقيضين
لأمر واحد .

أو يتحقق إرادة واحد منهما ويمتنع تحقق إرادة الآخر فيكون هذا الآخر
عاجزا ليس باله .

أولا يمكن أن تتحقق إرادتهما معا لعجز كل واحد عن قهر الآخر فتسقط
ألوهيتهما معا ..

وبهذا التقرير نتج عندهم أن الله هو وحده الخالق لكل شيء وأنه رب كل
شيء .. وهذا وإن كان حقا أن الله هو رب كل شيء وخالقه لكنه ليس هو
مضمون توحيد الألوهية الذى هو بمعنى إفراد الله بالألوهية وحده لا شريك له
وإفراده أيضا بالعبودية التى تلازم معنى الألوهية .

وليس هو مضمون جحد أسماء الله وصفاته كما يزعمون حين يؤكدون
نفيها وتعطيلها عن الله ويسمون ذلك توحيدا ويزعمون أن من أثبت لله الأسماء
والصفات الواردة فى كتاب الله وفى سنة نبيه ﷺ أنه مشبه ومجسم وهم على
حد قول القائل « رمتنى بدائها وانسلت » فهم أهل التشبيه والتجسيم ، كما هى
سمة أهل التعطيل والإلحاد وهم يسترون باطلهم بأوصاف من تعالى مجمله مثل
قولهم أن الله واحد فى ذاته لا قسيم له ولا جزء له ولا بعض له إلخ .

فهو يحتمل معنى صوابا إذا كانوا يقصدون به أن الله واحد لا يجوز عليه
الانقسام ولا التجزؤ ولا التبعض مع أنها ألفاظ مخترعة لم ترد فى أى نص
شرعى ويحتمل معنى باطلا وهو نفي صفات الله تعالى تحت هذه الأوصاف

وقد أتضح من إنكارهم وتعطيلهم لأسماء الله وصفاته أنهم لا يريدون إلا هذا المعنى الموافق لتأويلاتهم التي يسمونها توحيدا ويسمون من يردها مشبها ومجسما وحشويا إلخ لأنه لم يقر بأن توحيد الربوبية هو غاية التوحيد .

ويستدل المؤولون من الخلف على دليل التمانع من القرآن الكريم بقول الله عز وجل: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾^(١) ، على اعتقادهم أن معنى الآية لو كان في السموات والأرض إله يخلق غير الله عز وجل لفسدتا فثبت أنه لا خالق إلا الله وأن هذا هو توحيد الربوبية الذي بينه القرآن الكريم ودعى إلى تحقيقه وأنه هو دعوة الرسل . فهل أصابوا في هذا الفهم ؟ الجواب لا . وقد بينه ابن أبي العزرحمه الله فقال .

« وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ لا اعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرره هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن ودعت إليه الرسل عليهم السلام وليس الأمر كذلك بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له »^(٢) .

ثم قال : « فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية »^(٣) .

فدليل التمانع قائم على أن الله هو خالق الخلق لا رب سواه والخطأ إنما هو عند المتكلمين الذين جعلوه هو التوحيد الخالص وقدموه على توحيد الألوهية استغناء به مع إغفال توحيد الألوهية الذي خلق الله الجن والإنس لتحقيقه وجعله أحب شيء إليه وبه يثيب وبه يعاقب .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله عن هذا التوحيد :

« وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل

(١) الأنبياء ٢٢ . (٢) شرح الطحاوية : ص ١٩ . (٣) ص : ٢١ .

وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله ، فإن الإله هو المألوه المعبود بالحبّة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار «... إلى أن قال «وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة» (١) .

ثم أورد السؤال الآتي وأجاب عنه وهو قوله :

« فإن قيل قد تبين معنى الإله والإلهية (٢) فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة ؟

قيل الجواب من وجهين : أحدهما : أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة . وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا باطلا .

وإشارته إلى ما تقدم يريد ما ذكره من تفسير العلماء لمعنى الإله بالمعبود الذى يجب له وحده العبودية والذل والخضوع ثم قال :

« وهذا كثير جدا فى كلام العلماء وهو اجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقد عباد القبور وأشباههم فى معنى الآله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات » إلى أن قال « ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسول ﷺ وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته إذ يقول لهم قولوا لا إله إلا الله بمعنى أنه لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا قال الله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن الله ﴾ (٣) .

(١) تيسير العزيز الحميد : ص ٣٦ - ٣٧ . (٢) أى أن الإله هو المعبود .

(٣) تيسير العزيز الحميد : ص ٧٦ . الآية من سورة الزخرف ٨٨ .

الثانى : على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للاله الحق . فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع ومتى لم يكن كذلك فليس باله حق وأنسمى إليها وليس مراده أن من عرف أن الآله هو القادر على الإختراع فقد دخل فى الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين (١) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فى زده على المفهوم الخاطيء لأهل الكلام تجاه المراد بالتوحيد « وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا فى غاية التوحيد إلى أن قال :

« فإذا فسّر المفسر (الآله) بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا هو الغاية فى التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذى يقولونه عن أبى الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذى بعث الله به رسوله ﷺ فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شىء وكانوا مع هذا مشركين » (٢) .

٤ - تعطيل النصوص عن مدلولاتها

من الأمور الواضحة بعد عرض ما تقدم أن كل الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة لم يلتزموا بالمفاهيم الواضحة للنصوص وإنما كان حالهم فيها مثل حال من يفسر الواضح حتى يجعله غامضا فهؤلاء تعمقوا - كما يظنون - فى استخراج الحق الكامن خلف النصوص ثم خرجوا بعلم غزير لم يهتد إليه أحد قبلهم لا الصحابة ولا من جاء بعدهم بل لم يهتد إليه حتى الرسول ﷺ نفسه

(١) تيسير العزيز الحميد : ص ٨١ . (٢) انظر فتح المجيد : ص ١٢ / ١٣ .

وهم وإن لم يصرحوا بذلك - لكن عباراتهم ومواقفهم تدل على هذا دلالة لا تخفى على من عرف الغازهم في كلامهم والمصطلحات التي تستروا بها لدس أفكارهم الضالة حيال التلاعب بالنصوص وإظهارها بالمظهر الذى يريدونه - وقد كانوا بحق أذكياء جدا فى عرض شبهاتهم وتأويلاتهم حيث جاءوا بزخرف من القول والدعاية واختيار الأسماء المنفرة لما لا يريدونه وإلقاء الأسماء التى ظاهرها يخدمهم لها رونق وبريق - فإنخدع بذلك كثير من عوام المسلمين بل من طلاب العلم وسموا أنفسهم بأحسن الأسماء مثل أهل التوحيد أهل العدل - أهل الاستقامة - الفرقة الناجية - أهل السنة محققين - حكماء ، إلى غير ذلك من الألقاب التى أصبغوها على أنفسهم وأتباعهم . وبالتالي أطلقوا أسماء أخرى على أهل السنة والجماعة تنفر السامع عنهم الجاهل غيرهم وتجعله يمتلى غيظا عليهم كارها لمذهبهم وعقيدتهم الحنيفية فأطلقوا عليهم ظلما وعدوانا أهل التشبيه والتجسيم - الحشوية - خوارج - نوابت وفى هذا يقول ابن القيم رحمه الله فى نونيته حكاية عن معطل يحذر أصحابه من مذهب أهل السنة :

قالوا مشبهة مجسمة فلا تسمع مقال مجسم حيوان

وقال أيضا :

ومن العجائب أنهم قالوا لمن قد دان بالآثار والقرآن

أنتم بهذا مثل الخوارج أنهم أخذوا الظواهر ما أهتدوا المعان

وقال أيضا فى تسميتهم لأهل السنة حشوية أى من حشوا الناس

وسقطهم :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحى من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشوا فى الوجود وفضلة فى أمة الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السماء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في للظرف والر حمن محويّ بظرف مكان
أى ظن هؤلاء أن أهل السنة يقولون أن الله في السماء أى هي ظرف له
وتحويه وهو كلام باطل لا يقوله أهل السنة .

وهناك اسم آخر أيضا يسمون به أهل السنة وهو « النوابت أى نبتوا في
الإسلام بأقوال بدعية بعد اختلاطهم بالأعاجم بل وسموا أهل السنة عابدى أو ثان
لأنهم يقولون أن ربهم في السماء وفوق العرش بذاته والروافض أيضا يسمون
أهل السنة كذبا — نواصب » ومن الغرائب أنهم يسبون أهل السنة بما ينطبق
عليهم هم وفيهم يقول ابن القيم رحمه الله :

أولى ليدفع عنه فعل الجانى	فرموهم بغيا بما الرامى به
ولذاك عند الغر يشتهان	يرمى البريء بما جناه مباحتا
ومجسمين وعابدى أو ثان	سموهم حشوية ونوابتا
وهم الروافض أخبث الحيوان	وكذاك أعداء الرسول وصحبه
سموا بالنواصب شيعة الرحمن ^(١)	نصبوا العداوة للحصابة ثم
بالمعدوم فاجتمعت له الوصفان	وكذا المعطل شبه الرحمن
حتى نفاه وذان تشبيهان	وكذاك شبه قوله بكلامنا
سماه تشبيها فيا أخوان	وأتى إلى وصف الرسول لربه
هذا الخبيث الخبيث الشيطان	بالله من أولى بهذا الاسم من
أم مثبت الأوصاف للرحمن	فمن المشبه بالحقيقة أنتم

(١) وقد تقدم فى درس الشيعة أنهم يسمون أهل السنة نواصب وذكرنا الأدلة على هذا من كتبهم
ومن كلام علمائهم خلفهم عن سلفهم .

والله عز وجل يعلم أن أهل السنة براء من تلك الألقاب الظالمة فإن الذى يثبت لله ما أثبتته لنفسه لا يجوز أن يسمى مشبها أو مجسما والذى يقول الله فى السماء أى فى جهة العلو المطلق وأن السماء ليست ظرف له عز وجل وإنما المقصود جهة العلو بغير تحديد مكان لا يصح أن يسمى حشويا .

والذى يأخذ بظواهر النصوص ويفهم معانيها فهما جيدا ويقول عن الكيفية لا علم لى بها لأن الله لم يخبرنا بذلك لا يصح أن يسمى خارجيا يقف على ظواهر النصوص دون فهم لمعانيها .

والذى نبت على معرفة الحق وما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه لا يصح أن يسمى نابتا جديدا خارجا عن الحق .

والذى يحترم أهل البيت وينزلهم المنزلة التى تليق بهم فلا يرفعهم إلى مرتبة العصمة أو الألوهية ولا ينزلهم عن قدرهم فيذم بعضهم ويمدح البعض الآخر كالرافضة لا يصح أن يسمى رافضيا إن تلك الأسماء كلها فى إطلاقها على أهل الحق ظلم وكذب وزور فهى فى الحقيقة أسماء لأهل الباطل لكن الجاني يسمى نفسه بريئا ويسمى البرئ مجرما والله عز وجل يفصل بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون .

إن تسلط علماء الخلف على النصوص وتحريفها عن معانيها الصحيحة لتوافق ما جاءوا به من عقائد ما أنزل الله بها من سلطان أمر معلوم لطلاب العلم .
فإن هؤلاء لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تخططات فى فهم النصوص وبناء عقائدهم إلا على لى أعناق النصوص وزخرف الأقاويل فى تأويلها وإيراد الشبهات الكثيرة تحت اسم الأدلة القاطعة والبراهين الواضحة وهى أسماء تخفى وراءها خداعهم لمن لم يعرف ما يهدفون إليه من إحياء أفكار أساطين الملاحدة والفلاسفة من اليونانيين وغيرهم .

وقد ذكرنا من خلال ما تقدمت دراسته بيان مذاهب الفرق الباطلة وأقوالهم المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ إبتداءً بالخوارج وإنتهاءً بهذه الفرق الكلامية أتباع الفلاسفة .

ومجمل الاعتقاد فيما تقدم فى باب الأسماء والصفات هو أن تثبت لله ما أثبتت لنفسه أو أثبتته رسوله ﷺ له وأن ننفى عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ على حسب ما يأتى :

١ - تثبت لله تعالى كل الأسماء الحسنى كما قال عز وجل ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (١) .

٢ - تثبت له كل الصفات الواردة فى القرآن الكريم .

٣ - تثبت أن لله فى كل صفة المثل الأعلى والأكمل .

٤ - الإيمان بكل ما جاء من صفات الله تعالى على التفصيل الذى ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

٥ - أن تثبت معاني كل أسماء الله وصفاته ونتوقف عن الخوض فى كفياتها لأن الله لم يخبرنا بذلك .

وأن نردد فى كل صفة عبارة السلف : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة » .

(١) الأعراف ١٨٠ .

٥ - جدول مختصر لبيان ثبوت صفات الله تعالى وتأويل الخلف لها (وما من صفة من الصفات إلا وللسلف دليل على ثبوتها لله تعالى) كما في الجدول الآتي

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
نفس الله	﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ ^(١) ويحذركم الله نفسه﴾ ^(٢) . وقال ﷺ « يقول تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسي ذكركه في نفسي فإن ذكرني في ملاء ذكركه في ملاء خير منه إلخ الحديث » ^(٣) . فله تعالى نفس لا تعرف كيفيتها وليست كسائر النفوس المركبة في أبدان المخلوقات .	زعموا أن الله لا يصح وصفه بذلك وإنما أضاف النفس إليه مثل إضافة سائر الخلق إله وهو تعطيل لتلك النصوص وغيرها مما لم نورد هنا .
علم الله	﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ ^(٤) . ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ ^(٥) .	لا يؤمنون بصفة العلم على أنها من صفات ذاته عز وجل مضافة إليه ، ومن الغريب .
<p>(١) سورة الأنعام آية : ٥٤ . (٢) سورة آل عمران آية : ٢٨ . (٣) أخرجه البخارى ج ١٣ ص ٣٨٤ . ومسلم فى الذكر . (٤) سورة سبأ : آية ٢ . (٥) سورة الملك : آية ١٤ .</p>		

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
<p>أنهم يقولون أن الله هو العالم وينكرون أن الله علما مضافا إليه من صفات الذات «يعنى أنهم يشبتون الإسم وينكرون الصفة التي يدل عليها وهو تناقض فإنه لا يعقل عالم بلا علم» (١) .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	<p>وقال رسول الله ﷺ مفتح الغيب خمس : « أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » (١)</p> <p style="text-align: center;">***</p>	
<p>نفوا أن يتصف الله بالوجه وأولوه بمعنى الذات إلى ربك أي ويسقى ثوابه أو هو بمعنى القبلة أو هو كما تقول العرب وجه الدار ووجه الكلام وهذا تكذيب لله ورسوله وتأويل باطل لا مبرر له وهو من تلاعب الشياطين بهؤلاء المعطلة النفاة والسلف يؤمنون بأن لله تعالى وجهاً من غير تشبيه وجه يليق به وهذا هو الحق الموافق لكتاب الله وسنة نبيه .</p>	<p>﴿ ويسقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٢) ﴿ كل شئى هالك إلا وجه ﴾ (٣) ولله وجه لا تعلم كيفيته وقال رسول الله ﷺ « من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وانفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر (٤) كله » الحديث والسلف رحمه الله يثبتون الوجه لله تعالى حقيقة مع تنزيهه عن مشابهة خلقه ولا يلزم من المشاركة فى التسمية الاتحاد فى الذات فالله أعلى وأجل من ذلك .</p>	<p>الوجه لله تعالى : صفة ذاتيه لله تعالى</p>
<p>(١) انظر التعليق ص ١٠ من كتاب التوحيد لابن خزيمة .</p>	<p>(١) سورة لقمان آية ٣٤ والحديث أخرجه البخارى : ج ٨ ص ٢٩١ (٢) سورة الرحمن : ٢٧ (٣) سورة القصص : ٨٨ (٤) سنن أبى داود ج ٢ ص ١٣ .</p>	

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
عين الله	﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ (١) ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ (٢) ، ويقول النبي ﷺ « أن الله ليس بأعور ألا أن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى كأنها عنبه طافية » (٣) .	لا يثبتون هذه الصفة ويؤولونها بحجة أنها مرة جاءت بلفظ الإفراد ومرة بلفظ التثنية متجاهلين أنها أسلوب من أساليب العرب في لغتهم . والسلف يثبتونها صفة ذاتية لله تعالى ولا يكيفونها . والخلف أولوها بمعنى حفظ الله أو العلم وأن الحديث فيه تنزيه الله عز وجل عن أن يكون له صفة تشبه صفات خلقه وهذا تأويل ***
السمع والبصر	﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (٤) ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ (٥) وقال رسول الله ﷺ لأصحابه حينما رفعوا أصواتهم بالتكبير « أيها الناس إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون قريبا ، وفي رواية إن الذي تدعون هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » (٦)	ينفون إثبات السمع والبصر على أنهما صفتان حقيقتان لله تعالى ويزعمون أن إثباتهما يقتضى تشبيه الله بخلقته لأنه على حسب زعمهم لا يوجد في خارج الذهن من يتصف بالسمع والبصر إلا المخلوقات والسلف يثبتونهما صفتان حقيقتان لله عز وجل من غير تكييف لهما تمشياً مع الأدلة .
	(١) سورة هود ٣٧ . (٢) سورة طه ٣٩ (٣) أخرجه البخاري ج ١٣ ص ٩٠ / ٩١ . (٤) سورة آل عمران ١٨١ (٥) طه ٤٦ (٦) روى بعده طرق انظر صحيح البخاري ج ٦ ص ١٣٥ .	

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
<p>نفوها وقالوا إن اليد من صفات المخلوقين وزعموا أن اليد النعمة واليدين النعمتين أو القوة .</p> <p>والسلف يشبتونها صفة حقيقية ذاتية لله عز وجل لا تشبه أيادي المخلوقات فكما أن لله ذاتا لا تشبهه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات المخلوقة .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	<p>﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ (١) ﴿ بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (٢) ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (٣) والآيات والأحاديث في إثبات اليد واليدين لله عز وجل كثيرة جدا من ذلك قول الرسول ﷺ « إن أحدكم ليتصدق بالثمرة من طيب ولا يقبل الله إلا طيبا فيجعلها في يده اليمنى ثم يرببها كما يربى أحدكم فلوه وفصيله حتى تصير مثل أحد » (٤)</p> <p>وفي رواية أبي هريرة رضى الله عنه « ألا وهو يضعها في يدي الرحمة أو كف الرحمن وقال - حتى إن الثمرة لتكون مثل الجبل العظيم » (٥)</p> <p>وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « وأن الله عز وجل ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (٦) .</p>	<p>اليدان</p>
<p>(٢) سورة المائدة ٦٤</p> <p>(٤) البخارى : ج ٣ ص ٢٧٨</p> <p>(٦) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٦٠٣</p>	<p>(١) سورة ص : ٧٥</p> <p>(٣) سورة الفتح : ١٠</p> <p>(٥) أخرجه مسلم ج ٣ ص ٥٠ / ٥١</p>	

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
<p>ذهب بعضهم إلى نفي ما جاء من النصوص في إثبات الأصابع وزعموا أن إثباتها إنما هو من أكاذيب اليهود لأنهم من غلاة المشبهه وأن ضحك النبي ﷺ إنما كان كراهة وبغضا لذلك وهذا رد سافر للنص وكذب على الرسول ﷺ أنه يضحك عندما توجه ألفاظ الإهانة الى الله تعالى وبعض هؤلاء لم يجد بداً من تصحيح الحديث فذهب يؤول الأصابع إلى أنها بمعنى شيء يخلقه الله يحمل السماوات وكل ما ذكر في الحديث كما تحمل الأصابع الشيء الثقيل إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة التي يردها فعل الرسول ﷺ وقوله ومنهم الصحابة رواة الحديث .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	<p>عن عبد الله قال أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله عز وجل يحمل الخلائق على إصبع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع قال فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه قال فأنزل الله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ (١) (٢)</p> <p>وقال رسول الله ﷺ « ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » (٣) .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	<p>الأصبع</p>
<p>(١) سورة الزمر ٦٧ (٢) أخرجه البخارى ج ٨ ص ٥٥٠ / ٥٥١ ومسلم ج ٥ ص ٦٥٤ (٣) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٥٠٩</p>		

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
الرجل والقدم	<p>عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «لا تزال جهنم نقول هل من مزيد فيقوم رب العالمين فيضع قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض فتقول بعزتك قط قط وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنه الجنة في فنول الجنة» (١)</p> <p>وفي رواية فيضع فيها رجله (٢).</p>	<p>أهل السنة يثبتون أن لله قدما لصريح الحديث في إثبات الرجل والقدم لله عز وجل ولا يعلم مقدار عظمة ذلك إلا هو سبحانه وتعالى وتكلف القول في بيان كفيتهها أو الأقدام على نفيها من الباطل المنهى عنه وقد أول المعطلة ما ورد من إثبات القدم لله تعالى في الحديث بمعنى أن النار حين يضع فيها الجبار المتعالي على الله تقول قط قط وهو تأويل بعيد لا تدل عليه النصوص ولا اللغة وأول المعطلة الرجل إلى معنى الجماعة من الناس .</p>
الساق	<p>قال تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ (٣) ورد لفظ الساق هنا منكرا ومن هنا وقع خلاف بين علماء السلف هل الساق صفة ذاتية لله أم لها معنى آخر قولين إلا أنه قد جاء حديث صحيح يفصل هذا النزاع وهو حديث</p>	<p>للسلف وغيرهم مفاهيم مختلفة حول ثبوت الساق لله فيروى أن الساق هو الشدة وقيل الساق هو النور العظيم وقيل هو ما يقع للمؤمنين من لطف الله فمن أثبتته صفة لله</p>
	<p>(١) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٧٠٤/٧٠٥</p> <p>(٢) القلم : ٤٢</p>	

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
	أبي سعيد الخدري رضى الله عنه وفيه فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ثم يؤتى بالجلسر ففيجعل بين ظهراني جهنم الحديث (١).	تعالى فمستنده حديث أبي سعيد الخدري ومن نفاه عن الله ذهب إلى تلك التأويلات والحق هو إثبات الساق صفة لله تعالى بدون تكييف ولا تأويل لثبوت ذلك في حديث أبي سعيد الخدري .
الاستواء	استواء الله على عرشه كثرت أدلته من القرآن والسنة قال تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٢) وفي الحديث الصحيح أن زينب رضى الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي (ﷺ) تقول «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات» (٣).	نفوا الاستواء وزعموا أن معنى النصوص الواردة باستوائه أي بمعنى إستيلائه على العرش أو بمعنى الإقبال على خلق العرش وغيره وهي تأويلات باطلة بخلاف مجازات به النصوص الواضحة من كتاب الله وسنة نبيه بل وخلا ما عرف في اللغة العربية
	وعن أبي هريرة رضى الله عنه «أن الله لما قضى الخلق كتب عنده فتوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي» (٤).	

(١) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٤٥ وراه مسلم . ج ١ ص ٤٣٠ .

(٢) سورة طه : ٥ .

(٣) البخارى ج ١٣ ص ٤٠٣ .

(٤) المصدر السابق ج ١٣ ص ٤٠٤ ومسلم ج ٥ ص ٥٩٥ .

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
النزول والأتيان والجيء ١ - يوم القيامة ٢ - كل ليلة	<p>١ - النزول والجيء والإتيان فى يوم القيامة قال تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ (٢) ومن السنة : ما جاء فى أحاديث القيامة وفصل القضاء بين العباد وهى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ « فيأتيهم الجبار فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويقى من كان يسجد لله رياء سمعة» (٣) . . الحديث</p> <p>٢ - فى الدنيا ينزل ربنا كل ليلة كما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له» (٤) .</p>	<p>لا يؤمنون بالنزول ولا الجيء ويؤلون ذلك إلى معنى نزول أمره أو نزول الملائكة أو نزول رحمته . وهو تأويل باطل وتعطيل ظاهر للنصوص والسلف يؤمنون بنزول الله عز وجل وهو من الصفات الفعلية . ينزل ربنا تعالى نزولا يليق به</p>
	***	***
(١) سورة البقرة ٢١٠ .	(٢) سورة الفجر ٢٢ .	
(٣) أخرجه البخارى حد ١٣ ص ٤٢١ ومسلم ج ١ ص ٤٣٤ / ٤٣٥ .		
(٤) أخرجه أبو داود ص ٣٠٣ .		

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
الرضى ، الغضب ، الضحك ، الفرح ، السخط ، التعجب ، المحبة ، الكراهة ، الرحمة .	هذه الصفات يؤمن بها السلف كما جاءت بها النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه على ما يليق بجلال الله وعظمته وأدلتها على الترتيب قال تعالى : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ ^(٢) وفي الصحيح أن آخر رجل يدخل الجنة يتوسل إلى الله كلما قدمه درجة طلب أخرى قال عنه الرسول ﷺ فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له أدخل الجنة » ^(٣) . وقال الرسول ﷺ : « لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكه عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ إذا هو بدايته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته » ^(٤) .	كل هذه الصفات الاختيارية لا يؤمن بها الخلف فلا يثبتون ما دل عليه كل نص . بل جاءوا لها بمعان مختلفة عطلوا بها معاني تلك النصوص فالرضى عندهم إرادة الثواب أو العطاء أو الإنعام والغضب إرادة الانتقام والضحك إرادة الثواب أو الرضى والفرح قبول التوبة وإرادة الثواب ومحبة الله للعبد بمعنى إحسانه إليه وإنعامه . والرحمة إرادة الله الخير والنعم لعبده وكل تلك التأويلات باطلة ومخالفة للحق الذى قرره الشريعة الإسلامية ولا يلزم من إثباتها أي محذور وليس فيه أي تشبيه لله بخلقه خصوصا وقد مدح الله نفسه بها ولا يتصور التشبيه إلا من لم يعرف الحق ولم يطلع على
(١) البينه : ٨ . (٢) المجادلة : ١٤ . (٣) صحيح البخارى : ح ١ ص ٤٣١ / ٤٣٣ . (٤) البخارى كتاب الدعوات ح ١١ ص ١٠٢ .		

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
<p>مذهب السلف ذلك أنها صفات تليق بالله عز وجل وكما لا نعرف ذاته فكذلك لا نعرف كيفية صفاته .</p>	<p>وقال تعالى ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ (١) .</p> <p>وقال الرسول ﷺ : « يعجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل » (٢) .</p> <p>وقال تعالى ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (٣) .</p> <p>وقال تعالى : ﴿ ولكن كرهه الله أنبعاثهم فشطهم ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ (٥) .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	
<p>لا يؤمنون بأن الله تعالى يتكلم متى شاء ولا يشبتونها صفة لله تعالى وأولوا النصوص الواردة بإثباتها وغطلوها عن مدلولاتها و«من هنا زعموا أن</p>	<p>قال تعالى ﴿ فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ (٦) عن ابن مسعود « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فرغ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق » .</p> <p>وعن أبي هريرة قال قال رسول</p>	<p>الكلام صفة ذات وفعل</p>
<p>(١) محمد : ٢٨ .</p> <p>(٢) متفق عليه والمراد بهم الكفار حين يؤسسون ويؤتى بهم في السلاسل فيسلمون فيدخلون الجنة انظر فتح الباري ج ٦ ص ١٤٥ باب الأسارى في السلاسل .</p> <p>(٣) المائدة : ٥٤ .</p> <p>(٤) التوبة : ٤٦ .</p> <p>(٥) الأعراف : ٤٦ .</p> <p>(٦) التوبة : ٦ .</p>		

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
<p>القرآن الكريم مخلوق لم يتكلم به الله وأن نسبة الكلام إلى الله مجاز وهو قول الجهمية . أو هو معنى قائم بذات الله خلقه في غيره وهو قول الماتريدية أو أنه ألفاظ ومعاني فالالفاظ مخلوقة والمعاني قديمة قائمة بالنفس وهو معنى واحد يختلف حسب التعبير به أن عبر عنه بالعربية صار قرآنا وأن عبر عنه بالعبرية صار تورا وأن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا .</p> <p>ولا تعلق له بالمشيئة الإلهية وهذا قول الكلائية ومن تبعهم من الأشاعرة الذين لا يثبتون لله تعالى إلا كلاما نفسيا لله قائما بذاته من غير حرف ولا صوت وأن القرآن متعلق بالمشيئة والقدرة وأنه قائم بذات الرب إلا أنه حدث بعد أن لم يكن وهذا قول الكرامية أو أن</p>	<p>الله ﷻ : « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل أن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض» (١).</p>	
(١) أخرجه البخاري ج ٦ ص ٣٠٣		

الصفة	دليل ثبوتها	تعطيل الخلف لها
الرؤية الرؤية ليست من صفات الله تعالى والغرض هو بيان تعطيل الخلف للنصوص	لا يختلف السلف فى أن الله يرى بالأبصار فى يوم القيامة قال تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (١). وفى السنة عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» (٢).	كل كلام طيبا أو خبيثا هو كلام الله وهذا قول الاتحادية إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة . ومذهب السلف أن الله يتكلم متى شاء بما شاء على وجه لا نعرف كيفيته وأن نوع الكلام قديم وآحاده حادثة. *** ينفى المخالفون رؤية الله فى الدار الآخرة ويزعمون أنها تؤدي إلى القول بأن الله مثل الحوادث وأنه متحيز فى مكان ، وزعموا أن قول الله ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أى منتظرة لفضله ونعمه . وأن « لن » فى قول الله تعالى لموسى ﴿لن ترانى﴾ على التأييد وهو كذب على اللغة وعلى الحق وأهل السنة يثبتون رؤية الله فى الدار الآخرة يرونه بأبصارهم رؤية لا تعرف كيفيتها بعيدة عن التشبيه وعن

(١) سورة القيامة ٢٢ - ٢٣ .

(٢) رواه البخارى جـ ١٣ ص ٤١٩ .

تعطيل الخلف لها	دليل ثبوتها	الصفة
<p>وعن ما يتوهمه أهل التعطيل وفي رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا خلاف مشهور بين الصحابة ومن جاء بعدهم .</p> <p style="text-align: center;">***</p> <p>ينكر المعطلة صفة العلو ويزعمون أن الله في كل مكان بذاته وأولوا الفوقية أنها بمعنى فوقية القدر والعظمة وهو تعطيل للنصوص ورد لها وجحد للحق الثابت .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	<p>علو الله أمر معلوم من الدين بالضرورة قال تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ (٢) .</p> <p>عند أهل السنة كلمة السماء المراد بها مطلق العلو وتكون في بمعنى على قال تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ .</p> <p>وقال الرسول ﷺ للجارية : «أين الله ؟ قالت في السماء» (٣) .</p> <p style="text-align: center;">***</p>	<p style="text-align: center;">العلو</p>
<p style="text-align: right;">(١) النساء : ١٥٨ . (٢) الملك : ١٦ (٣) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٧٤ .</p>		

هذا وأسأل الله عز وجل أن يكون فيما تقدم ما ينفع وأن يجزل لي الأجر فإنه يجزي على كل مل الحقيير الأجر الكثير وكل ما أطمع فيه هو عفو الله وثوابه في جمع تلك المعلومات وكتابتها وجمع شتات ما تفرق في كتب العلماء حول الطوائف المخالفة للحق الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وأنني مدين في آخر الانتهاء من هذا البحث بالشكر العظيم لله عز وجل أولاً ثم لأصدقائي من مشائخ فضلاء وطلاب علم وموظفين في مكتبات الجامعة الإسلامية وغيرها من تيسير كثير من المراجع التي لم تتوفر لدي وإحتسابهم ذلك عند الله تعالى ولم يرغبوا في ذكر أسمائهم والإشادة بهم ولهم في قلبي أعمق الود والإجلال .

أسأل الله لي ولهم ولكل طالب علم ولكل المسلمين عموماً الهداية والتوفيق .

وهو حسبنا ونعم الوكيل ..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ومن المراجع المفيدة في دراسة أقوال علماء أهل الكلام

- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
- القصيدة النونية للإمام ابن القيم مع شرحها للهراش .
- الصواعق المنزلة لابن القيم مع تحقيقها للدكتور أحمد عطية الغامدى والدكتور على بن ناصر فقيهى .
- بيان تلبيس الجهمية - لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة .
- شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار .
- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة لابن القيم .
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية لابن القيم .
- رد الإمام الدارمي على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبى الحسن الأشعري
- الفرق بين الفرق للبغدادى .
- الملل والنحل للشهرستانى .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
- الإبانة لأبى الحسن الأشعري .
- كتاب الإيمان لابن منده تحقيق الدكتور على بن ناصر .
- المعتزلة عواد بن عبد الله المعتق .
- تاريخ المذاهب الإسلامية لأبى زهرة .

- فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .
- الصفات الإلهية للدكتور محمد أمان الجامي .
- أبو الحسن الأشعري للشيخ حماد الأنصاري .
- عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري للشيخ أحمد عصام الكاتب .
- تاريخ الجهمية والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمي .
- العصريون معتزلة اليوم يوسف كمال .
- المعتزلة بين الفكر والعمل على الشابي / أبو لبابه حسين / عبد المجيد النجار .
- خلق أفعال العباد للإمام البخاري محمد بن إسماعيل .
- المواقف للعضد الإيجي .
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتزلة والجهمية .
- الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي .
- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل للشيخ عثمان بن عبد الله آدم .

ومئات المراجع التي كتبها العلماء في دراستهم لهذه الفرق مما لا يخفى على طلاب العلم وقد ذكرت فيما تقدم مراجع قديمة ومراجع عصرية . وأرغب في نهاية دراسة هذه الفرق أن أتقدم بنصيحة إلى كل محب من طلاب العلم أن لا يزهّد عن كتابة المتأخرين فإن فيها صنفوة كثير من المعلومات لاطلاع هؤلاء

على ما كتبه السابقون وإستخلاص زبدة أفكارهم ثم تدوينها في كتاباتهم وليس من الإنصاف الإعراض عنها بحجة أنهم عالة على ما كتبه القدامى فهذا خطأ يفوتك فوائده قد تجتنيها بدون عناء مع أنه محق في أن علماء هذا العصر عالة على ما كتبه القدامى لمعايشتهم الأحداث وصفاء عقولهم وإخلاصهم في نفع الناس ولكن هذا لا يمنع أن توجد فوائده قد لانجدها في بعض كتابات القدامى ومن قال بخطأ هذا فقد زعم إنحصار فضل الله عز وجل على عباده فإن الله تعالى هو الوهاب وهو الفتاح العليم غفر الله لعلمائنا من تقدم منهم ومن تأخر ونسأله عز وجل أن يلحقنا بهم صالحين غير خزايا ولا مفتونين .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (١) .

(١) الحشر : ١٠ .

فهرس الجزء الأول

الصفحة

الموضوع

٥	مقدمة
٧	تقسيم دراسة الموضوعات
الباب الأول	
مقدمة في دراسة الفرق ويشمل الفصول الآتية	
٢١	الفصل الأول: الهدف من دراسة الفرق
٢٤	الفصل الثاني: أهمية دراسة الفرق
٢٧	الفصل الثالث: النهي عن التفرق
٢٧	١- الأدلة من القرآن الكريم
	٢- الأدلة من السنة النبوية دراسة حديث إفتراق الأمة - سند
٢٨	الحديث
٣١	الفصل الرابع: حصر الفرق في العدد المذكور في حديث افتراق الأمة
٣١	المبحث الأول: من هي الفرقة الناجية
٣٢	المبحث الثاني: معنى كلها في النار إلا واحدة
٣٣	الفصل الخامس: كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين
	الفصل السادس: مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وموقفهم منه وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة
٣٥	الإسلامية

٣٨	الفصل السابع : مظاهر الخلاف بين المسلمين
٤٠	الفصل الثامن : كيف تبدأ الفرق في الظهور
٤١	الفصل التاسع : منهج العلماء في عد الفرق
٤٢	الفصل العاشر : ما المراد بأمة الإسلام
٤٣	الفصل الحادي عشر : أهم أسباب نشأة الفرق ودوافعها في هذا العصر .

الباب الثاني

دراسة عن الخوارج

٦٥	الفصل الأول : وجودهم في الماضي والحاضر
		الفصل الثاني : التعريف بالخوارج في اللغة وفي اصطلاح علماء
٦٦	الفرق
٦٨	الفصل الثالث : أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات .
٧١	الفصل الرابع : متى خرج الخوارج .
٧٢	الفصل الخامس : محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان
٧٤	الفصل السادس : أسباب خروج الخوارج
٧٦	الفصل السابع : حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم
		الفصل الثامن : دراسة أهم فرق الخوارج
٧٨	الإباضية
٧٨	١ - تمهيد

الموضوع الصفحة

٧٩	٢- زعيم الإباضية
٨٠	٣- هل الإباضية من الخوارج
٨٤	٤- فرق الإباضية
٨٦	٥- دولة الإباضية
٨٨	٦- موقف الإباضية من المخالفين لهم
٨٨	أ- موقفهم من سائر المخالفين لهم
٩٣	ب- موقف الإباضية من الصحابة
٩٦	٧- عقائد الإباضية
٩٧	في الصفات
٩٩	في الإستواء
٩٩	الرؤية
١٠٠	الكلام
١٠١	القدر
١٠١	عذاب القبر
١٠٢	وجود الجنة والنار الآن
١٠٢	الشفاعة
١٠٢	الميزان الصراط
١٠٣	الإيمان
١٠٤	مرتكب الكبيرة- الإمامة

١٠٤ التقيد
١٠٦ الفصل التاسع : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج .
١٠٦ ١ - هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط .
١٠٨ ٢ - موقف الخوارج من صفات الله تعالى .
١٠٩ ٣ - حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج .
١١٢ ٤ - الإمامة العظمى
١١٣ حكم الإمامة عند الخوارج
١١٥ شروط الإمام
١١٥ محاسبة الإمام والخروج عليه .
١١٦ إمامة المفضول
١١٦ إمامة المرأة
١١٧ ٥ - موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم
١١٨ ٦ - حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم .
١٢١ الفصل العاشر : الحكم على الخوارج .
١٢٤ مراجع فرقة الخوارج
١٢٤ مراجع فرقة الإباضية بخصوصهم
١٢٧ الباب الثالث : الشيعة : تمهيد
 الفصل الأول : التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً وبيان التعريف الصحيح
١٣١ وبيان استعمال مادة شيعة في القرآن الكريم

١٣١ مناقشة أقوال العلماء فى التعريف بالشيعه.
١٣٤ الفصل الثانى : متى ظهر التشيع
١٣٦ الفصل الثالث : المراحل التى مر بها مفهوم التشيع
١٣٨ الفصل الرابع : أسماء الشيعة
١٤٠ الفصل الخامس : فرق الشيعة
١٤٠ السبب فى تفرق الشيعة
١٤١ عدد فرق الشيعة
١٤٢ السبب فى عدم اتفاق العلماء
١٤٢ على عدد فرق الشيعة
١٤٤ الفصل السادس : دراسة أهم فرق الشيعة : ١ - السبئية
١٤٦ : موقف علي رضى الله عنه من ابن سبأ
١٤٩ ٢ : الكيسانية
١٥٠ ٣ : المختارية
١٥٠ كيف صارت الكيسانية مختارية .
١٥١ المختار بن أبى عبيد
١٥٢ محمد بن الحنفية
١٥٤ ٤ : الزيدية
١٥٦ زيد بن علي
١٥٩ آراء زيد والزيدية
١٦٣ ٥ : الرفضية :

١٦٣	١ - معنى الرافضة لغة واصطلاحاً
١٦٣	٢ : سبب تسميتهم بالرافضة
١٦٤	٣ : وجود الرافضة قبل اتصالهم بزيد بن علي
١٦٤	٤ : أسماءهم قبل اتصالهم بزيد
١٦٤	٥ : فرق الروافض :
١٦٥	١ - الحدية
١٦٧	٢ - الإثنا عشرية أسماءهم وسبب تلك التسميات
١٧١	٦ - سبب انتشار مذهب الرافضة وأماكن انتشارهم
١٧٢	٧ - فرق الإثنا عشرية :
١٧٢	١ - الشيخية
١٧٤	٢ - الرشتية
١٧٥	الفصل السابع : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للشيعة :
١٧٦	١ - موقفهم من الخلافة والإمامة
١٨٧	٢ - دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء
٢٠٠	٣ - تدينهم بالثقية
٢٠٨	٤ - المهديّة والرجعة عند الشيعة
٢٠٨	من هو المهدي
٢١٦	مكان وجود المهدي
٢١٧	رجعة المهدي ومتى تتمّ
٢٢٥	سبب إصرار الشيعة على القول بوجود ممهديهم

- ٥ - موقفهم من القرآن الكريم ٢٣١
- ٦ - موقفهم من الصحابة ٢٤٠
- ٧ - قولهم بالبداء على الله تعالى ٢٥١
- وقد تمت دراسة كل مسألة من المسائل السابقة بعرض الأدلة
والمناقشة التامة وبيان الحق في كل مسألة بدليله ٢٥٧
- الفصل الثامن : الشيعة في العصر الحاضر وهل تغير خلفهم عن سلفهم ٢٥٨
- الفصل التاسع : الحكم على الشيعة ٢٦٦
- من مراجع فرقة الشيعة ٢٦٨

الباب الرابع

الباطنية

- الفصل الأول : تمهيد في بيان خطر هذه الطائفة ٢٧١
- الفصل الثاني : متى ظهر مذهب الباطنية. ٢٧٦
- الفصل الثالث : الغرض من إقامة هذا المذهب ، وكيف تأسس ٢٧٩
- الفصل الرابع : أسماء الباطنية وسبب تسميتهم بتلك الأسماء .
- وبيان أماكن وجود القرامطة ٢٨٢
- الفصل الخامس : الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون لإغواء الناس ٢٩٧
- الفصل السادس : عقائد الباطنية ٣٠٩
- ١- عقيدتهم في الألوهية ٣١٠
- ٢- اعتقادهم في النبوات ٣١٢
- ٣- إعتقادهم في الآخرة ٣١٦

٤ - اعتقادهم فى التكليف الشرعية . ٣١٧

الباب الخامس

« النصيرية »

- ٣٢١ تمهيد :
- ٣٢١ الفصل الأول : فى بيان خطر النصيرية .
- ٣٢٤ الفصل الثانى : زعيمهم وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه .
- ٣٢٧ الفصل الثالث : أسماء هذه الطائفة والسبب فى إطلاقها عليهم .
- ٣٢٩ الفصل الرابع : نشأة النصيرية .
- ٣٣٣ الفصل الخامس : تكتم النصيرية على عقائدهم .
- ٣٣٦ الفصل السادس : طريقتهم فى تعليم مذهبهم .
- ٣٤٤ الفصل السابع : أهم عقائد النصيرية :
- ٣٤٥ ١ - تأليه علي رضى الله عنه .
- ٣٥١ ٢ - القول بالتناسخ .
- ٣٥٣ ٣ - تقديس الخمر .
- ٣٥٤ الفصل الثامن : عبادات النصيرية .
- الفصل التاسع : أعياد النصيرية .
- ٣٦٠ الفصل العاشر : موقف النصيرية من الصحابة .
- ٣٦١ الفصل الحادى عشر : فرق النصيرية .
- ٣٦١ الفصل الثانى عشر : أماكن النصيرية .
- ٣٦٢ الفصل الثالث عشر : محاولات لم تثمر .

الباب السادس

الدروز

الفصل الأول : تمهيد : فى بيان خطر هذه الفرقة .	٣٦٥
الفصل الثانى : التعريف بالدروز .	٣٦٧
١ - فى اللغة .	٣٦٧
٢ - فى اصطلاح علماء الفرق .	٣٦٧
أصل الدروز .	٣٦٨
الفصل الثالث : زعيمهم .	٣٦٩
الفصل الرابع : أسماء الدروز .	٣٧٢
الفصل الخامس : كيف انتشرت العقيدة الدرزية .	٣٧٣
الفصل السادس : معاملة الدروز لمن يكشف شيئاً من عقائدهم .	٣٧٥
الفصل السابع : أماكن الدروز .	٣٧٧
الفصل الثامن : طريقة الدروز فى تعليم ديانتهم .	٣٧٨
الفصل التاسع : من هو الحاكم بأمر الله الذى ألهمه الدروز .	٣٨٠
هلاك الحاكم .	٣٨٢
الفصل العاشر : أهم عقائد الدروز .	٣٨٦
١ - ألوهية الحاكم .	٣٨٧
٢ - القول بالتناسخ .	٣٩٠
٣ - إنكار القيامة .	٣٩١
٤ - عداوتهم للأنبياء .	٣٩٣

٣٩٤	٥ - إنكارهم التكاليف .
	الفصل الحادي عشر : الدروز في العصر الحاضر كمال جنيلات ودوره
٣٩٧	في تثبيت عقيدة الدروز .
٤٠٠	الفصل الثاني عشر : الفرق بين النصيرية والدروز .
٤٠٢	مراجع فرقة الباطنية :
٤٠٢	أ - مراجع الباطنية عموماً .
٤٠٢	ب - مراجع فرقة النصيرية .
٤٠٣	ج - مراجع فرقة الدروز
١١	الباب السابع
	البهائية
٤٠٥	الفصل الأول : نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالباية
٤٠٩	الباية :
٤٠٩	١ - زعيم الباية .
٤١٠	٢ - صلتهم بالمستعمرين في ذلك الوقت .
٤١١	٣ - نهاية الشيرازي .
٤١٢	٤ - مؤتمر بدشت وما تم فيه من خطط .
٤١٦	٥ - الكتاب المقدس للباية .
٤١٨	٦ - هزيمة الباية
٤٢٠	الفصل الثاني : خطر البهائية .
٤٢٢	الفصل الثالث : زعيم البهائية

الموضوع	الصفحة
ثقافته .	٤٢٢
عمالته وأسرتة لأعداء الإسلام والمسلمين .	٤٢٣
وفاة المازندراني	٤٣١
الفصل الرابع : المبادئ التي نادى بها البهائيون .	٤٣٣
١ - وحدة الأديان .	٤٣٥
٢ - وحدة الأوطان .	٤٤٠
٣ - وحدة اللغة .	٤٤٤
٤ - السلام العالمي .	٤٤٧
٥ - المساواة بين الرجال والنساء .	٤٥١
٦ - عقائد أخرى للبهائيين	٤٥٦
أ - ما يتعلق بالعقائد والديانات .	٤٥٧
ب - ما يتعلق ببعض الأحكام الفقهية .	٤٥٨
الصلاة في مفهوم البهائية	٤٦١
الصوم عندهم	٤٦١
الحج	٤٦٢
المواريث	٤٦٢
الفصل التاسع : أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم	٤٦٦
الفصل العاشر : موقف البهائية من السنة النبوية .	٤٦٩
الفصل الحادي عشر : السبب في انتشار تعاليم البهائية .	٤٧١
الفصل الثاني عشر : كتاب البهائية الذي يقدسونه	٤٧٤

الصفحة

الموضوع

٤٧٨ الفصل الثالث عشر: أماكن البهائية

٤٨٠ من مراجع البهائية



فهرس الجزء الثاني

الصفحة

الموضوع

الباب الثامن

القاديانية

- تمهيد : التحذير من ظهور رجالين يدعون النبوة بعد محمد ﷺ ٤٨٣
- الفصل الأول : كيف نشأت القاديانية ٤٨٧
- الفصل الثاني : زعيم القاديانية ٤٨٩
- ١ - أسرته ٤٨٩
- ٢ - ثقافته ٤٩٠
- ٣ - صفاته وأخلاقه ٤٩٤
- ٤ - عماله وأسرته للإنجليز ٤٩٧
- الفصل الثالث : ختم النبوة وموقف القادياني منه ٥٠٤
- الفصل الرابع : كيف وصل القادياني إلى دعوى النبوة ٥١١
- خموله أولاً : ٥١١
- ١ - اتجاهه إلى التأليف والمناظرة ٥١١
- ٢ - إلهاماته ٥١٣
- ٣ - دعواه أنه المسيح الموعد ٥١٨
- دور صديقه الحكيم نور الدين في دفعه إلى الأمام ٥٢٠

الموضوع	الصفحة
٤- ادعاؤه النبوة	٥٢٤
الفصل الخامس : نبؤات الغلام المتنبئ	٥٣٠
الفصل السادس : غلوه وتفضيله نفسه على الأنبياء وغيرهم	٥٣٦
الفصل السابع : أهم عقائد القاديانية	٥٤٣
١- التناسخ والحلول	٥٤٣
٢- التشبيه	٥٤٤
الفصل الثامن : علاقة القاديانية بالإسلام وبالمسلمين وبغير المسلمين	
وموقف علماء الهند وباكستان منهم	٥٤٧
الفصل التاسع :	٥٥٥
أسباب انتشار القاديانية	٥٥٥
الفصل العاشر : وفاة القاديانى	٥٦١
الفصل الحادي عشر : بعض زعماء القاديانية :	٥٦٢
١- الحكيم نور الدين	٥٦٢
٢- محمود أحمد	٥٦٣
٣- الخواجة كمال الدين	٥٦٤
٤- شخصيات أخرى قديانية	٥٦٥
الفصل الثاني عشر : الفرع اللاهورى القاديانى	٥٦٩
من أهم مراجع القاديانية	٥٧٤
الباب التاسع : الصوفية :	٥٧٥

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول : تمهيد فى بيان أنحراف الصوفية .	٥٧٥
الفصل الثانى : التعريف بالصوفية .	٥٧٨
١ - فى اللغة .	٥٧٨
٢ - فى الاصطلاح .	٥٧٨
الفصل الثالث : العلاقة بين المتصوفة وأهل الصفة .	٥٨٢
الفصل الرابع : أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها وبيان مفهوم الملامية أو الملامتية .	٥٨٦
الفصل الخامس : متى ظهر المذهب الصوفي .	٥٩١
الفصل السادس : حقيقة التصوف .	٥٩٥
الفصل السابع : أقسام المتصوفة وذكر طرقهم واختيار الطريقة التيجانية نموذجاً وداستها .	٦٠٠
دراسة شاملة من واقع كتبهم .	٦٠٠
الفصل الثامن : الخلوات الصوفية .	٦٤٦
الفصل التاسع : مقالات لجنة جماعة الصوفية فى مدينة ألورن فى نيجيريا .	٦٥٤
الفصل العاشر : كيفية الدخول فى المذهب الصوفي .	٦٦١
الفصل الحادى عشر : أصول الصوفية .	٦٦٧
الفصل الثانى عشر : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للصوفية .	٦٧٦
١ - عقيدتهم فى الاله عز وجل .	٦٧٦

٦٧٧	٢ - الحلول .
٦٨٢	٣ - وحدة الوجود .
٦٩١	٤ - وحدة الشهود أو الفناء وبيان العلاقة .
٦٩٢	بين وحدة الوجود ووحدة الشهود .
٦٩٦	٥ - إعتقادهم في الرسول ﷺ .
٦٩٩	٦ - الولاية وبيان بعض المصطلحات الصوفية .
٧٠٤	الفصل الثالث عشر : الكشف الصوفي .
٧٠٧	الفصل الرابع عشر : الشطحات الصوفية .
٧١١	الفصل الخامس عشر : التكليف في نظر الصوفية .
٧١٧	الفصل السادس عشر : الأذكار الصوفية .
٧٢٣	الفصل السابع عشر : بيان الوجد والرقص عند الصوفية .
٧٣٠	الفصل الثامن عشر : الكرامات وحوارق العادات عند الصوفية .
٧٣٦	الفصل التاسع عشر : زعماء الصوفية .
٧٣٩	بعض المراجع عن الصوفية
٧٤١	تممة المنهج
	الباب العاشر: المرجئة
٧٤٣	تمهيد :
	الفصل الأول : التعريف بالمرجئة لغة واصطلاحا وبيان أقوال العلماء في
٧٤٥	ذلك

الفصل الثاني : الأساس الذي قام عليه مذهب المرجئة .	٧٤٩
الفصل الثالث : كيف نشأ الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب	٧٥٢
الفصل الرابع : أول من قال بالإرجاء وبيان أهم زعماء المرجئة	٧٥٤
الفصل الخامس : أصول المرجئة .	٧٥٧
الفصل السادس : أقسام المرجئة .	٧٦١
الفصل السابع : أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها .	٧٦٣
الفصل الثامن : مذهب أهل السنة في تعريف الإيمان .	٧٨٠
الفصل التاسع : منزلة مذهب المرجئة عند السلف .	٧٨٨
أهم المراجع لهذه الفرقة .	٧٩٢

الباب الحادي عشر

الجهمية

الفصل الأول : التعريف بالجهمية ومؤسسها .	٧٩٥
من هو الجهم بن صفوان .	٧٩٥
الفصل الثاني : نشأة الجهمية .	٧٩٧
الفصل الثالث : مصدر مقالة الجهمية .	٧٩٩
الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالاً .	٨٠٠
إنكار الجهمية لجميع الأسماء والصفات	٨٠٢
شبهاتهم والرد عليهم	٨٠٢
٢- قول الجهمية بالإرجاء والجبر .	٨٠٧

- ٣ - إنكار الجهمية الصراط ٨١٠
- ٤ - إنكار الجهمية للميزان ٨١٢
- ٥ - قول الجهمية بقاء الجنة والنار ٨١٤
- الفصل الخامس : الحكم على الجهمية ٨١٩

الباب الثاني عشر

المعتزلة

- الفصل الأول : نشأتهم ٨٢١
- الفصل الثاني : أسماء المعتزلة وسبب تلك التسميات ٨٢٣
- الفصل الثالث : مشاهير المعتزلة ٨٢٧
- الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالاً ٨٣٠
- الفصل الخامس : الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها والرد عليها ٨٣٢
- الأصل الأول : هو التوحيد ٨٣٢
- الأصل الثاني : العدل - الصلاح والأصلح ٨٣٤
- الأصل الثالث : ١ - الوعد والوعيد ٨٣٩
- ٢ - الوعيد ٨٤٢
- الأصل الرابع : المنزلة بين المنزلتين ٨٤٥
- الأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٤٩

الباب الثالث عشر

الأشاعرة أو السبعية .

- ١ - ظهور الأشاعرة ٨٥٣

- ٢ - أبو الحسن الأشعري ٨٥٣
- ٣ .. عقيدة الأشعري ٨٥٥
- « عقيدته كما بينها فى كتابه الابانة » ٨٥٧
- ٤ - أشهر زعماء الأشعرية ٨٦٢
- ٥ - موقف الأشاعرة من صفات الله تعالى ٨٦٣

الباب الرابع عشر

الماتريدية

- التعريف بمؤسس الماتريدية ٨٦٩
- أهم آراء الماتيريدى أجمالا ٨٧٠

الباب الخامس عشر

دراسة أهم المسائل التى اتفق عليها أهل الكلام من

- الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية وتشمل ما يأتى : ٨٧٣
- ١ - تقديم العقل على النقل ٨٧٣
- ٢ - التأويل فى مفاهيم الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة ٨٧٨
- ٣ - جهل أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشعري
والماتريدية بمعنى توحيد الألوهية ٨٨٦
- ٤ - تعطيل النصوص عن مدلولاتها ٨٩٢
- ٥ - جدول مختصر لبيان ثبوت صفات الله تعالى وتأويل
الخلف لها ٨٩٧

٨٩٧	نفس الله - علم الله
٨٩٨	الوجه لله تعالى
٨٩٩	عين الله تعالى
٨٩٩	السمع والبصر
٩٠٠	اليدان
٩٠١	الأصبع
٩٠٢	الرجل والقدم
٩٠٢	الساق
٩٠٣	الاستواء
٩٠٤	النزول والآتيان والمجيئ
٩٠٤	١ - يوم القيامة
٩٠٤	٢ - كل ليلة
		الرضى - الغضب - الضحك - الفرح - السخط - التعجب
٩٠٥	- المحبة - الكراهة - الرحمة
٩٠٦	الكلام
٩٠٨	الرؤية
٩٠٩	العلو
٩١١	بعض المراجع
٩١٥	الفهرس



رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٣/٩١٧٦

الترقيم الدولي 0 - 5908 - 00 - 977 I.S.B.N:

تطلب جميع منشوراتنا من

مكتبة أضواء المنار

السعودية - المدينة المنورة - مجمع أحد التجلي

ت: ١٨٥٠١٣٧٠ ب: ٥٤٩١